

الرسالة الملوم منير
إلى معرفة نهج البلاغة المبين

وَيَضُمُّ مَقَاتِلَ كَلَامِيَّةٍ
مَعَ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ فِي شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ
لِلشَّيْخِ أَبِي بَلَدٍ الْهَمْدَانِيِّ (ت ١١٢١ هـ)
(مِنْ أَعْيَانِ الزَّيْدِيَّةِ)

تَقْدِيرُ
السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ حُسَيْنِ الْحُسَيْنِيِّ الْبَلَّاحِيِّ

مُتَقَرَّرٌ وَعَمَلٌ عَلَيْهِ
مُحَمَّدُ عَلِيُّ بْنُ سَيِّدِي الْبَلَّاحِيِّ

طَبْعُ الدَّارِ الْإِسْلَامِيَّةِ



www.haydarya.com

اِحْتِشَاكُ الْمَوْمِنِينَ

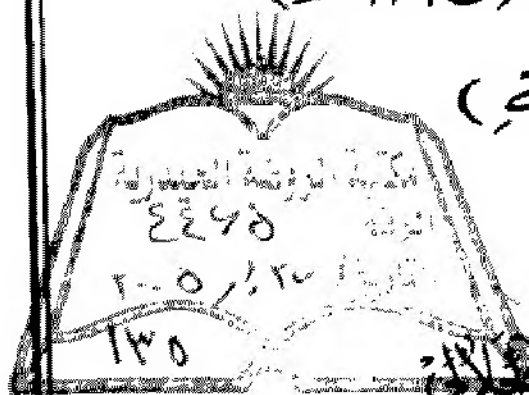
إِلَى مَعْرِفَةِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ الْمُبِينِ

وَيَتَضَمَّنُ مُنَاقِشَاتٍ كَلَامِيَّةَ

مَعَ ابْنِ أَبِي الْحَكِيمِ فِي شَرْحِهِ لِنَهْجِ الْبَلَاغَةِ

لِلسَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ بَرْزَنْجِي (ت ١١٠٢ هـ)

(مِنْ أَعْلَامِ الزَّيْبِيَّةِ)



تَقْدِيمُ

السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ حُسَيْنِ الْحُسَيْنِيِّ الْجَلِيلِ

حَقَّقَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ

مُحَمَّدُ جَوَادُ الْحُسَيْنِيِّ الْجَلِيلِ

طَبْعُ الْبَيْتِ

۱۱۰۲ ق.

جحاف، یحیی بن ابراهیم

ارشاد المؤمنین الى معرفة نهج البلاغة المبين / یحیی بن ابراهیم بن یحیی الجحاف : علق عليه
اخوه اساعیل بن ابراهیم : حققه و علق عليه محمد جواد الحسيني الجلالی . قم :
دلیل ما ، ۱۴۲۲ ق. = ۱۳۸۰ .

ISBN 964 - 7528-34-5 (دوره)

ج ۳

ISBN 964 - 7528-01-9 (ج ۲) ISBN 964 - 7528-00-0 (ج ۱)

ISBN 964 - 7528-02-7 (ج ۳)

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیما .

عربی .

کتابنامه .

۱ . علی بن ابی طالب علیه السلام ، امام اول ، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق -- نهج البلاغه -- تقدیر
تفسیر . الف . جحاف ، اساعیل بن ابراهیم ، ۱۰۲۴ - ۱۰۹۷ ق . ب . حسینی جلالی ، محمد
جواد ، ۱۳۳۱ - محقق . ج . عنوان .

۲۹۷ / ۹۵۱۵

BP ۳۸ / ۰۸ / ج ۳

۱۳۸۰

۸۳۶۴ - ۸۰ م

کتابخانه ملی ایران

ارشاد المؤمنین الى معرفة نهج البلاغة المبين (الجز الثاني)

تأليف: السيد يحيى بن ابراهيم الجحاف

تقديم: السيد محمد حسين الحسيني الجلالی

تحقيق: محمد جواد الحسيني الجلالی

منشورات: دليل ما

الطبعة الاولى: ۱۰۰۰ نسخة

مطبعة: نگارش

۱۴۲۲ ق. - ۱۳۸۰ ش.

شابك (ردمك): ۹ - ۰۱ - ۷۵۲۸ - ۹۶۴ ISBN

شابك (ردمك) دوره: ۵ - ۳۴ - ۷۵۲۸ - ۹۶۴ ISBN

ایران، قم، شارع معلم، زقاق ۲۹، رقم ۴۴۸

الهاتف: ۷۷۳۳۴۱۳، ۷۷۴۴۹۸۸ - ۲۵۱

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ومن خطبة له عليه السلام تعرف بخطبة الأشباح^(١)، وهي من جلائل خطبه عليه السلام^(٢)؛
 روى مسعدة بن صدقة عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، أنه قال: خطب
 أمير المؤمنين بهذه الخطبة على منبر الكوفة؛ وذلك أن رجلاً أتاه، فقال: يا
 أمير المؤمنين، صف لنا ربنا^(٣)، لنزداد له حباً، وبه معرفة؛ فغضب ونادى: الصلاة
 جامعة، فاجتمع إليه الناس حتى غص^(٤) المسجد بأهله؛ فصعد المنبر وهو مغضب^(٥)
 متغير اللون، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، ثم قال: ^(٦)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَفْرُهُ^(٧) الْمَنْعُ^(٨)، وَلَا يُكْذِبُهُ^(٩) الْإِعْطَاءُ وَالْجُودُ؛ إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ
 سِوَاهُ، وَكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ؛ وَهُوَ الصَّمَانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ، وَعَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَالْقَسَمِ،
 عِيَالُهُ^(١٠) الْخَلَائِقُ، ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ، وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ، وَنَهَجَ سَبِيلَ الرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ، وَالطَّالِبِينَ مَا

(١) في هـ. ص: الأشباح الأشخاص؛ لأنه ذكر فيها أشخاص العالم من الملائكة وغيرهم.

(٢) في أ و د زيادة: وكان سائل سألته أن يصف الله حتى كأنه يراه عياناً، فغضب لذلك.

(٣) في ط زيادة: مثل ما نراه عياناً. (٤) في هـ. ص وب: بفتح العين: إمتلاً.

(٥) في هامش الأصل: أي قد اغضب، أي قد فعل معه ما يوجب الغضب.

(٦) لم يرد «وروى مسعدة... إلى ثم قال» في أ.

(٧) في هـ. ب: لا يعرّه، وفي هـ. د: لا يعره - ك، وفي هـ. ص: لا يفره، أي لا يزيد في ملكه، وفي

هـ. ب: وفترته: إذا تركت ماله موفوراً عليه، والوفور: المال الكثير، وقولهم: نوفر ونحمل،
 وقولهم: وفترته جرعة ماله، يضرب هذا المثل للرجل يخصك بشيء فترده عليه من غير
 سخط. (٨) في ط و د زيادة: والجمود.

(٩) في هـ. ص: الكدية - في الأصل -: صخرة تلاقي حافر البئر فتقطع حفره، فتوسع فيه في

غيره، يقال: أكدي: قطع عمله، وأكده غيره: قطع عليه عمله. وفي هـ. ب: أكدي الحافر: إذا بلغ

الكدية، وهي الأرض الصلبة، وأكديت الرجل عن الشيء: رددته عنه.

(١٠) في هـ. ص: عيال العائل: من يقوم بكفايته، يقال: عاله يعوله.

لَدَيْهِ. وَلَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ، الْأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلُ^(١) فَيَكُونُ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَالْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدُ^(٢) فَيَكُونُ شَيْءٌ بَعْدَهُ، وَالرَّادِعُ^(٣) أَنَايَسِي الْأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ، مَا اخْتَلَفَ^(٤) عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيُخْتَلِفُ^(٥) مِنْهُ الْحَالُ، وَلَا كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزُ^(٦) عَلَيْهِ الْإِنْتِقَالُ.

وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَقَّصَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ^(٧)، وَضَحَكَتْ^(٨) عَنْهُ أَصْدَافُ^(٩) الْبِحَارِ، مِنْ فِلَزٍ^(١٠) اللَّجَيْنِ وَالْعَقْيَانِ، وَنُثَارَةِ الدَّرِّ وَحَصِيدِ^(١١) الْمَرْجَانِ، مَا أَثَّرَ ذَلِكَ فِي جُودِهِ، وَلَا أَنْفَدَ سَعَةً مَا عِنْدَهُ، وَلَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الْأَنْعَامِ، مَا لَا تُنْفِدُهُ^(١٢) مَطَالِبُ الْأَنْامِ؛ لِأَنَّهُ الْجَوَادُ الَّذِي لَا يَغِيضُهُ^(١٣) سُؤَالُ السَّائِلِينَ، وَلَا يَبْخُلُهُ^(١٤) إِيحَاخُ الْمُلْحِنِينَ^(١٥).

(١) في هـ. د: الذي ليس له قبل - ك.

(٢) في ط: الذي لم يكن له بعد، وفي هـ. د: الذي لم يكن له بعد - ح.

(٣) في هـ. ب: الرادع: الدافع، يقال: أردعته فارتدع، أي كففته فكف، والأناسي: جمع انسان. وصله ناسين، فاسقطت النون، وفي هامش آخر: ناسي: انسان العين.

(٤) في هـ. ب: ما اختلف بالنفي، وجوابه: فتختلف - بالنصب -.

(٥) في ب فتحلف، وفي هـ. د: فتخلف - ن م ف.

(٦) في هـ. ب، وفي نسخة: فتجوز.

(٧) في هـ. ب: ولو وهب واعطى سبحانه هذه الأشياء ... التي خلقها في معادنها، وادّحرها في مظانها لمصالح العباد على ما تقتضيه وجوه الحكمة، لما نفذ سعة ما عنده ولا تستنهي مقدوراته.

(٨) في هـ. ب: استعارة حسنة. وهي استعارة عن انفتاح الأصداغ.

(٩) في هـ. ب: صدف الدر: غشاؤها.

(١٠) في هـ. ص: الفلز - بكسر الفاء والعين وتشديد اللام - : اسم الأجسام الذائبة من الذهب والفضة ونحوهما، واللجين: الفضة، والعقيان: الذهب، وفي هـ. ب: الفلز: اسم لأجناس سبعة التي هي: العقيان - وهو الذهب - واللجين - وهو الفضة -، والحديد، والنحاس، والرصاص الاسرب، والزئبق، وقيل: لها ثامن، وهو الخارصين.

(١١) في هـ. ب: الحصيد: صغار اللؤلؤ.

(١٢) في هـ. ص: يقال: نفذ المرء: فنى، وأنفده غيره: أفناه.

(١٣) أي لا ينقصه، من غاض الماء: إذا نقص.

(١٤) في هـ. ب: يبخله، أبخلته: وعدته بخلاً، وبخلته: أي نسبته إلى البخل.

(١٥) في هـ. ب: ألح السائل على فلان، أي: أقام بالمسألة عليه وألح السحاب: إذا أدام مطره.

فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ^(١)، فَمَا ذَلِكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَاتَمَّ بِهِ، وَاسْتَضَى بِنُورِ هِدَايَتِهِ،
وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ، مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ، وَلَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأُيُمَّةِ
الْهُدَى أَثَرُهُ، فَكُلُّ عِلْمِهِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ^(٢) مُنْتَهَى حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ.

وَأَعْلَمُ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ^(٣) هُمُ الَّذِينَ اغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ^(٤) السُّدَدِ^(٥) الْمَضْرُوبَةِ
دُونَ الْغُيُوبِ، الْأَقْرَارُ بِجُمْلَةٍ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ، فَمَدَحَ اللَّهُ أَعْتِرَافَهُمْ
بِالْعَجْزِ عَنْ تَأْوِيلِ^(٦) مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا، وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفُهُمُ الْبَحْثَ
عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخًا، فَانْتَصَرَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا تُقَدَّرُ عَظَمَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ
مِنَ الْهَالِكِينَ.

هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي إِذَا أَرْتَمْتَ^(٧) الْأَوْهَامَ لِتُدْرِكَ مُنْقَطِعَ قُدْرَتِهِ، وَحَاوَلَ الْفِكْرَ الْمُبْرَأَ مِنْ
خَطَرِ^(٨) الْوَسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ، وَتَوَلَّاهُ^(٩) الْقُلُوبُ إِلَيْهِ
لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ، وَغَمَضَتْ^(١٠) مَدَاخِلُ الْعُقُولِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ^(١١)

(١) في هـ.ص، وفي نسخة: زيادة بعقلك. (٢) في هـ.ص، وفي نسخة: هذا.

(٣) في هـ.ب: الراسخون: المبالغون في العلم والثابتون.

(٤) في هـ.ب: اقتحام الفرس في الماء: الدخول فيه بغير وسيلة.

(٥) في هـ.ب: السدد: جمع سدة، وهي باب الدار، وها هنا كناية عن الخيام؛ لأنها موصوفة
بالمضروبة. (٦) في هـ.ب، وفي نسخة: تأوّل.

(٧) في هـ.ب: ارتمى ... رمى يقال: رميت الشيء، أي ألقيته فارتمى.

(٨) في أ و ط ود: خطرت، وفي هـ ص: مصدر خطر: أي عَرَضَ، ويروى: خَطَرَات، وفي
هـ.ب: وروي خطرات الوسواس، والوسوسة: حديث النفس.

(٩) في هـ.ص: الوله: شدة الشوق إلى الشيء والولوع به، وفي هـ د: ويرى؛ وتواهقت القلوب -
ك. وفي هـ.ب: أي تحبّرت، والوله: ذهاب العقل.

(١٠) في هـ.ص: أي دقت وخفيت، وفي هـ ب: الغامض من الكلام: خلاف الواضح، وقد غمض
موضع، من قولهم للمطمئن من الأرض: الغامض.

(١١) في هامش الأصل: أي العبارات، فلا توضحه.

لَتَنَاقُلَ^(١) عِلْمَ ذَاتِهِ^(٢)، رَدَعَهَا^(٣) وَهِيَ تَجُوبُ^(٤) مَهَاوِي^(٥) سُدْفِ الْغُيُوبِ، مُتَخَلِّصَةً^(٦) إِلَيْهِ
سُبْحَانَهُ، فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ^(٧)، مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لَا يُنَالُ بِجَوْرِ الْإِعْتِسَافِ^(٨) كُنْهُ^(٩) مَعْرِفَتِهِ، وَلَا
تَخْطُرُ بِبَالِ أُولَى الرِّوَايَاتِ خَاطِرَةً مِنْ تَقْدِيرِ جَلَالِ عِزَّتِهِ.

الَّذِي ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ أُمْتَثَلَهُ، وَلَا مِقْدَارٍ أَخْتَذَى عَلَيْهِ مِنْ خَالِقٍ مَعْبُودٍ^(١٠)
كَانَ قَبْلَهُ، وَأَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ^(١١)، وَعَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ، وَأَعْتَرَفَ
الْحَاجَةِ مِنْ الْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَهَا^(١٢) بِمَسَاكِ^(١٣) قُوَّتِهِ^(١٤)، مَا دَلَّلْنَا بِاضْطِرَارٍ^(١٥) قِيَامَ
الْحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ، وَظَهَرَتْ^(١٦) فِي الْبَدَائِعِ الَّتِي أَخَذَتْهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ وَأَعْلَامُ حِكْمَتِهِ،
فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَدَلِيلًا عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ خَلْقًا صَامِتًا؛ فَحُجَّتُهُ بِالتَّذْيِيرِ نَاطِقَةً،
وَدَلَالَتُهُ عَلَى الْمُبْسَعِ قَائِمَةً.

وَأَشْهَدُ^(١٧) أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ، وَتَلَاخُمِ حَقَاقِ^(١٨) مَفَاصِلِهِمُ الْمُحْتَاجَةِ

(١) في د: لتنال. (٢) في هـ د: ويروى لتنال علم ذلك - ر.

(٣) في هـ ب: أي كفها

(٤) في هـ ص: أي تقطع، من جاب الفلاة، وفي هـ ب: تقطع.

(٥) في هـ ص: المهوي: جمع مهواة، وهي ما يهوى فيه، أي يتردى، وفي هـ أ: أي حفر يسقط

فيها الناس، وفي هـ ب: مساقط. (٦) في هـ ب: مقدرة التخلص إليه.

(٧) في هـ ص: أصاب انجبهة، ضرب الجبهة.

(٨) في هـ ص: أي السير في غير طريق. وفي هـ ب: التعسف: الأخذ على غير الطريق.

(٩) في هـ ص: لكنه هو الحقيقة. (١٠) في هـ د: من خالق معهود - ض.

(١١) في هـ ب: أي أَرَانَا من الحكم العجيبة من أفعاله

(١٢) في هـ ب: الضمير للعجائب.

(١٣) في ب: بمسلك، وفي هـ ب، وفي نسخة: بمسالك، وفي هـ أ: المساك: ما يمسك به قوته،

والمساك: المكان الذي يمسك الماء، وفي هـ ب: استمسكت بالشيء: اعتصمت به، وفي هـ

د: بمسك قوته - ر، وحاشية م. (١٤) في هـ د: قدرته - ب.

(١٥) في هـ ص: بالنظر في شواهد الصنع والظرف في مقدمات تفضي إلى العلم الضروري، وهذا

مأخذ لقول أصحاب المعارف، الجاحظ ومن وافقه، ألا ترى إلى قول الجاحظ في كتابه

«العبء والاعتبار»: فكر في كذا، فكّر في كذا: وهي دلالة صحيحة قد نبّه عليها الكتاب

والسنة وكلام علي عليه السلام. (١٦) في هـ د: فظهرت - ح.

(١٧) في ب و ط: فأشهد، وفي هـ د: وأشهد - ش، وفي هـ ب: أشهد أن من شبه الله بالأجسام

لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ، لَمْ يَعْقِدْ^(١٩) غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ، وَلَمْ يُبَاشِرْ قَلْبُهُ الْيَقِينَ بِأَنَّهُ لَا يَدَّلُكَ،
وَكَأَنَّهُ لَمْ^(٢٠) يَسْمَعْ تَبَرُّأَ التَّابِعِينَ مِنَ الْمُتَّبِعِينَ، إِذْ يَقُولُونَ: هُوَ تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
إِذْ نُسَوِّيكَم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ^(٢١) كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ^(٢٢)؛ إِذْ شَبَّهُواكَ بِأَصْنَامِهِمْ، وَتَحَلُّوكَ^(٢٣)
حَلِيَّةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ^(٢٤)، وَجَزَّءُوكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ، وَقَدَّرُوكَ عَلَى
الْخِلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقَوَى^(٢٥) بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ^(٢٦).

وَأَشْهَدُ^(٢٧) أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ، وَالْعَادِلُ بِكَ^(٢٨) كَافِرٌ بِمَا
تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ، وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ، وَأَنَّكَ^(٢٩) أَنْتَ اللهُ الَّذِي لَمْ
تَتَنَاهَ^(٣٠) فِي الْعُقُولِ فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيِّفًا^(٣١)، وَلَا فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا^(٣٢)
مَخْذُودًا مُصَرِّفًا.

وَمِنْهَا:

→ والصَّوْرُ لَمْ يَعْرِفْهُ يَقِينًا

(١٨) فِي ص : حَقَائِقُ، وَفِي هـ.أ. فِي نَسْخَةِ: حَقَاقٍ، وَالْحَقَاقُ جَمْعُ حَقٍّ بَضْمُ الْحَاءِ، وَهُوَ رَأْسُ
الْعَظْمِ عِنْدَ الْمَفْصَلِ، وَفِي هـ.ب. حَقَاقُ الْمَفَاصِلِ تَشْتَمِلُ عَلَى حِكْمَةِ اللهِ تَعَالَى مُحْتَجِبٍ
تَدْبِيرِهَا، وَمَنْفَصِلُ الْعِضْوِ مِنَ الْعِضْوِ فِيهِ تَأْمَلُ لِلْمَتَأَمَّلِ، تَرَى أَحَدَهُمَا كَالْحَقِّقَةِ يَدُورُ فِيهَا الْآخَرُ،
مَشْدُودًا هَذَا بِصَاحِبِهِ بِالْعَصَبِ، مُتَلَاحِمًا مُنْصَلًّا، حَتَّى احْتَدَى الْبِنَاوُنُ فِي بِنَائِهِم بِالذِّكْرِ
وَالْأُنْثَى.

(١٩) فِي هـ.د. رَوَى مَا يَعْقِدُهُ غَيْبٌ - ر

(٢٠) فِي ب: فَكَأَنَّهُ لَمْ.

(٢١) الشُّعْرَاءُ ٢٦ / ٩٧ - ٩٧

(٢٢) فِي هـ.ص: أَيِ الَّذِينَ جَعَلُوا عَدِيلًا لِرَبِّهِمْ، أَي: مِثْلًا، وَفِي هـ.ب: الَّذِينَ يَجْعَلُونَ لَهُ عَدِيلًا
وَشَرِيكًا، أَي: حَائِدُونَ بِكَ عَنِ الطَّرِيقِ. (٢٣) فِي هَامِشِ ب: أَيِ أَعْطَوْكَ.

(٢٤) فِي هـ.ص: نَصَوْرَ الْغَائِبَاتِ بِصُورِ الْمَأْلُوفَاتِ.

(٢٥) فِي هـ.ب: الْقَوَى جَمْعُ قُوَّةٍ، وَهِيَ فِي الْأَصْلِ: الطَّاقَةُ مِنَ الْحَبْلِ، وَرَجُلٌ شَدِيدُ الْقَوَى: أَيِ
شَدِيدُ أُسْرَا. (٢٦) فِي هـ.د: بِقَرَائِحِ قُلُوبِهِمْ - ك.

(٢٧) فِي ب: فَأَشْهَدُ، وَفِي هـ.د: فَأَشْهَدُ - ش.

(٢٨) لَمْ تَرُدْ «بِكَ» فِي أَوْ ب، وَفِي هـ.د: وَالْعَادِلُ كَافِرٌ - ش.

(٢٩) فِي ب: فَأَنَّكَ، وَفِي هـ.د: فَأَنَّكَ - ش.

(٣٠) فِي هـ.ص: أَيِ لَمْ يَكُنْ مَتْنٌ يَبْلُغُ الْعُقُولَ غَايَةَ مَعْرِفَتِهِ، وَلَا ذَلِكَ مِنْ مِمْكِنِهَا.

(٣١) فِي هـ.ب: أَيِ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ اللهُ الَّذِي لَا يَكَيِّفُ.

(٣٢) فِي هـ.د: زِيَادَةٌ: فَتَكُونَ - ض.

قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ، وَدَبَّرَ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ، وَوَجَّهَهُ لَوَجْهِتِهِ^(١) فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ
مَنْزِلَتِهِ، وَلَمْ يَقْتَصِرْ^(٢) دُونَ الْإِنْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ، وَلَمْ يَسْتَضِعِبْ إِذْ أَمَرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ،
وَكَيفَ^(٣)؟ وَإِنَّمَا صَدَرَتْ الْأُمُورُ عَنْ مَشِيَّتِهِ^(٤)، الْمُنْشِئِ أَصْنَافَ الْأَشْيَاءِ^(٥) بِلَا رَوِيَّةٍ فِكْرٍ
آلِ^(٦) إِلَيْهَا، وَلَا قَرِيحَةٍ^(٧) غَرِيِزَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْهَا، وَلَا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا^(٨) مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ،
وَلَا شَرِيكِ أَعَانَهُ عَلَى آيْتِدَاعِ عَجَائِبِ الْأُمُورِ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِبَطَاعَتِهِ، وَأَجَابَ إِلَى
دَعْوَتِهِ، لَمْ يَغْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ^(٩) الْمُبْطِيِّ، وَلَا أَنَاةُ الْمَتَلَكِّيِ^(١٠)، فَأَقَامَ مِنَ الْأَشْيَاءِ
أَوْدَهَا^(١١)، وَنَهَجَ حُدُودَهَا^(١٢)، وَلَاءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا، وَوَصَلَ أَشْبَابَ قَرَائِنِهَا^(١٣)،
وَفَرَّقَهَا أَجْنَاساً مُخْتَلِفَاتٍ فِي الْخُدُودِ وَالْأَقْدَارِ، وَالْغَرَائِزِ^(١٤) وَالْهَيْئَاتِ، بِدَايَا^(١٥) خَلَائِقِ
أَحْكَمَ صُنْعَهَا^(١٦)، وَفَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَابْتَدَعَهَا.

ومنها في صفة السماء:

- (١) في ه ص : - بكسر الواو - الجهة التي يتوجه إليها.
(٢) في أ وب وط ود : ولم يقصر، وفي ه ب، وفي نسخة: لم يقصر.
(٣) في ط : فكيف .
(٤) في أ وب ود : مشيئته.
(٥) في ه ص : أي جاعلها أشياء .
(٦) في ه ب : أي رجع .
(٧) في ه ب : أي استنباط .
(٨) في أ وب وط ود : أفادها .
(٩) في ه ب، وفي نسخة: ريب، وفي ه ص : الريث: البطؤ.
(١٠) في ه ص : التلكؤ: التحبس والتقاعد عن العمل، وفي ه ب : سكوت المتحبس والمتشاجر، وتلكؤاً في الشيء تباطؤ فيه . (١١) في ه ص وب : أي اعوجاجها .
(١٢) في ه ص وب، وفي نسخة: حدها . وفي ه ب : حدها، أي في حدها، يعني طرق نهج في الأرض
(١٣) في ه ص : لم ذكر انه تعالى لاءم بين المتضادات، ذكر أنه الذي ناسب بين المتناسبات .
(١٤) الغرائز: الطباع .
(١٥) في ه ب : بدايا جمع بديّة، وهى الخليقة المبدء بها . أى هذه بدايا خلائق وإلها . من بدايا إلى خلائق . او يكون بدايا بدلاً من قوله اجناساً وخلائق عطف بيان وفي ه د : والرواية الصحيحة: برأ خلائق - ك .
(١٦) في ه ص ، وفي نسخة: صنعتها .

وَنَظَمَ^(١) بِلَا تَغْلِيْقٍ رَهَوَاتٍ^(٢) فُرَجِيهَا، وَلَا حَمَ^(٣) صُدُوعَ أَنْفِرَاجِيهَا، وَوَشَجَ^(٤) بَيْتَهَا وَبَيْنَ
أَزْوَاجِيهَا، وَذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ، وَالصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ حُزُونَةً^(٥) مِعْرَاجِيهَا،
وَنَادَاهَا بَعْدَ^(٦) إِذْ هِيَ دُخَانٌ^(٧)، فَالْتَحَمَتْ^(٨) عُرَى أَشْرَاجِيهَا^(٩)، وَفَتَقَ بَعْدَ الْإِرْتِيَاقِ^(١٠)
صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا، وَأَقَامَ رَصْدًا مِنَ الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ^(١١) عَلَى نِقَابِهَا^(١٢)، وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ
فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ رَائِدَةً^(١٣)، وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ، وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً
مُبْصِرَةً^(١٤) لِنَهَارِهَا، وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوَةً مِنْ لَيْلِهَا^(١٥)، فَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ^(١٦)
مَجْرَاهُمَا^(١٧)، وَقَدَّرَ سَيْرَهُمَا^(١٨) فِي مَدَارِجِ دَرَجِيهِمَا، لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِهِمَا، وَلِيَعْلَمَ

(١) في هـ. د: فنظم - ع.

(٢) في هـ. ص: جمع رهوة، وهو ما ارتفع من الشيء، وفي هـ. ب: أوساط، والرهوة: المرتفع.

(٣) في هـ. ب: أي جمع.

(٤) في هـ. ص: بالتشديد - أي شبك، وفي هـ. أ: وشج من الوشيجة، وهي عروق الشجرة، ومنه: الواشجة، للقرابة المشتبكة، وفي هـ. ب: أي خطط.

(٥) في هـ. ص: هو ضد السهولة، وفي هـ. ب: أي صعوبة.

(٦) في هـ. ب: مبني على الضم بدلاً من «بعد». (٧) في ب زيادة: مبني.

(٨) في هـ. ب: من لحمة الثوب.

(٩) في هـ. ب: شرح العيبة: عروتها، ومجرّة السماء يسمى شرحا، وشرح الوادي: منفسحه، والجمع: اشراج.

(١٠) في ط و د: الارتقاق، وفي هامش ب، وفي نسخة: الارتقاق.

(١١) في هـ. ب: جمع شهاب، وهو النجم، وأصله النار، والثواقب: جمع ثاقب، وهي المضيئة.

(١٢) في هـ. ب: على نقابها، أي طرفها، جمع نقب، وهو الطريق في الجبل.

(١٣) كذا في أوص: ظاهراً ويحتمل: «رايدة»، وفي ب و ط و د: بايدة، وفي د: بأيده، وفي هـ. ب، وفي نسخة: بايدة أي هالكة. وفي نسخة: ذائدة، وفي هـ. د: في خرق الهواء رائدة - ف ع، بائدة

- م ل، من راد يروود: إذا جاء وذهب.

(١٤) في هـ. ب: أي علامة واضحة مضيئة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي تبصر في النهار، كما يقال: ليل نائم، أي ينام فيه.

(١٥) ممحوة، أي يمحي ضوءها في بعض ساعات الليل في بعض ليال من الشهر، وفي جميع الليل في أوقات من الشهر، وهي أوله وآخره.

(١٦) المناقل: مجراها، ومحلّ منتقل الشمس والقمر، وهو مدار الشمس والقمر.

(١٧) كذا في ص وأوب، وفي ط: مجزيهما. (١٨) في أوب و د: مسيرهما.

عَدَدَ السَّنِينَ وَالْحِسَابِ بِمَقَادِيرِهِمَا، ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوْهَا فَلَكَّهَا^(١)، وَنَاطَ^(٢) بِهَا زِينَتَهَا، مِنْ خَفِيَّاتِ^(٣) دَرَارِيَّهَا^(٤) وَمَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا، وَرَمَى مُسْتَرَفِي السَّمْعِ^(٥) بِثَوَاقِبِ شُهِبِهَا، وَأَجْرَاهَا عَلَى إِذْلَالٍ^(٦) تَسْخِيرَهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا، وَمَسِيرِ سَائِرِهَا، وَهَبُوطِهَا وَصُعُودِهَا، وَنُحُوسِهَا وَسُعُودِهَا.

ومنها في صفة الملائكة عليهم السلام:

ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمَوَاتِهِ، وَعِمَارَةِ الصَّفِيحِ^(٧) الْأَعْلَى^(٨) مِنْ مَلَكَوْتِهِ، خَلْقًا بَدِيدًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ، وَمَلَأَ بِهِمْ^(٩) فُرُوجَ فِجَاجِهَا^(١٠)، وَحَشَى بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَانِهَا^(١١)، وَبَيَّنَ فَجَوَاتِ^(١٢) تِلْكَ الْفُرُوجِ رَجُلٌ^(١٣) الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ الْقُدُسِ^(١٤)، وَسُتْرَاتِ^(١٥) الْحُجُبِ، وَسُرَادِقَاتِ^(١٦) الْمَجْدِ، وَوَرَاءَ ذَلِكَ الرَّجِيحِ^(١٧) الَّذِي تَسْتَكُّ^(١٨) مِنْهُ الْأَسْمَاعُ

(١) في هـ.ب، وفي نسخة: فلكاء، الفلك هو المدار الذي يكون للكوكب في السماء، وفي هـ.ص: قال في الشرح: هذا يقتضي إنَّ الفلك غير السماء، وهو خلاف قول الجمهور، انتهى. وكأنه على نحو العجز التي تنقل الكائنات، والله أعلم. وفي هـ.ب: الفلك: استدارة السماء ويقال: دوران لسماء.

(٢) في ب: حَفِيَّات. (٣) في هـ.ب: جمع درّ، وهي كناية عن النجوم.

(٤) في هـ.ب: كان الشياطين قبل بعث النبي ﷺ يصعدون ويسمعون كلام الملائكة على نحو السرقة.

(٥) في هـ.ص: يقال لوجه فلز عريض: صفيح وصفحة، انتهى من الشرح، وفي هـ.أ: الصفيح: الجانب، وفي هـ.ب: كناية عن السماء وما فوقها، ويقال لوجه كل شيء عريض: صفيح وصفحة.

(٦) في هـ.ب: الفجوة: الفرجة بين الشيئين.

(٧) في هـ.ب: جمع جَوْ، وفي هـ.د: وروي أجوابها - ك.

(٨) في هـ.ب: أي متسع.

(٩) في هـ.ص: هو الصوت المردّد. وفي هـ.ب: صوت.

(١٠) في هـ.ص: أي الحضائر المقدّسة، وفي هـ.ب: مجاميع محفوظة.

(١١) السترات جمع سترة، وهو ما يستتر به.

(١٢) السرادقات: جمع سرادق، وهو ما يمدّ على صحن البيت فيغطيه.

(١٣) في هـ.ب: الرجيج: الصوت العالي، من رجه يرجّه: أي حرّكه وزلّله.

(١٤) في هـ.د: تسلّ - م، وفي هـ.ص: أي يملأها فيصمّها، وفي هـ.ب: استكت به، أي ضاقت

سُبْحَاتُ^(١) نُورٍ تَزْدَعُ الْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا، فَتَقِفُ خَاسِئَةً^(٢) عَلَى حُدُودِهَا.
 أَنْشَأَهُمْ^(٣) عَلَى صُورٍ مُخْتَلِفَاتٍ، وَأَقْدَارٍ مُتَقَاوَنَاتٍ، أُولَى أَجْنِحَةٍ تُسَبِّحُ^(٤) جَلَالَ^(٥)
 عِزَّتِهِ، لَا يَتَنَحَّلُونَ^(٦) مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ^(٧)، وَلَا يَدْعُونَ^(٨) أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئاً مَعَهُ^(٩)
 مِمَّا أَنْفَرَدَ بِهِ، (بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ)^(١٠) جَعَلَهُمْ^(١١) فِيمَا
 هُنَالِكَ أَهْلَ الْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ، وَحَمَلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَدَائِعِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَعَصَمَهُمْ مِنْ
 رَيْبِ الشُّبُهَاتِ، فَمَا مِنْهُمْ زَانِعٌ^(١٢) عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ.
 وَأَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ الْمَعُونَةِ، وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعِ إِخْبَاتِ^(١٣) السَّكِينَةِ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَاباً
 دُلَّالاً^(١٤) إِلَى تَمَاجِيدِهِ، وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَاراً وَاضِحَةً عَلَى أَعْلَامِ تَوْحِيدِهِ، لَمْ تَقْلُهُمْ
 مُؤَصِّرَاتُ^(١٥) الْإِتَامِ، وَلَمْ تَزْتَحِلَّهُمْ^(١٦) عَقَبُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ^(١٧)، وَلَمْ تَزِمِ^(١٨) الشُّكُوكُ^(١٩)

→ وصفت. (١) في هـ. أ: السبحة: الخرزة التي يسبح بها.

(٢) في هـ. ب: أي بعيدة.

(٣) في ط: وأنشأهم، وفي هـ. د: وأنشأهم - ح ض.

(٤) في ب وهـ. ص، وفي نسخة: تسبح. وفي هـ. ص: قوله: «تسبح» يقال: سبخ بالخاء المعجمة، أي تخفف العمل، ويقال: سبخ: نام نوماً مستغرقاً شديداً، فكان المعنى - والله أعلم -: تسبخ جلال عزته، أي توقر وتعظم فتتساقط وتتماوت تذلاً فتعود شيناً لاحتراك به، كسكون المستغرق في النوم، فضمن «تسبح» معنى توقر كما ورد في صفة إسرائيل عليه السلام أنه يتضائل لعظمة الله حتى يعود كالصعرة. أو يكون المعنى: تسبح إجلالاً لعزة الله، وفي كون مفعولاً له، والله أعلم.

(٥) في الف: خلال.

(٦) في هـ. ب: لا ينتحلون: أي لا يدعون. (٧) في أوب ود: صنعة.

(٨) لم ترد «معه» في ط، وفي هـ. د: شيئاً ممّا - ب، وفي هـ. ص: لا يخفى ما في زيادة هذه الكلمة من التحرز من مذهب المجبرة. (٩) اقتباس من سورة الأنبياء ٢١: ٢٧.

(١٠) في هـ. د: جعلهم الله - ح. (١١) في هـ. ب: أي مائت.

(١٢) في هـ. ب: أي تواضع.

(١٣) جمع ذلول: أي غير صعب، وفي هـ. ب: وصف الأبواب بالذلّ تشبيهاً بالداية الذلول.

(١٤) في هـ. ب: أي مثقلات. (١٥) في هـ. ب: ارتحلت البعير: أي ركبته.

(١٦) في هـ. ص: العقب جمع عقبة، وهي النوبة أي لم يؤثر فيهم كما يؤثر ارتحال الإنسان البعير في ظهره، إمّا بمعنى لم يؤثر فيهم بالإيلاد كما تؤثر في سائر الأجسام، وإمّا بمعنى لم تؤثر منهم بطولها كمّا حتى يملوا ما هم فيه من العبادة ويتركوا ما هم عليه في البداية من الاجتهاد

بِنَوَازِعِهَا^(١٩) عَزِيمَةَ إِيْمَانِهِمْ، وَلَمْ تَغْتِرْكَ^(٢٠) الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ، وَلَا قَدَحَتْ قَادِحَةً
الْآخِنِ^(٢١) فِيمَا بَيَّنَّتُهُمْ، وَلَا سَلَبَتْهُمْ الْحَيِّزَةَ مَا لَاقَى^(٢٢) مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ، وَمَا سَكَنَ مِنْ
عَظَمَتِهِ وَهَيْبَتِهِ جَلَالَتِهِ^(٢٣) فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ، وَلَمْ تَطْمَعُ فِيهِمْ الْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ^(٢٤)
بَرِّيْنَهَا^(٢٥) عَلَى فِكْرِهِمْ.

وَمِنْهُمْ: مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْغَمَامِ الدُّلْحِ^(٢٦)، وَفِي عِظَمِ الْجِبَالِ الشَّمَخِ^(٢٧)، وَفِي قَتَرَةِ^(٢٨)
الظَّلَامِ الْأَيْتِهِمْ^(٢٩).

وَمِنْهُمْ: مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ^(٣٠) الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَهِيَ كَرَائِبٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ
فِي مَخَارِقِ^(٣١) الْهَوَاءِ، وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَافَةٌ^(٣٢) تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ أَنْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ

→ والرغبة من نحو قوله تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ و ﴿وَحَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾، وفي هـ ب:
معنى عَقَب اللبالي، أي: تؤثر فيهم نوالي لأَيَّام وكرورها.
(١٧) في هـ ب، وفي نسخة: ولم تؤم، أي لم تزدحم الظنون.
(١٨) في هامش ب: نرم الشكوك إيمانكم الذي معه.
(١٩) في هـ د: بنوازغها - ك ل، وفي هـ ص: بالعين المهملة من نزع الشهوات، وبالمعجمة من
نزع الشيطان.

(٢٠) في هـ ص: أي لم تزدحم، وفي هـ ب: العرك الدلك.
(٢١) في هـ ص: جمع إحنة، وهي الحقد، وفي هـ ب: أي لم يخرج نار العداوة والحقد.
(٢٢) في هـ ص: ما ثبت وناسب، وفي هـ ب: أي مالصق.
(٢٣) في ب وهـ ص، وفي نسخة: حلاله، وفي هـ د: حلاله - ل.
(٢٤) في هامش ب، وفي نسخة: فتفتزع برينها، من الفرع، وفي هامش الأصل: يروى بالقاف من
القرعة: المساهمة، وبالقاف من فرعه، أي علاه، وفي هامش ب: من القرعة.
(٢٥) في هـ د: وتفتزع بريها - ك ر، وفي هـ ص: الرين: الدنس كالدسم يعلو على الماء.
(٢٦) في هـ ص: جمع دالحة: من بمشي مثقلاً، وفي هـ ب: الدلح: الثقال، المثقلة.
(٢٧) في هـ ص: جمع شامخ، أي مرتفع، وفي هـ ب: الجبال العظيمة.
(٢٨) في هـ د: فترة - د، وفي هامش الأصل أي شدته؛ وفي هامش ب: الفترة، والفترة: الجانب
والناحية، لغة في القطر.

(٢٩) في ط: الايهم. وفي هـ ص وب: التي لا يهتدي فيه.
(٣٠) في هـ ص: جمع نخم، وهو حد الأرض ومنتههاها، وفي هـ ب: التخوم بفتح التاء واحدة،
جمعه تخم، والتخوم بضم التاء، جمع تخم، نظير الأول.
(٣١) المخارق: مواضع ما خرقت أقدامهم
(٣٢) في هـ ص: أي رخاء طيبة، وفي هـ ب: أي ساكنه بلا سرعة.

الْمُسْتَاهِيَةِ، قَدْ اسْتَفْرَغْتَهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ ^(١)، وَوَسَّلْتُ ^(٢) حَقَائِقُ الْإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَمَعْرِفَتِهِ، وَقَطَعَهُمُ الْإِيْقَانُ بِهِ إِلَى الْوَلَهِ إِلَيْهِ ^(٣)، وَلَمْ تُجَاوِزْ رَغْبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ.
 قَدْ ذَاقُوا خَلَوةَ مَعْرِفَتِهِ، وَشَرَبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ ^(٤) مِنْ مَحَبَّتِهِ، وَتَمَكَّنْتُ مِنْ سُوَيْدَاءِ قُلُوبِهِمْ ^(٥) وَشَيْجَةِ ^(٦) خَيْفَتِهِ، فَحَنَوْا بِطُولِ الطَّاعَةِ اعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ ^(٧)، وَلَمْ يُنْفِذْ طُولُ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ، وَلَا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الرُّزْقَةِ رَيْقَ ^(٨) خُشُوعِهِمْ، وَلَمْ يَتَوَلَّهُمُ الْإِعْجَابُ فَيَسْتَكْبِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ، وَلَا تَرَكَتْ لَهُمْ أَسْتِكَانَةٌ ^(٩) إِلَّا جَلَالَ نَصِيْبًا فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ، وَلَمْ تُجْرِ الْفَرَاتُ ^(١٠) فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُورِهِمْ ^(١١)، وَلَمْ تَغْضُ ^(١٢) رَغْبَاتُهُمْ فَيَخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ ^(١٣) رَبِّهِمْ، وَلَمْ تَجِفَّ لِطُولِ الْمُنَاجَاةِ أَسْلَاتُ ^(١٤) أَلْسِنَتِهِمْ، وَلَا مَلَكَتُهُمُ الْأَشْغَالُ ^(١٥) فَتَنْقَطِعَ بِهِمْ ^(١٦) الْحَنِينُ ^(١٧) إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ، وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ ^(١٨) الطَّاعَةِ

(١) في هـ ص : أي استنفذت قواهم وأبدانهم وأفكارهم حتى لم يبق لغير عبادته نصيب فيهم،

من تفريغ ما في الإناء، وفي هـ ب: أي طلبت أن يفرغوا إلى العبادة

(٢) في ط ووصلت، وفي هـ ب: في نسخة، ووصلت، وفي هـ د: ووصلت - ح ض، وفي هـ ص

: من الوسيلة، وهي القرية والوصلة، ويروى وصلت. وفي هـ ب: أي قريت، من الوسيلة.

(٣) في هـ ب: وله إليه: تحيّر في الفرع إليه، وفي هـ ب: أيضاً: دهاب العقل.

(٤) الرويَّة: التي تروى من العطش.

(٥) في هـ ص : أي من حبه القلب، وفي هـ ب: سويداء القلب: حبه. وكذلك سوداؤه

وسويداؤه.

(٦) في هـ ص : الوشيحة: عروق الشجرة، وقد وشجت العروق: تشبكت، وفي هـ ب: الوشيحة

- في الأصل - عرق الشجرة، وها هنا استعارة للمبالغة في الخوف.

(٧) في هـ ب: أي عوجوا اعتدال ظهورهم.

(٨) في هـ ص : جمع ربة: حبل يشد في عنق الأسير، وفي هـ ب: الرِّيق: الحبل، والرِّيق:

الجمع (٩) في هـ ب: أي ذلّة.

(١٠) في هـ ب: أي ضعف.

(١١) في هـ ب: لدؤوب والدآب: الجد، وفي هامش آخر: الدؤبة على العمل: إدامته.

(١٢) في هـ ب: هنا روايتان: يتغض وتنقص. (١٣) في هـ ب: من مجاورتهم.

(١٤) في هـ ب: اصابة، وفي هامش آخر: أسلة اللسان: طرفه.

(١٥) في هـ ب: الهمس: الصوت الخفي، وفي هـ د: ولا ملكتهم الإغفال - ر.

(١٦) في هـ ص وب: الهمس: الصوت الخفي.

(١٧) كذا في ص وهـ ب، وفي نسخة، وفي أوب: الخبر، وفي هـ ص: وفي نسخة: الجوار، وفي

مَنَّاكِبُهُمْ، وَلَمْ يَتْنُوا إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ، وَلَا تَعْدُو^(١٩) عَلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِمْ
بِلَادَةِ الْغَفْلَاتِ، وَلَا تَتَنَاضِلُ^(٢٠) فِي هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ^(٢١) الشَّهَوَاتِ^(٢٢).

قَدْ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ^(٢٣) ذَخِيرَةً لِيَوْمِ فَاقَتِهِمْ^(٢٤)، وَيَمَّمُوهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى
الْمَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ^(٢٥)، لَا يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ، وَلَا يَرْجِعُ بِهِمْ إِلَّاسْتِهْتَارًا^(٢٦) بِلُزُومِ
طَاعَتِهِ، إِلَّا إِلَى مَوَادِّ^(٢٧) مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَمَخَافَتِهِ، لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ
الشَّفَقَةِ^(٢٨) مِنْهُمْ فَيَتْنُوا^(٢٩) فِي جِدِّهِمْ، وَلَمْ تَأْسِرْهُمْ إِلَّاطْمَاعُ^(٣٠) فَيُؤْثَرُوا وَشِيكَ^(٣١) السَّعْيِ
عَلَى اجْتِهَادِهِمْ، وَلَمْ^(٣٢) يَسْتَغْظَمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ اسْتَغْظَمُوا ذَلِكَ لَنَسَخَ الرَّجَاءُ
مِنْهُمْ شَفَقَاتِ^(٣٣) وَجَلِيلِهِمْ، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ
سُوءُ التَّقَاطُعِ، وَلَا تَوَلَّاهُمْ^(٣٤) غِلُّ^(٣٥) التَّحَاسُدِ، وَلَا تَشَعَّبَتْهُمْ^(٣٦) مَصَارِفُ^(٣٧) الرَّيْبِ، وَلَا

→ ط ود: الحوار.

(١٨) في هـ.ب: جمع مقام وفي هـ.د: وروی «في مقادم» بالدال - ك.

(١٩) في هـ.ص: عدا عليه: قهره وغلبه. وهو هنا مجاز، وفي هـ.ب: عدا عليه واعتدى وتعدى
بمعنى.

(٢٠) في هـ.ص: الانتضال: المراماة، وفي هـ.ب: لا تتنازع ولا تتناضل ولا تتوانى من النضال،
وهو المراماة. وفي هامش آخر: لا تغلب. (٢١) في هـ.ب، وفي نسخة: خداع.

(٢٢) ما اتخذ الشهوات به لنفس. (٢٣) في هـ.د: ذي العرش لهم - م.

(٢٤) أي ليوم حاجتهم إلى الله.

(٢٥) أي قصدوه بالرغبة عند انقطاع الخلق سوهم إلى المخلوقين.

(٢٦) في هـ.ص: مصدر استهتر بالشيء: تولع به وفي هـ.ب: يقال: فلان مستهتر بالشرب، أي
مولع به لا يبالي ما قد قيل فيه، وفي هامش آخر: الاستهتار: الحرص.

(٢٧) المواد: جمع مادة، أصله من مد البحر. ويراد به هنا البو عث على الطاعة.

(٢٨) في هـ.ب: أي الخوف (٢٩) في هـ.ب: فينوا: فيضعفون.

(٣٠) في هـ.ص وب: أي سريعة. (٣١) في ط: لم.

(٣٢) الشفقات: تارات الخوف وأطواره.

(٣٣) في هـ.ب: أي لا تولاهم الشيطان، والتقاطع لاستحواذ الغلبة.

(٣٤) في هـ.د: وروی على التحاسد - ر.

(٣٥) في أود: ولا شعثبتهم - وفي هـ.د: ولا شيعتته - ك، وفي هـ.ب: أي فرقته.

(٣٦) في هـ.ب: أي موضع الص ف.

أَقْتَسَمْتَهُمْ أَخْيَافُ^(١) أَلْهِمَ^(٢)، فَهُمْ أَسْرَاءُ إِيْمَانٍ، لَمْ يُفَكِّهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ زَيْعٌ وَلَا عُدُولٌ، وَلَا وَنَى^(٣) وَلَا فُتُورٌ، وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعٌ إِهَابٍ^(٤) إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ، أَوْ سَاعٍ^(٥) خَافِدٌ^(٦)، يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْمًا، وَتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظْمًا.

ومنها في صِفَةِ الْأَرْضِ وَدَخْوِهَا عَلَى الْمَاءِ :

كَبَسَ^(٧) الْأَرْضَ عَلَى مَوْرٍ^(٨) أَمْوَاجٍ مُسْتَفْجِلَةٍ^(٩)، وَلُجَجٍ^(١٠) بِحَارٍ زَاخِرَةٍ^(١١)، تَلْتَطِمُ أَوَادِي^(١٢) أَمْوَاجِهَا، وَتَضْطَفِقُ^(١٣) مُتَقَافَاتٌ أَتْبَاجِهَا^(١٤)، وَتَوَعُّو^(١٥) زَبْدًا كَالْفُحُولِ عِنْدَ هَيَاجِهَا^(١٦)، فَخَضَعَ^(١٧) جِمَاحُ^(١٨) الْمَاءِ الْمُتَلَاطِمِ لِثِقَلِ^(١٩) حَمْلِهَا^(٢٠).

(١) في هـ. ص : الاخياف: المختلفة من الأشياء، وفي هـ. ب: اخياف: أي مختلفون، وأخياف الهمم، من اضافة الصفة إلى الموصوف. (٢) في هـ. د: وروي اخياف الهم - ر. (٣) في هـ. ب: مصدر ونى كنعب، أي تأن. (٤) في هـ. ب: أهاب: قطعة جلد (٥) في هـ. ب: أي مسرع بالخدمة. (٦) الحافد: المسرع، أي: خفيف سريع. (٧) في هـ. ص : الكبس: مداخله أجزاء الشيء بالقوة، وفي هـ. أ : أي طم، وفي هـ. ب: أوقع، مشتق من الكابوس، وهو ما يقع على الانسان بالليل، وهو مقدمة الصرع. (٨) في هـ. ص : المور: مصدر مار يemor: تحرك وذهب وجاء، وفي هـ. أ : أي حركة، وفي هـ. ب: أي ذهاب ومجيء

(٩) في هـ. ص : تشبه الفحول في شدتها وهياجها، وفي هـ. أ : أي عظيمة، وفي هـ. ب: مستفحلة: مستعظمة، استفحل الأمر: تفاقم واشتد. (١٠) في هـ. ب: أي نظرب. (١١) أي متلثة.

(١٢) في هـ. ص : جمع اوذي، وهي الأمواج والإضافة للبيان، وفي هـ. أ. ب: أوادي: جمع أوذي، وهو الموج. (١٣) الاصطفاق: الاهتزاز.

(١٤) في هـ. ص . الثبج - في الأصل - ما بين الكاهل إلى الظهر، ويستعار لوسط كل شيء، وفي هـ. أ : جمع ثبج، وهو السنام، وثبج الرمل: معظمه. وقيل: لعللى كل شيء، وقيل: وسطه، وفي هامش ب: الثبج في اللغة: ما بين الكاهل إلى الظهر، وها هنا: أعالي الأمواج.

(١٥) في هـ. ب: تصوّت، يقال رغا البعير: إذا هاج.

(١٦) في هـ. ب: أي اضطرابها. (١٧) في هـ. ب: أي ذل

(١٨) في هـ. د: وروي جمم - ر. وفي هـ. ص : الجماح: أن يجمع الفرس براكبه، يتوثب حتى يلقيه عن ظهره، وفي هـ. ب: ارتفاع. (١٩) في هـ. ب: لنقل حملها.

وَسَكَنَ هَيْجُ أَرْمَائِهِ ^(٢١) إِذْ وَطِئَتْهُ بِكُلِّكِلِهَا ^(٢٢)، وَذَلَّ مُسْتَحْذِيًّا ^(٢٣) إِذْ تَمَعَّكَتْ ^(٢٤) عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا،
فَأَصْبَحَ بَعْدَ أَصْطِخَابٍ ^(٢٥) أَمْوَاجِهِ سَاجِيًّا ^(٢٦) مَقْهُورًا، وَفِي حَكَمَةٍ ^(٢٧) الذَّلُّ مُنْقَادًا أُسِيرًا،
وَسَكَنَتْ الْأَرْضُ مُدْحُوَّةً ^(٢٨) فِي لُجَّةٍ ^(٢٩) تَيَّارِهِ، وَرَدَّتْ مِنْ نَخْوَةٍ بَأْوِهِ ^(٣٠) وَأَعْتَلَّائِهِ ^(٣١)،
وَشُمُوحٍ ^(٣٢) أَنْفِهِ، وَسُمُوءُ غَوَائِهِ ^(٣٣)، وَكَعَمَتُهُ ^(٣٤) عَلَى كِطَّةٍ ^(٣٥) جَرَّتِيهِ، فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقَاتِهِ ^(٣٦)، وَلَبَّدَ
بَعْدَ ^(٣٧) زَيْفَانٍ ^(٣٨) وَثَبَاتِهِ.

فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا، وَحَمَلَ شَوَاهِقَ ^(٣٩) الْجِبَالِ الْبُذْخِ ^(٤٠) عَلَى أَكْنَافِهَا،
فَجَرَّ يَنَابِيعَ الْغُيُُونِ مِنْ عَرَانِينَ ^(٤١) أَنْوَفِهَا، وَفَرَّقَهَا فِي سُهُوبٍ ^(٤٢) بِيَدِهَا ^(٤٣) وَأَخَادِيدِهَا ^(٤٤).

- (٢٠) في هـ.ب: أي الأرض. (٢١) في هـ.ب: اضطرابه.
(٢٢) في هـ.ص: الكلكل: الصدر، والمراد: بجملتها، وفي هـ.ب: بصدرها.
(٢٣) في هـ.ص: أي ذليلاً خاضعاً، وفي هـ.أ: متواضعاً، وفي هـ.ب: خاضعاً.
(٢٤) في هـ.ص: التمعك: التمرغ والتقلب، وفي هـ.ب: تمعكت مستعارة ها هنا من قولهم: تمعكت الدابة: إذا تمرغت، وفي هـ.ب: تمرغت يعني الأرض، من تمعك الدابة.
(٢٥) في هامش لأصل وب: هو افتعال من الصخب، وهو الصوت والجلبة، وفي هامش الف: صوته.
(٢٦) في هـ.ب: أي ساكناً.
(٢٧) في هـ.ب: حكمة: كناية عن وصف الأرض بالسكون.
(٢٨) في هـ.ب: أي مبسوطة. (٢٩) في هـ.ب: أي معظم موجه.
(٣٠) في هـ.ب: أي تكبره. (٣١) في هـ.ب: أي زهوه.
(٣٢) في هـ.ب: أي علو.
(٣٣) في هـ.د: انفه وغلوائه - ع، وفي هـ.ص: أي ترائده، وفي هـ.ب: سمّوه: علوه وتجاوز حده.
(٣٤) في هـ.ص وب: الكعم: شد الغم. وفي هـ.ب: شدته.
(٣٥) في هـ.ص وب: أي امتلاء.
(٣٦) في هـ.د: وروي: نزقاته بالفاء - ك، وفي هـ.ص: النزق: الحنق والطيش، وفي هـ.ب: حركاته.

- (٣٧) في هـ.ب، وفي نسخة: وبعد زيفان. الزيفان: شدة (هبوب) الريح.
(٣٨) في هـ.أ و ص: الزيفان: التبخر، وفي هـ.ب: تكبر
(٣٩) في هـ.ب: الشواهي: المرتفعة العالية.
(٤٠) في ط و د: الشمخ البذخ، وفي هـ.أ: الأعالي، وفي هـ.ب: جمع باذخ، وهو: العالي جداً.
(٤١) في هـ.ص وب: جمع عرنين، وهو أول الانف.
(٤٢) في هـ.ص: القاع الأملس، وفي هـ.أ: المتسع من الأرض.

وَعَدَّلَ حَزَاكَتَهَا بِالرَّاسِيَّاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا^(٤٥)، وَذَوَاتِ الشَّنَاخِيْبِ^(٤٦) الشُّمَّ^(٤٧) مِنْ صَيَاخِيدِهَا^(٤٨)، فَسَكَنَتْ مِنَ الْمَيْدَانِ^(٤٩) بِرُسُوبٍ^(٥٠) الْجِبَالِ فِي قِطْعٍ أَدِيمِهَا^(٥١)، وَتَغْلُظُهَا^(٥٢) مُتَسَرِّبَةً^(٥٣) فِي جَوَابَاتِ^(٥٤) خَيَاشِيمِهَا^(٥٥)، وَرُكُوبِهَا أَعْنَاقَ سُهُولِ الْأَرْضَيْنِ وَجَرَائِمِهَا^(٥٦)، وَفَسَحَ^(٥٧) بَيْنَ الْجَوِّ وَبَيْنِهَا، وَأَعَدَّ الْهَوَاءَ مُتَنَسِّمًا لِسَاكِنِهَا، وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَافِقِهَا^(٥٨).

ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ الْأَرْضِ^(٥٩) الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيعِهَا^(٦٠)، وَلَا تَجِدُ جَدَاوِلَ الْأَنْهَارِ^(٦١) ذَرِيعَةً^(٦٢) إِلَى بُلُوغِهَا حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا^(٦٣) نَاشِئَةً سَحَابٍ تُخَيِّي مَوَاتَهَا وَتَسْتَخْرِجُ

(٤٣) في هـ ب: المفازة.

(٤٤) في هـ ص: جمع خدود، وهو الشق في الأرض، وفي هـ ب: جمع الأخدود، وهو الشق المستطيل في الأرض.

(٤٥) في هـ ب: الثابتات الأوص، جمع جملود، وهو الصخر، وفي هـ ب: صخورها

(٤٦) في هـ ص: جمع شخوب: رؤوس الجبال، وفي هـ ب: رؤوس الجبال.

(٤٧) في هـ ب: العالي.

(٤٨) في هـ ص: الصبخود: الصخر، وفي هـ أ: الصياخيد: الشداد، جمع صخرة، وفي هـ ب: الشديدة. (٤٩) الميدان التحرك والاضطراب.

(٥٠) في هـ ب: بنشوب، وفي ط: لرسوب، وفي هـ ط: برسوب، وفي هـ د: لرسوب - ض ح.

(٥١) المراد: سطح الأرض. (٥٢) في هـ ب: دخولها.

(٥٣) في هـ ص: كالسائر في سرب، (وهو طريق باطن، وفي هـ ب: سارياً).

(٥٤) في هـ ص: جمع جوية، وهي الفرجة، وفي هـ أ وب: أي متسعاً.

(٥٥) في هـ ب: ثقب الانوف

(٥٦) في هـ ص: جمع جرثومة: ما اجتمع، وفي هـ ب: أي أصلها.

(٥٧) في هـ ب: أي وسع.

(٥٨) المرافق ما يرفق الشيء ويلازمه، كمرافق البيت أو ما يتم بها الانتفاع بالشيء.

(٥٩) في هـ ب: الأرض الجرز: التي لا نبات فيها.

(٦٠) في هـ ص: جمع رابية، بمعنى ربوة: ما ارتفع من الأرض، وفي هـ أ: الأعالي، وفي هـ ب: آكمها.

(٦١) في هـ د: جداول الأرض - ن م. وفي هـ ص: الجدول: النهر، وفي هـ ب: الأنهار الضيقة

[اضيف] إليها تخفيفاً. (٦٢) في هـ ص: وصلة.

(٦٣) في هـ د: ثم أنشأها - م.

نَبَاتَهَا، أَلْفَ غَمَامَهَا بَعْدَ أَفْتِرَاقِ لُمَعِهِ^(١)، وَتَبَايُنِ قَزَعِهِ^(٢)، حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ^(٣) لُجَّةُ الْمُرْنِ فِيهِ، وَالتَّمَعَ بَرْقُهُ فِي كُفِّهِ^(٤)، وَلَمْ يَتَمَّ وَمِیْضُهُ^(٥) فِي كَنَهُورِ^(٦) رَبَّابِهِ^(٧)، وَمُتَرَائِمِ^(٨) سَحَابِهِ، أَوْسَلَهُ سَحَابًا مُتَدَارِكًا^(٩)، قَدْ أَسَفَّ^(١٠) هَيْدَبَهُ^(١١)، تَمْرِیْهِ^(١٢) الْجُنُوبِ دَرَرَ أَهَاضِیْبِهِ^(١٣)، وَدَفَعَ^(١٤) شَأْبِیْبِهِ^(١٥).

فَلَمَّا أَلْقَتْ السَّحَابُ بَرَكَ بَوَانِیْهَا^(١٦)، وَبَعَاغَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنَ الْعَبْءِ^(١٧) الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا، أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ^(١٨) الْأَرْضِ النَّبَاتَ، وَمِنْ زُغْرِ^(١٩) الْجِبَالِ الْأَغْشَابَ، فَهِيَ تَبْهَجُ بِزِينَةِ

(١) في هـ.ص : جمع لمعة، وهي قطعة من الشيء وفي هـ.ب: اللمعة قطعة من النبات إذا أخذت في اليبس.

(٢) في هـ.ص و ب : وهو قطع السحاب الرقيقة، وفي هـ.أ : قزعة: قطع سحاب متفرقة.

(٣) في هـ.ص : أي تحركت بقوة، وفي هـ.أ و ب: تحركت.

(٤) في هـ.ص : جمع كفة وهي كالدارة المجتمعة، وفي هـ.ب: الكفف: قطع السحاب التي هي كالشبكة، وهي - في الأصل - : جمع كفة الميزان، وكفة الصائد: حبالته.

(٥) في هـ.ص : الوميض: التمايع البرق.

(٦) في هـ.ص : الكنهور: قطع السحاب، قيل: المجتمع، والكنهور: المجتمع المتكاثف، وفي هـ.أ : العظيم من السحاب.

(٧) لرباب: السحاب الأبيض المتلاحق من الغيوم.

(٨) في هامش ب: سحاب متراكم. (٩) أي صباً متلاحقاً ومتو صلاً.

(١٠) في هـ.ص و ب: أي دنا من الأرض.

(١١) في هـ.ص : الهيدب: أطرافه السفلى، وفي هـ.أ : الهيدب من السحاب: ما تهدب منه، إذا ندلى كأنه خيوط.

(١٢) في هـ.ص : تمرية: أي تستنزلها كما يمرى الضرع، وفي هـ.ب: تخلية، وفي هـ.ب: تجليه.

(١٣) في هـ.ص : جمع: أهضوب، وفي هـ.أ : أهضيب جمع هضاب، وهو جمع هضب. وهي حلبات القطر بعد القطر. (١٤) في هـ.ب: عطف على «درر».

(١٥) في هـ.ص : جمع شؤبوب، وفي هـ.أ : الشأبيب: الدفع من المطر، واحدها: شؤبوب، وفي هـ.ب: جمع شيبوب.

(١٦) في هـ.ص : البرك - في الأصل - : الصدر، والبواني. ما يليه من الأضلاع، وعنى به - هنا - : ثقلها، وفي هـ.ب: الصدر. (١٧) في هـ.ص و ب: البوع: الأثقال.

(١٨) في هـ.ص : وب: أي الثقل، وفي هـ.ب: أي الخالية.

(١٩) في هـ.ص : جمع أزعر، وهو قليل النبات، وفي هـ.ب: الزعر جمع أذعر، وأصله من قلة الشعر، وها هنا: قلة الشعر.

رِيَاضِهَا، وَتَزْدَهِي ^(١) بِمَا أُلْبِسَتْهُ مِنْ رِبْطٍ ^(٢) أَزَاهِيرِهَا، وَحِلْيَةٍ مَا سُمِطَتْ بِهِ ^(٣) مِنْ نَاضِرٍ
أَتْوَارِهَا ^(٤)، وَجَعَلَ ذَلِكَ بَلَاغاً ^(٥) لِلْأَتَامِ، وَرِزْقاً لِلْأَنْعَامِ، وَخَرَقَ الْفِجَاجَ فِي آفَاقِهَا ^(٦)، وَأَقَامَ
الْمَنَارَ لِلْسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادٍ طُرُقِهَا.

فَلَمَّا مَهَّدَ أَرْضَهُ وَأَنْقَذَ أَمْرَهُ اخْتَارَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَيْرَةً مِنْ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُ أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ ^(٧)،
وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ وَأَرْغَدَ فِيهَا أَكْلَهُ، وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ ^(٨) فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ، وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ
الْتَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَّتِهِ، وَالْمَخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ، فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ مُوَافَقَةً لِسَابِقِ ^(٩) عَلَيْهِ،
فَأَهْبَطَهُ ^(١٠) بَعْدَ التَّوْبَةِ لِيُغَمَّرَ أَرْضُهُ بِنَسْلِهِ، وَلِيُقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ
قَبَضَهُ مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رَبُّوبِيَّتِهِ، وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، بَلْ تَعَاهَدَهُمْ ^(١١) بِالْحُجَجِ
عَلَى أَلْسِنِ الْخَيْرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ، وَمُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ، قَرْنَا فَقَرْنَا حَتَّى تَمَّتْ بَيْنَنَا
مُحَمَّدٌ ﷺ حُجَّتُهُ، وَبَلَغَ الْمَقْطَعُ ^(١٢) عُذْرُهُ وَنُذْرُهُ، وَقَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَهَا، وَقَسَمَهَا
عَلَى الضِّيقِ ^(١٣) وَالسَّعَةِ، فَعَدَلَ فِيهَا لِيَتَبَلَّى مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَمَعْسُورِهَا ^(١٤)، وَلِيُخْتَبِرَ بِذَلِكَ
الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا وَفَقِيرِهَا، ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عِقَابِيلَ ^(١٥) فَأَقْتَهَا ^(١٦)، وَبِسَلَامَتِهَا

(١) في هـ.ص: من الزهو، وهو الإعجاب، وفي هـ.ب: يزدهي نظر الناظر إليها.

(٢) في هـ.ص: جمع ربطة، وهي الملاءة، وفي هـ.ب: الملاءة الواسعة.

(٣) في أوه.د: شمطت - م.ك، وفي هـ.ص: ويروى «شمطت» بالشين المعجمة، أي خططت،
ويروى «سمطت» بالسين المهملة والتشديد، من التسميط، وهو التحلية، وهم يشبهون
النبات باللباس، والحلية للأرض، والله أعلم، وفي هـ.أ: أي علقته جعلت ذات لونين، وفي
نسخة: سمطت من السمط وهو العقد، وفي هـ.ب: أي علقته.

(٤) الأتوار: جمع نؤر، وهو الزهرة قبل انفتاحها.

(٥) في هـ.ب: أي طعاماً. (٦) في هـ.ب: أي نواحيها.

(٧) في هـ.د: أول جبلته وبديع فطرته - م.ف.

(٨) في هـ.ص: أي عهد، وفي هـ.ب: أوعز، يقال: أوعزت إليه في كذا: أي تقدمت.

(٩) في هـ.د: بسابق علمه - ر. (١٠) في هـ.ب: أي أنزل.

(١١) في هـ.ب: التعاهد: تجديد العهد بالشيء، يقال: تعاهدته بكذا.

(١٢) المقطع: النهاية.

(١٣) في هـ.ص: بفتح وبكسر اسم المصدر، وبالكسر لا غير المصدر.

(١٤) في هـ.ب: من العسر واليسر.

(١٥) في هـ.ص: عقيب، وهو بقية نحو المرض، وفي هـ.أ: واحداً عقيب من بقية الحمى، وفي

(١٦) الفاقة: الفقر

هـ.ب: وهو الوجع.

طَوَارِقَ^(١) آفَاتِهَا، وَيَفْرِجَ أَفْرَاجَهَا^(٢) غُصَصَ أَثْرَاجِهَا^(٣)، وَخَلَقَ آلَاجَالَ فَأَطَالَهَا وَقَصَّرَهَا،
وَقَدَّمَهَا وَأَخَّرَهَا، وَوَصَلَ بِالمَوْتِ أَسْبَابَهَا^(٤)، وَجَعَلَهُ خَالِجاً^(٥) لِأَشْطَانِهَا^(٦)، وَقَاطِعاً
لِمَرَائِرِ^(٧) أَفْرَانِهَا^(٨)، عَالِمُ السَّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ، وَنَجْوَى^(٩) الْمُتَخَافَتِينَ^(١٠)،
وَحَوَاطِرِ رَجْمِ^(١١) الظُّنُونِ، وَعُقَدِ عَزِيمَاتِ الْيَقِينِ، وَمَسَارِقِ^(١٢) إِيْمَاضِ^(١٣) الْجُفُونِ، وَمَا
ضَمِنَتْهُ^(١٤) أَكْنَانُ^(١٥) الْقُلُوبِ، وَغِيَابَاتِ الْغُيُوبِ^(١٦)، وَمَا أَضَعَتْ^(١٧) لِاسْتِرَاقِهِ مَصَائِخُ^(١٨)
الْأَسْمَاعِ، وَمَصَائِفِ^(١٩) الذَّرِّ^(٢٠)، وَمَشَاتِي^(٢١) الْهَوَامِّ، وَرَجَعَ الْحَنِينِ^(٢٢) مِنَ المَوْلَاهَاتِ^(٢٣)،
وَهَمْسِ^(٢٤) الْأَقْدَامِ، وَمُنْفَسَحِ^(٢٥) الثَّمَرَةِ مِنْ وَلَايِجِ غُلْفِ^(٢٦) الْأَكْمامِ، وَمُنْتَمِعِ^(٢٧) الْوُحُوشِ مِنْ

- (١) في هـ.ب: هي التي تأتي غفلة أو بالليل. (٢) في هـ.ب: جمع فرح.
(٣) في هـ.ص: الترح: الغم والحزن. (٤) جمع سبب: وهو الحبل الطويل.
(٥) في هـ.ب: أي جاذباً. (٦) الشطن: الحبل، وفي هـ.أ: أي حبالها.
(٧) في هـ.ب: المرير من الحبال، ما لطف واشتد فتله، والجمع مرائر.
(٨) في هـ.ص: القرن الحبل، والمريرة: ما طال ولطف واشتد فتله، وفي هـ.ب: قرن: وجار
يقرن به البعيران، والجمع أقران.
(٩) في هـ.ص: لتخافت: اخفاء الكلام، وفي هـ.ب: قول سر.
(١٠) في هـ.ب: الذين يتكلمون في خفاء.
(١١) في هـ.ص: ما لا وثوق به وفي هـ.ب: التكلّم بالظن.
(١٢) في هـ.ص: محائلة الرؤية.
(١٣) في هـ.أوب: بقل: أو مضت المرأة: إذا سارقت النظر، وهو قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ
الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾. (١٤) ضمنت: حوته.
(١٥) الاكنان: جمع كن، وهو ما يستتر فيه. (١٦) غيابات الغيوب: أعماقها.
(١٧) في هـ.ب: أي مالت.
(١٨) في هـ.ص: الأصل: جمع مصيخ: آلة السمع، وفي هامش الف: الموضع الذي يستمع به،
وفي هامش ب: مسامع.
(١٩) في هـ.ص: بالكسر، عطفاً على السّر، وهي جمع مصيفة: ما يقام فيه في الصيف، وفي
هـ.ب: من الصيف. (٢٠) الذر: النمل.
(٢١) في هـ.ص: جمع مشتي.
(٢٢) رجح الحنين: ترجيعه وترديده.
(٢٣) في هـ.ص: فاقدات أولادهن، وفي هـ.ب: أي من الامهات التي فرّق بينها وبين ولدها.
(٢٤) في هـ.ص: الحسن الخفي.
(٢٥) في هـ.ب: أي متوسع.
(٢٦) في هـ.ص: جمع غلاف.
(٢٧) في ب ود: منقمع، وفي هـ.ص: التقمّع: الانقباض والتستر، وفي هـ.أ: منقمع الوحوش:

غَيْرَانِ ^(١) الْجِبَالِ وَأَوْدِيَّتَيْهَا، وَمُخْتَبَأُ ^(٢) الْبَعُوضِ بَيْنَ سُوقِ ^(٣) الْأَشْجَارِ وَالْجِيَّتَيْهَا ^(٤)، وَمَعْرِزِ
الْأَوْرَاقِ مِنَ الْأَفْنَانِ ^(٥)، وَمَحْطُ الْأَمْشَاجِ ^(٦) مِنْ مَسَارِبِ الْأَصْلَابِ ^(٧)، وَنَاشِئَةِ الْغُيُومِ
وَمُتَلَاكِجِهَا، وَدُرُورِ ^(٨) قَطْرِ السَّحَابِ فِي مَتْرَاكِمِهَا، وَمَا تَسْنِي الْأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا ^(٩)،
وَتَعْفُو ^(١٠) الْأَمْطَارُ بِسُيُولِهَا، وَعَوْمِ ^(١١) بَنَاتِ ^(١٢) الْأَرْضِ ^(١٣) فِي كُتُبَانِ الرَّمَالِ، وَمُسْتَقَرِّ
ذَوَاتِ الْأَجْنَحَةِ بِذُرَى ^(١٤) شَنَاخِيْبِ ^(١٥) الْجِبَالِ، وَتَغْرِيدِ ^(١٦) ذَوَاتِ الْمَنَاطِقِ فِي دِيَاكِجِرِ ^(١٧)
الْأَوْكَارِ ^(١٨)، وَمَا أَوْعَبَتْهُ ^(١٩) الْأَصْدَافُ ^(٢٠) وَحَضَنْتْ ^(٢١) عَلَيْهِ أَمْوَاجُ الْبَحَارِ، وَمَا غَشِيَتْهُ
سُدْفَةُ لَيْلٍ ^(٢٢) أَوْ ذَرَّ عَلَيْهِ ^(٢٣) شَارِقُ نَهَارٍ، وَمَا أَعْتَقَبَتْ ^(٢٤) عَلَيْهِ أَطْبَاقُ الدِّيَاكِجِرِ وَسُبْحَاتُ ^(٢٥)

→ موالجها.

(١) في هـ ب: جمع غار.

(٢) في هـ ب: محل خفائها.

(٣) في هـ ب: جمع ساق.

(٤) في هـ ص: جمع لحاء، وهو قشرة الشجرة

(٥) الأفنان: الغصون.

(٦) في هـ ص: جمع مشج، وهو المني، وفي هـ ب: أي منزل ماء الرجل والمرأة.

(٧) في هـ ص: جمع مسرب، حيث يتسرب أي يسيل، وفي هـ ب: مسائل.

(٨) في هـ ص: أي نرول، وفي هـ ب: الدر: السيلان.

(٩) في هـ ب: أي ما تذر هذه الرياح.

(١٠) في هـ ب: تعفو: تدرس.

(١١) في أ: وعموم.

(١٢) في ص وب: وط ود: نبات.

(١٣) في هـ ص العوم: الغوص، وبنات الأرض، الهوام والحشرات تعوم في الأرض كما يغوص

السباح في الماء، وفي هـ ب: أي عالم عوم نبات الأرض في الرمال، أي دخول الهوام

والحشرات التي تكون في الأرض.

(١٤) في هـ ب: أي يعلو.

(١٥) في هـ ب: [لشنخوب] رأس الجبل.

(١٦) في هـ ب: النصوت بالغناء.

(١٧) في هـ ب: هاشم الأصل: الديجور: الظلمة، وفي هـ ب: الظلمات.

(١٨) في هـ ب: الأوكار: جمع وكر، وهو موضع الطير.

(١٩) أي جمعتها، والمراد اللؤلؤ، وفي هـ ص: أي نسخة: أودعته وفي ب: وما وعته، وفي ط ود:

وما أوعبته.

(٢٠) في هـ ب: أي عالم ما جمعتها الأصداق.

(٢١) في هـ ص: أي ضمته، كما يحضن الولد، وفي هـ ب: حضنة البحار: السمك، وحضن الطائر

بيضه.

(٢٢) في هـ ص: بالضم والفتح، وفي هـ ب: أي ظلمته.

(٢٣) في هـ د: وذو - ي ن، وفي هـ ص: أي مدّ عليه نوره، وفي هـ ب: أي ما طلعت عليه

الشمس.

النُّورِ، وَآثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ، وَحِسِّ كُلِّ حَرَكَةٍ، وَرَجْعِ كُلِّ كَلِمَةٍ، وَتَحْرِيكِ كُلِّ شَفَةِ، وَمُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَةٍ^(٢٦)، وَمِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ، وَهَمَاهِمِ^(٢٧) كُلِّ نَفْسٍ هَامَّةٍ^(٢٨)، وَمَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ^(٢٩)، أَوْ سَائِطٍ وَرَقَةٍ، أَوْ قَرَارَةٍ^(٣٠)، نُطْفَةٍ، أَوْ نُقَاعَةٍ^(٣١) دَمٍ وَمُضْغَةٍ. أَوْ نَاشِئَةٍ خَلْقٍ وَسَلَالَةٍ. لَمْ يَلْحَقْهُ فِي ذَلِكَ كَلْفَةٌ. وَلَا أَعْتَزَّضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ابْتَدَعَ^(٣٢) مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَةٌ، وَلَا أَعْتَوَّرَتْهُ^(٣٣) فِي تَنْفِيذِ الْأُمُورِ وَتَدَايِيرِ الْمَخْلُوقِينَ مَلَائَةً وَلَا فِتْرَةً. بَلْ نَفَذَهُمْ^(٣٤) عِلْمُهُ، وَأَخْصَاهُمْ عَدُّهُ^(٣٥). وَوَسَّعَهُمْ عَدْلُهُ، وَغَمَّرَهُمْ^(٣٦) فَضْلُهُ مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ.

اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ، وَالتَّعْدَادِ^(٣٧) الْكَثِيرِ، إِنْ تَوَمَّلْ فَخَيْرٌ مَأْمُولٍ، وَإِنْ تُرْجَ فَأَكْرَمُ مَرْجُوٍّ.

اللَّهُمَّ وَقَدْ بَسَطْتَ لِي^(٣٨) فِيمَا لَا أُمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ، وَلَا أَثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ، وَلَا أُوَجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ الْخَيْبَةِ وَمَوَاضِعِ الرِّيبَةِ، وَعَدَلْتَ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الْآدَمِيِّينَ، وَالشَّائِ عَلَى الْمَرْبُوبِينَ الْمَخْلُوقِينَ.

(٢٤) في هـ.ص: من العفة، وهو التداول، وفي هـ.ب: أي تعاقبت، يقال: اعتقب البائع السلعة من المشتري: حين يأخذ ثمنها.

(٢٥) في هـ.مش الأصل: أي أجزاء العظيمة الضحمة. وفي هامش ب: السباحات. الانوار، وسباحات وجهه: أي جلاله ونوره. (٢٦) في هـ.ب: أي نفس.

(٢٧) في هـ.ص: جمع همهمة، وهي ترديد الصوت في الصدر، والظاهر انه يريد ترديد الخاطر بين فعل الشيء وتركه، لكن لا بد ان يقارن هذا الخاطر صوت يردّد، فاستعير اسمه له.

(٢٨) في هـ.ص: الهامة: التي تهّم، أي تريد، والله أعلم.

(٢٩) في ب: من ثمر كل شجرة. (٣٠) القرارة: مقرّ النطفة.

(٣١) في هـ.ب، وفي نسخة: أو نقيعة دم. وفي هـ.ص: هي ما يجتمع ممّا له نون. وفي هـ.أ: ما يجتمع فيه الماء، وفي هـ.ب: نفاعه، فعالة كالنخالة والبراءة، يقال: تقع الدم الموضع الذي

استتقع فيه، كما يقال للماء. (٣٢) في ط: ابتدعه.

(٣٣) اعتورته: تداولته وتناولته.

(٣٤) في ط: نفذ فيهم، وفي هـ.ب، وفي نسخة: نفذ فيهم.

(٣٥) في د: واحصاهم عدده، وفي أوه.د: واحصاهم كتابه - ف، وفي هـ.أ، وفي نسخة: واحصاهم عدده. (٣٦) في هـ.ب: أي سترهم.

(٣٧) في هـ.ص: مصدر عدد للتكثير

(٣٨) في هـ.ص: أي آتيتني لساناً وفصاحة وسعة نطق.

اللَّهُمَّ وَلِكُلِّ مُثْنٍ عَلَى مَنْ أَتَى عَلَيْهِ مَثَوْبَةٌ مِنْ جَزَاءٍ، وَعَارِفَةٌ^(١) مِنْ عَطَاءٍ، وَقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلًا عَلَى ذَخَائِرِ^(٢) الرَّحْمَةِ، وَكُنُوزِ الْمَغْفِرَةِ.

اللَّهُمَّ وَهَذَا مَقَامٌ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ، وَلَمْ يَرِ مُسْتَحِقًّا لِهَذِهِ الْمَحَامِدِ وَالْمَمَادِحِ غَيْرَكَ، وَبِي فَاقَةٍ إِلَيْكَ لَا يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلَّا فَضْلُكَ، وَلَا يَنْعَشُ مِنْ خَلْقِهَا إِلَّا مَنُّكَ وَجُودُكَ، فَهَبْ لِي^(٣) فِي هَذَا الْمَقَامِ رِضَاكَ، وَأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ الْأَيْدِي إِلَى سِوَاكَ^(٤)، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

قول الراوي: فغضب لذلك.

قال في الشرح: إنه إنما غضب وتغيّر وجهه لقول السائل: «صِفْ لَنَا رَبَّنَا مِثْلَ مَا نَرَاهُ عَيَانًا»؛ وإذا هذا المعنى ينصرف وصية له بما أوصاه به من اتباع ما جاء في القرآن والسنة؛ وذلك لأنَّ العلم الحاصل من رؤية الشيء عيانًا، عِلْمٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَعَلَّقَ مِثْلُهُ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ؛ لأنَّ ذَاتَهُ تَعَالَى لَا يُمْكِنُ أَنْ تُعْلَمَ مِنْ حَيْثُ هِيَ هِيَ؛ كما تعلم المحسوسات، أَلَا تَرَى أَنَا إِذَا عَلِمْنَا أَنَّهُ صَانِعُ الْعَالَمِ، وَأَنَّهُ قَادِرُ عَالَمٍ حَيٍّ سَمِيعٍ بَصِيرٍ مُرِيدٍ، وَنَهْ لَيْسَ بِجِسْمٍ وَلَا جَوْهَرٍ وَلَا عَرَضٍ، وَعَلِمْنَا جَمِيعَ الْأُمُورِ السَّلْبِيَّةِ وَالْإِيجَابِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهِ، فَإِنَّمَا عَلِمْنَا سُلُوبًا وَإِضَافَاتٍ؛ وَلَا شَكَّ أَنَّ مَاهِيَةَ الْمَوْصُوفِ مُغَايِرَةٌ لِمَاهِيَةِ الصِّفَاتِ، وَالذَّوَاتِ الْمَحْسُوسَةِ بِخِلَافِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّا إِذَا رَأَيْنَا السَّوَادَ، فَقَدْ عَلِمْنَا نَفْسَ حَقِيقَةِ السَّوَادِ لَا صِفَةَ مِنْ صِفَاتِ السَّوَادِ.

وأيضاً فإنَّنا لو قدرنا أنَّ العلم بوجوده وصفاته الإيجابية والسلبية، يستلزم العلم بذاته؛ من حيث هي هي لم نكن عالمين^(٥) بذاته علماً جزئياً^(٦)؛ لأنَّه يُمْكِنُ أَنْ يَصْدُقَ هَذَا الْعِلْمُ عَلَى كَثِيرِينَ، عَلَى سَبِيلِ الْبَدَلِ؛ وَإِذَا ثَبِتَ أَنَّهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَصْدُقَ عَلَى كَثِيرِينَ عَلَى سَبِيلِ الْبَدَلِ، ثَبِتَ أَنَّهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَصْدُقَ عَلَى كَثِيرِينَ عَلَى سَبِيلِ الْجَمْعِ وَالْعِلْمُ بِالْمَحْسُوسِ،

(١) في أوط: من جزاء أو عارفة

(٢) في هـ، ص: جمع ذخيرة، وهي هنا الأعمال الصالحة.

(٣) كذا في ص، وفي أوب ووط ود. لنا. (٤) في هـ، ص، وفي نسخة: إلى من سواك.

(٦) في ط: علماً جزئياً

(٥) في ط: لم يكن عالماً.

يستحيل أن يصدق على كثيرين لا على سبيل الجمع ولا على سبيل البدل، فقد بان أنه يستحيل أن يعلم الله تعالى كما يعلم الشيء المرئي عياناً، فأمر المؤمنين ﷺ أنكر هذا السؤال كما أنكره الله تعالى على بني إسرائيل لما طلبوا الرؤية^(١)؛ انتهى^(٢).

وأقول: لو اختصرنا العبارة، وقلنا: الحاصل من علم المشاهدة انطباع صورة المدرك في خيال المدرك، والصورة والشكل من خواص المحدثات، فهو مستحيل في حق الباري، فانكر ﷺ توهم السائل للباري سبحانه، لان التوحيد: نفي التوهم.

ولعل الشارح أراد بالاضافات والسلوب: أقوال الواصفين التي هي مدلول لفظ صفة حقيقية في حق الباري تعالى، والله أعلم.

قوله ﷺ: «فانظر أيها السائل بعقلك ... إلى آخر كلامه».

أي ما وجدت الكتاب والسنة قد نطقا باطلاقه على الباري سبحانه، من وصفه بنحو كونه عالماً، قادراً، حياً، مريداً، سمياً، بصيراً - من الاضافات -، وبنحو كونه ليس بجسم، ولا حال، ولا في جهة - من السلوب -، التي أفادها قوله تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»^(٣) فاطلق ذلك الوصف على نحو اطلاقهما.

وما لم تجد الكتاب والسنة والائمة قد اطلقوه عليه من الوصف فلا تطلقه ولا تنظر فيه، فإنما ذلك من الشيطان، ولكن كل علمه إلى الله، ومنع نفسك عن تكلفه.

فاكتف مثلاً بما أفادك القرآن من ان الباري سبحانه ذات لا يشبهه شيء من الذوات، ولا تنظر في ان تلك الذات على أية كيفية هي، كما تفعل المجسمة، بل الله عن هذا بعد ان تقرر ان الكيفيات من لوازم الأجسام، والباري ليس بجسم، كما أفادك القرآن، والله أعلم. ثم انه ضرب مثلاً لكون الاختصار على الجمل كافياً، والامتناع عن النظر فيما لا سبيل إلى العلم بحقيقته واجباً، فقال: «ان الراسخين في العلم هم الذين قالوا: نحن نعلم ان تحت الآية المتشابهة معناً صحيحاً أراده الله، ولها مدلول ثابت ولكن ليس لنا طريق إلى العلم به، فنحن لانخمنه ولا نتظناه، ولكن نعلم ان الباري سبحانه تعبدنا بتلاوته وبالوقف

(٢) شرح بن أبي الحديد ٦: ٤٠٥.

(١) البقرة ٢: ٥٥.

(٣) الشورى ٤٢: ١١.

عن النظر في تعيينه إلا ان يأتي نص من جهة الرسول اتبعناه لأنه من عند الله» ثم ذكر ان الله مدح أمرهم وقولهم، وسمّاه رسوخاً وسمّاهم راسخين.

وأعلم ان فائدة خلق الانسان في الدنيا وتكليفه هو الابتلاء لتمييز الراسخ من الزائع، فلا منع ان يتعبدنا بالوقف عن اشياء من خصوصيات أقواله وأفعاله.

وقد نص الهادي: ان حكمة ورود المتشابه في القرآن الابتلاء والاختبار، وذكر الزمخشري: ان الواجب اعتقاد ان فعل الله مشتمل على حكمة وان لم نعلم خصوصيتها، فلم لا يكون حكم القول كذلك؟ والله أعلم.

قوله عليه السلام: «وأعلم ان الراسخين في العلم ... إلى قوله: رسوخاً»:

أعلم ان كلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الفصل صريح في ان «الراسخون في العلم» ليس عطفاً علم اسم الله بل هو مبتدأ، و«يقولون» خبره.

قال في الأساس وشرحه - رداً على من يقول بهذه المقالة - : فإن قالوا: إننا لا نذكر انه يفهم منه معنى يتبعه من في قلبه زيع، ولكن معناه الذي أراده الله تعالى لا يعلمه إلا هو. قلنا: خوطبنا به والحكيم لا يخاطب بما لا يفهم، لأنه يكون عبثاً واغراءً بالقبيح، وهما قبيحان، انتهى.

والجواب: لا يلزم عبث ولا اغراء بالقبيح، وذلك لأن الفائدة الابتلاء والتعبد بتلاوة لفظه والامساك عن طلب خصوصية معناه.

وبذلك يفترق ذو الزيع والراسخ في العلم. فالزائع يطلب الخصوصية فيؤديه ذلك إلى لضلal، والراسخ يقول: أعلم انه انزله ربنا الحكيم، فله معنى صحيح، لكنني اتوقف على توقيفه لي عليه.

فان ورد النص عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو عمن حكمه حكمه كعلي عليه السلام وجماعة أهل بيته بتفسيره، صرت إليه؛ لأن هذا التفسير عن الله، وان لم يرد نص بذلك عن الله وعمن قوله من جهته؛ امسكت عن النظر في الخصوصية.

وهذا هو معنى «ما يعلم تأويله إلا الله» وهذا هو المعلوم من حال الصحابة، انهم كانوا لا يتجاسرون على تفسير القرآن بأدانهم، ويدلّك على ان العلماء لا يعلمون تأويله انك

تراهم يذكرون في تأويل الآية المتشابهة أقاويل مختلفة، وقد تكون متنافية يعلم استحالة ان يريد الله جميعها، وأحدها المراد غير متعين، فهو غير معلوم، وربما ذكر المتأخر خلاف ما قاله المتقدم، فظهر انه قول بالوهم لا بالعلم.

قوله عليه السلام: «فاقتصر على ذلك»:

أي على الايمان بالجمل. والاعتداء بالكتاب والسنة والائمة فيما تصف الله به من الأوصاف، ولا تقدّر عظمة الله على قدر عقلك، حتى تزعم انك تعلم منه ما يعلم هو من ذاته، كما روي عن بعضهم: ان الله لا يعلم من نفسه إلا ما يعلمه هو، فذلك غلوّ وتجاوز للحدّ المأذون فيه، فيكون سبباً للهلاك

ثم ذكر ما دل القرآن عليه من صفته وبين ما قصرت عنه القوى من حقيقة معناها وغايته يقول: هو القادر ... إلى آخره

قوله عليه السلام: «ما دلنا باضطرار قيام الحجة على معرفته»:

أي ان النظر في شواهد الصنع، نظر في مقدمات تفضي إلى العلم الضروري، وهذا مأخذ لقول أصحاب المعارف: الجاحظ ومن وافقه، الا ترى إلى قول الجاحظ في كتابه «العبر والاعتبار» فكر في كذا ... فكر في كذا؟

وقد أشار القاسم بن ابراهيم إلى ذلك في مواضع من كلامه، وكلام امير المؤمنين عليه السلام يدل على اعتماد هذا الدليل في مواضع منه، بل هو الدليل الذي دلّ على النظر فيه الكتاب العزيز، وحاصله: ان اختلاف الصنع يدل على صانع مختار ضرورة.

قوله عليه السلام: «وأشهد ان من شبهك ... إلى آخره»:

قال ابن أبي الحديد: ومعنى هذا الفصل: انه عليه السلام شهد بأنّ المجسم كافر وانه لا يعرف الله، ومن شبه الله بالمخلوقين ذوي الأعضاء المتباينة والمفاصل المتلاحمة لم يعرفه ولم يباشر قلبه اليقين، بأنه لا ندّ له ولا مثل، انتهى^(١).

وقال ميثم بن علي في موضع من شرحه: ان المشبّهين لله بخلقه -، وان اختلفوا في كيفية التشبيه - بأسرهم جاحدون له في الحقيقة، وذلك ان المعنى الذي يتصورونه

ويثبتونه إلهاً ليس هو إلا نفس الإله مع انهم ينفون ما سوى ذلك، فكانوا نافرين للآله الحق في المعنى، فالمشبهون مثبتون له صريحاً جاحدون له لزوماً، انتهى^(١).

قلت: وهذا حقيقة النفاق - أعني كتم الكفر وإظهار الإيمان، وقد صرح القاسم بن إبراهيم في كتاب «العدل والتوحيد» بأن المشبهين منافقون، قال في بعض كلامه فيه: فأما أهل العلم والإيمان ففسروها على غير ما قال أهل التشبيه المنافقون، انتهى.

وروى في كتاب «التقرير» في كتاب الزكاة - في باب ذكر من لا تحل له الزكاة - ما رسمه: قال القاسم: أولاد المشبهة الأصاغر منهم ونساءهم وبناتهم الذين لم يظهر منهم قول بالتشبيه يعطون ما يُعطى أهل الملة، وإليه ذهب المنصور بالله، وهذا محمول على أنهم ساكنون في دار الإسلام، فإن كانوا في دار الحرب لم يجز بالاجتماع من أهلنا - فيما أعلم -، انتهى.

قال: وحمل ابوطالب عليه كلام علماء العترة، ونقلاً عن تعليق الافادة رواية عن [المنصور] بالله والقاسم والهادي والناصر قال الأمير الحسين: والمراد بذلك إذا كانوا في دار الإسلام، فإن كانوا في دار الحرب فحكمهم حكم أهل الحرب، انتهى.

أقول: ففحوى هذا الكلام ومراده أن كفار التأويل يجري عليهم أحكام المنافقين، وهي أنهم ما داموا بين المسلمين في دار الإسلام، فحكمهم أنهم يعاملون معاملة المسلمين، ألا ترى أنهم جعلوا لأطفالهم حكم الإسلام؟ وكذلك لنسائهم مع ثبوت النكاح بينهم، بل هذا هو الظاهر من معاملة المسلمين لهم في كل الاقطار في كل عصر، وكأن مراد من قال: بأن الاجتماع منعقد على أن حكمهم حكم المسلمين في الدنيا، وإنما الخلاف في أنهم هل يعذبون عذاب الكفار في الآخرة، كما روى عن أبي القاسم الكعبي والامام يحيى بن حمزة^(٢)؟

(١) نظر شرح ميشم بن علي ١ : ٣٣٩.

(٢) في هـ. ص في هذا الموضع عدة هوامش نذكرها تباعاً كما يلي: قال في «الاساس وشرحه»: وقال أبو القاسم البخعي: بل لهم في الدنيا حكم الفاسق من الدفن في مقابر المسلمين والمناكحة والتوارث، ولهم في الآخرة حكم الكفار في العقاب.

ويؤيده الكلام الذي طالب به أمير المؤمنين عليه السلام الخوارج، فانه أثبت لهم جميع أحكام المسلمين ما لم يباينوا المسلمين، والأدلة على كفر الخوارج أظهر من النور، ولم يكن من جملة ذلك الا قول النبي ﷺ: «يمرقون من الدين - أي يخرجون منه - كما يمرق السهم من الرمية»^(١). وقوله ﷺ: «هم شر الخلق والخبيثة»^(٢). وقوله ﷺ لعلي عليه السلام: «من سبك فقد سبني ومن سبني فقد سب الله»^(٣)، وسب الله ورسوله كفر. وقد لزمهم، وقوله ﷺ: «لا

→ قال المنصور بالله في «الافادة» وذكر بحسب في الأحكام ان رجلاً من الخوارج تكلم في مسجد علي عليه السلام، فقال له علي عليه السلام: «ما ان لكم علينا ثلاثاً ما كان لنا عليكم ثلاث؛ لا نبداكم بالقتال ما لم تدؤنا، ولا نمنعكم نصيبكم من الفياء ما كانت ايديكم مع ايدينا، ولا نمنعكم مساجدنا ما كنتم على ديننا، أراد عليه السلام حملة الاسلام، لان القوم كانوا يكفرون علي عليه السلام، انتهى.

وذلك مضمون قوله تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنافِقُونَ... إِلَى قَوْلِهِ: نَقِيلًا﴾ فحكمهم مع امساكنة خلاف حكمهم مع المنابذة، وبهذه الطريقة من المعاملة جرت سنة الأئمة في كل عصر، والله أعلم.

وذلك كما جعل الله عداوة اليهود لجبريل عداوة لله وملائكته وكتبه ورسه، فهذه أحكام تتلقى عن الله ورسوله، لا نظر فيها، انتهى.

ومما يدل على كفر ساب عليه السلام ما رواه المرشد بالله عن زيد بن علي عليه السلام، انه قال في خطبته التي خطبها يوم خروجه: وقد كنت نهينكم لا تتبعوا مدبراً ولا تجهزوا علي جريح ولا تفتحوا باب مغنقاً، واني سمعتهم يسبون علي بن أبي طالب فاقتلوهم علي كل وجه، انتهى.

ويعضده ما رواه أصحابنا عن أبي حنيفة: انه كتب إلى ابراهيم بن عبدالله: إذا ظفرت بآل عيسى بن موسى فلا تسر فيهم سيرة أبيك في أهل الجمل، ولكن سر فيهم سيرته في أهل صفين؛ فإنه قتل المدبر واجهز علي الجريح، انتهى.

ولا فرق بين أهل الجمل وأهل صفين، إلا ان أهل صفين كانوا يسبون علياً عليه السلام.

ويؤكد ما روه عن ابن عباس انه سمع قوماً يسبون علياً فجاء إليهم فقال: أيكم الساب لرسول الله؟ فقالوا: أبنا؟ فقال: أيكم الساب علي بن أبي طالب؟ فقالوا: اما هذا فقد كان، فروى لهم الحديث، فالزمهم سب الله ورسوله، وهذا لفظ الحديث أو هو معناه، والله أعلم.

وصرح الهادي في خطبه الاحكام بالكفار من لم يعتقد امامة علي عليه السلام، ورواه عن جده

القاسم، فمن سبه فذلك اولي بالكفار، والله أعلم، انتهى.

(١) مسند أحمد بن حنبل ٤ : ١٤٥ . (٢) مسند أحمد بن حنبل ٥ : ١٧٦ .

(٣) انظر مسند أحمد بن حنبل ٦ : ٣٢٣ وفيه عن أم سلمة: سمعت رسول الله يقول: من سب علياً فقد سبني.

يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»^(١) وغير ذلك مما يكثر على النقل.

ان قيل: ان كفار التأويل مظهرون لما به كفروا، فيكونون مصارحين.

قيل في الجواب: انهم يتظاهرون بما يعدونه ايماناً، وانما لزمهم الكفر لزوماً من حيث ان المشبهة اعتقدوا الخالق بصفة المخلوق، ونفوا الآهية غير المتصف بتلك الصفة، فلزمهم الجحد، والمجبرة نسبوا فعل القبيح والنقص إلى الله، فلزمهم سب الله ووصفه بأنه ظالم، مع انهم ينفونه ظاهراً.

والمرجئة لزمهم تكذيب القرآن والرسول وهم ينفونه ظاهراً.

والخوارج لزمهم سب الله والرسول وبغضهما، وهم ينتفون منه، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «ولم يستصعب إذا امر بالمضي على ارادته»:

قال في الأساس وشرحه: وصف الله تعالى بأنه مريد ثابت عقلاً وسمعاً:

أما عقلاً، فلأنه خالق ورازق أمر، ومثل ذلك لا يصدر من حكيم من غير إرادة؛ إذ ما

فعله غير المريد فليس بحكمة، والله سبحانه حكيم.

وأما السمع، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢)، وقال

الله سبحانه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾^(٣) وغير ذلك كثير.

وكذلك يوصف الله جلّ وعلا بأنه كاره عقلاً وسمعاً:

اما العقل، فلأن الكراهة ضد الإرادة، فمن أراد شيئاً لزم منه ان يكره ضده، والحكيم

لا يكره إلا ما كان ضد الحكمة، ومن المعلوم انه لا بدّ للحكمة من ضدٍّ، وإلا لما علم كونه حكمة.

واما السمع، فقال سبحانه: ﴿وَلِكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ...﴾^(٤) الآية، فأرادته: ادراكه بعلمه

حِكْمِيَّة الفعل، أي علمه باشتغال الفعل على المفسدة، فالإرادة والكراهة على هذا راجعة إلى معنى الادراك، أي علم الله سبحانه بكون الفعل حكمة أو مفسدة.

(٢) يس ٣٦ : ٨٢.

(٤) التوبة ٩ : ٤٦.

(١) مسند أحمد بن حنبل ١ : ١٢٨.

(٣) البقرة ٢ : ١٨٥.

وهو سبحانه لم يزل عالماً بذلك قبل وجود المعلوم، والمعلوم عند العقلاء أن ادراك المعلوم غير العالم وغير المعلوم، ولا يلزم من ذلك توطين النفس؛ لأن التوطين هو النية، ولا يشك العقلاء أن ادراك المعلوم هو غير النية وغير الضمير، فلا يلزم من ذلك أن تكون الإرادة عَرَضاً حالاً في غيره، انتهت النسخة المتأخرة^(١)، ولعله عليه السلام نظر إلى ما ذكره الامام يحيى في «الشامل»: والمختار عندنا أن معنى الإرادة في حق الله تعالى هو علمه باشتمال الفعل على مصلحة، وإرادته لا فعاله تعالى هو علمه باشتمالها على المصالح، فيفعلها. ومعنى إرادته لفعل غيره هو أمره بها. وأما كرهته فهي علمه باشتمال الفعل على مفسدة، وكراهته لفعل غيره هو نهيه عنه.

قال: ويدلنا على ما قلنا أنا توافقنا أنه لا بد من الداعي إلى الفعل في حقه تعالى وهو علمه باشتمال الفعل على مصلحة، ولكن زعموا أنه لا بد من أمر زائد على هذا العلم يكون تابعاً له، وهو الذي يعنونه بالإرادة فنقول: كون الإرادة أمراً زائداً على الداعي لا يعقل إلا أن يكون ميلاً في قلب وتشوقاً من جهة النفس ونوقاناً من جهتها إلى مرادها، وهذا المعنى مستحيل في حقه تعالى.

فقلنا: إن معنى الإرادة في حقه تعالى ليس أمراً زائداً على مجرد الداعي وهو علمه باشتمال الفعل على مصلحة، وإثبات أمر زائد على ما ذكرناه لا يعقل.

قال: وهذا الذي اخترناه في إرادته تعالى هو مذهب الخوارزمي وأبي الحسين.

انتهى كلام الامام يحيى، وهو معنى كلام الأئمة المتقدمين وإن اختلف اللفظ؛ لأن مضمونه أنه لا إرادة لله سبحانه غير علمه باشتمال الفعل على مصلحة.

فاطلاق اسم الإرادة على ذلك كاطلاقه على المراد سواء سواء؛ لأن حقيقة الإرادة في حقه تعالى محال إلا أنه لا ينبغي إطلاق اسم الداعي عليه^(٢) تعالى، لا يهامه الخطأ، والله

(١) الظاهر أن هذه النسخة في قبال نسخة الأساس المتقدمة، التي سينقل عنها بعد صفحتين.

(٢) وذلك لأنه لما كان الداعي يساوي الغرض في حق المخلوق، والمبادر من الغرض في حقه جلب النفع ودفع الضرر وكره استعمالهما في حقه تعالى، ووجب التعبير عن مقتضى فعله بالحكمة، ولا بد من مقتضى هو الذي صحّ التجوز عنه بلفظ الإرادة في حقه باعتباره، والله أعلم

العالم. انتهى من شرح الاساس

وقوله: هو معنى كلام الأئمة المتقدمين وان اختلف اللفظ، لأنّ الواقع في عباراتهم ان الارادة هي المراد، ولفظ نسخة «الأساس»: الاولى عند جمهور ائمتنا والبلخي والنظام ارادة الله سبحانه لخلق المخلوق، ولأمر عباده نفس ذلك الأمر، ولتهيئهم نفس ذلك النهي، ولاخبارهم نفس ذلك الخبر.

قال في شرحه: وهذا على سبيل المجاز سمي مراده إرادة، انتهى.

فأراد باتفاق معنى الكلامين أنّ الإرادة في حق الله مجاز، إمّا اطلاقاً لها على المراد الذي هو كالسبب عن إرادة الحقيقية في حق الشاهد؛ فان فعلنا صادر عن ارادتنا بشبه التسيب.

واما اطلاقاً على ما يقتضي ايقاع الفعل الذي هو كالسبب الارادة؛ لأنّه في الشاهد اعتقاد رجحان الفعل على الترك، فهي في التقدير مجاز، كما ان الرحمة والغضب في حقه مجاز، ويعتبر في كل مورد من المجازين ما كان قرب وأنسب.

ويجمع القولين: ان تجعل الارادة في حقه تعالى عبارة عن ترجيح الفعل على الترك، والكراهة عبارة عن ترجيح الترك على لفعل، فان الترجيح ينبيء عن السبب والمسبب. وراد الامام القاسم بالإدراك: أحد معاني لفظ العلم؛ فإنّه بطلق على العالم وعلى المعلوم وعلى تبين العالم للمعلوم وهو المعبر عنه بالادراك، والله أعلم.

وقول شارح الاساس: ان اطلاق الداعي يوهم الخطأ.

وجدت في شرح ميشم بن علي في بعض المباحث:

والباري تعالى لا يجوز ان يفعل لغرض؛ لأن الغرض والقصد ان كان أولى به لذاته كانت ذاته مستكملة بتلك الأولوية ناقصة بعدمها - هذا محال -، وان لم تكن أولى به كان ترجيحاً من غير مرجح.

ثم لا يجوز ان يكون أولى بالنظر إلى تلك الأولوية وعدمها ان كانا بالنسبة إليه على

سواء، فلا ترجيح، ولا على سواء، فيعود حديث النقصان والكمال.

فكان الله تعالى منزها عن الفعل على هذا الوجه، بل إنّما يصدر منه على وجه الابداع

بجوده المحض، وفي هذه المسألة بحث طويل ليس هذا موضعه، انتهى^(١). والله أعلم.

قوله ﷺ: «ونحوسها وسعودها»:

قال في الشرح: فإن قلت: ما باله ﷺ قال: «ونحوسها وسعودها»، وهو القائل لمن أشار عليه ألا يحارب في يوم مخصوص: «المنجم كالكاهن، والكاهن كالساحر، والساحر كالكاfer، والكاfer في النار»^(٢).

قلت: إنه ﷺ إنما أنكر في ذلك القول على مَنْ يزعم أن النجوم مؤثرة في الأمور الجزئية، كالذين يحكمون لأرباب المواليد وعليهم، وكمن يحكم في حرب أو سلم، أو سفر أو مقام، بأنه للسعد أو النحس، وأنه لم ينكر على من قال: إن النجوم تؤثر سعوداً ونحوساً في الأمور الكلية، نحو أن تقتضي حرّاً أو برداً، أو تدلّ على مرض عام أو قحط عام، أو مطر دائم، ونحو ذلك من الأمور التي لا تخصّ إنساناً بعينه، وقد قدمنا في ذلك الفصل ما يدل على تصويب هذا الرأي، وإفساد ما عداه، انتهى^(٣).

قوله ﷺ: «منهم من هو في خلق الغمام الدلح ... إلى آخره»:

في هذا الكلام دليل على أن الملائكة أجسام عظام ملوّنة بألوان مختلفة من السواد والبياض وغيرهما من الألوان، كما جاء في الخبر في صفة جبريل ﷺ: «ان له جناحين في أقصى المشرق وآخرين في المغرب وآخرين قد رفعهما في الهواء، وان لون هذه الأجنحة الخضرة».

وجاء في الخبر: «ان لاسرافيل جناحين احدهما في أقصى المشرق والآخر في أقصى المغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضائل أحياناً لعظمة الله حتى يعود مثل الوضع - وهو العصفور -، ولا يلزم عليهم ان يُروا مع حضورهم؛ لأنّ من موانع الرؤية ردع الأبصار عن رؤية من تصح رؤيته، كما في حق الجن».

فإنّ لأخبار والآثار تدل صريحاً على أنّ رؤيتهم ممكنة، لولا المنع الرباني للمصلحة والبلوى، وكما ردع الله أبصار بعض الظالمين عن رؤية بعض الصالحين كما ورد في قصة

(١) أنظر شرح ميثم بن علي ٢: ١٧٥. (٢) نهج البلاعة، الخطبة: ٧٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٤٢٣.

النبي ﷺ مع أمّ جميل - امرأة أبي لهب -، وقصته مع الذين مكروا به ليلة الهجرة.
وكما دلّ على أن أجسام الملائكة كما ذكرنا، دلّ على بطلان قول المعتزلة أن الملائكة
اجسام لطاف غير ملونة وانها شفاقة يخرقها البصر، فان كونها سوداً وخضراً يمنع كونها
شفاقة؛ فإن الشفاف لا يكون أسوداً ولا أخضراً.
ثم ان المحتضر وأهل الآخرة يرونهم بنص القرآن، أفبحاسة أخرى أو بتبديل
اجسامهم؟ وكذلك قد رأهم كثير من الصحابة.

واحسب ان الحامل للمعتزلة على هذه المقالة اعتمادهم في نفي رؤية الباري على
دليل الموانع، فتحرّزوا من انتقاضه، والدليل الصحيح دليل المقابلة، والله أعلم.
قال ابن أبي لحديد - بعد ان أورد هذا الفصل في ذكر الملائكة ﷺ إلى آخره -: هذا
موضع المثل: «إذا جاء نهرُ الله بطل نهر مَعْقِل»^(١)! إذا جاء هذا الكلام الرباني، واللفظ
القدسي، بطلت فصاحة العرب، وكانت نسبة الفصيح من كلامها إليه، نسبة الترب إلى
النُّضار الخالص؛ ولو فرضنا أن العرب تقدّر على الألفاظ الفصيحة المناسبة، أو المقاربة
لهذه الألفاظ، من أين لهم المادّة التي عبّرت هذه الألفاظ عنها؟ ومن أين تعرف الجاهلية،
بل الصحابة المعاصرون لرسول الله ﷺ هذه المعاني الغامضة السماوية، ليتبيّن لها التعبير
عنها!

أما الجاهلية، فإنهم إنما كانت تظهر فصاحتهم في صفة بعير أو فرس أو حمار وحش،
أو تور فلاة، أو صفة جبال أو فلوات؛ ونحو ذلك.

وأما الصحابة، فالمذكورون منهم بفصاحة إنما كان منتهى فصاحة أحدهم كلمات لا
تتجاوز السطرين أو الثلاثة، إمّا في موعظة تتضمّن ذكر الموت أو ذمّ الدنيا، أو ما يتعلق
بحرب و قتال؛ من ترغيب أو ترهيب؛ فأما الكلام في الملائكة وصفاتها، وصورها
وعباداتها، وتسبيحها ومعرفتها بخالقها وحبّها له، وولها إليها، وما جرى مجرى ذلك مما
تضمّنه هذا الفصل على طوله، فإنّه لم يكن معروفاً عندهم على هذا التفصيل؛ نعم ربما

(١) نهر معقل: منسوب إلى معقل بن يسار بن عبد الله المزني؛ ذكر ياقوت عن الواقدي أن عمر
أمر أبا موسى الأشعري أن يحمر نهرأ بالبصرة وأن يجريه على يد معقل بن يسار، فنسب إليه

علموه جملة غير مقسمة هذا التقسيم، ولا مرتبة هذا الترتيب؛ بما سمعوه من ذكر الملائكة في القرآن العظيم؛ وأما مَنْ عنده علم من هذه المادة، كعبد الله بن سلام وأمّية بن أبي الصلت وغيرهم؛ فلم تكن لهم هذه العبارة، ولا قدّروا على هذه الفصاحة، فثبت أنّ هذه الأمور الدقيقة في مثل هذه العبارة الفصيحة، لم تحصل إلاّ لعلّي وحده.

وأقسم أنّ هذا الكلام إذا تأمله اللبيب اقشعرّ جلده، ورجف قلبه، واستشعر عظمة الله العظيم في روعه وخلده، وهام نحوه، وغلب الوجد عليه؛ وكاد أن يخرج من مُسكه شوقاً؛ وأن يفارق هيكله صباية ووجداً^(١).

ويقول له: إنه لم يُعَفِّ ما سيّدت من معالم التوحيد، بل أخرج الله تعالى لك من ظهري ولد ابتدع من علوم التوحيد في جاهلية العرب ما لم تبتدعه أنت في جاهلية النبط، بل لو سمع هذا الكلام أرسطوطاليس، القائل بأنه تعالى لا يعلم الجزئيات؛ لخشع قلبه وقف شعره، واضطرب فكره؛ ألا ترى ما عليه من الرّواء والمهابة، والعظمة والفخامة، والمتانة والجزالة! مع ما قد أُشرب من الحلاوة والطلاوة واللفظ والسلاسة؛ لا أرى كلاماً يشبه هذا إلاّ أن يكون كلام الخالق سبحانه، فإنّ هذا الكلام نبعث من تلك الشجرة، وجدول من ذلك البحر، وجذوة من تلك النار؛ وكأنه شرح قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٢)، انتهى^(٣).

(٢) الأنعام ٦ : ٥٩ .

(١) شرح ابن أبي الحديد ٦ : ٤٢٦ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٧ : ٢٤ .

ومن كلام له عليه السلام لما أريد^(١) على البيعة بعد قتل عثمان:

دَعُونِي^(٢) وَاتَّمِسُّوا غَيْرِي^(٣)؛ فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وَجُوهٌ وَالْوَانُ^(٤)؛ لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ، وَإِنَّ الْأَفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ^(٥)، وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ. وَاعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ^(٦) رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ؛ وَلَمْ أَضْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ، وَعَثَبِ الْغَائِبِ، وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَإِنَّا كَأَحَدِكُمْ؛ وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطُوعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ، وَأَنَا لَكُمْ وَزِيرًا؛ خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيرًا!

* * *

هذا الكلام منه عليه السلام لما لم يظهر له جدّهم في نصرته واجتماعهم على بيعته، وكان يظن ان عذره الاول في القعود عن القيام بأمور الامامة قائم ثابت، بل زاده زهادة في ولايتهم ما علمه من انكارهم لطريقة العدل والفهم لطريقة الجور، وهو مع ذلك كاره لتولي امور المسلمين لعلمه بخطرته وعظيم تكليفه، فلا يدخل فيه الا مع لزوم الحاجة له وتبين لهم انه لا يعمل الا بما علمه حقاً لوجوب العمل به عليه، وإذا عمل غيره بخلافه لم يلزمه في ذلك حجة؛ لعدم استكمال شرائط وجوب النهي عن المنكر، فهو عليه السلام يتطلب ما يسقط عنه

(١) في ب و ط : لما أراده الناس.

(٢) في هـ ب : أي اتركوني.

(٣) في هـ ب : أي اطلبو غيري.

(٤) في هـ ب : أي ان رسول الله ﷺ أخبرني عن جبرئيل عن الله ان إذا بايعتموني [فإننا] نستقبل أمراً عظيماً هائلاً له وجوه مختلفة وأنواع متفاوتة، لا تقوم له القلوب، ويزل العقلاء فيه مثل الناكثين والقاسطين والمارقين، وان نواحي الاسلام قد اظلمت بغيوم ظلم بني أمية.

(٥) وفي هـ، ص : أغامت كناية عن الشبهة واللبسة.

(٦) في هـ ب : ثم قال: إن أجبتكم فبثلاثة شروط، أحدها: ان أعمل بكتاب الله فيكم، ولن يكون لكم قول فيما يحدث من الاحكام، بل جميع ذلك موكل إلى الله، وإذا قضيت بقضية لا تطيقون عليّ فيها، فإما أن تتركوني على ما كنت بعد رسول الله، أو أكون وزيراً عن رسول الله كما كان.

تكليفه ويعذره عذر الله، فلما لزمته الحجة لما رأى من جدهم في نصرته ورغبتهم في بيعته قام بما أمره إليه من النظر في أمور المسلمين.

وهذا لا ينافي كونه منصوباً عليه وثابت الامامة وواجب الطاعة، لأنّ النظر في الأمور وثبوت الامامة، غير ان يجتمعان ويفترقان، وهذه الوجوه الصارفة له عن مبايعتهم قد ذكرها في مواضع من كلامه، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «والمحجة قد تنكّرت»:

يعني طريقة النبي ﷺ قد تغيرت بمخالفة الولاية له في السيرة، وأنا لا أعمل إلا بسيرته فلا تقبلونها مني، وهو - عليه السلام - كان يذكر عن ولي الامر قبله انهم خالفوا الشريعة في اشياء، فحيث يجب عليه العمل والحكم فيها لا يعمل إلا بما يعلمه، وحيث تولى الحكم غيره سكت عنه، وهذا معنى قوله: «لو قد استوت قدماي من هذه المداحض لغيرت أشياء»^(١).

قوله عليه السلام: «وأنا لكم وزيراً خير مني لكم أميراً»:

أي ان بلواهم به مع امارته اعظم من بلواهم مع وزارته، ألا ترى أن بعضهم حاربه، وبعضهم قعد عنه، ومع وزارته الفتنة مختصة بمتولي الأمر.

ومن خطبة له عليه السلام:

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّا ^(١) فَقَأْتُ ^(٢) عَيْنَ الْفِتْنَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِيَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي
بَعْدَ أَنْ مَاجَ غِيْهَبُهَا ^(٣)، وَأَشْتَدَّ كَلْبُهَا ^(٤).

فَأَسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تُفْقِدُونِي، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونَنِي ^(٥) عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَ السَّاعَةِ ^(٦)، وَلَا عَنْ فِتْنَةٍ تَهْدِي مِائَةً وَتُضِلُّ مِائَةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ ^(٧) بِنَائِقِهَا ^(٨) وَقَائِدِهَا
وَسَائِقِهَا، وَمُنَاحِ رِكَابِهَا، وَمَحَطِّ رِحَالِهَا، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلًا، وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتًا.
وَلَوْ قَدْ ^(٩) فَقَدْتُكُمْ نِي، وَنَزَلْتُ بِكُمْ كَرَائِي ^(١٠) الْأُمُورِ، وَحَوَازِبُ ^(١١) الْخُطُوبِ،
لَأَطْرَقَ ^(١٢) كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ، وَفُشِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْئُولِينَ؛ وَذَلِكَ إِذَا قَلَصَتْ ^(١٣) حَزْبُكُمْ،
وَشَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ؛ وَضَاقَتْ ^(١٤) الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضَيْقًا، تَسْتَطِيلُونَ أَيَّامَ الْبَلَاءِ عَلَيْكُمْ، حَتَّى
يَفْتَحَ اللَّهُ لِبَقِيَّةِ الْأَبْرَارِ مِنْكُمْ ^(١٥).

(١) في ط: ام بعد حمد الله والثناء عليه، أيها الناس فاني، وفي هـ د: اما بعد حمد الله والثناء

عليه، ايها الناس فاني - ح . (٢) في هـ ب، وفي نسخة: فقد فقأت.

(٣) في هـ ص: هو الظلمة، أي تحركت الظلمة وانتشرت في الافاق، وفي هـ ب: أي ظلمتها.

(٤) في هـ ص: أي شرها، وفي هـ ب: أي شدتها.

(٥) في ب ود: لا نسألوني. (٦) في هـ ب: أي القيامة.

(٧) في أ و ط ود: أنبأتكم.

(٨) في هـ ص: أي داعيها، من نطق الراعي إذا صاح بالماشية لتتبعه، وفي هـ ب: صوت لها.

(٩) في هـ د: ولقد - م . (١٠) الكرائة: جمع كرية.

(١١) في هـ ب: الحوازب: الموانع، ويقال: جمع حازب، وهو الأمر الشديد.

(١٢) في هـ ب: نكسوا رؤسهم.

(١٣) في هـ ب: ارتفعت وشمرت، من قولهم: فرس مقلص مشمر، أي: طويل القوائم، يقال: قلص

الشيء وقلص: أي انضم، وقلص الطائر أي ارتفع.

(١٤) في ب و ط: وكانت.

(١٥) في هـ ب: البقية الأبرار منكم، يعني امام الوقت صاحب الزمان.

إِنَّ أَلْفَتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ^(١)، وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ؛ يُنْكَرُونَ مُقْبِلَاتٍ، وَيُعْرِفُونَ مُدْبِرَاتٍ،
يَحْمُنَ حَوْمَ الرِّيَّاحِ^(٢) يُصْبِنَ بَلَدًا، وَيُخْطِئُ بَلَدًا.

أَلَا وَإِنَّ أَخَوْفَ أَلْفَتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ؛ فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمِيَاءُ مُظْلِمَةٌ، عَمَّتْ
خُطَّتُهَا^(٣)، وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا، وَأَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا، وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا.

وَأَيْمُ اللَّهِ لَتَجِدَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي، كَالنَّابِ^(٤) الْضَّرُوسِ^(٥)، تَعْذِمُ^(٦)
بِفِيهَا، وَتَخْطِطُ بِيَدِهَا^(٧)، وَتَرْزِينُ^(٨) بِرِجْلِهَا، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا^(٩)، لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرُكُوا
مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعًا لَهُمْ؛ أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ.

وَلَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ عَنْكُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ أَنْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَأَنْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ؛
وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَضْحِيهِ، تَرُدُّ عَلَيْكُمْ فِتْنَتَهُمْ^(١٠) شَوْهَاءَ^(١١) مَخْشِيَةً^(١٢)، وَقِطْعًا^(١٣)
جَاهِلِيَّةً، لَيْسَ فِيهَا مَنَارٌ هُدًى، وَلَا عِلْمٌ يُرَى، نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ^(١٤)، وَلَسْنَا فِيهَا

(١) في هـ ب: أي اشبهت.

(٢) في ص: حوم الحمام، وفي هـ ص، وفي نسخة: الرياح.

(٣) في هـ ب: أي خصلتها. (٤) في هـ ص وب: هي المسنة من الابل.

(٥) في هـ ص وب: الضروس السيئة الخلق.

(٦) في هـ ب و ص: أي تعض، وفي هامش ب: تعذب من العدم، وهو العض والأكل بخفاء.

(٧) في ب: بيديها، وفي هـ ب، وفي نسخة: بيدها.

(٨) في هـ ص: أي تدفع بها، يقال: زبنت الدابة إذا ضربت بثففات رجلها عند الحلب، فالزبن:
الضرب بالثففات.

(٩) في هـ ب: لبنها، وفي هـ ص: يشير إلى أنهم يستأثرون بالأموال.

(١٠) في أ وب ود: فتنهم، وفي هـ ب، وفي نسخة: فتنها، وفي هـ د: ترد عليهم فتنتهم - م ض ح.

(١١) في هـ ص: أي قبيحة المنظر، تمثيلاً بشناعتها، وفي هـ ب: فبيحة متنكرة، يقال: فرس
شوهاء، يراد به سعة أشراقها، وشاهت الوجوه: أقبح.

(١٢) مخشية: مخوفة مرعبة.

(١٣) في الف و ط وب ود: فِطْعًا، وفي هامش الأصل: أي لا أصل لها من الدين، وهي من أمر

الجاهلية، وفي هامش ب: أي متنكرة متعورة مقطوعة اليد.

(١٤) في هـ ص: أي ناجون من أمرها الأخروي

بِدُعَاةٍ^(١)، ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللَّهُ عَنْكُمْ كَتَفَرِيحِ الْأَدِيمِ، بِمَنْ يَسْؤِمُهُمْ^(٢) خَشْفًا، وَيَسْؤِفُهُمْ غَنْفًا، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ^(٣) لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ، وَلَا يُخْلِسُهُمْ^(٤) إِلَّا الْخَوْفَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ^(٥) قُرَيْشٌ بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لَوْ يَرَوْنِي^(٦) مَقَامًا وَاحِدًا، وَلَوْ قَدَّرَ جَزْرُ جُزُورٍ^(٧)؛ لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أُطْلِبَ الْيَوْمَ بَعْضُهُ فَلَا يُعْطُونَ^(٨).

قوله عَلَيْهِ: «سلوني قبل أن تفقدوني»:

روى صاحب كتاب "الاستيعاب" وهو أبو عمر محمد بن عبد البر عن جماعة من الرواة والمحدثين، قالوا: لم يقل أحدٌ من الصحابة رضي الله عنهم: «سلوني» إلا علي بن أبي طالب. وروى شيخنا أبو جعفر الإسكافي في كتاب "نقض العثمانية" عن علي بن الجعد، عن ابن شبرمة، قال: ليس لأحد من الناس أن يقول على المنبر: «سلوني» إلا علي بن أبي طالب عَلَيْهِ، انتهى من شرح ابن أبي الحديد^(٨).

قوله عَلَيْهِ: «ولا عن فئة»:

والفئة: الطائفة؛ والهاء عوض من «الياء» التي نقصت من وسطه؛ واصله «فيء» مثال «فيع» لأنه من فاء.

(١) في هـ.ب، وفي نسخة: برعاة، وفي هـ. ص: أي لا ننصرها ولا ندعو إليها، وفي هـ. ب: دعاة جمع داع.

(٢) في هـ.ب: أي يذلهم ويهينهم.

(٣) في هـ. ص: أي ممزوجة الصبر، ويجوز أن يريد مملوءة، من قولهم: ملأ الدلو إلى أصدارها، وفي هـ.ب: من الصبر.

(٤) في هـ. ص: المجلس: كساء رقيق يجلس تحت البردعة، أي: يلزمهم الخوف، وفي هـ.أ: احلست فلاناً كذا إذا ألزمته ذلك، وأصله من المجلس، ومنه يقال: فلان جلس بيته: إذا لزمه، وهم احلاس الخيل: إذا لزموا ظهورها، وفي حديث الشعبي - حين عاتبه الحجاج على خروجه مع ابن الأشعث - استحلستنا الخوف، يقال استحلست فلاناً الخوف إذا تقارفه يقول: كأننا استشهدنا الخوف، وفي هـ. ب: أي يلبسهم، واحلس: لزم بيته.

(٥) في هـ.ب: أي تحب.

(٦) في هـ. د: لو يروني - هـ. ن ر.

(٧) في هـ.ب: قتل، يقال لما يقل [وقته] كأنه يكون بقدر جزر جزور، والجزر في الأبل كالذبح في الغنم، ويقع به على الذكر والأنثى. (٨) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٤٥٠.

وقوله ﷺ: «تهدي مائة»:

أي تكون سبب هدى مئة وضلال مئة، أي ضلال كثير واهتداء كثير، ولم يرد خصوصية هذا العدد.

قوله ﷺ: «عمّت خطتها»:

الخطّة - بالضم -: الأمر العظيم، والقصة، وذلك لأنّها رئاسة عمّت الأمة وأجرت أحكام الضلالة في الآفاق. وخصت بليتها: أي ضررها العاجل، وذلك لأنّ حظ أهل البيت وشيعتهم من ضرّها أعظم ونصيبهم منه أوفر، واصاب البلاء من أبصر فيها: أي استبصر وعمل لله بما يجب من منابذتهم^(١) ومبانييتهم ناله أشد البلاء، ومن عمي ورضى فتنّتهم أو دخل فيها اخطأه بلاءها العاجل ومصائبها، وقد وقع الأمر كما ذكر ﷺ: فإنّ أهون مصائب من استبصر أن منعوه سهمه من أموال الله وجفوه وصغّروه.

(١) كذا في ص، والمراد: منابذة أهل البلاء.

ومن خطبة له ﷺ :

فَتَبَارَكَ اللَّهُ^(١) الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ بَعْدُ آلِهِمْ. وَلَا يَنَالُهُ حَدْسُ^(٢) الْفِطَنِ. الْأَوَّلُ الَّذِي لَا غَايَةَ فَيَسْتَهِي. وَلَا آخِرَ لَهُ فَيَنْقُضِي.

منها في وَصْفِ الْأَنْبِيَاءِ :

فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ وَأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ، تَنَاسَخَتْهُمْ^(٣) كَرَائِمُ الْأَصْلَابِ إِلَى مُطَهَّرَاتِ الْأَرْحَامِ، كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ قَامَ مِنْهُمْ بَدِيلٌ اللَّهُ خَلَفَ، حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنِبْتَأً^(٤)، وَأَعَزَّ الْأَرْوَاحَ^(٥) مَعْرِسًا، مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ اللَّهُ^(٦) مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ، وَانْتَجَبَ^(٧) مِنْهَا أَمَنَاءَهُ، عِثْرَتُهُ خَيْرُ الْعِثْرِ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الْأُسْرِ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتْ فِي حَرَمٍ وَبَسَقَتْ^(٨) فِي كَرِيمٍ، لَهَا فُرُوعٌ طَوَالٌ، وَثَمَرٌ لَا يَنَالُ^(٩)، فَهُوَ إِمَامٌ^(١٠)، مَنْ اتَّقَى، وَبَصِيرَةٌ مِنْ أَهْتَدَى، سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ، وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ، وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ، سِيرَتُهُ الْقَصْدُ^(١١)، وَسُنَّتُهُ الرُّشْدُ، وَكَلَامُهُ الْفُضْلُ، وَحُكْمُهُ الْعَدْلُ، أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ^(١٢) مِنَ الرُّسُلِ، وَهَفْوَةٍ عَنِ الْعَمَلِ^(١٣)، وَغَبَاوَةٍ مِنَ

(١) في هـ ب: تبارك العلم في خزائن الله.

(٢) في أ و ط: حسن، وفي هـ ص: أي ظنّها وتخمينها، وفي هـ ب: الحدس والظن والتخمين واحد.

(٣) في ط: تناسخهم. وفي هـ ب: أي تنسلتهم وتناقلتهم.

(٤) في ب: منصباً، وفي هـ ب: وفي نسخة: منبتاً.

(٥) في هامش ب: الارومات: الاصول. (٦) لم ترد لفظة الجلالة في أ و ب و ط و د.

(٧) في ط و هـ د: وانتخب - ض ن. (٨) في هـ ب: أي ارتفعت وطالت.

(٩) في ط و د: وثمره لا تنال، وفي ب: وثمره لا ينال.

(١٠) في هـ ب: وفي نسخة: وثمان من اتقى، أي ملجأ.

(١١) القصد: الاستقامة. (١٢) الفترة: الزمان بين رسولين.

(١٣) في هـ ب: هفوة، أي: سقط.

الأمم.

اعْمَلُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ عَلَى أَعْلَامٍ بَيِّنَةٍ، فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ^(١) يَدْعُو^(٢) إِلَى دَارِ السَّلَامِ، وَأَنْتُمْ فِي دَارِ مُسْتَعْتَبٍ^(٣) عَلَى مَهَلٍ وَفَرَاغٍ، وَالصُّحُفُ مَنُشُورَةٌ، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ، وَالْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ، وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، وَالتَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ، وَالْأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ.

قوله ﷺ: «فتبارك الذي لا يبلغه بعد الهمم»:

قال في الشرح: أي بعد الأفكار والانظار، عبر عنها بالهمم لمشابهتها إيّاها، انتهى^(٤). ويمكن أن يقال إنه من باب اضافة مصدر الصفة إلى الموصوف، أي الهمم البعيدة المذهب الجلدة في نيل المطلب، أي ليس العلة في عدم ادراكه التقصير حتى يدركه من جدّ وبعدت همته، بل لان ادراك حقيقته محال، والله أعلم.

وقوله ﷺ: «فيتتهي، ولا آخر له فينقضي»:

أي ليس وجوده زمانياً فينتهي وجوده في آخر زمانه، ولا هو مترتب الوجود بأن يثبت أوله قبل آخره فينقضي عند تمام آخره فالفاء للزّوم الجاري مجرى التسبيب، والله أعلم.

قوله ﷺ: «كلما مضى سلف قام منهم بدين الله خلف»:

هذا بيان مصلحة بعث الرسل من كلام الامام القاسم بن ابراهيم أورده في جوابه على الملحد الذي اسلم على يده.

قال الملحد: ما الدليل على أن الصانع له رسول؟

قال القاسم: الدليل على ذلك ان الصانع حكيم محسن إلى خلقه، وفي العقل ان شكر المنعم واجب، فلما كان هذا في عقولنا واجباً، وكان الله حكيماً منعماً على خلقه، كان من

(١) في هـ.ب: أي واضح . (٢) يدعو: يوصل.

(٣) في هـ.ص: هو مصدر مبمي، استعنتبه أي أزلت عتبه، أي يمكنكم فيها استرضاء الخالق سبحانه وازالة عتبه - أي سخطه - بالتوبة النصوح، وفي هـ.ب: يقال اعتبته واستعنتبه: أي ارضينه واسترضيته، والمستعنتب: طالب الرضا، وهو مصدر ها هنا.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٦١.

كمال النعمة ان ارسل إليهم الرسل، مع دلائل اضطرت العقول عندها لتبين لهم كيفية شكره، لان كيفية شكره ليس مما يعلم بالفعل، ولا بالنفس ولا بالحس ولا بالظن، وان كان في العقل جوازه، فحينئذ اقام لهم معهم دلائل ومعجزات دل بها على صدقهم^(١).
قال الملحد: كأنك تقول: ان شرائع الأنبياء خارجة عن العقول، إذ قلت: لا نعلم كيفيتها؟

قال القاسم: أما قولك ان شرائع الرسل خارجة عن العقول إذ ليس فيها كيفيتها، فاني لم اقل لك ليس فيها كيفيتها بتة، بل اشترطت فقلت: انه وان لم يكن فيها كيفيتها ففيها جواز كونها.

قال الملحد: وكيف ذاك؟

قال القاسم: هو مثل ما نعرفه في الشاهد، وذلك لو ان سيداً أمر عبده ببناء دار، أو قطع شجرة أو إعطاء عبده الله، أو ضرب زيد، فانه ليس في العقل ان السيد يأمر به، فإذا أمر به، كان في لعقل ان الائتمار به حسن، وان تركه قبيح؛ إذ كانت لامر سيده عاقبة محمودة، ومرجع نفع إلى العبد، فالعقل يجوز الأمر بكل شيء على حياله، ولا يوجب شيئاً من ذلك دون شيء، إذا كان ذلك الأمر ممّا ينتقل حاله في العقل، وذلك انه قد يكون المشي إلى موضع ما حسناً في العقل، إذا كان للمشحي معناً حسناً، فاما اللواتي يدرك حكمها في العقل فقد ادرك ان الأمر بها لا يأمر الا بما هو حسن ولا ينتهي الا عما هو قبيح عنده.

قال الملحد: فحدثني عن الصلاة والصيام وغيرها من الشرائع، هل له أصل في العقل تفرع هذا منه.

(١) في هـ. ص: ويمكن تحرير كلام القاسم بما يلي: لا شك بان النعم الموجودة لدنيا من السمع والبصر والعقل ليست هي ممّا، بل هي من الله، ولما وجب بدليل العقل لزوم شكر المنعم، ولزم ان يكون الشكر بما يليق بحال المنعم، إذ كل منعم له حال خاص، ولا بد أن يكون الشكر لا نقاباً به، وحيث اننا لا نعرف ما يليق بالله من الشكر إلا بالشكل الذي يبينه هو ويدلنا عليه بنفسه. وحيث ان الله لا يمكن ان يكلمنا بصورة مباشرة لعدم قدرتنا على تحمل هذا المقام العظيم، فلا بد أن يرسل رسلاً ويجعلهم واسطة لإبلاغنا كيفية الشكر، وهؤلاء الرسل هم الأنبياء.

قال القاسم: أجل قد أخبرتك آتياً، وهو كالأمر بالمشي إلى موضع ما، وكضرب زيد واعطاء عبد الله، ليس له في العقل أصل أكثر من الائتمار لأمر الحكيم، ووجه الحكمة فيه أن الأمر إنما يأمر به لينظر هل يأتمر به المأمور فيجازه لذلك لا سيما إذا كان الأمر مستغنياً غير محتاج إلى ما أمر به، وإنما يأمرهم ليمتحنهم وليظهر بذلك أعمالهم، فإن الأمر به حسن وعلى ذلك سبيل الشرائع.

قال الملحد: خبرني عن كيفية معجزاتهم؟^(١)

قال: هو قلب العادات وان لا يترك العادات جارية على مجراها، فإذا جاء أحدهم قال له قومه ما الدلالة على صدقك؟ قال: الدليل ان الله يقلب عاداتهم في كذا وكذا إلى كذا وكذا، فحينئذ يعرفون صدقه ويضطرون إلى قبول قوله، وهذه سبيل المعجزات كلها وبمثل ذلك يعرف الفرق بين النبي والمتبيء والصادق والكاذب، انتهى.

(١) في هـ. ص: وهذا الكلام تأصيل ان حكمة شرع الشارع للشرعيات ابتلاء طاعة العباد ليمتازوا باعتبارها كما افادته النصوص والقرآن، فتحقق حقائق الحق لتنفعك، والله أعلم، انتهى.

ومن خطبة له عليه السلام:

بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضَلَالٌ فِي حَيْرَةٍ، وَخَاطِبُونَ^(١) فِي فِتْنَةٍ، قَدْ اسْتَهْوَتْهُمْ^(٢) الْأَهْوَاءُ،
وَأَسْتَرَلَتْهُمْ^(٣) الْكِبَرِيَاءُ^(٤)، وَأَسْتَخَفَّتْهُمْ^(٥) الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ^(٦)؛ حَيَارَى^(٧) فِي زَلْزَالٍ^(٨) مِنَ
الْأَمْرِ، وَبَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ؛ فَبَالَغَ عَلَيْهِ^(٩) فِي النَّصِيحَةِ، وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَدَعَا إِلَى
الْحِكْمَةِ، وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ^(٩).

(١) في أ: خاطبون، وفي ب: خاطنون، وفي هـ ب، وفي نسخة: خاطبون، وفي هـ د، وفي
نسخة: خاطبون - ض ل ك وهامش م، وفي هـ ص: يروى خاطبون - بالخاء المهملة وبالباء
الموحدة بعد الطاء - أي جامعون بين الحسن والقبيح، فليل للجامع بين الغث والسمين؛
خاطب ليل، ويروى خاطبون - بالخاء المعجمة وبالباء قبل الطاء - من خبط المسير.
وفي هـ ب: الخاطيون: أي الجامعون القليل منه والكثير، وخاطنون أي يتقلبون [في]
الخطيئة. (٢) في هـ ب: أي اسقطتهم.

(٣) في ب وهـ ص، في نسخة: استزلهم، وفي هـ ب، في نسخة: استزلتهم.

(٤) في ب وهـ ص، وفي نسخة: الكبراء. وفي هـ ب: أي ازلهم التكبر.

(٥) في هـ ص: من الخفة والطيش، أي حملتهم عليها.

(٦) في هـ ص: مبالغة في الوصف. (٧) في هـ ب: جمع حيران.

(٨) في هـ ص: بالفتح اسم المصدر وبالكسر المصدر.

(٩) ليس في أ وب: الحسنة.

ومن خطبة له ﷺ^(١):

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَالْآخِرِ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ، وَالظَّاهِرِ فَلَا شَيْءَ فَوْقَهُ،
وَالْبَاطِنِ فَلَا شَيْءَ دُونَهُ.

منها: في ذكرِ النَّبِيِّ ﷺ^(٢):

مُسْتَقَرُّهُ خَيْرٌ مُسْتَقَرٍّ، وَمَنْبُتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ^(٣)، فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ، وَمَمَاهِدِ^(٤) السَّلَامَةِ،
قَدْ صُرِفَتْ نَحْوُهُ^(٥) أَفِيدَةُ الْأَبْرَارِ، وَثُبُيْتُ إِلَيْهِ أَرْزَمَةُ^(٦) الْأَبْصَارِ، دَفِنَ^(٧) اللَّهُ بِهِ الضَّغَائِنَ^(٨)،
وَأُطْفِئَ بِهِ النَّوَائِرَ^(٩)، أَلْفَ بِهِ إِخْوَانًا، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَانًا^(١٠)، أَعَزَّ بِهِ بَعْدَ الدُّلَّةِ^(١١)، وَأَذَلَّ بِهِ بَعْدَ
الْعِزَّةِ^(١٢)، كَلَامُهُ بَيَانٌ، وَصَمْتُهُ لِسَانٌ^(١٣).

-
- (١) ورد العنوان في أهلكذا: ومن أخرى. (٢) في أوط ود: الرسول، وفي ب: رسول الله.
(٣) في ب: ومنصبه أشرف منصب، وفي هـ ب، وفي نسخة: «ومثبته أشرف منبت» وفي نسخة
أخرى: «ومثبته خير منبت».
- (٤) في هـ ب: مفاعل من مهّدت الفراش. أي بسطته وطّنته، وتمهيد الأمور: اصلاحها.
(٥) في ب: عنده، وفي هـ ب: نحوه - صح.
(٦) الأرمّة: جمع زمام، وهنا كناية عن تحويل الابصار نحوه.
(٧) في أوب: دفن به. (٨) الضغائن: الأحقاد.
(٩) جمع النائرة، وهي العداوة. (١٠) في هـ ب: أي قرائن الكفار.
(١١) في أوب وط ود: أعزّ به الدلّة، وفي هـ ص، وفي نسخة: أعزّ به الدلّة.
(١٢) في أوب وط ود: أذل به العزّة، وفي هـ ص، وفي نسخة: وأذل به العزّة.
(١٣) في ب: ونطقه لسان، وفي هـ ب، وفي نسخة: وصمته لسان.

ومن كلام له عليه السلام:

وَلَيْسَ أَمَّهْلَ اللَّهِ الظَّالِمَ فَلَرُبَّ يَفُوتَ أَخْذُهُ، وَهُوَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ عَلَى مَجَازٍ ^(١) طَرِيقِهِ،
وَيَمَوْضِعَ الشَّجَى ^(٢) مِنْ مَسَاغٍ ^(٣) رِيقِهِ .

أَمَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُظْهِرَنَّ ^(٤) هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ عَلَيْكُمْ؛ لَيْسَ لَانَّهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ،
وَلَكِنْ لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلٍ صَاحِبِهِمْ ^(٥)، وَإِطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي، وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ الْأُمَمُ تُخَافُ ^(٦)
ظُلْمَ رُعَاتِهَا، وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رِعِيَّتِي .

أَسْتَفْرِتُكُمْ ^(٧) لِلْجِهَادِ، فَلَمْ تَنْفِرُوا، وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا؛ وَدَعَوْتُكُمْ سِرًّا وَجَهْرًا فَلَمْ
تَسْتَجِيبُوا، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا .

أَشْهُودُ ^(٨) كَغِيَابٍ؟ وَعَبِيدُ كَأَرْبَابٍ ^(٩)؟ أَتُلُو عَلَيْكُمْ الْحِكْمَ فَتَتَفَرَّقُونَ مِنْهَا، وَأَعْظُمُكُمْ
بِالْمَوَاعِظِ ^(١٠) الْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا، وَأَحْكُمُكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ فَمَا آتِي عَلَى آخِرِ
قَوْلِي حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَْادِي سَبَأٍ ^(١١) تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ، وَتَخَادَعُونَ ^(١٢) عَنْ

(١) في هـ ب: بضم الزاي، وفتحها جائر: المسلك.

(٢) في هـ ب: العظمة.

(٣) في هـ ب: لمساغ مصدر ساع الشراب يسوغ: أي سهل مدخله.

(٤) في هـ ب: ي يغلبن (٥) في هـ د: إلى باطلهم - م ح ف.

(٦) في هـ د: تخاف - على ما لم يسم فاعله - أي صارت الأمم تخاف أن يظلموا راعيها،
وتخاف بفتح التاء أي كانت الأمم خائفة من أن يظلمهم راعيهم، وصرت خائفاً من ظلم رعيتي.

(٧) في هـ ب: أي استنهضتكم. (٨) في أ وب وط: شهود.

(٩) في هـ ب: أي عبيد كأحرار. (١٠) في أ وب وط ود: بالموعظة.

(١١) في هامش ب: ذهبوا أيادي سبأ، أي مثل أيادي سبأ، يعني قوله تعالى: (دَمَرْنَاهُمْ كُلَّ مُدْمَرٍ).

وفي هامش آخر: أيادي سبأ بن يشجب في نفرتهم وتبدهم في البلاد حين أرسل عليهم سيل

العرم، والأيادي كناية عن الأبناء والاسرة؛ لأنهم في التفوي والبطش بهم بمنزلة الأيدي.

(١٢) كذا في ص، وفي أ وب وط ود: وتتخادعون. وفي هـ ص في نسخة: وتتخادعون. قال في

مَوَاعِظُكُمْ، أَقْوَامُكُمْ غُدُوَّةً، وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً، كَظْهَرِ الْخَيْتَةِ^(١) عَجَزَ الْمُقَوَّمُ، وَأَعْضَلَ^(٢) الْمُقَوَّمُ.

أَيُّهَا^(٣) الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، الْمُتَبَتِّلِي بِهِمْ أَمْرَاؤُهُمْ، صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللَّهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَ، وَصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي اللَّهَ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ، لَوَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَ فِينِي بِكُمْ صَرَفَ الدِّينَارِ بِالدَّرْهَمِ^(٤)، فَأَخَذَ مِنِّي عَشْرَةَ مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي رَجُلًا مِنْهُمْ.

يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ مُيِّتُ^(٥) مِنْكُمْ بِثَلَاثٍ وَاثْنَتَيْنِ^(٦)، صُمُّ ذُووِ أَسْمَاعٍ، وَبُكْمُ ذُووِ كَلَامٍ، وَعُمِّي ذُووِ أَبْصَارٍ، لَا أَخْرَارَ صِدْقٍ عِنْدَ الْلِقَاءِ، وَلَا إِخْوَانَ ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلَاءِ. تَرَبَّتْ أَيْدِيكُمْ^(٧)! يَا أَشْبَاهَ الْأَيْلِ غَابَ عَنْهَا رِعَايَتُهَا، كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ آخَرٍ.

وَاللَّهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا إِخَالُ^(٨) أَنْ لَوْ حَمِسُ^(٩) أَلْوَعَى^(١٠)، وَحَمَى الضَّرَابُ^(١١)، وَقَدْ أَنْفَرَجْتُمْ عَنْ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنْفَرَجَ الْمَرْأَةُ عَنْ قُبْلَيْهَا^(١٢)، وَإِنِّي لَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي، وَمِنْهَا جِ

→ الشرح: تتخادعون: أي تمسكون، من قولهم: أعطى فلان ثم خدع: أي امسك، ويجوز أن يريد: تتلونون وتختلفون، من قولهم: دلق خادع، أي متلون، ولا يجوز أن يراد به المعنى المشهور: إذ لا معنى له، انتهى.

(١) في د: الحية، وفي هـ ب، وفي نسخة: الحنة، وفي هـ ص وب: أي القوس.

(٢) في هامش ب: أشكل.

(٣) في ط: أيها القوم، وفي هـ د: أيها القوم - ح.

(٤) في هـ د: صرف الدينير بالدرهم - م. (٥) في هـ ب: ابتليت.

(٦) في هـ ص: نعال لم يقل بخمس، لأن ثلاثاً بلفظ الإيجاب واثنتين بلفظ النفي، فأحب التفرقة بينهما.

(٧) في هـ ص: كلمة تدعى على المخاطي بها، أي لا أصبتم خيراً، وفي هـ ب: دعاء، أي لا أصبتم خيراً، وتحقيقه: لصقت بالتراب أيديكم.

(٨) في ط: إخالكم، وفي هـ د: فيما إخالكم - ح. وفي هـ ب: إخال: أظن، إخال بغة بني أسد، إخال - بالكسر -.

(٩) في هـ ص: الحرب.

(١٠) في هـ ب: الضراب بمعنى المضاربة كالحراب بمعنى المحاربة.

(١١) في هـ ب: شبهة. انكشافهم بانكشاف المرأة عن فرجها وقت الولادة، وتورد هذه العبارة للتقريع والتوبيخ.

مِنْ نَبِيِّ. وَإِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الْقُطْبَةُ لَقَطًا^(١).

أَنْظَرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمَتَهُمْ^(٢)، وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ، فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى، فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا^(٣)، وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا، وَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا، وَلَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا.

لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ فَمَا أَرَى أَحَدًا يُشَبِّهُهُمْ مِنْكُمْ^(٤)، لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْنًا غُبْرًا، وَقَدْ^(٥) بَاتُوا سُجْدًا وَقِيَامًا، يُزَارِحُونَ^(٦) بَيْنَ جِبَاهِهِمْ^(٧) وَخُدُودِهِمْ، وَيَقْفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ، كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكْبَ الْمَعْرَى^(٨) مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ، إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ هَمَلَتْ^(٩) أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبُهُمْ^(١٠)، وَمَادُوا^(١١) كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ؛ خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ، وَرَجَاءٍ لِلثَّوَابِ^(١٢).

قوله ﷺ: «لقد أصبحت الأمم ... إلى آخره»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: ذكر ﷺ نكتة لطيفة في هذا المعنى، فقال: العادة أن الرعيّة تخاف ظلم الوالي، وأنا أخاف ظلم رعبتي؛ ومن تأمل أحواله ﷺ في خلافته، علم أنه كالمحجور عليه؛ لا يتمكن من بلوغ ما في نفسه؛ وذلك لأنّ العارفين بحقيقة حاله

(١) في هـ. د: اللفظة لفظاً - م ف. وفي هـ ب: أي أسلكه على السداد والصراح، يقال: لفظ قدماً، إذا مشى مشياً سهلاً لا ريب فيه، وروى: القط لقطاً: أرد من هذا الطريق كما يرد عليه؛ من المقاربة. (٢) في هـ ب: أي سمت آل محمد.

(٣) في هـ ب: فإن لبدوا، أي وقفوا فقفوا، وان قعدوا فقعوا، لبدا بالأرض: أي لصق به. (٤) لم ترد «منكم» في أ وب، وفي ط: فما أرى أحداً يشبههم منكم، وفي د: فما أرى أحداً منكم يشبههم.

(٥) في ب: غبراً قد باتوا، وفي هـ. د: غبراً قد بانوا - ش.

(٦) في هـ ب: المراوحة في العمل: أن يعمل هذا مرة وهذا مرة.

(٧) في هـ. د: وروى جيوبهم - ر.

(٨) في هـ ب: ركب المعزى وثقثة البعير، يضرب بهما المثل في الشدة، والمعزى ملحوق بالرباعي. (٩) في هـ ب: سالت دموع عيونهم.

(١٠) في هـ ب: تحركوا واضطربوا.

(١١) في هـ. د: جباههم - م.

(١٢) في هـ. د: رجاء من الثواب - ل.

كانوا قليلين؛ وكان السواد الأعظم، لا يعتقدون فيه الأمر الذي يجب اعتقاده فيه، ويرون تفضيل مَنْ تقدّمه من الخلفاء عليه، ويظنون أن الأفضليّة إنما هي بالخلافة، ويقلّد أخلافهم أسلافهم؛ ويقولون: لو لا أن الأوائل علموا فضل المتقدّمين عليه لما قدّموهم، ولا يروّنه إلا بعين التبعية لمن سبقه، وأنه كان رعيّة لهم، وأكثرهم إنما يحارب معه بالحميّة، وبنخوة العربية لا بالدين والعقيدة، وكان عليه السلام مدفوعاً إلى مداراتهم ومقاربتهم؛ ولم يكن قادراً على إظهار ما عنده؛ ألا ترى إلى كتابه إلى قضاته في الأمصار.

وقوله عليه السلام: «فاقضوا كما كنتم تقضون، حتى تكون للناس جماعة، وأموت كما مات أصحابي»:

وهذا الكلام لا يحتاج إلى تفسيرين ومعناه واضح، وهو أنه قال لهم: اتّبعوا عادتكُم الآن في عاجل لحال في الأحكام والقضايا التي كنتم تقضّون بها إلى أن يكون للناس جماعة؛ أي إلى أن تُسفر هذه الأمور والخطوب عن الاجتماع وزوال الفرقة، وسكون الفتنة، وحينئذ أعرفكم ما عندي في هذه القضايا والأحكام التي قد استمررت عليها.

ثم قال: «أو أموت كما مات أصحابي»:

فمن قائل يقول: عنى بأصحابه الخلفاء المتقدّمين، ومن قائل يقول: عنى بأصحابه شيعة كسلمان وأبي ذرّ والمقداد وعمّار ونحوهم، ألا ترى إلى قوله على المنبر في أمّهات الأولاد: «كان رأيي ورأي عمر الأيّمن، وأنا أرى الآن بيعهنّ»، فقام عليه عبدة السلمانّي فقال له: رأيك مع الجماعة أحبّ إلينا من رأيك وحدك؛ فما أعاد عليه حرّفاً، فهل يدلّ هذا على القوة والقهر؛ أم على الضعف في السلطان والرخاوة؛ وهل كانت المصلحة والحكمة تقتضي في ذلك الوقت غير السكوت والإمساك؛ وأمثال ذلك كثيرة.

وبهذا ونحوه اسندل أصحابنا المتكلّمون على حُسن سياسته وصحة تدبيره؛ لأنّ مَنْ مُني بهذه الرعية المختلفة الأهواء، وهذا الجيش العاصي له، المتمرّد عليه، ثم كسر بهم الأعداء، وقَتَلَ بهم الرؤساء؛ فليس يبلغ أحد في حسن السياسة وصحة التدبير مبلغه، ولا يقدر أحدٌ قدره.

وقد قال بعض المتكلّمين من أصحابنا: إنّ سياسة عليّ عليه السلام إذا تأملها المنصف متدبراً

لها بالإضافة إلى أحواله التي دفع إليها مع أصحابه، جرت مَجْرَى المعجزات؛ لصعوبة الأمر وتعذره؛ فإن أصحابه كانوا فرقتين: إحداهما كانت تذهب إلى أن عثمان قتل مظلوماً وتتولاه وتبرأ من أعدائه، والأخرى - وهم جمهور أصحاب الحرب وأهل الغنى والبأس - يعتقدون أن عثمان قُتِل لأحد ث أوجبت عليه القتل؛ وقد كان منهم مَنْ يصرّح بتكفيره؛ وكلُّ من هاتين الفرقتين يزعم أن علياً عليه السلام موافق لها على رأيها، ومُطالبة له في كلِّ وقت بأن يبدي مذهبه في عثمان؛ وتسأله أن يجيب بجواب واضح في أمره؛ وكان عليه السلام، يعلم أنه متى وافق إحدى الطائفتين باينته الأخرى، وأسلمته وتولت عنه وخذلتها، فأخذ عليه السلام يعتمد في جوابه ويستعمل في كلامه ما يظنُّ به كلُّ واحدة من الفرقتين أنه يوافق رأيها ويمثل اعتقادها، فلم يزل على هذه الوتيرة حتى قبض عليه السلام، وكلُّ من الطائفتين موالية له معتقدة أن رأيه في عثمان كرايها؛ فلو لم يكن له من السياسة إلا هذا القدر - مع كثرة خوض الناس حينئذ في أمر عثمان والحاجة إلى ذكره في كلِّ مقام - لكفاه في الدلالة على أنه أعرفُّ الناس بها، وأحذقهم فيها، وأعلمهم بوجوه مخارج الكلام، وتدير أحوال الرجال^(١)، انتهى.

أقول: ومن هذا التقرير يعلم أنه لا حجة في تقريراته عليه السلام لاحكام من تقدمه وأعمالهم في باب الولاية، لعدم استجماع شرائط حجية التقرير - وهو التمكن من الإنكار -، كما احتج بعض متأخري أصحابنا على صحة حكم أبي بكر في فذك بعدم تقض علي عليه السلام له، وغير ذلك من غفلاتهم؛ والله أعلم.

ووجدت مكتوباً بخط الثقة المأمون من أصحابنا، نقلاً من خط الثقة المأمون منهم رضوان الله عليهم، ما يناسب هذا الكلام، ورسمه:

جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: خطب علي صلوات الله عليه الناس فقال في خطبته: «كيف أنتم إذا ألستكم فتنة يربو فيها الوليد، ويهرم فيها الكبير، ويسبح الناس عليها، تتخذونها سنة، فإذا غير منها شيء قيل: أتى الناس منكراً، أو غيرت سنة، ثم تشد البلية وتسبى الذرية، وتقد فيهم الفتن كما تقد النار في الحطب، وتدقهم كما تدق الرحا ثقالها،

ويتفقه الناس لغير الدين، ويتعلمون لغير العمل، ويطلبون الدين [الدنيا - خ ل -] لغير الآخرة».

ثم أقبل وحوله اناس من أهل بيته وشيعته فقال: «والله لقد عملت الولاية قبلي بأمر عزيمة خالفوا فيها رسول الله ﷺ متعمدين، لو حملت الناس على تركها وأردتهم على نقلها عن مواضعها كما كانت على عهد رسول الله ﷺ لتفرق عني جندي، حتى أبقى وحدي إلا قليلاً من شيعتي الذين عرفوا فضلي وإمامتي من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ. رأيتم لو امرت بمقام إبراهيم ﷺ فرددته إلى المكان الذي وضعه فيه رسول الله ﷺ. - ورددت فدكاً على ولد فاطمة.

- ورددت صاع النبي ﷺ كما كان.

- وامضيت قطائع كان رسول الله ﷺ اقطعها أناساً مسلمين.

- ورددت دار جعفر بن أبي طالب على ذريته وهدمتها من المسجد.

- ورددت قضايا من قضايا من قبلي بجور.

- وسبيت ذراري بني تغلب.

- ورددت ما قسم من أرض خيبر.

- ومحوت ديوان العطاء، واعطيت ما كان رسول الله ﷺ يعطي، فلم أجعلها دولة بين

الأغنياء؟

والله لقد أمرت ان لا يجمعوا في شهر رمضان إلا في فريضة، فقام بعض أصحابي - في أصحابي، من في عسكري، ممن يقاتل معي بسيف - فعنى الاسلام وأهله وقال: غيّر سنة عمر

ونهيته ان يصلى في شهر رمضان جماعة حتى خشيت ان يثور في ناحية العسكر

ثائرة.

أوه، ماذا لقيت هذه الامة بطاعة ائمة لضلال والدعاة إلى النار؟!

وأعظم ذلك سهم ذوي القربى الذي قال الله. تبارك وتعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِٱللّٰهِ وَمَا

أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّتَمَّى أَجْمَعِينَ^(١)

نحن والله عنى بذى القربى الذين قرنهم الله عز وجل بنفسه وبنبيه عليه أطيب السلام: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾^(٢) منا خاصة، ولم يجعل لنا في سهم الصدقة نصيباً، أكرم الله عز وجل نبيه ﷺ وأكرمنا ان يطعمنا أو ساخ أيدي الناس، فقام رجل فكلّمه - وذكر كلاماً كثيراً، ذكر فيه الناس الرواية عن النبي ﷺ ... » انتهى ما وجدت، والحمد لله.

ولا شك ان معاني هذه الخطبة المذكورة في كلامه في كثير من مقاماته، وذلك أقوى دليل على صحتها، لان له ﷺ معاني يكثر من ذكرها تارة بالتصريح وتارة بالتلويح، والله أعلم.

ومن كلام له عليه السلام:

وَاللّٰهُ لَا يَزَالُونَ^(١) حَتَّى لَا يَدْعُوا لِلّٰهِ مُحَرَّمًا^(٢) إِلَّا اسْتَحَلُّوهُ وَلَا عَقْدًا^(٣) إِلَّا حَلَّوهُ، وَحَتَّى^(٤)
لَا يَبْقَى بَيْتٌ مَّسَرٍّ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ^(٥)، وَنَبَأُ^(٦) بِهِ سُوءُ رِعْيِهِمْ^(٧)، وَحَتَّى يَقُومَ
الْبَاكِانِ يَبْكِيَانِ: بَاكِ يَبْكِي لِدِينِهِ، وَبَاكِ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ، وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةٌ أَحَدِكُمْ^(٨) مِنْ
أَحَدِهِمْ^(٩) كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ، إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ، وَإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ، وَحَتَّى يَكُونَ أَعْظَمَكُمْ
فِيهَا غَنَاءً أَحْسَنَكُمْ بِاللّٰهِ ظَنًّا، فَإِنْ أَتَاكُمْ اللَّهُ بِعَافِيَةٍ فَاقْبَلُوهَا، وَإِنْ أَبْطَلِيَتْكُمْ فَاصْبِرُوا، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ
لِلْمُتَّيْنِ.

(١) في هـ ب: أي هؤلاء الظلمة لا يزالون على ظلمهم، يعني بني أمية وغيرهم.

(٢) في هـ ب: أي حراماً. (٣) في هـ ب: أي عهداً.

(٤) في ب: حلّوه حتى، وفي هـ د: حلّوه حتى - ش.

(٥) في د زيادة: ونزل به عيْثهم، وفي هـ ب، وفي نسخة زبدة: ونزل به عيْثهم، وفي هـ ط، وفي

نسخة زيادة: ونزل به غبْثهم. (٦) في هـ ب: أي تنغص.

(٧) في ط: رعْيْهم، وفي هـ د: سوء رعيتهم - ن، سوء رعيتهم - ل، وفي هـ ص: أي سياستهم،

ويروي: رعيتهم، والرعة: الورع، وفي هـ ب: أي جعل سوء ولايتهم كل من لا يستقر أهله، وروي: سوء رعيتهم، أي: ورعهم وتقواهم.

(٨) في هـ ب: «نصرة أحدكم» مصدر مضاف إلى مفعول «من أحدهم» أي من جانب أحدهم،

وكذا في «نصرة العبد». (٩) في هـ د: «من أحدهم» ساقطة من ن.

ومن خطبة له عليه السلام:

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ، وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ، وَنَسْأَلُهُ الْمَعَاوَةَ فِي الْأَدْبَانِ،
كَمَا نَسْأَلُهُ الْمَعَاوَةَ فِي الْأَبْدَانِ.

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ ^(١) بِالرَّفُضِ ^(٢) لِهَذِهِ الدُّنْيَا، أَلْتَارِكَةَ لَكُمْ وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا. وَالْمُبِيلَةَ
لِأَجْسَامِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا. فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفَرٍ ^(٣) سَلَكُوا سَبِيلًا،
فَكَانَتْهُمْ ^(٤) قَدْ قَطَعُوهُ، وَأَمُّوا عِلْمًا ^(٥)، فَكَانَتْهُمْ ^(٦) قَدْ بَلَغُوهُ، وَكَمْ عَسَى ^(٧) الْمَجْرِي إِلَى
الْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا حَتَّى يَبْلُغَهَا، وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لَا يَعْدُوهُ ^(٨)، وَطَالِبٌ
حَيْثُ مِنَ الْمَوْتِ ^(٩) يَحْدُوهُ، وَمُزْعَجٌ فِي الدُّنْيَا عَنِ الدُّنْيَا حَتَّى يُفَارِقَهَا رَغْمًا ^(١٠).

فَلَا تَنَافَسُوا ^(١١) فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَفَخْرِهَا، وَلَا تَفْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا، وَلَا تَجْزَعُوا مِنْ
ضَرَائِهَا وَبُؤْسِهَا، فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَى انْقِطَاعٍ، وَزِينَتَهَا ^(١٢) وَنَعِيمَتَهَا إِلَى زَوَالٍ، وَضَرَاءُهَا
وَبُؤْسَهَا إِلَى نَفَادٍ ^(١٣)، وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى آتِيَةٍ، وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ، أَوْ لَيْسَ لَكُمْ فِي
آثَارِ الْأَوَّلِينَ [مُزْدَجَر] ^(١٤)، وَفِي آثَارِكُمُ الْأَوَّلِينَ تَبْصِرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ؟!

(١) لم ترد «عباد الله» في أ و ط، وفي د: عباد الله أوصيكم.

(٢) في هـ ب: أي بالترك. (٣) في هـ ب: جماعة مسافرين.

(٤) في ص و أ: وكانهم، وفي هـ ص، وفي نسخة: فكانهم.

(٥) في هـ ب: أي قصدوا جبلاً.

(٦) في ص و أ: وكانهم، وفي هـ ص، وفي نسخة: فكانهم.

(٧) في هـ ب: مفعوله محذوف، أي: كم عسى المجري في سكة.

(٨) في هـ ب: أي لا يجاوزه. (٩) في هـ ب: أي سريع.

(١٠) كذا في ص، والعبارة في أ و ب و ط: وطالب حيث يحذوه في الدنيا حتى يفارقها.

(١١) في هـ ب: لا تحاسدوا. (١٢) في هـ د: وإن زينتها - ض.

(١٣) في هـ ب: أي انقطاع.

(١٤) من ط و د، ولم ترد «مزدجر» في أ و ب و ص.

أَوَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْمَاضِينَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُونَ، وَإِلَى الْخَلْفِ الْبَاقِينَ لَا يَتَّقُونَ؟
 أَوَلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُمْسُونَ وَيُضْبِحُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى: فَمَيِّتٌ يُبْكِي، وَآخَرُ
 يُعَزِّي، وَصَرِيحٌ مُبْتَلَى^(١)، وَعَائِدٌ يَعُودُ وَآخَرُ بِنَفْسِهِ يَجُودُ، وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ،
 وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَعْقُولٍ عَنْهُ، وَعَلَى أَثَرِ الْمَاضِي^(٢) مَا يَمْضِي^(٣) الْبَاقِي.
 أَلَا فَادْكُرُوا هَادِمَ اللَّذَاتِ، وَمُنْتَعَصِ الشَّهَوَاتِ، وَقَاطِعِ الْأُمْنِيَّاتِ^(٤)، عِنْدَ الْمُسَاوَرَةِ^(٥)
 لِلْأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ، وَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ^(٦) عَلَى أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ، وَمَا لَا يُحْصَى مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ
 وَإِحْسَانِهِ.

(١) في ص: يُبْتَلَى.

(٢) في هـ. د: على اثر الماضين - هامش ن .

(٣) في هـ. ب: «ما» مصدرية .

(٤) في هـ. ب: هو المنيّة.

(٥) في هـ. د: وروي المساورة - ك، روي المسارة والمشاورة - ر، وفي هامش ب: أي الموائبة،

من السور، وهو الوثب، وروي: المساررة، أي المسارة، وروي: المشاورة، أي: اذكروا الموت

عند عزمكم على العمل القبيح. (٦) في ب و ط: واستعينوا بالله.

ومن خطبة له عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمُ بِالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ.

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَوْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً^(١) وَيَذْكُرُهُ نَاطِقاً^(٢)، فَأَدَّيْ أَمِيناً، وَمَضَى رَشِيداً، وَخَلَّفَ^(٣) فِينَا رَايَةً^(٤) الْحَقِّ^(٥)، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ^(٦)، وَمَنْ تَخَلَّفَ^(٧) عَنْهَا زَهَقَ^(٨) وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ^(٩)، دَلِيلُهَا مَكِيثُ الْكَلَامِ^(١٠)، بَطِيءُ الْقِيَامِ^(١١)، سَرِيعُ إِذَا قَامَ^(١٢)، فَإِذَا أَنْتُمْ أَنْتُمْ^(١٣) لَهُ رِقَابَكُمْ، وَأَشْرُتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ، جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ

(١) في هـ.ب: أي مبيناً. (٢) في هـ.ب: أي ترك.

(٣) في هـ.ب: أي ترك.

(٤) في هـ.ب: أي علامته ودليله، وهو إشارة إلى قوله عليه السلام: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتكم به لن تضلوا من بعدي أبداً؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي .. الخ»، وقوله عليه السلام: «مثل أهل بيتي كممثل سفينة نوح ... الخ» ونحوهما مما تواتر معناه.

(٥) في هـ.ب: قيل المراد براية الحق: القرآن، وعترته: الحجج من أهل بيته.

(٦) في هـ.ب: مرق أي خرج، والمارقون: الخارجون.

(٧) في ب: تأخر عنها، وفي هـ.ب: وفي نسخة: من تخلف عنها.

(٨) في هـ.ب: زهق: هلك، وفي هـ.ب: مرق وزهق، قال في الشرح: زهقت نفسه: خرجت،

وزهق الباطل: اضمحل، يقول عليه السلام: من خالفها متقدماً لها أو متأخراً عنها فقد خرج عن

الحق، ومن لازمها أصاب الحق (انتهى) وهذا من أدلة إجماع أهل البيت الصريحة.

(٩) في هـ.ب: واللازم اللاحق بالسابقين إلى الجنة دليل تلك الراية، وأولهم، والهادي إلى

الكتاب والسنة.

(١٠) في هـ.ب: أي لا يظهر ما عنده من سر العلم قبل أوانه، يعني نفسه عليه السلام (من الشرح) وفي

هـ.ب: رجل مكيث الكلام: أي رزين

(١١) في هـ.ب: يعني أنه إنما يقوم بكشف الحق في آخر زمنه.

(١٢) في هـ.ب: أي بظهر الحق ويعلمه بجد وعزم.

(١٣) في هـ.ب: وفي نسخة: ثنيتم.

بِهِ^(١)، فَلَيْسَتْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ، حَتَّى يُطْلَعَ اللَّهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ^(٢)، وَيَضُمُّ نَشْرَكُمْ^(٣)، فَلَا تَطْمَعُوا فِي غَيْرِ مُقْبِلٍ^(٤)، وَلَا تَتَأَسُّوا مِنْ مُدْبِرٍ، فَإِنَّ الْمُدْبِرَ عَسَى أَنْ تَزِلَّ بِهِ^(٥) إِحْدَى قَائِمَتَيْهِ^(٦) وَتَثْبُتَ الْأُخْرَى وَتَزْجَعَ حَتَّى تَثْبُتَا جَمِيعاً.

أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ، إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ^(٧)، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلْتُمْ مِنَ اللَّهِ فِيكُمْ الصَّنَائِعُ، وَأَرَأَيْكُمْ^(٨) مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ.

قال في الشرح: أعلم أن هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين ﷺ في الجمعة الثالثة من خلافته، وكنتي فيها عن حال نفسه، وأعلمهم فيها أنهم سيفارقونه ويفقدونه بعد اجتماعهم عليه، وطاعتهم له؛ وهكذا وقع الأمر، فإنه نزل أن أهل العراق لم يكونوا أشدَّ اجتماعاً عليه من الشهر الذي قُتل فيه ﷺ.

ومعنى قوله ﷺ: «النتم له رقابكم» أطعتموه؛ ومعنى «شُرتم إليه بأصابعكم» أعظمتموه وأجلتتموه، كالملك الذي يشار إليه بالإصبع، ولا يخاطب باللسان. ثم أخبرهم أنهم يلبثون بعده ما شاء الله؛ ولم يحدّد ذلك بوقت معين.

ثم يطلع الله لهم مَنْ يجمعهم ويضمّمهم، يعني من أهل البيت ﷺ؛ وهذا إشارة إلى المهدي الذي يظهر في آخر الوقت^(٩)، انتهى

فعلى هذا، الضمائر لمطلق الشيعة لا للموجودين في زمنه ﷺ فقط - على نحو خطاب الشارع -.

وعلى هذا لا بُد في أن يقال: قد صدق بعض هذا الوعد الذي وعد به ﷺ بقيام من قام

(١) في هـ.ب: أي إذا استقام أمر الاسلام توفي ﷺ.

(٢) في هـ.ب: أي صاحب الأمر، وفي هـ.ب - أيضاً -: بطلع الله ... على امام غائب وبدر غارب

... حب إلى أن يطلع إليه. (٣) في هـ.ب: فعل بمعنى المفعول.

(٤) في ب و د: فلا تطعنوا في عين مقبل. (٥) لم ترد «به» في أ و ب و ط و د.

(٦) أي رجليه. (٧) في هـ.ب: أي امام.

(٨) في ب: وآتاكم، وفي هـ.ب، وفي نسخة: وأراكم.

(٩) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٩٤.

من الأئمة من أبنائه في اليمن وطبرستان^(١)، فإن الله جمع بهم أمر الشيعة وتقررت به دعوتهم ومقاتلتهم ومذهبهم، وتمامه بقيام المهدي إن شاء الله.

قوله عليه السلام: «راية الحق»:

قال في الشرح: وراية الحق: الثقلان المخلفان بعد رسول الله ﷺ، وهما الكتاب والعترة^(٢)، انتهى.

قلت: وسماهما راية الحق لانهما دليله، فان الراية: العلم الأكبر من أعلام الجيش وهي تكون عند الرئيس لأعظم.

قوله عليه السلام: «دليلها مكيث الكلام»:

قال في الشرح: يعني نفسه عليه السلام^(٣)

قلت: وفيه إشارة إلى قوله ﷺ: «علي مع الحق والحق مع علي»^(٤) «علي مع القرآن والقرآن مع علي»^(٥) ونحوهما، وإني قوله ﷺ: «لا تزول قدما العبد يوم القيامة حتى يسأله الله عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟ وعن جسده فيم ابلاه؟ وعن ماله مم اكتسبه وفيم انفقه؟ وعن حينا أهل البيت.

فقال ابو برزة: وما علامة حبكم يا رسول الله؟

قال: حب هذا - ووضع يده على رأس علي عليه السلام -»^(٦).

قوله عليه السلام: «ومن تخلف عنها زهق»:

[قال في الشرح:] زهقت نفسه، [بافتح، زهوقاً، أي] خرجت، وزهق الباطل:

اضمحل، يقول عليه السلام: مَنْ خالفها متقدماً لها أو متأخراً عنها فقد خرج عن الحق، ومن

لازمها فقد أصاب الحق، تمت من الشرح^(٧).

وهذا من أدلة اجماع أهل لبית الواضحة نحو قوله ﷺ: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة

(٢) و (٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٨٥.

(٥) مجمع الزوائد ٩: ١٣٤.

(٧) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٨٥.

(١) كالناصر والداعي وغيرهما.

(٤) مجمع الزوائد ٧: ٢٣٥.

(٦) مجمع الزوائد ١٠: ٣٤٦.

نوح في قوم نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها هلك»^(١) و«مَثَلُ بَابِ حَطَّةٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ»^(٢)، وسائر أدلة إجماعهم المصرحة بنجاة متبعهم وهلكة مخالفيهم. قوله ﷺ: «فلا تطمعوا... إلى آخره»:

ذكر ابن أبي الحديد أن ظاهر هذا الكلام متناقض ثم ذكر له تأويلاً بنى على تفسيره^(٣). ويظهر لي - والله أعلم - أن معناه: فلا تطمعوا في غير مقبل أي لا تعتقدوا أنه ينأتى لكم من هذا الأمر شيء إلا ما يسره الله لكم، فإذا فاتكم شيء منه فلا تأسقوا عليه، وتعتقدوا أن فواته لا يرجع إلى الرئيس المدبر لكم، ما ذاك إلا أنه لم يأت وقته وأوانه، وهذا مثل قوله ﷺ: «ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم».

ثم قال: «ولا تيأسوا من مدبر»:

أي لا تقولوا هذا الأمر الذي فاتنا لا يمكن رجوعه إلينا، فلا نجيب من دعا إليه، بل اجبيوه وقدروا حصوله ومجيء زمانه في كل وقت، وأجيبوا كل من دعا إليه من أهل البيت لتحزروا فضل الجهاد، ولأن الدعاة إليه منهم بمنزلة رجل واحد زلت به قدم في طلب مرفبته الأخرى فاستقامتا جميعاً.

وهذه هي طريقة أئمة الزيدية وشيعتهم عين اليقين والحمد لله، ويرشدك إلى صحة هذا التأويل وأنه المراد قوله ﷺ: «إلا أن مثل آل محمد ﷺ... إلى آخره»:

وقد روى هذا الحديث مرفوعاً عن نصر بن حماد، قال: سمعت شعبة يقول - حين ظهر إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن - قال رسول الله ﷺ: «مثل أهل بيتي في أمتي مثل النجوم كلما أفل نجم طلع نجم»، وبمعناه أحاديث أخر مشهورة^(٤)، وفيه دليل واضح

(١) مجمع الزوائد ٩: ١٦٨. (٢) البحار ٢٣: ١٢٠.

(٣) أنظر شرح ابن أبي الحديد ٧: ٩٤.

(٤) في هـ. ص ما يلي: وفي شرح السيوطي على سنن أبي داود المسمى بمراقبة الصعود إلى سنن أبي داود في شرح أول حديث من كتاب الملاحم، ما لفظه: وأخرج أبو اسماعيل الهروي من طريق حميد بن رنجويه، قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: يروى في الحديث عن النبي ﷺ: «إن الله يمنّ على أهل دينه في رأس كل مائة سنة برجل من أهل بيتي يبين لهم

على مذهب الزيدية في الإمامة وأنه لا يزال يدعو منهم داع إلى الحق إلى أن يظهر المهدي عليه السلام ويظهر الحق، والله أعلم.

→ أمر دينهم.

وفي طبقات التاج للسبكي ما لفظه: وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ انه قال: «يبعث الله في هذه الامة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها» وفي لفظ آخر: «في رأس كل مئة سنة رجلاً من أهل بيتي يبين لهم أمر دينهم». ذكره الامام أحمد بن حنبل.

ومن خطبة له ﷺ، وهي من الخطب التي تشتمل على ذكر الملاحم^(١) :
 الْحَمْدُ لِلَّهِ^(٢) الْأَوَّلِ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ، وَالْآخِرِ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ^(٣)، وَيَأْوِلِيَّتِهِ^(٤) وَجَبَ أَنْ لَا أَوَّلَ لَهُ،
 وَيَأْخِرِيَّتِهِ وَجَبَ^(٥) أَنْ لَا آخِرَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلَانُ وَالْقَلْبُ اللُّسَانُ.
 أَتَيْهَا النَّاسُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي^(٦)، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي^(٧)، وَلَا تَتَرَامَوْا
 بِالْأَبْصَارِ^(٨) عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ^(٩) مِنِّي، فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ^(١٠) إِنَّ
 الَّذِي أَنْبَأَكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ^(١١)، مَا كَذَبَ^(١٢) الْمُبَلِّغُ^(١٣)، وَلَا جَهْلَ السَّامِعُ،
 لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضَلِيلٍ^(١٤) قَدْ نَعَقَ^(١٥) بِالشَّامِ، وَفَحَصَ^(١٦) بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي

(١) في هـ أوب: الملحمة: الواقعة العظيمة ويكثر فيها قتل الناس.

(٢) لم ترد «الحمد لله» في أوب ود.

(٣) في هـ ب: يعني ان أوليته وآخريته لذاته لا لغيره، والموجودات كلها أوليتها بغيرها.

(٤) في ط: وبأوليته. (٥) في هـ د: وبآخريته ان لا آخر له.

(٦) في هـ ص: أي لا يكسبنكم شقائي تكذبي. فحذف المفعول، وفي هـ ب: لا يكسبنكم خلافي الاثم.

(٧) في هـ ص: أي لا يحملنكم على لهوى، وفي هـ ب: أي لا يستقوينكم.

(٨) في هـ ص: أي لا يحط بعضهم بعضاً فعل لمنكر المكذب.

(٩) في هـ د: عند ما تسمعون مني - ع. (١٠) في هـ ب: أي خلق النفس.

(١١) ليس في أوب وط: الأمي، وفي هـ ب: يروى عن النبي الأمي، منسوب إلى أم القرى.

(١٢) في هـ د: والله ما كذب - ح. (١٣) في هـ ب: أي النبي ﷺ.

(١٤) في هـ ب: إلى ضليل، أي إلى رجل قد بلغ الضلال والاضلال قد قام بأهل الشام، فحذف المضاف، أي دعاهم إلى نفسه فاجبوه كما ينطق الراعي بغنمه.

(١٥) في هـ ب: أي صاح.

(١٦) في هـ ب: فحصى: قلب البلاد والعباد في نواحي الكوفة، يقال: فحصى المطر الوادي قلبه، وفي كون مفعول «فحصى» محذوفاً، ويكون معناه بحث عن أحوال الناس وآفان الكوفة،

كُوفَانِ^(١)، فَإِذَا فَغَرْتُ^(٢)، فَاعْرِثُ^(٣)، وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ^(٤)، وَثَقُلْتُ فِي الْأَرْضِ وَطَأْتُهُ، عَضَّتِ
 الْفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا، وَمَاجَتِ الْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا، وَبَدَأَ مِنَ الْأَيَّامِ كُلُّوْحُهَا^(٥)، وَمِنَ اللَّيَالِي
 كُدُّوْحُهَا^(٦)، فَإِذَا أُتِنَعَ زَوْعُهُ، وَقَامَ عَلَى يَتْبَعِهِ^(٧)، وَهَدَرَتْ^(٨) شَقَاشِقُهُ^(٩)، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ،
 عُقِدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُفْضِلَةِ، وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَالْبَحْرِ الْمُلْتَطِمِ، هَذَا وَكَمْ يَخْرُقُ
 الْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ^(١٠)، وَيَعْمُرُ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ^(١١)، وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُ الْقُرُونُ بِالْقُرُونِ^(١٢)،
 وَيُخْصَدُ الْقَائِمُ، وَيُخْطَمُ^(١٣) الْمَخْصُودُ.

قوله ﷺ: «الأول قبل كل أول ... إلى قوله: آخر»:

أي هو السابق وجوده لكل ما يسمى أولاً بالنسبة إلى ما تأخر عنه، فهو الأول المطلق،
 وذلك أن الضرورة دعت إلى ثبوت^(١٣) مؤثر في الحادثات غير متأثر عن شيء، فهو قبل ما
 يقدر قبلاً؛ إذ هو المؤثر في الوجود كل موجود غيره، وهو الباقي بعد فناء كل شيء باق بعد
 فناء شيء فنى قبله، فهو الباقي مطلقاً بعد فناء ما يقدر باقياً بعد فناء شيء غيره.
 ثم قال ﷺ: «باولينه وجب أن لا أول له»:

→ والفحص: البحث عن الشيء، والضواحي في اللغة: السمات والنواحي؛ بسبب راياته الكثيرة،
 وقيل: إن هذا إشارة إلى خروج السفيناني، وقيل: المراد به معاوية ومن بعده.

(١) كوفان: أي الكوفة.

(٢) في هـ. ب: فغرت، أي فتحت فاهها، فتنته الشديدة تأكل كل شيء، ونبّه بقوله: «فاغرة» على
 أن تلك الفتنة لا تبقى ولا تذر ولا تزال مدة هياجها فاغرة.

(٣) الشكيمة: حديدة معترضة في فم الحيوان يشد بها اللجام، ويعبر عنها بصعوبة الانقياد.

(٤) في هـ. ص وب: أي عبوسها: أي تنكرها. (٥) في هـ. ص: أي تأثيرها وتغييرها.

(٦) في هـ. ب، وفي نسخة: وقام على ساقه ينعده، وفي هـ. آ: وفي نسخة: «وقام على ساقه»
 بدل «وقام على ينعده». (٧) في هـ. ب: أي صاح.

(٨) في هـ. ب: شقاشق يعني صياح البعير الهائج، وهذه استعارة.

(٩) في هـ. ب: كاسر شديد. (١٠) في هـ. ب: ريح شديدة.

(١١) كناية عن اشتباك قوى الحق والباطل. (١٢) في هـ. ب: أي يكسر.

(١٣) في ص: اثبات.

أي لما ثبت وصفه بالأولية المطلقة ثبت قطعاً أنه لم يسبق وجوده عدم، والآ لم يكن منتهى الضرورة، بل منتهى الضرورة ما أوجده من عدم، فلم يثبت اتصافه بالأولية المطلقة، وقد ثبت وصفه بها لأنه غاية الضرورة وبآخريته وجب أن لا آخر له.

لما ثبت وصفه بالآخرية المطلقة ثبت قطعاً أنه لا ينعدم؛ لأنه لو انعدم لزم ثبوت معدوم له يبقى في ثاني عدمه، وحينئذ لم يتصف بأنه الآخر مطلقاً، وقد ثبت ذلك بالضرورة فثبت أنه لا نهاية لوجوده بالضرورة، والله أعلم.

قوله ﷺ: «ضليل»:

هو كثير الضلال، لأنه ضل وأضل، ونعق أي صوّت كما يصوت الراعي بغنمه.

ومعنى «نعق بالشام»: دعى إلى الفتنة.

«وفحص براياته في ضواحي كوفان»: أي مكنها، كما تفحص القطة في الأرض

مجثماً^(١) لها

و «كوفان»: اسم الكوفة، والكوفة في الأصل: اسم الرملة الحمراء؛ وبها سميت الكوفة

وضواحيها: نوحيها القريبة منها البارزة عنها؛ يريد رُشتاتها.

«وفغرت فاغرت»: فتح فاه، وهذا من باب الاستعارة، أي إذا فتك فتح فاه وقتل؛ كما

يفتح الأسد فاه عند الافتراش والتأنيف للفتنة

والشكيمة في الأصل: حديدة معترضة في اللجام في فم الدابة، ثم قالوا: فلان شديد

الشكيمة، إذا كان شديد أراس شديد النفس عسير الانقياد.

و «ثقلت وطأته»: عظم جَوْرُه وظلمه^(٢)، والله أعلم.

قوله ﷺ: «فإذا ائنع زرعه وقام على ينعه»:

قال في الشرح: أي إذا هلك هذا الضليل قام بالأمر غيره من أهله^(٣).

هذا معنى قوله، وفيه بُعد، ويظهر لي من معنى كلامه ﷺ أنه شبه هذا الضليل في

دعائه^(٤) وسعيه بحرّاث زرع جد^(٥) بالقيام بزعه ليبغ غاية ما يؤمل من نماء زرعه حتى

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٠٠.

(٤) أي دعونه.

(١) المجثم: محل الجثم، والجثم.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٩٩.

بلغها، كذلك هذا الضليل جد في تحصيل مطلوبه حتى حصله وبلغ غايته من غير مميل ولا ضارع^(٦)؛ وهو معنى قوله: «فإذا أነع زرعه وقام على ينعه» كناية عن تأتّي الأمور له واستيساقها^(٧) على ما أمّل. و«هدرت شقاشقه»: أي قال من الباطل ما أراد و«برقت بوارقه» أي فعل من المنكر ما أراد، فقرر الفتن، وأحدث البدع وجعلها ديناً، وخلطها بشوب من الحق، فالتبست على أكثر الناس، وعمّت جمهورهم، فمن ثم أعضلت.

قوله ﷺ: «وعن قليل ... إلى: المحصود»:

قال في الشرح: ثم وعد ﷺ بظهور دولة أخرى، فقال: «وعن قليل تتفّ القرون بالقرون»؛ وهذا كناية عن الدولة العباسية التي ظهرت على دولة بني أمية. [والقرون: الأجيال من الناس، واحدها قرن، بالفتح.

و«يحصد القائم، ويحطم المحصود»: كناية عن قتل الأمراء من بني أمية^(٨) في الحرب، ثم قتل المأسورين منهم صبراً، فحصد القائم قتل المحاربة، وحطم الحصيد: القتل صبراً؛ وهكذا وقعت الحال مع عبدالله بن علي، وأبي العباس السفاح، انتهى^(٩). والذي يظهر لي - والله أعلم - أن الكلام من أوّله إلى آخره كناية عن دولة بني أمية من مبدئها، وهو دعاء معاوية بعد موت عليّ عليه السلام إلى حرب الحسن عليه السلام، «وفحص برياياته في ضواحي كوفن» هو تمكّن ولايته في النخيلة وعقد الأمر له.

ثم لم يزل أمره يتدرج في درج القوة حتى لم يبق له منازع ولا مدافع، فحينئذٍ أظهر البدع الدينية وأظهر المقالات المضلّة، من الجبر والتشبيه، وسب عليّ عليه السلام، ومنع الناس من تولّيه ورواية فضائله، وتفضيل غيره عليه، واختلاق فضائل لغيره يعارض بها فضائله، فكان البلاء والقتل بالكوفة لكثرة من بها من الشيعة وهو قوله: «وكم يحرق الكوفة ... إلى آخره».

وجرت على ذلك دولة بني أمية - كلها - وهو معنى قوله: «قام على ينعه»، أي استمر

(٦) الضارع: الضعيف النحيف.

(٨) من ط .

(٥) في ص: أجد.

(٧) من السوق

(٩) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٠١.

على تمامه.

ثم اتخذ الناس هذه الفتن ديناً، يجادلون عنه ويقاتلون، وسموا هذه الفتن سنة، والاجتماع عليها جماعة، وهو معنى كونها فتناً معضلة؛ لأن البدعة إذا اعتقدت ديناً أعضل حلها.

وشبهها بالليل في سواده، والبحر في غشيانه من قاربه وإهلاكه.

ثم قال عليه السلام: «وعن قليل تجتمع قرون هذه الدولة»:

أي يلتحق آخرها بأولها، أي تبلغ غايتها ومنتهاى مدتها، ويحصد القائم - أي الباقي منهم - بالقتل ويحطم المحصود، أي بالاستخراج من القبور والإحراق، وتعفية الأثر: ابطال الصيت والذكر.

وانما عبر عن إهلاكهم بالحصد والحطم؛ لأنه شبه أمرهم بالزرع في ابتدائه وتمامه، فشبهه به في هلاكه، والله أعلم.

ومن خطبة له ﷺ تجرى هذا المجرى:

وَذَلِكَ يَوْمٌ ^(١) يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِنِقَاشٍ ^(٢) الْحِسَابِ وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ،
خُضُوعاً ^(٣) قِيَاماً، قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ، وَرَجَفَتْ ^(٤) بِهِمُ الْأَرْضُ، فَأَخَسْنَهُمْ خَالاً مَنْ وَجَدَ
لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعاً، وَلِنَفْسِهِ مَتْسَعاً.

ومنها:

فَتَنْ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ ^(٥)، وَلَا تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ، تَأْتِيكُمْ مَرْمُومَةٌ ^(٦)
مَرْحُولَةٌ، يَخْفِزُهَا ^(٧) قَائِدُهَا، وَيَجْهَدُهَا رَاكِبُهَا؛ أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدُ كَلْبِهِمْ ^(٨)، قَلِيلُ سَلْبِهِمْ،
يُجَاهِدُهُمْ فِي اللَّهِ ^(٩) قَوْمٌ أَذَلَّةٌ عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ، فِي الْأَرْضِ مَجْهُولُونَ، وَفِي السَّمَاءِ
مَعْرُوفُونَ ^(١٠). قَوْلٌ لَكَ يَا بَصْرَةَ ^(١١) عِنْدَ ذَلِكَ ^(١٢) مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمٍ ^(١٣) اللَّهِ، لَا
رَهَجَ ^(١٤) لَهُ وَلَا حِسَّ ^(١٥)، وَسَيَبْتَلِي أَهْلَكَ بِالْمَوْتِ الْأَخْمَرِ وَالْجُوعِ الْأَغْبَرِ.

(١) في هـ.ب: أي يوم القيامة، ويجوز يوم الحرب.

(٢) في هـ.ب، وفي نسخة: المناقشة. (٣) في هـ.ب: أي ذللاً.

(٤) في هـ.ب: أي حركت.

(٥) في هـ.ب: أي لا تقوم لتلك الفتن قائمة منهم، أي لا يقابل منها أهلها ولا يضيق لحيل

أصحاب تلك الفتن، وقيل: لا يكون لها قلعة قائمة يعني لتهديهم كالابنية لها.

(٦) في هامش ب: أي لا تكون تامة الاسباب كاملة الالاف.

(٧) في هـ.ب: حفزه: أي دفعه من خلفه.

(٨) في هـ.ب: الكلب: الفتنة، أي يقتلون ولا يسلبون.

(٩) في ط: في سبيل الله.

(١٠) في هـ.ص: هذه الصفات قد ذكرها ﷺ في ذكر الأئمة من ولده مراراً.

(١١) في هـ.ب، وفي نسخة: بصيرة. (١٢) في هـ.ص: الإشارة إلى حملة الفتن.

(١٣) في هـ.ب: أي عقوباته. (١٤) في هـ.ب: أي لا غبار.

(١٥) في هـ.ص: يعني به بالزنج، وكانوا في دولة بني العباس.

قوله ﷺ: «فتن ... إلى آخره»:

أعلم ان هذا الكلام اشارة إلى جملة الفتن التي تقع في الاسلام من زمنه ﷺ إلى زمن المهدي ﷺ.

فقال ﷺ: ان كل فتنة منها مظلمة لا يُهتدى لحق فيها. أي يضل بها أكثر الناس، غالبية لمن غالبها: ماضية حيث توجهت، تأتيكم أول فأول، سريعة النفوذ والمضي.

أهلها شديد شرهم: لا يسلبون ما استولوا عليه من الأمور وملكوه، يجاهد أهل هذه الفتن في كل زمانها لله - لا للدنيا - قوم لهم صفة واحدة وهي انهم مستدلون عند أهل هذه الفتن؛ لما هم عليه من القنّة وعدم المال والعُدّة - وهذه صفة الزيدية - وهم مجهولون في الأرض: أي لا يعرف قدرهم وما هم عليه من المنزلة أكثر أهل الأرض، ولكنهم في السماء - أي: عند الملائكة - معروفوا الطريقة مرضيون، وهذه صفة الزيدية؛ فان أهل المذاهب كلها لا يرفعون لطريقتهم رأساً، ولا يذكرون لهم قولاً، ولا يعدّون من رجالهم فاضلاً.

ثم أوعد أهل البصرة - في مجموع مدّتها - بان الله سينتقم منهم: لنصيبهم له، بنقمتين: أحدهما: الجيش الموصوف بهذه النصفة - وهذا الوصف ذكره ﷺ عند ذكره جيش صاحب الزنج صريحاً -

والنقمة الأخرى: أمران سماويان، وقعتا عند ذلك: عند وقوع الفتن في جملة الاسلام، والله أعلم.

ومن خطبة له عليه السلام:

انظروا إلى الدُّنْيَا نَظَرَ الرَّاهِدِينَ فِيهَا؛ الصَّادِقِينَ^(١) عَنْهَا؛ فَإِنَّهَا وَاللَّهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ
الْثَّارِي^(٢) السَّاكِنَ؛ وَتَفْجَعُ الْمُتَرَفَّعَ^(٣) الْآمِنَ؛ لَا يَزِجُ^(٤) مَا^(٥) تَوَلَّى مِنْهَا فَأَذْبَرُ، وَلَا يُدْرِي
مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنتَظَرُ.

سُورُهَا مَشُوبٌ^(٦) بِالْحُزْنِ، وَجَلْدُ^(٧) الرِّجَالِ فِيهَا إِلَى الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ؛ فَلَا يَعْرِئُكُمْ
كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا.

رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ، وَأَعْتَبَرَ^(٨) فَأَبْصَرَ، فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ
يَكُنْ؛ وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الْآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ، وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُتَقَضٍّ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ،
وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ.

ومنها: أَلْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ^(٩)، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَلَّا يَعْرِفَ قَدْرَهُ، وَإِنْ مِنْ
أَبْغَضِ^(١٠) الرِّجَالِ لَعَبْدًا^(١١) وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ، جَائِرًا عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، سَائِرًا^(١٢) بِغَيْرِ دَلِيلٍ،
إِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الدُّنْيَا عَمِلَ، وَإِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ^(١٣) الْآخِرَةِ كَسَلَ كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ
عَلَيْهِ، وَكَأَنَّ مَا وَتَى فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ.

(١) في هـ.ب: أي المائلين. (٢) في هـ.ب: المقيم.

(٣) في هـ.ب: أي المغتر.

(٤) في هـ.ب: أي لا يعود إلى الناس الذي تولى من أحوال الدنيا وتولى الدبر، كالشباب وقوته،
ومثل الصحة والمرض والغنى والفقر، وفي انتظار رجوع ذلك وإتيان هذا.

(٥) في هـ.ب: استفهامية، ويجوز أن تكون موصولة.

(٦) في هـ.ب: أي مخلوط. (٧) في هـ.ب: الجلد: الصلابة والجلادة.

(٨) في ب: فاعتبر، فاعتبر. (٩) في هـ.د: من عرف نفسه - م.

(١٠) في أ: وإن أبغض، وفي هـ.د: وإن أبغض - ن ف.

(١١) في أوب: لعبد، وفي هـ.ب: في نسخة: لعبد.

(١٢) في هـ.د: وبسائر - ف ن. (١٣) في ب: وإلى حرث.

ومنها:

وَذَلِكَ زَمَانٌ لَا يَتَجَوُّ فِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نَوْمَةٍ^(١)، إِنْ شَهِدَ لَمْ يُعْرِفْ، وَإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ؛
أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى وَأَعْلَامُ السُّرَى^(٢)، لَيْسُوا بِالْمَسَايِخِ^(٣) وَلَا الْمَذَايِخِ الْبُذْرِ^(٤)،
أُولَئِكَ يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ، وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ضُرَاءَ نِقْمَتِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ؛ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ^(٥) يُكْفَأُ فِيهِ إِلَّا سَلَامٌ^(٦)؛ كَمَا يُكْفَأُ الْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ^(٧).
أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ^(٨)؛ وَلَمْ يُعَذِّبْكُمْ مِنْ أَنْ يَتَتَلَيْكُمْ، وَقَدْ
قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ)^(٩).
قال السيد رحمه الله تعالى^(١٠):

أَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كُلُّ مُؤْمِنٍ نَوْمَةٌ» فَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ «الْخَامِلَ الذَّكْرَ الْقَلِيلَ الشَّرَّ،
وَالْمَسَايِخُ»: جَمْعُ مَسِيحٍ؛ وَهُوَ الَّذِي يَسِيحُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْفِسَادِ وَالنَّمَائِمِ، وَ«الْمَذَايِخُ»:

(١) في هـ: نومة: لا يلتفت إليه، وفي الديوان والصحاح وغيرهما: «رجل نومة» - ساكنة
الواو -: ان الذي لا يؤبه به و«رجل نومة» مفتوحة الواو والنون: وهو كثير النوم، وفي الاصلاح
لابن السكيت: رجل نومه: كثير النوم، أي لا يؤبه به، وفي هـ ب: النومة بتشديد الواو: الرجل
الضعيف، والنومة بفتح الواو: كثير النوم. (٢) في هـ ب: السرى: سبر الليل.

(٣) جمع مسباح، وهو من يسبح بين الناس بالفساد والنميمة.

(٤) جمع مذياخ، وهو من بفسى السر ويلغو.

(٥) في هـ ص: ذكر عليه السلام انه سيأتي على الدس زمان تنقلب فيه الأمور الدينية إلى نقائصها
وأضدادها. وقد شاهدنا ذلك عياناً، انتهى من الشرح.

(٦) في هـ ب: يكفأ لاسلام، أي يقلب كما يقلب الإناء، وذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ ... إلى قوله ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾، فاعتبر في
الطلاق حضور شاهدي عدل، ولم يعتبرهما في النكاح فقال: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ
النِّسَاءِ﴾ ولكن العامة جوزوه عقلاً ولم يجوزوه شرعاً ...

(٧) في هـ. ص: أي تعطل أحكام الدين وتضاع الشرائع. ذكر عليه السلام انه سيأتي على الناس زمان
تنقلب فيه الأمور الدينية إلى نقائصها وأضدادها، وقد شاهدنا ذلك عياناً، انتهى من الشرح.

(٨) في هـ. ب: أي انه تعالى لا يظلم، ولكن ربما يظلم بعضكم بعضاً، فلا يدفعه الجاء، ثم ينتصف
حتى للشاة الجماء من القرناء، وهذا إملاء.

(٩) المؤمنون: ٢٣/٣٠.

(١٠) لم ترد «قال السيد رحمه الله تعالى» في ب ود.

جمعٌ مَذْيَاعٌ، وهو الذي إذا سَمِعَ لغيرِهِ بِفَاحِشَةٍ أَذَاعَهَا، وَنَوَّهَ^(١) بِهَا. وَ«الْبُدْرُ»: جمع بُدُورٍ^(٢)، وهو الَّذِي يَكْثُرُ سَفَهُهُ وَيَلْغُو مَنَظِقَهُ.

قال في الشرح: قوله ﷺ: «العالم مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ»:

من الأمثال المشهورة عنه ﷺ، ثم عَبَّرَ عن هذ المعنى بعبارة أُخْرَى، فصارت مثلاً أيضاً، وهي قوله ﷺ: «كفى بالمرء جهلاً ألاَّ يَعْرِفَ قَدْرَهُ»، ومن الكلام المروي عن أبي عبد الله الصادق ﷺ مرفوعاً: «ما هلك امرؤ عَرَفَ قَدْرَهُ»؛ رواه أبو العباس المبرد عنه في الكامل

قال: ثم قال أبو عبد الله ﷺ: وما أخالُ رجلاً يرفع نفسه فوق قدرها إلاَّ من خلل في عقله، انتهى^(٣).

قوله ﷺ: «وَكَلَّهَ اللهُ إِلَى نَفْسِهِ»:

أي لم يمدَّه بمعونته وألطافه. لعلمه أَنَّهُ لا يَنْجَعُ ذَلِكَ فِيهِ، وَأَنَّهُ لا يَنْجَذِبُ إِلَى الْخَيْرِ وَالطَّاعَةِ، وَلا يُوَثِّرُ شَيْءٌ مَا فِي تَحْرِيكِ دَوَاعِيهِ إِلَيْهَا، فَيَكِلُهُ اللهُ حِينَئِذٍ إِلَى نَفْسِهِ. والنجائر: العادل عن السمت، ولما كان هذا الشقيّ خابطاً فيما يعتقده ويذهب إليه مستنداً إلى الجهل وفساد النظر جعله كالسائر بغير دليل. انتهى من الشرح^(٤).

أقول: هو يشبر إلى طريقة علماء العامة - أهل المذاهب الذين يتكلمون في المسائل ويناضون مخالفهم تنوياً بمذاهبهم وتعصباً لها، لا نصرة للحق وتقريراً له - وتلك الطريقة معروفة منهم مشهورة، يعلمها من اطلع على أخبارهم.

«فحارث الدنيا» نصرة المذهب و«حارث الآخرة» نصرة الحق، والحارث: كل عمل يرجى منه فائدة، وأصله حارث الأرض بتثويرها.

قوله ﷺ: «كل نومة»:

(١) في هـ.ب: نوّه باسمه أي رفع ذكره، ونه: ارتفع.
(٢) في هـ.ب: مثل صبور وضبر.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٠٨.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٠٩.

قال ابن دريد: رجل نومة - بسكون الواو - : خامل الذكر، واستشهد عليه بهذا الكلام.

وقوله عليه السلام: «ان شهد لم يعرف وان غاب لم يفتقد»:

يشير عليه السلام إلى ان النجاة في زمان الفتن والتباس الحق بالخمول، وان يكون الشخص غير مقبول منه ولا مطلوب، وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما يشابه هذا الكلام، وهو: «رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبرّ قسمه»... وقوله عليه السلام: «ان يحبّ الأخفياء الأتقياء الأبرياء، الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى: يخرجون من كلّ غبراء مظلمة»، انتهى من الشرح ^(١).

واعلم ان لباب هذا ونحوه مما هو كثير الورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن أهل بيته؛ ان المؤمن ان تعلّقت به مصالح الخلق من الإمامة، وتعليم الدين، ونحوهما، خالط الناس بقدر ذلك. وان سقط عنه ذلك لقيام غيره، أو لإعراض الناس عنه وعدم القبول منه، كانت العزلة ولزوم العبادة خيراً له، وعلى هذه الطريقة كانت سيرة أمير المؤمنين عليه السلام والائمة من ولده. والله أعلم.

ومن خطبة له ﷺ: وقد تقدم مختارها بخلاف هذه الرواية: (١)

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْغَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا، وَلَا يَدْعِي نُبُوَّةً وَلَا وَحْيًا، فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مِنْ عَصَاهُ؛ يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنَاجِئِهِمْ^(٢)، وَيُبَادِرُ بِهِمْ السَّاعَةَ^(٣) أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ؛ يَحْسِرُ^(٤) الْخَسِيرُ، وَيَقِفُ الْكَسِيرُ؛ فَيَقِيمُ^(٥) عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتُهُ؛ إِلَّا هَالِكًا لَا خَيْرَ فِيهِ، حَتَّى أَرَاهُمْ مَنَاجِئَهُمْ، وَبَسْوَائِهِمْ^(٦) مَحَلَّتَهُمْ، فَاسْتَدَارَتْ رِحَالُهُمْ، وَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقِئِهَا^(٧) حَتَّى تَوَلَّيْتُ بِخَذَائِفِهَا، وَاسْتَوْسَقْتُ^(٨) فِي قِيَادِهَا؛ مَا ضَعُفْتُ وَلَا جَبَنْتُ، وَلَا خُنْتُ وَلَا وَهَنْتُ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَا بُقْرُنَ^(٩) الْبَاطِلَ حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ!

قال الرضوي رحمه الله تعالى: (١٠)

وقد تقدم مختار هذه الخطبة؛ إلا أنني وجدت في هذه الرواية على خلاف ما سبق من زيادة ونقصان؛ فأوجبت الحال إثباتها ثانية.

(١) في الخطبة ٣٣.

(٢) في هـ.ب: قال ﷺ أنه نبي الرحمة يقيم في هذا السفر على كل واحد من أمته سواء ما كان معنى البدن أو مكسور الداية حتى يلحقه مقامه من الجنة إلا هالكاً خارجاً عن الملة...

وبلغ رسالته إلى الكل ...

(٣) في هـ.ب: أي يسابق ﷺ، يوخط أمته القيامة، وإن ينزل بدل من الساعة أي نزول الساعة.

(٤) في هـ.ب، وفي نسخة: فيحسر. (٥) في ب: ويقيم.

(٦) في هـ.ب: حتى بوائهم.

(٧) في هـ.ص: جمع سائق كقادة جمع قائد. وفي هـ.ب: أي مؤخرها وحرمتها.

(٨) في هـ.ب: أي لا شقن.

(٩) في هامش ب: أي اجتمعت.

(١٠) لم نرد «قال الرضوي رحمه الله تعالى» العبارة إلى آخرها لم نرد في أبي ب ص د.

ومن خطبة له عليه السلام:

حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ شَهِيداً وَنَذِيرًا وَنَذِيرًا، خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلاً، وَأَنْجَبَهَا كَهْلاً،
وَأَطَهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شَيْمَةً^(١)، وَأَمْطَرَ الْمُسْتَمْطِرِينَ دِيْمَةً^(٢).
فَمَا أَخْلَوْتُ^(٣) لَكُمْ الدُّنْيَا فِي لَذَّتِهَا، وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رِضَاعِ^(٤) أَخْلَافِهَا^(٥) إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا
صَادَقْتُمُوهَا^(٦)، جَانِباً^(٧) خِطَامُهَا^(٨)، قَلَقاً^(٩) وَضِيئَةً^(١٠)، قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ
السَّدْرِ^(١١) الْمَخْضُودِ^(١٢)، وَحَلَالُهَا بَعِيدٌ عَنْ مَوْجُودٍ، وَصَادَقْتُمُوهَا - وَاللَّهِ - ظِلًّا مَمْدُوداً إِلَى
أَجَلٍ مَعْدُودٍ، فَالْأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ^(١٣)، وَأَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ، وَأَيْدِي الْقَادَةِ^(١٤) عَنْكُمْ^(١٥)
مَكْفُوفَةٌ، وَسُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلَّطَةٌ، وَسُيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ.

(١) في هـ.ب: أي خلقا.

(٢) الديمة: المطر يدوم، والمستمطر: من يطلب المطر.

(٣) في هـ.ص: أي ذقتموها حلوة، وفي هـ.ب: أي ما صارت حلوة جداً هذه الدنيا يا بني آدم.

(٤) في هـ.ص: الرضاع - بفتح الراء - بمعنى الارتضاع، مصدر رضع.

(٥) في هـ.ب: الخلف - بالكسر - : حلمة ضرع الناقة.

(٦) في هـ.ب، وفي نسخة: صادفتموها: أي وجدتموها.

(٧) في هـ.ب: من الجولان. (٨) في هـ.ب: أي زمامها.

(٩) في هـ.ب: أي مضطربة.

(١٠) في هـ.ص: الوضين: حزام السرج والقتب، وفي هـ.ب: وضيتها: حزامها، وهو سيور

منسوجة بعضها على بعض مضاعفة، وهو كالنسيج إلا أنه يتخذ للهودج.

(١١) في هـ.ب: شحر معروف.

(١٢) في هـ.ص: خضد الصدر: ذهب شكوه، وفي هـ.ب: المخضود: الذي خضد شوكة، أي قطع.

(١٣) في هـ.ص: أي خالية كأنه يريد خالية مما يمنع من القبيح، وفي هـ.ب: أي خالية، من شجر

البعد، أي حلا

(١٤) في هـ.ص: يعني أهل البيت عليه السلام (من الشرح).

(١٥) في هـ.د: منكم - ف

أَلَا وَإِنَّ^(١) لِكُلِّ دَمٍ ثَائِرًا^(٢)، وَلِكُلِّ حَقٍّ طَالِبًا، وَإِنَّ الثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ^(٣)، وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ، وَلَا يَقْوَتُهُ مِنْ هَرَبَ، فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ - يَا بَنِي أُمَيَّةَ - عَمَّا قَلِيلٍ لَتُغْرِقُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ^(٤)، وَفِي دَارِ عَذُوكُمْ^(٥).

أَلَا إِنَّ أَبْصَرَ الْأَبْصَارِ مَا نَقَذَ فِي الْخَيْرِ طَرْفُهُ، أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ الْأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّدْكِيرَ وَقَبْلَهُ. أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَصْبِحُوا^(٦) مِنْ شُعْلَةٍ مِصْبَاحٍ وَاعِظْ مُتَعِظٌ^(٧)، وَأَمْتَاخُوا^(٨) مِنْ صَفْوٍ عَيْنٍ^(٩) قَدْ رُوِّقَتْ^(١٠) مِنْ الْكَدَرِ^(١١).

عِبَادَ اللَّهِ، لَا تَرْكُوا^(١٢) إِلَى جَهَالَتِكُمْ، وَلَا تَنْقَادُوا لِأَهْوَائِكُمْ^(١٣)؛ فَإِنَّ النَّازِلَ بِهَذَا^(١٤) الْمَنْزِلِ^(١٥) نَازِلٌ بِشَفَاجُوفٍ^(١٦) هَارٍ^(١٧)، يَنْقُلُ^(١٨) الرَّدَى عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ^(١٩) لِرَأْيٍ يُحَدِّثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ، يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ^(٢٠) مَا لَا يَلْتَصِقُ، وَيَقْرَبَ مَا لَا يَتَقَارَبُ. فَإِنَّ اللَّهَ أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لَا يُشْكِي^(٢١) شَجْوَكُمْ^(٢٢)، وَلَا يَنْقُضُ^(٢٣) بَرَاهِهِ مَا قَدْ أَبْرَمَ

(١) في د: الاران. (٢) ثأره: أي طلب بدمه وقتل قاتله.

(٣) أي ان الطالب بدمائنا لا يحكم عليه غيره.

(٤) في هـ ب: ويعلم من فحوى الكلام ان الامر لبني أمية لا يرجع إلى آل محمد.

(٥) في هـ ب: أي دار بني العباس وفي أيدي غيرهم.

(٦) في هـ ص: أي أوقدوا مصابيحكم، يعني بصائرهم من نور هادي مهتدي.

(٧) في هـ ص: يعني نفسه (من الشرح).

(٨) في هـ ص: أي اغترفو، وفي هـ ب: أي استقوا.

(٩) في هـ ص: يعني نفسه (من الشرح). (١٠) في هـ ص: أي صفيت.

(١١) في هـ ص: أي فساد العلم. (١٢) في هـ ب: أي لا تميلوا.

(١٣) في هـ د: إلى أهوالكم - ض ح (١٤) في ب: هذا، وفي هـ ب، وفي نسخة: بهذا.

(١٥) في هـ ص: إشارة إلى محصول قوله: «لا تركنوا... الخ». وفي هـ ب: أي الجهالة والهوى.

(١٦) في هـ ب: طرف موضع مخوفة لسقوط، أي ما يسقط من قام عليه.

(١٧) في هـ ب: هار مقلوب من هابر، كقولهم: شاك السلاح وشائك السلاح، وفسر هار بساقط.

(١٨) في هـ ص: أي ما يملأ أوزار متبعية ويذيع البدعة.

(١٩) في هـ ص: أي يرتب رأيا فاسداً على رأي فاسد.

(٢٠) في هـ ص: أي يحتج للباطل.

(٢١) في ب: لا يبيكي، وفي هـ ب: في نسخة: لا يشكي، أي من لا يزيل الشكاية، أي خافوا الله

لَكُمْ، إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ الْإِبْلَاجُ فِي الْمَوْعِظَةِ، وَالْإِجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ، وَالْإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحَقِّيَّهَا، وَإِصْدَارُ السُّهُمَانِ^(٢٤) عَلَى أَهْلِهَا، فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبِيِّهِ^(٢٥) وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا^(٢٦) بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَثَارِ^(٢٧) الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، وَأَنْهَوْا^(٢٨) عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ، فَإِنَّمَا أَمْرُكُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي. قوله عليه السلام: «فما احلّولت لكم ... إلى آخر كلامه»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: يعني إنّ الله صان نبيه ﷺ في أيام حياته عن أن يفت عليه الدنيا، وأكره عن ذلك فلم تُفْتَحْ عليكم البلاد، ولا دَرَّتْ عليكم الأموال، ولا أُقْبِلَتْ الدنيا نحوكم؛ وما دالت الدولة لكم إلا بعده، فتمكّنتم من أكلها والتمتع بها، كما يتمكّن الحالب من احتلاب الناقة فيحلبها، وحلت لذاتها لكم، واستطبت العيشة، ووجدتموها حلوة خضرة.

ثم ذكر نهم صدفوها - يعني لدنيا - وقد صعبت على من يليها ولاية حق، كما تستصعب الناقة على راكبها إذا كانت جائلة الخطام؛ ليس زمامها بممكن راكبها من نفسه، قلقّة الوضين، لا يثبت هودجها تحت الراكب، حرامها سهل التناول على من يريده، كالسدر الذي خُضِدَ عنه شوكه، فصار ناعماً أملس، وحلالها غير موجود لغلبة الحرم عليه؛ وكونه صار مغلوباً^(٢٩) مستهلكاً بالنسبة إليه.

وهذا إشارة إلى ما كان يقوله دائماً من استبداد الخلفاء قبله دونه بالأمر، وأنّه كان

→ أن ترفعوا شك ينكم من حالتكم المحزنة إلى من لا [يهّمه أمركم]، وفي هـ.ص: اشكيت: أزلت شكواه.

(٢٣) في ب: ومن ينقص، وفي هـ.ص، وفي نسخة: ومن ينقض.

(٢٤) السهمان: الحط والنصيب، وإصدار السهمان: إعادتها إلى أهلها.

(٢٥) في هـ.ص: تصويح النبت: ييسه، وكُنِّيَ به عن موته عليه السلام. وفي هـ.ب: أي بادروا العلم واطلبوه قبل ذهابه، ونصويح النبت: استعارة، وبقل: صوحت الريح النبت: أي أيسسته.

(٢٦) في هـ.ص: تشغلوا بما يثور من الفتن.

(٢٧) الاستثارة: كَلَبُ الثور، وهو السطوع والظهور، وفي هامش ب: أي موضع الاستيثار.

(٢٨) في د: وانهاؤا غيركم. (٢٩) في ط: مغموراً.

الأولى والأحق.

فإن قلت: إذا كانت الدنيا قَلِقة الوضين، جائلة الخُطام، فهي صَعْبَةُ الركوب؛ وهذا ضدُّ قوله: «حرامها بمنزلة السدر المخضود»، لأَنَّهُ من الأمثال المضروبة للسهولة!

قلت: فحوى كلامه أَنَّ الدنيا جمحت به ﷺ، فألقته عن ظهرها بعد أن كان راكباً أو كالراكب^(١)؛ لاستحقاقه ركوبها، وأنها صارت بعده كالناقة التي خَلَعَتْ زمامها، أو أجالته، فلا يتمكن راکبها من قبضه، واسترخى وَضِينُهَا لشِدَّة ما كان صدر عنها من النفار والتفخُّم؛ حتى أذرت راکبها، فصارت على حالٍ لا يركبها إلا من هو موصوف بركوب غير طبعي، لأنَّه ركب ما لا ينبغي أن يركب؛ فالذين وُلِّوا أمرها وُلِّوه على غير الوجه، كما أن ركب هذه الناقة يركبها على غير الوجه؛ ولهذا لم يقل: «فصار حرامها بمنزلة السدر المخضود» بل قال: «عند أفوام»، فخصَّص.

وهذا الكلام كُلُّه محمول عند أصحابنا على التألم من كون المتقدمين تركوا الأفضل، كما قدمناه في أول الكتاب، انتهى^(٢).

ولا يخفى ما في تفسيره من النبوة، وما في الكلام معه من القلق والتدافع، والذي يظهر لي: أن مخرج الكلام مخرج التنبيه على ما كان وقع من الفساد في هذه الأمة، وما سيقع بعده وعلى سببه. فقال ﷺ: إن الناس لم يذوقوا حلاوة الدنيا في زمن رسول الله ﷺ؛ لأنَّه كان مدبراً للأمر تدبيراً شرعياً، موقفاً للأموال مواقعها، لا ينال أحد إلا حقه، فلما مات ﷺ ولم يَلِ الأمر من هو شبهه، مستحق له استحقاقه - أي: بجعل الرب العالم بالمصالح - صادف الناس الدنيا سدىً مهملة، فقوله: «جائلا خطامها، قلقا وضينها» كناية عن أَنَّهُ لا مدبر لها شرعي يشبها ويهيئها، كما قال ﷺ: «إنك لقلق الوضين ترسل في غير سدد»^(٣)، فهو يكتفي به عن عدم الثبات، وعدم إيقاع الأمور في مواقعها.

ثم ذكر أن الله جعلها لهم على هذه الصفة بلوىً واستدراجاً، بقوله: «وصادفتموها والله ظلاً ممدوداً... إلى آخره»:

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٢٠.

(١) في ط: راكبها أو كالراكب لها.

(٣) في الخطبة ١٦٢.

ثم انه عليه السلام بيّن ما أجمل فقال: «الأرض لكم شاغرة ... إلى آخره»:
وكل هذا تبيين؛ لأنّ كل ما وقع من فساد في عصره وفي الأعصار بعده من التباس
الحق بالباطل، وغلبة الحرام على الحلال، ومنع الهادين من هداية الضالين، وقتل الآمرين
بالقسط من الناس سببه انه لم يلي الأمر من جعله الله له ولياً. وقد ذكر عليه السلام هذا المعنى في
كلامه كثيراً مصرحاً مكنياً، والله أعلم.

ثم انه عليه السلام لما ذكر ان الامة تقتل أهل البيت في الأعصار [القادمة] ^(١) تبّهم على انهم
وإن رأوا دما ثهم مطلولة ^(٢) في الدنيا لا نائر لها، فإن لها طالباً يحاسبها حقاً من حقوقه
يطلبها مع حقوقه، والله أعلم.

وقوله عليه السلام: «استصبحوا»:

قال في الشرح: أي: أمرهم عليه السلام أن يستصبحوا، أي يسرجوا مصايحهم من شعلة سراج
متعظ في نفسه واعظ لغيره؛ وروي بالإضافة من «شعلة مصباح واعظ» بإضافة «مصباح»
إلى «واعظ»؛ [وإنما جعله متعظاً واعظاً؛ لأن من لم يتعظ في نفسه فبعيد أن يتعظ به غيره؛
وذلك لأنّ لقبول لا يحصل منه، والأنفس تكون نافرة عنه، ويكون داخلاً في حيّز قوله
تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ ^(٣) وفي قول الشاعر:

❖ لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ ^(٤) ❖

وعنى بهذا المصباح نفسه عليه السلام. ^(٥)

ثم أمرهم أن يمتاحوا من عين صافية قد انتفى عنها الكدر، كما يروّق الشراب
بالراووق، فيزول عنه كدره؛ والامتياح: نزول البئر وملء الدلاء منها، ويكني بهذا أيضاً
عن نفسه عليه السلام.

(١) الزيادة اقتضاها السياق. (٢) الدم الطليل: المهدور، الذي لم يثار له.

(٣) البقرة: ٤٤/٢

(٤) لأبي الأسود الدؤلي، وتماه:

❖ عَارُ عَيْنِكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ ❖

البيت من شواهد المغني، انظر شرح شواهد المغني ٢٦٤.

(٥) ما بين المعقوفتين من ط، انظر شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٦٨.

ثم نهاهم عن الانقياد لأهوائهم والميل إلى جهالتهم، وقال: إنَّ من يكون كذلك، فإنَّه على جانب جُرْفٍ مستهدم، ولقطة «هارٍ» من الألفاظ القرآنية^(١).

ثم قال: ومَنْ يكون كذلك، فهو أيضاً ينقل الهلاك على ظهره من موضع إلى موضع؛ ليُحدث رأياً فاسداً بعد رأي فاسد، أي هو ساعٍ في ضلال يروم أن يحتجّ لما لا سبيل إلى إثباته، ويتصر مذهباً لا انتصار له.

ثم نهاهم وحذّروهم أن يشكّوا إلى مَنْ لا يزيل شكائهم ومَنْ لا رأي له في الدين ولا بصيرة؛ لينقض ما قد أبرمه الشيطان في صدورهم لإغوائهم. ويروى: «إلى من لا يشكي شجّوكم، ومَنْ ينقض برأيه ما قد أبرم لكم»؛ وهذه الرواية أليق، أي لا تشكّوا إلى مَنْ لا يدفع عنكم ما تتسكون منه؛ وإنما ينقض برأيه الفاسد ما قد أبرمه الحق والشرع لكم.

ثم ذكر أنّه ليس على الإمام إلا ما قد أوضحه من الأمور الخمسة.

ثم أمرهم بمبادرة أخذ العلم من أهله - يعني نفسه ﷺ - قبل أن يموت، فيذهب العلم. وتصويح الثبّت، كناية عن ذلك.

ثم قال: وقبل أن تشغلّوا بالفتن وما يحدث عليكم من خطوب الدنيا عن استشارة العلم من معدنه واستنباطه من قرارته.

ثم أمرهم بالتهي عن المنكر، وأن يتناهاوا عنه، انتهى من الشرح مع اختصار في اللفظ وإكمال المعنى^(٢).

أقول: ومضمونه، حتمه ﷺ أخذ العلم عنه، والرجوع في حل المشكلات إليه، وحكم آله في ذلك حكمه - كما أشار إليه في مواضع - لأخذهم العلم عنه، وإجماعهم على وجوب اتباعه وحرمة مخالفته.

ومنه ﷺ أخذ علم التأويل وحل المشكلات عن غيره، وغير الآخذين عنه، وعلى هذا إجماع المتقدمين من أئمة أهل البيت، لا يقبلون في موضع التشابه والإشكال إلا ما

(١) من قوله تعالى في سورة النوبة: ١٠٩/٩ «أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَقَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارُ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ».

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٦٨ و ١٦٩.

صحّ عن عليّ عليه السلام انه قاله أو عمل به أو رواه، ويطرحون ما عداه.
وهذا هو الذي امر به النبي ﷺ في احاديث كثيرة تواتر معناها واستفاض أكثرها، وفي علوم آل محمّد - أمالي أحمد بن عيسى -: سمعت أبا الطاهر العلوي يذكر، قال: إذا سمعت حديثين وثبتا عندي، حديث عن النبي ﷺ وحديث عن علي، أخذت بالحديث الذي عن علي؛ لأنّه كان أعلم الناس بآخر ما كان عليه النبي ﷺ، انتهى.
وفيه أيضاً: حدثني حمزة بن أحمد، عن عمه عيسى بن عبدالله عن أبيه - عبدالله بن محمّد -، قال: خُليطَ عليّ قوم من أصحابنا في شيء من أمر الحج، قال: فاستأذنت عليّ جعفر بن محمّد، فأدخلت عليه، قال: قلت: ان قوماً من أصحابنا خلطوا عني في شيء من أمر الحج.

قال: فقال لي: أليس قد أدركت أباك وسمعت منه؟

قال: قلت: بلى.

قال: ورأيت خالك محمّد بن علي وسمعت منه؟ ورأيت خالك زيد بن علي وسمعت منه؟ وعدد عليّ رجالاً من أهلنا ...

قال: كل ذلك قول: بلى.

قال: فقال لي: فانظر لي ما سمعت منهم فخذ به، وما سمعت من غيرهم فارم به، تهتدي، انتهى.

وقال زيد بن علي في جوابه لمن سأله ما لفظه: وكتبت اليّ تسألني عن أهل بيتي وعن اختلافهم، فاعلم رحمك الله ان أهل بيتي فيهم المصيب وفيهم المخطيء، غير أنّه لا يكون هداة الأمة إلّا منهم، فلا يصرفك عنهم الجاهلون، ولا يزهدك فيهم الذين لا يعلمون، وإذا رأيت الرجل منصرفاً عن هديتنا زاهداً في علمنا راغباً عن مودّتنا، فقد ضل - لا شك - عن الحق، وهو من المبطلين الضالين، وإذا ضل الناس عن الحق لم يكن الهداة إلّا منا، انتهى.
وقال الناصر للحق الحسن بن علي - فيما حكاه عنه صاحب «المسفر» -: والله أدلة على الحوادث، على المكلف أصابتها، التي الأمة فيها على سواء، فأما ما سوى هذه الأصول من الأحكام في الحوادث النازلة التي يسوغ فيها الاجتهاد؛ إذ لا نص عليها من

كتاب ولا سئة ولا اجماع من الأمة والائمة، فالاجتهاد فيها إلى علماء آل الرسول دون غيرهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ، وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾، انتهى.

وقال محمد بن القاسم - في «شرح دعائم الايمان» -: فاولئك هم الذين أمر بطاعتهم، وهم العترة الطاهرون من أهل بيته عليه السلام، أقامهم ائمة يهدون بأمره، وأمر الخلق كلهم أن يسألوهم إذا جهلوا، وإن يردوا إليهم ما اختلفوا فيه؛ لأنهم أهل الاستنباط والبحث والنظر الذين أمر الله بالرد إليهم، انتهى.

وللهادي يحيى بن الحسين عليه السلام كلام في هذا المعنى في خطبة كتابه «الاحكام» أكد شديد، وهو طويل، وشهرته يغني عن نقله، ويغني عن نقل كلام كل امام: ان أبا طالب يحيى بن الحسين الهاروني عليه السلام نقل اجماع أهل البيت رجلاً، زيدي وامامي، فأما الامامية فمعلوم من مذهبهم انهم لا يسوون لأحد مخالفتهم في أقوالهم ويضللون مخالفيهم فيها.

واما علماء الزيدية وأئمتهم فقد نصّوا على تخطئة من يخالف جماعة أهل البيت وذمّهم، ووصفهم بأنهم عدلوا عن الطريق الذي قد أمروا بسلوكه وخالفوا الحق الذي لزمهم الاقتداء به - من مذهب أهل البيت الذي قد أمروا بسلوكه - وخالفوا الحق الذي لزمهم الاقتداء به من مذهب أهل بيت رسولهم صلى الله عليه وآله، ونقلوا هذا القول خلفاً عن سلف^(١).

وممن اسمع هذا القول في هذا الباب وبسطه، الهادي إلى الحق أبو الحسين يحيى بن الحسين بن القاسم في خطبة كتاب «الأحكام» والقاسم بن إبراهيم، وقد ذكرا - أيضاً - ما يدل على هذا في غير موضع، وكذلك أحمد بن عيسى بن زيد، وغيرهم من ائمة الزيدية، انتهى كلامه.

وخلاصة ذلك ما حققه الامام المنصور بالله القاسم بن محمد في «الاساس»، رواه عن جمهور ائمتنا عليهم السلام قال فيه: من خالف مجتهد العترة عمداً، وهو عالم بمخالفته لهم، أو

(١) أي متواتراً عن هذه النسخة.

أخذ عن غيرهم، أوشك في الاصول - أي: اصول الدين أو اصول الفقه، غير طريقهم عمداً أيضاً لتفرّع كثير من الخلافات عليه - أي: على ذلك الاصل -، فهو آثم واجتهاده حضراً - أي محرم عليه -، لآية التطهير وخبري: «السفينة» و«اني تارك فيكم ... ولا تخالفوهم فتضلوا» ونحو ذلك.

ومن أخطأ أو سها بعد التحري - أي: لا لأمر يخالف أقوال العترة كلها -، فمعذور؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾^(١)، وقوله ﷺ: «رفع عن امتي الخطأ والنسيان»، انتهى من الأساس وشرحه.

أقول: ومبنى هذا الأصل على تحقيق أدلة اجماع أهل البيت وحجية مذهب الوصي، فمن تحققها حقق هذا الأصل، ومن عشي عنها عمي عن هذا الأصل، لكن كثيراً من متأخري أصحابنا عشقوا مذاهب المخالفين، «وحبّك للشيء يعمي ويصم»، والله المستعان.

وقال السيد هادي بن إبراهيم بن الوزير - فيما رواه عنه حفيده السيد إبراهيم بن محمد ﷺ -:

وأوصي كل زيدي بترك	لعلمهم وإن عذب الورود
إذا ولغت كلاب السوء ماءً	تحامته على العطش الاسود

ومن خطبة له ﷺ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ^(١) لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ^(٢) عَلَى مَنْ غَالَبَهُ؛ فَجَعَلَهُ أَمْنًا لِمَنْ عَلِقَهُ، وَسَلَامًا لِمَنْ دَخَلَهُ، وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ^(٣)، وَنُورًا لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِ، وَفَهْمًا لِمَنْ عَقَلَ، وَلُبًّا لِمَنْ تَدَبَّرَ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وَتَبَصَّرَةً لِمَنْ عَزَمَ، وَعِبْرَةً لِمَنْ اتَّعَظَ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ، وَجَنَّةً لِمَنْ صَبَرَ.

فَهُوَ^(٤) أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ^(٥)، وَأَوْضَحُ الْوَلَايِجِ؛ مُشْرِفُ الْمَنَارِ، مُشْرِقُ الْجَوَادِّ، مُضِيءُ الْمَصَابِيحِ، كَرِيمُ الْمِضْمَارِ^(٦)، رَفِيعُ الْغَايَةِ، جَامِعُ الْحَلَبَةِ^(٧)، مُتَنَافِسُ السُّبُقَةِ، شَرِيفُ الْفُرْسَانِ.

التَّصْدِيقُ مِنْهَاجُهُ، وَالصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ، وَالْمَوْتُ غَايَتُهُ، وَالْدُّنْيَا مِضْمَارُهُ، وَالْقِيَامَةُ حَلَبَتُهُ، وَالْجَنَّةُ سُبُقَتُهُ.

منها في ذكر النبي ﷺ:

-
- (١) في هـ.ب: سهل مشرعة للواردين.
 (٢) في هـ.ب: عزيز: شديد ركنه للغالبين، ثم قال: انه تعالى جعل الاسلام سبباً لأربعة عشر شيئاً من الرغائب، ثم قال: فهو أبلج المناهج.
 (٣) في ط: خاصم عنه، وفي هـ.د: لمن خاصم عنه - ح .
 (٤) في هـ.ب: «هو» ضمير الاسلام، ووصفة عشرة أشياء من الممادح، ثم عدّ من خصائص الاسلام ستة اشياء.
 (٥) في هـ.ب: أي معروف الطرق.
 (٦) في هـ.ب: المضمار: الموضع الذي يضر فيه الخيل.
 (٧) في هـ.ب: الحلبة - بالتسكين - : حبل يجمع للسبا [كذا] لا تخرج من اصطبل واحد.

أخذ عن غيرهم، أوشك في الاصول - أي: اصول الدين أو اصول الفقه، غير طريقهم عمداً أيضاً لتفرّع كثير من الخلافات عليه - أي: على ذلك الاصل -، فهو آثم واجتهاده حضراً - أي محرم عليه -، لآية التطهير وخبري: «السفينة» و«اني تارك فيكم ... ولا تخالفوهم فتضلوا» ونحو ذلك.

ومن أخطأ أو سها بعد التحري - أي: لا لأمر يخالف أقوال العترة كلها -، فمعذور؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾^(١)، وقوله ﷺ: «رفع عن امتي الخطأ والنسيان»، انتهى من الأساس وشرحه.

أقول: ومبنى هذا الأصل على تحقيق أدلة اجماع أهل البيت وحجية مذهب الوصي، فمن تحققها حقق هذا الأصل، ومن عشي عنها عمي عن هذا الأصل، لكن كثيراً من متأخري أصحابنا عشقوا مذاهب المخالفين، «وحبك للشيء يعمي ويصم»، والله المستعان.

وقال السيد هادي بن إبراهيم بن الوزير - فيما رواه عنه حفيده السيد إبراهيم بن محمد ﷺ -:

وأوصي كل زيدي بترك	لعلمهم وإن عذب الورود
إذا ولغت كلاب السوء ماءً	تحامته على العطش الاسود

ومن خطبة له عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ ^(١) لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ ^(٢) عَلَى مَنْ غَالَبَهُ؛ فَجَعَلَهُ أَمْنًا لِمَنْ عَلِقَهُ، وَسَلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ، وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ ^(٣)، وَنُورًا لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِ، وَفَهْمًا لِمَنْ عَقَلَ، وَلُبًّا لِمَنْ تَدَبَّرَ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وَتَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ، وَعِبْرَةً لِمَنْ اتَّعَظَ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ، وَجَنَّةً لِمَنْ صَبَرَ.

فَهُوَ ^(٤) أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ ^(٥)، وَأَوْضَحُ الْوَلَايِجِ؛ مُشْرِفُ الْمَنَارِ، مُشْرِقُ الْجَوَادِ، مُضِيءُ الْمَصَابِيحِ، كَرِيمُ الْمِضْمَارِ ^(٦)، رَفِيعُ الْغَايَةِ، جَامِعُ الْحَلَبَةِ ^(٧)، مُتَنَافِسُ السُّبُقَةِ، شَرِيفُ الْفُرْسَانِ.

التَّصْدِيقُ مِنْهَاجُهُ، وَالصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ، وَالْمَوْتُ غَايَتُهُ، وَالذُّنُوبُ مِضْمَارُهُ، وَالْقِيَامَةُ حَلَبَتُهُ، وَالْجَنَّةُ سُبُقَتُهُ.

منها في ذكر النبي ﷺ:

(١) في هـ.ب: سهل مشرعة للواردين.

(٢) في هـ.ب: عزيز: شديد ركنه للغالبين، ثم قال: انه تعالى جعل الاسلام سبباً لأربعة عشر شيئاً من الرغائب، ثم قال: فهو أبلج المناهج.

(٣) في ط: باخاصم عنه، وفي هـ.د: لمن خاصم عنه - ح.

(٤) في هـ.ب: «هو» ضمير الاسلام، ووصفة عشرة أشياء من الممادح، ثم عدّ من خصائص الاسلام ستة اشياء. (٥) في هـ.ب: أي معروف الطرق.

(٦) في هـ.ب: المضممار: الموضع الذي يضر فيه الخيل.

(٧) في هـ.ب: الحلبة - بالتسكين - : حبل يجمع للسبا [كذا] لا تخرج من اصطبل واحد.

حَتَّى أَوْزَى قَبْسًا لِقَابِسٍ^(١)، وَأَنَارَ عِلْمًا لِحَابِسٍ^(٢)، فَهُوَ أَمِينُكَ^(٣) الْمَأْمُونُ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وَبِعَيْتِكَ نِعْمَةً، وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً^(٤).

اللَّهُمَّ أَقْسِمُ لَكَ مَقْسَمًا مِنْ عَدْلِكَ، وَأَجْزِهِ مُضَعَّفَاتٍ^(٥) الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ، اللَّهُمَّ وَأَعْلَى عَلَى بِنَاءِ الْبَنَانِينَ بِنَاءَهُ، وَأَكْرَمَ لَدَيْكَ نُزُلَهُ، وَشَرَفَ عِنْدَكَ مَنَزِلَهُ، وَآتِهِ الْوَسِيلَةَ، وَأَعْطِهِ السَّنَاءَ وَالْفَضِيلَةَ، وَأَحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ، غَيْرَ خَزَايَا^(٦) وَلَا نَادِمِينَ، وَلَا نَاكِبِينَ وَلَا نَاكِثِينَ، وَلَا ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ^(٧)، وَلَا مَفْتُونِينَ!

قال الرضي رحمه الله تعالى^(٨):

وَقَدْ مَضَى هَذَا الْكَلَامُ فِيمَا تَقَدَّمَ^(٩)، إِلَّا أَنَّنَا كَرَّرْنَاهُ هَاهُنَا لِمَا فِي الرَّوَايَتَيْنِ مِنَ الْاِخْتِلَافِ.

ومنها^(١٠) في خطاب أصحابه^(١١):

وَقَدْ بَلَّغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَكُمْ مَنَزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ، وَتَوْصَلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ، وَتُعْظَمُكُمْ مَنْ لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ، وَلَا يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ، وَيَهَابُكُمْ مَنْ لَا يَخَافَ لَكُمْ سَطْوَةً، وَلَا لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةٌ.

(١) في هـ ب: قبسا لقابس، وري: أي استخرج الدر من الزند، والقبس: شعلة من نار، والقابس: طالب النار من الغير، ان ياخذها.

(٢) في هـ ب، وفي نسخة: لحافظ، ويحتمل ان تكون هذه الكلمة تفسيرا «لحابس»، وفي هـ ب: ولحابس: من يحبس فرسه في سبيل الله.

(٣) في هـ ب: امينا للعلم الذي يحبس نفسه على الله، فأشار أولاً إلى العلم، ثم أوما إلى الجهاد بالقرينة الثانية. (٤) في هـ ب، وفي نسخة: رحمة للعالمين.

(٥) في د: مضاعفات، وفي هـ ب: أي مضاعفات.

(٦) في هـ ب: خزايا فعالهم، ويجمع «فعالان» مكسور ... نحو سكران وسكاري، وجبران وجباري، فجعلها المذكر ... خزيان ونحو مشبها بصحراء وصحاري.

(٧) لم ترد «ولا مضلين» في ب.

(٨) لم ترد «قال الرضي رحمه الله تعالى» في ب ود، والعبارة إلى آخرها لم ترد في أ وب ود.

(٩) في الخطبة: ٧٢. (١٠) في د: منها.

(١١) في هـ ب: فخاطب ﷺ أصحابه فقال: ان الله اعطاكم خير منزلة من الاكرام يعزون يعظم جاركهم ومملوككم، لا لفضل فيكم، أو تفضل منكم، أو هيبة.

وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ اللَّهِ مَنقُوضَةً فَلَا تَغْضَبُونَ، وَأَنْتُمْ ذِمَّةُ آبَائِكُمْ تَأْتُونَ^(١)، وَكَانَتْ أُمُورُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ، وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ، وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ، فَمَكَّنْتُمُ الظَّلْمَةَ مِنْ مَنَزِلَتِكُمْ، وَالْقَيْشُ إِلَيْهِمْ أَرَمْتَكُمْ، وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللَّهِ فِي أَيْدِيهِمْ، يَعْمَلُونَ^(٢) بِالشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ^(٣) فِي الشَّهَوَاتِ. وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ^(٤)، لَجَمَعَكُمْ اللَّهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ^(٥)!

قوله ﷺ: «قد بلغت من كرامة الله لكم... إلى قوله: أمره»:
يريد ﷺ أن هذه المنزلة كانوا يستحقونها وثبتت لهم لو واضبوا على تثبيتها، وهو نصرة أهل بيت نبيهم والجهاد معهم.
وقوله ﷺ: «وكانت أمور الله... إلى قوله: فمكنتم الظلمة»:
يحتمل أنه عني به حالهم في أول خلافته، وتمكينهم الظلمة من منزلتهم بتخاذلهم الذي هو سبب ذلك، فكان المسبب قد وقع.
ويحتمل أنهم كانوا يستحقون هذه المنزلة لو نصره بعد موت رسول الله ﷺ، ويكون توجيه الخطاب إلى من كان معه من الصحابة والتابعين لهم الذين قد عرفوا استحقاقه الأمر، وإن رسول الله ﷺ جعله له، وقد قل هذا مراراً.
وقوله ﷺ: «لجمعكم»:
الضمير لمطلق شيعته والذين تولوا قتل بني أمية مع بني العباس كانوا يغزون إلى الشيعة، والله أعلم.

(١) في هـ.ب: أي هذه عهود الله نقضها طلحة والزبير ومعاوية واتباعهم، وأنتم لا تغضبون، وإن نقض أحد ذمة آبائكم اخذتكم الأنفة والحمية، وها أنا فيما بينكم اعرض أمور الله عليكم ليلاً ونهاراً، فلم تنفع فيكم وصرت منقادين لمعاوية.

(٢) في ب: يعملون. (٣) في ب: يشيرون.

(٤) في هـ.ب: شبه بالكوكب لتفرق الكواكب فكذلك تفرقهم.

(٥) في هـ.ب: أي ليوم القيامة.

قلت: ولعل هذا إشارة إلى تهجير أصحاب أهل البيت ﷺ واتباعهم في الأرض، كما حصل للكثير من الشيعة في العراق. ولعل اليوم الذي وعده ﷺ هو يوم الوقت المعلوم المنتظر لفرج الشيعة، عجل الله لهم الفرج.

ومن خطبة^(١) له عليه السلام في بعض أيام صفين^(٢):

وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ وَأَنْحِيَا زَكُمُ^(٣) عَنْ صُفُوفِكُمْ، تَحُوزُكُمْ الْجَفَاةُ^(٤) الطَّغَامُ^(٥)، وَأَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَنْتُمْ لَهَا مِيمُ^(٦) الْعَرَبِ، وَيَأْفِيخُ^(٧) الشَّرَفِ، وَالْأَنْفُ الْمُقَدَّمُ، وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ. (وَعُبَادُ اللَّيْلِ فِي تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ^(٨)) وَأَهْلَ دَعْوَةِ الْحَقِّ إِذْ ضَلَّ عَنْهَا الْخَاطِطُونَ، فَلَوْلَا إِقْبَالُكُمْ بَعْدَ إِذْبَارِكُمْ، وَمَكْرُكُمْ بَعْدَ أَنْحِيَارِكُمْ لَوَجَبَ عَلَيْكُمْ مَا وَجَبَ عَلَى الْمُؤَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ دُبْرُهُ^(٩)، وَلَكُنْتُمْ مِنَ الْهَالِكِينَ^(١٠)، وَلَقَدْ شَفَى^(١١) وَخَاوَحَ^(١٢) صَدْرِي أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِآخِرَةٍ^(١٣)

(١) في د: كلام.

(٢) في هـ. ب: خاطب أصحابه بصفين، فقال: كيف لا تغضبون وأنتم سادة العرب وجمعتكم لإذلال أهل الشام، إلا أن قلبي طاب مرة حين ضيقتهم الأمر عليهم.

(٣) في هـ. ب: انحاز عنه العدل: انساق وذهب، يقال: انحاز القوم، إذا تركوا مراكزهم، والحوز والحيز: السوق اللبن، بقل: فد حاز لابل حوزا وتحيزا.

(٤) في هـ. ص: جمع جاف: وهو الذي لا يتأدب بآداب الشريعة.

(٥) في هـ. ب: في نسخة الطغاة، وفي هـ. د: الطغاة - ف. ع. وروي الطفة - ك. وفي هـ. ص: جمع طغم الذي لا فقه له، وفي هـ. ب: الذين لا عقول لهم.

(٦) في هـ. ص: اللهموم: الجواد من الناس والخيل، وفي هـ. ب: اللهميم: جمع اللهموم: الجواد الشريف، ويقال للسحاب: اللهميم ... ويكنى به «أبي لهميم» عن الشريف.

(٧) في هـ. ص: جمع يافوخ، أما بمعنى معظم الشيء أو مقدمه.

(٨) في هـ. ص: في نسخة ابن أبي الحديد: عمّر الليل بتلاوة القرآن قلت لعل نسخة ابن أبي الحديد كاتب محتوية على ذلك، ولم ترد العبارة في ط.

(٩) إشارة إلى قوله تعالى: «وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ إِلَّا مَنْ حَرَفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ...».

(١٠) ما بين القوسين من ص، وهو غير موجود في أوب و ط ود.

(١١) في ب: وقد شفى. وفي هـ. ب، وفي نسخة: ولقد شفى.

(١٢) الواو ح: هي الحرق والحرارات التي يقال معها: «أح»، وب: الوحوحة: صوت معه تنحنح.

(١٣) في هامش الأصل: بزنة ثمرة: آخر الامر، وفي هامش ب: بآخره.

تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَارُوكُمْ، وَتُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ، حَسًّا^(١) بِالنُّصَالِ^(٢)،
وَشَجَرًا^(٣) بِالرَّمَاكِ، تَزُكُّبُ أَوْلَاهُمْ أَخْرَاهُمْ كَالْإِبِلِ الْهَيْمِ الْمَطْرُودَةِ تُزَمِي عَنْ حِيَاضِهَا.
وَتُذَادُ^(٤) عَنْ مَوَارِدِهَا.

(١) في هـ. ص وب: أي قتلاً.
(٢) في ط: بالنضال، وفي ظاهر ب: بالنضال، وفي هـ. د: روي حَسًّا بالنضال - ر، وفي هـ ط:
النضال: المبارزة في الرمي، وفي رواية النضال - بالصاد -، وفي هـ. ب: النضال واحدة النضال،
ويقال للسهم والسيف والرمح والسنان....
(٣) في هـ. ص وب: أي طعنًا.
(٤) في هـ. ب: أي ترجع وتطرد.

ومن خطبة له ﷺ، وهي من خطب الملاحم^(١):

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَجَلِّي^(٢) لِحَلْقِهِ بِخَلْقِهِ، وَالظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ، خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ^(٣)؛ إِذْ كَانَتْ الرُّوِّيَّاتُ لَا تَلِيْقُ إِلَّا بِذَوِي الضَّمَائِرِ، وَلَيْسَ بِذِي ضَمِيرٍ فِي نَفْسِهِ، خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ السُّرَاتِ^(٤)، وَأَخَاطَ بِغُمُوضٍ^(٥) عَقَائِدَ السَّرِيرَاتِ.

منها في ذِكْرِ النَّبِيِّ ﷺ:

إِخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ^(٦)، وَمِشْكَاةِ الضِّيَاءِ^(٧)، وَذَوَابَةِ الْعَلْيَاءِ^(٨)، وَسُرَّةِ^(٩) الْبَطْحَاءِ، وَمَصَابِيحِ الظُّلَمَةِ، وَيَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ.

ومنها:

طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطَبِّهِ، قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وَأَخْنَى مَوَاسِمَهُ^(١٠)، يَضَعُ مِنْ^(١١) ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، مِنْ قُلُوبٍ عُمِيٍّ، وَأَذَانٍ صُمٍّ، وَاللِّسَنَةِ بُكْمٍ، مُتَتَّبِعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ، وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ.

لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ، وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ، فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَالْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ، وَالصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ.

(١) في هـ.ص: الملاحم جمع ملحمة، وهي الواقعة العظيمة.

(٢) في هـ.ب: أي الظاهر.

(٣) في هـ.ص: هي الفكرة، وهي ترديد خاطر بين امرين للترجيح بينهما فمن ثم اختصت

بذِي الضمير. (٤) في هـ.ب: أي المشكلات

(٥) في هـ.ب: أي مستور. (٦) في هـ.ص: أي اولاد إبراهيم ﷺ.

(٧) في هـ.ص: مشكاة الضياء: التي يخرج منها النور، أي معدن النور.

(٨) في هـ.ص: ذوابة العلياء، أي أعلاها كالذوابة من وسط الرأس

(٩) في هـ.ب: أي خيارها.

(١٠) في ب: وامضى مواسمه، وفي هـ ب، وفي نسخة: أحمى مواسمه. والمواسم: جمع ميسم،

وهو لمكواة. (١١) لم نرد «من» في «وط».

قَدْ أَنْجَابَتْ^(١) السَّرَائِرُ لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ، وَوَضَحَتْ مَحَجَّةَ الْحَقِّ لِخَاطِبِهَا^(٢)، وَأَسْفَرَتْ
السَّاعَةَ عَنْ وَجْهِهَا، وَظَهَرَتْ الْعَلَامَةُ لِمُتَوَسِّمِهَا^(٣).

مَالِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً^(٤) بِلَا أَرْوَاحٍ، وَأَرْوَاحاً بِلَا أَشْبَاحٍ^(٥)، وَنُسَاكاً بِلَا صَلَاحٍ^(٦)، وَتُجَّاراً
بِلَا أَرْبَاحٍ^(٧)، وَأَيْتَاقَاطُ نَوْمًا، وَشُهُودًا غُيْبًا، وَنَاطِرَةً عَمِيَاءَ، وَسَامِعَةً صَمَاءَ، وَنَاطِقَةً بِكُمَاءَ.

رَايَةً^(٨) ضَلَالَةٍ قَدْ قَامَتْ^(٩) عَلَى قُطْبِهَا^(١٠)، وَتَفَرَّقَتْ بِشُعْبِهَا^(١١)، تَكِيلُكُمْ بِضَاعِهَا^(١٢)، وَتُخَيِّطُكُمْ
بِبَاعِهَا^(١٣)، قَائِدُهَا^(١٤) خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، قَائِمٌ عَلَى الضَّلَّةِ^(١٥)، فَلَا يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلَّا تُفَالَةٌ^(١٦)

(١) في ب: وانجابت، وفي هـ ب: أي ذهبت، وفي هـ ب: وفي نسخة قد انجابت: انكشفت.
(٢) في ب: فحجة الحق لأهلها، وفي هـ ب: وفي نسخة: لخاطبها، قلت: الخابط السائر على الطريق.

(٣) في هـ ب: لصاحب الوسم. قلت والمتوسم: المتفرس.
(٤) في هـ ص: أي اشخاصاً، كأنهم موتى لعدم قبولهم الحق ونهيههم المنكر، كما ورد في كلامه: «ميت الأحياء»

(٥) في هـ ص: بلا اشباح، كأنه كنى بهم عن الطيش والخفة، أو كالفانين الذين بقيت أرواحهم وفنيت أجسادهم.

(٦) في هـ ص: نسبهم إلى [عدم] العفاف، وفي هـ ب: عبادة بلا صلاح.
(٧) في ب: وتجاراً. وفي هـ ب: وفي نسخة: وتجاراً. وفي هـ ص: نسبهم إلى الربء وإيفاع الأعمال على غير وجهها (كذا في الشرح) ويحتمل انه أشار إلى ان أعمالهم منحطة، بخذلانهم له، ووصفهم بأمر متضادة ظاهراً وهي مجتمعة في الحقيقة؛ لانها باعتبارين.

(٨) في هـ ب: أي هذه راية ضلالة. وأشار بها إلى رايات معاوية وبني أمية.
(٩) في هـ ص: أي تمكنت ونبئت.

(١٠) قامت على قطبها تمثيل لانتظام أمرها واستحكام قوتها.

(١١) في هـ ص: أي انتشرت في الأرض.

(١٢) في هـ ص: أي نتقدمكم في الأحوال وتقلقكم كما يثقل الكائل المكيل.

(١٣) في هـ ص: أي تهضمكم وتؤثر فيكم وتهركم.

(١٤) في ب: قائمها، وفي هـ ب: وفي نسخة: قائدها، وفي هـ ص: قائدها، أي الداعي إليها
(١٥) في هـ ب: وفي نسخة: المضلة.

والحامل لها.
(١٦) في هامش ب: الثفالة: الثفل

كَثَّالَةَ الْيَدْرِ، أَوْ نَفَاضَةً^(١) كَنَفَاضَةِ الْعِصَمِ^(٢)، تَعْرُكُكُمْ عَزَكَ الْأَدِيمِ^(٣)، وَتَدُوسُكُمْ دَوَسَ الْحَصِيدِ^(٤)، وَتَسْتَخْلِصُ^(٥) الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمْ أَسْتِخْلَاصَ الطَّيْرِ الْحَبَّةَ الْبَطِينَةَ^(٦) مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ.

أَيَّنَ تَذْهَبُ بِكُمْ الْمَذَاهِبُ؛ وَتَبِيَّةُ^(٧) بِكُمْ الْغِيَاهِبُ^(٨)، وَتَخْذَعُكُمْ الْكَوَاذِبُ^(٩)، وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ وَآتَى تُؤَفَّكُونَ. فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ إِبَابٌ.

فَاسْتَمِعُوا^(١٠) مِنْ رَبِّائِكُمْ^(١١)، وَأَحْضِرُوا قُلُوبَكُمْ^(١٢)، وَأَسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ^(١٣) بِكُمْ، وَلْيُصَدِّقْ رَائِدُ^(١٤) أَهْلِهِ، وَلْيُجْمَعِ شَمْلُهُ، وَلْيُحْضَرِ ذَهْنُهُ، فَلَقَدْ فَلَقَ^(١٥) لَكُمْ الْأَمْرَ فَلَقَ الْخَرْزَةَ^(١٦)، وَفَرَّقَهُ قَوْفَ الصَّمْعَةِ^(١٧).

فَعِنْدَ ذَلِكَ^(١٨) أَخَذَ الْبَاطِلُ مَاخِذَهُ، وَرَكِبَ الْجَهْلُ مَرَاقِبَهُ، وَعَظَمَتِ الطَّاغِيَةُ^(١٩)، وَقَلَّتِ

(١) النفاضة: ما يسقط عن شيء تنفضه، أي حركته لينتفض.

(٢) العصم: نمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها، وفي هـ ب: المتاع، لعدل.

(٣) العرك: الدلك الشديد، والاديم: الجلد. (٤) الحصيد: المحصود.

(٥) في ب: ويستخلص، وفي هـ ب: وفي نسخة: ونستخلص.

(٦) الحبة البطينة: السمينية. (٧) في هـ ب: ي تحير بكم.

(٨) في هـ ب: جمع غيبهه وهي الظلمة. (٩) في هـ ب: جمع كاذبة.

(١٠) كذ في ص، وفي أوب وط ود: فاستمعوا.

(١١) الرباني: المثال العارف بالله، وفي هـ ب: الرباني: الذي يربو في العم، وأراد عليه السلام نفسه.

(١٢) في هـ ب: ي احضروا كلامه في قلوبكم.

(١٣) في هـ ب: أي صاح.

(١٤) في هـ ص: هو السابق للمنتجعين، يتخير لهم الماء ولكلاً، وهو لا يكذب أهله.

(١٥) في هـ ب: أي بين هذا الرباني - الذي هو علي عليه السلام - أمر الدين لأجلكم، وشق ما كان

ملتبساً كما نفلق الخرز فبعراف باطنها، وفسر عم الدين وأخرجه من بين الجهل كما يخرج

الصمغ من الشجرة. (١٦) في هـ ب: ثقب الخرزة المثقوبة.

(١٧) في هـ ص: أي قشره.

(١٨) في هـ ص: إشارة إلى جملة الفتن التي أخبر عن وقوع أولها.

(١٩) في هـ ص: أي الفرقة الطاغية، أي أهل الباطل، أي كثروا، وفي هـ ب: الطغاة.

الرَّاعِيَّةُ^(١)، وَصَالَ^(٢) الدَّهْرُ صَيْالَ السَّبْعِ الْعُقُورِ، وَهَدَرَ^(٣) فَنِيْقُ^(٤) الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومِ^(٥)،
وَتَوَاحَى^(٦) النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ، وَتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ، وَتَحَابُّوا^(٧) عَلَى الْكَذِبِ،
وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصَّدْقِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ أَوْلَدُ غَيْظًا^(٨)، وَالْمَطَرُ قَيْظًا^(٩)، وَتَغِيضُ اللَّثَامُ
فَيْضًا، وَتَغِيضُ الْكِرَامُ غَيْضًا^(١٠)، وَكَانَ^(١١) أَهْلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ ذُنَابًا، وَسَلَاطِينُهُ سِبَاعًا،
وَأَوْسَاطُهُ أَكَالًا^(١٢)، وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتًا، وَغَارَ^(١٣) الصَّدْقُ، وَقَاضَ^(١٤) الْكَذِبُ، وَاسْتَعْمَلَتِ الْمَوَدَّةُ
بِاللِّسَانِ، وَتَشَاجَرَ^(١٥) النَّاسُ بِالْقُلُوبِ، وَصَارَ الْفُسُوقُ نَسَبًا، وَالْعَفَافُ عَجَبًا، وَلَيْسَ الْإِسْلَامُ
لُبْسَ الْفَرِّو مَقْلُوبًا.

قوله ﷺ: «المتجلى لخلقه بخلقه»:

قال الحسين بن القاسم: سألت أبي رحمه الله عما يقال لسزنادقة والملحدين فيما
يسألون عنه من الدليل على رب العالمين تقدست أسماؤه وثناؤه وجل.
فقال: سألت يا بني عن أكرم مسائل السائلين، وعما بجهله هلك أكثر قدماء الأولين.

-
- (١) في هـ. ص: أي الفرقة لرعاية للدين، وفي د: الداعية، وفي هـ. د: الراعية - ك ل، وفي هـ ب: الرعاية.
(٢) في هـ. ب: الصيال: حملة الاسد الذي يعقر.
(٣) في هـ. أ: أي صاح، وفي هـ ب: أي صَوْت. (٤) في هـ. أ: فنيق الباطل: وهو الفحل.
(٥) في هـ. ص: أي سكوت: أي اسكنه قيام النبي ﷺ وانطقه قيام الفتنة، وفي هـ ب: أي سكوت.
(٦) في هـ. ب: وتحابوا، وفي هـ ب. وفي نسخة: وتحابوا.
(٧) في هـ. ص: لتغيّر الاخلاق فيكثر العقوق.
(٨) في هـ. ص: لانتزاع البركة، وفي كون نزول المطر كعدمه في عدم النفع، وفي هـ. أ: حمارة الصيف.
(٩) (١٠) من غاض الماء: إذا غار في الأرض.
(١١) في ب: وعاد، وفي هـ ب، وفي نسخة: وكان.
(١٢) في هـ. ص: قال في الصحاح. والاكال: سادة الاحياء الذين يأخذون المرباع ونحوه، وفي هـ ب: جمع الآكل.
(١٣) في ب: وغاض، وفي هـ. ب، وفي نسخة: وغار.
(١٤) في هـ. ب: أي سأل، أي سفل.
(١٥) في هـ. ب، وفي نسخة: وتناجز، هـ. د: وتشاحن - ك ر.

فتخبط فيه منهم عماية من تخبط، وأفرط بجهله فيه منهم من أفرط، بغير ما حجة ولا برهان لمنكرهم في انكاره، ولا عدم دليل مبين فيما هلك فيه من اختياره، الا ما ما ابتغوه من مضل هوى الأتفس، وضلوا به لتقليد أسلافهم من غواة الجن والانس، وحجج الله عليهم تبارك وتعالى في العلم به قائمة ظاهرة، وشواهد معرفته سبحانه لكل من خالفها بانكار واختيار غالبية قاهرة

قالحمد لله ذي الغلبة والسلطان القاهر، ومعرفته والعلم به الحجة والبرهان الزاهر.
فدليل العلم بالله - يا بني - وعصم أسبابه، وأقرب ما جعل للعلم به من مداخل ابوابه، ما أظهر في الاشياء سبحانه من آثار الحكمة المتقنة التي لا تكون الا من مؤثر متقن، وأبان في الأشياء من شواهد التدبير الحسنة المحكمة، التي لا تكون الا من حكيم محسن، كما قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسَبَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۖ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾^(١)

فكل ما ذكر سبحانه فجعائل، لا بد لها من جاعل، وفعائل لا تقوم أبداً إلا بفاعل، ولن يوجد جاعلها وفاعلها الا الله ذو الاسماء الحسنی، البريء من مشابهة الجعائل والفعائل في كل معنى

ومن اسباب العلم به ودلائله بعد الذي أبان من أثر التدبير في جعائله: أوثق وثائق الأسباب مما فطر عليه بنية الالباب من العلم البت واليقين المثبت الذي لا يعتري فيه بحقيقة شك ولا مرية، ولا يعترض فيما جعل من بصائر شبيهة معشية، من ان نكل ما أحس أو عقل مما أثر سبحانه وجعل خلافاً متيناً، معلوم لا تدركه الحواس والوهوم بعقل، ويعرف بخلاف ما عقلت الأشياء وعرفت، فيخالفه ويخالفها بغير ما به في أنفسهما اختلفت.

فهذان أصلان مجملان.

ثم انه قسم لاستدلال ويبين ان وجوهه المقدرة سبعة، ثم قال: وهذا الباب من خلافه

سبحانه لأجزاء الأشياء كلها فيما يدرك من فروع الأشياء جميعاً وأصلها، فما لا يوجد بدأً إلا بين الأشياء وبينه، ولا يوصف بها أبداً غيره سبحانه، وهي الصفة التي لا يشاركه عز وجل فيها مشارك، ولا يملكها عليه تعالى مالك، ولا يعم جميع الأشياء اختلاف عمومته، ولا تصحح الأبواب إلا الله معلومه، لأنه وإن وقع بين الأشياء ما يقع من الاختلاف، فلن يوجد واقعاً إلا بين ذوات الأوصاف.

وكل واحد منها وإن خالف غيره في صفة فقد يوافقه في صفة أخرى كان مما يعقل، أو كان مما يلمس ويرى، فإن اختلف محسوسان في لون أو طعم اتفقا فيما لهما من حدود الجسم، وإن اختلف معقولان في فعال أو همة اتفقا فيما يعقل من أصولهما المنوهمة كالملائكة والانس والشياطين، التي أصولها في النفسانية واحدة متفقة، وهمها وأفعالها مختلفة متفرقة، فهم الملائكة الاحسان والتسييح، وهم الشياطين العصيان والقبيح، وهم الانس فمختلفة كاختلافها في قصدها واسرافها، فتحسن مرة وتبر، وتسيء مرة وتشر، وكل خلق من الملائكة والانس والشياطين فقد جعل الله له صفة متممة ذاتية بها، بأن بعضهم من بعض، وكانت لكل من جعلها الله له خاصة صنفية، فهي لهم وبينهم، ولكلهم اختلاف، وكلهم بها وبما جعل الله منها أصناف، بعضهم غير بعض، كالسما غير الأرض، وليس من وراء ما قلنا في الدرك لمعرفة الله، والوصول إلى العلم بالله قول، ولا بعد الذي جددنا وحددنا في اصول المعارف بالله اصل معقول، انتهى^(١).

ثم انه، فصل الوجوه السبعة وبين ما بصح الاستدلال على معرفة الله به منها، وما يبطل - في كلام طويل -، ثم قال: والباب الثامن من معرفته سبحانه بخلاف الأشياء كلها، فلباب كل لباب واضح ما يدرك به سبحانه من خلقه ألوا الأبواب؛ لانه إذا صح انه غير مدرك سبحانه بدرك هذه الأشياء وأوصافها وكان لا بد لمن أدرك هذه الأشياء دركاً صحيحاً من ان يكون مدركاً بصحة لخلافها، بيقين من دركه لها مبتوت، كدرك الحياة وخلافها من الموت، ودرك الصحة وخلافها من السقم، ودرك الشباب وخلافه من الهرم، وغير ذلك من اختلاف الأشياء كلها، وما يوجد من الاختلاف لها في فرعها وأصلها.

(١) وسبأتي استشهاد بكلام القاسم هذا في شرح الخطبة ١٨٤ أيضاً.

وإذا كان ذلك كذلك وصح ما ذكرنا في النفوس من ذلك، كان واجباً وجوب اضطرار، وثابتاً في النفوس في اثبت قرار دركه سبحانه ووجوده عند دركها ووجودها، إذ هو خلاف سبحانه لكل ما يوجد من موجودها. (انتهى ما أردنا نقله من الدليل الطويل، وهو طويل كثير).

ومثل ما ذكره في مناظراته للذي كان ملحداً فاسلم على يده، وحاصل ما ذكره، في الكتابين: ان النظر في العالم الذي هو الاجسام والاعراض يضطر العقول إلى حدوده وأنه مصنوع؛ من حيث ان فروعها كلها مشاهدة الحدوث ومرتبة فيه، وبالضرورة ان حكم الأصول حكم الفروع، ومن حيث ان الاشياء مختلفة في أشياء ومتفقه في أشياء من أنفسها وصفاتها وحكمها، فلا بد من موافق مخالف بينها مرتب مفصل لها فتثبت بالضرورة أنها كلها مؤثرة وانه لا بد لكل أثر من مؤثر بالضرورة وقضت الضرورة بان المؤثر يكون بخلاف المؤثر، وإلا كان مثله محتاجاً إلى المؤثر، فأثبتت الضرورة مؤثراً خلافاً لكل العالم المؤثر من كل وجه.

وكلامه يقضي بمثل ما ينسب إلى الجاحظ وأهل المعارف من ان النظر إلى أي أقسام العالم يفضي بالنظر إلى اليقين الضروري بأن العالم مؤثر، وأنه لا بد له من مؤثر متخير. وإلى هذا يشير كلام امير المؤمنين عليه السلام في مواضع كثيرة، وجعل القاسم الامر بالنظر في أفراد العالم المذكور في آيات القرآن تنبيهاً على الفطرة الضرورية، والله أعلم قوله عليه السلام: «طبيب دوار بطبه»:

يحتمل انه يعني به النبي ﷺ ويحتمل ان يعني به الهادي من أهل بيته، وامامهم هو عليه السلام

قال في الشرح: إنما قال: «دوار بطبه»، لأن الطبيب الدوار أكثر تجربة، أو يكون عنى به أنه يدور على من يعالجه، لأن الصالحين يدورون على مرضى القلوب، فيعالجونهم. ويقال: إن المسيح رُئي خارجاً من بيت مومسة، فقيل له: يا سيدنا، أمثلك يكون ها هنا! فقال: إنما يأتي الطبيب المرضى.

والمراهم: الأدوية المركبة للجراحات والقروح. و«المواسم»: حدائد يؤسم بها الخيل

وغيرها.

ثم ذكر أنه إنما يعالج بذلك مَنْ يحتاج إليه؛ وهم أولوا القلوب العُمي، والآذان الصم، والألسنة البكم، أي الخرس. وهذا تقسيم صحيح حاصر، لأن الضلال ومخالفة الحق يكون بثلاثة أمور: إما بجهل القلب، وبعدم سماع لمواظظ والحجج، أو بالإمساك عن شهادة التوحيد وتلاوة الذكر، فهذه أصول الضلال؛ وأما أفعال المعاصي ففروع عليها^(١).

والاقرب أنه عليه السلام يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْإِطْرَافِ لِقَاعٍ يُدْوَىٰ بِهِمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٢).

لأن من لا ينتفع بالآية الصحيحة في نجاته من النار كمثل عادم تلك الآلات، ولم يقصد التقسيم، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «رأية ضلال ... إلى آخره»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: انه عليه السلام يذكرها هنا الحدث في آخر الزمان كظهور السفيناني وغيره^(٣).

قلت: لعمرى لقد عدل عن الظاهر بغير دليل، والظاهر انه عليه السلام عن رأية دعوة بني أمية التي اصلها معاوية، وهو المعني بقوله عليه السلام: «قائدها خارج عن الملة، قائم على الضلة»، ثم عبّر عن حال هذه الدعوة المسترسلة في جميع زمن بني أمية وزمن بني العباس ومن اتبعهم من دعاة الأعاجم.

فانهم أهل دعوة واحدة وطريقة في الضلال مشبهة، وكلهم مجتمعون على عداوة أهل البيت وشيعتهم، وقتلهم، وتشريدهم، وتكذيبهم، وتضليلهم، وهذا بين، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «ولبس الاسلام لبس الفرو مقلوباً»:

عادة العرب أن تجعل الخمل إلى داخل والجلد إلى خارج، والمراد: انعكاس الأحكام، واتخاذ الباطل حقاً والحق باطلاً، ومن نظر في التواريخ إلى أخبار الدولتين، وإلى أحوال

(٢) الأعراف: ١٧٩/٧.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٨٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٨٨.

الناس وطرائقهم في زمنهما، وما تضمنته أقوالهم نظماً ونثراً، وما وضع علماءؤهم من مؤلفاتهم، علم حقيقة قوله ﷺ، وأنه إخبار عن غيب مفصل، وعلم من عند الله، وعلم ان الحق الذي سمي باطلاً، والصدق الذي سمي كذباً، طريقة أهل البيت ﷺ، وهي الدين الذي تهاجروا عليه، وان الباطل والكذب والفجور طريقة غيرهم التي تؤاخوا عليها، والله أعلم.

ومن خطبة له عليه السلام:

كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ^(١)، وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ، غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ، وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَمَمَرُّ كُلِّ مَلْهُوفٍ^(٢).

مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ، وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَمَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ.

لَمْ تَرَكَ الْغُيُوبَ فَتُخْبِرَ عَنْكَ، بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ.

لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِوَحْشَةٍ^(٣)، وَلَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ^(٤) لِمَنْفَعَةٍ، وَلَا يَسِيقُكَ^(٥) مَنْ طَلَبْتَ، وَلَا يُفْلِتُكَ^(٦) مَنْ أَخَذْتَ، وَلَا يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مِنْ عَصَاكَ، وَلَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ، وَلَا يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ، وَلَا يَسْتَعِينِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ.

كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ، وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ.

أَنْتَ الْآبِدُ لَا أَمَدَ لَكَ^(٧)، وَأَنْتَ الْمُنْتَهَى لَا مَحِيصَ^(٨) عَنْكَ، وَأَنْتَ الْمَوْعِدُ فَلَا مُنْجَى

مِنْكَ [إِلَّا إِلَيْكَ]^(٩).

بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ، وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ.

سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ^(١٠) مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ، وَمَا أَصْغَرَ عَظِيمَةَ^(١١) فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ، وَمَا

أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ؛ وَمَا أَحْقَرَ ذَلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ، وَمَا أَشْبَعَ نِعَمَكَ فِي

(١) في هـ. د: خاضع له - ض.

(٢) في هـ. ب: من اللهفة، وهو التحسر.

(٣) في هـ. ب: الوحشة: الخوف.

(٤) في هـ. ب: أي امرتهم بالطاعة.

(٥) في ب ود: لا يسيقك.

(٦) أي لا ينفلت منك.

(٧) في أ ود: الآبد فلا أمد لك، وفي ب: الآمد فلا أمد لك: أي الغاية. وفي ط: الآبد فلا أمد لك.

(٨) في أ وب ود ط: فلا محيص، وفي هـ. ب: أي لا معدل.

(٩) من ط ود: فقط.

(١٠) في هـ. د: سبحانك ما اعظم شأنك، سبحانك ما اعظم ما نرى - ح.

(١١) كذا في ص، وفي أ وب ود: عظيمة. وفي هـ. د: عظيمة - ح.

الدُّنْيَا، وَمَا أَصْغَرَهَا فِي نِعَمٍ ^(١) الْآخِرَةِ.

منها:

مِنْ مَلَائِكَةٍ أَسْكَنَتْهُمْ سَمَاوَاتِكَ، وَرَفَعَتْهُمْ عَنْ أَرْضِكَ، هُمْ أَعْلَمُ ^(٢) خَلْقِكَ بِكَ، وَأَخَوْفُهُمْ لَكَ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ، لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلَابَ، وَلَمْ يُضْمِنُوا الْأَرْحَامَ، وَلَمْ يُخْلُقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ^(٣)، وَلَمْ يَشْعَبْهُمْ ^(٤) رَبُّ الْمُنُونِ ^(٥)، وَإِنَّهُمْ عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ، وَاسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ، وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ، وَقَلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ، لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ ^(٦) مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ؛ لَحَقَّقُوا أَعْمَالَهُمْ، وَلَزَرُوا ^(٧) عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَلَعَرَفُوا أَنََّّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ.

سُبْحَانَكَ خَالِقًا وَمَعْبُودًا! بِحُسْنِ بِلَايِكَ ^(٨) عِنْدَ خَلْقِكَ، خَلَقْتَ دَارًا، وَجَعَلْتَ فِيهَا مَادَبَّةً ^(٩)، مَشْرَبًا وَمَطْعَمًا، وَأَزْوَاجًا وَخَدَمًا، وَقُصُورًا وَأَنْهَارًا، وَزُرُوعًا وَثَمَارًا، ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِيًا يَدْعُو إِلَيْهَا، فَلَا الدَّاعِيَ أَجَابُوا وَلَا فِيمَا رَغَّبَتْ إِلَيْهِ رَغِبُوا، وَلَا إِلَى مَا شَوَّقَتْ ^(١٠) إِلَيْهِ اسْتَأْقُوا، أَقْبَلُوا عَلَى جِيفَةٍ قَدْ افْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا، وَأَصْطَلَحُوا عَلَى حُبِّهَا، وَمَنْ عَشِقَ شَيْئًا أَغَشَى بَصَرَهُ ^(١١)، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ، قَدْ خَرَقَتْ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ، وَأَمَاتَتْ الدُّنْيَا قَلْبَهُ، وَوَلَهَتْ عَلَيْهَا نَفْسَهُ، فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا وَلَمْ يَفِي يَدِيهِ ^(١٢) شَيْءٌ مِنْهَا، حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا، وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ إِلَيْهَا ^(١٣)، لَا يَنْزَجِرُ مِنَ اللَّهِ بِزَاجِرٍ ^(١٤) وَلَا يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ، وَهُوَ يَرَى الْمَأْخُودِينَ عَلَى الْعِرَّةِ ^(١٥)، حَيْثُ لَا إِقَالَةَ لَهُمْ وَلَا

(١) في أوب و ط نعيم.

(٢) في هـ ب: من العلم.

(٣) بريد ^ع: النطفة.

(٤) في أوب: يشعبهم. وفي هـ ب، وفي نسخة: لم يشعبهم.

(٥) المنون: الدهر. والريب: تصريف الزمان، أي لم يفرقهم صروف الزمان.

(٦) في هـ ب: كنه الشيء: غايته وحقيقته.

(٧) في ب: ولا زروا، وفي الف: ولزروا، وفي هـ ب، وفي نسخة: ولزروا، أي لعبوا.

(٨) في هـ ب: أي نعمك.

(٩) في هـ ب: المادبة: الطعام.

(١٠) اعشى بصره: أعماه.

(١١) في هـ ب: من الاشتياق.

(١٢) في هـ ب: يده - ض.

(١٣) أوب و د ط: عليها، وفي هـ ب: د: إليها - م.

(١٤) في هـ ب: بزواجر - م.

(١٥) في هـ ب: أي الغفلة.

رَجْعَةً^(١)، كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ، وَقَدِمُوا مِنَ الْآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ.

فَعَبَّرَ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ، اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ وَحَسْرَةُ الْفُوتِ، وَفَتَّرَتْ^(٢) لَهَا أَطْرَافُهُمْ، وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ، ثُمَّ أَرْدَادَ الْمَوْتِ فِيهِمْ وَلُوجاً^(٣)، فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ؛ وَإِنَّهُ لَبَيِّنٌ أَهْلِهِ، يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ، وَتَقَاءِ^(٤) مِنْ لُبِّهِ، يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمَرِهِ، وَفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرِهِ، وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالاً جَمَعَهَا^(٥)، أَغْمَضَ^(٦) فِي مَطَالِبِهَا، وَأَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا^(٧) وَمُشْتَبَهَاتِهَا، قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ^(٨) جَمْعِهَا، وَأَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا، تَبَقَّى لِمَنْ وَرَاءَهُ يُنْعَمُونَ^(٩) فِيهَا، وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا، فَيَكُونُ الْمَهْنَأُ^(١٠) لِبَعْضِهِ، وَالْعِبَاءُ^(١١) عَلَى ظَهْرِهِ، وَالْمَرْءُ قَدْ غَلَقَتْ^(١٢) رُهُونُهُ بِهَا، فَهُوَ يَعْصُ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَضْحَرَ^(١٣) لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ، وَيَرْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمَرِهِ، وَيَتَمَنَّى أَنَّ الَّذِي كَانَ يَعْطِيهِ بِهَا وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَارَها دُونَهُ.

فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ يَبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ سَمْعَهُ^(١٤)، فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ، وَلَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ، يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ؛ يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَلَا يَسْمَعُ^(١٥)

(١) في هـ. د: لا اقالة لهم ولا رجعة - ض وح.

(٢) في هامش ب: أي سكنت.

(٣) في هـ. ب: أي دخولا في اعضائها، ففترتها بذهاب الحياة والمقدرة للشهوة.

(٤) في هـ. ب، وفي نسخة: وتقاء. (٥) في هـ. د: اموالا اغمص - ع.

(٦) في ب: اغمص، وفي هـ. ب: أي اشتغل، وفي هـ. ب: أبضا: يذكر مالا اغمص في طلبه

وتشاغل بالاكتساب. (٧) في هـ. ب، في نسخة: من حرامها.

(٨) التبعات: ما يطالب به من الحقوق وما يحاسب عليه، وفي هـ. ب: ذنوب.

(٩) في هـ. ب: أي يتنعمون. (١٠) في هـ. ب: المها: الهنيء من الطعام.

(١١) في هـ. ب: أي الثقل.

(١٢) في هـ. ب: انغلقت وهلكت نفسه بها، أي جمع اموالا.

(١٣) في هـ. ب: أي أظهر.

(١٤) في هـ. ص، وفي نسخة: حتى خالط سمعه كما خالط لسانه. وفي ط ود: حتى خالط لسانه

سمعه.

(١٥) في هامش ب: ولا يستطيع رجع كلامهم، وفي هـ. ب، وفي نسخة: ولا يسمع.

رَجَعَ كَلَامِهِمْ.

ثُمَّ أَرْزَادُ^(۱) الْمَوْتُ أَلْتِيَّاطاً بِهِ^(۲)، فَقَبِضَ بَصْرُهُ كَمَا قَبِضَ سَمْعُهُ، وَخَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ، فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ، قَدْ أُوحِشُوا مِنْ جَانِبِهِ، وَتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ، لَا يُسْعِدُ بَاكِياً، وَلَا يُجِيبُ دَاعِياً، ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَخِطٍ^(۳) فِي الْأَرْضِ^(۴)، وَأَسْلَمُوهُ^(۵) فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ^(۶)، وَأَنْقَطَعُوا عَنْ زُورَتِهِ^(۷).

حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ، وَالْأَمْرُ مَقَادِيرُهُ، وَالْحَقُّ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ، وَجَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ، أَمَادَ^(۸) السَّمَاءَ وَفَطَرَهَا^(۹)، وَأَرْجَ^(۱۰) الْأَرْضَ وَأَرْجَفَهَا، وَقَلَعَ جِبَالَهَا وَنَسَفَهَا، وَدَكَ^(۱۱) بَعْضُهَا بَعْضاً مِنْ هَيْبَةِ جَلَالَتِهِ، وَمَخُوفِ سَطْوَتِهِ، وَأَخْرَجَ مِنْ فِيهَا، فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ إِخْلَاقِهِمْ^(۱۲)، وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفْرِيقِهِمْ^(۱۳)، ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُ^(۱۴) مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ^(۱۵) عَنْ خَفَايَا^(۱۶) الْأَعْمَالِ، وَخَبَايَا^(۱۷) الْأَفْعَالِ، وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ: أَنْعَمَ عَلَى هَؤُلَاءِ، وَأَنْتَقَمَ^(۱۸) مِنْ هَؤُلَاءِ.

فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ فَآتَانَهُمْ بِجَوَارِهِ، وَخَلَدَهُمْ فِي دَارِهِ، حَيْثُ لَا يَطْعَنُ التُّزَالُ وَلَا تَسْتَغَيِّرُ لَهُمْ^(۱۹) الْحَالُ، وَلَا تُتَوَبُّهُمْ^(۲۰) الْأَفْرَاعُ^(۲۱)، وَلَا تَنَالُهُمُ الْأَسْقَامُ، وَلَا تَعْرُضُ لَهُمُ الْأَخْطَارُ^(۲۲)،

(۱) في هـ ب، وفي نسخة ثم زاد الموت، وفي وفي هـ د: ثم زاد الموت - ر.

(۲) في هـ ب: أي التزاقاً.

(۳) في ط ود: محط.

(۴) في أوط: في الأرض، وفي هـ ب: أي قبره.

(۵) في ط: فأسلموه.

(۶) في هـ ب في نسخة: وعمله.

(۷) في هـ ب: أي عن زيارته.

(۸) في هـ ب: أي حرّكها، وفي هـ ب في نسخة: أمار، وفي هـ د: أمار -.

(۹) في هـ ب: أي شقها.

(۱۰) في هـ ب: أي زلزل.

(۱۱) في هـ ب: أي صك.

(۱۲) في هـ ب: من الخلق (خلق الثوب: إذا بلى).

(۱۳) في ط: تفرّقهم.

(۱۴) في ب وط: يريد.

(۱۵) في أوب ود: مسائلتهم.

(۱۶) لم ترد «خفايا» في أوب.

(۱۷) في هـ ب: حبايا جمع خبيثة، وهي الشيء المستور.

(۱۸) في هـ ب: أي اقتص.

(۱۹) في ط: بهم.

(۲۰) في هـ ب: أي لا تعاورهم

وَلَا تُشْخِصُهُمْ^(٢٣) الْأَسْفَارُ.

وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ، فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ، وَغَلَّ الْأَيْدِي إِلَى الْأَعْنَاقِ، وَقَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالْأَقْدَامِ، وَالْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ^(٢٤)، وَمَقَطَّعَاتِ النَّيِّرَانِ^(٢٥) فِي عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ، وَبَابٌ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ، فِي نَارٍ لَهَا كَلْبٌ^(٢٦) وَلَجَبٌ^(٢٧)، وَلَهَبٌ سَاطِعٌ^(٢٨)، وَقَصِيفٌ^(٢٩) هَائِلٌ، لَا يَطْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلَا يُقَادَى أَسِيرُهَا، وَلَا تُفْصَمُ كُبُولُهَا^(٣٠)، لَا مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَقْنَى، وَلَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيَقْضَى.

منها في ذكر النبي ﷺ :

قَدْ حَقَّرَ^(٣١) الدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا، وَأَهْوَنَ بِهَا^(٣٢) وَهَوَّنَهَا^(٣٣)، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ زَوَاهَا^(٣٤) عَنَّهُ اخْتِياراً، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ اخْتِياراً، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ^(٣٥)، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً^(٣٦)، أَوْ يَرْجُو^(٣٧) فِيهَا مَقَاماً، بَلَغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِراً^(٣٨)، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِراً، وَدَعَا إِلَى الْجَنَّةِ مُبَشِّراً^(٣٩).

(٢١) في هـ.ب: جمع فزع، وفي هـ.ب: وفي نسخة: الاقراع.

(٢٢) في هـ.ب: جمع خطر.

(٢٣) في هـ.ب: أي تيهتهم وفي هـ آخر: اشخص: حير، واشخص: أخرج.

(٢٤) السرابيل والقطران: ثياب أهل النار، وذكرها الله تعالى في سورة ابراهيم: ١٤/٥.

(٢٥) المقطّعات: الثوب المقطوع كالجبة والقميص، وهو في فبال ما لا يقطع كالازار والرداء، والمقطّعات: اشمل للبدن وأشدّ استحكاماً في احتوائه.

(٢٦) في هـ.ب: أي سدة.

(٢٧) في هـ.ب: أي صوت، وفي هـ.د: وروي جلب - ك.

(٢٨) في هـ.ب - ظاهراً -: أي عال. (٢٩) في هـ.ب: أي صوت.

(٣٠) في هـ.ب: أي قيدها.

(٣١) في هـ.ب: حقر الدنيا - بالنخفيف - أي استصغرها، وبالتشديد: أي صغرها.

(٣٢) في هـ.د: أهونها - ض، أهون: أي لم يعتد بها، ولم تكن عزيزة عنده، أهونها: ذلها.

(٣٣) في هـ.ب: هون واهان بمعنى واحد. (٣٤) في هـ.ب: أي قبضها.

(٣٥) في أوط: عن نفسه. (٣٦) في هـ.ب: الرياش: اللباس والزينة.

(٣٧) في أوه.د: ويرجو - م ل.

(٣٨) معذراً: مبيناً لله حجة تقوم مقام العذر في العقاب عند المخالفة، وتقطع اعذار المخطيء يوم القيامة.

نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ^(١)، وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ، وَنَابِيعُ الْحُكْمِ^(٢)، نَاصِرُنَا وَمُجِيبُنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةُ، وَعَدُوَّنَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السُّطُورَةُ.

هذه الخطبة تعرف بالزهراء. ذكر ذلك الامام المنصور بالله أحمد بن الحسين بن هارون في كتاب «سياسة المريدين»، وقد أشار إليها ابو جعفر الاسكافي في كتاب «المعيار والموازنة»^(٣).

قوله ﷺ: «وعز كل ذليل»:

جاء في الأثر: من اعتزّ بغير الله ذلّ، ومن تكثّر بغير الله قلّ؛ وكان يقال: ليس فقيراً من استغنى بالله.

واستدلّ العلماء على ثبوت الصانع سبحانه بما دلّ عليه فحوى قوله ﷺ: «ومفرع كلّ ملهوف»، وذلك أنّ النفوس ببدناتها تفرع عند الشدائد والخطوب الطارقة إلى الالتجاء إلى خالقها وبارئها، ألا ترى إلى راكبي السفينة عند تلاطم الأمواج، كيف يجأرون إليه سبحانه اضطراراً لا اختياراً، فدلّ ذلك على أنّ العلم به مركز في النفس؛ قل سبحانه: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ﴾^(٤)، انتهى من شرح ابن أبي الحديد^(٥).

قوله ﷺ: «لم ترك العيون فتخبر عنك»:

كما يخبر الإنسان عما شاهده: بل أنت أزليّ قديم موجود قبل الواصفين لك فإن قلت: فأيّ منافاة بين هذين الأمرين، ليس من الممكن أن يكون سبحانه قبل الواصفين له، ومع ذلك يدرك بالأبصار إذا خلق خلقه، ثم يصفونه بأي عين!

(٣٩) في هـ. ص وط زيادة: وحوّف من النار محدراً، وفي هـ د زيادة: وخوف من النار محدراً.

ج ٢

(١) أي محل هبوطهم وصعودهم، مأخوذ من خلف فلان فلاناً في المكان.

(٢) في أ وهـ ب، وفي نسخة: الحكّم، وفي هـ ب: أي الحكمة، وفي هـ د: ينباع الحكم بكسر

الحاء وفتح الكاف - ض . (٣) المعيار والموازنة: ٢٥٤.

(٤) الإسراء: ٦٧/١٧. (٥) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٩٦.

قلت: بل ها هنا منافاة ظاهرة، وذلك لأنه إذا كان قديماً لم يكن جسماً ولا عَرَضاً، وما ليس بجسم ولا عَرَض تستحيل رؤيته، فيستحيل أن يخبر عنه على سبيل المشاهدة، انتهى من شرح ابن أبي الحديد^(١).

قلت: ويحتمل - بل هو الأقرب عندي - أن معنى كلامه ﷺ ليس الطريق إلى العلم بك مشاهدتك فيخبر من شاهدك من لم يشاهدك كسائر المشاهدات، بل أنت ثابت عند العقول، وفي افهام بريتك قبل أن يوجد الزاعمون أنك موصوف وأنك محدود.

وفيه إشارة إلى أن مقالة هؤلاء الجهلة حادثة مضت الدهور وهي غير معروفة ولا مقولة، فمعنى «بل كنت» - على هذا - بل ثبت في العقول واقرت بك الخلقة قبل أن يوجد من يجوز عليك أنك بحيث ترى وتبصر ويخبر عنك، والله أعلم.

قوله ﷺ: «ولا يردّ أمرك من سخط قضاءك، ولا يستغنى عنك من تولّى عن أمرك»:

أي أن المتقرر في العقول أن العاصي إنما يعصي من يتصور أنه مستغنى عنه، والله عز وجل يعصى مع قيام دليل احتياج العاصين إليه والتجاءهم اضطراباً بحيث لا يقع فيه امتراء، والله أعلم.

وقال في شرح ابن أبي الحديد: تحته سر عظيم، وهو قول أصحابنا في جواب قول المجبرة: «لو وقع منّا ما لا يريده لا تقتضى ذلك نقصه»: إنه لا نقص في ذلك، لأنه لا يريد الطاعات منّا إرادة قَهْر وإلجاء، ولو أرادها إرادة قَهْر لوقعتْ وغلبت إرادته إرادتنا، ولكنه تعالى أراد منّا أن نفعل نحن الطاعة اختياراً، فلا يدلّ عدم وقوعها منّا على نقصه وضعفه، كما لا يدلّ بالاتفاق بيننا وبينكم عدم وقوع ما أمر به على ضعفه ونقصه، انتهى^(٢).

قوله ﷺ: «أنت الأبد لا أمد لك»:

الذي يظهر لي من معنى كلامه ﷺ - هذا -: أنه إذا كان المفهوم عند الناس من لفظ الأبد هو الزمن الذي لا ينتضي، كان حاصله: الموجود الذي لا ينعدم، ومحال صدق هذا الوصف في غير حق الله؛ إذ كان الزمن مركب من آتات تنقضي بالضرورة، وما كانت

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٩٨.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ١٩٧.

جزاء منقضية فجعلته منقضية، فلم يصدق هذا المفهوم في غير حق الله تعالى، فكان أحق باللفظ الدال عليه - أعني لفظ الأبد -، لأنه - أي مفهوم الموجود الذي لا ينقضي - في حق الزمن عرفي، وفي حق الله حقيقي، وقد أوضحه عليه السلام بقوله: «لا أمد لك».

قوله عليه السلام: «أغمض في مطالبها»:

أي تساهل في دينه في اكتسابه إياها، أي كان يفنى نفسه بتأويلات ضعيفة في استحلال تلك المطالب والمكاسب، فذاك هو الإغماض، قال تعالى: ﴿وَلَسْتُمْ بِأَخْذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾^(١)، انتهى من الشرح^(٢).

قوله عليه السلام: «علقت رهونة بها»:

علق الرهن: استحقة المرتهن، وذلك إذا لم يفتك في لوقت المشروط. والاقرب عندي في بيين غلاق رهونه بها: أنه لما كانت هذه الاموال بهذه الصفة كانت متعلقة بها حقوق الله وللآدميين، وتفسه بمنزلة الوثيقة عند الباري سبحانه، إن أدى تلك الحقوق من المال وإلا استوفيت من نفسه في القيامة، كما أن الرهن وثيقة في الدين إن أوفي من غيره أنفك وإلا استوفي منه.

ولما كان وقت الموت من دون وصية هو وقت تعذر الإيفاء منها، جعله وقت الاستيفاء من النفس الذي عبر عنه بالغلاق، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «سراويل القطران»:

جمع سربال، وهو اللباس، والقطران - في الأصل - الهناء الذي يقطر به البعير، أي يطلّى، المراد به هنا الصديد، يغشاهم كما يغشى السربال البدن ويتنف عليه، أو هو من جنس الهناء يغشون به؛ لأن العذاب يشتد حرّه معه، والمقطعات: ما قطع وفصل من الثياب: أي ليس لهم ما يجري مجرى الثياب في تغطية البدن غير القطران والنار، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «ولا أجل للقوم فيقضى»:

قال ابن أبي الحديد حين أورد هذا الفصل من قوله عليه السلام: «من ملائكة» إلى هنا: هذا موضع المثل: «في كل سجر نار، واستمجد المرخ والعفار»، الخطب لوعظية الحسان كثيرة،

ولكن هذا حديث يأكل الأحاديث.

من أراد ان يتعلم الفصاحة والبلاغة، ويعرف فضل الكلام بعضه على بعض؛ فليتأمل هذه الخطبة، فإن نسبتها إلى كل فصيح من الكلام - ما عدا كلام الله ورسوله - نسبة الكواكب لنيرة الفلكية إلى الاحجار المظلمة الأرضية.

ثم لينظر الناظر إلى ما عليها من اليهاء، والجلالة والرواء، والديباجة، وما تحدثه من الروعة والرهبه، والمخافة والخشية، حتى لو تليت على زنديق ملحد مصمم على اعتقاد نفي البعث والنشور لهدت قواه، وأرعبت قلبه، واضعفت نفسه، وزلزلت اعتقاده.

فجزى الله قائلها عن الاسلام افضل ما جزى به ولياً من اوليائه، فما ابلغ نصرته له، تارة بيده وسيفه، وتارة بلسانه ونطقه، وتارة بقلبه وفكره.

ان قيل جهاد وحرب فهو سيد المجاهدين والمحاربين، وان قيل وعظ وتذكير فهو أبلغ الواعظين والمذكرين، وان قيل فقه وتفسير فهو رئيس الفقهاء والمفسرين، وان قيل عدل وتوحيد فهو امام أهل العدل والموحدين: وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد، انتهى^(١).

قوله ﷺ: «نحن شجرة النبوة»:

أي شجرة لها نسبة إلى النبوة، ويكون اشارة إلى الحديث الذي رواه ائمة أهل البيت عن النبي ﷺ انه قال: «يا علي نحن شجرة أنا أصلها وفاطمة فرعها وأنت لقاحها والحسن والحسين ثمارها.

وأراد فروع الشجرة التي ميزت بالاصطفاء من لدن آدم ونوح وإبراهيم، ثم خلص ذلك الاصطفاء إلى محمد وأهل بيته، فجملة المصطفين شجرة وأفرادهم فروعها^(٢) والله أعلم.

قال ابن أبي الحديد: فإن قلت: كيف قال: «عدونا ومبغضنا ينتظر السطوة»، ونحن نشاهد أعداءه ومبغضيه، لا ينتظرونها!

قلت: لما كانت منتظرة لهم ومعلوماً بيقين حلولها بهم، صاروا كالمنتظرين لها وأيضاً

(١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٠٢ - ٢٠٣. (٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٢٠.

فإنهم ينتظرون الموت لا محالة الذي كلّ إنسان ينتظره؛ ولما كان الموت مقدّمة العقاب وطريقاً إليه جعل انتظاره انتظار ما يكون بعده^(١).

ومن خطبة له عليه السلام:

إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ^(١) بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: الْإِيمَانُ^(٢) بِهِ وَرِسُولِهِ،
وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، فَإِنَّهُ ذُرْوَةُ^(٣) الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ^(٤) فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ
فَإِنَّهَا أَلَمْلَةٌ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ،
وَحَجُّ الْبَيْتِ وَأَعْتِمَارُهُ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَوْحِضَانِ^(٥) الذَّنْبَ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاءُ^(٦)
فِي أَلْمَالِ وَمَنْسَأَةٌ^(٧) فِي الْأَجَلِ، وَصَدَقَةُ السَّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ، وَصَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا
تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ، وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ.

أَفِيضُوا^(٨) فِي ذِكْرِ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ، وَارْغَبُوا فِيَمَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ؛ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ
الْوَعْدِ؛ وَاقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ؛ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ، وَاسْتَتُوا بِسُنَّتِهِ؛ فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ،
وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ؛ فَإِنَّهُ رِبْعُ الْقُلُوبِ؛ وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ
فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ، وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ؛ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ
كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ^(٩) الَّذِي لَا يَسْتَتِيقُ مِنْ جَهْلِهِ؛ بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَالْحَسْرَةُ لَهُ أَلَزَمُ،
وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْوَمُ.

(١) في هـ.ب: توسل العبد إلى ربه، أي تقرب إليه بعمل، والوسيلة: ما يتقرب به إلى الغير.

(٢) في هـ.ب: الإيمان ص، والعشرة الأشياء التي عطفها على الإيمان [فروع]

(٣) في هـ.ب: نروة الشيء: أعلاه، والذروة: أعلى السنام

(٤) في هـ.ب: أي الشهادة.

(٥) في ب: ويُدحضان، وفي هـ.ب، وفي نسخة: ويرحضان، أي يغسلان.

(٦) في هامش ب: مثراة: أي مدعاة إلى الثروة، أي إلى الغنى.

(٧) في هـ.ب: أي مؤخرة، منسأة، من نساء في أجله، أي أخره

(٨) في هـ.ب: أي ادفخوا فيه مرة بعد أخرى.

(٩) في هـ.ب: أي المتحير، وفي هـ.د: كالجاهل الجائر - ك.

قوله ﷺ: «ومنسأة في الأجل»:

في هذا الكلام دليل على أن الآجال تزيد وتنقص بالاسباب والشروط جعلها الله كذلك لحكمة يعلمها.

قال في «الاساس»: والأجل وقت ذهاب الحياة، وهو أجل واحد، ان كان ذهابها بالموت اتفاقاً [عند] بعض ائمتنا والبغدادية، وأجلان ان كان ذهابها بالقتل؛ جزم وهو الذي يقتل فيه، ومسمى وهو الذي لو سلم من القتل لعاش قطعاً حتى يبلغه ويموت فيه. ثم قال في الاحتجاج لهذا القول: لنا قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾^(١). وهو نص صريح يفيد القطع بان القتل جزم.

قال في شرحه: قال لهادي في معنى هذه الآية: والحياة التي في القصاص فهي ما يداخل الظالمين من الخوف من القصاص في قتل المظلومين، فيرتدعون عن ذلك إذا علموا أنهم ممن يقتلون مقتولين، فيطول حياتهم إذا ارتدعوا عن فسادهم، وينكلون عن قتل من به يقتلون، وبإبادته بحكم الله يبادون، انتهى.

ويدل على ذلك قوله تعالى في قصة نوح ﷺ وقومه: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾^(٢).

المعنى: أنهم إذا طاعوه أخرهم إلى أجل مسمى، وهو أجل الموت، وهو الذي لا يؤخر^(٣)، وإن عصوه أخذهم الله قبل ذلك كما أهلكهم بالإغراق^(٤)، وهذا الاجل الذي يؤخر لانهم لو آمنوا لما اغرقوا، انتهى كلام شرح الاساس.

قال في «الاساس»: وقصة قتل الخضر الغلام؛ لانه لو لم يقتله لعاش قطعاً حتى يرهق ابويه طغياناً وكفراً كما أخبر الله تعالى^(٥).

قال في شرحه: ومما يؤيد ما ذهب إليه ائمة أهل البيت ﷺ ما روي عن النبي ﷺ انه

(١) لبقرة: ١٧٩/٢. (٢) نوح: ٤/٧١

(٣) اقتباس من قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ نوح: ٤/٧١.

(٤) اشارة إلى قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُغْرِقُوا فَأَذَلُّوْا نَاراً﴾ نوح: ٢٥/٧١.

(٥) اشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ الكهف: ٨٠/١٨.

قال: «الدعاء يرد القضاء»^(١)، «وان البر يزيد في العمر»^(٢)، «وان صلة الرحم يزيد في العمر»^(٣).

وعن عليّ عليه السلام انه قال: «وصلة الرحم فانها مثرة في المال ومنسأة في الاجل ومثرة في العدد»^(٤).

قال المنصور بالله: فاما ما روي ان صلة الرحم يزيد في العمر، فهو جائز غير ممتنع ان يعمر ثلاثين، وأنه ان وصل الرحم كن الصلاح ان يعمر اربعين، وان قطع رحمه كان الصلاح ان يعمر عشرين سنة، وهذا معنى الخبر، انتهى.

وعن محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: حدثني أبي، عن جدي، عن عليّ عليه السلام قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٥). فقال: «لأسرنك بها يا علي فسرّ بها امتي، الصدقة على وجهها، واصطناع المعروف، وصلة الرحم، وبر الوالدين، يحول الشقاء سعادة، ويزيد في العمر، ويقي مصارع السوء». ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرْ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصْ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ...﴾ الآية^(٦) على أحد التفسيرين.

وعنه عليه السلام انه قال: بر الوالدين يزيد في العمر، والكذب ينقص الرزق، والدعاء يرد القضاء، والله في خلقه قضاء ان؛ قضاء نافذ، وقضاء محدث، يحدث فيه ما يشاء. رواه في «شمس الاخبار» عن «امالي المرشد بالله عليه السلام»، انتهى.

وأقول: الذي يقضي به الادلة القطع بان المقتول من لو لم يقتل لعاش جملة، واما القطع بذلك في حق كل واحد بعينه، فلا طريق إليه؛ لجواز ان يصادق قتله الاجل المبتوت في حقه وربما يتناول عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾^(٧)، والله أعلم.

(٢) البحار ٧٧: ١٦٦.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ١١٠.

(٦) فاطر: ١١/٣٥.

(١) الكافي ٢: ٤٦٩.

(٣) البحار ٧٤: ٩٣.

(٥) الرعد: ٣٩/١٣.

(٧) آل عمران: ١٥٤/٣.

ومن خطبة له ﷺ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمْ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا حُلُوهٌ خَصِرَةٌ^(١)، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، وَرَاقَتْ^(٢) بِالْقَلِيلِ، وَتَحَلَّتْ^(٣) بِالْأَمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ^(٤) بِالْغُرُورِ، لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا^(٥)، وَلَا تُؤْمِنُ^(٦)، فَجَعَلْتُهَا، غَوَاةً^(٧)، ضَرَّارَةً^(٨)، حَائِلَةً^(٩)، زَائِلَةً^(١٠)، نَافِذَةً^(١١)، أَكَّالَةً^(١٢)، غَوَاةً^(١٣)، لَا تَعْدُرُ - إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا وَالرَّضَاءِ بِهَا - أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى سُبْحَانَهُ: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾^(١٤).

لَمْ يَكُنْ أَمْرٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ^(١٥) إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا^(١٦)، وَكَمْ يَلْقَى مِنْ سَرَائِهَا بَطْنًا^(١٧)

(١) في هـ.ص: أي مشتتة رائقة، فلا تطمعو فيها، ولا تمدوا لبصر إليها، وفي هـ: خصرة: تأنث خضر، وهو الاخضر.

(٢) في هـ.ص وب: أي أعجبت.

(٣) في هـ.ص: من لحيية، وفي هـ ب: تحلّت من الحلية، أي تزينت.

(٤) في هـ.ص: من الزينة.

(٥) في هـ.ص والـ: أي سرورها كالجبور، وفي هـ.ب: نضرتها.

(٦) في ب: يؤمن، وفي هـ ب، وفي نسخة: تؤمن.

(٧) في هـ.ب، وفي نسخة: غدارة.

(٨) في هـ.ب: أي متغيرة

(٩) في هـ.ص: أي فائية منغصة

(١٠) في هـ.أ وب: أي هالكة.

(١١) في هامش ب: فعالة، من الأكل.

(١٢) في هـ.ص: أي مهلكة، والعول: ما عدل، أي أهلك، ومنه المثل: الغضب عول اللحم (من

الشرح). وفي هـ ب: أي مهلكة. (١٣) الكهف: ٤٥/١٨.

(١٤) في هـ.ص وب: أي سرور.

(١٥) في ب: اعفيتها، وفي هـ.ب، وفي نسخة: اعفيتها بعدها.

(١٦) في هـ.ص وب: أي حزن.

(١٧) في هامش ب: أي لم يلق بطناً من سرور الدنيا وفرحها، إلا منحتة وأعطته ظهراً من

إِلَّا مَتَحْتُهُ مِنْ ضَرَائِهَا ظَهْرًا، وَلَمْ تُطَلَّهِ^(١) فِيهَا دِيْمَةً رَخَاءٍ^(٢) إِلَّا هَتَّتْ^(٣) عَلَيْهِ مُزْنَةً بَلَاءٍ.
وَحَرِيٌّ^(٤) إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُتَنَصِّرَةً^(٥)، أَنْ تُمِيسَ لَهُ مُتَكَّرَةً، وَإِنْ جَانِبُ مِنْهَا
أَعْدُوذَبَ^(٦) وَأَخْلَوَى، أَمَرَ^(٧) مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْتَى^(٨).

لَا يَتَالُ أَمْرُ مِنْ غَضَارَتِهَا^(٩) رَغْبًا^(١٠)، إِلَّا أَرْهَقَتْهُ^(١١) مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَبًا، وَلَا يُمِيسُ مِنْهَا
فِي جَنَاحِ أَمْنٍ، إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ^(١٢) خَوْفٍ.

غَوَّارَةٌ؛ غُرُورٌ مَا فِيهَا، فَانِيَةٌ؛ فَإِنْ مَنَ عَلَيْهَا، لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا^(١٣) إِلَّا أَلْتَقَوَى.
مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا^(١٤)، اسْتَكْتَرَّ مِمَّا يَوْمُنُهُ، وَمَنْ اسْتَكْتَرَّ مِنْهَا اسْتَكْتَرَّ مِمَّا يُوبِقُهُ^(١٥)، وَزَالَ عَمَّا
قَلِيلٍ عَنْهُ.

كَمْ مِنْ وَائِقٍ^(١٦) بِهَا قَدْ فَجَعَتْهُ^(١٧)، وَذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ^(١٨)، وَذِي أُتْبَهَةِ^(١٩) قَدْ
جَعَلَتْهُ حَقِيرًا، وَذِي نَخْوَةٍ^(٢٠) قَدْ رَدَّتْهُ^(٢١) ذَلِيلًا.

→ ضرائها، رانما خص الظهر بالشدة والبطن بالدعة، لأن ظهر الأرض إلى الاعداء وبطنها
للأولياء، والمشي في نفق الأرض سهل، وعلى ظهرها صعب.

(١) في هـ. ص: طله السحاب: إذا امطره مطراً قليلاً، والديمة: مطرئين.

(٢) في هـ. ب: ديمة رخاء: مطرب ياطر قليلاً وخفيفاً.

(٣) في هـ. ص وب: أي مطرت كثيراً، وفي هـ. ب: أي صبّت وسالت وكلفته مزنة بلاء.

(٤) في هـ. ص: أي خليف.

(٥) في أوب ود: متنصرة. وفي هـ. ص: أي متحسنة.

(٦) في هـ. ب، في نسخة: اعذب أي عذب، وفي هـ. ص: أي صار عذاباً.

(٧) في هـ. ص: أي صار حلواً. (٨) في هـ. ص: أي امراض، وفي هـ. ب: من الوباء.

(٩) في هـ. ص: أي النعمة واللذة. (١٠) الرغب: الرغبة والمرغوب.

(١١) في هـ. ص: أي اغشته. (١٢) في هـ. ص: هي مقادير جناح الطائر.

(١٣) في هـ. ب: جمع زاد. (١٤) في هـ. ص: أي الدنيا.

(١٥) في هـ. ب: أي يهلكه. (١٦) في هـ. د: كم واثق - ن ف ل.

(١٧) أي أوجعته بفقد ما يعز عليه. (١٨) في هـ. ب: وقد صرعته.

(١٩) في هـ. ص: أي العظمة والنخوة.

(٢٠) في هـ. ص: الإباء والتمنع، وفي هـ. ب: الكبير.

(٢١) في هـ. ب، وفي نسخة: رددته.

سُلْطَانُهَا دَوْلٌ^(١)، وَعَيْشُهَا رَنْقٌ^(٢)، وَعَذْبُهَا أَجَاجٌ^(٣)، وَحُلُوهَا صَبْرٌ^(٤)، وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ^(٥)، وَأَسْبَابُهَا^(٦) رِمَامٌ^(٧)، حَيْثُهَا بَعْرَضٌ^(٨) مَوْتٌ، وَصَحِيحُهَا بَعْرَضٌ سَقَمٌ، مُلْكُهَا^(٩) مَسْلُوبٌ^(١٠)، وَعَزِيرُهَا مَغْلُوبٌ، وَمَوْفُورُهَا مَنَكُوبٌ^(١١)، وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ^(١٢).

الْأَسْتُمْ فِي مَسَاكِينٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَارًا، وَأَبْقَى أَثَارًا، وَأَبْعَدَ آمَالًا، وَأَعَدَّ عَدِيدًا^(١٣)، وَأَكْتَفَ^(١٤) جُنُودًا، تَعَبَّدُوا^(١٥) لِلدُّنْيَا أَيْ تَعَبَّدُوا، وَأَثَرُوهَا أَيْ إِيثَارًا، ثُمَّ ظَعَنُوا^(١٦) عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبْلَغٍ، وَلَا ظَهَرَ قَاطِعٍ^(١٧)، فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ^(١٨) لَهُمْ نَفْسًا بِفِدْيَةٍ، أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ، أَوْ أَحْسَنْتْ لَهُمْ صُحْبَةً، بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْفَوَادِحِ^(١٩)، وَأَوْهَنْتَهُمْ بِالْقَوَارِعِ^(٢٠)، وَضَعُضَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ^(٢١)، وَعَقَّرَتْهُمْ لِلْمَنَاحِرِ^(٢٢)، وَوَطَّئَتْهُمْ بِالْمَنَاسِمِ^(٢٣)، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ

(١) في هـ.ص: أي منتقل، وفي هـ.ب: جمع دولة.

(٢) في هـ.ص: الرنق: لكدر، يقال: رنق يرنق.

(٣) في هـ.ب: أي مصلح. (٤) في هـ.ب: أي مر.

(٥) في هـ.ص وب: جمع سم: القاتل. (٦) في هـ.ص وب: جمع سبب: الحبل.

(٧) في هـ.ص: جمع رمة: أي بال، وفي هـ.ب: أي بالية.

(٨) في هـ.ص: أي معرض له. (٩) في هامش ب، وفي نسخة: مَلِكُهَا.

(١٠) في هـ.ب: من السلب.

(١١) في ب: متكود. أي ممتحن. والنكبة: المصيبة، أي معرض للنكبة.

(١٢) في هـ.ب: من لَحَرَب. - بالتحريك - وهو من سُلِبَ ماله.

(١٣) في هـ.ب: أي عدداً. (١٤) في هـ.ب: يعني أكثر.

(١٥) في هـ.أ: تعبد له، مثل تزهّد وتعبد: أي ستعبده، وفي هـ.ب: أي تذللوا.

(١٦) في هامش ب: أي ارتحوا. (١٧) في هـ.ب: أي مركوب.

(١٨) في هـ.ب: من السخاء.

(١٩) في هـ.ص: بالفاء: المثفلات، فدحه الحمل: أثقله، ويروى بالثقاف، وهي آفة تظهر بالشجر،

وصدوع تظهر في الأسنان، وفي هـ.ب: الفوادح: المصيبات والأمر العظيم.

(٢٠) في هـ.ب: القوارع جمع قارعة، وهي المحن التي تفرع.

(٢١) في هـ.ب: أي تركتهم بالنوائب.

(٢٢) في هـ.ب: الصقت ماخرهم بالعفر، وهو التراب، وفي هـ.ب: عقّرتهم من التعفير. والمناخر:

جمع منحز

(٢٣) في هـ.ص وب: جمع منسم، وهو خف البعير.

رَبِّ الْمَتُونِ^(١)، فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَتَكَبَّرُهَا^(٢) لِمَنْ دَانَ لَهَا^(٣)، وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا^(٤)، حِينَ^(٥) ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْآبِدِ.

وَهَلْ زَوَّدْتَهُمْ إِلَّا السَّعْبَ^(٦)، أَوْ أَحَلَّتْهُمْ^(٧) إِلَّا الضَّنْكَ^(٨)، أَوْ نَوَّرَتْ^(٩) لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ، أَوْ أَغَبَّتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ.

أَفَهَذِهِ تُؤَثِّرُونَ، أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ، أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ؟!

فَبُسِّتِ الدَّارُ لِمَنْ لَا يَتَّهِمُهَا^(١٠)، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى رَجُلٍ مِنْهَا.

فَاعْلَمُوا - وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ - بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا، وَظَاعِعُونَ عَنْهَا، وَأَتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا:

«مَنْ أَشَدُّ مِثًا قُوَّةً»^(١١) حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا، وَأُنْزِلُوا^(١٢) فَلَا يُدْعَوْنَ^(١٣)

ضَيْفَانًا^(١٤)، وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ^(١٥) أَجْنَانُ^(١٦)، وَمِنَ التُّرَابِ أَكْثَانُ^(١٧)، وَمِنَ الرُّفَاتِ^(١٨)

جِيرَانُ^(١٩)، فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا^(٢٠)، وَلَا يَبَالُونَ مُنْدَبَةً^(٢١)، إِنْ

جِيدُوا^(٢٢) لَمْ يَفْرَحُوا، وَإِنْ قُحِطُوا^(٢٣) لَمْ يَقْطُطُوا، جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ، وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ،

مُنْدَانُونَ^(٢٤) لَا يَتَزَاوَرُونَ^(٢٥)، وَقَرِيبُونَ لَا يَتَقَارَبُونَ.

(١) أي الموت. (٢) في هـ.ب. أي تغيّرها.

(٣) في هـ.ص: أي لمن اطاعها واتفق لها (٤) في هـ.ب: أي استند إليها.

(٥) في أ - حتى، وفي هامش الأصل: وفي نسخة: حتى.

(٦) في هـ.ب: أي الجوع. (٧) في هـ.ب: أي جعلتهم، من الحلول.

(٨) في هـ.ب: أي الضيق.

(٩) في هـ.ب، وفي نسخة: ثوّرت، نوّرت، من النور.

(١٠) في أوب وط ود: لم يتهمها. (١١) فصلت: ١٥/٤١.

(١٢) في ط ود: انزلوا الأحداث. (١٣) في ب: ولا يدعون.

(١٤) في هـ.ب: أي أضيافاً. (١٥) في هـ.ب: أي القبر.

(١٦) في هـ.ص: جمع جنن: ما يفي، وفي هـ.ب: الاجنان: القبر، واحدها جنن.

(١٧) في أوب وط: اكفان، وفي هـ.أ: الكن: ما يكن.

(١٨) في هامش الأصل وب: أي العظام البالية.

(١٩) في هـ.ب: جمع جار. (٢٠) في هـ.ب: أي ظلماً.

(٢١) في هـ.أ، وفي نسخة: مندبة، وفي هـ.ب: أي نوحه.

(٢٢) حيدوا: أي امطروا.

(٢٣) في هـ.ب: قحطوا وقحطوا: صابهم السنة والقحط، ودخلوا فيها، وقحط المطر يقحط قحوطاً:

قل، وقال الفراء: اقحط ... (٢٤) في هـ.ب: من الدنو.

حُكَمَاءُ^(٢٦) قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ، وَجَهَلَاءُ قَدْ مَاتَتْ أَخْقَادُهُمْ، لَا يُخْشَى فَجَعُهُمْ^(٢٧) وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ، اسْتَبْدَلُوا^(٢٨) بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنًا، وَبِالسَّعَةِ ضَيْقًا، وَبِالْأَهْلِ غُوبَةً، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً، فَجَاؤَهَا كَمَا فَارَقُوهَا، حُفَاةً^(٢٩) عُرَاةً، قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ، وَالذَّارِ الْبَاقِيَةِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ تُعِيدُهُ وَعُدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(٣٠).

(٢٥) في هـ.ب: من الزيارة.

(٢٦) في أوب وط: حلماء، وفي هـ.ص وفي نسخة: حلماء.

(٢٧) الفجع: التفجيع بالضرر. (٢٨) في هـ.ب: من البدل.

(٢٩) في هـ.ب: جمع حافي. (٣٠) الأنبياء: ١٢/١٠٤.

ومن خطبة له عليه السلام:

ذكر فيها ملك الموت وتوقيه الأنفس:

هَلْ تُحِسُّ بِهِ ^(١) إِذَا دَخَلَ مَنْزِلًا، أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَقَّى أَحَدًا، بَلْ كَيْفَ يَتَوَقَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ! أَيْلِجُ ^(٢) عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا، أَمْ الرُّوحُ أَجَابَتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا، أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْسَائِهَا، كَيْفَ يَصِفُ إِلَهُهُ مَنْ يَعْجَزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ؟

ومن خطبة له عليه السلام:

وَأَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنَزِلُ قُلْعَةٍ^(١)، وَلَيْسَتْ بِدَارِ نَجْعَةٍ^(٢)، قَدْ^(٣) تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا، دَارٌ هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا، فَخَلَطَ حَلَالُهَا بِحَرَامِهَا، وَخَيْرُهَا بِشَرِّهَا، وَحَيَاتُهَا بِمَوْتِهَا، وَخُلُوعُهَا بِمَرِّهَا، لَمْ يُصِفِهَا^(٤) اللَّهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ، وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عَنْ أَعْدَائِهِ^(٥)، خَيْرُهَا زَهِيدٌ^(٦)، وَشَرُّهَا عَتِيدٌ^(٧)، وَجَمْعُهَا يَنْقُذُ، وَمُلْكُهَا^(٨) يُسْلِبُ، وَعَامِرُهَا يَخْرُبُ^(٩)، فَمَا خَيْرُ دَارٍ تَنْقُضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ، وَعُمُرٍ يَفْنَى فَنَاءً^(١٠) الزَّادِ، وَمَدَّةٍ تَنْقَطِعُ انْقِطَاعَ السَّيْرِ! أَجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلِبَتِكُمْ، وَأَسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ^(١١)، وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ.

إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرَحُوا، وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ^(١٢) أَنْفُسُهُمْ وَإِنْ اغْتَبَطُوا بِمَا رَزَقُوا.

قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الْآجَالِ، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ^(١٣) الْأَمَالِ، فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ، وَالْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الْآجِلَةِ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ، مَا فَرَّقَ

(١) في هـ.ب: أي ليست مستوطن، كانه يقع ساكنه.

(٢) في هـ.ب: النجعة والانتجاع: طلب الماء والكلأ - في اللغة -، وفي العرف: طلب كل خير.

(٣) في د: وقد.

(٤) في هـ.ب: أي لم يبخل بالدنيا عليهم، أي لم يجعلها صافية.

(٥) في ب: عن عدائه. (٦) في هـ.ب: أي قليل.

(٧) في هـ.ص: أي حاضر.

(٨) في ب: ونعيمها، وفي هـ.ب: وفي نسخة: وملكها.

(٩) في أ بتخرب، وفي هـ.د: بتخرب - م ف، وفي هـ.أ وفي نسخة: يخرّب.

(١٠) في هـ.د: يعني فيها فناء الزاد - ض ح.

(١١) في هـ.ب: أي سلوا الله التوفيق والمعونة لما سألكم الله من أداء حقه.

(١٢) في هـ.ب: المقت: البغض. (١٣) في هـ.ب: جمع كاذبة.

بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْتُ السَّرَائِرَ، وَسُوءَ الصَّمَائِرِ، فَلَا تَوَازَرُونَ^(١) وَلَا تَنَاصَحُونَ، وَلَا تَبَاذُلُونَ وَلَا تَوَادُّونَ.

مَا بَالَكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تَذَرُكُمْ، وَلَا يَحْزَنُكُمْ الْكَثِيرُ مِنَ الْآخِرَةِ تُحَرِّمُونَهُ! وَيُقَلِّقُكُمْ^(٢) الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ؛ حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ. وَقَلَّةٌ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُي^(٣) مِنْهَا عَنْكُمْ^(٤)، كَأَنَّهَا دَارٌ مُقَامِكُمْ، وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ. وَمَا يَمْنَعُ أَحَدِكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ غَيْبِهِ؛ إِلَّا مَخَافَةً أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ. قَدْ تَصَافَيْتُمْ^(٥) عَلَى رَفُضِ الْآجِلِ، وَحُبِّ الْعَاجِلِ، وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُغَةً^(٦) عَلَى لِسَانِهِ، صَنِيعٌ مِنْ فِرْعَ^(٧) مِنْ عَمَلِهِ، وَأُخْرَزَ رِضَا سَيِّدِهِ.

قوله ﷺ: «وما يمنع أحدكم ... إلى آخره»:

يحتمل انهم لا يعفون عن العيب لغيره لله، بل يمتنعون عنه لئلا يجازوا بمثل ما قالوا. ويحتمل ان يكون تعريضاً بهم أنهم غير متنزهين في الأفعال حتى تسمع منهم الأقوال، وانهم غير متناهين حتى يقبل منهم النهي، وانهم كما قال الشاعر:

لا تته عن خُلُقٍ وتأتي مثله
وما أحسن قول بعض الشعراء:

والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزيّن بعضهم
بعضاً ليستر معور عن معور

(١) في هـ.ب: فلا توازرون، أي لا يحمل بعضكم الثقل عن بعض، ويجوز ان يكون من الوَازَر، وهو الملجأ، ويروى «تأزرون» من الأزر، وهو القوة.

(٢) في هـ.ب: أي يحزنكم، بأن يظهر الغم والقلق لموت اليسير من اليسير من الدنيا في بشرة وجوهكم.

(٣) في هـ.ب: وفي قلة صبركم عما زوي - أي قبض - منها، أي من الدنيا.

(٤) في هـ.ب، وفي نسخة: منكم. (٥) في هـ.ب: من الصفاء.

(٦) في هـ.ب: ما يلغقه على اللسان ولا يمكن اكله، وإنما هو يمسه بلسانه، واللغة اسم.

(٧) في هـ.د: صنع من فرع - ح.

وقوله ﷺ: «لعقة على لسانه»:

هي الشيء القليل يلعق، وكأنه شبهه في خفة جريه على اللسان وعدم جدواه بالشيء الذي يلعق، فيكون نهاية وجدانه جريانه على اللسان، ليس وراء ذلك شيء من النفع، والله أعلم.

ومن خطبة له عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدُ بِالنِّعَمِ، وَالنِّعَمُ بِالشُّكْرِ، نَحْمَدُهُ عَلَى آلَائِهِ، كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى هَذِهِ النُّفُوسِ الْبِطَاءِ^(١) عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ، السَّرَّاعِ^(٢) إِلَى مَا نُهِيتَ عَنْهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ، وَأَخْصَاهُ كِتَابُهُ، عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ، وَكِتَابٌ غَيْرُ مُعَادِرٍ، وَتَوْفِيقٌ بِهِ إِيْمَانٌ مِّنْ عَايِنِ الْغُيُوبِ، وَوَقْفٌ عَلَى الْمَوْعُودِ، إِيْمَانًا نَفَى إِخْلَاصُهُ الشُّرْكَ، وَتَقِينُهُ الشُّكَّ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، شَهَادَتَيْنِ تَصْعِدَانِ^(٣) الْقَوْلَ، وَتَرْفَعَانِ الْعَمَلَ، لَا يَخِفُّ مِيزَانُ تَوْضَعَانِ فِيهِ، وَلَا يَثْقُلُ مِيزَانُ تَرْفَعَانِ مِنْهُ^(٤).

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ الزَّادُ، وَبِهَا الْمَعَادُ، زَادٌ مُبْلَغٌ، وَمَعَادٌ مُنْجِعٌ، دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ، وَوَعَاَهَا خَيْرُ وَاعٍ^(٥)، فَاسْمَعْ دَاعِيَهَا، وَقَارَ وَاعِيَهَا. عِبَادَ اللَّهِ؛ إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مَخَارِمَهُ، وَأَلَزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ حَتَّى أَشْهَرَتْ لِيَايِلِهِمْ، وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ^(٦)، فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ^(٧)، وَالرَّيَّ بِالظُّمَأِ، وَأَسْتَقْرَبُوا الْأَجَلَ فَبَادَرُوا الْعَمَلَ، وَكَذَّبُوا الْأَمَلَ فَلَاخِظُوا^(٨) الْأَجَلَ. ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَعَتَاءٍ، وَغَيْرِ^(٩) وَغَيْرٍ.

(٢) السراع: جمع سريع.

(١) في هـ.ب: جمع بطيء.

(٣) في هـ.د: تسعدان - ك م، وروي بالصاد - ر.

(٤) في هـ.د: عنه - ن.

(٥) في هـ.ب: أي حفظها حير حافظ، وهذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَتَعِيهَا أَذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ والتي اتفق المفسرون على أنها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام.

(٦) في هـ.ب: يقول نهارهم صائمين، وليلهم قائمين مخافة الله وشفاهم ضياء.

(٨) في هـ.ب: أي في نظرهم.

(٧) في هـ.ب: أي بالتعب.

(٩) في هـ.ب، وفي نسخة: تؤثر، أي يجعل الوتر فيها ويتهميا للرعي.

فَمِنَ الْفَنَاءِ: أَنَّ الدَّهْرَ مُوتَرٌ^(١) قَوْسُهُ، لَا تُخْطِئُ سِهَامُهُ، وَلَا تُؤَسِّي^(٢) جِرَاحُهُ، يَزْمِي
الْحَيَّ بِالْمَوْتِ، وَالصَّحِيحَ بِالسَّقَمِ، وَالتَّاجِيَ بِالْعُطْبِ^(٣)، أَكِلٌ لَا يَشْبَعُ، وَشَارِبٌ لَا يَنْقَعُ^(٤).
وَمِنَ الْعَنَاءِ: أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ^(٥) مَا لَا يَأْكُلُ، وَيَبْنِي مَا لَا يَسْكُنُ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللَّهِ، لَا مَالًا
حَمَلَ، وَلَا بِنَاءً نَقَلَ.

وَمِنْ غَيْرِهَا: أَنَّكَ تَرَى الْمَرْحُومَ مَغْبُوطًا، وَالْمَغْبُوطَ مَرْحُومًا^(٦)، لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا نَعِيمًا
زَلٌّ^(٧)، وَتُؤَسَّا نَزَلَ.

وَمِنْ غَيْرِهَا: أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ فَيَقْطَعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ، فَلَا أَمَلٌ يُدْرِكُ، وَلَا مُؤَمَّلٌ
يُتْرَكُ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ^(٨) مَا أَعَزَّ سُرُورَهَا، وَأَظْمَأَ رَيْتَهَا، وَأَضْحَى^(٩) فَيْئَهَا.

لَا جَاءِ^(١٠) يُرَدُّ، وَلَا مَاضٍ يَزِيدُ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَقْرَبَ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ لِلْحَاقِقِ بِهِ، وَأَبْعَدَ
الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ لِانْقِطَاعِهِ عَنْهُ.

إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ، وَكُلُّ
شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ،
فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْإِعْيَانِ السَّمَاعُ^(١١) وَمِنَ الْغَيْبِ الْخَبَرُ.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَزَادَ فِي الْآخِرَةِ، خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الْآخِرَةِ وَزَادَ فِي
الدُّنْيَا، فَكَمْ مِنْ مَنُوقٍ رَاجٍ، وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ.

إِنَّ الَّذِي أَمْرُكُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِي نَهْيُكُمْ عَنْهُ، وَمَا أَحَلَّ لَكُمْ أَكْثَرَ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ. فَذَرُّوا

(١) الغَيْرُ: تَقَلَّبَ الْأَحْوَالُ. (٢) فِي هـ.ب: أَي لَا تَعَالِجُ وَتَتَدَمَّلُ.

(٣) فِي هـ.ب: أَي بِالنَّهْلِ.

(٤) فِي هـ.ب: أَي لَا يَرُوي، يُقَالُ: نَقَعْتُ، أَي أَرَوَيْتُ.

(٥) فِي هـ.ص، وَفِي نَسْخَةٍ: إِنْ الْمَرْءَ بِجَمْعٍ.

(٦) فِي أ.و.هـ. د: تَرَى الْمَغْبُوطَ مَرْحُومًا وَالْمَرْحُومَ مَغْبُوطًا - ف ن، وَفِي هـ.ب: أَي إِنَّكَ تَرَى مِنْ

كَانَ يَعْيشُ الْعَيْشَ الْحَسَنَ [مَغْبُوطٌ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ النِّعَمِ الْمَحْدُودَةِ].

(٧) زَلٌّ: أَي زَلِيلٌ، وَالزَّلُولُ: الَّذِي يَمُرُّ سَرِيعًا، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرَادَ بِهِ نِعْمَةُ أَسْدَاهَا. مَنْ أَزَلَ إِلَيْهِ

النِّعْمَةُ: إِذَا أَسْدَاهَا. (٨) فِي هـ.ب: تَعْجَبُ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(٩) فِي هـ.ب: أَهْبَزَ لِلشَّمْسِ. (١٠) فِي هـ.ب: مِنَ الْمَحْيِيِّ.

(١١) فِي هـ.ب: أَي حَسْبُكُمْ بِالسَّمَاعِ، لَا أَنْ تَدْخُلُوا فِي النَّارِ.

مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ، وَمَا ضَاقَ لِمَا اتَّسَعَ، قَدْ تَكْفَّلَ لَكُمْ بِالرُّزْقِ، وَأَمَرْتُكُمْ بِالْعَمَلِ، فَلَا يَكُونَنَّ
الْمُضْمُونُ لَكُمْ طَلِبَةً^(١) أُولَى بِكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ، مَعَ أَنَّهُ - وَاللَّهِ - لَقَدْ اعْتَرَضَ
الشَّكَّ، وَدَخَلَ^(٢) الْيَقِينَ، حَتَّى كَأَنَّ الَّذِي ضَمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ، وَكَأَنَّ الَّذِي فُرِضَ
عَلَيْكُمْ قَدْ وَضَعَ عَنْكُمْ، فَبَادِرُوا الْعَمَلَ، وَخَافُوا بَعْتَةَ الْأَجَلِ، فَإِنَّهُ لَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الْعُمُرِ
مَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الرُّزْقِ، مَا فَاتَ الْيَوْمَ مِنَ الرُّزْقِ رُجَى غَدًا زِيَادَتُهُ، وَمَا فَاتَ أَشْيَ مِنْ
الْعُمُرِ لَمْ يُرْجَ الْيَوْمَ رَجْعَتُهُ، الرَّجَاءُ مَعَ الْجَانِي. وَالْيَأْسُ مَعَ الْمَاضِي، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ
وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٣).

* * *

قوله ﷺ: «الواصل الحمد بالنعم ... إلى آخره»:

الظاهر من معنى هذا الكلام أن الله وصل حمد العباد له بانعامه عليهم كما يتصل السبب
بالمسبب؛ لأنَّ الحمد سبب النعم، ووصل انعامه بالشكر - أي جعل النعم سبباً موجباً
لشكر - كما تتصل العلة بالمعلول.

وفيه دليل على أنَّ الشكر بالفعل والقول معلل بالنعم.

وقوله ﷺ: «نحمده على آلائه»:

أي هو في حالتي الانعام والابتلاء محمود، وذلك لأنَّه فيهما محسن، لأنَّ فعله في العبد
مصلحة للعبد تعود عليه بخير عاجل أو آجل.

وقوله ﷺ: «ان الذي أمرتم به ... إلى آخره»:

أي بتناوله، وهو المباح، والاقرب أن يقال: انه سماه مأموراً به باعتبار وقوع صيغة
الأمر عليه كقوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾^(٤)، ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَنْسَمُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾^(٥)،
﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾^(٦)، ﴿فَالَّذِينَ بَشِيرُوهُمْ﴾^(٧) وغير ذلك، والله أعلم.

(٢) في هـ: ب: أي اختلط.

(٤) المؤمنون: ٥١/٢٣.

(٦) الأعراف: ٣١/٧.

(١) في هـ: د: المضمون طلبه - ع.

(٣) اقتباس من سورة البقرة: ١٠٢/٢.

(٥) الأنعام: ١١٨/٦.

(٧) البقرة: ١٨٧/٢.

قوله ﷺ: «ما فات اليوم من الرزق... إلى قوله: رجعته»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: هذا الكلام يقتضي أن العمر مقدّر^(١)، وأن المكاسب والأرزاق إنما هي بالاجتهاد، وليست محصورة مقدرة، وهذا يناقض في الظاهر ما تقدّم من قوله: «إن الرزق مضمون فلا تحرصوا عليه»، فاحتاج الكلام إلى تأويل، وهو أن العمر هو الظرف الذي يوقع المكلف فيه الأعمال الموجبة له السعادة العظمى، والمخلصة له من الشقاوة العظمى؛ وليس له ظرف يوقعها فيه إلا هو خاصة، فكل جزء منه إذا فات من غير عمل لما بعد الموت، فقد فات على الإنسان بفوائده ما لا سبيل له إلى استدراكه بعينه، ولا اغترام مثله؛ لأن المثل الذي له إنما هو زمان آخر، وليس ذلك في مقدور الإنسان. والزمان المستقبل الذي يعيش فيه الإنسان لم يكتسبه هو لينسب إليه، فيقال: إنه حصله عوضاً مما انقضى وذهب من عمره؛ وإنما هو فعل غيره؛ ومع ذلك فهو معدّ ومهيأ لأفعال من العبادة توقع فيه، كما كان الجزء الماضي معدّاً لأفعال توقع فيه، فليس أحدهما عوضاً عن الآخر ولا قائماً مقامه.

وأما المنافع الدنيوية كالمآكل والمشارب والأموال، فإن الإنسان إذا فاته شيء منها قدّر على ارتجاعه بعينه، إن كانت عينه باقية، وما لا تبقى عينه يقدر على اكتساب مثله، والرزق وإن كان مضموناً من الله إلا إن للحركة فيه نصيباً، أمّا أن يكون شرطاً أو أن يكون هو بذاته من أثر قدرة الإنسان، كحركته واعتماده وسائر أفعاله، ويكون الأمر بالتوكل والنهي عن الاجتهاد في طلب الرزق - على هذا القول - إنما هو نهى عن الحرص والجشع والتهالك في الطلب؛ فإن ذلك قبيح يدل على دناءة الهمة وسقوطها.

ثم هذه الأغراض الدنيوية إذا حصلت أمثالها بعد ذهابها، قامت مقام الذهاب؛ لأن الأمر الذي يراد الذهاب به يمكن حصوله بهذا المكتسب، وليس كذلك الزمان الذاهب من العمر؛ لأن العبادات والأعمال التي كان أمس متعيناً لها، لا يمكن حصولها اليوم، على حدّ حصولها أمس، فافترق البابان: باب الأعمال، وباب الأرزاق، انتهى^(٢).

(١) في ط: مقدور.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٦١.

ومن خطبة له ﷺ في الاستسقاء:

اللَّهُمَّ قَدْ أَنْصَحْتُ^(١) جِبَالَنَا، وَأَغْبَرْتُ^(٢) أَرْضَنَا، وَهَامَتْ^(٣) دَوَابُّنَا، وَتَحَيَّرْتُ فِي مَرَابِضِهَا^(٤)، وَعَجَّتْ^(٥) عَجِيجُ الثَّكَالِي^(٦) عَلَى أَوْلَادِهَا، وَمَلَّتِ^(٧) التَّرْدُدُ فِي مَرَاتِعِهَا^(٨)، وَالْحَيْنُ إِلَى مَوَارِدِهَا^(٩)!

اللَّهُمَّ فَارْحَمْ أَيْنَ الْأَنَّةِ، وَحَيْنَ الْحَائَةِ!

اللَّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا، وَأَيْنَتَهَا فِي مَوَالِجِهَا!

اللَّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ أَعْتَكَرْتُ^(١٠) عَلَيْنَا حَدَابِيرُ^(١١) السَّيْنِ، وَأَخْلَقْنَا مَخَايِلُ الْجَوْدِ^(١٢)؛ فَكُنْتَ الرُّجَاءَ لِلْمُبْتَسِرِ^(١٣)، وَالْبَلَاغَ لِلْمُلْتَمِسِ.

نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ الْأَنَامُ، وَمُنِعَ^(١٤) الْغَنَامُ، وَهَلَكَ السَّوَامُ^(١٥)؛ أَلَّا تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا، وَلَا تَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا؛ وَأَنْشُرَ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ الْمُبْتَعِقِ^(١٦)، وَالرَّبِيعِ الْمُغْدِقِ^(١٧)، وَالنَّبَاتِ

(١) في هـ ب: أي تشققت وجفت.

(٢) في هـ ب: أي عطشت.

(٣) في هـ ب: تعج: تصيح من الجوع والعطش، كما تصيح النساء اللواتي مات أولادهن.

(٤) في هـ د: الشكلى - ع.

(٥) في هـ ب: أي مرعاها.

(٦) في هـ ب: أي مرعاها.

(٧) في هـ ب: أي مرعاها.

(٨) في هـ ب: أي مرعاها.

(٩) في هـ ب: أي مرعاها.

(١٠) في هـ ب: أي مرعاها.

(١١) في هـ ب: أي مرعاها.

(١٢) في هـ ب: أي مرعاها.

(١٣) في هـ ب: أي مرعاها.

(١٤) في هـ ب: أي مرعاها.

(١٥) في هـ ب: أي مرعاها.

(١٦) في هـ ب: أي مرعاها.

(١٧) في هـ ب: أي مرعاها.

المونق^(١)، سحاً^(٢) وإبلاً، تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ، وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ.
 اللَّهُمَّ سُقِيَا مِنْكَ^(٣) مُحْيِيَّةً مُرَوِّيةً^(٤)، تَامَّةً عَامَّةً، طَيِّبَةً مُبَارَكَةً، هَيِّئْ مَرِيئَةً
 مَرِيعةً^(٥)، زَاكِيَاً^(٦) نَبْتَهَا، ثَامِراً^(٧) فَرْعَهَا، نَاصِراً وَرَقَهَا، تُنْعِشُ^(٨) بِهَا الضَّعِيفَ مِنْ
 عِبَادِكَ، وَتُحْيِي بِهَا الْمَيِّتَ مِنْ بِلَادِكَ!
 اللَّهُمَّ سُقِيَا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنَا^(٩)، وَتَجْرِي بِهَا وَهَادُنَا^(١٠)، وَيُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا^(١١)،
 وَتُقِيلُ بِهَا ثِمَارَنَا، وَتَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا، وَتَنْدِي^(١٢) بِهَا أَقَاصِينَا^(١٣)، وَتَسْتَعِينُ^(١٤) بِهَا ضَوَاحِينَا^(١٥)،
 مِنْ بَرَكَاتِكَ الْوَاسِعَةِ، وَعَطَايَاكَ الْجَزِيلَةِ، عَلَى بَرِيَّتِكَ الْمُزْمِلَةِ^(١٦)، وَوَحْشِكَ الْمُهْمَلَةِ.
 وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً^(١٧) مُخْضِلَةً^(١٨)، مِدْرَاراً^(١٩) هَاطِلَةً^(٢٠)، يُدَافِعُ الْوَدْقُ مِنْهَا الْوَدْقَ،
 وَيَحْفِزُ^(٢١) الْقَطْرُ مِنْهَا الْقَطْرَ، غَيْرَ خُلْبٍ^(٢٢) بَرْقُهَا، وَلَا جَهَامٍ^(٢٣) عَارِضُهَا، وَلَا قَرَعَ^(٢٤) رَبَابِهَا،

-
- (١) المونق: المعجب.
 (٢) في ه.ب: أي صباً.
 (٣) في ه.ب: أي نسألك سقيا منك.
 (٤) في ه.ب: أي ساقية.
 (٥) في ه.ب: أي مخصبة.
 (٦) في ه.ب: زكى الشيء إذا نما.
 (٧) أي مشراً.
 (٨) في ه.ب: من أنعش.
 (٩) في ه.ص والـف: أي ما ارتفع من الأرض، وفي ه.ب: جمع نجد.
 (١٠) في ه.ص والـف: أي ما انخفض من لأرض، وفي ه.ب: جمع وهدة، وهي الحفرة.
 (١١) في ه.ب: بمعنى جانب.
 (١٢) في ه.ب: جمع اقصى.
 (١٣) في ه.ب: جمع اقصى.
 (١٤) في ه.ب، وفي نسخة: وتستغني، وفي ه.د: ويستغني - ن ك.
 (١٥) في ه.ص: هي البراري، كأنها تقوى بها على الانبات، وفي ه.أ: النواحي البارزة، وضاحية كل شيء ناحيته، وفي ه.ب: حوالي البلد.
 (١٦) في ه.ص: المفتقرة، وفي ه.ب: فقيرة الراد.
 (١٧) في ه.ب: أي غيما.
 (١٨) في ه.ص: كثيرة النداوة، وفي ه.ب: منبته، مبلّة.
 (١٩) في ه.ب: متتابعاً.
 (٢٠) في ه.ب: سائلة.
 (٢١) في ه.ص: أي يعجل، وفي ه.ب: يحفز: يدفع.
 (٢٢) في ه.ص: هو الذي لا يكون معه رواء.
 (٢٣) في ه.ص: السحاب لا ماء فيه، وفي ه.ب: السجل الذي لا ماء فيه.
 (٢٤) في ه.ب: القرع: المنقطع، والرباب: السحاب.

وَلَا شَفَّانٍ ذِهَابُهَا، حَتَّى يُخْصَبَ لِامْرَأَتِهَا^(١) الْمُجْدِبُونَ، وَيَحْتَابِرَ كِتَابُهَا الْمُسْتَبِثُونَ^(٢)؛ فَإِنَّكَ تُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا، وَتَنشُرُ رَحْمَتَكَ وَأَنْتَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ^(٣).

تفسير ما في هذه الخطبة من الغريب^(٤):

قوله ﷺ: «أَنْصَاخَتْ جِبَالُنَا»، أَي تَشَقَّقَتْ مِنَ الْمَحُولِ^(٥)، يُقَالُ: أَنْصَاخَ الثَّوْبُ، إِذَا أَنْشَقَ. وَيُقَالُ أَيْضاً: أَنْصَاخَ النَّبْتِ، وَصَاخَ وَصَوَّحَ؛ إِذَا جَفَّ وَبَسَسَ^(٦). وَقَوْلُهُ ﷺ: «هَامَتْ دَوَابُّنَا» أَي عَطِشَتْ، وَالْهَيْامُ: الْعَطَشُ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: «حَدَابِيرُ السَّنِينِ»، جَمْعُ حَدْبَارٍ؛ وَهِيَ النَّاقَةُ الَّتِي أَنْصَاهَا السَّيْرُ؛ فَشَبَّهَ بِهَا السَّنَةَ الَّتِي فَشَا فِيهَا الْجَدْبُ، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

حَدَابِيرُ مَا تَنْفَكُ إِلَّا مُنَاخَةً عَلَى الْخَسْفِ أَوْ نَرْمِي بِهَا بِلْدًا قَفْرًا^(٧)

وَقَوْلُهُ ﷺ: «وَلَا قَزَعُ رَبَائِبِهَا»، الْقَزَعُ: الْقِطْعُ الصَّغَارُ الْمُتَفَرِّقَةُ مِنَ السَّحَابِ. (والرباب:

السحاب دون السحاب، قل الشاعر:

كَأَنَّ الرَّبَابَ دَوِينَ السَّحَابِ نَعَامَ تَعَلَّقَ بِالْأَرْجَلِ

والمسبتون: المقحطون^(٨).

وَقَوْلُهُ ﷺ: «وَلَا شَفَّانٍ ذِهَابُهَا» فَإِنَّ تَقْدِيرَهُ: «وَلَا ذَاتُ شَفَّانٍ ذِهَابُهَا»، وَالشَّفَّانُ: الرِّيحُ الْبَارِدَةُ، وَالذَّهَابُ: الْأَمْطَارُ اللَّيِّتَةُ، فَحَذَفَ «ذَاتُ» لِعِلْمِ السَّامِعِ بِهِ. وَالْجَهَامُ: السَّحَابُ الَّذِي لَا مَاءَ فِيهِ، هَرَقَ مَائِهِ فَخَفَّ^(٩).

(١) في هـ ب، وفي نسخة: لمرعاها، والإمراع: الإخضاب.

(٢) في هـ ب: أي المقحطون. (٣) اقتباس من سورة الشورى: ٢٨/٤٢.

(٤) في أ: قال: السيد، وفي ط: قال الشريف رحمه الله تعالى.

(٥) في هـ ب: أي القحوط. (٦) في ط زيادة: كَلَّةٌ بِمَعْنَى.

(٧) في هـ ب: أي الفقر - ظاهراً - . (٨) ما بين القوسين لم يرد في ط.

(٩) ما بين القوسين لم يرد في ط.

ومن خطبة له عليه السلام:

أَرْسَلَهُ دَاعِيًا إِلَى الْحَقِّ، وَشَهِدًا عَلَى الْخَلْقِ، فَبَلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ، غَيْرَ وَانٍ ^(١) وَلَا مُقْصِرٍ،
وَجَاهِدَ فِي اللَّهِ ^(٢) أَعْدَاءَهُ، غَيْرَ وَاهِنٍ ^(٣) وَلَا مُعَذِّرٍ ^(٤)، إِمَامٌ مَنِ اتَّقَى، وَبَصَرٌ ^(٥) مَنِ اهْتَدَى.
منها:

لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طَوَى عَنْكُمْ غَيْبُهُ؛ إِذَا لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ ^(٦)، تَبْكُونَ عَلَى
أَعْمَالِكُمْ، وَتَلْتَدِمُونَ ^(٧) عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لَا حَارِسَ لَهَا، وَلَا خَالِفَ ^(٨) عَلَيْهَا،
وَلَهَمَّتْ ^(٩) كُلَّ أَمْرِيءٍ نَفْسُهُ، لَا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا، وَلَكِنَّكُمْ تَسِيئُكُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ، وَأَمِنْتُمْ مَا
حُذِّرْتُمْ، فَتَاهُ ^(١٠) عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ، وَتَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ.

وَلَوِدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَالْحَقَنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ، قَوْمٌ وَاللَّهِ
مَيَّامِينَ ^(١١) الرَّأْيِ، مَرَاجِيحُ الْحِلْمِ، مَقَاوِيلُ ^(١٢) بِالْحَقِّ، مَتَارِيكُ ^(١٣) لِلْبَغْيِ ^(١٤)، مَضُوقُدُمَا ^(١٥).

(١) في هـ. ص: الواني: الكال، وفي هـ ب: أي غير ضعيف.

(٢) في هـ. د: وجاهد في سبيل الله - م. (٣) في هـ. ص وب: أي ضعيف.

(٤) في هـ. ص: الذي يعتذر ولا عذر له، وفي هـ. ب: مصر.

(٥) في ب: وبصير، وفي هـ ب، وفي نسخة: وبصر، وفي هـ. د: بصر - ض ح ف.

(٦) في هـ. ص: جمع صعيد، وهو وجه الأرض، وفي هـ. ب: الصُّعَدَات: جمع صعيد، والصُّعَد:

جمع صعيد كما يجمع طريق على طرق وطرقات ويريد بها: الفلوات.

(٧) في هـ. ص: الالتدام: ضرب النساء صدورهن في النياحة، وفي هـ ب: تلتدمون، أي

تضربون وجوهكم وخدودكم. (٨) في هـ. ب: أي لا خليفة.

(٩) في هـ. ص وب، وفي نسخة: ولأهمت كل امرئ مسلم نفسه، وفي هـ. ص: همته أذابته

وأنحلته. هممت الشحم: أذبتة، ويروى: لأهمت، وهو أصح من الرواية الأولى، أهمني الأمر:

أي ضرني (من الشرح). (١٠) في هـ. ص: أي بعد أو تحير.

(١١) في هـ. ب: أي حسنة، جمع ميمون. (١٢) المقاويل: جمع مقوال، وهو من يحسن القول.

(١٣) في هـ. ب: جمع متراك، وهو مبالغة في لترك.

(١٤) في هـ. ص، وفي نسخة: للغي.

(١٥) في هامش الأصل: أي متقدمين غير معرجين.

عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَأَوْجَفُوا^(١) عَلَى الْمَحْجَّةِ^(٢)، فَظَفَرُوا بِالْعُقْبَى الدَّائِمَةِ، وَالْكَرَامَةِ الْبَارِدَةِ.
أَمَّا وَاللَّهِ لَيَسْلَطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامٌ ثَقِيفٌ الذِّيَالُ^(٣) الْمَيَالُ^(٤)، يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ، وَيُذِيبُ
شَحْمَتَكُمْ، إِلَيْهِ^(٥) أَبَا وَذَحَّةَ^(٦).

قال الرضي رحمه الله تعالى^(٧):

وَالْوَذَحَةُ الْخُنْفَسَاءُ وَهَذَا الْقَوْلُ يُؤَمِّى بِهِ إِلَى الْحَجَّاجِ، وَلَهُ مَعَ الْوَذَحَةِ حَدِيثٌ لَيْسَ
هَذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ.

(١) في هـ.ب: أي اسرعوا. (٢) في هـ.ب: الطريق الواضح.

(٣) في هـ.ب: المتبختر، من ذيلت المرأة تذيلاً، أي جرت الذيل.

(٤) في هـ.ب: أي المتباهي المتكبر. (٥) في هـ.ب: أي: كلمه استتراده، أي: وهات.

(٦) في هـ.ب: روي أن الحججاج كان يوماً على المصلى فاقبلت إليه خنفسة تدب إلى سجاده، فقال: نحواً هذه؛ فأنها وذحة من وذح الشيطان. تشبها لها بالبعرة، قالوا: الودح ما تعلق بأذناب الشاة المضاف من أبوانها وأبعارها، والواحدة: وذحة، وقال بعض الناس: أن الحججاج كان مخنثاً، ونقل أنه كان يأخذ الخنفساء ويجعلها على مقعدته لتعض ذلك الموضع، كما كان أبوجهل.

وفي هـ.ب: الودح - في الأصل - : ما يتعلق بأذناب الشياه وادفاعها من أبعارها، وفي جف ويكون شبيها بالخنفساء، ووقع في كلام الحججاج تسمية الخنافس به تشبيهاً يروى أنه قال لما ترون أن إليه خلق هذه الأذواح؟ فقل إنه عضته واحدة منها وتعلقت به، فعلم أن من حكمة خلقها به أهانة المتكبر، ومراد الرضي: الودحة: الخنفساء في كلام علي عليه السلام مطلقاً، والله أعلم.

(٧) كذا في ط، وفي الف: قال السيد، الودحة، وفي د: أقول الودحة.

ومن كلام له عليه السلام:

فَلَا أَمْوَالَ بَذَلْتُمُوهَا^(١) لِلَّذِي رَزَقَهَا، وَلَا أَنْفُسَ^(٢) خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا، تَكْرُمُونَ

بِاللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلَا تُكْرِمُونَ اللَّهَ فِي عِبَادِهِ!

فَاعْتَبِرُوا^(٣) بِنُزُولِكُمْ^(٤) مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَأَنْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصِلِ^(٥) إِخْوَانِكُمْ.

(١) في هـ. ص: أي تقولون نحن أولياء الله وألوا طاعته فنكرم بكرامة الله، ولا تكرمون الله، أي لا تطيعونه وتعظمونه بامتثال أوامره، حتى يعظم شأنه في النفوس، ويهاب أمره ونهيهِ الناس، من قوله تعالى: ﴿وَتَعَزَّوْهُ وَتُقَرِّوْهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

(٢) في هـ. ص، وفي نسخة: ولا أنفساً.

(٣) في هـ. ص: أي أنتم خلفاء لقوم كانوا قبلكم، فلا تخلدون بعدهم.

(٤) في هـ. د: بنزول منازل - م.

(٥) في ب: عن أصل اخوانكم، وفي هـ. ص: أي مات اخوانكم فستلحقون بهم.

ومن كلام له عليه السلام:

أَنْتُمْ الْأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ، وَالْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، وَالْجَنَّةُ ^(١) يَوْمَ النَّاسِ، وَالْبِطَانَةُ ^(٢) دُونَ النَّاسِ، بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدْبِرَ، وَأَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ؛ فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةِ خَلِيَّةٍ ^(٣) مِنَ الْغُشِّ، سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ، فَقَالَ اللَّهُ إِنِّي لَأُولَى النَّاسِ بِالنَّاسِ.

(١) في هـ.ص: جمع جنة؛ ما يتقرب به.

(٢) في هـ.ص: خواص الرجل وخاصته؛ الذين لا يطوي عنهم سره (من الشرح) وفي هـ.ب: بطانه الرجل؛ وليجته وخواصه.

(٣) في ب وهـ. د: خلية - ك ر ل، وفي هـ ب: ويروي خلية، أي خالية من الغش والخيانة، وجلية: ظاهرة.

ومن كلام له عليه السلام: وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا ملياً^(١).

فقال عليه السلام:

ما بالكم! أمخرسون أنتم، فقال قوم منهم: يا أمير المؤمنين إن سرت سرّاً مَعَكَ.

فقال عليه السلام:

مَا بِأَلْكُمْ^(٢)، لَا سِدِّدْتُمْ لِرُشْدِ^(٣)، وَلَا هُدَيْتُمْ لِقَصْدٍ، أَفِي مِثْلِ هَذَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَخْرُجَ؟ وَإِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شِجْعَانِكُمْ^(٤)، وَذَوِي بَأْسِكُمْ، وَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ الْمِصْرَ وَالْجُنْدَ، وَبَيَّتَ الْمَالَ، وَجَبَايَةَ الْأَرْضِ^(٥)، وَالْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَالنَّظَرَ فِي حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ، ثُمَّ أَخْرُجَ فِي كَتِيبَةٍ أَتْبَعُ أُخْرَى، أَتَقَلُّقُ^(٦) تَقَلُّقَ الْقِدْحِ فِي الْجَفِيرِ^(٧) الْفَارِغِ. وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَى، تَدُورُ^(٨) عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي، فَإِذَا فَارَقْتُهَا اسْتَحَارَ^(٩) مَدَارُهَا^(١٠)، وَأَضْطَرَبَ ثِقَالُهَا^(١١)، هَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ الرَّأْيُ السُّوءُ، وَاللَّهِ لَوْ لَا رَجَائِي الشَّهَادَةَ^(١٢) عِنْدَ لِقَاءِ^(١٣)

(١) في هـ.ص: أي ساعة طويلة، ويقال: ملاوة، بالحركات الثلاث أيضاً.

(٢) في ب: مالكم.

(٣) في هـ.ب: هذا دعاء.

(٤) في ب: شجعانكم، وفي هـ ب، وفي نسخة: من شجعانكم.

(٥) في هـ.ب: جبايه الأرض، أي أخذ ارتفاعها وخراجها.

(٦) في هـ.ص: القلقلة: الحركة في اضطراب، وفي هـ ب: أي اتحرك مع اضطراب، والجفير: وعاء الكنانة.

(٧) في هـ.ص: هو الكنانة، أو وعاء للسهم أوسع من الكنانة.

(٨) في ب: يدور.

(٩) في هـ.ص: أي اضطرب، أي تحير ووقف، وفي هـ أ.ب: استحار: تردّد، والمستحير: سحاب ثقيل متردد ليس له ريح تسوقه. (١٠) في هـ.ص: مصدر بمعنى الدوران.

(١١) في هـ.د، وفي نسخة: ثقالها، وفي هـ ص: هو جلد يوضع تحت الرحى للدقيق، وفي هـ.ب: الثقال الجلد الذي يبسط فيوضع فوقه الرحى فتطحن باليد ليسقط عليه الدقيق، فإذا كان هذا الجلد مضطرباً شدد به الدقيق من الانحناء.

(١٢) في هـ.د: رجائي للشهادة - م. (١٣) في ط ود و ظاهر الف: لقائي.

الْعَدُوَّ، وَلَوْ قَدْ حُمَّ^(١) لِي لِقَاؤُهُ، لَقَرَّبْتُ رِكَابِي^(٢)، ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ فَلَا أَطْلُبُكُمْ، مَا اخْتَلَفَ
جَنُوبٌ وَشَمَالٌ^(٣) (طَعَانِينَ^(٤) عَيَّابِينَ، حَيَّادِينَ رَوَّاعِينَ، إِنَّهُ لَا غَنَاءَ^(٥) فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ مَعَ
قَلَّةِ اجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ، لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ^(٦) الْوَاضِحِ الَّتِي لَا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ،
مَنْ أَسْتَقَامَ^(٧) قَالَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ زَلَّ^(٨) قَالَى النَّارِ^(٩)).

-
- (١) في هـ. د: العدو ولو قد حم - ح، وفي هـ ص وب: أي قدر.
(٢) في هـ. ص وب: أي قطعت.
(٣) في هـ. ص وب: أي بالدوام.
(٤) في هـ. ص: منصوباً بفعل مقدر مناسب. (٥) في هـ. ص: أي لا نفع.
(٦) في هـ. ص: يذكر ويؤنث.
(٧) في هـ. ص: أي عليه.
(٨) في هـ. ص: أي عنه.
(٩) ما بين القوسين لم يرد في أوب.

ومن كلام له ﷺ:

تَاللَّهِ ^(١) لَقَدْ عَلَّمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالَاتِ، وَإِثْمَامَ الْعِدَاتِ ^(٢)، وَتَمَامَ الْكَلِمَاتِ ^(٣)، وَعِندَنَا - أَهْلَ الْبَيْتِ - أَبْوَابُ الْحُكْمِ، وَضِيَاءُ الْأَمْرِ.

أَلَا وَإِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةً، وَسُبُلَهُ قَاصِدَةٌ ^(٤)، مَنْ أَخَذَ بِهَا لِحَقٍّ وَغَنِمَ، وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ.

أَعْمَلُوا لِيَوْمٍ تَذْخَرُ لَهُ الدَّخَائِرُ، وَتُبْلَى ^(٥) فِيهِ السَّرَائِرُ، وَمَنْ لَا يَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ فَعَازِيهِ ^(٦) عَنْهُ أَعْجَزُ، وَغَائِبُهُ أَعْوَزُ ^(٧).

وَأَتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحَلِيشُهَا حَدِيدٌ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ ^(٨).
أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُورِثُهُ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ ^(٩).

قوله ﷺ: «لقد علمت...»:

رواها قوم «لقد علمت» بالتخفيف وفتح العين، والرواية الأولى أحسن، فتبليغ الرسالات تبليغ الشرائع بعد وفاة الرسول ﷺ إلى المكلفين، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ ^(١٠)، وإلى قول النبي ﷺ في قصة براءة: «لا يؤدِّي عني إلا أنا ورجل مني».

(١) في هـ.ب: حلف أنه يكره المقام فيما بين أهل الكوفة.

(٢) في هـ.ب: جمع عدة، وهي الوعد. (٣) في هـ.ب: يعني تأويل كلمات الله.

(٤) في هـ.ب: أي مستوية. (٥) في هـ.ب: أي تظهر وتدرج وتختبر.

(٦) في هامش ب: أي بعيد. (٧) في هـ.ب: أي اقفر.

(٨) ليس في ب: وشرابها صديد، الصديد: ما يسيل من الفروح والجروح.

(٩) اللسان الصالح: الذكر الحسن. (١٠) الاحزاب: ٣٣/٣٩.

و«إتمام العداة»: إنجازها، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾^(١)، وإلى قول النبي ﷺ في حقه ﷺ: «قاضي ديني ومنجز مواعيدي». وتمام الكلمات تأويل القرآن، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾^(٢)، وإلى قول النبي ﷺ في حقه ﷺ: «اللهم اهد قلبه، وثبت لسانه»، انتهى من الشرح مع اختصار^(٣)

وقوله ﷺ: «وعندنا أهل البيت ... إلى آخره»:

فيه إشارة إلى معنى قوله ﷺ: من سره ان يحيى حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن غرسها ربي، فليوال علياً وليوال وليه، وليقتد بأهل بيتي من بعدي، فانهم عترتي، خلقوا من طينتي، ورزقوا فهمي وعلمي، فويل للمكذّبين بفضلهم من امتي، القاطعين فيهم صلتني، لا أنا لهم الله شفاعتي... ونحوه.

وقوله ﷺ: «الا ان شرائع الدين واحدة ... إلى آخره»:

فيه إشارة إلى معنى قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾^(٤). سواء جعلت «ان» مصدرية، عند من اجاز ان يكون صلتها أمراً، او مفسرة، عند من منع.

فان المأمور به في الوجهين. إقامة الدين من غير اختلاف فيه، وإلى معنى قوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾^(٥).

(٢) الأنعام: ١١٥/٦.

(٤) الشورى: ١٣/٤٢.

(١) الاحزاب: ٢٣/٣٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٢٨٩.

(٥) الشورى: ١٥/٤٢.

ومن كلام له عليه السلام وقد قام إليه رجل من أصحابه، فقال: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها، فلم ندر أي الأمرين أرشد؟ فصفق عليه إحدى يديه على الأخرى، ثم قال:

هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ^(١)! أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ^(٢) الَّذِي يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا، فَإِنْ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ، وَإِنْ اعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ، لَكَانَتْ أَلْوُثَقَى، وَلَكِنْ بَمَنْ، وَإِلَى مَنْ! أُرِيدُ أَنْ أَدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي، كَنَاقِشِ الشُّوْكََةِ بِالشُّوْكََةِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا^(٣)!

اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هَذَا الدَّاءِ الدَّوِيِّ^(٤)، وَكَلَّتِ^(٥) النَّزْعَةُ^(٦) بِأَشْطَانِ^(٧) الرِّكِيِّ^(٨)! أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ، وَفَرَّوْا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَهَيَّجُوا^(٩) إِلَى الْجِهَادِ فَوَلَّوْهُا^(١٠) [وَلَهُ] اللِّقَاحُ^(١١) إِلَى أَوْلَادِهَا، وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَعْمَادَهَا، وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ زَحْفًا زَحْفًا؛ وَصَفًا صَفًّا، بَعْضُ هَلَكٍ، وَبَعْضُ نَجَا، لَا يُبَشِّرُونَ بِالْأَحْيَاءِ، وَلَا

(١) في هـ: قبل هي الشيء النفيس، وفي هـ ب: العقدة، أي ترك الذي كان عقده.

(٢) في هامش الأصل: أي المكروه لهم وهو القتال وردّ دعوة التحكيم والموادعة، وهو من قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ ... الآية.

(٣) الضلع: الميل. والنقش: اخراج الشوكة من الجسم، وهذا مثل، وأصله: «لا تنقش الشوكة بالشوكة، فإن ضلعها معها» وفي هـ ب: يعني مثلها معها، والشوكة تكون مع جنسها

(٤) في هـ ب: المرض والوجع الشديد (٥) في هـ ب: أي عمت.

(٦) في هـ ب: هو جمع نازع، وهو الآخذ للماء السير القريب باليد.

(٧) في هـ ص وب: جمع شطن، وهو الحبل. (٨) في هـ ص وب: الركبة: البشر، والجمع: ركي.

(٩) في هـ ب: من هاج يهيج.

(١٠) من الولد، وهو شدة الشوق، وفي هـ أ: التولية: أن يفرق بين المرأة وولدها، وفي هـ ب: أي

تحيزوا مثل تحيز الابل الحلوبة الولهة التي يفرق بينها وبين ولدها، وولدها إلى أولادها:

فرعها إليها إذا فارقتها. (١١) لم ترد: وله في اوب وص.

(١٢) في هـ: اللقاح: جمع اللقوح، وهي الناقة الحلوب، كقصوص وقلاص، وفي هـ ب: وهي

اللقاح الواحدة: لحوق.

يُعَزُّونَ عَنِ الْمَوْتَى، مُرَّةً^(١) الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ، حُمْصُ^(٢) الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ، ذُبُلُ الشَّفَاةِ مِنَ الدُّعَاءِ، صُفْرُ الْأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ، عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبْرَةٌ^(٣) الْخَاشِعِينَ، أَوْلِيكَ إِخْوَانِي الدَّاهِيُونَ، فَحَقٌّ لَنَا أَنْ نَظْمًا^(٤) إِلَيْهِمْ، وَنَعَضَ الْأَيْدِي عَلَى فِرَاقِهِمْ. إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي^(٥) لَكُمْ طُرُقَهُ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً^(٦)، وَيُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ، وَبِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ، فَاصْدِقُوا^(٧) عَنْ نَزَغَاتِهِ^(٨) وَنَفَثَاتِهِ^(٩)، وَأَقْبِلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا^(١٠) إِلَيْكُمْ، وَأَعْقِلُوهَا^(١١) عَلَى أَنْفُسِكُمْ.

قوله عليه السلام: «هذا جزاء من ترك العقدة...»:

الذي يظهر لي - والله أعلم - أن الإشارة إلى اللوم واعتقاد السوء به، وأنه لا يدري ما الصواب فيأمر به، وما الخطأ فينهى عنه، ثم فسر العقدة بقوله: أما والله ... إلى آخره. أي العقدة والحزم والرشد، هو الرأي الأول، وهو الامتناع من الإجابة إلى التحكيم: لم يلتبس عليّ.

ولكنه لا يتم المضي عليه إلا بأن تسعدوني، ولم يحصل ذلك منكم؛ لأنكم خالفتُموني وبيتم عليّ.

أو بأن احملكم وأقرّكم عيه، وحينئذٍ فإما أن أغيبكم فأقوّمكم، وإما أن تغلبوني فأتدارككم، ولكن هذه الوثقى تحتاج إلى أعوان وأنصار صادقي النية مطيعين، ولستم

(١) في هـ.ب: الأمره: البصر، من مرهت عينه مرها: إذا فسدت ..

(٢) في هـ.ب: أي ضمها، يقال: حمص الحشا، أي ضامر البطن، والمخمصة: المجاعة.

(٣) في ب: عبرة، وفي هـ.ب: وفي نسخة: غبرة.

(٤) في هـ.ب: نحن - ظاهراً -

(٥) في هـ.ب: أي يسهل، يقال: سنّى الله الأمر: أي فتحه وسهّله.

(٦) في هـ.ب: أي يريد أن يدخلكم فيه. (٧) في هـ.ب: أي انصرفوا عن افساده.

(٨) النزع: الوسوس.

(٩) في هـ.ب: النفث شبيه النسخ، كما ينفخ الساحر، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ السَّفَّاثَاتِ فِي

الْعُقَدِ﴾. (١٠) في هـ.ب: من الهدية.

(١١) في هـ.ب: اعقوها، أي احبسوا نصيحتي على أنفسكم.

كذلك؛ لأنني أريد أن اداوي بكم داء الناس الخارجين من طاعتي، وأنتم في الحقيقة دائي؛ لأنكم تخالفونني وتعصونني، ثم تسومونني موافقتكم على رأيكم الفاسد، وتضطرونني إليه، ثم تحملونني نقصه وعيبه، فهذا داء لا دواء له.

فليس في هذا الكلام اعتراف بأنه أتى خطأ ولا قبيحاً؛ لأنه المُلجأ إلى الأمر والداخل فيه، والله أعلم.

قوله ﷺ: «إين القوم ... إلى آخره»:

قال ابن أبي الحديد: فإن قلت: مَنْ هؤلاء الذين يشير عليه السلام إليهم؟ قلت: هم قوم كانوا في ثأنة الإسلام، وفي زمان ضعفه وخموله، أرباب زهد وعبادة، وجهاد شديد في سبيل الله، كمصعب بن عمير من بني عبد الدار، وكسعد بن معاذ من الأوس، وكجعفر بن أبي طالب، وعبدالله بن رواحة، وغيرهم؛ ممن استشهد من الصالحين. أرباب الدين والعبادة والشجاعة في يوم أحد، وفي غيره من الأيام في حياة رسول الله ﷺ، وكعمار، وأبي ذر، والمقداد، وسلمان، وخبّاب، وجماعة من أصحاب الصُّفّة وفقراء المسلمين أرباب العبادة، الذين قد جمعوا بين الزهد والشجاعة. وقد جاء في الأخبار الصحيحة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الجنة لتشتاق إلى أربعة: علي، وعمار، وأبي ذر، والمقداد»، انتهى^(١).

قلت. هو لأسلاف الشيعة من الصحابة، ومنهم: سلمان، ومنهم: أبي بن كعب، ومنهم: حذيفة، ومنهم: ذو الشهادتين، ومنهم: ابن التيهان، ومنهم: النعمان بن العجلان، ومنهم: قيس بن سعد، ومنهم: رفاعه بن رافع، ومنهم: أبو أيوب، ومنهم: عبادة بن الصامت، ومنهم: البراء بن عازب وغيرهم، وهم معروفون معدودون رضي الله عنهم، وطبقة من لتابعين وهم مشهورون رضي الله عنهم.

ومن كلام له عليه السلام قاله للخوارج وقد خرج إلى معسكرهم وهم مقيمون على إنكار الحُكُومَةِ، فقال عليه السلام:

«أَكَلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا صَفِّينَ؟» فَقَالُوا: مِنَّا مَنْ شَهِدَ وَمِنَّا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ. قَالَ: فَاُمْتَاذُوا^(١) فِرْقَتَيْنِ: فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ صَفِّينَ فِرْقَةً، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً؛ حَتَّى أَكَلَّمَ كَلًّا^(٢) بِكَلَامِيهِ، وَنَادَى النَّاسَ، فَقَالَ:

أَمْسِكُوا عَنِ الْكَلَامِ، وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِي، وَأَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ، فَمَنْ نَشَدْنَاهُ^(٣) شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا.

ثُمَّ كَلَّمَهُمْ عليه السلام بِكَلَامٍ طَوِيلٍ، مِنْ جُمْلَتِهِ^(٤) أَنْ قَالَ عليه السلام:

أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ - حِيلَةً وَغِيْلَةً، وَمَكْرًا وَخَدِيعَةً -: إخواننا وأهل دَعْوَتِنَا، اسْتَقَالُونَا، وَاسْتَرَاخُوا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَالَرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ، وَالتَّنْفِيسُ^(٥) عَنْهُمْ؟ فَقُلْتُ لَكُمْ: هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيْمَانٌ، وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ، وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ، فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ، وَالزَّمُوا طَرِيقَتَكُمْ، وَغَضُّوا عَلَى الْجِهَادِ بِنَوَاجِدِكُمْ، وَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَى نَاعِقٍ نَعَقَ؛ إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ، وَإِنْ تُرِكَ ذَلَّ.

وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْقَعْلَةُ، وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ أُعْطِيتُمُوهَا^(٦)، وَاللَّهُ لَئِنْ أَبَيْتُهَا مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا، وَلَا حَمْلَتِي اللَّهَ ذَنْبُهَا، وَاللَّهُ إِنْ جِئْتُهَا إِنِّي لِلْمُحِقِّ الَّذِي يَتَّبِعُ، وَإِنَّ الْكِتَابَ لَمَعِي، مَا فَارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ^(٧) وَلَقَدْ^(٨) كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِنْ الْقَتْلَ لَيَدُورُ بَيْنَ الْآبَاءِ^(٩)

(١) في هامش ب. أي انفردوا، من الامتياز. (٢) في د: كلاً منكم.

(٣) في هـ. ب: أي طلبناه. (٤) في أ و ط: منه، ولم ترد «ان قال» فيهما.

(٥) في هامش ب: أي التفرج. (٦) يريد عليه السلام انكم انتم الذين اعطيتم ذلك

(٧) ما بين القوسين من ط ود ولم يرد في ص وأوب.

(٨) في أ و د و ط: فلقد.

(٩) في ط: على الآباء، وفي هـ. د: على الآباء - ض ح.

وَالْأَبْنَاءَ وَالْإِخْوَانَ وَالْقَرَابَاتِ، فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلَّا إِيْمَانًا وَمُضِيًّا عَلَى الْحَقِّ، وَتَسْلِيمًا لِلْأَمْرِ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ^(١) الْجِرَاحِ^(٢).

وَلَكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي الْإِسْلَامِ عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ^(٣) وَالْإِعْوَاجِ، وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيلِ، فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ^(٤) يَلْمُ اللَّهُ شَعْنَنَا، وَتَنَادَى بِهَا^(٥) إِلَى الْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا، رَغِبْنَا فِيهَا، وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا.

(١) في هـ.ب: المضض: شدة الألم. (٢) في ص: الجرح.

(٣) في هامش ب: أي الميل.

(٤) الخصلة: الوسيلة، وفي هـ.ب: إشارة إلى مرادهم في التحكيم ان يحكموا على كتاب الله وسنة رسوله.

(٥) في هامش ب، وفي نسخة: وتنادي إلى البقية.

ومن كلام له عليه السلام قاله لأصحابه في ساعة ^(١) الحرب:

وأيُّ امرئٍ أَحَسَّ ^(٢) مِنْ نَفْسِهِ رِبَاطَةَ جَاشٍ ^(٣) عِنْدَ الْلِقَاءِ وَرَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ
فَشَلًّا ^(٤) فَلْيَذُبْ ^(٥) عَنْ أَخِيهِ بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ ^(٦) الَّتِي فَضَّلَ بِهَا عَلَيْهِ، كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ، فَلَوْ
شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ.

إِنَّ ^(٧) الْمَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ ^(٨) لَا يَفُوتُهُ الْمَقِيمُ، وَلَا يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ.
إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ؛ وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ ^(٩)
مِنْ مَيِّتَةٍ ^(١٠) عَلَى الْفَرَاشِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ ^(١١).

(١) في آ: وقت. (٢) في هـ: ب: أي وجد.

(٣) في هـ: أ: يقال فلان رابط الجأش، وربيط الجأش: أي شديد القلب، كأنه يربط نفسه عن
الفرار، وفي هـ: ب: أي صلب القلب.

(٤) في هـ: ص: أي جند وخوراً، وفي هـ: ب: جنباً وضعفاً.

(٥) في أ: فليذب، وفي هـ: ص، وفي نسخة: فليذب، وفي ب: فليذب، وفي هـ: ب: فليذب أي
ليدفع، وفي نسخة: فليذب، وفي هـ: د: وري فليرب - ر.

(٦) في هـ: ب: شجاعته. (٧) في ب: فإن، وفي هـ: د: فان - ش.

(٨) في هـ: ب: سريع بالسير.

(٩) في ط زيادة: عليّ، وفي هـ: د: زيادة: عليّ - ص ح ب.

(١٠) هـ: ص: بكسر الميم فيصير الواو ياءً، ويروى: موتة بفتح الميم.

(١١) في هـ: د: «في غير طاعة الله» لم يرد في م ف ن ل ش.

وَمِنْ كَلَامِ لَهُ ﷺ^(١):

وَكَاَنِّي أَنْظَرُ إِلَيْكُمْ تَكْشُونَ^(٢) كَشِيشَ الضُّبَابِ^(٣)، لَا تَأْخُذُونَ حَقًّا، وَلَا تَمْنَعُونَ ضَيْمًا، قَدْ خُلِيتُمْ^(٤) وَالطَّرِيقَ^(٥)، فَالْنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ، وَالْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ^(٦).

(١) في أ: بدل «ومن كلام له ﷺ»: «ومنه». (٢) في هـ. ب: تصوّتون.

(٣) الضباب جمع ضب، وكشيش الضباب: صوت احتكاك جلودها عند ازدحامها، وفي هـ.

ص: يشبه الخوار، مثل الخشخشة. (٤) في هـ. ب: «مع» أي تركتم مع الطريق.

(٥) في هـ. ص: أي طريق الجنة، وهي الأعمال الصالحة، أعلاها الجهاد.

(٦) في هـ. ب: التلوم: التمكن.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ ﷺ^(١) فِي حَثِّ^(٢) أَصْحَابِهِ عَلَى الْقِتَالِ:

فَقَدَّمُوا الدَّرْعَ^(٣) وَأَخْرَوْا الْحَاسِرَ^(٤)، وَعَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ؛ فَإِنَّهُ أَنْبَأَ^(٥) لِّلْسِيُوفِ عَنِ
الْهَامِ^(٦)، وَالتَّوَّأَ^(٧) فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ؛ فَإِنَّهُ أَمُورُ^(٨) لِّلْأَيْسَةِ، وَعُضُّوا الْأَبْصَارَ؛ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ
لِلْجَاشِ^(٩) وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ، وَأَمِيتُوا^(١٠) الْأَصْوَاتَ؛ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفُشْلِ، وَرَايَتَكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا،
وَلَا تُخْلُوهَا^(١١)، وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ، وَالْمَانِعِينَ الذَّمَّارَ^(١٢) مِنْكُمْ؛ فَإِنَّ الصَّابِرِينَ
عَلَى^(١٣) نُزُولِ الْحَقَائِقِ^(١٤)، هُمُ الَّذِينَ يَخْفُونَ^(١٥) بِرَايَاتِهِمْ^(١٦) وَيَكْتُمُونَهَا^(١٧) حِفَاقِهَا^(١٨)
وَوَرَاءَهَا وَأَمَامَهَا^(١٩)، وَلَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسَلِّمُوهَا، وَلَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيَقْرُدُّوهَا.

(١) في أ بدل «ومن كلام له ﷺ» في حض أصحابه على القتال: ومنه.

(٢) في ص: حظ.

(٣) في هـ. ص وب: ذا الدرع.

(٤) في هـ. ب: الحاسر: الذي لا درع له ولا مغفر، وفي هـ. ص: من ليس له درع: لثلاث تصيبه
السهم.

(٥) في أ و ط: انبأ.

(٦) الهام: جمع الهامة، وهو الرأس.

(٧) في هـ. ب: التوى وتلوى بمعنى، وكلاهما مطاوع أعناق الرجال في الخصومة.

(٨) الأمور: الاضطراب الموجب للانزلاق. وأمور: أشد فعلاً للمور، والمراد: إذا وصلت إليكم
أطراف الرماح فأميلوا جانبكم فتزلق ولا تنفذ فيكم أسننها، وفي هـ. ب: من مار يمور.

(٩) في هـ. ب: أثبت للقلب

(١٠) في هـ. ب: من الإماتة.

(١١) في آ: نخلوها، وفي هـ. ب، وفي نسخة: نخلوها.

(١٢) في هـ. ص: هو ما وراء الرجل مما يحقّ عليه أن يحميه، ويسمى ذماراً؛ لأنه يجب على أهله
التنذر له، أي الغضب، في هـ. ب: الذمار: ما وراء الرجل مما يحقّ أن يحميه، تمت من
الشرح.

(١٣) في ص: عند.

(١٤) في هـ. ص: الحقائق: جمع حاقّة، وهي الأمر الصعب الشديد، ومنه قوله تعالى: «الحاقة ما

الحاقة» الحاقة: ٦٩ / ١، وفي هـ. ب: جمع حقيقة، وهي ما يلزم الدفع عنها.

(١٥) في هـ. ب: يطوفون.

(١٦) في آ: راياتهم، وفي هـ. د: راياتهم - ف ن.

(١٧) في هـ. ب: يحيطون بها.

(١٨) في هـ. ب: جانبها.

(١٩) لم ترد «و» في آ و د.

أَجْزَأُ^(١) أَمْرُؤُ قِرْنَهُ، وَاسَى^(٢) أَخَاهُ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَكِلْ^(٣) قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ فَيَجْتَمَعَ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ.

وَإِيْمُ اللَّهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلَةِ لَا تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الْآخِرَةِ^(٤). أَنْتُمْ^(٥) لَهَا مِيمُ الْعَرَبِ^(٦)، وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ^(٧) إِنَّ فِي الْفِرَارِ مَوْجِدَةً^(٨) اللَّهُ، وَالذُّلُّ الْإِلَازِمُ^(٩) وَالْعَارُ الْبَاقِي، وَإِنَّ الْفَارَّ غَيْرُ^(١٠) مَزِيدٍ فِي عُمُرِهِ، وَلَا مَخْجُوزٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَوْمِهِ، مِنْ رَائِحٍ^(١١) إِلَى اللَّهِ كَالظَّمَّانِ يَرِدُ الْمَاءَ، الْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي^(١٢)، الْيَوْمَ تُبْلَى^(١٣) الْأَخْبَارُ، وَاللَّهُ لَا تَأْ شَوْقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ^(١٤).

اللَّهُمَّ^(١٥) فَإِنْ رَدُّوا الْحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ، وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ، وَأَبْسِلْهُمْ^(١٦)

(١) في هـ. ص: قوله عنه: «أجزأ»، أي كفى، وهو خبر في معنى الأمر، نحو: اتقى الله امرؤ فعل خيراً فيثاب عليه، أي ليحزي امرؤ قرنَه، ومثله «واسى أخاه». والقرن. ما يقابلك في القتال. ثم عطف على ظاهر لفظ الماضي فقال: «ولم يكل قرنه إلى أخيه» أي ليرتك مقاومة قرنه حتى يعتضد مع قرن أخيه على أخيه فيقتلاه، وفي تسبب من ذلك مضرة عليه عاجلة لا يستطيع دفعها، وهي اجتماع قرنه وقرن أخيه بعد قتل أخيه على قتاله، وكان من قبل لو قاتل إنما يقاتل قرنه فقط فيمكنه دفعه عن نفسه، والله أعلم. وفي هـ. ب: يقال: أجزأني الشيء، أي: كفاني.

(٢) في هـ. د: يتكل - ع، وفي هـ. ب: من وكلته إلى نفسي.

(٣) في ص: الآجلة، وفي هـ. ص: الآخرة - صح.

(٤) في ط: وأنتم، وفي هـ. د: وأنتم - ض ح ب.

(٥) هـ. آ: اللهم جمع اللهموم، وهو الجواد من الناس. وفي هـ. ص: أهم السادات من الناس، والجياد من الخيل، الواحد: لهموم.

(٦) يريد شرفهم وعلو أنسابهم، لأن السنام أعلى أعصاء البعير.

(٧) في هـ. ب: السخط والغضب.

(٨) في هـ. د: وروي «الذل» بالذال والزاى - ر. قلت: ولعل الكلمة هي «اللازم» لا «الذل»؛ فإن اللازم بمعنى اللازم.

(٩) في ط: لغير. وفي هـ. ص، وفي نسخة: لغير. (١٠) لم ترد «الرائح» في ط، وفي هـ. د: الرائح - ض ب، وفي هـ. ب: من الروح، وهو الذهاب إلى الحرب.

(١١) في هـ. ب: القنا.

(١٢) أي تمتحن أخبار كل امرئ عمداً في قلبه من دعوى الشجاعة والصدق في الإيمان.

(١٣) لم ترد «والله لأن أشوق إلى لقائهم عنهم إلى ديارهم» في آ و ب.

(١٤) هذا دعاء على أهل لشام. (١٥) في هـ. ب: أي أسلمهم إلى الهلكة.

بِخَطَايَاهُمْ^(١).

إِنَّهُمْ لَن يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنِ دِرَاكِ^(٢) يَخْرُجُ مِنْهُ النَّسِيمُ^(٣)، وَضَرْبٍ يَفْلِقُ
الْهَامَ، وَيُطِيعُ^(٤) الْعِظَامَ، وَيُنْدِرُ^(٥) السَّوَاعِدَ وَالْأَقْدَامَ، وَحَتَّى يُزَمَّوْا بِالْمَنَاسِرِ^(٦) تَتَّبِعُهَا
الْمَنَاسِرُ، وَيُزَجَّمُوا بِالْكَتَائِبِ^(٧) تَقْفُوها الْجَلَائِبُ^(٨)، وَحَتَّى يَجْرَّ بِبِلَادِهِمُ الْخَمِيسُ^(٩)
يَتْلُوهُ الْخَمِيسُ، وَحَتَّى تَدْعَقَ^(١٠) الْخُيُولُ فِي نَوَاحِرِ^(١١) أَرْضِهِمْ، وَبِأَعْنَانِ^(١٢) مَسَارِيهِمْ^(١٣)
وَمَسَارِحِهِمْ^(١٤).

قال الشريف (رضي الله عنه): الدَّعَقُ: الدَّقُّ أَي تَدَقُّ الْخُيُولُ بِحَوَافِرِهَا أَرْضَهُمْ،
وَنَوَاحِرُ أَرْضِهِمْ: مُتَقَابِلَاتُهُمْ. يُقَالُ: مَنَازِلُ بَنِي فُلَانٍ تَتَنَاحَرُ: أَي تَتَقَابِلُ.

(١) وفي هـ. ص: أي أسلمهم لأجل خطاياهم التي اقترفوها ولا تنصرهم، يقال: أبسلت فلاناً،
إذا أسلمته لهلكة، تمت من الشرح. (٢) أي: متتابع، وفي هـ. ب: متتابعة.
(٣) أي ضرب متوال يفتح في أبدانهم أبواباً يمرّ منها النسيم، وفي هـ. أ: جمع نسيم، وهي
النفس.

(٤) في هـ. ب: بسقط.

(٦) في هـ. ص: المناسر: جمع منسر - بفتح الميم وكسر السين، ويقال: بكسر الميم وفتح
السين -، وقيل: هي الفصحاء: طائفة من الخيل يقدم امامه، وفي هـ. ب: جمع منسر، وهي
قطيع من الجيش.

(٧) في هـ. ب: جمع كتيبة، وفي هـ. ص: جمع كتيبة، وهي طائفة من الجيش.

(٨) في هـ. ب: الجلائب: لجيوش، و هـ. ص: والجلائب جمع جليبة وهي من يجلب للنصر
(تمت من الشرح).

(٩) في هـ. ص: هو الجيش، وفي هـ. ب: جمع كتيبة.

(١٠) دَعَقَ الطريق: وطنه وطناً شديداً، ودَعَقَ الغارة: بثها، وفي هـ. ب: الدَعَق: الدَق، أي: تَدَقُّ
الخيول بحوافرها أرضهم.

(١١) في هـ. ب: نواحر أرضهم: متقابلاتها. ومتقابلاتها، بني فلان تتناحر، أي: تتقابل.

(١٢) في هـ. ص: جمع عنن أي الجوانب، وفي هـ. ب: الجوانب.

(١٣) المسارب: المذاهب للرعي، وفي هـ. ب: يقال سرب العجل سروياً، إذا توجه به إلى

(١٤) في هـ. ب: مرتعهم.

المرعى.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ ﷺ فِي مَعْنَى ^(١) الْخَوَارِجِ لَمَّا أَنْكَرُوا تَحْكِيمَ الرِّجَالِ، وَيَذَمُّ فِيهِ أَصْحَابَهُ ^(٢):

إِنَّا لَمْ نُحْكَمْ الرِّجَالَ، وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ، وَهَذَا ^(٣) الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ بَيْنَ الدَّفَتَيْنِ ^(٤)، لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ، وَلَا يَدُّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ ^(٥)، وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ وَلَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ إِلَى أَنْ نُحْكَمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلِّيَ ^(٦) عَنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ^(٧). وَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ «فَإِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ» ^(٨) فَرَدُّهُ إِلَى اللَّهِ أَنْ نُحْكَمَ بِكِتَابِهِ، وَرَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ ^(٩) بِسُنَّتِهِ، فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ، وَإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ^(١٠) فَنَحْنُ أَوْلَاهُمْ بِهِ ^(١١).

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: «لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ أَجَلًا فِي التَّحْكِيمِ» فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِتَبَيِّنِ الْجَاهِلِ، وَتَثَبَّتِ ^(١٢) الْعَالِمُ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ فِي هَذِهِ الْهُدْنَةِ ^(١٣) أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَا تَأْخُذَ

(١) لم ترد «معنى» في ط

(٢) لعنوا في أ هـ كذا: ومن كلامه في التحكيم. وفي ط: ومن كلام له في التحكيم.

(٣) في ط: هذا، ولم ترد «و» في ط.

(٤) في هـ. ب: الدفتان: الخشبتين العريضتين مثل اللوح المشدود ونحوه، الموصل بعضها

ببعض من الرق المسطور عليه، ويجعلون عليهما الجلود وفي هـ. ص: الدفتان: هما جانب

المصحف للذان يكتنفانه، وكان الناس يعملونهما قديماً من خشب، ويعملونهما الآن من جند.

(٥) في هـ. ص: هو المعبر، بضم التاء وفتح الجيم.

(٦) في هـ. ب: أي المدبر. (٧) في ط: سبحانه وتعالى.

(٨) النساء: ٤ / ٥٩. (٩) في ب: أن يؤخذ.

(١٠) من قوله: «ولمّا دعانا» إلى هنا، جعل في ط بين قوسين.

(١١) في هـ. ص: وفي نسخة: بها، وفي هـ. د: «فنحن أحق الناس وأولاهم به» ساقطة من ل وح.

(١٢) في هـ. ب: معنده وفائدته معاً: الثاني حتى يعلم يقيناً.

(١٣) في هـ. ب: الصلح.

بِأَكْظَامِهَا^(١) فَتَعَجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ الْحَقِّ وَتَنْقَادَ لِأَوَّلِ الْغَيِّ.

إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ^(٢) مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ وَإِنْ نَقَصَهُ وَكَرَّثَهُ^(٣) مِنَ الْبَاطِلِ وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَايْدَةً وَزَادَهُ. فَأَيْنَ^(٤) يُتَاهُ بِكُمْ^(٥)، وَمَنْ أَيْنَ أَوْتِيْتُمْ اسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمِ حَيَارَى^(٦) عَنِ الْحَقِّ لَا يَبْصُرُونَهُ، وَمُوزَعَيْنَ^(٧) بِالْجَوْرِ لَا يَعْدِلُونَ بِهِ، جُفَاءً^(٨) عَنِ الْكِتَابِ، نُكَبُّ^(٩) عَنِ الطَّرِيقِ، مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بِهَا، وَلَا زَوَافِرَ^(١٠) عِزٍّ^(١١) يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا، لَبْسَسَ حُشَّاشٌ^(١٢) نَارَ الْحَرْبِ أَنْتُمْ.

أَفْ لَكُمْ! لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرْحًا^(١٣)، يَوْمًا أَنْادِيكُمْ وَيَوْمًا أَنْاجِيكُمْ، فَلَا أَحْرَارَ^(١٤) صِدْقٍ عِنْدَ النَّدَاءِ، وَلَا إِخْوَانَ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ^(١٥).

(١) في هـ. أ يقال: أخذت بكظمه: أي بمخرج نفسه، والجمع: الأكظام.

(٢) في ب: إلى الله، وفي هـ. ب: في نسخة: عند الله، وفي هـ. د: أفضل الناس إلى الله - ش.

(٣) في هـ. ب: كرثه: شتد به وبلغ منه المشقة.

(٤) في ط: أين، وفي هـ. ب: في نسخة: فأني يتاه، وفي هـ. د: أين يتاه بكم من أين أتيتم - ب.

فأين يتاه بكم - ر. (٥) في هـ. ب: يحيّر بكم.

(٦) في هـ. د: في قوم حيارى. ب، وفي هـ. ب: حيارى: محيرون.

(٧) في هـ. آ: أي موزعين، وفي هـ. ب: يقال: أوزعته بكذا، أي أغريته به، وفي هـ. ص الموزع:

المعزى بالشيء الملهم له قال الله تعالى: «رَبِّ أَوْزَعْنِي»، وفي هـ. ب: لا يعدلون: أي

لا يرضون إلا بقول الظلم أو بفعل الظلم. (٨) في د جفاة وهو جمع جاف.

(٩) في هـ. ب: نكب جمع نكوب أي: عدول عن الطريق.

(١٠) في هـ. أ: زوافر الرجل: أنصاره وعشيرته، وفي هـ. ب: أعوان.

(١١) لم ترد «عز» في آ وب

(١٢) في هـ. د وروي حشاش - ز، الحشاش: ما يحش به كالضرام، الحشاش: جمع حاش وهو

من حششت النار: إذا أوقدتها، وفي هـ. ص بالكسر: ما يحش به النار أي يقوى، ويروى

بالفتح كساع وهو الحطب الدق يلقى في النار قبل الحطب الجزل، ويروى حشاش بالضم،

وتشديد الشين جمع حاش وهو الموقد للنار. تمت من الشرح.

(١٣) د: برحاً، وفي هـ. ب: برحاً: شدة، وترحاً: حزناً، وفي هـ. د: قرحاً - ك، وروي: ترحاً - ر، وفي هـ.

ص: بالباء الموحدة: الشدة، ويروى: ترحاً، بالتاء المثناة من فوق، أي حزناً، تمت من الشرح.

(١٤) في هـ. ب: بمعنى المناجاة.

(١٥) جمع حرّ.

ومن كلام له عليه السلام لما عوتب على تصيير^(١) الناس أسوة^(٢) في العطاء من غير تفضيل أولي السابقات والشرف^(٣):

أَتَأْمُرُونِي^(٤) أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ؟! وَاللَّهِ لَا أَطُورُ^(٥) بِهِ^(٦) مَا سَمَرَ^(٧) سَمِيرٌ وَمَا أَمَّ^(٨) نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْمًا، وَلَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ^(٩).

ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(١٠): أَلَا وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ، وَهُوَ يَزْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا، وَيَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ، وَيُهَيِّئُهُ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَمْ يَضَعْ أَمْرًا مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ^(١١) إِلَّا حَرَمَهُ^(١٢) اللَّهُ شُكْرَهُمْ، وَكَانَ لِغَيْرِهِ وَدُّهُمْ، فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْمًا فَاجْتَاحَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَدِينٍ^(١٣).

وقوله عليه السلام: «ما سمر سمير»:

أي ما أقام الدهر وما بقي، والأشهر في المثل: «ما سمر ابنا سمير»، قالوا: السمير الدهر،

(١) في ب: تصيره.

(٢) في ط و د: على التسوية في العطاء، وفي هـ ب: من المساواة.

(٣) لم ترد «من غير تفضيل أولي السابقات والشرف» في أ و د.

(٤) في هـ د: أتاأمرونني - حاشية م. وفي هـ ب: أصله «أتاأمرونني» سكن الأولى وادغم في الثاني.
(٥) في هـ د: ما أطور به - ب.

(٦) في هـ ب و ص: أي لا أقربه.

(٧) في هـ أ: سمير اسم للدهر، تقول العرب: لا أفعل ذلك ما سمر سمير وما سمر أيضاً سميراً أي لا أفعله أبداً.
(٨) في هـ ب: أي دام.

(٩) في أ: وإنما المال مال الله لهم، وفي ب: وإنما المال لهم.

(١٠) لم ترد «ثم قال عليه السلام» في ط. (١١) في هـ د: ولا عند غير أهله - ب.

(١٢) في هـ ب: من الحرمان.

(١٣) وردت العبارة في أ و د هكذا: «فشر خدين وألأم خليل». وفي هـ د: فشر خليل والألم خدين - ح ل ش. وفي هـ ب: الخدين والحليل كالخل والخليل، وألأم: من اللوم.

وابناه الليل والنهار. وقيل: ابنا سمير الليل والنهار، لأنَّهُ يسمَرُ فيهما، ويقولون: لأفعله السَّمَر والقمر، أي مادام الناس يسمرون في ليلة قمرًا، ولا أفعله سميرَ الليالي، أي أبدا، انتهى من الشرح^(١).

وقوله ﷺ: «أطلب النصر بالجور» أي: بأن أجور على قوم وليت عليهم! يعني الذين لا سوابق لهم ولا شرف؛ وكان عُمَرُ ينقصهم في العطاء عن غيرهم^(٢).

واعلم أن هذه مسألة فقهية، ورأي علي عليه السلام وأبي بكر فيها واحد، وهو التسوية بين المسلمين في قسمة الفيء والصدقات، وإلى هذا ذهب الشافعي، وأمّا عمر؛ فإنه لما ولي الخلافة فضّل بعض الناس على بعض، فضّل السابقين على غيرهم^(٣)، وفضّل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين، وفضّل المهاجرين كافة على الأنصار كافة، وفضّل العرب على العجم. وفضّل الصريح على المولى، وقد كان أشار على أبي بكر أيام خلافته بذلك، فلم يقبل، وقال: إن الله لم يفضل أحداً على أحد، ولكنّه قال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾^(٤)، ولم يخصّ قوماً دون قوم، فلما أفضت إليه الخلافة عمل بما كان أشار به أولاً، وقد ذهب كثير من فقهاء المسلمين إلى قوله، والمسألة محلّ اجتهاد، وللإمام أن يعمل بما يؤدي إليه اجتهاده، وإن كان اتباع علي عليه السلام عندنا أولى، لاسيّما إذا عضّده موافقة أبي بكر على المسألة، وإن صح الخبر أن رسول الله ﷺ سوى فقد صارت المسألة منصوصاً عليها، لأن فعله عليه السلام كقوله. انتهى نقلاً من شرح ابن أبي الحديد^(٥).

قلت: وعمدة قوله في اعتذاره لعمر، هو: أن كل مجتهد مصيب^(٦)، ودون صحّة هذا

(١) شرح ابن أبي الحديد ٨ : ١١٠. (٢) شرح ابن أبي الحديد ٨ : ١١٠.

(٣) في هـ ص : ومما يعجب له من فعل عمر أنّه قسّم لأهل بدر - ومن جملتهم علي - خمسة آلاف، وفرض للعباس - قيل : - خمسة وعشرين ألفاً، وقيل : اثني عشر ألفاً، وأعجب من ذلك أنّه فرض لنساء النبي ﷺ عشرة آلاف لكل واحدةٍ منهنّ، فضلهنّ على الرجال. وعلي عليه السلام أسبق الموجودين في زمن عمر بالاجماع، وأعظمهم أثراً في الجهاد.

(٤) التوبة : ٩ / ٦٠. (٥) شرح ابن أبي الحديد ٨ : ١١١.

(٦) راجع شرح الخطبة : ١٧٦.

الأصل خرط القتاد.

ولكن أعجب لمتأخري أصحابنا الذاهبين الى جواز التفضيل مع امتناع علي عليه السلام منه وتسميته له جوراً. وروايته عن رسول الله ﷺ خلافه يدحوق بالضرورة لاشتهاره وظهوره.

فلو كان له مساع لصار إليه؛ لحاجته إليه، ولا يستصلح به رعيته؛ فان الناس إنما تفرقوا عنه لأجل أنه سوى في العطاء بعد ما ألقوا التفضيل من عمر وعثمان.

ولذلك ورد في صفته عليه السلام أنه يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الفجار^(١).

فالذي يقول من أصحابنا بأن الحق في الاجتهاد يأتي مع واحد، ومن يقول منهم بأن كل مجتهد مصيب، ويقول بأن قول علي وفعله حجة يجب اتباعها؛ لأن الحق معه والقرآن ينص: ﴿وماذا بعد الحق إلا الضلال﴾^(٢)، كيف يسوغ لهم المصير الى خلاف ما ذهب إليه وهو صريح لا يحتمل التأويل.

وأما ما تمسكوا به لجواز التفضيل من الروايات عن فعل رسول الله ﷺ وفعل علي عليه السلام وفعل الأئمة من ولده؛ فإنه لا يدل على هذا التفضيل، وإنما يدل على التخصيص^(٣).

وذلك أن الشافعي يزعم أنه يجب أن تقسم صدقة كل شخص على ثمانية أجزاء، وخمس كل غانم على خمسة أسهم، فردوا عليه قوله هذا، وقالوا: يجوز صرف الصدقة الواحدة أو الصدقات في مصرف واحد من المصارف الثمانية أو في فرد واحد من أفراد ذلك المصرف، وكذلك الخمس. بشرط أن يصير إلى سائر المصارف من مال آخر ما يسوى بينهم وبين ذلك المصروف إليه، وهذا الشرط هو المعنى بقولهم: تفضيل غير مجحف.

قالوا: وهذا التخصيص مثل ما قسم رسول الله ﷺ غنائم خيبر على أهل الحديبية

(٢) يونس : ١٠ / ٣٢.

(١) نهج البلاغة، الحكمة: ٣٦١

(٣) في هـ ص مايلي: يدل على المراد من ذلك عبارات المتقدمين، قال في التقرير: وأما الموضوع الثالث، وهو أنه هل يجوز صرف الخمس كله في صنف واحد من هذه الأصناف الستة أم لا؟ ... إلى آخر كلامه، ثم أورد في الاحتجاج ما نقلناه في المتن.

خاصّة، وكما قسّم غنائم هوازن في التّأليف خاصّة، وكما صرف صدقة بني زريق في سلمة بن صخر، وكما قسّم مال البحرين على من حضر مجلسه، وغير ذلك من فعله عليه السلام. وكما صرف عليّ عليه السلام خمس من وجد الكنز فيه وفي أهله، ومثله ما روي عن الأئمة من ولده.

وهذا الذي أنكره عليه السلام هو أن يستوي شخصان في سبب، فيعطى أحدهما أكثر ممّا يعطى الآخر؛ لكونه ذا فضيلة في الدين أو ذا شرف ليسا سبباً لاستحقاق سهم مسّى، لا كذوي القربى وكفاية عول المجاهد ذي العول الكثير بما يزيد على كفاية عول المجاهد ذي العول القليل.

فإن قيل: فهل يدلّ قوله وفعله على منع التّأليف؟

قلت: لا؛ لأنّ التّأليف الشرعي أن يصرف الامام سهماً واحداً من سهام الصدقات أو من القيء في المؤلّفة قلوبهم، لا أن يجعل سهمهم من السهام الأخر زائداً على سهم من ساواهم في ذلك السبب المأخوذ به، بحيث يفرض لهم ذلك الفرض في كل عطاء مستمراً كما فعل عمر، فتبسّر، والله أعلم.

ووجدت في بعض الكتب المؤلّفة في أخبار أمير المؤمنين عليه السلام ما رسمه:

قال: وحدثني أبو خبّاب، عن عمارة بن ربيعة الجرمي، أن جماعة من أصحاب علي، قالوا: يا أمير المؤمنين إعط هذه الأموال وفضل علينا هذه الأشراف ومن نخاف فراقه وخلافه حتى إذا ستّبت لك الأمور عدت إلى أحسن ما كنت عليه من العدل في الرعية والقسم بالسويّة.

قال علي: تأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وُلّيت عليه من أهل الإسلام؟! والله لا أطور به ما سمر سمير وما خوى في السماء نجم، ولو كان مالهم لي لسوّيت بينهم، فكيف وإنّما هي أموالهم.

ثم رُم طويلاً ساكتاً، ثمّ قال: من كان منكم له مال فإيتاه والفساد؛ فإنّ إعطاء المال في غير حقّه تبذير وإسراف، وهو يرفع ذكر صاحبه في الناس ويضعه عند الله، وما وضع امرئ ماله في غير حقّه وعند غير أهله إلّا حرّمه الله شكرهم وكان لغيره ودّهم، فإن بقي

معه منهم من يريه الود ويظهر له الشكر فإثما هو ملق وكذب، فإن زلت بصاحبه التعل واحتاج إلى معاونته ومكافأته فشرّ خليل، وآثم حري، وليس لواضع ماله في غير حقّه وعند غير أهله من الحظّ فيما يأتي إلا محمّدة الناس والأشرار مادام عبيهم منعماً ومقالة الجهّال ما أجوده، وهو عن ذات الله بخيل.

فأيّ حظّ أبور وأشرّ من هذا الحظّ؟ وأيّ معروف أقلّ عائدة من هذا المعروف؟ فمن آتاه الله مالاً فليصل به القرابة وليحسن منه الضيافة، وليعن به العاني ويفكّ به الأسير، وليعن به الغارم وابن السبيل والفقراء والمجاهدين، وليصبر نفسه على الحقوق، فأيّ فوز من مكارم الدّنيا ودرك ثواب الآخرة أسنى من هذا، انتهى^(١).

وفي هذا الكتاب، قال: وحدّثنا عن الجهني عن زيد بن وهب: أنّ عليّاً لما سار من ساباط جعل يعرض أصحابه في كل منزل، فلا يعرضهم عرضة إلا فقد منهم ناساً. فشكا ذلك إلى الأشر، وقال له: إنّ الناس يلحقون بمعاوية.

فقال له الأشر: قاتلنا أهل البصرة بالبصرة ورأي الناس واحد، فقد اختلفوا وتفرّقوا وتعادو وضعفت النية وقلّ العدد، فهذا شأنهم وأنت تسير فيهم بالعدل، وتسوي بين الفقير والغني، وتنصف الضعيف من القوي، فبيس للشريف فضل منزلة على الوضيع، فضجّ أناس^(٢) ممّن معك من النصف إذ عمّوا به، واغتموا من الحقّ حين صارو فيه سواء ورأوا صنائع معاوية عند أهل الغنى والشرف فتناقت أنفس الناس الى الدنيا وأقبل الدس من ليس للدنيا بصاحب فلا يزل شقيّ محروم لخيرات لاحقاً بأهل العدوان والظلم، وقد سئم الحق وباعه الطمع اليسير، وأكثر الناس من يحتوي الحق ويستهوئ الباطل ويؤثر الدّنيا، فإن تبذل المال تميل إليك أعناق الرجال ويصفو لك نصيحتهم، وتستنزل به ودّهم، صنع الله لك وكبت عدوك وأوهن كيدهم وشئت أمرهم، إنّه على كل شيء قدير.

قال: فلمّا قضى الأشر كلامه، حمد الله عليّ وأثنى عليه وصلىّ على النبيّ ﷺ، ثم قال:

فإنّا إن يكن من عملنا ما ذكرت من الحقّ وسيرتنا بالحقّ فيمن وليّنا عليه، فإنّ الله

(١) شرح ابن أبي الحديد ٨: ١١١. (٢) في ص: ناس.

يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(١). وأنا من أن أكون مقصراً أخوفاً.

وأما ما ذكرت من أن الحق ثقل عليهم ففارقوا؛ فقد - والله - علموا أنهم لم يفروا من جور ولم يلجئوا إلى عدل ولم يلتمسوا إلا طمع دنيا زائلة، كأنهم قد فارقوها وسيعلمون يوم القيامة؛ ألدنيا أرادوا بما صنعوا أم الله؟!

وأما ما ذكرت من بذل الأموال واصطناع الرجال؛ فإنه لا يسعنا أن نؤتي أحداً من الفياء أكثر من حقه وقد قال الله في كتابه وقوله لحق: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢)، وقد بعث الله محمداً ﷺ وحده، فكثّره الله بعد القلة وأعزّه بعد الذلّة، وأظهره على الناس، فإن يرد الله أن يؤتينا هذا الأمر نستأهل آخرة، وإن يصرفه عنا فبالخيرة لنا منه في ذلك.

وأنا قابل من رأيك ما كان لله رضى وللمسلمين صلاحاً، فإنك من أنصح أصحابي ومن آمن أمنائي وأوثقهم في نفسي وأرضاهم عندي، انتهى^(٣).

(٢) البقرة: ٢ / ٢٤٩.

(١) فصلت: ٤١ / ٤٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٨: ١١١.

ومن كلام له عليه السلام للخوارج أيضاً^(١):

فإِنْ أُبَيِّنْتُمْ إِلَّا أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ، فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عَامَّةَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِضَلَالِي وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطِيئِي وَتُكْفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبِي، سَيُؤْفِكُكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ الْبُرءِ^(٢) وَالسُّقْمِ، وَتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يَذْنِبْ؛ وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَجَمَ الزَّانِيَ الْمُحْصَنَ^(٣)، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ، وَقَتَلَ الْقَاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ، وَقَطَعَ السَّارِقَ^(٤)، وَجَلَدَ الزَّانِيَ غَيْرَ الْمُحْصَنِ، ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفَيْءِ، وَنَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ، فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِذُنُوبِهِمْ، وَأَقَامَ حَقَّ اللَّهِ فِيهِمْ وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُخْرِجْ أَشْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ.

ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ، وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ^(٥) وَضَرَبَ بِهِ يَتِيهَهُ^(٦)، وَسَيَهْلِكُ فِي صِنْفَانِ: مُحِبٌّ مُفْرَطٌ^(٧) يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَمُبْغِضٌ مُفْرَطٌ^(٨) يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَخَيْرُ النَّاسِ فِي حَالٍ^(٩) النَّسْطُ الْأَوْسَطُ. فَالزَّمُوهُ وَالزَّمُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ؛ فَإِنَّ الشَّاذَّ^(١٠) مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ^(١١) مِنَ الْغَنَمِ لِلذَّبِّ.

(١) لم ترد « للخوارج أيضاً » في ط . (٢) في أ و ب : البراءة . وفي ص : البراءة .

(٣) لم ترد « المحصن » في أ و ب .

(٤) لم ترد « السارق » في ط ، وفي ه د : قطع يد السارق - ح .

(٥) في ه ب : من الرمي .

(٦) التيه : المفازة يتاه فيها . وتله في الارض : ذهب متحيراً .

(٧) (٨) في ه ب : المفرط : المتجاوز الحد ، والمحِب المفرط هو الغالي ، والمبغض هو القالي .

(٩) في ه ب : تمييز .

(١٠) أي المنفرد .

(١١) في ه ب : في نسخة : كما أن النّادة .

أَلَا مَنْ دَعَا إِلَى هَذَا الشُّعَارِ^(١) فَاقْتُلُوهُ وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هَذِهِ. وَإِنَّمَا حُكْمَ الْحَكَمَانِ لِيُخَيِّبَا مَا أَحَى الْقُرْآنَ وَبَيَّنَّا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ، وَإِحْيَاؤُهُ الْإِجْتِمَاعُ عَلَيْهِ، وَإِمَاتَتُهُ الْإِفْتِرَاقُ عَنْهُ، فَإِنْ جَرَّنا الْقُرْآنُ إِلَيْهِمْ اتَّبَعْنَاهُمْ وَإِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا اتَّبَعُونَا، فَلَمْ آتِ - لَا أَبًا لَكُمْ - بُجْرًا^(٢)، وَلَا خَتَلْتُكُمْ^(٣) عَنْ أَمْرِكُمْ، وَلَا لَبَسْتُه^(٤) عَلَيْكُمْ، إِنَّمَا اجْتَمَعَ رَأْيِي مَلَائِكُمْ^(٥) عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ، أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ لَا يَتَعَدَّيَا^(٦) الْقُرْآنَ، فَتَاهَا^(٧) عَنْهُ وَتَرَكَ الْحَقَّ وَهُمَا يُبَصِّرَانِهِ، وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضِيَا عَلَيْهِ، وَقَدْ سَبَقَ^(٨) اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكُومَةِ بِالْعَدْلِ وَالصَّمَدِ^(٩) لِلْحَقِّ سُوءَ^(١٠) رَأْيِهِمَا، وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا.

* * *

قوله ﷺ : «وسيهلك في صنفان» ::

أحدهما: مَنْ أفرط حبه له واعتقاده فيه حتى ادعى له الحلول كما ادعت النصراني ذلك في المسيح ﷺ، والثاني: مَنْ أفرط بغضه له، حتى حاربته، أو لعنه، أو برئ منه، أو أبغضه؛ هذه المراتب الأربع؛ والبغض أدناها، وهو موبق مهلك؛ وفي الخبر الصحيح المتفق عليه: أنه لا يحبه إلا مؤمن. ولا يبغضه إلا منافق؛ وحسبك بهذا الخبر، ففيه وحده كفاية.

[فصل في ذكر الغلاة من الشيعة والنصيرية وغيرهم:]

فأما الغلاة فيه فهالكون كما هلك الغلاة في عيسى ﷺ. وقد روى المحدثون أن رسول الله ﷺ قال له ﷺ : «فيك مُثُلٌ من عيسى بن مريم، أبغضته اليهود فيهِتت أمه، وأحبته النصراني فرفعته فوق قدره».

(١) قبل: كان شعار الخوارج: «لا حكم إلا لله»، وفي هـ ص: يعني شعار الخوارج، وكان

شعارهم أنهم يحلقون وسط رؤوسهم ويبقى الشعر مستديراً كالأكليل، انتهى.

(٢) في هـ. أ: البجر: الشر والأمر العظيم، وفي هـ. ب: شرٌّ وأمرٌ عظيمٌ وعجبا.

(٣) في هـ. ب: خدعتكم.

(٤) التلبيس خلط الأمر وتشبيهه حتى لا يعرف وجه الحق فيه.

(٥) في هـ. ب: ملائكتكم: جماعة من أشراف الناس.

(٦) في هـ. ب: تحيرا.

(٧) في هـ. ب: يجاوزا.

(٨) في هـ. ب: القصد.

(٩) في هـ. ص: أي غلب.

(١٠) «سوء» مفعول لاستثناء.

وقد كان أمير المؤمنين عثر على قوم من أصحابه خرجوا من حدّ محبته باستحواذ الشيطان عليهم! أن كفروا برّبهم، وجحدوا ما جاء به نبيّهم، فاتخذوه ربّاً وادّعوه إلهاً، وقالوا له: أنت خالقنا ورازقنا؛ فاستتابهم، واستأنى بهم وتوعّدهم؛ فأقاموا على قولهم، فحفر لهم حفراً دخّن عليهم فيها، طمعاً في رجوعهم، فأبوا فحرقهم^(١)، وقال:

أَلَا تَرَوْنِي قَدْ حَفَرْتُ حَفْراً
إِنِّي إِذَا رَأَيْتُ أَمْراً مَنْكَراً

أَوْ قَدْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قَنْبَراً

ثم ظهرت بعده مقالات لكثير من الغلاة، انتهى من شرح ابن أبي الحديد^(٢).

ووجدت في مناقب أحمد بن حنبل بعد أن ذكر السند - ماصورته - : عن علي بن أبي طالب، قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: «إِنَّ فِيكَ مِنْ عَيْسَى مَثَلاً، أَبْغَضْتَهُ الْيَهُودُ حَتَّى بَهَتَتْ أُمَّهُ، وَأَحْبَبَّتَهُ النَّصَارَى حَتَّى أَنْزَلَتْهُ بِالْمَنْزِلِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ».

أَلَا وَأَنَّهُ يَهْلِكُ فِيَّ إِثْنَانِ مُحِبٌّ مَفْرُطٌ يَقْرُضُنِي بِمَا لَيْسَ فِيَّ، وَمُبْغِضٌ يَحْمِلُهُ شَنَانِي عَلَى أَنْ يِيْهْتَنِي.

أَلَا إِنِّي لَسْتُ بِنَبِيٍّ وَلَا يُوْحَى إِلَيَّ، وَلَكِنِّي أَعْمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ مَا اسْتَطَعْتُ، فَمَا أَمَرْتَكُمْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فَحَقَّ عَلَيْكُمْ طَاعَتِي فِيمَا أَحْبَبْتُمْ وَكَرِهْتُمْ، أَنْتَهَى .

(١) أنّ الامام عليه السلام انما دخّن عليهم ولم يحرقهم كما يدعيه ابن أبي الحديد.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٨ : ١١٩.

ومن كلام له عليه السلام^(١) وهو مما كان^(٢) يخبر به عن الملاحم بالبصرة:
يا أحنف^(٣)، كأنني به^(٤) وقد سار بالجيش الذي لا يكون له غبار ولا لجب^(٥)، ولا فقعنة^(٦)
لج^(٦) ولا حممة^(٧) خيل يثيرون الأرض بأقدامهم كأنها أقدام النعام^(٨).
يؤمى^(٩) بذلك عليه السلام^(١٠) إلى صاحب الزنج، ثم قال عليه السلام^(١١):
وإن لي سكركم^(١٢) العامرة، والدور^(١٣) المخرقة التي لها أجنحة كأجنحة النسور^(١٤)،
وخرطوم^(١٥) كخرطوم الفيلة من أولئك الذين لا يتدب قتلهم، ولا يفتقد^(١٦) غائبهم، أنا
كاب^(١٧) الدنيا لوجهها، وقادرها^(١٨) بقدرها، ونظرها بعينها.
منها^(١٩) - ويؤمى به^(٢٠) إلى وصف الأتراك^(٢١) :-

- (١) في آ: ومن كلامه.
(٢) في آ و ط بدل «وهو مما كان»: فيما.
(٣) في هـ. ب: أحنف بن قيس من صحابته عليه السلام.
(٤) في هـ. د: كأنني أنظر به - م. وفي هـ. ب: أي بهذا البلد يعني البصرة رجل خدع عبيد أهل
البصرة وصير جيشاً له واسمه علي بن الحسين البرقي.
(٥) في هـ. ب: صوت وصياح.
(٦) في هـ. ب: جمع لجام.
(٧) في هـ. ب: صوت نفسه.
(٨) في هـ. ب: أقدام النعام سود.
(٩) في ط زيادة: قال الشريف الرضي أبو الحسن عليه السلام.
(١٠) لم ترد «عليه السلام» في ط و د.
(١١) في هـ. أ: في نسخة: يؤمى بذلك إلى صاحب الزنج، ثم قال صلوات الله عليه.
(١٢) في هـ. ب: جمع سكة.
(١٣) في هـ. ب: ودوركم. وفي هـ. د: ودوركم - ش.
(١٤) في هـ. ب: جمع نسر، شبه كل واحد من الدور التي زخرها أهل البصرة وعن قريب تهلك
بالفرق بجناح النسر؛ لكثرة نقوشها، وبخرطوم الفيل لطولها.
(١٥) أي: الميازيب.
(١٦) في هـ. د: ولا يفتقد - ب.
(١٧) في هـ. ص: هذا مثل لكلمات المحكية عن عيسى عليه السلام: «أنا الذي كبيت الدنيا»، وفي هـ.
ب: يقال: كبه الله لوجهه. وقد يقال: أكبه الله كآبها، وهو كاب يقال: أكبه فكب، وأكب لازم.
(١٨) في هـ. ب: أي مقدرها.
(١٩) في هـ. د: منه، وفي هـ. ص: في نسخة: منه.
(٢٠) في ص و ط: بذلك. وفي هـ. ص: في نسخة به.
(٢١) في هـ. د: التتار - ب.

كَأَنِّي أَرَاهُمْ^(١) قَوْمًا كَانُوا جُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمَطْرَقَةُ^(٢)، يَلْبَسُونَ السَّرَقَ^(٣) وَالذِّبَاجَ^(٤)، وَيَتَّقِبُونَ^(٥) الْخَيْلَ الْعِتَاقَ^(٦) وَيَكُونُ هُنَاكَ اسْتِحْرَارُ قَتْلِ^(٧) حَتَّى يَمْشِيَ الْمَجْرُوحُ عَلَى الْمَقْتُولِ وَيَكُونُ الْمُقْتُلُ أَقَلَّ مِنَ الْمَأْسُورِ.

فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: لَقَدْ أُعْطِيتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِلْمُ الْغَيْبِ، فَضَحِكَ ﷺ وَقَالَ لِلرَّجُلِ وَكَانَ كَلْبِيًّا^(٨):

يَا أَخَا كَلْبٍ لَيْسَ هُوَ بِعِلْمٍ غَيْبٍ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعْلَمُ مِنْ ذِي عِلْمٍ، وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا عَدَّدَ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾^(٩) الْآيَةُ، فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ^(١٠) حَظًّا أَوْ فِي الْجَنَانِ^(١١) لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقًا، فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَعَلَّمَ اللَّهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ. وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ^(١٢) صَدْرِي وَتَضُمَّ^(١٣) عَلَيْهِ جَوَانِحِي^(١٤).

(١) في ب: انظر إليهم، وفي هـ: ب، وفي نسخة: أراهم.

(٢) في هـ: ب: جمع لمجن، والمطرقة من الطرق أي التي يظهر عليها الطرق.

(٣) في هـ: ا و ب: ي الحرير. (٤) الذيباج.

(٥) في هـ: و ب: أي بحبس، وفي هـ: ب: يركبون واحدة عقيب الأخرى، وفي هـ: ص: أي يجعلونها بمنزلة لرواحل يركبونها عفة في الاسفار، وكانت عادة العرب ألا يركبون الخيل إلا وقت الحرب تكرمه لها وصيانة، فلما تمكنت العرب منها أهانتها.

(٦) في هـ: ب: العناق: كرائم الخيل.

(٧) في هـ: ا: استحر القتال: أي اشتد، وفي هـ: ب: استحر من الحر.

(٨) في هـ: ب: أي من بني كلب.

(٩) في ط زيادة: ﴿ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ سورة لقمان: ٣١ / ٣٤.

(١٠) في ب و ص: للنار.

(١١) في ب: الجنات، وفي هـ: ب: في نسخة: الجنان.

(١٢) في هـ: ب: يعيه، أي يحفظه. أي يصير قلبي كالوعاء المعد له.

(١٣) في هـ: ب: يضطم من الضم. (١٤) في ب حوارحي.

[أخبار صاحب الزنج وفتنته وما انتحله من عقائد]:

قول الرضي عليه السلام: «إلى صاحب الزنج» ^(١) هو رجل ظهر في خراب ^(٢) البصرة في سنة خمس وخمسين ومائتين زعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فتبعه الزنج الذين كانوا يكسحون ^(٣) السباخ في البصرة. وأكثر الناس يقدحون في نسبه وخصوصاً الطالبيين. وجمهور النسابين اتفقوا على أنه من عبد القيس، وأنه علي بن محمد بن عبد الرحيم، وأمه سديّة من أسد بن خزيمة، جدّها محمد بن حكيم الأسدي، من أهل الكوفة الخارجيين ^(٤) مع زيد بن علي بن الحسين عليه السلام على هشام بن عبد الملك، فلما قتل زيد، هرب فلحق بالزّي وجاء إلى القرية التي يقال لها: ورزّين، فأقام بها مدة ^(٥)، وبهذه القرية ولد علي بن محمد صاحب الزنج، وبها منشؤه، وكان أبو أبيه المسمّى عبد الرحيم رجلاً من عبد القيس، كان مولده بالطالقان، فقدم العراق، واشترى جارية سنديّة، فأولدها محمّداً أباه.

وكان عليّ هذا [متصلاً بجماعة من حاشية السلطان وخول بني العباس، منهم غانم الشطرنجي، وسعيد الصغير، وبشير، خادم المنتصر؛ وكان منهم معاشه ومن قوم من كتاب الدولة يمدحهم ويستمنحهم بشعره، ويعلم الصبيان الخطّ والتّحو والنجوم، وكان] ^(٦)

(١) ذكره صاحب الأعلام فقال: «علي بن محمد الورزنيّ العلوي، الملقب بصاحب الزنج؛ من كبار أصحاب الفتن في العهد العباسي، وفتنته معروفة بفتنة الزنج؛ لأن أكثر أنصاره منهم. ولد ونشأ في ورزّين، إحدى فرى الري، وظهر في أيام المهدي بالله العباسي، سنة ٢٥٥ هـ، وكان يرى رأي الأزارقة، والتفّ حوله سودان أهل البصرة ورعاها، فامتلكها واستولى على الأبلّة، وتنابت لقتاله الجيوش؛ فكان يظهر عليها ويشتها، ونزل البطائح، وامتلك الأهواز، وأغار على وسط، وبلغ عدد جيشه ثمانمائة ألف مقاتل، وجعل مقامه في قصر اتخذه بالمختارة، وعجز عن قتاله الخلفاء؛ حتى ظفر به الموفق بالله، فقتله، وبعث برأسه إلى بغداد قال المرزباني: تروى له أشعار كثيرة في البسالة والفتك كان يقولها وينحلها غيره، وفي نسبه العلوي طعن وخلاف.

(٢) كسح البيت: كنسه؛ ثم استعير لتنقية البئر والنهر وغيره.

(٣) في ط: أحد الخارجيين.

(٤) لم ترد «مدة» في ص.

(٦) ما بين المعقوفين من ط

كَأَنِّي أَرَاهُمْ^(١) قَوْمًا كَأَنَّهُمْ جُؤَاهُهُمُ الْمَجَانُّ الْمَطْرَقَةُ^(٢)، يَلْبَسُونَ السَّرَقَ^(٣) وَالذُّبَابَ^(٤)،
وَيَعْتَقِبُونَ^(٥) الْخَيْلَ الْعِتَاقَ^(٦) وَيَكُونُ هُنَاكَ اسْتِحْرَارُ قَتْلِ^(٧) حَتَّى يَمْشِيَ الْمَجْرُوحُ عَلَى
الْمَقْتُولِ وَيَكُونُ الْمُقْلِتُ أَقْلَ مِنَ الْمَأْسُورِ.

فَقَالَ لَهُ بَغُضُ أَصْحَابِهِ: لَقَدْ أُعْطِيتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِلْمَ الْغَيْبِ، فَضَحِكَ ﷺ وَقَالَ
لِلرَّجُلِ وَكَانَ كَلْبِيًّا^(٨):

يَا أَخَا كَلْبٍ لَيْسَ هُوَ يَعْلَمُ غَيْبٍ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلَّمَ مِنْ ذِي عِلْمٍ. وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ
السَّاعَةِ وَمَا عَدَّدَ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾^(٩) الْآيَةَ، فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا فِي
الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، وَمَنْ يَكُونُ فِي
النَّارِ^(١٠) حَطَبًا أَوْ فِي الْجَنَانِ^(١١) لِلتَّبَيُّنِ مُرَافِقًا، فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ،
وَمِنْ سِوَى ذَلِكَ فَعَلَّمَ اللَّهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ. وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ^(١٢) صَدْرِي وَتَضَطَّمَ^(١٣) عَلَيْهِ
جَوَارِحِي^(١٤).

(١) في ب. انظر إليهم، وفي ه. ب، وفي نسخة: أراهم.

(٢) في ه. ب: جمع المجنز، والمطرقة من الطرق أي التي يظهر عليها الطرق.

(٣) في ه. ا و ب: أي الحرير. (٤) الدبيب ج.

(٥) في ه. ا و ب: أي يحبسون، وفي ه. ب: يركبون واحدة عقيب الأخرى، وفي ه. ص: أي

يجعلونها بمنزلة الرواحل يركبونها عفة في الاسفار، وكانت عادة العرب ألا يركبون الخيل
إلا وقت الحرب تكريماً لها وصيانة، فلما تمكنت العرب منها أهانها.

(٦) في ه. ب: العتاق: كرائم الخيل.

(٧) في ه. ا: استحر القتال: أي اشتد، وفي ه. ب: استحر من الحر.

(٨) في ه. ب: أي من بني كلب.

(٩) في ط زيادة: ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس

بأي أرض تموت ﴿سورة لقمان: ٣١ / ٣٤.

(١٠) في ب و ص: للنار.

(١١) في ب: الجنات، وفي ه. ب: في نسخة: الجنان.

(١٢) في ه. ب: يعيه: أي يحفظه أي يصير قبلي كالوعاء المعد له.

(١٣) في ه. ب: يضطم من الضم. (١٤) في ب: جوارحي.

[أخبار صاحب الزنج وفتنته وما انتحله من عقائد]:

قول الرضي عليه السلام: «إلى صاحب الزنج» ^(١) هو رجل ظهر في خراب ^(٢) البصرة في سنة خمس وخمسين ومائتين زعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فتبعه الزنج الذين كانوا يكسحون ^(٣) السباخ في البصرة. وأكثر الناس يقدحون في نسبه وخصوصاً الطالبيين. وجمهور النسابين اتفقوا على أنه من عبد القيس، وأنه علي بن محمد بن عبد الرحيم، وأمه أسديّة من أسد بن خزيمة، جدّها محمد بن حكيه الأسدي، من أهل الكوفة الخارجيين ^(٤) مع زيد بن علي بن الحسين عليه السلام على هشام بن عبد الملك، فلما قتل زيد، هرب فلحق بالرّي وجاء إلى القرية التي يقال لها: ورزّين، فأقام بها مدة ^(٥)، وبهذه القرية ولد علي بن محمد صاحب الزنج، وبها منشؤه، وكان أبو أبيه المسمّى عبد الرحيم رجلاً من عبد القيس، كان مولده بالطالقان، فقدم العراق، واشترى جارية سنديّة، فأولدها محمداً أباه.

وكان عليّ هذا [متّصلاً بجماعة من حاشية السلطان وخول بني العباس، منهم غانم الشّطرنجي، وسعيد الصغير، وبشير، خادم المنتصر؛ وكان منهم معاشه ومن قوم من كتاب الدولة يمدحهم ويستمنحهم بشعره، ويعلم الصبيان الخطّ والنحو والنجوم، وكان] ^(٦)

(١) ذكره صاحب الأعلام فقال: (علي بن محمد الورزني العلو، الملقب بصاحب الزنج؛ من كبار أصحاب الفتن في لعهد العباسي، وفتنته معروفة بفتنة الزنج؛ لأن أكثر أنصاره منهم. ولد ونشأ في ورزّين، إحدى قرى الري، وظهر في أيام المهدي بالله العباسي، سنة ٢٥٥ هـ، وكان يرى رأي الأزارقة، والثفّ حوله سودان أهل البصرة ورعاها، فامتلكها واستولى على الأبلّة، وتتابعت لقتاله الجيوش؛ فكان يظهر عليها ويشتهاها، ونزل البطائح، وامتلك الأهواز، وأغار على واسط، وبلغ عدد جيشه ثمانمائة ألف مقاتل، وجعل مقامه في قصر اتخذه بالمختارة، وعجز عن قتاله الخلفاء؛ حتى ظفّره الموفق بالله، فقتله، وبعث برأسه إلى بغداد. قال المرزباني: تروى له أشعار كثيرة في البسالة والفتك كان يقولها وينحلها غيره، وفي نسبه العلو طعن وخلاف. (٢) في ط: فرات.

(٣) كسح البيت: كنسه؛ ثم استعير لتنقية البئر والنهر وغيره.

(٤) في ط: أحد الخارجيين. (٥) لم ترد «مدة» في ص.

(٦) ما بين المعقوفتين من ط

حسن الشعر^(١) مطبوعاً عليه؛ فصيح اللهجة؛ بعيد الهمّة، تسمو نفسه إلى معالي الأمور، ولا يجد إليها سبيلاً؛ ومن شعره القصيدة المشهورة التي أولها:

رأيتُ المقامَ على الاقتصادِ
ومن جملتها:

إذا النار ضاقَ بها زَنْدُها
ففسحْتُها في فِراقِ الزَّنادِ
إذا صارمٌ قرَّ في غَمْدِهِ
ومن الشعر المنسوب إليه:

وإنّا لتصبحُ أسيافُنا
منابرهنَ بطونُ الأكُفِّ
ومن شعره أيضاً:

وإذا تُنازعني أقولُ لها قري
موتُ يريحُك أو صعود المنبرِ
ماقد قُضي سيكونُ فاصطبري له
ولك الأمان مِن الذي لم يقدر

وقد ذكر المسعودي في كتابه لمسمّى «مروج الذهب»، أنَّ أفعال عليّ بن محمّد صاحب الزّنج، تدلّ على أنّه لم يكن طالبيّاً، وتصدّق ما رُمي به من دعوته في النسب (انتهى من شرح ابن أبي الحديد)^(٢).

(١) وذكره المرزباني في معجم الشعراء: ٢٩، وقال: تروى له أشعار كثيرة في البسالة والفتك؛ سمعت ابن دريد يذكر أنها - أو أكثرها - له؛ لأنه كان يقولها وينحلها لغره، وقرئت عليه بحضرتي فاعترف بها. قال: وفيما يروى لعلّي لما هرب من الدار التي كان فيها في اليوم الذي قتل فيه:

عيبك سلام الله يا خيرَ منزلٍ
فإنْ تَكُنْ الأيامُ أحدثنَ فرقةً
خَرَجنا وخلفنا غيرَ ذَمِيمٍ
فمن ذا الذي من ربيهنَّ سليمٍ

وله:

لهف نفسي على قصورٍ ببغدا
ورجال على المعاصي حراسٍ
لستُ بآبٍ لفواطم الغرّ إنْ لم
أجل الخيلَ حولَ تلك العراضِ

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٨: ١٢٨.

[فصل في ذكر جنكيزخان وقتنة التتر:]

وقوله: «يوميء إلى وصف الأتراك».

قال ابن أبي الحديد: واعلم أن هذا الغيب الذي أخبر ﷺ عنه قد رأيناه نحن عياناً، ووقع في زماننا وكان الناس ينتظرونه من أول الإسلام؛ حتى ساقه القضاء والقدر إلى عصرنا؛ وهم التتار الذين خرجوا من أقاصي المشرق؛ حتى وردت خيلهم العراق والشام، وفعلوا بموك الخطا وقفجاق، وببلاد ما وراء النهر وبخراسان وما والاها من بلاد العجم، ما لم تحتو التواريخ منذ خلق الله تعالى آدم إلى عصرنا هذا على مثله؛ فإن بابك الخرمي لم تكن نكايته وإن طالت مدته نحو عشرين سنة إلا في إقليم واحد وهو اذربيجان؛ وهؤلاء دَوَّخُوا المشرق كله، وتعدت نكايتهم إلى بلاد أرمينية وإلى الشام، ووردت خيلهم إلى العراق، وبُخِتَ نصر الذي قتل اليهود إنما أخرج بيت المقدس وقتل من كان بالشام من بني إسرائيل، وأي نسبة بين من كان بالبيت المقدس من بني إسرائيل إلى البلاد وأمصار التي أخرجها هؤلاء، وإلى الناس الذين قتلوهم من المسلمين وغيرهم^(١)، انتهى^(٢).

أقول - والله أعلم - : أن السبب في ظهورهم في الأرض وتسلطهم شبيه بالسبب الذي سلط الله بخت نصر على بني إسرائيل وهو إفسادهم في الأرض واستعلائهم فسلط الله عليهم العدو من غيرهم، فإن المسلمين ارتكبوا من الفساد كل أنواعه ولو لم يكن إلا إطباقهم على عداوة الذين يأمرون بالقسط من أهل بيت رسول الله ﷺ فسلط الله عليهم هذا العدو الذين جاسوا خلال الديار، ولم يسلم من معرفتهم إلا بلاد الزيدية في طبرستان واليمن فإن الله صرفهم عنهم ببركة أئمتهم^(٣)، والحمد لله رب العالمين.

(١) ذكر ابن الأثير هذه الحادثة في تاريخه (حوادث سنة ٦١٧ وما بعدها)، وقال في أولها: «لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظماً لها، كارهاً لذكرها، فأنا أقدم إليه رجلاً وأوخر أخرى؛ فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين! ومن ذا الذي يهون عليه ذكر ذلك! فياليت أُمي لم تلدني، وباليئني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً! إلا أنني حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها؛ وأنا متوقف؛ ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي فِعْلاً».

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢١٧.

(٣) قلت: إن الله صرف كيد هؤلاء الكفار عن كثير من المسلمين ببركة وجود الفيلسوف

ومن خطبة له عليه السلام في ذكر المكايل والموازين^(١):

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّكُمْ قَوْمًا وَمَا تَأْمُلُونَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا أَثْوِيَاءُ^(٢) مُؤَجَّلُونَ. وَمَدِينُونَ^(٣) مُقْتَضُونَ^(٤)، أَجَلُ^(٥) مَنَقُوصٌ^(٦)، وَعَمَلٌ^(٧) مَحْفُوظٌ، قَرُبٌ دَائِبٌ^(٨) مُضِيعٌ، وَرَبٌّ كَادِحٌ^(٩) خَاسِرٌ، قَدْ^(١٠) أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنِ لَا يَزْدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِدْبَارًا، وَالشَّرُّ فِيهِ إِلَّا إِقْبَالًا، وَالشَّيْطَانُ فِي هَلَاكِ النَّاسِ إِلَّا طَمَعًا، فَهَذَا أَوَانٌ قَرِيبٌ عُدَّتُهُ^(١١)، وَعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ، وَأَمَكَنْتْ قَرِيسَتُهُ^(١٢).

اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ، فَهَلْ تُبْصِرُ^(١٣) إِلَّا فَقِيرًا يُكَابِدُ^(١٤) فَقْرًا، أَوْ غَنِيًّا

→ الإمامي الشيعي نصير الدين الطوسي رحمته الله الذي تمكن بفضل ما وهبه الله من علم النجوم وغيره حيث اسنوزره هولاء لينظر له في هذا العلم، وبذلك تمكن من انقاذ بلاد طبرستان والكثير من بقاع العراق الذين كانوا متمسكين بحب النبي صلى الله عليه وآله وصادقين في ود أهل بيته الكرام. من القتل والسلب والغارة، والحمد لله رب العالمين.

(١) لم ترد: «والموازين» في أ و ط.

(٢) في ب: أتوباء، وفي هـ. ب: في نسخة: أثوياء، وفي هـ. أ: منعمون، وفي هـ. ب: أثوياء مقيمون، وأثوياء يعني مالكون، وفي هـ. ص: جمع ثوى، أي أقام، أي نزلون إلى أجل كما ينزل الضيف قلت: وتوى تأتي بمعنى هلك، وأثوياء: هالكون.

(٣) في هـ. ب: أي مجزيون، وفي هـ. ص: أي معاملون بدين لأن الجزاء مؤخر.

(٤) في هـ. ب: من التقاضي. (٥) في هـ. ص: تفسير أثوياء مؤجلون.

(٦) في هـ. ب: أي لكم أجل منقوص. (٧) في هـ. ص: تفسير مدِينُونَ.

(٨) في هـ. ب: أي: لازم للعمل، دأب فلان في العمل، أي: جدّ وتعب فهو دائب، وفي هـ. ص: هو

الجادّ في عمله وكأنه يشير الى قوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ العاشية: ٨٨ / ٢.

(٩) في هـ. ب: العامل بالجد، والداعي والكاسب بالمشقة، وفي هـ. ص: الكادح الكاسب.

(١٠) في ط و د: وقد، وفي هـ. د: قد - ش. (١١) هذا أوان.

(١٢) في هـ. ص: أي أمكنت من نفسها أي أمكنه أن تفرس لغلبة الهوى وفوة حب الدنيا.

(١٣) في ب: تنظر، وفي هـ. د: تنظر - ش. (١٤) في هـ. ب: أي يفاسي

بَدَّلَ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا، أَوْ بَخِيلًا اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ وَقُرْآنًا^(١)، أَوْ مُتَمَرِّدًا^(٢) كَأَنَّهُ بِأُذُنِهِ^(٣) عَنْ
سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقُرْآنًا، أَيْنَ خِيَارُكُمْ^(٤) وَصَلَحَاؤُكُمْ، وَأَيْنَ أَخْرَارُكُمْ^(٥) وَسُمَخَاؤُكُمْ، وَأَيْنَ
الْمُتَوَرِّعُونَ^(٦) فِي مَكَاسِبِهِمْ وَالْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ، أَلَيْسَ قَدْ ظَنَعُوا جَمِيعًا عَنْ هَذِهِ
الدُّنْيَا الدَّيْنِيَّةِ وَالْعَاجِلَةِ الْمَنْغُصَةِ؟

وَهَلْ خُلِفْتُمْ^(٧) إِلَّا فِي حُثَالَةٍ^(٨) لَا تَلْتَقِي بِذَمِّهِمُ الشَّفَتَانِ^(٩)؛ اسْتِصْغَارًا لِقَدَرِهِمْ،
وَذَهَابًا^(١٠) عَنْ^(١١) ذِكْرِهِمْ؟ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ظَهَرَ الْفَسَادُ فَلَا مُتَكَبِّرَ مُغَيِّرَ^(١٢)، وَلَا
زَاجِرَ مُرْدَجِرٍ^(١٣).

أَفِيهِذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللَّهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ، وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ؟! هَيْهَاتَ،
لَا يُخَدَعُ اللَّهُ عَنْ جَنَّتِهِ، وَلَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ. لَعَنَ اللَّهُ الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ
لَهُ وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ.

(١) في هـ. ب: المال الكثير.

(٢) المتمرد: الطاغى.

(٣) في ب: بأذنيه، وفي هـ ب: في نسخة: أذنه، وفي هـ. د: بأذنيه - ش.

(٤) في ط: أخياركم.

(٥) في ط و د: وأخراركم، وفي هـ. د: وأين أحراركم - ش.

(٦) في هـ. ب: من الورع.

(٧) في هـ. د: خلقتهم - ب.

(٨) في هـ. أ: الحثالة: الرديء من كل شيء، وفي هـ. ب: الحثالة: الثفل والرديء من كل شيء،

وفي هـ. ص: ما يتبقى من رذل المتاع وردعة الماء.

(٩) هـ ص: أي يأنف المتكلم من أن يذمهم ترفعاً.

(١٠) هـ ص: أي ترفعاً.

(١١) في ب: على، وفي هـ. ب: في نسخة: عن.

(١٢) في ط: متغير.

(١٣) في هـ. ب: الزجر: المنع والنهر.

ومن كلام له عليه السلام لأبي ذر؛ لما أخرج^(١) إلى الرَبْذَةِ :

يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلَّهِ فَأَرْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ. إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ وَخِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ، فَاتَّزَكُ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ، وَاهْتَرَبَ مِنْهُمْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ، فَمَا أَخَوَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ، وَمَا أَعْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ، وَسَتَعَلَّمُ مِنَ الرَّابِعِ غَدًا، وَالْأَكْثَرُ حُسْدًا^(٣).
وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَيْنِ^(٤) كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتَقًا ثُمَّ اتَّقَى اللَّهَ لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجًا.

لَا يُؤْنِسُكَ^(٥) إِلَّا الْحَقُّ وَلَا يُوحِشُكَ^(٦) إِلَّا الْبَاطِلُ، فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لِأَحْبَبُوكَ وَلَوْ قَرَضْتَ^(٧) مِنْهَا لَأَمْنُوكَ.

[أخبار أبي ذر الغفاري حين خروجه إلى الرَبْذَةِ:]

قال في شرح ابن أبي الحديد: وقد رَوَى هذا الكلام أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في «السقيفة» عن عبد الرزاق، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال:
لَمَّا أُخْرِجَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى الرَبْذَةِ، أَمَرَ عَثْمَانُ، فَنُودِيَ فِي النَّاسِ أَلَّا يُكَلِّمَ أَبَا ذَرٍّ أَحَدٌ وَلَا يَشِيعَهُ. وَأَمَرَ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ أَنْ يَخْرُجَ بِهِ. فَخَرَجَ بِهِ، وَتَحَامَاهُ النَّاسُ إِلَّا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَعَقِيلًا أَخَاهُ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا عليه السلام وَعُمَارًا، فَأَتَاهُمْ خَرَجُوا مَعَهُ يَشِيعُونَهُ، فَجَعَلَ الْحَسَنُ عليه السلام يَكَلِّمُ أَبَا ذَرٍّ، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: إِيهَآ يَا حَسَنُ! أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ نَهَى عَنْ كَلَامِ هَذَا الرَّجُلِ! فَإِنْ كُنْتَ لَا تَعْلَمُ^(٨) فَاعْلَمْ ذَلِكَ؛ فَحَمَلَ عَلِيٌّ عليه السلام عَلَى مَرْوَانَ فَضْرَبَ

(١) في هـ. ب: في نسخة: أخرج من المدينة إلى الرَبْذَةِ.

(٣) في هـ. ب: في نسخة: خسرا.

(٤) في ص و د: الارضين، وفي هـ. ب: في نسخة: والارض، وفي هـ. د: والارض - ب.

(٥) في هـ. ص: لا يؤنسك. (٦) في ص: ولا يوحشك.

(٧) في هـ. د: ولا قرضت - ن، وان قرضت - م، وفي هـ. ب: أي قطعت وأخذت قرضا.

(٨) في ص: لم تعلم.

بالسوط بين أذني راحلته، وقال: تنح نحاك الله إلى النار!

فرجع مَرَّوان مغضباً إلى عثمان؛ فأخبره الخبر، فتلظى على عليّ عليه السلام، ووقف أبو ذرٍّ فودّعه القوم، ومعه ذكوان مولى أم هانئ بنت أبي طالب.

قال ذكوان: فحفظت كلام القوم - وكان حافظاً - فقال عليّ عليه السلام: يا أبا ذرٍّ، إنك غضبتَ لله، إن القوم خافوك على دنياهم؛ وخفتهم على دينك. فامتنحوك بالقلبي، ونفوك إلى الفلا؛ والله لو كانت السماوات والأرض على عبدٍ رثقاً، ثم اتقى الله لجعل له منها مخرجاً. يا أبا ذرٍّ، لا يؤنسك^(١) إلا الحق، ولا يوحشك^(٢) إلا الباطل. ثم قال لأصحابه: ودّعوا عمّكم.

وقال لعقيل: ودّع أخاك. فتكلّم عقيل، فقال: ما عسى أن نقول يا أبا ذرٍّ، وأنت تعلم أننا نحبك. وأنت تحبنا، فاتّق الله؛ فإنّ التقوى نجاة، واصبر فإنّ الصبر كرم. واعلم أن استثقالك الصبر من الجزع، واستبطاءك العافية من اليأس؛ فدع اليأس والجزع.

ثم تكلّم الحسن، فقال: يا عمّاه؛ لولا أنّه لا ينبغي للمودّع أن يسكت، ولا للمشيع أن ينصرف، لقصر الكلام وإن طال الأسف؛ وقد أتى القوم إليك ما ترى؛ فضع عنك الدنيا بذكر فراقها^(٣)، وشدة ما اشتدّ منها برجاء ما بعدها، واصبر حتى تلقى نبيك صلى الله عليه وآله وهو عنك راضٍ.

ثم تكلّم الحسين عليه السلام، فقال: يا عمّاه، إنّ الله تعالى قادر أن يغيّر ما قد ترى؛ والله كل يوم هو في شأن؛ وقد منعك القوم دنياهم، ومنعتهم دينك؛ فما أغناك عمّا منعوك، وأحوجهم إلى ما منعتهم! فاسأل الله الصبر والنصر؛ واستعِذْ به من الجشع والجزع؛ فإنّ الصبر من الدين والكرم؛ وإنّ الجشع لا يقدّم رزقاً، والجزع لا يؤخّر أجلاً.

ثم تكلّم عمّار عليه السلام مغضباً، فقال: لا آنس الله من أوحشك، ولا آمن من أخافك؛ أما والله لو أردت دنياهم لأمتنوك؛ ولو رضيت أعمالهم لأحبوك؛ وما منع الناس أن يقولوا بقولك إلاّ الرضا بالدنيا، والجزع من الموت، ومالوا إلى ما سلطان جماعتهم عليه؛ والملك لمن غلب، فوهبوا لهم دينهم، ومنحهم القوم دنياهم؛ فخرسوا الدنيا والآخرة، ألا ذلك هو

(٢) في ط: يوحشك.

(١) في ط: يؤنسك.

(٣) في ط: بتذكر فراغها.

الخسران المبين!

فبكى أبو ذر رضي الله عنه، وكان شيخاً كبيراً؛ وقال: رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة! إذا رأيْتُكم ذكرتُ بكم رسول الله صلى الله عليه وآله؛ مالي بالمدينة سَكَنٌ ولا شَجَنٌ غيركم؛ إني ثَقُلْتُ على عثمان بالحجاز، كما ثَقُلْتُ على معاوية بالشام، وكره أن أجاور أخاه وابنَ خاله بالمصريين، فأفْسِدَ الناسَ عليهما؛ فسيّرني إلى بلدٍ ليس لي به ناصر ولا دافع إلا الله، والله ما أريد إلا الله صاحباً، وما أخشى مع الله وحشة. انتهى^(١).

ثم ذكر ابن أبي الحديد بعد ذلك ما جرى بين علي عليه السلام وعثمان من العتاب والمقاولة الشديدة^(٢)، والله المستعان.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٥٣ - ٢٥٤. (٢) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٥٤ و ٢٥٥.

ومن كلام له عليه السلام:

أَيُّهَا^(١) النَّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ وَالْقُلُوبُ الْمُتَشَتِّتَةُ. الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ وَالْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ،
أُظَاهِرُكُمْ^(٢) عَلَى الْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نُفُورَ الْمِعْزَى مِنْ وَغَوَعَةِ^(٣) الْأَسَدِ، هَيْهَاتَ أَنْ
أُطْلَعَ بِكُمْ سِرَّارِ^(٤) الْعَدْلِ^(٥)، أَوْ أُقِيمَ أَعْوِجَاجُ الْحَقِّ^(٦).

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً^(٧) فِي سُلْطَانٍ وَلَا أَلْتَمَسَ شَيْءٌ مِنْ
فُضُولِ الْخَطَامِ. وَلَكِنْ لِنَرِدَ^(٨) الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ، فَيَأْمَنَ
الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُقَامَ الْمُعْظَلَةُ مِنْ خُدُودِكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ، وَسَمِعَ وَأَجَابَ، لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ بِالصَّلَاةِ.

وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَتَّبِعُنِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي^(٩) عَلَى الْفُرُوجِ وَالذِّمَاءِ، وَالْمَغَانِمِ وَالْأَحْكَامِ،
وِإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلِ، فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ^(١٠)، وَلَا الْجَاهِلُ فَيُضِلُّهُمْ بِجَهْلِهِ، وَلَا

(١) فِي آ: أَبْه.

(٢) هـ. ب: أَعْطَفَكُمْ، هـ. ص: بِالْظَّاءِ الْمَعْجَمَةِ: أَعْطَفَكُمْ، وَفِي الْمَثَلِ (الظَّنُّ يَظَارُ) أَيِ يَعْطِفُهُ عَلَى
الصِّلَحِ، انْتَهَى مِنَ الشَّرْحِ. (٣) فِي هـ. ب: أَيِ صَوْتِ.

(٤) فِي هـ. ب: السَّرَارُ: آخِرُ لَيْلَةٍ مِنَ الشَّهْرِ، وَالتَّقْدِيرُ فِي سِرَارٍ فَحُذِفَ حَرْفُ الْجَرِّ وَوَصَلَ
الْفِعْلُ.

(٥) أَيِ أَطْلَعَ بِكُمْ شَارِقًا يَكْشِفُ عَمَّا عَرَضَ عَلَى الْعَدْلِ مِنَ الظُّلْمَةِ وَيَدِلُّ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ: «أَوْ
أُقِيمَ أَعْوِجَاجُ الْحَقِّ»، فَإِنَّ الْحَقَّ لَا أَعْوِجَاجَ فِيهِ وَإِنَّمَا خَلَطَهُ قَوْمٌ بِالْبَاطِلِ فَظَهَرَ مَعْوِجًا.

(٦) فِي هـ. ب: فِي نَسْخَةِ: الذَّنْبِ. (٧) فِي هـ. ب: مُحَاسَدَةٌ.

(٨) فِي د: لِنَرُدَّ.

(٩) لَمْ تَرِدْ «الْوَالِي» فِي ب، وَفِي هـ. د: أَنْ يَكُونَ عَلَى الْفُرُوجِ - ش ح م.

(١٠) النِّهْمَةُ: إِفْرَاطُ الشَّهْوَةِ وَالْمُبَالَغَةُ فِي الْحِرْصِ.

الْجَانِي فَيَقْطَعُهُمْ بِجَفَائِهِ، وَلَا الْخَائِفَ ^(١) لِلدُّوْلِ ^(٢) فَيَتَّخِذَ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، وَلَا الْمُزْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحَقِّ، وَيَقِفُ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ، وَلَا الْمَعْطِلَ لِلسَّيِّئَةِ فِيهِلِكَ الْأُمَّةَ.

النهمة هي الهمة الشديدة بالأمر، قد نهم بكذا بالضم. بغير الصيغة ينهم فهو منهوم. أي مولع حريص عليه.

ومن رواها نَهَمَتُهُ - بالتحريك - فهي افراط الشهوة في الطعام، والماضي: نهم - بالكسر - ينهم، انتهى من الشرح.

قوله ^(١): «ولا الخائف للدول» أي: من يخاف دول الأيام وتقلبات الدهر، ويروى: الجانف - بالجيم والنون -، أي المائل إلى الأموال وجمعها، جمع دولة وهو المال المتداول، والمقاطع: جمع مقطع، وهو ما ينتهي الحق إليه، أي لا يوصل الحقوق إلى أربابها.

(١) الخائف: من الحيف أي الجور والظلم، والمراد من يحيف في قسم الأموال ويفضل في العطاء بلا موجب للنفضيل، وفي ص و د: الخائف، وفي هـ د: ولا الخائف - ح ب .
(٢) في هـ ب: الدول جمع دولة، وهي الدولة في المال خاصة.

ومن خطبة له عليه السلام:

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى، وَعَلَى مَا أَبْلَى وَابْتَلَى^(١)، الْبَاطِنُ لِكُلِّ خَفِيَّةٍ، الْحَاضِرُ^(٢) لِكُلِّ سَرِيرَةٍ، الْعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ، وَمَا تَخُونُ الْعُيُونُ^(٣)، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا نَجِيبُهُ وَبَعِيثُهُ^(٤)، شَهَادَةٌ يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلَانُ وَالْقَلْبُ اللَّسَانُ.
منها:

فَإِنَّهُ^(٥) وَأَتَى الْجَدُّ لَا اللَّعِبُ، وَالْحَقُّ لَا الْكَذِبُ، وَمَاهُوَ إِلَّا الْمَوْتُ، قَدْ أَسْمَعَ دَاعِيَهُ^(٦)، وَأَعْجَلَ حَادِيَهُ، فَلَا يَغُرَّنَّكَ سَوَادُ النَّاسِ^(٧) مِنْ نَفْسِكَ، فَقَدْ^(٨) رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مَمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ، وَحَذَرَ الْإِقْلَالَ^(٩)، وَأَمِنَ الْعَوَاقِبَ طُولَ أَمَلٍ^(١٠) وَاسْتَبْعَادَ أَجَلٍ، كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، فَأَزَعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ، مَحْمُولًا عَلَى أَعْوَادِ^(١١) الْمَنَايَا.

(١) في هـ. ب: أي نحمده على ما أبلى من النعم بكثرة المال والصحة، وعلى ما ابتلى من النقم من المرض والفقر، وفي هـ. ص: أبلى أي: أحسن، وابتلى: أي: أصاب بالبلاء.

(٢) في ط و د: والحاضر. وفي هـ. د: الحاضر - ش.

(٣) في هـ. ص: أي تسترق منه اللحظات على غير الوجه الشرعي.

(٤) أي مصطفىاه ومبعوثه.

(٥) في هـ. ب: إن الأمر والشأن ماذك الأمر أنتم عند غافلون إلا الموت، وفي هـ. ص: أي الشأن والأمر المومي بذكره.

(٦) في هـ. ب: أي دواعي الموت اسمع الموت: أي حان، وأعجل حاديته وسائقه.

(٧) في هـ. ب: أي لا تنظر إلى عامة الناس، وفي هـ. ص: أي ما عليه عامتهم وكثرتهم، أي لا تغتر بكثرة المخالفين للحق فما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين، ولكن أكثرهم للحق كارهون.
(٨) في أ: وقد، وفي هـ. د: وقد - م ت ح.

(٩) في هـ. ب: أي الفقر.

(١٠) «طول» مفعول لأجله، أي كان منه ذلك لطول أمله.

(١١) في هـ. ب: جمع عود، وهو كناية عن الجنازة.

يَتَعَاطَى^(١) بِهِ الرِّجَالُ الرِّجَالَ حَمَلًا عَلَى الْمَنَائِبِ، وَإِمْسَاكَ بِالْأَتَامِلِ.
أَمَّا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُأْمَلُونَ بَعِيدًا وَيَتَّبِعُونَ مَشِيدًا^(٢) وَيَجْمَعُونَ كَثِيرًا كَيْفَ^(٣) أَصْبَحَتْ
بُيُوتُهُمْ قُبُورًا، وَمَا جَمَعُوا بُورًا^(٤)، وَصَارَتْ^(٥) أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ، وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ،
لَا فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ، وَلَا مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ^(٦).
فَمَنْ أَشْعَرَ^(٧) التَّقْوَى رَيْتَهُ، بَرَزَ^(٨) مَهْلُهُ^(٩)، وَفَازَ عَمَلُهُ.
فَاهْتَبِلُوا هَبْلَهَا^(١٠)، وَأَعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا^(١١)؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ، بَلْ
خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازًا؛ لِتَرْوَدُوا مِنْهَا الْأَعْمَالِ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ، فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَازٍ^(١٢)،
وَقَرَّبُوا الظُّهُورَ^(١٣) لِلزِّيَالِ^(١٤).

- (١) في هـ. ص: أي يتناولونه ويتعاقبون حمله.
(٢) في هـ. ص: أصله المبنى بالشيد، وهو الجص، والمراد: المقوى.
(٣) لم ترد «كيف»، في ب، وفي هـ. د: «كيف» ساقطة من ن ش.
(٤) في هـ. ب: البور: الفاسد الهالك، وفي هـ. ص: أي هالكاً.
(٥) في ب: فصارت. وفي هـ. د: وصارت - ش.
(٦) في هـ. ب: يستعتب وأعتب بمعنى واحد، والاعتاب: الرضا، وفي هـ. ص: «يستعتبون»،
من رواه مبنياً للفاعل فالمعنى: لا يسترضون ربهم من عصيهم؛ لأنه قد انقطع زمن لتكليف،
من استعتب فلان فلاناً طلب عتبه ورضاه. ومن رواه بغير الصيغة، فمعناه: لا يطبب منهم بيان
عتباهم ووعد ربهم، والله أعلم. (٧) في هـ. ب: الإشعار: الإخبار.
(٨) في هـ. ب: مراده.
(٩) في هـ. ص: يروى بالرفع والنصب، فمن رفعه جعله فاعل برز، أي: فات شوطه، ولمهل:
شوط الفرس، ومن نصب جعل برز بمعنى أبرز، أي أظهر وأبان، فينصب حينئذ على
المفعولية، انتهى من الشرح.
(١٠) في هـ. ب: أي اغتنموا قلة أموالها، والاهتبال: الاغتنام، والهبل: الشك، وفي هـ. ص: أي
اغتنموا وانتهزوا الفرصة، والاهتبال: الذي يصلح لهذه الحال، أي ليكن الاهتبال بجد وهمة
عظيمة. يقال: اهتبلت غرة فلان: أي اغتنمتها، وهبلها منصوب على المصدرية كأنه من هبل
كغضب غضباً، انتهى من الشرح.
(١١) في هـ. ص: أي العمل الذي يليق بها، وهو الموافق للشريعة، الخالص من الرياء والسمعة.
(١٢) في هـ. ب: على عجلة، وفي هـ. ص: جمع وقز - بسكون، لقاء - العجلة.
(١٣) في هـ. ب: أي المراكب، وفي هـ. ص: ما يحتمل ويركب، أي استعدوا للسفر.
(١٤) في هـ. ب: الفراق، وفي هـ. ص: المفارقة.

ومن خطبة له عليه السلام^(١):

وَأَنقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ بِأَرْمَتِهَا وَقَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضِينَ^(٢) مَقَالِيدَهَا^(٣)
وَسَجَدَتْ^(٤) لَهُ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ الْأَشْجَارُ النَّاضِرَةُ، وَقَذَحَتْ لَهُ مِنْ قَضْبَانِهَا^(٥) النَّيْرَانِ
الْمُضِيئَةِ، وَأَتَتْ أَكْلَهَا بِكَلِمَاتِهِ^(٦) الثَّمَارُ الْيَانِعَةُ^(٧).

منها:

وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؛ نَاطِقٌ لَا يَغِي^(٨) لِسَانُهُ، وَبَيَّتْ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وَعِزٌّ لَا تُهْزَمُ^(٩)
أَعْوَانُهُ.

منها:

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَتَنَازَعٍ مِنَ الْأَلْسِنِ^(١٠)، فَقَقَّى بِهِ^(١١) الرُّسُلَ، وَخَتَمَ بِهِ
الْوَحْيَ، فَجَاهَدَ فِي اللَّهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ، وَالْعَادِلِينَ بِهِ.

منها:

وَإِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ الْأَعْمَى^(١٢)، لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئًا، وَالْبَصِيرُ يُنْفِذُهَا بِصَرِّهِ

(١) في هـ. ب: المذكورات في هذه الخطبة، انقادت لله مافي السماوات والأرضين.

(٢) في ص: الأرض، وفي هـ. ص في نسخة: الأرضون.

(٣) في هـ. ص: أي مفاتيحها.

(٤) هـ. ص: أي انقادت، وذلك لأن السجود غاية الخضوع من المكلفين وأدل أفعالهم على الإذعان فاستعبر لمطلق الإنفعال عن الإرادة. هـ. ص أي قول «كن» إما على حقيقته وإما على أن المراد به تمثيل سرعة الإنفعال عن الإرادة.

(٥) قضبانها: أي أغصانها. (٦) في هـ. د: واتت بكلماته - ف.

(٧) في هـ. ص: أي المدركة. (٨) في هـ. ب: أي لا يعجز.

(٩) في ب. لا يهدم، وفي هـ. د: لا تهدم - ب.

(١٠) في هـ. ص: كناية عن المجادلة، فقد كان أهل الأرض ملأاً يجادل بعضها بعضاً.

(١١) في هـ. ص: أي جاء بعدهم مصدقاً لهم. (١٢) في هـ. ص في نسخة: المبصر.

وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا، فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ، وَالْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ^(١)، وَالْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَرَدِّدٌ، وَالْأَعْمَى لَهَا مُتَرَدِّدٌ^(٢).

منها:

وَاعْلَمُوا أَنَّ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيَكَادُ صَاحِبُهُ يَشْبَعُ^(٣) مِنْهُ وَيَمْلَهُ إِلَّا الْحَيَاةَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ لَهُ فِي الْمَوْتِ رَاحَةً^(٤). وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْحِكْمَةِ^(٥) الَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ، وَيَصْرُ لِّلْعَيْنِ الْعَمْيَاءِ، وَسَمْعٌ لِلْأُذُنِ الصَّمَاءِ، وَرِيٌّ لِلظَّمْآنِ، وَفِيهَا الْغْنَى كُلُّهُ وَالسَّلَامَةُ، كِتَابُ اللَّهِ تُبْصِرُونَ بِهِ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ، وَتَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَلَا يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ^(٦)، وَلَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللَّهِ.

قَدْ أَصْطَلَحْتُمْ^(٧) عَلَى الْغُلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ، وَنَبَتِ الْمَرْعَى عَلَى دِمْنِكُمْ^(٨)، وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ الْأَمَالِ، وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ الْأَمْوَالِ، لَقَدْ آسَتْهُمْ^(٩) بِكُمْ الْخَبِيثُ^(١٠)، وَتَاءَ بِكُمْ الْغُرُورُ^(١١)، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ.

(١) في هـ. ب: فتح عينيه. (٢) في هـ. ب: في نسخة: متردد.

(٣) في هـ. د: ان يشبع - ب.

(٤) في هـ طبعه محمد عبده: لا يجد في الموت راحة حيث لم يهيئ من العمل الصالح الباقي ما يكسبه السعادة بعد الموت، قال: وإنما ذلك - أي شعور الإنسان بخيفة ما بعد الموت - بمنزلة حكمة واعظة تنبهه من غفله الغرور، ونبعثه إلى خير العمل، ثم بعد بيانه لما يجده الإنسان في نفسه من خيفة ما وراء الموت ولم يرشد إليه ذلك أخذ يبين الوسيلة الموصلة إلى منجاة مما يخشاه القلب وتتوحد منه النفس، وأنها التمسك بكتاب الله الذي بين أوصافه. وبهذا لتفسير النام الكلام واندفعت حيرة الشرحين في هذا المقام. وقوله: كتاب الله، جملة مستأنفة، أي هذا كتاب الله فيه ما تحتاجون إليه مما هدتكم الفطرة إلى طلبه.

(٥) في هـ. ب: إشارة إلى القرآن.

(٦) في هـ. ص: أي في صفته، وما يجوز عليه وما لا يجوز. وفي هـ. ص: أي المعتمد عليه المتخذ له مع بيانه دليلاً لا يعدل عن الله أي عن طريقه وجهته التي أمر بالتوجه إليها وسلوكها.

(٧) في هـ. ب: كتابة عن ثباتهم على الحق.

(٨) في هـ. ب: جمع دمنة، وهي - بالكسر - الحقد.

(٩) في هـ. ب: حير. (١٠) في هـ. ب: أي الشيطان.

(١١) في هـ. ب: أي الشيطان.

قوله ﷺ: «وإنما الدنيا منتهى بصر الأعمى» .

أي أنّ من انتهى بصره إلى الدنيا فوقف عليها ولم ينظر ما المراد منها، فهو وإن كان ذا بصر يدرك به شيئاً ما، فهو بالحقيقة أعمى؛ لأنّه لم يدرك المدرك المقصود إدراكه، بل يعمي عنه.

و لبصير: هو الذي أدرك ما هو المقصود فلم يعم عنه، وذلك إنّما هو من نفذ بصره الدنيا إلى الآخرة فأدركها؛ لأنّ الدنيا بمنزلة الغشاء^(١) من زجاج أو نحوه ممّا تشف وتخرقه البصر؛ لأنّها مشتهيات من جنس مشتهيات الآخرة تدلّ عليها ومقدّمة أمامها لتعريفها. فمن اشتغل بالنظر في ظاهر الغشاء وتأمل صفاءه ورويقه لم ينظر المرئي المقصود رؤيته فعمي عنه ومن نظر إلى ما هو باطن الغشاء فقد رأى المنظرين جميعاً. والكلام مأخوذ من قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٢) وقوله: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾^(٣) ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾^(٤).

فالمستبصر يعلم أن الدنيا لا تصلح أن تكون غاية مراد الحكيم، والله أعلم. قوله ﷺ: «واعلموا أنّه ليس من شيء... إلى آخره».

الذي يظهر لي - والله أعلم - إن هذا فصل واحد مرتبط ببعضه ببعض، لا كما زعم ابن أبي الحديد أنّ بعضه غير مرتبط ببعض^(٥)، وبيان ارتباطه: هو أنّه ﷺ أراد أن يحثّهم على طلب الحكمة ويرغبهم فيها فضرب لهم مثلاً محسوساً عند أنفسهم فقال لهم: إنّ الحياة فارقت سائر الأشياء من حيث إنّها لا تملّ بالطبع، ماذا إلّا لأنّها ضدّ الموت الذي هو مكروه طبعاً، كذلك الحكمة هي حياة القلب، فيجب أن تحب طبعاً، كيف؟ وهي مع ذلك جامعة لكل أمر مرغوب فيه وهي أنّها بصر لعين العمياء وسمع للأذن الصمّاء - أي: التي عمت وصمّت عمّا يتعلّق بالحياة الآخرة - وفيها شفاء غلّة الظمآن، والغنى عن كل شيء

(١) في هـ. ص: في نسخة: كالغشاء. (٢) الروم: ٣٠ / ٧.
(٣) آل عمران: ٣ / ١٩١.
(٤) المؤمنون: ٢٣ / ١١٥.
(٥) انظر شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٨٨.

دنيوي، والسلامة من كلّ مخوف.

ثمّ فسر تلك الحكمة بقوله ﷺ: «كتاب الله...»، لأنّ السّنة بيان لكتاب الله لقوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾^(١)، وكلام الأئمة بيان لكتاب الله وسنّة رسوله لقوله ﷺ: «اني قد خلّفت فيكم كتاب الله وسنّتي»^(٢) وعترتي أهل بيتي، فالمضيع لكتاب الله كالمضيع لسنّتي والمضيع لسنّتي كالمضيع لعترتي، اما ان ذلك لن يفترق حتى اللقاء على الحوض». فأصل الحكمة: كتاب الله، فهو مأمور به مع بيانه.

ثم أراد ﷺ - أن ينبيههم على أنّهم قد تركوا هذا الذي ينبغي أن يؤثروه ولا يعدلوا عنه بقوله: قد اصطلحتهم على الغل... الى آخره لأن هذه الأخلاق ضد الحكمة، والله أعلم.

(١) النحل: ١٦ / ٤٤.

(٢) لم ترد «وسنّتي» في أحاديث الرسول (ص) من طرقنا، وانما ورد: «كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، وهو المتواتر المعروف بحديث الثقلين، ثمّ لاحاجة الى هذه الزيادة مع وجود العترة الذين يجسّدون السّنة النبويّة بكلّ وجودهم.

ومن كلام له ﷺ وقد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج إلى غزو^(١) الروم^(٢) :
 وَقَدْ تَوَكَّلَ اللَّهُ^(٣) لِأَهْلِ هَذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ الْحَوَازِ^(٤)، وَسِتْرِ الْقَوَرَةِ^(٥)، وَالَّذِي نَصَرَهُمْ
 - وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَنْتَصِرُونَ - ، وَمَنْعَهُمْ - وَهُمْ قَلِيلٌ^(٦) لَا يَمْتَنِعُونَ - حَتَّى لَا يَمُوتَ .
 إِنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَى هَذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ^(٧)، فَتَلْقَهُمْ^(٨) فَتُكَبِّ^(٩) لَا يَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ
 كَانْفَةٌ^(١٠) دُونَ أَقْصَى بِلَادِهِمْ . لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، فَأَبْعَثْ إِلَيْهِمْ^(١١) رَجُلًا مَحْرَبًا،
 وَآخِزْ^(١٢) مَعَهُ أَهْلَ الْبَلَاءِ وَالنَّصِيحَةِ، فَإِنْ أَظْهَرَ اللَّهُ^(١٣) فَذَاكَ مَا تُحِبُّ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى،
 كُنْتَ رَدَّءُ النَّاسِ وَمَثَابَةٌ^(١٤) لِلْمُسْلِمِينَ .

(١) لم ترد «غزو» في أ.

(٢) في د زيادة : بنفسه .

(٣) في هـ . ص : أي صار وكيلاً، ويروى : «كفل»، أي صار كفيلاً أي ضامناً .

(٤) في هـ . ب : أي تكفل الله للمسلمين أن يعزّ حوزة الدين وبيضته، وأن يعزّ حوزتهم أي
 ساحتهم، وفي هـ . ص : أي الناحية وما يحوزه المرء ويمنعه .

(٥) في هـ . ص : ما يخاف الغائلة من حميته .

(٦) في ص : وهم ذليلون، وفي هـ . ص : في نسخة : قليلون .

(٧) في هـ . ب : بشخصك، وفي هـ . د : بشخصك - حاشية م .

(٨) في هـ . ب : بشخصك، وفي هـ . ص زيادة : بشخصك .

(٩) في هـ . ب : أي تصير منكوباً، فتكعب عطف على «متى تسر»، وجواب الشرط «تكن كانفة»
 أي ساحة حافظة للمسلمين، كفت الرجل : حفظته وصنته، وفي هـ . ص : أي تصيبك نكبة .

(١٠) في ط : كهف، وفي هـ أ : في نسخة : كهنة، وفي هـ . ب : كانفة، أي حافظة، وفي هـ . د : كهف - ح ف .

(١١) في ب : عليهم، وفي هـ . د : عليهم - ش . (١٢) في هـ . ص : أي سقهم معجلاً .

(١٣) في هـ . ب : أظفر الله . (١٤) في هـ . ب : موضع الرجوع .

ومن كلام له عليه السلام:

وقد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان فقال المغيرة بن الأخنس لعثمان: أنا
اكفيكه، فقال علي عليه السلام للمغيرة:

يا بن اللعين الا بتر والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع، أنت تكفيني؟، فوالله ما أعز الله
من أنت ناصره، ولا قام من أنت منهضه، اخرج عنا، أبعد الله نواك ثم أبلغ جهدك، فلا أبقي
الله عليك ان بقيت .

قال ابن أبي الحديد: ان الرواية «أنت تكفيني»، كان الأخنس بن شريق من أكابر
المنافقين، وسمّاه أبتري؛ لأن من كان عقبه ضالاً خبيثاً فهو كمن لا عقب له، انتهى من
الشرح^(١).

وقيل: إنّه المعنى بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾^(٢)
ذكره في الكشف.

وقوله عليه السلام: «الشجرة التي لا أصل لها ولا فرع»:

قال ذلك لأنّ ثقيفاً في نسبها طعن، روي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لعن ثقيفاً، وروي أنّه عليه السلام
قال: «لولا عروة بن مسعود للعنت ثقيفاً».

وروي الحسن البصري. إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لعن ثلاثة بيوت: بيتان من مكة وهم بنو أميّة
وبنو المغيرة، وبيت من الطائف وهم ثقيف.

وفي الخبر المشهور المرفوع - وقد ذكر ثقيفاً - : بثست القبيلة، يخرج منها كذاب
ومبير، فكان كما قل صلى الله عليه وآله، الكذاب: المختار، والمبير: الحجاج، انتهى من الشرح^(٣).

(٢) البقرة: ٢ / ٢٠٢.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٣٠٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٣٠٢.

ومن كلام له عليه السلام:

لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً^(١) وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِدًا، إِنِّي^(٢) أُرِيدُكُمْ لِلَّهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونِي^(٣) لِأَنْفُسِكُمْ^(٤).
أَيُّهَا النَّاسُ أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَأَنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ^(٥)، وَلَا أَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِرَازِمَتِهِ^(٦)، حَتَّى أُورِدَهُ مِنْهُلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهًا.

(١) في هـ. ب: فته: أي فجأة، وفي هـ. ص: أي بغتة، وهو الأمر يقع على غير تدبير ولا روية، وفي الكلام تعريض ببيعة أبي بكر، انتهى من الشرح.

(٢) في هـ. د: أنا - ك.

(٣) في ط د: تريدونني، هـ. ب: ص «تريدونني» فحذف النون.

(٤) في هـ. ص: وذلك لأنه لا يريد من طاعتهم له إلا نصر دين الله، والقيام بحدوده وحقوقه، ولا يريد لهم لحظاً نفسه، وأما هم فهم يريدونه لحظوظ أنفسهم من العطاء والتقريب والأسباب الموصلة إلى منافع الدنيا.

وهذا الخطاب منه عليه السلام لجمهور أصحابه، فأما الخواص منهم فإنهم كانوا يريدونه للأمر الذي يريد لهم، وهو إقامة شعار الدين وإحياء معالمه، انتهى من الشرح.

(٥) في ط زيادة: من ظالمه، وفي هـ. د: لأنصفن المظلوم من ظالمه - ض ب.

(٦) في هـ. ب: الخزامة: حلقة شعر يجعل في أنف البعير، وفي هـ. ص: هي حلقة من سيور تجعل في أنف البعير ويجعل الزمام إليها.

ومن كلام له ﷺ في معنى طلحة والزبير:

والله ما أنكرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصْفًا^(١)، وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا^(٢) تَرْكُوهُ^(٣)، وَدَمًا هُمْ^(٤) سَفَكُوهُ، فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكُهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ^(٥) مِنْهُ، وَإِنْ كَانُوا وَلَوْهُ دُونِي فَمَا الطَّلَبَةُ إِلَّا قَبْلَهُمْ^(٦)، وَإِنْ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لِلْحُكْمِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَإِنْ مَعِيَ لَبَصِيرَتِي مَا لُبِسْتُ وَلَا لُبِسَ عَلَيَّ، وَإِنَّهَا لِلْفِتْنَةِ الْبَاغِيَةِ فِيهَا^(٧) الْحَمَا وَالْحُمَةُ^(٨)، وَالشُّبْهَةُ الْمُغْدِفَةُ^(٩) وَإِنَّ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ^(١٠)، وَقَدْ زَاخَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ^(١١) وَأَنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَعْبِهِ^(١٢)، وَإِيْمُ اللَّهِ لَا فَرِطَنَ^(١٣) لَهُمْ خَوْضًا أَنَا مَاتِحُهُ^(١٤)، لَا يُضْذِرُونَ عَنْهُ بِرِيًّا، وَلَا يَعْجَبُونَ^(١٥) بَعْدَهُ فِي حَسِيٍّ^(١٦).

(١) في هـ. ص: النصف بالإسكان: الإنصاف، وهو على حذف مضاف أي: ذا نصف، انتهى من الشرح

(٢) في ط: هم تركوه، وفي هـ. د: هم تركوه - ح ص ب ل.

(٣) لم ترد «هم» في ص.

(٤) في هـ. د: لنصيبهم - ف.

(٥) في ص: عندهم، وفي هـ. ص، وفي نسخة: قبلهم، وفي هـ. د: إلا قبلهم ولا التبعة إلا لهم - م.

(٦) في هـ. ب: أي في هذه الكتبة الباغية.

(٧) المراد بالحما مطلق القريب والنسيب، وهو كناية عن الزبير فهو ابن عمه النبي ﷺ.

والحمة، أصلها الحمية أو أيرة اللسع، وكنى بها عن عائشة. وفي هـ. أ: السم. وفي هـ. ب: بشير

بهذا إلى صاحبة الجمل، وكل شيء من قبل الزوجة فهو حمى، مثل: قفا وحموء مهموزاً،

والحمة: العقب، وسمّها، وأصلها حموءاً وحمو.

(٨) في ص زيادة: المظلمة، وفي هـ. أ: المستورة، وفي هـ. ب: المظلمة.

(٩) لم ترد «و» في ب.

(١٠) في هـ. ب: أصله.

(١١) الشغب: تهيج الشر.

(١٢) أي تارح مائه لأسقيهم.

(١٣) العب: الشرب بلا تنفّس. وفي هـ. ب: لا يشربون، ويقال: العب من الشرب، ضدّ المصّ.

(١٤) في هـ. أ هو ما يسقى منه باليد، وفي هـ. ب: ما يشرب من غير مصّ.

منها: فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُودِ^(١) الْمَطَافِيلِ^(٢) عَلَى أَوْلَادِهَا، تَقُولُونَ: الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ، قَبَضْتُ يَدِي^(٣) قَبَسْتُ مَوْهَا، وَنَارَ غُتْكُمْ يَدِي فَجَذَبْتُمُوهَا^(٤).

اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا^(٥) قَطْعَانِي وَظَلَمَانِي، وَنَكَثَا بَيْعَتِي، وَأَلْبَا^(٦) النَّاسَ عَلَيَّ، فَاخْلُلْ مَا عَقَّدَا . وَلَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أُبْرِمَا^(٧)، وَأَرْهِمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أُمَلَّا وَعَمَلَا، وَلَقَدْ أَشْتَبَتْهُمَا^(٨) قَبْلَ الْقِتَالِ، وَأَسْتَأْنِيْتُ^(٩) بِهِمَا أَمَامَ الْوَقَاعِ^(١٠)، فغمطاً^(١١) النعمة ورداً العافية.

قوله ﷺ: «الحما والحمة»:

يروى الحمأ - بالهمز - وبدونه، فهو بالهمز: الطين الأسود، قال تعالى: «ومن صلصالٍ من حمأ مسنون»^(١٢) أي في هذه الفئة الباغية الضلال والفساد والضرر، وإذا أرادت العرب [أن] تعبر عن الضلال والفساد قالت: الحمأ.

ومثلها: الحمأة - بابتاء -، ومن أمثالهم: «ثَأْطَةٌ مُدَّتْ بِمَاءٍ»^(١٣) يضرب للرجل يشتد موقه وجهله، والثأطه: الحمأة، وإذا أصابها الماء زادت فساداً ورطوبة.

وبغير همز كناية عن الزبير لأنه حمأ رسول الله ﷺ من حيث أنه ابن عمته.

وقد كان النبي ﷺ أعلم علياً عليه السلام بأن فئة من المسلمين تبغي عليه أيام خلافته فيها بعض زوجاته وبعض أحمائه. فكنى عني عليه السلام عن الزوجة بالحممة، وهي سمّ العقرب، هكذا

(١) جمع عائذه، وهي الحديثة التناج من الإيل، أو كل أنثى. وفي هـ. ب: العود: جمع عائذة، وهي الناقة.

(٢) في هـ. ب: المطافيل، أي ذات الطفل، أي أقبلتم عليّ كإقبالها على أولادها.

(٣) في ص: كفي.

(٤) في ا و ص: فجاذبتموها، وفي هـ. ب: «جاذبه الببعة» في الحال، و «جاذب البيعة» للاستقبال.

(٥) في هـ. ب: أي طلحة والزبير.

(٦) في هـ. ب: أي طلحة والزبير.

(٧) في هـ. ب: أي طلحة والزبير.

(٨) أي استرجعتهم، من ثاب: إذا رجع، أي طلبت منهما التثبت على ما أظهرنا. وفي هـ. ب: في

نسخة: استتبتهما، أي طلبت منهما التوبة. (٩) في هـ. ب: أي طلبت تأنيباً.

(١٠) في هـ. ب: قبل المحاربة.

(١١) في هـ. ب: د: وغمط - ع، وفي هـ. ب: كفراً.

(١٢) الحجر: ١٥ / ٢٦.

(١٣) مجمع الأمثال للميداني ١: ١٥٣.

ذكر ابن أبي الحديد^(١). وعندي في تفسيره للحما من غير همز نظر، والظاهر أنه مخفف المهموز، والمعنى فيها الفساد والسم. والله أعلم.

وقوله عليه السلام: «الشبهة المغدفة»:

رواه ابن أبي الحديد بالفاء مع فتح الدال وكسرها، فالفتح، أي أغدفت أي غطيت، وبالكسر من أغدف الليل: أظلم، والمعنى ان الشبهة بها على الناس تقوى فتخفي الحق لأن قوادها من الصحابة.

وقوله عليه السلام: «عن شغبه» بسكون العين المعجمة: تهيج الشر والفتنة والخصام، والعامّة تفتحها تقول: شغبتهم وبهم وفيهم وعليهم. ذكر ذلك في نهاية ابن الاثير^(٢).

ولا يخفى ما في هذا الكلام من الإشارة اخلى أن ما كان فيه من تولي الأمور من قبله كان باطلاً، وكان قولهم في ذلك وجدالهم في استحقاقهم تولي الأمر دونه شغباً؛ لأن فتنة الزبير وطلحة كانت أول فتنة في إمارته عليه السلام، فلا بد أن يكون الباطل الذي يعدّ من نصابه وخرس لسانه بإمارته واقعاً قبل إمارته عليه السلام وانقطع بها، فتأمل، والله أعلم.

وقوله عليه السلام: «لأقرطن» أي لأملأن، والعرب تشبه الموت بالمشروب، فتستعير له ألفاظه كما في هذا الكلام.

والماتح - بنقطتين من أعلى - : المستقي من فوق البئر، وبالياء مهموزة: مالي الدلاء من تحته.

قوله عليه السلام: «استبثتهما»:

واستبثتهما، بالثاء المعجمة بثلاث: طلبت منهما أن يتوبا أي يرجعا، وسمي المنزل مثابة؛ لأن أهله ينصرفون في أمورهم ثم يتوبون إليه، ويروى: «ولقد استبثتهما»، أي: طلبت منهما أن يتوبا إلى الله من ذنبهما في نقض البيعة.

واستأنيت بهما، من الأناة والانتظار، انتهى من الشرح^(٣).

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٩.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٩.

وقوله ﷺ: «فغَطَّ النعمة»:

وَعَمَّطَ فلان النعمة، إذا حَقَّرَهَا وَأَزْدَرَى بِهَا غَمَطًا، ويجوز «غِمَطَ» التَّعَمَّة بالكسر والمصدر غيرُ محرَّك ويقال: إن الكسر أفصح من الفتح^(١).

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٩.

ومن خطبة له عليه السلام يومئذ فيها إلى ذكر الملاحم^(١) :
يَعْطِفُ الْهَوَى عَلَى الْهُدَى إِذَا عَطَفُوا الْهُدَى عَلَى الْهَوَى، وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ،
إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ.

منها:

حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ بَادِيًا نَوَاجِذُهَا^(٢)، مَمْلُوءَةٌ أَخْلَافُهَا^(٣)، حُلُوءٌ رِضَاعُهَا،
عَلَقَمًا عَاقِبَتُهَا، أَلَا وَفِي غَدٍ - وَسَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لَا تَعْرِفُونَ - يَأْخُذُ الْوَالِي^(٤) مَنْ غَيْرَهَا
عُمَّالَهَا^(٥) عَلَى مَسَاوِي أَعْمَالِهَا، وَتُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضُ أَفَالِيدَ^(٦) كَبِدِهَا، وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْمًا^(٧)
مَقَالِيدَهَا^(٨)، فَيُرِيكُمْ كَيْفَ^(٩) عَدْلُ السَّيْرِ، وَيُخَيِّي مَيِّتَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

منها:

كَذَّبَنِي بِهِ^(١٠) قَدْ نَعَقَ^(١١) بِالشَّامِ، وَفَحَصَ^(١٢) بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاجِي^(١٣) كُوفَانٍ، فَعَطَفَ

(١) العنوان في 'و ط': ومن خطبة له عليه السلام في ذكر الملاحم.

(٢) النواجذ: أقصى الأضراس.

(٣) الاخلاف للناقة: حلقات الصرع، واحدها: خلف، وفي هـ. ب: جمع خلف.

(٤) في هـ. ب: الوالي هو المهدي عليه السلام.

(٥) في هـ. ب: يعني جميع العتال الذين كانوا قبل... على مساوي من المعاصي ويحاربهم.

(٦) في هـ. د: من أفاليد - ب، وفي هـ. ب: أفاليد جمع الأفلاذ، والأفلاذ جمع فلذة، وهو: القطعة من الكبدة، وهذه إشارة إلى الكنوز.

(٧) في هـ. أ: سلماً وسلماً معاً. وفي هـ. ب: أي صلحاً.

(٨) في هـ. ب: أي مفاتيحها. (٩) في هـ. ب: زيادة: يكون.

(١٠) في هـ. ب: أشار عليه السلام إلى بعض من يخرج كالسفياني وغيره، وفي هـ. ص: قال في الشرح:

هذا إخبار عن عبد الملك بن مردان وظهوره بالشام وملكه بعد ذلك العراق، وما قتل من العرب في أيام عبد الرحمن بن الأشعث، وقتله أيام مصعب بن الزبير.

(١١) في هـ. ب: نعر بها.

(١٢) في هـ. ب: فحص أي ألقبها، فحص المطر النبت، أي ألقبه.

(١٣) في هـ. أ: ما يبرز للشمس من الأرض. وفي هـ. ب: نواحيها.

عليها^(١) عَطَفَ الضُّرُوسَ^(٢)، وَفَرَشَ الْأَرْضَ بِالرُّؤُوسِ^(٣)، قَدْ فَعَّرَتْ فَاغْرَتَهُ^(٤)، وَثَقُلَتْ
 فِي الْأَرْضِ وَطَأْتُهُ^(٥)، بَعِيدُ الْجَوْلَةِ^(٦)، عَظِيمُ الصَّوْلَةِ.
 وَاللَّهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ، حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ كَأَنَّكُمْ كُحْلٌ فِي الْعَيْنِ، فَلَا
 تَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى تَأْوِبَ^(٧) إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أَخْلَامِهَا^(٨).
 فَالْزَمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ، وَالْآثَارَ الْبَيِّنَةَ، وَالْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النَّبُوءَةِ، وَأَعْلَمُوا
 أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسْنِي^(٩) لَكُمْ طُرُقَهُ لِيَتَّبِعُوا عَقِبَهُ^(١٠).

قوله ﷺ: «يعطف الهوى على الهدى...»:

يفهم من كلام شرح ابن أبي الحديد أن الرواية في «يعطف» في الموضعين بالياء
 باثنتين من تحت، وذلك أنه قال: هذه إشارة إلى إمامٍ يخلقه الله تعالى في آخر الزمان، وهو
 الموعود به في الأخبار والآثار، ومعنى «يعطف الهوى» يقهره ويثنيه عن جانب الإيثار
 والإرادة، عاملاً عملاً الهدى، فيجعل الهدى قاهراً له، وظاهراً عليه.
 وكذلك قوله ﷺ: «ويعطف الرأي على القرآن» أي يقهر حكم الرأي والقياس والعمل
 بغلبة الظن عاملاً على القرآن.

وقوله ﷺ: «إذا عطفوا الهدى» و«إذا عطفوا القرآن»:

إشارة إلى الفِرَقِ المخالفين لهذا الإمام، المشاققين له، الذين لا يعملون بالهدى بل

(١) في ط: إليها.

(٢) في هـ. أ و ب: ناقة ضروس: سيئة الخلق تعضّ حالبها، وفي هـ. ص: هي الناقة سيئة الخلق
 تعذلم وتخبط وتزبن.

(٣) في هـ. ب: من القتل.

(٤) في هـ. ب: فتحت فمها، وفي هـ. ص: كأنه شبيهه بأسد فتح فاه للضم.

(٥) في هـ. ب: خطوته.

(٦) في هـ. ص: منصوب على الحال، أي لا تنهزم.

(٧) في هـ. ب: ترجع.

(٨) في هـ. ب: بواعد عقلها، وفي هـ. ص: جمع عازية، أي ما بعد عنها من عقولها، عزب عنه
 الرأي: أي بعد.

(٩) في هـ. ب: يسني: يرفع، وفي هـ. ص: أي يحسن.

(١٠) في هـ. ص: مؤخر القدم، مؤنثة، أي: لتتبعوه.

بالهوى، ولا يحكمون بالقرآن بل بالرأي، انتهى^(١).

فان بينت الرواية «نعطف» بالنون، فهو إشارة إلى طريقة أئمة أهل البيت عليهم السلام جملة. وفي كلام له عليه السلام: فقلت: يا رسول الله فأرشدني الى الفلج عند الخصومة يوم القيامة، فقال: نعم، اذا كان ذلك فاقصر على الهدى اذا قومك عطفوا الهدى على الهوى، وعطفوا القرآن على الرأي، فتأولوا برأيهم ببيع الحجج من القرآن بمشبهات الاشياء الكاذبة عند الطمأنينة إلى الدنيا والتهالك والتكاثر، فاعطف أنت الرأي على القرآن اذا قومك حرّفوا الكلم عن مواضعه عند الاهواء الساهية والامر الطامح والهرج المردى والهوى المطغي والشبهة الحالقة؛ فلا تنكّلن عن فضل العاقبة؛ فإنّ العاقبة للمتقين؛ انتهى

والظاهر ان «على» متعلقة بـ «تعطف»، لا بـ «عامد» المقدّر كما يفهم من كلام الشارح، و معنى عطف القرآن على الرأي تأويله بما يوافق الرأي، وكذلك عطف الهدى على الهوى، أي جعله بتأويل حججه مطابقاً للهوى، والله أعلم.

وقوله عليه السلام: «ألا في غد... الى آخر كلامه»:

قال في الشرح: هذا كلام منقطع عمّا قبله، وكان قد تقدم ذكر طائفة من الدس ذات ملك وامرة، فذكر ان الوالي - يعني الامام الذي يجعله ^(٢) الله تعالى في آخر الزمان - يأخذ عمال هذه الطائفة، أي يأخذهم بسوء أعمالهم ^(٣)، انتهى ^(٤).

أقول: الذي يقوى على الظن في ترتيب هذا الكلام: انّ قوله: «يعطف» متّصل بهذا الكلام، وموضعه آخر الكلام.

وقوله عليه السلام: «حتى تقوم الحرب بكم على ساق» وقوله: «كأنني قد نعق بالشام» كلام متصل، موضعه مقدّم عليه.

والإشارة به إلى الطوائف المتغلّبة في الإسلام، وآخره تحذير من الدخول في شيء من أمرها.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٤٧. (٢) في ط يخلقه.

(٣) في الشرح: لأخذ عمال هذه الطائفة على سوء أعمالهم.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٤٦.

وأراد بـ «الغد» الزمن الآتي بعد زمانها الطويل.

وقوله ﷺ: «من غيرها»، أي من غير هذه الفرق والطوائف الضالة، وذلك الغير: الفرقة الناجية من فرق الإسلام المذكورة في الحديث المشهور^(١)، والأحاديث الكثيرة.

ويحتمل - مع عدم تحقق اتصال هذا الكلام ببعضه ببعض - أن يكون قوله ﷺ: «وتخرج له الأرض أفايذ كبدها» متصل بقوله: «يعطف الهوى على الهدى» ويكون ذلك ذكر حال الإمام، ويكون قوله ﷺ: «يأخذ الوالي ... إلى قوله: أعمالها» من تنمة «حتى تقوم الحرب بكم على ساق» إشارة إلى تغليب بني العباس على بني أمية وتسليطهم عليهم عقوبة لهم كما قد أشار إليه ﷺ في مواضع من كلامه، والله أعلم.

وقوله ﷺ: «فألزموا السنن القائمة... إلى آخر كلامه»:

أمرهم ﷺ بأن يلزموا بعد زوال تلك الدولة الكتاب والسنة، والعهد القريب الذي عليه باقي النبوة - يعني عهده وأيامه ﷺ - وكأنه خاف من أن يكون بإخباره لهم بأن دولة هذا الجبار ستنتضي إذا آبت إلى العرب عواذب أحلامها، كالأمر لهم باتباع ولاية الدولة الجديدة في كل ما تفعله، فاستظهر عليهم بهذه الوصية، وقال لهم: إذا ابتدلت الدولة، فالزموا الكتاب والسنة، والعهد الذي فارقتكم عليه؛ انتهى من شرح ابن أبي الحديد^(٢).

(١) وهو قوله ﷺ: «افترقت أمة موسى إحدى وسبعين فرقة، واحدة ناجية والباقون في النار، وافتترقت أمة عيسى اثنان وسبعون فرقة، واحدة ناجية والباقون في النار، وستفترق أمتي ثلاث وسبعون فرقة واحدة ناجية والباقون في النار؛ قيل: يا رسول الله ومن هم؟ قال ﷺ: هم من كانوا على ما أنا عليه وأصحابي». (٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٤٨.

ومن كلام له عليه السلام في وقت الشورى:

لن^(١) يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةٍ حَقٍّ وَصِلَةٍ رَحِمٍ وَعَائِدَةٍ كَرَمٍ. فَاسْمَعُوا قَوْلِي وَاعْبُوا^(٢) مُنْطَقِي. عَسَى أَنْ تَرَوْا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْيَوْمِ تُنْتَضَى^(٣) فِيهِ السُّيُوفُ، وَتُخَانُ فِيهِ الْعُهُودُ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَيْمَةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ؛ وَشِيعَةً لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ.

أورد ابن أبي الحديد في شرح هذا الكلام ما رسمه: عن عوانة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي.

قال الشعبي: واجتمع أهل الشورى على أن تكون كلمتهم واحدة على من لم يبايع، فقاموا إلى علي، فقالوا: قم فبايع عثمان، قال: فإن لم أفعل، قالوا: نجاهدك، قال: فمضى إلى عثمان حتى بايعه^(٤)؛ وهو يقول: صدق الله ورسوله. فلما بايع أتاه عبد الرحمن بن عوف، فاعتذر إليه؛ وقال: إن عثمان أعطانا يده ويمينه، ولم تفعل أنت، فأحبيت أن أتوثق للمسلمين، فجعلتها فيه، فقال: إيهأ عنك! إنما آثرته بها لتناولها بعده. دق الله بينكما عطر^(٥) منشم.

[قال الشعبي: وقدم طلحة من الشام بعدما بويع عثمان، فقبل له: رد هذا الأمر حتى ترى فيه رأيك؛ فقال: والله لو بايعتم شركم لرضيت، فكيف وقد بايعتم خيركم! قال: ثم عدا عليه بعد ذلك وصاحبه حتى قتلاه، ثم زعما أنهما يطلبان بدمه]^(٦).

(١) في هـ. د: لم يسرع - ض ب. (٢) في هـ. ب: احفظوا.

(٣) في هـ. ب: تسل.

(٤) راجع تفصيل ذلك في ما تقدم من شرح الخطبة الشفشفية

(٥) منشم: امرأة عطارة من خزاعة؛ فتحالف قوم فأدخلوا أيديهم في عطرها على أن يقتاتلوا حتى يموتوا؛ فضرب ذلك مثلاً لشدة الأمر.

(٦) من ط.

قال الشعبي: فأما ما يذكره الناس من المناشدة، وقول عليّ عليه السلام لأهل الشورى: أفيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله كذا؛ فإنه لم يكن يوم البيعة، وإنما كان بعد ذلك بقليل؛ دخل عليّ عليه السلام على عثمان وعنده جماعة من الناس، منهم أهل الشورى، وقد كان بلغه عنهم هنأت وقوارض، فقال لهم: أفيكم... أفيكم؟! كل ذلك يقولون: لا، قال: لكنني أخبركم عن أنفسكم؛ أما أنت يا عثمان ففررت يوم حنين، وتوليت يوم التقى الجمعان، وأما أنت يا طلحة فقلت: إن مات محمد لنركضن بين خلاخيل نسائه كما ركض بين خلاخيل نساتنا، وأما أنت يا عبد الرحمن، فصاحب قراريط، وأما أنت يا سعد فتدقّ عن أن تذكر.

قال: ثم خرج فقال عثمان: أما كان فيكم أحد يردّ عليه! قالوا: وما منعك من ذلك وأنت أمير المؤمنين! وتفرّقوا.

قال عوانة: وحدثني يزيد بن جرير عن الشعبي، عن سفيان بن سلمة: أن علي بن أبي طالب لما انصرف إلى رحله بعد البيعة قال لبني بيه: يا بني عبد المطلب إن قومكم عادوكم بعد وفاة نبيكم كعداوتهم في حياته، وإن يطع قومكم لا تؤمّروا أبداً والله لا ينيب هؤلاء إلى الحق إلا بالسيف.

قال: وعبد الله بن عمر بن الخطاب داخل إليهم قد جمع الكلام كله فقال: يا أبا الحسن أتريد أن تضرب بعضهم ببعض؟

فقال: اسكت ويحك، فوالله لو لا أبوك وما ركب مني قديماً وحديثاً ما نازعني ابن عفان ولا ابن عوف، فقام عبد الله فخرج.

قال الشعبي: وخرج المقداد من الغد فلقى عبد الرحمن بن عوف، فأخذ بيده وقال: إن كنت أردت بما صنعت وجه الله فأثابك الله - كما قال - ثواب الدنيا والآخرة، وإن كنت أردت الدنيا فأكثر الله مالك.

فقال عبد الرحمن: اسمع رحمك الله اسمع، فقال: لا أسمع والله، وجذب يده من يده ومضى حتى دخل على علي بن أبي طالب، فقال: قم فقاتل حتى نقاتل معك. فقال علي: فمن أقاتل رحمك الله.

وأقبل عمار بن ياسر ينادي:

ياناعي الإسلام قم فأنعه

قد مات عرف وبدا منكر

أما والله لو أن لي أعواناً لقاتلتهم، والله إن قاتلتهم واحداً لأكونن له ثانياً.

فقال علي: يا أبا اليقظان، والله لا أجد عليهم أعواناً ولا أحب أن أعرضكم لما

لا تطيقون.

وبقي علي في داره وعنده نفر من أهل بيته، وليس يدخل عليه أحد، فخافه عثمان^(١).

قال عوانة: قال إسماعيل: قال الشعبي: فحدثني عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه

جندب بن عبد الله الأزدي، قال: كنت جالساً بالمدينة حيث بويع عثمان، فجئت فجلست

إلى المقداد بن عمرو؛ فسمعتة يقول: والله ما رأيت مثل ما أتى إلى أهل هذا البيت! وكان

عبد الرحمن بن عوف جالساً، فقال: وما أنت وذلك يا مقداد! قال المقداد: إني والله أحبهم

لحب رسول الله ﷺ، وإني لأعجب من قريش وتضاؤلهم على الناس بفضل رسول الله، ثم

انتزعهم سلطانه من أهله. قال عبد الرحمن: ما والله لقد أجهدت نفسي لكم. قال المقداد:

أما والله لقد تركت رجلاً من الذين يقضون^(٢) بالحق وبه يعدلون! أما والله لو أن لي على

قريش أعواناً لقاتلتهم قتالي إياهم بيدٍ وأحد. فقال عبد الرحمن: ثكلتك أمك؛ لا يسمعن

هذا الكلام الناس، فإنني أخاف أن تكون صاحب فتنة وفرقة.

قال المقداد يا أبا عبد الرحمن^(٣): إن من دعا إلى الحق وأهله وولاة الأمر لا يكون

صاحب فتنة؛ ولكن من أقحم الناس في الباطل، وآثر الهوى على الحق، فذلك صاحب

الفتنة والفرقة.

قال: فترى وجه عبد الرحمن [ثم قال: لو أعلم أنك إيتاي تعني لكان لي ولك شأن.

قال المقداد: إيتاي تهدد يا بن أم عبد الرحمن!]^(٤) ثم قام عن عبد الرحمن، فانصرف.

قال جندب بن عبد الله: فاتبعته، وقلت له: يا عبد الله، أنا من أعوانك، فقال: رحمك الله!

إن هذا لأمر لا يغني فيه الرجلان ولا الثلاثة، قال: فدخلت من فوري ذلك على علي ﷺ،

(١) من قوله: «قال عوانة.» إلى هنا، لم يرد في ط.

(٢) في ط: يأمرؤن (٣) لم ترد «يا أبا عبد الرحمن» في ط.

(٤) من ط.

فلما جلست إليه، قلت: يا أبا الحسن، والله ما أصاب قومك بصرف هذا الأمر عنك، فقال: صَبِرْ جميل والله المستعان.

فقلت: والله إنك لصبور! قال: فإن لم أصبر فماذا أصنع؟ قلت: إني جلست إلى المقداد بن عمرو آنفاً وعبد الرحمن بن عوف، فقالا كذا وكذا، ثم قام المقداد فاتَّبَعْتَهُ، فقلت له كذا، فقال لي كذا. فقال عليٌّ عليه السلام: لقد صدق المقداد، فما أصنع؟ فقلت: تقوم في الناس فتدعوهم إلى نفسك، وتخبرهم أنك أولى بالنبى، وتسالهم التَّصَرُّع على هؤلاء المتظاهرين ^(١) عليك، فإن أجابك عشرة من مائة شَدَدْتَ بهم على الناس ^(٢)، فإن دانوا لك فذاك، وإلا قاتلتهم وكنت أولى بالعدو؛ قُتِلْتَ أو بقيت، وكنت أعلى عند الله حجة.

فقال: أترجو يا جندب أن يبايعني من كل عشرة واحد؟ قلت: أرجو ذلك، قال: لكني لا أرجو ذلك. لا والله ولا من المائة واحد، وسأخبرك؛ إنَّ الناس إنما ينظرون إلى قريش فيقولون: هم قوم محمّد وقبيلُهُ. وأما قريش بينها فتقول: إنَّ آل محمّد يروُن لهم على الناس نبوتَهُ فضلاً، ويروُن أنَّهم أولياءُ هذا الأمر دون قريش، ودون غيرهم من الناس، وهم إن وُلُوهُ لم يخرج السلطان منهم إلى أحد أبداً؛ ومتى كان في غيرهم تداولته قريش بينها؛ لا والله لا يدفعُ الناسُ إلينا هذا الأمر طائعين أبداً!

فقلت: جعلت فداك يا بن عمِّ رسول الله! لقد صدَّعْتَ قلبي بهذا القول، أفلا أُرْجِعُ إلى مصر، فأودِّنُ الناس بمقاتلتك، وأدعو النَّاسَ إليك؟ فقال: يا جندب ليس هذا زمان ذاك. قال: فأنصرفتُ إلى العراق، فكنت أذكر فضل عليٍّ على الناس فلا أعدم رجلاً يقول لي ما أكره، وأحسن ما أسمعُه قول مَنْ يقول: دع عنك هذا وخذ فيما ينفعك؛ فأقول: إنَّ هذا مما ينفعني وينفعك، فيقوم عَنِّي ويدعني.

وزاد أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري: حتى رُفِعَ ذلك من قولي إلى الوليد بن عُقْبَةَ، لما ولينا، فبعث إليَّ فحبسني حتى كُتِّمَ فيَّ، فخلَّى سبيلي، انتهى من شرح ابن أبي الحديد باختصار ^(٣).

(٢) في ط: على الباقيين.

(١) في ط: المظاهرين.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٥٥ - ٥٨.

ومن كلام له عليه السلام في النهي عن غيبة الناس:

وإنما ^(١) ينبغي لأهل العِصْمَةِ والمَصْنُوعِ إليهم في السَّلامَةِ ^(٢) أَنْ يَرْحَمُوا ^(٣) أَهْلَ
الدُّنُوبِ والمَعْصِيَةِ، وَيَكُونَ الشُّكْرُ ^(٤) هُوَ الْغَالِبُ عليهم، والحَاجِزُ ^(٥) لَهُمْ عَنْهُمْ، فَكَيْفَ
بِالْغَائِبِ الَّذِي غَابَ أَخًا وَعَيَّرَهُ بِتَلَوَاهُ، أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سِتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ
مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي غَابَ بِهِ ^(٦)؟!، وَكَيْفَ ^(٧) يَذُمَّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذَلِكَ
الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ.
وَأَيْمُ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ، لَجَرَأَتْهُ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ
أَكْبَرُ.

يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ ^(٨) بِذَنْبِهِ فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ ^(٩) لَهُ، وَلَا تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ
صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ، فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ. فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ؛ لِمَا يَعْلَمُ مَنْ عَيْبِ
نَفْسِهِ وَلِيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلًا لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا آتَتْهُ بِهِ غَيْرُهُ.

اعلم ان الناس اختلفوا في انه هل تجوز غيبة الفاسق مطلقاً، أو لا تجوز إلا على وجه
الشكاية منه والنصيحة لمن استشار فيه ونحوهما مما هو مذكور في الكتب الفقهية،
وظاهر كلام أمير المؤمنين عليه السلام كما تراه، والذي يقرب الى فهمي ويتحصّل عندي من معنى
كلامه عليه السلام ومغزاه هو نهى من يذكر العصاة على وجه التنقيص لهم والترفع عليهم، كما هي

(١) في: فإنما، وفي هـ. د: فإنما - ن م ف.

(٢) في هـ. ص: أي المنعم عليهم بتسليمهم من ارتكاب المعاصي.

(٣) في هـ. د: وان يرحموا - ف ن. (٤) في هـ. ص: أي على النعمة والعصمة.

(٥) في هـ. ب: المانع. (٦) في هـ. د: الذي عابه به - ض ب.

(٧) في ص. فكيف. (٨) في ب: عبد، وفي هـ. د: عبد - ش.

(٩) في هـ. ب، وفي نسخة: مغفور.

طريقة المتناقضين والمتساين، قصداً لبخس حظهم الدنيوي، ولا يقصد بكلامه فيهم الانتصار لمحارم الله والعقوبة لهم على انتهاكهم وتعديهم حدود الله. فإما إيقاعه على ذلك الوجه فذلك جائز بل قد يكون واجباً ومندوباً وقد فعله رسول الله ﷺ وعليّ عليه السلام وكبار الأئمة عليهم السلام، وقد سبقت منّا الإشارة إلى هذا المعنى وألفاظ الفصل يشير إليه، والله أعلم.

ومن كلام له عليه السلام :

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَرَفَ ^(١) مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ وَسَدَادَ طَرِيقٍ، فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرَّجَالِ ^(٢). أَمَّا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِي، وَتُخْطِئُ السَّهَامُ، وَيَحِيكُ ^(٣) الْكَلَامُ، وَبَاطِلُ ذَلِكَ يَبُورُ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ.

أَمَّا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْبَاطِلِ وَالْحَقِّ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ.
فَسُئِلَ عليه السلام عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ هَذَا، فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ وَوَضَعَهَا ^(٤) بَيْنَ أُذُنَيْهِ وَعَيْنَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:
الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ: سَمِعْتُ، وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ: رَأَيْتُ.

(١) في هـ. د: من علم - م

(٢) في أ و ص: الناس، وفي هـ. ص، وفي نسخة: الرجال، وفي هـ. د: الناس - ن ف.

(٣) في ط: يحيل، وفي هـ. ص: يحيك، أي: يؤثر، يقال: ما حاك فبه السيف، أي ما أثر، ويجوز:

ما أحاك، وروي: ويحيل الكلام - باللام - أي يكون باطلاً، أحال الرجل في منطقته: إذا تكلم بالمحال الذي لا حقيقة له، وروايته باللام أشهر، انتهى من شرح ابن أبي الحديد. وأقول: إن روايته بالكاف أنسب؛ لقوله: أما أنه قد يرمي الرامي... الخ، فهو كالمقدمة له؛ لأن السهم قد يخطيء والكلام قد يؤثر، والله أعلم. (٤) في ص: وجعلها.

ومن كلام له ﷺ:

وَلَيْسَ لِوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ مِنَ الْحِظِّ فِيمَا أَتَى إِلَّا مُحَمَّدَةٌ
اللَّئَامُ^(١)، وَتَنَاءُ الْأَشْرَارِ، وَمَقَالَةُ الْجُهَالِ مَا دَامَ مُنْعِمًا عَلَيْهِمْ؛ مَا أَجُودَ يَدُهُ، وَهُوَ عَنْ ذَاتِ
اللَّهِ^(٢) بَخِيلٌ.

فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ، وَلْيُفَكِّ بِهِ الْأَسِيرَ
وَالْعَانِي^(٣)، وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْغَارِمَ^(٤)، وَلْيَصْبِرْ^(٥) نَفْسَهُ^(٦) عَلَى الْحُقُوقِ وَالنَّوَائِبِ ابْتِغَاءَ
الْثَّوَابِ؛ فَإِنَّ فَوْزًا بِهَذِهِ الْخِصَالِ شَرَفٌ مَكَارِمِ الدُّنْيَا، وَدَرْكُ فَضَائِلِ الْآخِرَةِ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ^(٧).

هذا الكلام يتضمّن ذمّ من يُخْرِجُ ماله إلى الفتيان والأقران والشعراء ونحوهم، ويبتغي
به المدح والسمعة، ويعدل عن إخراجهِ في وجوه البرِّ وابتغاء الثواب، قال ﷺ: «ليس له
من الحِظِّ إِلَّا مُحَمَّدَةُ اللَّئَامِ وَتَنَاءُ الْأَشْرَارِ، وَقَوْلُهُمْ: مَا أَجُودَ يَدُهُ»، أي ما أسمحه! وهو بخيل
بما يرجع إلى ذات الله، يعني الصدقات وما يجري مجراها من صلة الرَّحِمِ والضيافة وفكّ
الأسير والعاني؛ وهو الأسير بعينه؛ وإنّما اختلف اللفظ. والغارم: من عليه الديون. ومراده:
تقرير فضيلة هذه الخصال في النفوس، أي متى حصل للإنسان فوزٌ ما بها؛ فقد حصل له
الشرف، وهذا المعنى وإن اعطاه لفظة «الفوز» بالألف واللام إذا قصد بها الجنسية إلا أنه قد

(١) في هـ. د: من الحِظِّ إِلَّا مُحَمَّدَةُ اللَّئَامِ - ب.

(٢) في هـ. ب: أي طاعة الله.

(٣) في هـ. ب: الأسير.

(٤) في هـ. ص: ذي الغرم.

(٥) في هـ. أ: ليصبر وليصبر - معاً.

(٦) في هـ. ب: ليحبس، وفي هـ. ص: يقال صبر نفسه على كذا: حبسها، انتهى من الشرح. أي

ليحبس نفسه وإرادته على تأدية ما يحق عليه أداؤه والقيام بما ينويه ولا ينفق في الأباطيل
التي لا يتدبها الشرع للإنفاق فيها.

(٧) لم ترد «إن شاء الله» في أ، وفي هـ. د: «إن شاء الله» ساقطة من م ف ن.

يسبق إلى الذهن منها الاستغراق لا الجنسية، فأتى بلفظة لا توهم الاستغراق؛ وهي اللفظة المنكرة؛ وهذا دقيق، وهو من لباب علم البيان، انتهى من شرح ابن أبي الحديد^(١).

قلت: ومغزى كلامه ﷺ ومراده الأهم، هو الحث على إنفاق المال لوجه الله، وقد يكون منه إنفاقه في صنائع المعروف مع قصد صيانة العرض وقطع أذى اللسان، لا للسمعة والذكر. كما أشار إليه الحسن بن علي ﷺ في بعض قوله

ومع الرغبة في مكارم الأخلاق وحبها لذاتها ولما هي عليه من السراوة كما أشار إليه النبي ﷺ في قصة إينة حاتم الطائي

وتوجه ذمه ﷺ في هذا الفصل إلى من يقصر نفسه على الإعطاء في لمصانعة أو يؤثره لينال مدح الناس ويتقي ذمهم، فقال: إن ذلك يحصل مطلوبه هذا مادام منعماً عليهم. فإذا انقطع انقطع المدح بانقطاعه، بل ربما عاد مادحه منهم دائماً كما قد عرفته الخبرة، بخلاف من أعطى الله فإنه يمدحه غير المنتفع بعطيته وإمارة كون الإعطاء لله عمومته لوجوه الإنفاق وكون الغالب وقوعه في المواضع الخالصة لله، وهي التي ذكرها ﷺ صريحاً وأشار إلى غيرها بقوله: «وليصبر نفسه على الحقوق والنوائب» وإلى الوجه المعتبر في الجميع أشار ﷺ بقوله: «ابتغاء الثواب» وهذا الكلام مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم وما تُنفقون إلا ابتغاء وجه الله﴾^(٢)، ومن قوله تعالى: ﴿يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فلولو الدين والأقربين...﴾^(٣)

قالوا: عدل عن بيان الفدر المنفق المسؤول عنه وأشار إليه بقوله: «من خير» أي قليل الخير وكثيره سواء في القبول، إلى بيان من يوضع فيه الخير؛ لبيان الاعتبار في القبول والإيانة بالمصرف لا بقدر المصروف وأنشدوا على ذلك قول الشاعر:

ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى تصيب بها طريق المصنع
والله أعلم.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٧٥. (٢) البقرة: ٢ / ٢٧٢.

(٣) البقرة: ٢ / ٢١٥.

ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء:

أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تَحْمِلُكُمْ. وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُظِلُّكُمْ، مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُم، وَمَا أَصْبَحَتَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتِهِمَا تَوْجُعاً لَكُمْ، وَلَا زُلْفَةً إِلَيْكُمْ، وَلَا لَخِيرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ، وَلَكِنْ أَمْرَتَا بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطَاعَتَا وَأُقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَقَامَتَا^(١).

إِنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ، وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ، وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ لِيَتُوبَ تَائِبٌ، وَيُقْلَعَ مُقْلَعٌ، وَيَتَذَكَّرَ^(٢) مُتَذَكِّرٌ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ.

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ^(٣) الْاسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ، وَرَحْمَةَ الْخَلْقِ^(٤). فَقَالَ^(٥): (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَسِينِ)^(٦) فَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ، وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ، وَبَادَرَ مَنِيئَتَهُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأُتَارِ وَالْأَكْنَانِ، وَبَعْدَ عَجِيجِ^(٧) الْبَهَائِمِ وَالْوِلْدَانِ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ، وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ، وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنَقْمَتِكَ. اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِالسَّنِينِ^(٨)، وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ حِينَ الْجَأْتْنَا الْمَضَائِقُ الْوَعْرَةَ^(٩)، وَأَجَاءْتْنَا^(١٠) الْمَقَاحِطُ^(١١) الْمَجْدِبَةُ، وَأَعْيَيْنَا^(١٢) الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَةَ، وَتَلَاخَمْتُ^(١٣) عَلَيْنَا الْفِتْنُ الْمُسْتَضْعِبَةُ.

(١) في د: فأقامنا، وفي هـ: د: فقامتا - ش. (٢) في هـ: ب: يتعظ.

(٣) في هـ: د: جعل الله الاستغفار - ض ب. (٤) في أ: للخلق.

(٥) في هـ: د: فقال سبحانه - ض ح. (٦) سورة نوح: ٧١ / ١٠.

(٧) في هـ: ب: صوت. (٨) في هـ: ص جمع سنة، بمعنى الجذب.

(٩) في هـ: ب: الشديدة، وفي هـ: ص: الوعة بالتسكين، وقد شبه مطالب المعاصي في تصعبها بمسالك صعبة في جبل وعر.

(١٠) في هـ: ب: أخرجتنا، وفي هـ: ص: جعلتنا جائنين إليك.

(١١) في هـ: ص: جمع مقطحة، أي جذب. (١٢) في هـ: ب: أعجزتنا.

(١٣) في هـ: ب: اتصلت، وفي هـ: ص: أي اتصل بعضها ببعض.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ، وَلَا تَقْلِبْنَا وَاجِمِينَ^(١)، وَلَا تُخَاطِبُنَا^(٢) بِذُنُوبِنَا^(٣)، وَلَا تُقَايِسُنَا بِأَعْمَالِنَا^(٤).

اللَّهُمَّ أَنْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَبَرَكَتَكَ وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ، وَأَسْقِنَا سُقْيَا نَافِعَةً^(٥) مُزَوِّيةً مُعْشِبَةً تُثَبِّتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ، وَتُحْيِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ^(٦)، نَافِعَةً الْحَيَا^(٧)، كَثِيرَةً الْمُجْتَنَى^(٨)، تُزَوِّي بِهَا الْقِيَعَانَ، وَتُسِيلُ الْبُطْنَانَ^(٩)، وَتَسْتَوْرِقُ^(١٠) الْأَشْجَارَ، وَتُرَخِّصُ الْأَسْعَارَ، إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ^(١١) قَدِيرٌ.

(١) في هـ. ب: لواجم الذي اشتدَّ حزنه حتى أمسك عن الكلام.

(٢) في هـ. د: ولا تعاقبنا - هـ م. (٣) أي: لا تدعنا باسم المذنبين.

(٤) أي لا تجعل فعلك بنا مناسباً لأعمالنا. (٥) في هـ. د: ناقة - ح ر.

(٦) في أ: ما مات، وفي هـ. أ في نسخة: ما قد مات.

(٧) في هـ. ب: أي مجتمعة المطر. (٨) في هـ. ب: الثمرة المجتناة.

(٩) جمع بطن وهو ما نخفض من الأرض، وفي هـ. ب: جمع البطن وهو الغامض من الأرض،

وفي هـ. ص: جمع بطن: ما اطمأن من الأرض.

(١٠) في هـ. ب زيادة: بها وفي هـ. ص، وفي نسخة: زيادة بها.

(١١) في ص: على كل شيء، وفي هـ. ص في نسخة: على ما تشاء.

ومن كلام له عليه السلام:

بَعَثَ رَسُولُهُ ^(١) بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ رَحْمَةٍ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ، لِئَلَّا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الْإِعْذَارِ ^(٢) إِلَيْهِمْ، فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ، أَلَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَةً ^(٣)، لَا أَنَّهُ جَهَلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونٍ ^(٤) أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونٍ ضَمَائِرِهِمْ، وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً، وَالْعِقَابُ بَوَاءً ^(٥).

أَيُّنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ ^(٦) فِي الْعِلْمِ دُونَنَا، كَذِبًا وَتَعْيًا عَلَيْنَا؛ أَنْ رَفَعَنَا اللَّهُ وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ، بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى، وَيُسْتَجْلَى ^(٧) الْعَمَى. إِنَّ الْأَيْمَةَ مِنْ قُرَيْشٍ، غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ، لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلَا تَصْلُحُ الْوُلاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ.

منها:

اَثَرُوا عَاجِلًا وَأَخَّرُوا آجِلًا، وَتَرَكُوا صَافِيًا، وَشَرِبُوا آجِنًا ^(٨)، كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَأَلْفَهُ ^(٩)، وَبَسَى ^(١٠) بِهِ وَوَافَقَهُ، حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ، وَصُبِغَتْ بِهِ

(١) في هـ. د: بعث الله رسله - ح ب.

(٢) في هـ. ب: الأعذار: نصب العذر وإقامته وتمهيله.

(٣) أي علم حالهم.

(٤) في ص: مصونات وفي هـ. ص في نسخة: مصون.

(٥) في هـ. أ: جزاء، وفي هـ. ب: سواء للأعمال، وفي هـ. ص: أي كفاء لعملهم ومماثلاً له.

(٦) في هـ. ب: أي الذين يدعون أنهم راسخون كذباً.

(٧) في ب و ص: وبنا يستجلي. (٨) الآجن: الماء المتغير اللون والطعم، الكدر.

(٩) في هـ. ب: أي ألف المنكر فاستقهم.

(١٠) في هـ. أ: بسى مقصور، يسىء بالامداد: استأنس به، وبسا لغة فيه، وفي هـ. ب: بسىء وبسا:

إذا استأنس به.

خَلَّيْنَهُ^(١)، ثُمَّ أَقْبَلَ مُزِيدًا^(٢) كَالْتِيَّارِ^(٣) لَا يِيَالِي مَا غَرَّقَ، أَوْ كَوَقَعَ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ لَا يَخْفِلُ^(٤) مَا حَرَّقَ^(٥)، أَيْنَ أَلْعَقُولُ الْمُسْتَضْبِحَةُ^(٦) بِمَصَابِيحِ الْهُدَى، وَالْأَبْصَارُ اللَّامِحَةُ^(٧) إِلَى مَنَارِ^(٨) التَّقْوَى، أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وَهَبَتْ لِلَّهِ رَعُوقَدَتِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، أَرَدَحَمُوا^(٩) عَلَى الْحُطَامِ^(١٠)، وَتَشَاخَوْا عَلَى الْحَرَامِ، وَرَفَعَ^(١١) لَهُمْ عِلْمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وَجُوهَهُمْ، وَأَقْبَلُوا إِلَى^(١٢) النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ، دَعَاهُمْ^(١٣) رَبُّهُمْ فَتَفَرَّقُوا^(١٤) وَأَوَّلُوا، وَدَعَاهُمْ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا.

قوله ﷺ: «بعث رسله... إلى آخره»:

هذا الكلام مأخوذ من قوله تعالى: ﴿رَسُولًا مَبْشُرِينَ وَمُنْذِرِينَ لئَلَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾^(١٥)

قوله ﷺ: «قد كشفت الخلق كشفة»:

أي: بما تعبدتهم به من الشرعيات على السنة الأنبياء، ولم يكن أمرهم خافياً عنه فيحتاج إلى أن يكشفهم، بل هو عالم بمن يطيع ومن يعصي، ولكن ليظهر الأفعال التي هي مناط الثواب والعقاب، فجعل ذلك ابتلاءً واختباراً؛ لأنه يشبه فعل المختبر. وعلى نحوه

(١) في هـ. ب: أي صارت طباعاً، من قوله تعالى: ﴿صَبْغَةَ اللَّهِ﴾.

(٢) في هـ. ب: أي ذو زيد.

(٣) في هـ. ب: بموج.

(٤) في هـ. ب: أي لا ييالي

(٥) في ص: بما حرق.

(٦) في هـ. ب: المتخذة لنفسها مصباحاً وسراجاً.

(٧) في هـ. ب: الناضرة

(٨) في هـ. ب: علم، وفي هـ. د: منازل التقوى - ح وه ن، منابر التقوى - م.

(٩) في هـ. ب: احتتمعو.

(١٠) في هـ. ب: ما تكسر من اليبس [فترك] استحقاراً له.

(١١) في هـ. ب: كلام مستأنف؛ لأنه ﷺ عاد إلى ذم الناس.

(١٢) في هـ. ص: نسخة: على

(١٣) في هـ. أ: ودعاهم - ض ح ب.

(١٤) في ب: فتفرقوا، وفي هـ. ب، وفي نسخة: فنفرُوا.

(١٥) سورة النساء: ٤ / ١٦٥.

يحمل كل ابتلاء واختبار اسند إلى الله تعالى.

وقد جعل ﷺ ذلك مقدّمة لبيان أنّ الله أوجب حقّ أهل البيت على الناس وعلة له كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ مَثْلَ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَمَثَلِ بَابِ حِطَّةٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مَنْ دَخَلَهُ غُفِرَ لَهُ»، والله أعلم.

قال في شرح ابن أبي الحديد: هذا الكلام كناية وإشارة إلى قوم من الصحابة كانوا ينازعونه الفضل؛ فمنهم مَنْ كان يدّعي له أنّه أقرض، ومنهم من كان يدّعي له أنّه أقرأ، ومنهم من كان يدّعي له أنّه أعلم بالحلال والحرام. هذا مع تسليم هؤلاء له أنّه ﷺ أقضى الأُمّة، وأنّ القضاء يحتاج إلى كلّ هذه الفضائل، وكلّ واحدةٍ منها لا تحتاج إلى غيرها، فهو إذن أجمع للفقّه وأكثرهم احتواءً عليه، إلّا أنّه ﷺ لم يرض بذلك ولم يصدق الخبر الذي قيل: «أقرضكم فلان» إلى آخره فقال: إنّ كذب وافتراء حمل قوماً على وضعه الحسد والبغي والمنافسة لهذا الحيّ من بني هاشم، أن رفعهم الله على غيرهم، واختصّهم دون مَنْ سواهم. «وأنّ» هاهنا للتعليل، أي «لأنّ». انتهى^(١).

وما ذكره محتمل، والأظهر أنّه ﷺ يشير بذلك إلى قول من كان يقول: إن غيره ﷺ أحقّ بأمر الإمامة منه، وإنّه لا يصلح لها؛ إمّا لأنّ فيه دعاية، وإمّا لأنّه حدث، وإمّا لأنّه مزهو، وإمّا لغير ذلك من الأمور كما هو مرويّ عن عمر وغيره.

وأتى في العبارة عن استحقاق الإمامة بـ «الرسوخ»؛ تنبيهاً منه ﷺ على أن عماد الإمامة وملاكها هو الرسوخ في العلم، إمّا كون الإمام أرسخ أهل زمانه على الصحيح، أو من راسخينهم؛ لقول الله تعالى: «وَأَقِمْنَ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى»^(٢)، وغير ذلك من الأدلّة من الكتاب والسنة الدالة على أعلمية الإمام، فقال ﷺ: من ادّعى أنّه أحقّ بالإمامة منّا فقد ادّعى أنّه أرسخ منّا وقد دلت الأدلّة: إنّنا نحن الراسخون والمرجع والمفزع والأمن من الضلال فما سبب تلك المقالة إلّا الكذب والبغي علينا حسداً لنا على فضلنا.

والدليل على أن هذا مراده: قوله عليه السلام بعده: «إن الأئمة من قريش غرسوا... إلى آخره» فهذا الكلام كله في شأن الإمامة وبيان مستحقها، وتبيين لأن من حكم له بالإمامة محكوم له بالرسوخ في العلم، والدلالة على الهدى وكشف العمى، كما إن من حكم له بالرسوخ في العلم وإن الحق معه والهدى محكوم له بالإمامة؛ لأنهما متلازمان، فما دلّ على أحدهما دلّ على الآخر.

وفيه ردّ على من يزعم أن غير أئمة أهل البيت أعلم منهم بالشرعيّات والإلهيّات، وهذه فتنة وقع فيها كثير ممّن يدّعي التّبع، والله المستعان.
قوله عليه السلام: «إن الأئمة من قريش... إلى آخره»:

«من» في قوله: «من هاشم» للتبعيض، ولا تصلح أن تكون للبيان لأنّه لم يقل بمقتضاه - وهو أن لإمامة مقصورة على بني هاشم عموماً - أحد، يتحرّج هذا القول على مذهبه؛ لأنّ الشيعة تقول هي في ولد البطين عموماً أو خصوصاً أو في ولد علي عموماً أو خصوصاً، والعباسية تقول هي في ولد العباس خصوصاً، فاعرف ذلك.

[اختلاف الفرق الإسلامية في كون الأئمة من قريش]:

قال ابن أبي الحديد: اختلف الناس في اشتراط النسب في الإمامة، فقال قوم من قدماء أصحابنا: إن النسب ليس بشرط فيها أصلاً [وأنّها تصلح في القرشي وغير القرشي إذا كان فاضلاً مستجمعاً للشرائط المعيّنة، واجتمعت الكلمة عليه] ^(١) وهو قول الخوارج.

وقال أكثر أصحابنا: وأكثر الناس أن النسب شرط فيها، وأنّها لا تصلح إلا في العرب خاصّة؛ ومن العرب في قريش ^(٢) خاصّة [وقال أكثر أصحابنا: معنى قول النبي صلى الله عليه وآله: «الأئمة من قريش» إن القرشيّة شرط إذا وُجد في قريش من يصلح للإمامة؛ فإن لم يكن فيها من يصلح، فليست القرشيّة شرطاً فيها].

وقل بعض أصحابنا: معنى الخبر أنّه لا تخلو قريش أبداً ممّن يصلح للإمامة، فأوجبوا بهذا الخبر وجود من يصلح من قريش لها في كلّ عصر وزمان ^(٣).

(٢) في ط: فقريش.

(١) من ط.

(٣) من ط.

وقال معظم الزيدية: إنّها في الفاطميين خاصة من الطالبين، لا تصلح في غير البطينين، ولا تصلح إلا بشرط أن يقوم بها ويدعو إليها فاضل زاهد عالم عادل شجاع سائس. وبعض الزيدية يجيز الإمامة في غير الفاطميين من ولد عليّ عليه السلام؛ وهو من أقوالهم الشاذة. وأما الراوندية فإنهم خصّوها بالعبّاسيين وولده من بين بطون قريش كلّها؛ وهذا القول الذي ظهر في أيام المنصور ولمهدي.

وأما الإمامية فإنهم جعلوها سارية في ولد الحسين عليه السلام في أشخاص مخصوصين، ولا تصلح عندهم لغيرهم. وجعلها الكيسانية في محمد بن الحنفية وولده، ومنهم من نقلها منه إلى ولد غيره.

فإن قلت: إنك شرحت هذا الكتاب على قواعد المعتزلة وأصولهم، فما قولك في هذا الكلام وهو تصريح بأن الإمامة لا تصلح من قريش إلا في بني هاشم خاصة، وليس ذلك بمذهب للمعتزلة؛ لا متقدميهم ولا متأخريهم!

قلت: هذا الموضع مشكل، ولي فيه نظر؛ وإن صحّ أن عليّاً عليه السلام، قاله، قلت كما قال، لأنّه ثبت عندي أن النبي ﷺ قال: «إنّه مع الحق، وإنّ الحق يدور معه حيثما دار»، ويمكن أن يتأوّل ويطبّق على مذهب المعتزلة فيحمل على أن المراد به كمال الإمامة كما حمل قوله ﷺ: «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد»، على نفي الكمال، لا على نفي الصحة، انتهى^(١).

أقول: يقال له: إنك قد أقررت بأنّه نصّ صريح فلا يحتمل التأويل.

ثم إنّّه يدفع هذا التأويل قوله عليه السلام: «لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاية من غيرهم» على أن ما نصّه عليه السلام قد تواتر معناه عن رسول الله ﷺ وأجمع عليه أهل البيت عليهم السلام، وكيف يعدل عن الصريح المطابق للدليل القطعي إلى ما لا دليل عليه لولا الهوى والعصبية لمذهب الأسلاف.

قوله عليه السلام: «آثروا عاجلاً... إلى آخره».

الذي يظهر لي - والله أعلم - أنّ هذا الكلام من هنا إلى آخر الخطبة يعني به مخالفه منذ قبض رسول الله ﷺ إلى آخر مدته ثم من اتبعهم على طريقته جعلهم جملة واحدة وفصل أحوالهم باعتبار التهتك والتستّر، وكلهم مشتركون في إثارة الدنيا على الآخرة ومخالفة الهدى الذي أمروا بلزومه، والله أعلم.

ومن خطبة له ﷺ:

أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ ^(١) تَنْتَظِلُ ^(٢) فِيهِ ^(٣) الْمَنَائِمُ؛ مَعَ كُلِّ جَرْعَةٍ شَرَقٌ؛ وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ؛ لَا تَتَالَوْنَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى، وَلَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْمًا مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا بِهَدَمٍ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ، وَلَا تُجَدِّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنَقَادٍ مِمَّا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ؛ وَلَا يَحْيَا لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ ^(٤) لَهُ أَثَرٌ، وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلَقَ لَهُ ^(٥) جَدِيدٌ، وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ. وَقَدْ مَضَتْ أَصُولُ نَحْنُ فُرُوعُهَا، فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ!

منها:

وَمَا أُحْدِثْتُ بَدْعَةً إِلَّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ، فَاتَّقُوا الْبِدْعَ، وَالزَّمُوا الْمُسْتَهْتِكَ ^(٦). إِنَّ عَوَازِمَ ^(٧) الْأُمُورِ أَفْضَلُهَا، وَإِنَّ مُحَدَّثَاتِهَا شَرَّارُهَا.

قوله ﷺ: «لَا تَتَالَوْنَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى»:

هذا معنى لطيف، وذلك أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَنْتَهِيًا لَهُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الْمَلَاذِ الْجِسْمَانِيَةِ كُلِّهَا فِي وَقْتٍ، فَحَالٌ مَا يَكُونُ آكِلًا لَا يَكُونُ مَجَامِعًا، وَحَالٌ مَا يَشْرَبُ لَا يَأْكُلُ، وَحَالٌ مَا يَرْكَبُ لِلْقَصَصِ وَالرِّيَاضَةِ، لَا يَكُونُ جَالِسًا عَلَى فِرَاشٍ وَثِيرٍ مُمَهَّدٍ؛ وَعَلَى هَذَا الْقِيَاسِ لَا يَأْخُذُ فِي

(١) في هـ. ب: هدف، وفي هـ. ص: الغرض؛ ما ينصب ليرمى، وهو الهدف.

(٢) في هـ. ب: يرمى، وفي هـ. ب: تتراعى فيه للسبق، انتهى من الشرح.

(٣) في ب: فيكم وفي هـ. ب، وفي نسخة: فيه، وفي هـ. د: فيكم - ش، وفي الهامش - فيه.

(٤) في هـ. ب: فات. (٥) لم ترد «له» في أ.

(٦) في هـ. ب: المنهج أي الزموا الطريق، وفي هـ. ص: الطريق الواضح، والميم مفتوحة.

(٧) في هـ. ب: أي أن واجبات الأمور من أمر الله، وفي هـ. ص: ما تقادم منها، من قولك عجوز عوزم، أي مسنة، انتهى من الشرح.

ضَرَبَ مِنْ ضُرُوبِ الْمَلَاذِّ إِلَّا وَهُوَ تَارِكٌ لغيره منها، انتهى من الشرح^(١).

قوله ﷺ: «وما أحدثت بدعة...»:

البدعة: كل ما أحدث مما لم يكن على عهد رسول الله ﷺ، فمنها الحسن كصلاة التراويح، ومنها القبيح كالمنكرات التي ظهرت في أواخر الخلافة العثمانية؛ وإن كانت قد تُكُلِّفُ الأعذار عنها.

ومعنى قوله ﷺ: «ما أحدثت بدعة إلا ترك بها سنة»؛ أن من السنة ألا تحدث البدعة، فوجود البدعة عدمٌ للسنة لا محالة، انتهى من الشرح^(٢).

قلت: ومعنى اللفظ العموم، لأن بدعة نكرة في سياق النفي فيعم ما زعموه حسناً كصلاة التراويح فقد ترك بإحداثها سنة متفق عليها وهي إخفاء النوافل، وكالتفضيل في العطاء الذي كان سبب الفرقة وكم بدعة أحدثها عمر جعلها العامة سنة، وسمّوا مجموعها أصول السنة وعادوا عليها من أوجب الله عليهم مودّته من أهل بيت محمد ﷺ وسمّوهم بسبب مخالفتها: مبتدعة؟! والله المستعان.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٩٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٩٤.

ومن كلام له عليه السلام لعمر بن الخطاب^(١) وقد استشاره في الشخوص لقتال
الفرس^(٢) بنفسه^(٣):

إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا خِذْلَانُهُ بِكَثْرَةٍ وَلَا قِلَّةٍ^(٤)، وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَظْهَرَهُ،
وَجُنْدُهُ الَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ^(٥)، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ، وَطَلَعَ حَيْثُ^(٦) طَلَعَ، وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ
اللَّهِ، وَاللَّهُ مُنْجِزُ وَعْدِهِ، وَنَاصِرُ جُنْدِهِ، وَمَكَانُ الثَّقِيمِ^(٧) بِالْأَمْرِ مَكَانُ النَّظَامِ^(٨) مِنَ الْخَرَنِ
يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ، فَإِنْ^(٩) انْقَطَعَ النَّظَامُ تَفَرَّقَ وَذَهَبَ^(١٠)، ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحِذَافِيرِهِ^(١١) أَبَدًا.
وَالْعَرَبُ الْيَوْمَ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلًا فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالْإِسْلَامِ، عَزِيزُونَ^(١٢) بِالْاجْتِمَاعِ، فَكُنْ
قُطْبًا وَاشْتِدِرِ الرَّحَى بِالْعَرَبِ، وَأَصْلِهِمْ^(١٣) دُونَكَ نَارَ الْحَرْبِ؛ فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ^(١٤) مِنْ هَذِهِ
الْأَرْضِ انْتَقَضَتْ عَلَيْكَ الْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ مَاتِدَعُ وَرَاءَكَ مِنَ
الْعَوْرَاتِ^(١٥) أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ.

(١) لم ترد «ابن الخطاب» في «و.ص». (٢) في أ و ط: في غزو الفرس.

(٣) في ه. ص: قيس في غزاة القادسية. وقيل في غزاة نهاوند، وعلى كلا القولين فَإِنْ عمر عمل
على رأيه عليه السلام، تمت من الشرح.

(٤) في أ و ب ط: ولا بقله، وفي ه. د، ولا قلة - ن ب.

(٥) في ه. د: أعزّه وأيده - حاشية م. (٦) في ط و د: حيثما، وفي ه. د: حيث - ش.

(٧) في ه. ب: هو قائم بإصلاح أمر على الاستمرار.

(٨) في ه. ص: هو الخيط، ويقال له: السلك. (٩) في ط و د: فإذا.

(١٠) في ط: تفرق الخرز وذهب، وفي ه. د: تفرق الخرز وذهب - ض ب.

(١١) في ه. ب: حذافير الشيء: أعاليه، يقال: أعطاه الدنيا بحذافيرها؛ أي بأسرها، الواحدة:

حذفار، وفي ه. ص: هي أعالي الشيء ونواحيه واحدها: حذفار. من الشرح.

(١٢) في ب و ص: وعزيزون.

(١٣) في ه. ب: أي اجعلهم يصلون نار الحرب ويحترقون بها، وفي ه. ص: أي اجعلهم صالين

لها مقاسين لحرّها وشدّتها. (١٤) أي خرجت.

(١٥) في ه. ص: هي الأحوال التي يخاف انتقاضها في ثغر أو حرب، من الشرح.

إِنَّ الْأَعَاجِمَ إِنِ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَدًا يَقُولُونَ هَذَا أَصْلُ الْعَرَبِ فَإِذَا اقْتَطَعْتُمُوهُ اسْتَرْحَتُمْ^(١)،
فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدَّ لِكَلْبِهِمْ^(٢) عَلَيْكَ وَطَمَعِهِمْ فِيكَ.

فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ
مِنْكَ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ، فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَى بِالْكَثَرَةِ، وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ
بِالنَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ.

(١) في هـ. د: استرحتم منه - م.

(٢) في هـ. ب: أي شدتهم، وفي هـ. ص: هو الشر والأذى، من الشرح.

ومن خطبة له عليه السلام:

فَبَعَثَ مُحَمَّدًا^(١) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ^(٢) إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ بِقُرْآنٍ^(٣)، قَدْ بَيَّنَّهُ وَأَحْكَمَهُ لِيَعْلَمَ^(٤) الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذَا جَهِلُوهُ، وَلِيَقْرُوا بِهِ بَعْدَ إِذْ^(٥) جَحَدُوهُ، وَلِيُشَبِّهُوا بَعْدَ إِذْ^(٦) أَنْكَرُوهُ، فَتَجَلَّى^(٧) لَهُمْ سُبْحَانَهُ^(٨) فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا^(٩) رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ، وَخَوْفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ، وَكَيْفَ مَحَقَّ مَنْ مَحَقَّ بِالْمَثَلَاتِ^(١٠)، وَاخْتَصَدَ مِنْ اخْتَصَدَ بِالنَّقَمَاتِ، وَإِنَّ سَيِّئَاتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ، وَلَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ. وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ^(١١) مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تَلَّى حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَلَا أَنْفَقُ^(١٢) مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ^(١٣) عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلَا أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ، فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ، فَالْكِتَابُ يَوْمِيذٍ وَأَهْلُهُ^(١٤) مَنُفِيَّانِ^(١٥)

(١) في ب: فبعث الله محمداً، وفي هـ. د: فبعث الله محمداً - ص ح ش.

(٢) في هـ. ص: جمع وثن، وهو الصنم، ويجمع - أيضاً - على وثن وسُمِّي به لانتصابه وثباته على حالة واحدة، انتهى من الشرح. (٣) في هـ. ب: أي ليخرج بقرآن.

(٤) في هـ. ب: قد بيَّنه ليعلم، اللام متعلق ببيَّنه.

(٥) في ص: «أن» وفي هـ. ص، في نسخة: إذ. (٦) في ص: أن.

(٧) في هـ. ب: أي ظهر بدلائل القرآن، وتقديره، فتجلى بما أراههم.

(٨) في هـ. ب: فتجلى سبحانه لهم، وفي هـ. د: فتجلى سبحانه لهم - ش.

(٩) في هـ. د: لم ترد «يكونوا» في ف.

(١٠) في هـ. ب: محق: هلك من هلك بالعقوبات: بالنقمات أو البلايا والشدائد.

(١١) في هـ. أ: أكسد، وفي هـ. ب: أكسد، أفعل، من بار المتاع: إذا كسد.

(١٢) أي أكثر رواجاً. (١٣) في هـ. ب: غير.

(١٤) في هـ. ب: إشارة إلى قول النبي ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي».

(١٥) في ط: طريدان منفيان، وفي هـ. د: طريدان منفيان - ض ح ب.

طَرِيدَانِ، وَصَاحِبَانِ مُضْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْوِيهِمَا^(١) مُؤْوٍ، فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ؛ لَأَنَّ الضَّلَالَةَ لَا تُوَافِقُ الْهُدَى وَإِنْ أَجْتَمَعَا، فَاجْتَمَعَ^(٢) الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ، وَافْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ، كَانَتْهُمْ أُمَّةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ^(٣) إِلَّا اسْمُهُ، وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّةَ وَزِيرَةٍ^(٤)، وَمَنْ قَبْلُ مَا مَثَلُوا^(٥) بِالصَّالِحِينَ كُلِّ مَثَلَةٍ^(٦)، وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللَّهِ فِرْيَةً^(٧)، وَجَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةً^(٨) السَّيِّئَةِ.

وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ، وَتَغَيَّبِ آجَالِهِمْ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ^(٩) الَّذِي تَرَدُّ عَنْهُ الْمَعْدِرَةُ، وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ، وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ^(١٠) وَالنَّفَقَةُ. أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ مَنْ أَسْتَصَحَّ اللَّهَ^(١١) وَفَقَّ، وَمَنْ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلًا هُدًى لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، فَإِنَّ جَارَ اللَّهِ آمِنٌ^(١٢)، وَعَدُوُّهُ^(١٣) خَائِفٌ^(١٤)، وَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ، فَإِنَّ^(١٥) رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ، وَسَلَامَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا^(١٦)

(١) في هـ. ب: من آويت الغريب: إذا ضمته إليّ مكرماً فأنا مؤوٍ. لا يؤويهما: أي لا يشفق عليهما مشفق.

(٢) في هـ. د: واجتمع - ف ن

(٣) لم ترد «منه» في أ و ص.

(٤) الزبر: مصدر كتب، وفي هـ. ب: الزبر: الكتب، وفي هـ. ص: هو مصدر زبرت أزر - بالضم - أي كتبت، وجاء «أزر» بالكسر، من الشرح.

(٥) في هـ. ب: من المثلة، و «ما» بجوز أن تكون مصدرية، ويجوز أن تكون موصولة، والأوّل أحسن، وفي هـ. ص: بالتخفيف: نكلوا بهم، ومن روى: «مثلوا» بالتشديد أراد جدعوهم بعد قتلهم. من الشرح.

(٦) في هـ. ب: عقوبة.

(٧) بالكسر، أي: كذباً، وفي هـ. ب: كذباً.

(٨) في ب و د: العقوبة، وفي هـ. ب: عقوبة السيئة، على الإضافة أحسن، وفي هـ. د: عقوبة السيئة - ف ن ص ح.

(٩) في هـ. ب: الموت.

(١٠) أي: الداهية المهلكة.

(١١) في هـ. ص: أي من أطاعه علماً منه إنّه لم يأمره إلا بما هو أصلح له، ولم ينهه إلا عملاً لا خير له فيه.

(١٢) في هـ. ص: أي هو مستحق للأمن وإن خاف.

(١٣) في هـ. د: وعدوّ الله - ب.

(١٤) في هـ. ص: أي هو يعرض الهلكة وإن آمن.

(١٥) في هـ. د: وإن - ف.

(١٦) «ما» مشطوب عليها في أ.

قَدَرْتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ، فَلَا تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الْأَجْزَبِ، وَالتَّبَارِي^(١) مِنْ ذِي الشَّقَمِ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ^(٢)، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِثَاقِ^(٣) الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ، وَلَنْ تَمْسُكُوا^(٤) بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ، فَالْتِمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ^(٥)، فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ وَمَوْتُ الْجَهْلِ، هُمْ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ^(٦) عَنْ عِلْمِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ^(٧)، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، لَا يُخَالِفُونَ الدِّينَ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ.

* * *

قوله ﷺ: «ليعلم العباد ربهم...»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: فإن قلت: ظاهر الكلام أن الرسول عليه الصلاة والسلام بُعث إلى الناس ليقرؤوا بالصانع ويشبته؛ وهذا خلاف قول المعتزلة، لأنّ فائدة الرسالة عندهم هي إطفاء^(٨) المكلفين بالأحكام الشرعيّة المقرّبة إلى الواجبات العقلية، والمبعدة من المقبّحات العقلية، ولا مدخل للرسول في معرفة الباري سبحانه، لأنّ العقل يُوجبها، وإن لم يبعث الرسل!

قلت: إنّ كثيراً من شيوخنا أوجبوا بعثة الرسل؛ إذا كان في حثّهم المكلفين على ما في العقول فائدة؛ وهو مذهب شيخنا أبي عليّ^(٩)، فلا يمتنع أن يكون إرسال محمد ﷺ إلى العرب وغيرهم؛ لأنّ الله تعالى علم أنهم مع تنبيهه إياهم - على ما هو واجب في عقولهم من المعرفة - أقرب إلى حصول المعرفة؛ فحينئذ يكون بعثه لطفاً^(٩)، ويستقيم كلام أمير

(١) أي المعافى من المرض.

(٢) في هـ. ب: إشارة إلى أن اتّوَلَّى لأولياء الله لا يتم إلا بالتبرئة من أعداء الله.

(٣) في هـ. ب الميثاق؛ هو أن لا يقولوا على الله إلا الحق.

(٤) في هـ. ب: لن تعتصموا بالقرآن حتى تعرفوا من نبذه أي رمى بأحكامه.

(٥) في هـ. ب: أطلبوا من عند أهل القرآن معرفة النابذين للقرآن والناقضين لميثاقه والتاركين للرشد، وذلك إشارة إلى هلاكهم.

(٦) في أ: حلمهم، وفي هـ. ص: وذلك لأنّ الإمتحان يظهر خبيثة الإنسان، من الشرح.

(٧) في هـ. ص: لا يخفى فضل الفاضل وإن كان صامتاً، انتهى من الشرح.

(٨) في هـ. ص زيادة: فيها.

(٩) في ص: التطفاف.

المؤمنين انتهى^(١).

قلت: ومعنى كلامه ﷺ على مقتضى ما تقرّر من مذهبه ﷺ ومذهب عيون أهله ﷺ أن معرفة الباري سبحانه جملةً ضرورية وهو الذي نصره الشارح فيما سبق. ورواه عن القاضي عبد الجبار وشرح به مواضع من كلام أمير المؤمنين نشير إليه وعلى ما نصّه ﷺ في غير موضع - وهو مذهب جميع لمتقدّمين من أئمة أولاده وهو مذهب البغداديين - من أن إيجاب الواجبات العقلية والشرعية لكونها شكرًا على نعمة الإيجاد والتمكين وما لا يحصى من نعم.

فمعنى كلامه ﷺ على هذا: ليعلم العباد ربهم أي ما يجوز عليه من الأوصاف والأسماء وما ينسب إليه من الأفعال والأحكام وما يعامل به من الأفعال والأقوال.

«إذ جهلوه» أي: نسبوا إليه من ذلك كلّ ما لا يجوز عليه.

«وليقروا به» أي: ليزعموا لما في عقولهم وما فطروا عليه من وجوده بعد إذ جحدوه مكابرة للعقول وتغطية للفترة كما قال الله تعالى: ﴿ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾^(٢).

«وليثبتوه» أي: يصرحوا بثبوته بعد إذ أنكروه مجادلة ومماحكة، كما حكى الله عزّ وجلّ: ﴿وإنا لفي شكٍّ ممّا تدعوننا إليه مريبٍ، قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض﴾^(٣).

والمعنى إن إرسال الرسول عليه الصلاة والسلام بالحجج القولية يكون أقطع لشغب المشاغب وأبين لجحد الجاحد وأكشف لخطأ الجاهل، وإن كانت العقول تدلّ على ما أثبتته لبعثة، فانضمامها إليها أكد للحجّة وأقطع للمعذرة.

ولنحو ذلك وجب تقرير أدلة مسائل أصول الدين لدفع الجحد وإزالة تمويه المعاندين ولحلّ شبه يتعلق بها مردّة المجادلين، ولذلك لم يتكلّم فيها الصدر الأوّل من الصحابة والتابعين حتى ظهرت الشبه وكثر المجادلة بالباطل، والله أعلم.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٠٣ - ١٠٤. (٢) سورة الانعام: ٦ / ٣٣.

(٣) سورة ابراهيم: ١٤ / ٩.

قوله ﷺ: «وإنه سيأتي عليكم من بعدي زمان...»:

أخبر ﷺ أنه سيأتي على الناس زمان من صفته كذا وكذا؛ وقد رأيناه ورآه مَنْ كان قبلنا أيضاً؛ قال شُعبة إمام المحدثين: تسعة أعشار الحديث كذب. وقال الدارقطني: ما الحديث الصحيح في الحديث إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود. وأما غلبة الباطل على الحق حتى يخفى الحق عنده فظاهرة. انتهى من شرح ابن أبي الحديد^(١).

قلت: ولا يخفى أن الإشارة بهذا إلى ما وقع من أعداء الشيعة من الرؤساء والأتباع ومن علماء السوء، فإنهم جعلوا التشيع وما يدعو إليه وما يدلّ عليه، من أعظم المنكرات المحللة للدم والمال، وكذبوا كل ما روي مما يدلّ عليه أو يرغب فيه، وسمّوها مناكير، وعاقبوا على اعتقاده والدعاء إليه، وجعلوا ضده سنة وجماعة، واختلقوا له إفكاً باطلاً يدلّ عليه ورغبوا بكل مرغّب فيه كما تضمنته كتب التواريخ والأخبار. ثم نسلت على ذلك الدهور وتناقلته القرون.

قوله ﷺ: «ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف»: يعني به التشيع.

«ولا أعرف من المنكر»: يعني به ضد التشيع.

وقوله ﷺ: «فقد نبذ الكتاب حفظه وتناساه حملته»:

يعني بهم من ينسب إلى أنه حفظ الكتاب وحمله من الذين أشار اليهم آنفاً؛ بأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه.

وقوله: «فالكاتب وأهله منفيتان...»:

يعني بهم أهله الذين جعلهم الله أهلاً له، وهم الذين عناهم رسول الله ﷺ بقوله: «إني تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي... إلى آخر الحديث».

ولاشك في انطباق الحكمين المذكورين وهما الطرد والخروج من الناس عليهم دون غيرهم من سائر فرق الأمة، فاجتمع الناس على الفرقة - وهي ضد التشيع -، وافترقوا عن الجماعة - وهي التشيع -، كما فسّر ﷺ الجماعة والفرقة بذلك في كلامه الذي رواه السيوطي.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٠٥.

وقوله: «ومن قبل ما مثلوا بالصالحين...»:

أي من قبل استقرار ما ذكر من طريقة أهل الضلال، مثلوا بالصالحين وذلك في مبادئ دعوتهم كزمان معاوية وبني مروان، نحو ما فعله زياد وعبيد الله - أبنه -، والحجاج ويوسف بن عمر، حتى استقرّ لهم ما أرادوه من طريقتهم وألفه الناس وصدقهم المسمّى «فريّة» هو دعوة التشييع، وكذلك «الحسنة المعاقب عليها عقوبة السيئة» ولا يعلم شيئاً من خصال الدين عوقب عليه وعدّ منكراً إلا التشييع. فتأمل ما قلته بعين الإنصاف، والله أعلم. قوله ﷺ: «وأنّه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعظّم... إلى آخره»:

اعلم أنّ التواضع لله: الاتقياد لأحكامه والرضى بقضائه، والتعظيم عليه سبحانه عدم ذلك، وعتقاد أنّهم أعلم بوجوه المصالح منه سبحانه كما حكى سبحانه من قول بني اسرائيل: ﴿أَتَى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾^(١).

فالتواضع لله كما كان من الملائكة ﷺ مِنْ تعظيم مَنْ أمرهم الله بتعظيمه وتكريم من أمرهم الله بتكريمه، والتعظّم على الله كما كان من إبليس لعنه الله... وهو ﷺ يشير إلى من زعم أن صرف الأمر عنه كان أصلح وأرشد مع أنّه قد ثبت بالأدلة القاطعة أنّ الله جعله له ومع أنّ هذا القائل بهذه المقالة موافق إنّ رسول الله ﷺ أراد مصير الأمر إليه وأحبّه وهمّ أن يكتب بذلك كتاباً فمنع منه من حضر، وهو ﷺ ﴿وما ينطق عن الهوى﴾^(٢) ولا يهمّ إلاّ بالحقّ، فالدافع لقوله دافع لقول الله ورادّ لحكمه، وهو المشار إليه بقوله: «واعلموا أنّكم لن تعرفوا الرشد... إلى قوله: نبذه».

وحسبك مُهَجِّناً لهذه الطريقة وحاكماً على صاحب هذه العضيّة قول الله تعالى ﴿وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾^(٣).

(٢) سورة النجم: ٥٣ / ٣.

(١) سورة البقرة: ٢ / ٢٤٧.

(٣) سورة الاحزاب: ٣٣ / ٣٦.

قال ابن أبي الحديد: ثم قال عليه السلام: «فالتمسوا ذلك عند أهله»:

هذا كناية عنه عليه السلام، وكثيراً ما يسلك هذا المسلك ويعرّض هذا التعريض، وهو الصادق الأمين العارف بالأسرار الإلهية.

قلت: وهذا من الشارح على قاعدته وطريقته من تخصيصه كل كلام يدل على وجوب اتباع أهل البيت عليهم السلام كلهم، والرجوع إليهم فيما يشكل، وحمله على أن المراد بالمأمور باتباعه أمير المؤمنين عليه السلام خاصة، وقد تنبعت في شرحه من أوله إلى آخره فوجدته ملازماً هذه الطريقة، وهو بذلك «يُسِرُّ حسواً في ارتغاء»^(١) وذلك أن أمير المؤمنين عليه السلام كان ممنوعاً من التصريح، مدفوعاً عن بلوغ ما يريد فكان يشير إلى مراده إشارة، ويعرّض تعريضاً، فزعم الشارح أنه قد ردّ كل ما ورد عنه من ذلك بالتأويل إلى موافقة مذهب المعتزلة، فأما العترة من بعده عليهم السلام فإنهم صرّحوا بالمراد وفسّروا ما يشير إليه عليه السلام، فلا يمكن تأويل كلامهم، فأراد أن يخرجهم عن كونهم ممن يجب اتباعه.

ونحن نقول أن أمير المؤمنين عليه السلام وإن كان إمام الأئمة والحجة على الأمة، ونسبة أولاده إليه نسبة الفروع إلى الأصل، والتلميذ إلى الأستاذ، وكنسبته عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أن الأدلة قد دلت على أن قولهم مع قوله حجة، ومصرحة بوجوب اتباعهم وحرمة مخالفتهم وكلامه عليه السلام في كل موضع من المواضع التي أشار إليها الشارح صريحة في أنه يعنيه ويحث على اتباعهم مع اتباعه.

وهذا الموضع الذي نحن في شرحه صريح في أنه أراد جماعة لا واحداً وفرقة لا فرداً وإن كانت الأدلة قد دلت على وجوب اتباعه وحده لكن لا تنفي دلالة أدلة آخر على وجوب اتباع أولاده معه، كما أن ما دلّ على وجوب اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله لا يمنع قيام أدلة آخر ندلّ على وجوب اتباع أمير المؤمنين عليه السلام والله أعلم.

قوله عليه السلام: «فلا تنفروا... إلى قوله: ذي السقم»:

هذا منه عليه السلام تعريض بما كان يعلمه من جمهور أهل عصره ومن أكثر من يأتي من

بعدهم؛ من أنهم يمتعضون من القول بأنه أفضل الأمة، وأنه منصوص عليه بالإمامة، وأنَّ أهله من بعده محلّ الحق ونصابه وأنَّ الإمامة مقصورة عليهم، وكثيراً ما يعرّض بهذا المعنى ويشير إليه، والله أعلم.

وقوله عليه السلام: «فالتمسوا ذلك من عند أهله»:

أي أهل الكتاب الذين جعلهم الله أهله، وقد ذكر عليه السلام هذه الصفات مراراً وهو يعني أهل البيت نصّاً، والله أعلم.

ومن خطبة^(١) له عليه السلام في ذكر أهل البصرة:

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا^(٢) يَرْجُو الْأَمْرَ لَهُ، وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ، لَا يَمْتَنَانِ^(٣) إِلَى اللَّهِ بِحَبْلٍ، وَلَا يَمُدَّانِ^(٤) إِلَيْهِ بِسَبَبٍ.

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلٌ ضَبٍّ^(٥) لِصَاحِبِهِ؛ وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ^(٦) قِنَاعُهُ بِهِ^(٧).
وَاللَّهُ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ^(٨) هَذَا نَفْسَ هَذَا؛ وَلَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى هَذَا.
قَدْ قَامَتِ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ^(٩)! قَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ؛ وَقُدِّمَ لَهُمُ الْخَبَرُ؛
وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ، وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ.

وَاللَّهُ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ الدَّمِ^(١٠)، يَسْمَعُ^(١١) النَّاعِيَ^(١٢)؛ وَيَحْضُرُ الْبَاكِيَ، ثُمَّ لَا يَعْتَبِرُ^(١٣).

قوله عليه السلام: «والله لئن أصابوا...»:

قال ابن أبي الحديد: هذا قول صحيح لا ريب فيه، ثم ذكر أنها وقعت مباديه ودلائله، ذكره أرباب السير.

وقوله عليه السلام: «لا أكون كمستمع الدَّمِ»، ومستمع الدَّمِ هي الضيعة؛ تسمع وقع الحجر

(١) في ط: كلام. (٢) في هـ. ب: يعني طلحة والزبير.

(٣) في هـ. ب: لا يتوصلان بقرابة، وفي هـ. ص: أي لا يتوسلان.

(٤) في هـ. ب: المت والمدة: توصل بقرابة. (٥) في هـ. ب و ص: أي حقد.

(٦) في هـ. ص: أي يظهره ويبيديه. (٧) في ص: له، وفي هـ. ص في نسخة: به.

(٨) في هـ. ب: أي ليستلبن.

(٩) في هـ. ب: هم الذين يفعلون ما يفعلون حسبة لله في هـ. ص المحتسب: العامل للأجر.

(١٠) في هـ. ب: للدَّم: المخدوع المغرور. (١١) في هـ. ص: الضمير راجع إلى المشبه.

(١٢) هـ. ب: من لنعي، وهو الإخبار بموت أحد.

(١٣) لم ترد «ثم لا يعتبر» في ب، وفي هـ. د: لم ترد «ثم لا يعتبر» في ص م ل ش ن.

بياب جحرها من يد الصائد فتتخذل وتكفّ جوارحها إليها حتى يدخل عليها فيربطها؛ يقول: لا أكون مقرّاً بالضيم راغناً^(١)؛ أسمع النَّاعي المخير عن قتل عسكر الجمل لحكيم بن جبلة وأتباعه، فلا يكون عندي من التغيير والإنكار لذلك؛ إلا أن أسمعه وأحضر الباكين على قتلاهم، انتهى من الشرح^(٢).

واعلم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان قد أشير عليه كثيراً بأن لا يتتبع طلحة ولا زبير ولا يحاربهما ويقيم بالمدينة، فقال عليه السلام: ان خروجهم في البلاد وقتلهم شيعتي لنقض بيعتي ودفع ولايتي، أفلا أعتبر بذلك واتحقّق أنّهم يقصدونني إلى محلي ولا ناصر لي، والله أعلم.

(١) يقال: رغن إليه: إذا أصغى إليه.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١١٠.

ومن كلام له عليه السلام قبل موته:

أَيُّهَا النَّاسُ ^(١) كُلُّ أَمْرٍ لَاقٍ مَا ^(٢) يَفُوتُ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ ، وَالْأَجَلُ ^(٣) مَسَاقٍ ^(٤) النَّفْسِ ^(٥) ،
وَالْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ ^(٦) .

كَمْ أَطْرَدْتُ ^(٧) الْأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكُونِ هَذَا الْأَمْرِ ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ ، هَيْهَاتَ! عِلْمٌ
مَخْزُونٌ .

أَمَّا وَصِيَّتِي ^(٨) ، فَاللَّهُ ^(٩) لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَمُحَمَّدٌ ^(١٠) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَا تُضَيُّعُوا
سُنَّتَهُ ^(١١) ، أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ ^(١٢) وَأَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِضْبَاحَيْنِ ، وَخَلَاكُمْ ^(١٣) ذَمٌّ مَا لَمْ
تَشْرُدُوا ^(١٤) ، حَمَلٌ ^(١٥) كُلُّ أَمْرٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَةٌ ، وَخَفَّفَ عَنِ الْجَهْلَةِ ، رَبٌّ رَحِيمٌ ، وَدِينٌ

(١) لم ترد «أيها الناس» في أ.

(٢) في ب: بما.

(٣) في ط: الاجل.

(٤) في هـ. ص: أي الأمر الذي تساق إليه النفس.

(٥) في هـ. ص: أي إذا كان مقدوراً له وإن لم يكن مقدوراً له لم يلاقه وإن وقف ولم يضرب،

فحينئذ الفرر لا ينجي من مقدور ولا من غيره وهذا نحو قوله عليه السلام:

مَنْ يَوْمِي أَفْرَ أَيَوْمٍ لَمْ يَقْدِرْ أَمْ يَوْمٍ قُدِرَ

فَيَوْمٍ لَمْ يَقْدِرْ لَا أَرْهَبُهُ وَيَوْمٍ قَدِ قُدِرَ لَا يَغْنِي الْحَذَرُ

(٦) في هـ. ص: هذا مبالغة في عدم النجاة حتى كأن الهرب وصول إليه انتهى من الشرح.

(٧) في هـ. ب: «أطردت» أبلغ من «طردت». (٨) في هـ. ب: هذه وصييتي، أو اسمعوا وصييتي.

(٩) في هـ. أ: فالله فالله، - مع - ، وفي هـ. ب: بالرفع أحسن.

(١٠) في أ و ص: ومحمداً وفي هـ. ب: بالرفع أحسن.

(١١) في هـ. ص: أي ما سنّه وشرّعه من الدين.

(١٢) في هـ. ب: الشهادتين، تؤمنوا بالله ورسوله وتطيعوا أمرهما.

(١٣) في هـ. ب: أي لا لوم عليكم ما لم تتفرّقوا عن الأوامر والنواهي التابعة لذلك، وفي هـ. ص:

لأقرب أن مراده عليه السلام ما لم ترتكبوا محبطاً مفسقاً.

(١٤) هذا وما بعده ماضٍ ومعناه الأمر.

(١٥) في هـ. ب: حمل رب رحيم، وإذا كان «رب رحيم» مستأنف أي ذاك رب رحيم وهذا

أحسن وروايته أصح.

قَوِيمٌ^(١)، وَإِمَامٌ عَلِيمٌ.

أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَغَدًا مُفَارِقُكُمْ، غَفَرَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ! إِن تَبَتَّ^(٢) الْوُطَاةُ فِي هَذِهِ الْمَزَلَّةِ^(٣) فَذَاكَ، وَإِنْ تَدَحَّصَ^(٤) الْقَدَمُ، فَإِنَّا كُنَّا فِي أَقْبَاءِ^(٥) أَغْصَانٍ، وَمَهَبٌ^(٦) رِيَّاحٍ، وَتَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ إِضْمَحَلَّ^(٧) فِي الْجَوِّ مُتَلَفِّفُهَا^(٨)، وَغَفَا^(٩) فِي الْأَرْضِ مَخْطُهَا^(١٠)، وَإِنَّمَا كُنْتُ جَارًا جَاوَزَكُمْ^(١١) بِدَنِي أَيَّامًا، وَسَتَقْبُونَ^(١٢) مِنِّي جُثَّةً خَلَاءَ^(١٣)، سَاكِنَةً بَعْدَ حَرَائِكِ، وَصَامِتَةً بَعْدَ نُطُوقِ^(١٤)، لِيَعْظُكُمْ هُدُوءِي^(١٥) وَخُفُوتِ^(١٦) إِطْرَاقِي^(١٧)، وَسُكُونِ اطِّرَاقِي^(١٨)، فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمَنْطِقِ الْبَلِيغِ وَالْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ، وَدَاعِيكُمْ^(١٩) وَدَاعُ امْرِئٍ مُرْصِدٌ لِلتَّلَاقِي^(٢٠)! غَدًا تَرَوْنَ أَيَّامِي، وَيُكْشَفُ لَكُمْ

(١) في هـ. ب: أي قيّم.

(٢) في أ و ب ، ص و د: تثبت، وفي هـ. د: تثبت - ض ب ح.

(٣) في هـ. د: المنزل - ن ل وفي هـ. ب: أي المزلقة.

(٤) في هـ. ب: تزل، وفي هـ. ص: أي تزل وتزلق.

(٥) هـ. ب: ظلال.

(٦) في أ و ب و د: مهب، وفي هـ. د: مهب - ض ح ب . وفي هـ. ب: جمع مهب، وهو موضع

هبوب الريح (٧) في هـ. ب: زال، وفي هـ. ص: ذهب وتفرّق.

(٨) في هـ. ب: أي مجتمع مهاب تلك الرياح ولغدم

(٩) في هـ. ب: أي اندرس. (١٠) في هـ. ص: أثرها ورسمها.

(١١) في هـ. ص: أي أن بقاء الإنسان مع الناس في الدنيا مجاورة عارضة زائلة.

(١٢) في هـ. ب: من التعقيب. (١٣) في هـ. ب: خالية

(١٤) في هـ. د. بعد نطق - م ن ف .

(١٥) في هـ. د. هدئي - ح، وفي هـ. ب: أي سكوتي.

(١٦) الخفوت: السكون والإطراق. وفي هـ. ب: خفت الصوت: سكن.

(١٧) في ط: أطرافي، وفي هـ. ب: أطرق برأسه: إذا نكس.

(١٨) في هـ. ب: أعضائي.

(١٩) في ص: ودعتكم وفي ط: وداعي لكم، وفي هـ. ب: وداعيكم أي: وداعي اياكم وداع رجل

عسى انتظار لملاقاة، وفي هـ. د: وداعي لكم - ض ح.

(٢٠) في هـ. ب: أرصد له: أي أعد له، وفي هـ. ص: أي معدّ للتلاقي بيني وبينكم بين يدي الله

فاسأل عنكم وتسالون عني.

عَنْ سَرَّائِرِي، وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوءِ مَكَانِي وَقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي.

قوله عليه السلام: «أطردت الأيام»:

أطردت الرجل، إذا أمرت بإخراجه وطرده، وطرده إذا نفيتَه وأخرجتَه^(١)، وكأنه عليه السلام جعل الأيام أشخاصاً يأمر بإخراجهم وإبعادهم عنه؛ أي ما زلتُ أبحث عن كيفية قتلي، وأي وقت يكون بعينه، وفي أي أرض يكون، يوماً يوماً، فإذا لم أجده في اليوم أطردته واستقبلت غده؛ فأبحث فيه أيضاً فلا أعلم، فأبعده وأطرده، وأستأنف يوماً آخر، هكذا حتى وقع المقدور، انتهى من الشرح^(٢).

قوله عليه السلام: «رب رحيم»:

هو فاعل «حمل» و «خفف» على رواية البناء للفاعل، ومبتدأ محذوف الخبر أي لكم، أو خبر مبتدأ محذوف، أي هو. على رواية البناء للمفعول وما بعده معطوف عليه في وجوه إعرابه، والله أعلم

قال في شرح ابن أبي الحديد ما لفظه: إن التكليف على قدر المكلّفين، فالعلماء تكليفهم غير تكليف العامة، وأرباب الجهل والمبادئ كالنساء وأهل البادية وطوائف من الناس، الغالبُ عليهم البلادة وقلة الفهم، كأقاصي الحبشة والترك ونحوهم؛ وهؤلاء عند المكلّفين غير مكلّفين، إلا بجمال التوحيد والعدل؛ بخلاف العلماء الذين تكليفهم الأمور المفصّلة وحلّ المشكلات الغامضة؛ انتهى^(٣)

قلت: وفي هذا دليل على أن علم أدلة مسائل أصول الدين على ما هي عليه من التفصيل والترتيب من فروض الكفاية؛ لأنّ موضوعها الردّ على المعاندين وهذا شيء قد نصرناه ووضحناه.

وقرّرنا - أيضاً - أنّ جمال التوحيد والعدل ضرورة؛ وتبّهنا على ما يدلّ عليه من كلام أمير المؤمنين عليه السلام وقلنا من كلام الشارح ما يناسبه، والله أعلم.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٢٣.

(١) من ط.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٢٤

قوله ﷺ: «فإنما كنا في أفياء أغصان... الخ»:

أي ان أمور الدنيا كلها إلى زوال، ثم مثل ذلك بما هو أسرع الأشياء زوالاً وأبينها انقضاءً، أي أن الدنيا ملققة من هذه الزائلات وأشباهها، فلا بقاء لشيء كان منها، وإنما المقرّ الحقيقي ما نصير إليه بعد الدنيا.

قوله ﷺ: «غداً ترون أيتامي»:

لأنهم بعد فقده وموته يظهر لهم ويثبت عندهم إذا رأوا وشاهدوا إمرة من بعده، أنه إنما كان يريد بتلك الحروب العظيمة وجه الله تعالى، وألا يظهر المنكر في الأرض، وإن ظن قوم في حياته أنه كان يريد الملك والدنيا، انتهى من الشرح^(١).

ومن خطبة له عليه السلام يومئذ^(١) فيها إلى الملاحم^(٢) :
 وَأَخْذُوا يَمِيناً وَشِمَالاً ظَعْناً^(٣) فِي مَسَالِكِ الْغَيِّ، وَتَزَكَّاءَ لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ؛ فَلَا تَسْتَعْجِلُوا
 مَا^(٤) هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ^(٥)، وَلَا^(٦) تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ الْعَدُوُّ؛ فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ^(٧) بِمَا إِنَّ
 أَدْرَكَهُ وَدَّ^(٨) أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ. وَمَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرٍ^(٩) عَدِياً
 يَأْقُومُ هَذَا إِبَّانٌ^(١٠) وَرُودٌ كُلُّ مَوْعُودٍ^(١١)، وَدُنُوٌّ^(١٢) مِنْ طَلْعَةِ مَالَا تَعْرِفُونَ^(١٣). أَلَا وَإِنَّ
 مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا^(١٤) يَسْرِي فِيهَا بِسَرَّاجٍ مُنِيرٍ، وَيَخْذُرُ^(١٥) فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ، لِيَحُلَّ
 فِيهَا رِبْقاً^(١٦)، وَيُعْتَقَ فِيهَا رِقاً^(١٧)، وَيَصْدَعُ شَعْباً^(١٨)، وَيَشْعَبَ صَدْعاً^(١٩)؛ فِي سُرْرَةٍ عَنِ

(١) في ط: ويومي.

(٢) العنوان في اهكذا: ومن خطبة له في الملاحم.

(٣) في أ و ب: طعناً. وفي هـ. ب في نسخة: ظعنأ، أي ذاهبين في الجهل و طعناً: من الطعن بالرمح.

(٤) في ص: بما هو.

(٥) في هـ. ب: نزول العذاب.

(٦) فلا تستبطنوا - ل، ولم ترد «ولا» في ب.

(٧) في هـ. ب: من مستعجل مثل قوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدِّلَكُمْ تَسْأَلُونَ﴾
 المائدة: ٥ / ١٠١، وفي هـ. د: فكم مستعجل - م.

(٨) في هـ. ب: أحب.

(٩) في هـ. ب: علامات، وفي هـ. ص: تباشير كل شيء: أول ما يبدو منه، وتبشير الصبح: أول
 ما يبدو من ضوئه.

(١٠) إبان: وقت.

(١١) أي: قرب

(١٢) في هـ. د: كل موعد - ب.

(١٣) في هـ. ب: إشارة إلى عهد المهدي عليه السلام. (١٤) في هـ. ب: من عهد الإمام، أي إمام كان.

(١٥) في هـ. ب: يذهب.

(١٦) الربق - بالكسر - فالسكون - في الأصل حبل فيه عدة عرى تربط به البهائم. ويستعار
 للرابطة الجامعة للأمة. وفي هـ. د: ليحل ربقة - ع.

(١٧) في ب و د: ويعتق رقاً، وفي هـ. د: ويعتق فيها رقاً - ض ح.

(١٨) في هـ. ب: جمعاً.

(١٩) أي يفرق جمع الضلال ويجمع متفرق الحق، وفي هـ. ب: الصدع والشعب والشمل يقع على
 المجموع المتفرق.

النَّاسِ، لَا يُبْصِرُ الْقَائِفُ^(١) أَثَرَهُ، وَلَوْ تَابَعَ نَظْرَهُ؛ ثُمَّ لَيْشَحَذَنَّ^(٢) فِيهَا قَوْمٌ شَحَذَ الْقَيْنِ^(٣) النَّصْلَ، تُجَلَّى^(٤) بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ، وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ^(٥)، وَيُغْبَقُونَ^(٦) كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصُّبُوحِ^(٧).

منها^(٨):

وَطَالَ الْأَمَدَ بِهِمْ^(٩) لَيْسَتْ كَمِلُوا الْخِزْيِ^(١٠) وَيَسْتَوْجِبُوا^(١١) الْغَيْرَ^(١٢) حَتَّى^(١٣) إِذَا اخْلُوقَ^(١٤) الْأَجَلُ، وَاسْتَرَاخَ^(١٥) قَوْمٌ إِلَى الْفِتَنِ، وَاشْتَالُوا^(١٦) عَنْ لِقَاحِ حَرْبِهِمْ، لَمْ يَمُتُوا عَلَى اللَّهِ بِالصَّبْرِ^(١٧) وَلَمْ يَسْتَغْظَمُوا بِذَلِّ أَنْفُسِهِمْ فِي الْحَقِّ^(١٨)، حَتَّى إِذَا رَافَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ أَنْقِطَاعَ مُدَّةِ الْبَلَاءِ حَمَلُوا بِصَائِرَهُمْ عَلَى أَشْيَافِهِمْ^(١٩) وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَاعْظَمِهِمْ.

(١) لقائف: لذي يعرف الآثار فيتبعها، وفي هـ. ب: هو للإنسان جمع فاف، وقفت أثره فنا فائف... وقفوت أثره: تبعته، وهما لغتان.

(٢) في هـ. ب: «لشحذن» إشارة إلى من ينعطى في الغيبة علوم آل محمد، وشحذ السيف: حدده. ولمشحذن: المسنن.

(٤) في ب: بجلى وتجلي - معاً.

(٥) في هـ. د: لم ترد «ويرمى بالتفسير في مسامعهم» في ب

(٦) «يغبقون» مبني للمجهول أي: يسقون كأس الحكمة بالمساء بعدما شربوه بالصباح

(٧) في هـ. ب: شرب الصباح. (٨) في ص: ومنها.

(٩) في هـ. ص أي: بأهل هذه الفتن، وصدق عجل؛ فإن أمد فتنة أعداء أهل البيت طال وأمرهم أعزل.

(١٠) في هـ. ب: اعتراض من ذكر أمر المهدي وأصحابه.

(١١) في هـ. ب: يسحقوا (١٢) في هـ. ص: أي تغيير ما هم فيه من النعمة.

(١٣) في هـ. ص: هي الابتداء به، التي قد بعدها الكلام ويستأنف.

(١٤) هـ. ب: أي تقادم العهد، يقال: اخلوق الثوب: إذا بلغ الغاية في الخلاقة، يقال: اخلوق.

(١٥) في هـ. ب: أسرعوا ووقعوا فيها.

(١٦) أي رفعوا أيديهم بسبوفهم ليفحلوا حروبهم على غيرهم، أي: يسعروها عليهم، وفي هـ. ب: أي إذا التحمت حرب هؤلاء القوم اشتالوا وهلكوا، اشتالت الناقة ذنبها مثل شالت وأشالت، وفي هـ. د: وأشالوا - ب.

(١٧) الضمير فيه للمؤمنين، والجملة جواب «إذا».

(١٨) في د: في حق. وفي هـ. د: في الحق - ض ح ب ل.

(١٩) أي أشهروا عقيدتهم داعين إليها غيرهم، وهذا من أروع التمثيل، وفي هـ. ب: البصائر لها

حَتَّى إِذَا قَبِضَ اللَّهُ رُسُولَهُ^(١) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ^(٢)،
وَعَالَتْهُمْ^(٣) السُّبُلُ^(٤)، وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِحِ^(٥)، وَوَضَلُّوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي
أَمَرُوا بِمَوَدَّتِهِ، وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رِصِّ آسَائِهِ، فَبَتَّوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ،
وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ^(٦)، قَدْ مَارَوْا^(٧) فِي الْحَيَرَةِ^(٨)، وَذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ، عَلَى سُنَّةٍ
مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، مَنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ^(٩)، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مَبَائِنٍ^(١٠).

قوله ﷺ: «واخذوا يميناً وشمالاً... إلى قوله: الرشد»:

يذكر ﷺ قوماً من فرق الضلال أخذوا يميناً وشمالاً، أي ضلُّوا عن الطريق الوسطي
التي هي منهج الكتاب والسنة؛ وذلك لأنَّ كلَّ فضيلة وحقٍّ فهو محبوس بطرفين خارجين
عن العدالة، وهما جانباً الإفراط والتفريط؛ كالفتانة التي هي محبوسة بالجبرفة والغباوة،
والشجاعة التي هي محتوشة بالتهوُّر والجبن، والجلود المحبوس بالتبذير والشح؛ فمن لم

→ ثلاثة معان: أولها: البصيرة والجملة عطف على حملوا بصائرهم واعتقاداتهم على أسياهم،
ويكون البصائر بمعنى جمع البصر. والبصائر: بقايا الدُّبَا.

(١) في ص: رسول الله.

(٢) في هـ. ب: قوله تعالى: ﴿انقلبتم على أعقابكم﴾ ال عمران: ٢ / ١٤٤، وفي هـ. ص: أي
تركوا ما كانوا عليه.

(٣) هـ. ب: أهلكتهم، وفي هـ. ص: أي أهلكتهم اختلاف الآراء والأهواء، من الشرح.

(٤) في هـ. ب: سبل النقي والجهر.

(٥) أي: دخائل المكر والخديعة، وفي هـ. ص: جمع وليجة: وهي البطانة يتخذها الإنسان
لنفسه، انتهى من الشرح.

قلت: كأنَّ أصل معناها يدخلها في أمره وشأنه، والله أعلم.

(٦) الغمرة: الشدة، أي: مزدحم الفتن. (٧) في هـ. ب: جاءوا وذهبوا.

(٨) في هـ. ص: أي الضاربون في غمرة الضلال.

(٩) في هـ. ب: ساكن، وفي هـ. ص: هم الأمراء والرؤساء ولادة الأمر في هذه الفتن، الذين
قصدتهم نيل الدنيا بما فعلوا.

(١٠) في هـ. ص: هم علماء السوء وأهل الضلال والجهل والبدع وهم يحسبون أنهم يحسنون
صنعاً وهذا تقسيم للضاربين في الغمرات الذين يستندون إلى من رجع على الأعقاب بعد
وفاة رسول الله ﷺ.

يقع على الطريق الوسطى وأخذ يميناً وشمالاً فقد ضلّ.

ثم فسّر قوله: «أخذوا يميناً وشمالاً»، فقال: ظعنوا ظعنًا في مسالك الغي، وتركوا مذاهب الرشd تركاً، انتهى من الشرح^(١).

وأقول والله أعلم -: ان الكلام مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾^(٢) وثنيات الطريق تكون عن يمين الجادة وشمالها.

قوله ﷺ: «يا قوم هذا إبان ورود كل موعود»:

إبان الشيء - بالكسر والتشديد -: وقته وزمانه، يشير ﷺ إلى الفتن التي تظهر من بعده، وكان رسول الله ﷺ قد وعده ظهورها، وأشار إلى أصحابه بكونها، وأمير المؤمنين كان قد وعد أصحابه بها، ذكر معناه في الشرح^(٣).

قوله ﷺ: «ألا وأن من أدركها مثلاً... إلى قوله: ولو تابع نظره»:

ذكر ﷺ إن القدوة من أهله. وإن أدركوها كل واحد في زمنه الذي يوجده الله فيه؛ فإنهم لا يلتبس عليهم الحق ولا يدخلون في شيء من أمر هذه الفتن؛ لأن الآخر يسلك مسالك الأولين ويقتدي بهدى أسلافه الماضين من إيضاح الحق والدعاء إلى الدين والرد على المبطلين ويعتق من اسرة الضلال والجهل فاسترقاه، وهو معنى قوله: «ليحل فيها رتقاً» أي عقد شبه الضلال

«ويعتق رقاً» أي من استرقه الجهل والهوى.

«ويصدع شعباً» أي: جماعة ضلال، بإخراج بعضهم إلى الحق.

«ويشعب صدعاً» أي: قوماً كانوا متفرقين بالأهواء فيجمع بينهم بالحق حتى يصيروا جملة واحدة، وهو مع ذلك مستور من الناس، أي من جمهورهم؛ لأنه خائف غير آمن لا يمكن طالبه الوقوف عليه.

وقد وقع كما وصفه ﷺ فإن هذه طريقة أئمة أهل البيت من بعده ﷺ إلى وقتنا، ولا بدّ

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٢٧. (٢) سورة الانعام: ٦ / ١٥٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٢٨.

لهم من التستّر إمّا إلى الموت أو إلى أن يجدوا أعواناً ويدعوا إلى قتال الظالمين.
وليس الأمر كما زعم ابن أبي الحديد من أنّ الإشارة إلى الفتن التي تقع قبل القيامة
كخروج الدابة والدجال، وأنّ الإشارة بقوله: «ألا وإن من أدركها منّا... إلى آخره» إلى
المهدي خاصّة.

فإن السّوق واللّفظ يدل على خلافه، ولكنه يصدّه عمّا قلناه أمرٌ يضره^(١)، والله المستعان.
قوله ﷺ: «ثم ليشحذن...»:

أي: ليمتحنن في هذه الفتن أقوام فيزيدهم الامتحان نفاذاً ومضيّاً على الحق، ثم وصف
طريقتهم التي يكونون عليها بقوله: «يجلي...» وهؤلاء بلا شك أئمة أهل البيت وأتباعهم.
قوله ﷺ: «حتى إذا اخلوق»:

قال في الشرح: حتى إذا اخلوق الأجل، أي: قارب أمرهم [الانقضاء، من قولك:
اخلوق السحاب، أي استوى، وصار خليقاً بأن يمطر، واخلوق الرسم: استوى مع
الأرض]^(٢).

«واستراح قوم إلى الفتن»: أي: صبا قومٌ من شيعتنا وأوليائنا إلى هذه الفتن^(٣)،
واستراحوا إلى ضلالها وفتنتها، وأتبعوها.

«واشتالوا عن لقاح حربهم» أي: رفعوا أيديهم وسيوفهم عن أن يشبّوا الحرب بينهم
وبين هذه الفئة، مهذّنة لها وسلماً وكراهية للقتال؛ يقال: شال فلان كذا، أي: رفعه، واشتال
«افتعل» هو في نفسه، كقولك: حَجَم زيد عمراً، واحتجم هو نفسه. و«لقاح حربهم»: هو
بفتح اللام، مصدر من لَقَحَت الناقة، انتهى ما ذكره ابن أبي الحديد^(٤).

(١) ان كلام الشارح في تفسير هذه العبارة على مذهب الزيدية هو على أساس أمر يضره هو
أيضاً، وإلا فإنّ ما قاله ابن أبي الحديد في تفسيره بالفتن التي تقع قبل القيامة بعيد، ولكن
تفسيره الآخر بأنّ المشار إليه بقوله ﷺ «منّا» هو المهدي خاصّة، هو أقرب ممّا يقول
الشارح، وسيعترف به بعد صفحات، فإنّ أئمة الزيدية كلهم لم يتّصفوا بما وصفه أمير
المؤمنين ﷺ، وهذا واضح لمن راجع تاريخهم وحياتهم.

(٣) في ط: الفئة.

(٢) من ط

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٣٠.

وهو محتمل، ويحتمل أن يكون معنى «اخلولق الأجل» أي: صار خليقاً بأن يقع.
 «واستراح قوم الى الفتن». أي: غلبت الفتن على كثيرين لفرط الفهم لها وانسهم بها.
 «واشتالوا عن لقاح حربهم». أي: صار هؤلاء المشحودين حرباً لهؤلاء الطوائف
 الداخلين في الفتن، فضمير «اشتالوا» عائد إلى المشحودين، ومعنى «اشتالوا»: استبانوا،
 يقال: اشتالت الناقة عن لقاح، أي: رفعت ذنبها بسبب لقاحها وذلك أمانة تكونها حاملاً.
 قال طرفة:

وسفي بذى خصل روعات أكلف ملبد

يريد: أن الناقة ترفع ذنبها فيعرف الفحل أنها حامل فلا يدنو منها، ومن ذلك سميت
 الحوامل شولاً، جمع شائل. قال: من لد شولاً فالى اتلائها.
 ومعنى كلامه عليه السلام: ان هؤلاء الصالحين صبروا على مباينة الطوائف الكثيرة من
 المخالفين لهم.

وكأنه عليه السلام أشار بقوله: «حتى إذا اخلولق الأجل...» إلى انقضاء دولة بني أمية ومجيء
 فتنة بني العباس وافتراق الشيعة حينئذٍ إلى داخل معهم في فتنهم وماضٍ على الطريقة
 الأولى من مباينة الظالمين، وبذلك امتازت الزيدية من الامامية^(١) فالمشحودون هم
 الزيدية؛ والله أعلم.
 قوله عليه السلام: «لم يمتئوا...»:

هذا جواب قوله: «حتى إذا»، والضمير في «يمتئوا» راجع إلى العارفين الذين تقدم
 ذكرهم في لفصل السابق قبله، انتهى من الشرح^(٢)

قلت: ومعناه: إنهم صبروا على معاداة أهل هذه الفتن محتسبين وإن كانوا قبيلين بالنظر
 إلى أعدائهم، ولم يعدوا عظيمًا تعريض أنفسهم للقتل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن
 المنكر، بل طابت بذلك أنفسهم وشروها من خالقهم، وهذه بلا شك صفة أئمة الزيدية
 وأتباعهم.

(١) المراد بعض الامامية، وإلا فالأئمة عشرية منهم لازالوا ماضين على طريقهم من مباينة
 الظالمين. ولعل الشارح لم يقف على الفرق بين الفرق.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٣١.

قوله ﷺ: «حتى إذا وافق وارد القضاء... إلى قوله: واعظهم»:

قال: حتى إذا وافق قضاء الله تعالى وقدره في أن ينهض^(١) هؤلاء قضاء الله وقدره في انقضاء مدة تلك الفئة، وارتفاع ما كان شمل الناس من البلاء بملكها وإمرتها، حمل هؤلاء العارفون بصائرهم على أسيافهم؛ وهذا معنى لطيف؛ يعني أنهم أظهروا بصائرهم وعقائد قلوبهم^(٢) للناس، وكشفوها وجردوها من أجفانها، مع تجريد السيوف من أجفانها؛ فكأنها شيء محمول على السيوف يبصره من يبصر السيوف؛ ولا ريب أن السيوف المجردة من أجلى الأجسام للأبصار، فكذلك ما يكون محمولاً عليها؛ انتهى من شرح ابن أبي الحديد^(٣).

ويقرب عندي أن معنى «حملوا بصائرهم على أسيافهم» أي: أظهروا عقائدهم ودعوا إليها فمن أجاب قبلوه ومن أبى قتلوه، فكأن السيوف مركب للبصائر ينقلها من بلد إلى بلد، وهذا الفصل هو الذي يناسب أن يكون إشارة إلى أمر المهدي عليه السلام بخصوصه حيث أريد انقضاء مدة كل البلاء وكشف كل الفتن، ولا بعد أن يريد به أمر من ظهرت دعوته من الأئمة واستقرت دولته ولو اختصت بقطر، والله أعلم.

قوله ﷺ: «حتى إذا قبض الله رسوله ﷺ...» فقوله: «ووصلوا غير الرّحم» أي غير رحم النبي ﷺ فذكرها ﷺ ذكراً مطلقاً غير مضاف للعلم بها، كما يقول القائل: «أهل البيت»، فيعلم السامع أنه أراد أهل بيت الرسول ﷺ.

«وهجروا السبب» يعني أهل البيت أيضاً؛ وهذه إشارة إلى قول النبي ﷺ: «خَلَفْتُ فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي؛ حبلان ممدودان من السماء إلى الأرض، لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض»، فعبر أمير المؤمنين عن أهل البيت بلفظ «السبب» لما كان النبي ﷺ قال: «حبلان»، والسبب في اللغة: الحبل.

[عنى بقوله: «امروا بمودته»، قول الله تعالى: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا المودّة في

القربى»^(٤).]

(١) في ط: كي ينهض.

(٢) في ط: وعقائدهم وقلوبهم.

(٤) الشورى: ٢٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٣١.

قوله ﷺ: «وتقلوا البناء عن رصّ أساسه»:

الرّصّ: مصدر رَصَصْتُ الشيء أرضه، أي ألصقت بعضه ببعض؛ ومنه قوله تعالى: ﴿كَانَ لَهُمْ بَنِيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾^(١)، وتَرَاصَّ القوم في الصّف، أي: تلاصقوا. فبنوّه في غير موضعه! ونقلوا^(٢) الأمر عن أهله إلى غير أهله.

ثم ذمهم ﷺ، وقال: «إنّهم معادن كلّ خطيئة، وأبواب كلّ ضاربٍ في عُثرة»، العثرة: الضلال والجهل. والضارب فيها: الداخل المعتقد لها.

قد ماروا في الحيرة، مارَ يُمور إذا ذهب وجاء، فكأنّهم يسبحون في الحيرة كما يسبح الإنسان في الماء.

وذهل فلان، بالفتح، يذهل على سنّة من آل فرعون، أي: على طريقة، وآل فرعون: أتباعه. قال تعالى: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٣).

من منقطع إلى الدنيا: لا همّ له غيرها. راكن: مخلّد إليها، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾^(٤) أو مفارق للدين مباين^(٥): مزابل.

فإن قلت: أيّ فرق بين الرّجلين؟ وهل يكون المنقطع إلى الدنيا إلّا مفارقاً للدين؟

قلت: قد يكون في أهل الضلال مَنْ هو مفارق للدين مباين؛ وليس براكنٍ إلى الدنيا ولا منقطع إليها؛ كما نرى كثيراً من أخبار النصارى ورهبانهم.

فإن قلت: أليس هذا^(٦) الفصل صريحاً في تحقيق مذهب الإمامية؟

قلت: لا، بل نحمله على أنّه عَنَى ﷺ أعداءه الذين حاربوه من قريش وغيرهم من أفتاء العرب، في أيتام صِفّين، وهم الذين نقلوا البناء، وهجروا السبب، ووصلوا غير الرّجَم، واتّكلوا على الولائج، وغالتهم السبُل، ورجعوا على الأعقاب؛ كعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومروان بن الحكم، والوليد بن عُقبة، وحبيب بن مسلمة، وبُشَيْر بن أرطاة، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وحوشب، وذِي الكلاع، وشَرَحْبِيل ابن

(١) الصف: ٥. (٢) ب: «ونقلوا»، وما أثبتته من د.

(٣) غافر: ٤٦. (٤) هود: ١١٣.

(٥) كذ في د، وفي أ، ب: «ومباين» (٦) ساقطة من د.

السَّمط^(١)، وأبي الأعور السلمي؛ وغيرهم ممن تقدّم ذكرنا له في الفصول المتعلقة بصيّين وأخبارها، فإنّ هؤلاء نقلوا الإمامة عنه ﷺ إلى معاوية، فنقلوا البناء عن رصّ أصله إلى غير موضعه.

فإن قلت: نفظ الفصل يشهد بخلاف ما تأولته، لأنّه قال ﷺ: حتى إذا قبض الله رسوله رجع قوم على الأعقاب، فجعل رجوعهم على الأعقاب عقيب قبض الرسول ﷺ، وما ذكرته أنت كان بعد قبض الرسول بنيف وعشرين سنة!

قلت: ليس يمتنع أن يكون هؤلاء المذكورون رجعوا على الأعقاب، لما مات رسول الله ﷺ، وأضمرّوا في أنفسهم مشاقّة أمير المؤمنين وأذاه، وقد كان فيهم من يتحكّك به في أيام أبي بكر وعمر وعثمان، ويتعرّض له؛ ولم يكن أحد منهم ولا من غيرهم يُقدّم على ذلك في حياة رسول الله. ولا يمتنع أيضاً أن يريد برجعهم على الأعقاب ارتدادهم عن الإسلام بالكلّيّة، فإنّ كثيراً من أصحابنا يطعنون في إيمان بعض من ذكرناه ويعدّونهم من المنافقين، وقد كان سيفُ رسول الله ﷺ يقمّعهم ويردّعهم عن اظهار ما في أنفسهم من النفاق، فأظهر قومٌ منهم بعده ما كانوا يضمرّونه من ذلك؛ خصوصاً فيما يتعلّق بأمر المؤمنين^(٢)، الذي ورد في حقّه: «ما كنّا نعرفُ المنافقين على عهدِ رسول الله إلّا ببغض عليّ بن أبي طالب»، وهو خبرٌ محقّقٌ مذكور في الصّحاح.

فإن قلت: يمنعك من هذا التّأويل قوله: «ونقلوا البناء عن رصّ أساسه، فجعلوه في غير موضعه»، وذلك لأنّ «إذا» ظرف؛ والعامل فيها قوله: «رجع قومٌ على الأعقاب» وقد عطف عليه قوله: «ونقلوا البناء»؛ فإذا كان الرّجوع على الأعقاب واقعاً في الظرف المذكور، وهو وقت قبض الرسول، وجب أن يكون نقل البناء إلى غير موضعه واقعاً في ذلك الوقت أيضاً، لأنّ أحد الفعلين معطوف على الآخر، ولم ينقل أحدٌ وقت قبض الرسول ﷺ البناء إلى معاوية عن أمير المؤمنين ﷺ، وإنّما نُقل عنه إلى شخص آخر، وفي إعطاء العطف حقّه إثبات مذهب الإماميّة صريحاً!

قلت: إذا كان الرجوعُ على الأعقاب واقعاً وقت قبض النبي ﷺ فقد قمنا بما يجبُ من وجود عامل في الظرف، ولا يجب أن يكون نقل البناء إلى غير موضعه واقعاً في تلك الحال أيضاً، بل يجوز أن يكون واقعاً في زمان آخر؛ إما بأن تكون الواو للاستئناف لا للعطف، أو بأن تكون للعطف في مطلق الحدث لا في وقوع الحدث في عين ذلك الزمان المخصوص، كقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَى أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾^(١)؛ فالعامل في الظرف «استطعما»، ويجب أن يكون استطعامهما وقت إتيانهما أهلها لا محالة. ولا يجب أن تكون جميع الأفعال المذكورة المعطوفة واقعة حال الإتيان أيضاً؛ ألا ترى أن من جملتها «فأقامه» ولم يكن إقامة الجدار حال إتيانهما القرية بل متراخياً عنه بزمان ما؛ اللهم إلا أن يقول قائل: أشار بيده إلى الجدار فقام، أو قال له: قم، فقام، لأنه لا يمكن أن يجعل إقامة الجدار مقارناً للإتيان إلا على هذا الوجه؛ وهذا لم يكن، ولا قاله مفسر. ولو كان قد وقع على هذا الوجه لما قال له: ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾؛ لأن الأجر إنما يكون على اعتمال عمل فيه مشقة؛ وإنما يكون فيه مشقة إذا بناه بيده، وباشره بجوارحه وأعضائه.

واعلم أننا نحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على ما يقتضيه سؤدده الجليل، ومنصبه العظيم، ودينه القويم، من الإغضاء عما سلف ممّن سلف؛ فقد كان صاحبهم بالمعروف برهنة من الدهر، فأما أن يكون ما كانوا فيه حقهم أو حقه، فتركه لهم رفعا لنفسه عن المنازعة، أو لما رآه من المصلحة؛ وعلى كلا التقديرين فالواجب علينا أن نطبق بين آخر أفعاله وأقواله بالنسبة إليهم وبين أولها؛ فإن بُعد تأويل ما يتأوله من كلامه، ليس بأبعد من تأويل أهل التوحيد والعدل الآيات المتشابهة في القرآن، ولم يمنع بعدها من الخوض في تأويلها محافظة على الأصول المقررة؛ فكذلك ها هنا، انتهى من شرح ابن أبي الحديد^(٢) نقلنا كلامه في شرح هذا الفصل بطوله ليعلم ذو البصيرة النافذة والفطنة الناقدة إنه معترف بأن كلام أمير المؤمنين عليه السلام صريح في خلاف ما تأوله، أو ظاهر. ومعترف بأن في تأويله بعداً. ثم إنه عدل عن الصريح أو الظاهر لغير دليل قاهر، ولا مستمسك ظاهر إلا أنه

يخالف معتقده ومذهب أصحابه، ولو ساغ له ذلك لما صحَّ التمسك بدليل أصلاً، لأنَّه يمكن لكلِّ مخالف لكل دليل أن يتأوَّله بما يوافق معتقده ومذهبه - وإنَّ بُعد التأويل - وذلك باطل، لأنَّه يؤدِّي إلى أن لا يوثق بخطاب أصلاً.

وقوله - في آخر كلامه: «إنَّه وإن بعد التأويل، فليس بأبعد من تأويل المتشابهات» - لا يصح، لأنَّ تأويل المتشابه إنما قبل لقيام دليل العقل والنقل القطعي على خلاف ظاهره وهو لم يتمسك فيما تأوَّل الكلام لأجله بحجَّة ظاهرة، فضلاً عن قطعته، وإنَّما هو ليطبَّق معتقده.

وقوله: «واعلم أنا نحمل كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)»... إنما يصح لو قد ثبت بالدليل القطعي أنَّ موالاة القوم هي الدين القويم والشرف العظيم، وأنَّ معاداتهم خروج عن قواعد الشريعة وعدول عن الطريق السويِّ، وهذا لم يثبت ولا دَلَّ عليه دليل، بل هو محلُّ النزاع بينه وبين خصمه، فإنَّ خصمه يدَّعي عكس ما يدَّعيه ويحتج له، ولو لم يكن له من الحجَّة إلا موافقته للظاهر لكان كافياً في صحَّته.

وقوله: إنَّه يريد أن يطبق بين أوَّل أقوال وأفعال أمير المؤمنين (عليه السلام) وآخرها، فنحن نقول له: ومتى ثبت التنافي بينها حتى يلجأ إلى التلفيق؟، فإنَّه (عليه السلام) لم يزل على طريقة واحدة وفعل واحد منذ قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أن قبضه الله تعالى إليه.

قوله واحد، وهو أنَّه مدفوع عن حقِّه مظلوم مغلوب لا يجد ناصرًا ولا يساعده على مطلوبه أحد، وفعله واحد، وهو أنَّه كان يمتنع من البيعة لمن بايعوه، ويصرِّح بأنَّه لا يستحقُّها ولا تُثبت له بالمبايعة ولا يلزم حكمها حتى يضطرَّ إلى البيعة فيبايع مُلجأً إليها. ومن أراد أن يحقق ما قلناه فليتأمل ما نقله هذا الشارح، حيث سلك طريق النقل والرواية دون التعصُّب لمذهبه.

ومن عجيب ما وقع لهذا الشارح إذ سلك طريق العصبية والتأويل أنَّه تارة إذا ظهر له من أقوال أمير المؤمنين وأفعاله الصادرة عنه في أوَّل المدَّة الطعن والتظلم ولم يمكنه تأويله قال: كان ذلك من أمير المؤمنين في أوَّل الأمر لما وقع في ظنِّه أنَّ القوم إنما أرادوا بصرف الأمر عنه الدُّنيا، ولما تبَيَّن له أنَّهم إنما أرادوا الآخرة ومصلحة الدين والمسلمين

سمح ورضي وعذّرهم.

فإن انعكس الأمر، وكان كلام أمير المؤمنين المنقول عنه في آخر مدّته ظاهراً في خلاف مذهبه، قل: نحن نتأوّنّه ونطبّق به ما تقدّم من قوله وفعله، فإنّه كان مسامحاً للقوم راضياً بفعلهم معتقداً لصحّة إمامتهم.

وكلّ هذا يدلّ على أنّ مصدر كلامه وتأويلاته مصدر التعسّف والتعصّب لمذهبه، لا إتّباع الدليل.

وإن عني بمسامحة أمير المؤمنين ورضاه بما فعلوه: سكوته وسكونه وخوضه معهم فيما يرجع إلى الدين كالرأي في تدبير حرب الكافرين والخوض في مسألة يشكل على السائلين - وهذا هو الظاهر من قصده -، فليس ذلك ممّا يدلّ على رضا، ولا يدلّ على موافقة الساكت الساكن حتى يعلم أنّه لا عذر له، كيف؟ وعذره معوم، وقد وقع مثل ذلك من الحسين في زمن معاوية وكانا يحضران عند والي المدينة ويشيران بما يرجع إلى أمر الدين وإلى جماعة المسلمين، وكذلك وقع من أولادهما كعليّ بن الحسين من إشارته على عبد الملك بن مروان، والباقر والصادق والحسن بن الحسن، وعبدالله بن الحسن، وكذلك وقع من غيرهم، كمحمّد بن الحنفية، وقيس بن سعد بن عباد من حضورهما مجلس معاوية لمغالبة العلجين لما كان ذلك يرجع إلى جمعة المسلمين.

أفيجوز لمسلم أن يدّعي أنّ هؤلاء الأئمة وفضلاء المسلمين ومن جاء بعدهم من فضلاء المؤمنين قد أثبتوا إمامة معاوية ومن بعده من أئمة الجور الظالمين بهذا القدر من المعاملة؟!

وكذلك النداء بلفظ: «يا أمير المؤمنين» الذي يتشبّث به الشارح كثيراً فإنّه لا يثبت مطلوبه؛ لأنّه لفظ صادق بالنظر إلى الوضع اللغوي، لأنّ المتأمر على الناس سواء كان باستحقاق أو بغير استحقاق يُسمّى أميراً، كما قال عليّ عليه السلام: «إنّه لا بدّ للناس من أمير برّ أو فاجر... إلى آخر كلامه».

وقد وقع النداء بذلك من فضلاء الصحابة والتابعين لمعاوية ومن تغلّب من بعده، أفيدل ذلك على صحّة إمامتهم؟! بلى قد صار حقيقة شرعية في شخص واحد يتبادر عند

الاطلاق إليه ولا يقع على غيره إلا مع القرينة وهو عليّ عليه السلام.

وأما قول الشارح: إنَّ أمير المؤمنين يعني في هذا الفصل من حاربه من الجماعة الذين عددهم، فهو مع كونه عذراً بارداً يدفعه سوق الكلام ونسقه، معلوم البطلان، لأنَّ القوم الذين عددهم يعلم ضرورة عدم حصول ذلك منهم في وقت قبض الرسول ﷺ، لأنَّ بعضهم لم يكن دخل في الإسلام بعد كذي كلاع وحوشب وأضرابهما وبعضهم لم يكن له نظر في هذا الأمر ويعلم قصور نفسه عن النظر فيه وبعضهم يعلم من حاله أنَّه كان يحبُّ مصير الأمر إلى عليّ عليه السلام لا ديناً بل أنفةً من أن يتأمر عليهم غيره، كما وقع من أبي سفيان في بيعة أبي بكر. وما كان رأي ابنه وعشيرته وأشباههم إلا كرايهم، وإنما كرهوا ولاية عبي عليه السلام من بعد لأنهم تظمَّعوا الدنيا وعلوموا أنَّهم لا ينالونها معه عليه السلام، فأحبوها وآثروها واغتفروا لأجلها كلَّ نقص

وأما ما ذكره في شأن الجمل المتعاطفة وزعمه أنَّها لم تشارك في الطرف وحمله لـ «الواو» على الاستئناف أو العطف من غير تشارك، فهو مع كونه عدولاً عن الظاهر وخروجاً عما يقتضيه السوق ومغزى الفضل، غير مقبول؛ لأنَّه يكسب الكلام الفصيح ركاكة وضعفاً من حيث التبتُّر والانقطاع والاخلال بالمفهوم، والأصل في الجمل المتتالية التشارك في القيد السابق لها واللاحق لها إلا لدليل.

وما أورده من المثال لمدَّعاه من الآية الكريمة، فغير صحيح؛ لأنَّ الفاء يقتضي الترتيب والتعقيب ويكفي في تحقق معنى الجميع فيها أن يقع أوَّل المعطوف بها في آخر زمان المعطوف عليه ويصيران بذلك كالفعل الواحد، بخلاف الواو فإنَّها لا تفيد تعقيباً وترتيباً فيتشارك المتعاطفان بها فيما هو المقصود بالتعاطف دفعه.

والمقصود بالتعاطف - ها هنا - هو تشارك المتعاطفات في وقوعها في وقت قبض

الرسول ﷺ؛ لأنَّ السوق يدل على ذلك، والله أعلم.

وإنما وسَّعت القول في ردِّ تأويل الشارح - وإن كان سقوطه ظاهراً؛ لعدم الدليل الملجئ إليه - لأنَّ جماعة من المتأخِّرين المنتسبين إلى الزيدية ترى صحَّته وتعتقده ديناً، فأردت تنبيه المخلصين للتشيع على ضعف ما اعتمدوه وجعلوه سنداً لما صاروا إليه واعتقدوه، وبالله أثق.

ومن خطبة له ﷺ:

وأحمد الله وأستعينه على مَذَاجِرِ^(١) الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ^(٢)، والاعتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ^(٣) وَمَخَاتِلِهِ^(٤).

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ونجيبه وصفوته، لا يُؤَاذِي^(٥) فَضْلَهُ، وَلَا يُجْبِرُ فَقْدَهُ^(٦)، أَضَاءَتْ بِهِ الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ، وَالْجَهَالَةِ الْغَالِبَةِ، وَالْجَفْوَةِ^(٧) الْجَافِيَةِ، وَالنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ^(٨)، وَيَسْتَذِلُّونَ الْحَكِيمَ^(٩)، يُخَيِّونَ عَلَى فِتْرَةٍ^(١٠)، وَيَمُوتُونَ عَلَى كَفَرَةٍ. ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ^(١١) بَلَايَا قَدْ أَقْتَرَبَتْ، فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النُّعْمَةِ^(١٢)، وَأَحْذَرُوا بَوَائِقَ النُّفْمَةِ^(١٣)، وَتَثَبَّتُوا فِي قَتَامِ^(١٤) الْعِشْوَةِ^(١٥)، وَأَعْوِجَاجِ الْفِتْنَةِ^(١٦)، عِنْدَ

(١) في هـ. ب: مذار الشيطان، المصدر مضاف إلى الفاعل... ولدحور: الطرد والإبعاد،

وفي هـ. ص: جمع مدحرة، وهي ما يدحر به أي يطرح

(٢) مزاجر الشيطان: هي الأعمال الحسنة. (٣) هـ. ص: حباله، جمع حباله: بصيده

(٤) في هـ. ب: الختل: الخدع، وفي هـ. ص: مخايله، جمع مخيلة: وهي ما يخل به، أي: يخدع.

(٥) في أ و ب: «يوازي» بدون همزة، وفي ص: مهموزة، وفي هـ. ب: لا يقابل، وفي هـ. ص: أي

لا يسوي واللفظة مهموزة.

(٦) في هـ. ب: إن فقده كسر لا يجبر، وفي هـ. ص: أي لا يسد أحد مسده.

(٧) في هـ. ب: الجفوة - بالكسر - : إسم للجفاء، وبالفتح: الفعلة الواحدة منه، وفي هـ. ص: هي

غلظ الطبع وقسوة القلب.

(٨) في هـ. د: الجريم - ب وهذه غلظة مطبعية لم ترد في نسخ ب.

(٩) في هـ. ب، وفي نسخة: الحلیم.

(١٠) في هـ. ص: أي انقطاع من الوحي وآثار النبوة.

(١١) في هـ. ب: هدف.

(١٢) في هـ. ص: هي ما نحدثه النعمة عند أهلها من الغفلة الشبيهة بالسكر.

(١٣) في هـ. ب: دواهي العقوبة، وفي هـ. ص: البوائق، جمع بائقة: الداهية

(١٤) في هـ. ب: الغبار، وفي هـ. ص: القنّام: الغبار.

(١٥) في هـ. ب: العشوة: أن تركب أمراً على غير بيان، وفي هـ. ص: العشوه - بكسر العين - :

ركوب الأمر على غير بيان ووضوح.

(١٦) في هـ. ص: إعوجاج الفتنة: أخذها في غير القصد وعدولها عن النهج، انتهى من الشرح.

طُلُوعِ جَنِينِهَا^(١)، وَظُهُورِ كَمِينِهَا^(٢)، وَأَنْتِصَابِ قُطْبِهَا^(٣)، وَمَدَارِ رَحَاهَا، تَبْدَأُ^(٤) فِي
مَدَارِجِ خَفِيَّةٍ^(٥)، وَتَوَوُّلُ إِلَى فِظَاعَةٍ^(٦) جَلِيَّةٍ، شَبَابِهَا^(٧) كَشَابِ الْغَلَامِ^(٨)، وَأَنَارِهَا
كَأَنَارِ السَّلَامِ^(٩)، تَتَوَارَتْهَا^(١٠) الظَّلَمَةُ بِالْعُهُودِ، أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لآخِرِهِمْ، وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ،
يَتَنَافَسُونَ^(١١) فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ، وَيَتَكَالَبُونَ^(١٢) عَلَى جِيْفَةٍ مُرِيحَةٍ^(١٣)، وَعَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ التَّابِعُ
عَنِ الْمَتَّبِعِ^(١٤)، وَالْقَائِدُ مِنَ الْمَقُودِ، فَيَتَرَايَلُونَ^(١٥) بِالْبُعْضَاءِ، وَيَتَلَاغُونَ عِنْدَ اللَّقَاءِ^(١٦).
ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ^(١٧)، وَالْقَاصِمَةُ^(١٨) الرَّحُوفِ^(١٩)، فَتَزِيغُ^(٢٠)
قُلُوبَ بَعْدَ اسْتِقَامَةٍ، وَتَضِلُّ رِجَالُ بَعْدَ سَلَامَةٍ، وَتُخْتَلِفُ الْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا^(٢١)، وَتَلْتَسِ
الْآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا^(٢٢)، مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ^(٢٣)، وَمَنْ سَعَى فِيهَا

- (١) في هـ ب أي مستورها. وفي هـ ص: أي ما خفي منها أو بدء أولها كخروج الولد.
(٢) في هـ ص: أي ما كان مكنما. (٣) في هـ ص: عبارة عن تمامها وانتشارها.
(٤) في أ ب ص: يبدأ.
(٥) في هـ ب: أي تبدأ الفتنة في مسالك غير ظاهرة.
(٦) في هـ ب: أي أمر شنيع وفضيع مشكل. (٧) هـ ب: الشباب: نشاط الفرس.
(٨) أي شدتها كشدة الغلام وفتوته.
(٩) في هـ ب: الحجر، وفي هـ ص: هي الحجارة، واحدها: سلمة.
(١٠) في ط: يتوارثها. (١١) في هـ ب: يرغبون.
(١٢) في هـ ب، وفي رواية: ويكالبون.
(١٣) في هـ أ: مريحة: متغيرة منتنة، وفي هـ ب: منتنة، وفي هـ ص: أي ذات ريح، أي يبنازعون
الدنيا تنازع الكلاب الجيف
(١٤) في هـ ص: يعني يوم القيامة، وذكر في الفقرة الثانية تبرؤ المتبوع من التابع، انتهى من
الشرح. (١٥) أي يتفارقون.
(١٦) في ب: البقاء.
(١٧) في هـ ب: الفتنة التي يضطرب فيها، وفي هـ ص: أي التي ترجف بالناس وتزلزلهم.
(١٨) في هـ ب و ص: الكاسرة، وفي هـ د: القاصمة بدون واو - ب.
(١٩) في هـ ب: الساري في هلاك كل شيء، وفي هـ ص: التي تسير في الأرض وتنتشر.
(٢٠) في هـ ب: فتعوج.
(٢١) في هـ ب: ظهورها.
(٢٢) في أ، وفي نسخة: فضحت، وفي هـ ص: أي كسرت.

حَطَمَتْهُ^(١)، يَتَكَادَمُونَ^(٢) فِيهَا تَكَادَمَ الْخُمُرِ فِي الْعَانَةِ^(٣)، قَدْ أَضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ، وَعَمِيَ وَجْهُ الْأَمْرِ، تَغِيضُ^(٤) فِيهَا الْحِكْمَةَ، وَتَنْطِقُ فِيهَا الظَّلَمَةُ، وَتَدُقُّ أَهْلَ الْبَدْوِ بِمَسْحَلِهَا^(٥)، وَتَرْضُضُهُمْ^(٦) بِكُلْكُلِهَا^(٧)، يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا الْوُحْدَانُ^(٨)، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ، تَرْدُ بِمَرِّ الْقَضَاءِ، وَتَحْلُبُ عَيْطَ الدِّمَاءِ^(٩)، وَتَتَلِمُ^(١٠) مَنَارَ الدِّينِ، وَتَنْقُضُ عَقْدَ^(١١) الْيَقِينِ، يَهْرُبُ^(١٢) مِنْهَا الْأَكْيَاسُ^(١٣)، وَيُدْبِرُهَا^(١٤) الْأَرْجَاسُ^(١٥)، مِرْعَادُ مِبْرَاقٍ، كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ^(١٦)، تَقْطَعُ فِيهَا الْأَرْحَامُ^(١٧)، وَيَفَارِقُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ^(١٨)، بَرِيئُهَا سَقِيمٌ، وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ.

مِنْهَا: بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ^(١٩)، وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ، يَخْتَلُونَ^(٢٠) بِعَقْدِ الْإِيمَانِ، وَبِعُرُورِ^(٢١) الْإِيمَانِ. فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ^(٢٢) الْفِتَنِ، وَأَعْلَامَ الْبِدْعِ، وَالزَّمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ

(١) فِي هـ. ص: أَي مِنْ أَنْتَصَبَ بِرَفْعِهَا وَسَعَى فِي تَغْيِيرِهَا هَلَكَ: لِأَنَّ لَهَا أَمْدًا، وَكَذَلِكَ وَفَعِ الْأَمْرَ.

(٢) فِي هـ. ب: يَتَعَاَصُونَ.

(٣) هـ. ب: الْعَانَةُ: قِطْعَةٌ مِنْ حَمْرِ الْوَحْشِ، وَالْجَمْعُ: عَوْنٌ، وَفِي هـ. ص: أَي يَعِضُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَى الدِّينِ وَالتَّغْلِبَ فِيهَا، وَالْعَانَةُ: فَطِيعٌ مِنْ حَمْرِ الْوَحْشِ، هَكَذَا كَانَ حَالُ بَنِي الْعَبَسِ وَأَهْلِ دَوْلَتِهِمْ وَمَنْ يَعِزِي إِيَّيْهِمْ. (٤) أَي تَغُورُ، وَفِي هـ. ب: تَنْقُصُ.

(٥) فِي هـ. ب: الْمَسْحَلُ: حَدِيدَةٌ عَرِيضَةٌ يَجِبُ فَمُ الْفَرَسِ إِذَا أُلْجِمَ، وَفِي هـ. ص: هُوَ الْمَبْرَدُ.

(٦) فِي هـ. ب: تَدْقُهُمْ.

(٧) فِي هـ. ب: أَي صَدْرُهَا، وَفِي هـ. ص: هُوَ الصَّدْرُ، وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى شَمُولِهَا الْحَضَرَ وَالْبَادِيَةَ.

(٨) فِي هـ. ب: جَمْعٌ وَحِيدٌ، أَي: وَاحِدًا وَاحِدًا.

(٩) فِي هـ. ب: طَرِي الدِّمَاءِ.

(١٠) فِي هـ. ب: تَمَتَّ الْإِنَاءُ أَتْلَمَهُ: إِذَا كَسَرْتَ مِنْهُ شَيْئًا فَانْتَلَمَ، وَفِي السِّيفِ نَلَمَ: إِذَا كَسَرْتَ حَافَتَهُ.

(١١) فِي هـ. ب: عَقْدٌ وَعَقْدٌ - مَعًا. (١٢) فِي هـ. ب: تَهْرَبُ.

(١٣) فِي هـ. ص: الْعَقْلَاءُ، فَلَا يَدْخُلُ فِي أَمْرِهَا نَقْيٌ.

(١٤) فِي هـ. ب: مِنَ التَّنْدِيرِ.

(١٥) فِي هـ. ب: جَمْعُ رَجَسٍ، وَفِي هـ. ص: الْخَبَاءُ.

(١٦) فِي هـ. ب: شِدَّةٌ، وَفِي هـ. ص: كُلُّ هَذَا كُنَايَةٌ عَنْ شِدَّتِهَا وَكُلْبِهَا.

(١٧) فِي هـ. ص: لَا شَكَّ أَنَّ بَنِي الْعَبَّاسِ قَطَعُوا رَحِمَ آلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَطَعَ بَعْضُهُمْ رَحِمَ بَعْضٍ عَلَى الْمَمْلُوكِ.

(١٨) وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ اسْتَحَلُّوا الْغَدْرَ وَاتَّخَذُوهُ سُنَّةً وَطَرِيقَةً.

(١٩) فِي هـ. ب: الْطَلُ: إِطَالُ الدَّمِ وَهَدْرُهُ. (٢٠) فِي هـ. ب: يَخْدَعُونَ.

(٢١) فِي هـ. ص: وَغُرُورُ (٢٢) فِي هـ. أ: أَنْصَارُ، وَفِي هـ. ب: جَمْعُ نَصَبٍ.

الْجَمَاعَةِ^(١)، وَتَبَيَّنَتْ عَلَيْهِ أَوْ كَانَ الطَّاعَةَ، وَأَقْدَمُوا عَلَى اللَّهِ مَطْلُومِينَ، وَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ^(٢) ظَالِمِينَ، وَأَتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ^(٣)، وَمَهَابِطَ^(٤) الْعُدْوَانِ، وَلَا تَدْخُلُوا بُطُونَكُمْ لِعَقِّ^(٥) الْحَرَامِ، فَإِنَّكُمْ^(٦) بَعَيْنٍ مِنْ حَرَمٍ عَلَيْكُمْ الْمَعْصِيَةِ، وَسَهْلٌ لَكُمْ سَبِيلُ الطَّاعَةِ^(٧).

قوله ﷺ: «فتبينوا في قتام العِشوة»:

قال في الشرح: ولَقَتَّام، بفتح القاف: الغبار [والأقتم: الذي يعلوه قَتْمَة؛ وهو لونٌ فيه غبرة وحُمْرة]^(٨).

والعِشوة، بكسر العين: ركوب الأمر على غير بيان ووضوح. ويروى: «فتثبتوا»^(٩) في قَتَّامِ العِشوة كما قرئ: «إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا»^(١٠) و (فتثبتوا)، انتهى^(١١).

دلّ قوله على أن الرواية عنده بالياء باثنتين من تحت.

قوله ﷺ: «شبابها شباب الغلام...»:

شِبَاب بكسر الشين، مصدر شَبَّ الفرس والغلام يَشِبُّ وَيَشَبُّ شَبَاباً وشَيْباً، إذا قمص ولعب، [وأشبيته أنا، أي هيَّجته. والسَّلام: الحجارة جمع، واحده سَلِمة بكسر اللام؛ يذكر الفتنة، و] يقول: إنها تبدو في أول الأمر وأربابها يمرحون ويشبون كما يشبُّ الغلام ويمرح، ثم تتول إلى أن تعقب فيهم آثاراً، كآثار الحجارة في الأبدان، انتهى من الشرح^(١٢).

(١) من ولاية أهل البيت ﷺ

(٢) في أ: على الله وفي هـ. أ، وفي نسخة: عليه، وفي هـ. د: ولا تقدموا على الله - ف، ولا تقدمون عليه - م

(٣) في هـ. ص: جمع مدرجة: وهي السبيل.

(٤) في هـ. ص: جمع مهبط، محالها حيث تهبط.

(٥) في هـ. ب: اللعقة: ما تأخذه الملعقة. وفي هـ. ص: جمع لعقة، ما يلحق، أي قليل الحرام فضلاً عن كثيره.

(٦) في هـ. ص: أي فإن أعمالكم لا تخفى على الله

(٧) لم ترد «وسهل لكم سبيل الطاعة» في «وط وفي هـ. د: لم ترد «وسهل لكم سبيل الطاعة» في «ف ن ب ل، سبل الطاعة - ل.

(٨) في ط: وتبينوا.

(٩) من ط.

(١٠) الحجرات: ٦. (١١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٩.

(١٢) شرح نهج البلاغة ٩: ١٤٠-١٤١.

ويحتمل أن يريد أنها في أول أمرها يستخف بها ظناً بأنها لا تعقب ضرراً ثم تعقب ضرراً كبيراً، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «ثم يأتي بعد ذلك...»:

أي: يأتي بعد تقضي مدة أهل هذه الفتنة الأولى وكمال أيامها. وإلى تقضيها الإشارة بقوله: «أولهم فائد لآخرهم وآخرهم مقتد بأولهم» فأثبت لأهل هذه الفتنة أولاً وآخرها وذكر من أحكامهم حكماً دنيوياً - وهو حرصهم على الدنيا -، وحكماً أخروياً - وهو تبرؤ بعضهم من بعض -.

ولاشك أن هذه الفتنة الأولى هي فتنة بني أمية، عين اليقين. وقال: إنها إذا تكملت أيامها وتقضت جاء بعدها فتنة أخرى أعظم منها. ولا شك أن تلك الفتنة هي فتنة بني العباس ومن يتصل بهم من الأعاجم، فقد كان من في زمنهم يعترى إليهم، ومن جاء بعدهم فروع عنهم، وقد ضل بسبب فتنة بني العباس قوم كثيرون كانوا قبل على طريقة الشيعة ومن أولياء أهل البيت فصاروا لهم أعداء، والله أعلم قوله عليه السلام: «وتختلف الأهواء...»:

لا شك أن تفرق المذاهب والخوض في العقائد كان مقروناً بدعوة بني العباس وفي زمنها حصل، وذلك فتنة أخرى.

قوله عليه السلام: «قد اضطرب معقود الحبل»:

أي: حبل الحق وجماعته، وذلك افتراق الشيعة إلى زيدية ورافضة؛ فإن بني العباس والوالا الرافضة وقررو مذهب الإمامية، وعادوا الزيدية، كما هو معروف من فعل المأمون والمعتصم ومن بعدهما^(١)

(١) هذا قول من لم يعرف حقيقة العباسيين، الذين لم يوالوا أي مذهب من مذاهب أهل البيت عليهم السلام، وما تظاهر به المأمون لم يكن إلا سياسة مفطعية لامتناع نعمة الشيعة الذين ثاروا بوجه طغاة بني العباس في الشرق، وهذا كان مكشوفاً لدى القيادة الشيعية منذ البداية بكل وضوح، ولما أجبر المأمون الامام الرضا عليه السلام على قبول ولاية العهد، اشترط عليه الامام عليه السلام أن لا يتدخل في أي شأن من شؤون الدولة، وكن ذلك منه اعلانا لكافة المسلمين بأن ولاية العهد ليست واقعية، بل هي صورية محضة.

قوله ﷺ: «تغيض فيها الحكمة...»:

يريد: أن التخاطب فيها يكون بما يوافق أهواء الظلمة المدبرين لها، وحينئذٍ تغيض الحكمة وتخفى؛ لأن الحق لا يوافق الهوى، ولا شك أن مذهب أهل البيت خفي، وخاف المتمسك به وتوقى واستتر في جميع أزمان هذه الفتن وعدة المفترون بدعة.

وقوله ﷺ: «تضيع في غبارها...»:

الذي يظهر لي - والله أعلم - من معنى هاتين الفقرتين: إن الواحد ممن ينكر أمر هذه الفتنة ويدعو إلى تغييرها يضيع فلا يجاب ولا يؤبه له ولا يستمع إلى قوله، فإن اجتمع جماعة ودعو إلى تغييرها وقاموا في طريقها أي في وسط أمدّها ومدّتها ليردّوها ويبتلوها، هلكوا، أي أهلكهم أهلها وكذلك وقع الأمر، والله أعلم.

قوله ﷺ: «وتنلّم منار الدين...»:

يريد ﷺ: أنه يصيب أهل البيت وينالهم من شرّها ما يؤثّر في حالهم ويصغر من منزلتهم ويصدّ عن اتباعهم.

قوله ﷺ: «بريّها سقيم...»:

أي: من قيل فيه - من أهل هذه الفتنة - أنه بريء فهو سقيم؛ لأنّه وإن اجتنب بعض منكرتها مرتبك في بعضها، وهذا كما كان يقال في السقّاح والمأمون وغيرهما منهم ومن أتباعهم كابن أبي داود وأبي يوسف ويحيى بن أكثم وأضراهم. وكذلك معنى: «وظاعنها مقيم».

أي: من قيل فيه أنه فارقتها وانفصل عن منكراتها فإنّه باقٍ فيها لأن الرضى باليسير منها كالكثير، كيف وهم مطبقون على عداوة أهل البيت الداعين إلى سبيل الله.

قوله ﷺ: «بين قتيل مطلول وخائف مستجير»:

الأظهر أنّه يشير بذلك إلى تقسيم حال أولاده في مدّة هذه الفتنة، فقال: منهم المقتول الذي لا يطلب بدمه ومنهم الخائف المستجير، ولعلّه متصل بما يناسبه من نحو «يثلم منار الدين».

وقوله: «يختلون بعقد الأيمان»:

يرجع إلى أهل هذه الفتنة، وهذه طريقة بني العباس، فإنهم غدروا بابن هبيرة وأبي مسلم وعبد الله بن علي وغيرهم بعد تأكيد العقود، وغدر الرشيد يحيى بن عبد الله وأظهر النسك في مدة ظهوره بالجبل والديلم وهو الذي عناه عليه السلام بقوله: «وغرور الايمان»، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «والزموا ما عقد عليه حبل الجماعة» يعني ولاية أهل البيت عليهم السلام والاعتصام بهم، فهم حبل جماعة الحق كما تواترت به الأخبار، وهم أولوا الأمر المأمور بطاعتهم في قوله تعالى: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم»^(١) لأن الإمامة حق لهم مقصور عليهم كما قضى به فحوى الأحاديث المتواترة معنى، والله أعلم.

ومن خطبة له عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّالِّ عَلَى وَجُودِهِ بِخَلْقِهِ، وَيُمَحِّدُ خَلْقِهِ عَلَى أَرْزَاقِهِ، وَيَأْتِيهِمْ^(١) عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ^(٢)؛ لَا تَسْتَلِمُهُ^(٣) الْمَشَاعِرُ^(٤)، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَابِرُ؛ لِافْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ، وَالْحَادِّ وَالْمَحْدُودِ، وَالرَّبِّ وَالْمَرْبُوبِ، الْأَحَدِ لَا يَتَأَرَّلِ^(٥) عَدَدٌ، وَالْخَالِقِ لَا بِمَعْنَى حَرَكََةٍ وَنَصَبٍ، وَالسَّمِيعِ لَا بِأَدَاةٍ، وَالْبَصِيرِ لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ^(٦)، وَالشَّاهِدِ لَا بِمُاسَّةٍ، وَالْبَائِنِ لَا بِتَرَاخِي مَسَافَةٍ، وَالظَّاهِرِ لَا بِرُؤْيَةٍ، وَالْبَاطِنِ لَا بِلَطَافَةٍ.

بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْفَهْرِ لَهَا، وَالْقُدْرَةُ عَلَيْهَا، وَيَانَتْ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ، وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ. مَنْ وَصَفَهُ^(٧) فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَرْزَاقَهُ، وَمَنْ قَالَ: «كَيْفَ» فَقَدْ اسْتَوْصَفَهُ، وَمَنْ قَالَ: «أَيْنَ»، فَقَدْ حَيَّرَهُ، عَالِمٌ إِذَا لَا مَعْلُومٌ، وَرَبٌّ إِذَا لَا مَرْبُوبٌ، وَقَادِرٌ إِذَا لَا مَقْدُورٌ.

ومنها:

قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ، وَلَمَعَ لَامِعٌ؛ وَلَاحَ لَاحِقٌ، وَأَعْتَدَلَ مَائِلٌ، وَأَسْتَبَدَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ قَوْمًا، وَيَوْمٍ يَوْمًا؛ وَأَنْتَظَرْنَا الْغَيْرَ أَنْتَظَرَ الْمَجْدِبِ الْمَطَرِ.

وَإِنَّمَا الْأَيِّمَةُ قُورَاءُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَعُرْقَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ.

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ، وَأَسْتَخْلَصَكُمْ^(٨) لَهُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَسْمُ سَلَامَةٍ، وَجَمَاعٍ كَرَامَةٍ، أَصْطَفَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُجَهُ وَبَيَّنَّ حُجَجَهُ، مِنْ ظَاهِرٍ^(٩) عِلْمٍ^(١٠)، وَبَاطِنٍ حِكْمٍ؛ لَا تَقْنَى

(١) في ب: وبأشباهم، وفي هـ. ب في نسخة: وبأشباهم.

(٢) في هـ. د: لا شبيه له - م. (٣) في هـ. ب: لا تستلمه، بمعنى المس.

(٤) في هـ. ب: الحواس، ويكون في اللغة مواضع المناسك.

(٥) في ط: بلا تأويل. (٦) في هـ. د: بلا تفريق آلة - ب.

(٧) في هـ. ص في نسخة زيادة: سبحانه. (٨) في هـ. د: واستخلصكم - ب.

(٩) في هـ. د: وظاهر حلم - حاشية م. (١٠) في هـ. ب: هو القرآن.

غَرَائِبُهُ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ.

فِيهِ مَرَايِعُ^(١) النِّعَمِ، وَمَصَابِيحُ الظُّلَمِ، لَا تُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِيحِهِ^(٢)، وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ^(٣)، قَدْ أَحْمَى حِمَاهُ^(٤)، وَأَرْعَى مَرْعَاهُ^(٥)، فِيهِ شِفَاءُ الْمُشْتَفِي، وَكِفَايَةُ الْمُكْتَئِفِي.

قوله عليه السلام: «الحمد لله الدال على وجوده بخلقه»:

اعلم انه يستدل على ان للعالم صانعاً بطريقتين:

إحداهما: الطريقة المذكورة في هذا الفصل، وهي طريقة المتكلمين، وهي إثبات أن الأجسام محدثة، ولا بدّ للمحدث من محدث.

والثانية: إثبات وجوده تعالى من النظر في نفس الوجود.

وذلك لأنّ الوجود ينقسم بالاعتبار الأوّل إلى قسمين: واجب وممكن، وكلّ ممكن لا بدّ أن ينتهي إلى الواجب، لأنّ طبيعة الممكن يمتنع من أن يستقلّ بنفسه في قوامه؛ فلا بدّ من واجب يستند إليه؛ وذلك الواجب الوجود الضروري الذي لا بدّ منه، هو الله تعالى. انتهى من شرح ابن أبي الحديد^(٦).

ويمكن أن يقال في تقرير هذين الطريقتين وبيانهما: الحادثات المشاهدة حدوثها أجسام وعراض حصلت بعد أن لم تكن، فثبت لها حكم الخروج من العدم إلى الوجود وحصلت مترتبة ومختلفة في الأجناس والأقدار والهيئات، وفي النموّ وعدمه وحيوانية والجمادية، والطبائع والألوان، والبقاء ومدّته، والفناء وأوقاته وأسبابه، وفيها من غرائب الحكمة وبدائع الصنعة ما يحير مقل العقول ويبلّد الفكر، فلا بدّ من مؤثّر أخرجها من العدم إلى الوجود، ورتبها، وخالف بينها وأقامها وأفندها.

(١) في هـ. ب: الأمطار التي تجيىء في أول الربيع.

(٢) في أ و ب و ص و د: بمفاتيحه، وفي هـ. د: بمفاتيحه - ض ح م.

(٣) في أ و ب و د: بمصباحه، وفي هـ. د: بمصاييحه - ن ض ح.

(٤) في هـ. ب: أي منع المحرّمات. (٥) في هـ. ب: أي أحل الطّيبات.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٤٨.

لا يجوز أن يكون المؤثر موجباً من علّة أو طبع أو دهر - كما يزعمه المثبتون لهذه المؤثرات -، لما علم من اختلافها في جميع أمورها وترتب حصولها وأحوالها واختلاف وجوه حكمها، فلو كان المؤثر موجباً لما وقع بينها اختلاف ولا ترتب، لأنّ تأثير الإيجاب بخلاف ذلك؛ لوجوب وقوعه دفعةً على وجه واحد - كما يزعمون -.

ولا يجوز أن يكون كلّ واحد منها فاعلاً لنفسه متحيّزاً في ذلك؛ لوجوب تقدّم المؤثر المتخيّر على أثره ضرورة؛ لأنّ من تلك الآثار الفناء والنقص المنفور عنها، فلا يوقعها المختار في نفسه.

ولا يجوز أن شيئاً منها أوجد شيئاً غيره؛ للقطع ضرورة بعجز كل جسم عن إبداع جسم آخر، ألا ترى أنّ الحيوان ذا العقل والأدوات لا يستطيع ذلك - كما يعلمه كلّ أحد ضرورة من حال نفسه ونظيره؛ فبالأولى غير الحيوان الناطق.

فألجأنا الضرورة إلى إثبات موجد لها مخالف بينها مرتب لها مقيم لها ومفني لها مضمّن لها ضرورياً من الحكمة الباهرة فأدعنا به وأثبتنا منه قدر الضرورة فقط؛ لئلا نثبت ما لا دليل عليه.

ثم أنا وجدنا جملة العالم المشتملة على هذه الجزئيات الحادثات المشاهدة الحدوث من السماء والأرض والنيرات، مساوية لهذه الأشياء في الجسمية وصفاتها قطعاً، وحكم المتماثلين في مقتضى الحكم واحد، فنقطع بحدوثها واحتياجها إلى محدثها ضرورة. على أنّ هذه الأصول في نفسها دليل حدوثها؛ لأنّ منها: المرتفع، ومنها: المنخفض، ومنها: المنير، ومنها: المظلم، ومنها: السائر، ومنها: المقيم، ويعتريها النقص والزيادة، والتساقط، والتخسف والانفراج، والإلتيام، والاشراق، والاضلام، وطمس نور المنير، وأقول المظاهر المرتفع في أوقات تتفق وتختلف، فهذا دليل حدوثها؛ إذ القديم لا يتأثر ولا يتغيّر.

فلا بدّ لهذه الحادثات من محدث مختار؛ لوضوح التخيّر في هذا التأثير، قادر؛ لاستمرار تأثيره واطراده، عالم لوضوح الحكمة في آثاره واطرادها، حي؛ لضرورة كون المختار القادر العالم حيّاً.

فهذا دليل كاف في إثبات المؤثر وفي وصفه بأنه مختار قادر عالم حي.
ويقال في تقرير الطريق الآخر. الوجود إما أن يكون كله واجباً، أو كله جائزاً، أو بعضه واجباً وبعضه جائزاً.

لا يجوز أن يكون كله واجباً؛ لضرورة العلم بتجدد أكثر الموجودات، ولا أن يكون كله جائزاً؛ لوجوب افتقار الموجود الجائز إلى موجد، فلزمنا - بالضرورة - إثبات موجود واجب لا يجوز عليه العدم، فثبت القسم الثالث، وهو أن بعض الوجود جائز وبعضه واجب. وأثبتنا من الواجب الذي دعت إليه الضرورة بقدرها، وهو موجود واجب لئلا نثبت ما لا دليل عليه

ثم إننا نقول: لما كانت الضرورة - التي ألجأتنا إلى إثبات مؤثر قديم - وجدان أثر خارج عن قدر الأجسام، ووجدنا ظاهر القرآن من ذلك الأثر؛ بدليل عجز أفصح متكلمي أمة هي أفصح أمة أخرجت للناس عن معارضته، مع التحدي لهم به ووفور رغباتهم في إبطال دعوى من جاء به، كما يعلمه ضرورة من نظر في أحوالهم التي تنهت إلى تلفهم، نسبنا القرآن إليه، واستدللنا به على ما يصح إطلاقه على ذلك المؤثر من الأوصاف وما لا، وما ينسب إليه من الأفعال وما لا، وصح الاستدلال على ذلك بما صح عن رسول الله ﷺ وبما صح عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وبما أجمعت عليه الأئمة؛ إذ في القرآن حقيقة هذه الأدلة. وهذا الدليل هو الذي أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله في خطبة الأشباح: «فانظر أيها السائل... إلى آخر كلامه والله أعلم وبه استعصم.

قوله عليه السلام: «وبمحدث خلقه على أزليته»:

أشار عليه السلام إلى بيان أزليته - تعالى - بما معناه: أن العالم مخلوق له سبحانه، حادث من جهته والمحدث لا بد له من محدث فإن كان ذلك المحدث محدثاً عاد القول فيه كالقول في الأول ويتسلسل فلا بد من محدث قديم، وذلك هو الله تعالى، انتهى من الشرح^(١).

قوله عليه السلام: «وباشتباههم على أن لا شبه له»:

أشار عليه السلام إلى بيان أن الله لا يشبهه شيء، أن قال: إن مخلوقاته متشابهة، يعني بذلك ما يريده المتكلمون من قولهم: الأجسام متماثلة في الجسمية، وإن نوع الجسمية واحد، أي لا يخالف جسم جسمًا بذاته، وإذا كانت متماثلة صح للآخر، فلو كان الله سبحانه سبيه منها - أي لو كان جسمًا مثلها - لوجب أن يكون محدثًا مثلها أو تكون قديمة مثله، وكلا الأمرين محال، انتهى من الشرح^(١).

وقد سبق نقل كلام القاسم: من أن الضرورة قاضية باختلاف حقيقة المؤثر والمؤثر، وبأنه لا بد للمؤثر من خلاف في حقيقته هو المؤثر^(٢).

قوله عليه السلام: «لا تستلمه المشاعر»، وروي «لا تلمسه»:

وبيان ما أراده: أنه إذا كان يقال: ليس بجسم، استحال أن تكون المشاعر لامسة له؛ لأن إدراك المشاعر مدركاته مقصور على الأجسام وهيئاتها. والاستلام في اللغة: لمس الحجر باليد وتقبيله؛ ولا يهمز. لأن أصله من السلام، وهي: الحجارة، انتهى من الشرح^(٣).
قوله عليه السلام: «ولا تحجبه السواتر»:

بيانه أن السواتر والحجب؛ إنما تحجب ما كان في جهة؛ وذلك لأنها ذوات الأين والوضع.

ثم قال عليه السلام: «لافتراق الصانع والمصنوع»:

إشارة إلى أن المصنوع من ذوات الجهة والصانع منزّه عن ذلك؛ بريء عن المواد، فلا يلزم فيه ما يلزم في ذوات المادة والجهة؛ انتهى من شرح ابن أبي الحديد^(٤).

ويظهر لي أنه عليه السلام أشار بقوله: «لافتراق الصانع والمصنوع... إلى آخره» إلى برهان الأحكام الثلاثة، وهي كونه لا يشبهه شيء، ولا يدرك بالحواس، وأنه لم يحتجب عن رؤية خلقه له بشيء، والحكمان الآخران داخلان في الحكم الأول لكنه خصهما لقوة

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٤٨.

(٢) في هـ. ص: وقد سبق كلام القاسم من أن الضرورة قاضية باختلاف حقيقة المؤثر، وبأنه لا بد للمؤثر من خلاف.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٤٨.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٤٩.

التوهم فيهما، ومن ثم قال بهما من لم يقل بمطلق التشبيه.

وبيان هذا البرهان: أن الضرورة قاضية باختلاف ذات المؤثر وذات المؤثر، وهذا البرهان قد أوضحه القاسم بن إبراهيم وجعله أقوى دليل على وجود الصانع، وقد نقلت شطراً من كلامه فيما سبق، ومنه قوله: «وإذا كان ذلك كذلك وصح ما ذكرنا في النفوس من ذلك كان واجباً وجوب اضطرار وثابتاً في النفوس في أييت قرار، دركه سبحانه ووجوده عند دركها ووجودها؛ إذ هو سبحانه خلاف لكل ما يوجد من موجودها، انتهى. وكلامه بسط في الدليل الكبير، وفي مناظرانه للملحد، فخذ من هنالك إن أحببت، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «الأحد لا يتأويل عدد... إلى قوله: والرجوع إليه»:

اعلم أنه عليه السلام لما قرّر أن التوحيد: نفي التوهم، تبّه على دفع الوهم لعارض عند إطلاق الأوصاف عليه سبحانه لما كانت قد تطلق على غيره بمعانٍ لا تصحّ في حقّه، والوهم يذهب إلى ما تألفه النفوس، وإنما معنى كونه سبحانه أحداً أنّه لا ثاني له في الربوبية، ومعنى كونه خالقاً ما عناه سبحانه بقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١)، وذلك لكونه قادراً بذاته لا لمعنى يحلّ الله يعملها، فيلحقه لازم الأعمال وهو الحركة والنصب.

ومعنى كونه سميعاً؛ هو أنّه عالم بالمسموعات، ومعنى كونه بصيراً هو أنّه عالم بالمبصرات، وعلمه بالمعلومات هو بذاته لا بمعنى، ولا بأمر زائد على ذاته، فهو مستغن عن الأداة والآلة وهما مستحيلان في حقّه؛ لأنّهما من لواحق الأجسام.

وراد عليه السلام بالآلة التي أشار إلى أنّ الواحد ممّا يفرقها على المبصرات: البصر، الذي هو معنى في الحقيقة يفرقه المبصر على المرئيات بواسطة الهواء يوصله له إلى كل مرئي، لا أنّه أراد به الشعاع الذي هو - عند زاعميه - جسم، فإنّ إثباته بعيد أو محال، والله أعلم.

والمراد بالشاهد غير الغائب، ولما كان يلزم الحاضر بجسمه مماسة المحضور عنده، نفى اللازم لينتفي ملزومه ويخلص المعنى في الحاضر بعلمه، ولما كان المتبادر من وصف الجسمين بالبينونة بعد ما بينهما، نفاه؛ دفعاً لتوهمه في حقّه تعالى.

ثم لما كان معنى الوصف بالبينونة محتاجاً إلى البيان في حقه تعالى بيّنه ﷺ بقوله: «بان من الأشياء بالقهر لها، والقدرة عليها، وبانت الأشياء منه بالخضوع له، والرجوع إليه».

قال في الشرح: «هذا هو معنى قول المتكلمين والحكماء، والفرق بينه وبين لموجودات كلّها أنه واجب الوجود لذاته، والأشياء كلّها ممكنة الوجود بذواتها؛ فكلّها محتاجة إليه، لأنّها لا وجود لها إلّا به؛ وهذا هو معنى خضوعها له، ورجوعها إليه. وهو سبحانه غنيّ عن كلّ شيء؛ ومؤثر في كلّ شيء؛ إمّا بنفسه، أو بأن يكون مؤثراً فيما هو مؤثر في ذلك الشيء، كأفعالنا، فإنّه يؤثر فينا؛ ونحن نؤثر فيها، فإذا هو قاهر لكلّ شيء؛ وقادر على كلّ شيء. فهذه هي البينونة بينه وبين الأشياء كلّها. انتهى^(١).

قلت: وذلك نفس ما قاله القاسم: إنّ الضرورة أثبتت مؤثراً مخالفاً للمؤثر كما سبق تقريره، والله أعلم.

قوله ﷺ: «من وصفه... إلى قوله: أزله»:

يريد إنّ من أثبت لله صفة زائدة على ذاته فقد استلزم قوله هذا أنّ الباري سبحانه محدود الذات؛ وذلك لأنّ إثبات صفة زائدة على الذات يفترض أنها متميّزة عن الذات في المفهوم، ولا يتميّز مفهومها عن الذات، إلّا إذا كان كلّ واحد متناهيّاً في العقل. ولا يتناهى في العقل إلّا ما كان له حدود تحصره، وكل ما شملته الحدود فإنّه ملزوم لكونه معدوداً، والعدد لازم للأجسام والأعراض من حيث أنّه لا يمكن إلّا في حق متناهي الأقطار، وليس ذو الأقطار المتناهي إلّا الجسم والعرض. فبيّن ﷺ أنّ إثبات الصفة الزائدة وجعل ذات الباري تعالى محدوداً وكونه معدوداً متلازمة، من أثبت واحداً منها لزمه الآخران، والله أعلم.

قوله ﷺ: «ومن قال: كيف؟ فقد استوصفه» أي: سأل مخاطبه وصف الله بما لا يجوز عليه من الكيفيّات، فكان جاهلاً به؛ لأنّه جوّز عليه ما لا يجوز كواصفه بها. والكيفيّات هي الألوان والطعوم ونحوها، والأشكال، والمعاني، وما يجري مجرى ذلك من حلى الأجسام.

فضمير المفعول في «استوصفه» واقع موقع المفعول الثاني في قولك: استوصفت زيداً الشيء أنفلاني، أي: سألته أن يصفه لي.
قوله ﷺ: «ومن قال: أين؟ فقد حيزه»:

وذلك لأن «أين» سؤال عن المكان وليس الله في مكان، وقد بيّن ﷺ في هاتين الفقرتين ما لا يجوز إطلاقه في حقّه تعالى. وإذا قيل الله في كل مكان فبمعنى محيط علمه.
قوله ﷺ: «عالم إذ لا معلوم، وربّ إذ لا مربوب، وقادر إذ لا مقدور» أي: ليس اتصافه بهذه الأوصاف وهي أنّه عالم، وأنّه ربّ، وأنّه قادر، بمرتبة على وجود المعلومات والمربوبات والمقدورات، بل هو مستأهل في الأزل للوصف بها؛ وذلك لأنّ ذاته لما كانت ذاتاً مخصوصة مخالفة لكلّ الذوات لا مشاركة بينها وبين الذوات في أمر ولا مفهوم، كان بخصوصيتها عالماً لكل معلوم؛ وقادراً على كلّ مقدور، ومالكاً لكل مملوك، قبل وجدان المعلومات والمقدورات والمملوكات، فلا جرم كان الباري في الأزل مستأهلاً للوصف بهذه الأوصاف.

وفي قوله ﷺ هذا دليل على بطلان قول من يُثبت الذوات في الأزل؛ لأنّها إن كان لها مفهوم حقيقيّ يمكن تعقله فهي معلوم ومربوب ومقدور، وقد نفاه ﷺ.

وإن لم يكن لها مفهوم حقيقيّ يعقل، فهو إثبات ما لا يعلم، وقد قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١).

واعلم: أنّه إذا تحقّق لك أنّ اتصاف الباري سبحانه في الأزل بأنّه عالم وبأنّه ربّ وبأنّه قادر، هو بمعنى أنّه هل لأن يوصف بهذه الصفات يصف هو بها نفسه ويصفه بها خلقه عند وجوده

والصفات هي الإضافات مثل هو عالم، هو قادر، هو ربّ أي مالك، صحّ أن يقال: إنّ سبحانه في الأزل مستأهل لأن يوصف بأنّه خالق وكريم ومحسن من صفات الأفعال؛ لأنّ الفاعل يوصف بفعله الذي يوقعه قبل إيقاعه اتفاقاً، وإنّما الخلاف في أن وصفه به على وجه الحقيقة أو المجاز، فقد اتفقت الأوصاف في أنّ الباري سبحانه مستأهل في الأزل

لأن يوصف بها فيما لا يزال وأن يصف بها نفسه قبل خلقه، وإنما افترقت من حيث أن إضافات الصفات الذاتية تُفهم تحقق الاتصاف بمفهومها في الأزل.

فإنه يعلم في الأزل جميع معلوماته، ويقدر في الأزل على جميع مقدوراته، وإن إضافات الصفات الفعلية تفهم أن الاتصاف بمفهومها حقيقة إنما هو فيما لا يزال. وإلى هذا الذي حققناه من اعتبار تساوي الوصفين في مصحح الإطلاق وافتراقهما في الأفهام أشار كلام الأئمة عليهم السلام:

قال زين العابدين عليه السلام: «ليس منذ خلق استحق اسم الخالق، بل هو مستأهل لأن يسمى باسم الخالق قبل أن يخلق».

ومن ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: «ربّ إذ لا مربوب» على القول الراجح - وهو أن ربّاً ومالكاً من صفات الأفعال، كما هو قول المرتضى وأبي القاسم البلخي وغيرهما. وقال القاسم: إن صفات الأفعال ما ثبتت بعد أن لم تكن أي ما ثبت مفهومها بعد أن لم يكن لا استيهال الله للوصف بها فهو أزلي، فلا تنافي بين كلاميهما - كما توهمه بعضهم - لاختلاف الاعتبارين.

وفي كلام الهادي ما هو كالتفصيل والتوضيح لمراديهما؛ لأنه قال في الصمد والكريم والمحسن: لا يقال: إنه لم يزل متفضلاً مصموداً؛ لأنه يلزم قِدَم المتفضل عليه والقاصد، ولا يقال: إنه كان غير متفضل ولا مقصود؛ لما فيه من توهم الذم في اللفظ.

بل يقال: لم يزل المتفضل المصمود. إلى آخر الكلام.

فهذه الصفات أفاعيل من الواحد الجليل، فقد كان ولما يفعل، انتهى.

أراد: أنه مع اللام أدلّ على المعنى المقصود من أنه تعالى أهل لأن يوصف بهذه المحامد، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «قد طلع طالع... إلى قوله: المطر»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: هذه خطبة خطب بها بعد قتل عثمان حين أفضت الخلافة إليه.

[قد طلع طالع، يعني عود الخلافة إليه، وكذلك قوله: «ولمع لامع، ولاح لائح»؛ كلّ هذا

يراد به معنى واحد.

«واعتدل مائل» إشارة إلى ما كانت الأمور عليه من الاعوجاج في أواخر أيام عثمان، واستبدل الله بعثمان وشيعته علياً وشيعته، وبأيام ذاك أيام هذا.

ثم قال: «وانتظرونا الغير انتظار المجدب المطر»^(١).

وهذا الكلام يدل على أنه قد كان يتربص بعثمان الدوائر، ويرتقب حلول الخطوب بساحته، ليأتي الخلافة.

فإن قلت: أليس هو الذي طلق الدنيا، فأين هذا القول من طلاقها؟

قلت: إنه طلق الدنيا أن يقبل منها حظاً دنيوياً، ولم يطلقها؛ أن ينهي فيها عن المنكرات التي أمره الله تعالى بالنهي عنها، ويقم فيها الدين الذي أمره الله بإقامته، ولا سبيل له إلى النهي عن المنكر والأمر بالمعروف إلا بولاية الخلافة.

[عقيدة علي عليه السلام في عثمان ورأي المعتزلة في ذلك]:

فإن قلت: أيجوز على مذهب المعتزلة أن يقال: إنه عليه السلام كان ينتظر قتل عثمان، انتظار المجدب المطر؛ وهل هذا إلا محض مذهب الشيعة!

قلت: إنه عليه السلام لم يقل: «وانتظرونا قتله» وإنما انتظر الغير، فيجوز أن يكون أراد انتظار خلعه وعزله عن الخلافة، فإن علياً عليه السلام عند أصحابنا كان يذهب إلى أن عثمان استحق الخلع بإحداثه، ولم يستحق القتل؛ وهذا الكلام إذا حمل على انتظار الخلع كن موافقاً لمذهب أصحابنا، انتهى^(٢).

قلت: لعمرى لقد لزمه مذهب الشيعة من حيث لا يدري، فإن المرتضى عند ما قرّر في مقاولته مع قاضي القضاة أن قتل عثمان كن حقاً وصواباً، مازاد على أنه استحق الخلع ولعزل، قطالبوه به فامتنع ومانع حتى تدرج الأمر إلى قتله، كسائر من لم يندفع عن المنكر بالتي هي أحسن؛ وذلك لأن توليته عليهم مع استحقاقه الخلع منكر يجب دفعه بحسب الإمكان، هذا حصل تقرير المرتضى عليه السلام، فهو على ما ذكره الشارح لازم له ولأصحابه.

هذا، وأمّا تفسير الشيعة لهذا الكلام فإنهم يقولون: معنى «انتظر الغير» انتظار تغيير

(١) من شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٥٠. (٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٥٣.

لأُمور يرجوع الولاية إلى من جعلها الله فيه فيسلك بالأمّة طريق الكتاب والسنة، ويخالف طريق العادلين عنها، وهذا المعنى في كلامه كثير.

ويدلّك على أن هذا مراده: أنّ الجمل الأولى من قوله ﷺ «قد طلع طالع... إلى قوله: يوماً» مضمونها واقع بعد قتل عثمان، فكذاك هذه المعطوفة عليها، والله أعلم. قوله ﷺ: «وإنّما الأئمّة قوّام الله»:

أي: يقومون بمصالح الخلق، والعرفاء: جمع عريف؛ وهو النقيب والرئيس؛ يقال: عرّف فلان بالضم عرافة بالفتح. مثل خَطَب خطابة أي: صار عريفاً، وإذا أردت أنّه عَمِلَ ذلك قلت: عَرَف فلان علينا سنين، يعرف عِرافة بالكسر. مثل كَتَبَ يكتبُ كتابة، انتهى من الشرح (١).

وقوله ﷺ: «أنكروهم وأنكروه» أي: أنكر طريقهم، وأنكروا طريقه، أي: خالفهم وخالفوه كما قال ﷺ: «وأهل بيني أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفتهم قبيلة اختلفوا فصاروا حزب الشيطان»

قوله ﷺ: «من ظاهر علم» بيان حججه التي مجموعها القرآن وتمام الكلام في وصف القرآن، والله أعلم

قوله ﷺ: «قد أحمى حماه...» أي: عرضه لأن يحمي، أي: قد عرض الله القرآن ومحارمه لأن يجتنب ومكّن منها.

«وأرعى مرعاه» لأن يرعى أي: مكّن من الانتفاع بما فيه من الزواجر والمواعظ، انتهى من الشرح (٢).

وأقول: إن في تفسيره هذا قلقاً، والأظهر أن مراده ﷺ: قد أحمى حمى القرآن أي: منع من تفسير متشابهه بالرأي، بل يجب الإمساك عن خصوصيات تأويله والإقرار بحملته.

«وأرعى مرعاه» أي: محكمه، فهو الذي ينظر في معانيه وهذا كما قد قررنا سابقاً من كلامه ﷺ إن المتشابه لا يعلم تأويله إلّا الله، وإنما لزم تفسير الشارح القلق لأنّه أعاد الفقرة الأولى إلى أحكام القرآن والآخرة إلى نفس القرآن فتأمل، والله أعلم.

ومن خطبة له عليه السلام:

وهو ^(١) في مُهَلَّةٍ مِنْ اللَّهِ يَهْوِي ^(٢) مَعَ الْغَافِلِينَ، وَيَعْدُو ^(٣) مَعَ الْمُذْنِبِينَ، بِلَا سَبِيلٍ قَاصِدٍ ^(٤)، وَلَا إِمَامٍ قَائِدٍ ^(٥).
مِنْهَا:

حَتَّى إِذَا كَشَفَ ^(٦) لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ، وَاسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلَابِيبِ غَفْلَتِهِمْ ^(٧)،
إِسْتَقْبَلُوا مُذْبِرًا ^(٨)، وَاسْتَدْبَرُوا مُقْبِلًا، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طُلُبَتِهِمْ، وَلَا بِمَا قَضَوْا مِنْ
وَطَرِهِمْ ^(٩). وَإِنِّي ^(١٠) أَحْذَرُكُمْ ^(١١) وَنَفْسِي هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ ^(١٢)، فَلْيَنْتَفِعْ أَمْرُؤُ بِنَفْسِهِ ^(١٣) فَإِنَّمَا
الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَانْتَفَعَ بِالْعِبَرِ، ثُمَّ سَلَكَ جَدَدًا ^(١٤) وَاضِحًا، يَتَجَنَّبُ فِيهِ
الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي ^(١٥)، وَالضَّلَالَ فِي الْمَغَاوِي ^(١٦)، وَلَا يُعِينُ ^(١٧) عَلَى نَفْسِهِ الْغَوَاةَ

(١) في هـ. ب: أي المكلف.

(٢) في هـ. ص، وفي نسخة زيادة: بهـ.

(٣) في ص: ويعدو.

(٤) في هـ. ص: القاصد: الموصول إلى المطلوب.

(٥) في هـ. ص: أي ليس له بصيرة ولا هدي.

(٦) في هـ. ص: لكاشف هو الله تعالى، وكأن قد سبق ذكره إما لفظاً أو معنى.

(٧) في هـ. ص: كأن الغفلة كنت لباساً عليهم. (٨) في هـ. ب: أحوال يوم لقيامة.

(٩) في هـ. ب: حاجتهم.

(١٠) في ب و ص: فإني.

(١١) في هـ. د: احذرهم - ش، فإني أحذرهم - ش.

(١٢) في هـ. ص: وروي: «هذه المزة» مفعلة من الزلل.

(١٣) في هـ. ص: أي لا يعتمد على التقليد وعنده آلة الاستبصار، فإن لم يكن بصيراً في المسائل

استصر في المسؤول، فاعتمد على من هدى الله ومن قام الدليل على أن الحق معه، والله أعلم.

(١٤) في هـ. ب: طرق واضحة، وفي هـ. ص: أي طريقاً ومدعباً يشهد بصحته العقل والنقل.

(١٥) في هـ. ب: المساقط، وفي هـ. ص: جمع مهواة، وهي الهوة، وهي هنا: قضايا الهوى.

(١٦) في هـ. ص: جمع مغواة: ما يغوى فيه، وهي هنا: الشبهة.

(١٧) في ص: ولا يعين.

بِتَعَسُّفٍ^(١) فِي حَقِّ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نَطْقٍ، أَوْ تَخَوُّفٍ^(٢) مِنْ صِدْقٍ.

فَأَفِقْ^(٣) أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ، وَاسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ، وَاخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ وَأَنْعِمِ^(٤) الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِمَّا لَابَدًا مِنْهُ، وَلَا مَحِيصَ^(٥) عَنْهُ، وَخَالَفَ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ، وَدَعَا، وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ، وَضَعَ فَخْرَكَ، وَاخْطَطَّ كِبْرَكَ، وَادْكُرْ قَبْرَكَ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ^(٦)، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ^(٧)، وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ، وَمَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدُمُ عَلَيْهِ غَدًا، فَاْمْهَدْ لِقَدَمِكَ، وَقَدِّمُ لِيَوْمِكَ، فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ^(٨) أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ، وَالْجِدَّ الْجِدَّ أَيُّهَا الْغَافِلُ (وَلَا يَبْهَتُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ)^(٩).

إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ^(١٠) اللَّهِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، الَّتِي عَلَيْهَا يُثَبِّبُ وَيُعَاقِبُ، وَلَهَا يَرْضَى وَيَسْخَطُ، أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْدًا - وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ^(١١)، وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ - أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا لَاقِيًا رَبَّهُ بِخُصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ لَمْ يَنْبُ مِنْهَا، أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فِيمَا أَفْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ بِهَلَاكِ نَفْسٍ^(١٢)، أَوْ يَعْرِ^(١٣) بِأَمْرِ فَعَلَهُ غَيْرُهُ؛ أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ، أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ، أَوْ يَمْشِيَ فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ.

(١) في هـ. ب: الأخذ على غير الطريق، وفي هـ. ص: أي بأن يتكلف في تقرير الحق بما ينبو عن أذهان الخصوم ولو كان المحتج له حقاً أو تحريف في نطق بأن يغير ألفاظ الأدلة فيجد خصمه عليه بذلك مطعناً أو تخوفاً من صدق، بل يؤثر الصدق حيث يضره على الكذب حيث ينفعه.

(٢) في ب: أو تخويف، وفي هـ. د: أو تخويف - ش، وفي هـ. ب: أي تنقص.

(٣) في هـ. ب: أفق؛ صح من مرضه وغشيانه.

(٤) في هـ. ب: بالغ. (٥) في هـ. ب: لا معدل.

(٦) في هـ. ص: أي أذكر أنك ستموت فتذل ولا ينفعك الكبر، بل يضرّك.

(٧) في هـ. ب: أي كما نفعله تجازي، وفي هـ. ص: أي إنك تجزي بعملك فأصلحه.

(٨) في هـ. ب: «الحذر الحذر» للماضي، و«الجد الجد» للمستقبل.

(٩) فاطر: ١٤.

(١٠) في ب: كرائم، وفي هـ. ب، وفي نسخة: عزائم، وفي هـ. د: كرائم - ش، وفي الهامش: عزائم.

وفي هـ. ص: عزائم الله قضاياه المبتوتة التي يجزي العباد على وفقها.

(١١) في هـ. ص: أي في العبادة من الصلاة والصيام والصدقة

(١٢) في ب: نفسه، وفي هـ. ص: أي يقتل نفساً لتشفى غيظه، انتهى من الشرح.

(١٣) في أ و ب: يقر، وفي هـ. ص: أي ينسب فعله الصحيح إلى غيره.

اعْقِلْ ذَلِكَ^(١)؛ فَإِنَّ الْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شِبْهِهِ. إِنَّ الْبَهَائِمَ هَمُّهَا بَطُونُهَا، وَإِنَّ السَّبَاعَ هَمُّهَا
الْعُدْوَانُ^(٢) عَلَى غَيْرِهَا، وَإِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْفَسَادُ فِيهَا.
إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ^(٣)، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ^(٤)، إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ^(٥).

* * *

قوله ﷺ: «وهو في مهلة...» يصف إنساناً من أهل الضلال غير معيّن، بل من انطبقت
عليه الصفات، واعلم أنه ﷺ يشير في هذا الكلام إلى المذاهب المخالفة للحق ويخبر عن
أهلها، وهو من جملة الغيوب التي أسرها إليه رسول الله ﷺ.
قوله ﷺ: «استقبلوا مديراً...»:

قال في لشرح: في قوّة هذا الكلام أن تقول. عرفوا ما أنكروا وأنكروا ما عرفوا، انتهى^(٦).
قلت: فالمراد بالمدير: ما كانوا يجهلونه من الحق ومعرفة الصواب وإرادة الإصلاح إذا
رجعوا إلى دار التكليف.

«واستدبروا مقبلاً» أي: فاتهم الإصلاح في وقته وتبين الحق والصواب في وقت
الانتفاع به، وهو وقت التكليف، والله أعلم.

وفوله ﷺ: «فلم ينتفعوا بما أدركوا من طلبتهم»:

يريد أنهم طلبوا الحق فأدركوا لباطل فلم ينتفعوا به كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ
بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً...﴾ الآيات^(٧) وكما قال: ﴿وبدا لهم من الله ماله ي كونوا
يحتسبون﴾^(٨)، ونحو ذلك ممّا يدل على هذا المعنى.

«ولا بما قضو من وطّهرهم»: يعني ما نالوه بسبب تلك المذاهب من الرئاسة والرفعة
والنعمة.

قوله ﷺ: «فإني أحذركم ونفسي هذه المنزلة»:

(١) لم ترد «ذلك» في ص، وفي هـ. ب: أي إجعل هذا معقولاً لك.

(٢) هـ. ب: أي التعدي. (٣) في هـ. ص: نفى عنهم التكبر والاعتداء.

(٤) في هـ. ص: نفى عنهم الركون إلى الدنيا واستلذاذها.

(٥) في هـ. ص: نفى عنهم نسيان الآخرة. (٦) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٥٨.

(٧) الكهف: ١٨ / ١٠٣. (٨) الزمر: ٣٩ / ٤٧.

يريد ﷺ طريقة من ليس له بصريهديه ولا إمام يهديه فيجب على طالب الدين أن يتبصر فيه ويعرف أهله ومعدنه ويتطلبه هنالك، فإن عرف خصوصية المسائل فذاك، وإلا وثق بالقائد واتبعه، والله أعلم.

قوله ﷺ: «فأفق أيها السامع...»:

يريد ﷺ تنبيه السامعين على ألا يركنوا الى المذاهب التي نشأوا عليها وألفوها، بل يتأمل ما جاء به النبي ﷺ مما يدل على صحيح المذاهب وفاسدها. واعلم أنه ﷺ عمم العبارة، والأهم عنده ما يرجع الى أمره وما يجب ان يعتقد فيه ويعامل به، فإن الكلام تعريض بالمخالفين له، والله أعلم. وقوله ﷺ: «وخالف من خالف ذلك إلى غيره»:

حذره من لا غترار بالأسلاف ومن يحسن الظن به من السادات والكبراء، وقال له: تمسك بالحق الذي ذلك عليه الدليل الصحيح ولا تغتر بالرجال. فتقول: لو كان هذا حقاً لما خالفه فلان وفلان، ولا يحملك التعصب للمذهب والأسلاف والتكبر من أن تقرّ بخطأ ألفتة على رد الحق والاستمرار على الباطل.

وهذا من الإخبار عن أحوال المذاهب عن غيب علمه من جهة رسول الله ﷺ.

وقوله ﷺ: «فالحذر الحذر...»:

أعاد ﷺ عليه التنبيه على النظر، وحذره من التماذي في الغفلة. وحثه على القبول منه - لأنه عالم بما الناس عليه -، بقوله: «ولا ينبئك مثل خبير» أي لا يخبرك بالأمر أحد عسى حقائقها كالعارف بها العالم بكنهها، ذكره في الشرح^(١).

قوله ﷺ: «أو يعر بأمر فعله غيره»:

أي: يقذف غيره بأمر قد فعله هو [يقال: عرّه بكذا، يُعرّه عراً: أي عابه ولطخه، انتهى من الشرح^(٢)].

قلت: هو مأخوذ من قوله تعالى: «ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً»^(٣).

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٦١.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٦٠.

(٣) النساء: ٤ / ١١٢.

قال في صحاح الجوهري - في فصل العين المهملة، في باب الراء المهملة: - ويقال: فلان عُرّة وعارور وعارورة، أي: قدر، وهو يعرّ قومه: أي يدخل عليهم مكروهاً يلطخهم به^(١).
واعلم أنه عليه السلام يعرّض في هذا الفصل برؤساء أهل الجمل ويشير إلى الخطايا التي ركبوها في حقّه.

وقوله عليه السلام: «ويستنجح حاجة...»:

أي: يروم بلوغ حاجة من أحد بإظهار بدعة في الدين كما يفعله أكثر الناس في زماننا، انتهى من الشرح^(٢).

قوله عليه السلام: «اعقل... إلى آخره»:

ثم أمر عليه السلام بأن يعقل ما قاله، ويعلم باطن خطابه؛ وإنما رمّز بباطن هذا الكلام إلى الرؤساء يوم الجمل؛ لأنهم حاولوا أن يشفوا غيظهم بإهلاكه وإهلاك غيره من المسلمين عرّوه^(٣) عليه السلام بأمرهم فعلوه، وهو التأليب على عثمان وحضره، واستنجحوا حاجتهم إلى أهل البصرة بإظهار البدعة والفتنة، ولقوا الناس بوجهين ولسانين؛ لأنهم بايعوه وأظهروا الرضا به، ثم دبّوا له الخمر، فجعل ذنوبهم هذه مماثلة للشرك بالله سبحانه؛ في أنها لا تُغفر إلا بالتوبة؛ وهذا هو معنى قوله: «اعقل ذلك»؛ فإن المثل دليل على شبهه. ورؤي «فإن المثل» واحد الأمثال، أي: هذا الحكم بعدم المغفرة لمن أتى شيئاً من هذه الأشياء عام؛ والواحد منها دليل على ما يماثله ويشابهه، انتهى من شرح ابن أبي الحديد^(٤).

قوله عليه السلام: «ان البهائم... إلى قوله: الفساد فيها»:

ثم أراد عليه السلام أن يومئ إلى ذكر النساء للحال التي كان وقع إليها من استنجاد أعدائه بامرأة؛ فذكر قبل ذكر النساء أنواعاً من الحيوان، تمهيداً لقاعدة ذكر النساء، فقال: إنّ البهائم همّها بطونها، كالخمر والبقر والإبل والغنم، وإنّ السباع همّها العدوان على غيرها؛ كالأسود الضارية والنمور والفهود والبزاة والصقور. ثم قال: وإن النساء همهنّ زينة الحياة الدنيا والفساد فيها، انتهى من شرح ابن أبي الحديد^(٥).

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٦٢.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٦٢.

(١) الصحاح للجوهري ٢: ٧٤٢.

(٣) أي: نسبه.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٦٢.

ومن خطبة له عليه السلام:

وَنَاطِرُ قَلْبٍ ^(١) اللَّيْبِ ^(٢) بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ، وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ ^(٣)، دَاعٍ دَعَا، وَرَاعٍ رَعَى ^(٤)، فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي، وَاتَّبِعُوا الرَّاعِي ^(٥).

(١) «ناظر القلب» استعارة من ناظر العين، والمراد: البصيرة التي يدرك بها اللبيب غايته ومنتهاه، وفي هـ. ب: قيل هي صفة أهل الله، وهو مبتدأ، وخبره: به يبصر، وقيل: جرى ذكر حب آل محمد ﷺ فقال حبهم كذا وكذا فهو عطف وقال: ناظر.

(٢) في هـ. ب: أي كل عاقل مكلف

(٣) الغور: ما أنخفض من الأرض، والنجد: ما ارتفع منها، أي: يدرك الباطن والظاهر، وفي هـ. ب: يعرف الإنسان بفكر القلب الغور أي منزله السهل.

(٤) في ب: راع رعا وداع دعا، وفي هـ. ب: الداعي: الرسول، والراعي: الامام.

(٥) في هـ. د: للراعي - ب.

ومن خطبة له ﷺ يذكر فيها بديع^(١) خلقه الخفاش^(٢):

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْحَسَرَتْ^(٣) الْأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ وَرَدَعَتْ عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغًا^(٤) إِلَى بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ.

هُوَ اللَّهُ^(٥) الْحَقُّ الْمُبِينُ أَحَقُّ وَأَبْيَنُ مِمَّا تَرَى الْعُيُونُ. لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهًا، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلًا، خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ تَمَثُّلٍ، وَلَا مَشُورَةٍ مُشِيرٍ، وَلَا مَعُونَةٍ مُعِينٍ؛ فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِمَطَاعَتِهِ. فَأَجَابَ وَلَمْ يَدَافِعْ^(٦)، وَأَنْقَادَ وَلَمْ يُنَازِعْ.

وَمِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ، وَعَجَائِبِ خَلْقَتِهِ^(٧)، مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ الْحِكْمَةِ فِي هَذِهِ الْخَفَافِيشِ الَّتِي يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَيَسْطُهَا الظَّلَامُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ، وَكَيْفَ عَشِيَّتْ أَعْيُنُهَا^(٨) عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُورًا تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا، وَتَصِلَ^(٩) بِعَالَانِيَةٍ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا، وَرَدَعَهَا بِتَلَالُؤٍ^(١٠) ضِيَائِهَا عَنِ الْمُضِيِّ فِي

(١) في أ: عجيب وفي هـ. أ: بديع.

(٢) في هـ. ب: ذكر عجيب خلقه الخفافيش، وأشار إلى شيء من غامض حكمته فيها، أنها تعشى بالنهار المضيء وتبصر في الليالي المظلمة على خلاف الحيوانات الأخرى، وأنها تطير بلا أجنحة مثل سائر الطيور وإن ولدها يلصق بها حال طيرانها، وفي هـ. ص: الخفاش؛ هو واحد الخفافيش، وهو هذا الطائر الذي يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار.

(٣) في هـ. ب: انكشفت الأوصاف عن كنه المعرفة وغاية العلم بذاته، والانتحسار: الانكشاف.

(٤) هـ. ب: طريقاً، هـ. ص: أي مسلماً.

(٥) في ط زيادة: الملك، وفي هـ. د: زيادة الملك - ض ب.

(٦) في هـ. د: يدفع - ب. (٧) في ط: حكمته، وفي هـ. د: حكمته - ض ب.

(٨) العشى مقصوراً: سوء البصر وضعفه. (٩) ب و ط و د: وتتصل.

(١٠) في ب: بتلالي، وفي هـ. ب: لمعناها.

سُبُحَاتٍ^(١) إِشْرَاقِهَا، وَأَكْنَهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ الذَّهَابِ فِي بَلَجٍ أَتَتْهَا^(٢)، فَهِيَ مُسَدَّلَةٌ^(٣) الْجُفُونِ^(٤) بِالنَّهَارِ عَلَى حَدَاقِهَا^(٥)، وَجَاعِلَةٌ^(٦) اللَّيْلَ سِرَاجًا تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي الْتِمَاسِ أَرْزَاقِهَا، فَلَا يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ ظُلْمَتِهِ^(٧)، وَلَا يَمْتَنِعُ مِنَ الْمَضِيِّ فِيهِ لِعَسَقِ دُجْنَتِهِ، فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ^(٨) نَهَارِهَا، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ^(٩) نُورِهَا عَلَى الضُّبَابِ^(١٠) فِي وَجَارِهَا^(١١)، أَطْبَقَتِ الْأُجْفَانُ عَلَى مَا قَبِيهَا^(١٢)، وَتَبَلَّغَتْ^(١٣) بِمَا اكْتَسَبَتْهُ مِنَ الْمَعَاشِ فِي ظَلَمِ^(١٤) لَيَالِيهَا، فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَارًا وَمَعَاشًا، وَالنَّهَارَ^(١٥) سَكْنًا وَقَرَارًا، وَجَعَلَ لَهَا أَجْنَحَةً مِنْ لَحْمِهَا^(١٦) تَعْرُجُ^(١٧) بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّيَرَانِ كَأَنَّهَا شَطَايَا الْأَذَانِ^(١٨)، غَيْرُ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلَا قَصَبٍ^(١٩)، إِلَّا أَنَّكَ تَرَى مَوْضِعَ الْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلَمًا^(٢٠)، لَهَا جَنَاحَانِ

(١) «سبحات النور»: درجاته، وفي هـ. ب: السبحات: النور والسبحات - بالجيم -: أي القمصان،

وهو استعارة هاهنا عن الوجهين، وأشرق الشمس: أضاءت، وأشرق فلان: دخل في الشروق.

(٢) البلج: الضوء ووضوحه، والاتلاق: اللعان، وفي هـ. ب: بلج الصبح بلوجاً: أي: طلع، واتتلقاها:

لمعانها. وفي هـ. ص: جمع بلجة وهي أول الصبح، وجاء «بلجة» بالفتح - تمت من الشرح.

(٣) في ط: مسدلة. (٤) في هـ. ب: أي مغمضة على نواظرها.

(٥) في د: أحداقها. (٦) في هـ. د: وعاجلة - م، وفي الهامش: جاعلة.

(٧) «أسدف الليل»: أظلم، والدجنة: الظلمة، وعسق الدجنة: شدة الظلمة، وفي هـ. ب: أضاف

الأسداف إلى الظلمة للتخصيص.

(٨) في هـ. ب: جمع وضع: بياض الصبح، وفي هـ. ص: جمع وضع، وهو ما يتضح ويلمع من

النور والبياض. (٩) في هـ. د: ودخل اشراق - م ف ن.

(١٠) في هـ. د: الضباب - حاشية ن.

(١١) الضباب: جمع ضب، وهو حيوان معروف والوجار: الحجر.

(١٢) جمع مآق، وهو طرف العين ممّا يلي الأنف.

(١٣) من البلاغ: وهو الكفاء والقوت، فالمعنى: اكتفت وافتاتت.

(١٤) في هـ. د: اكتسبت من فيء ظلم.

(١٥) في ب: وجعل النهار لها، وفي هـ. د: وجعل النهار لها - ش.

(١٦) هـ. د: وروي أجنحة من لحم - ر. (١٧) في هـ. ب: تصعد.

(١٨) في هـ. ب: زوائد، والشظية: الفلقة من العصا ونحوها، والجمع شظايا.

(١٩) في هـ. ب: القصب: كل عظم مستدير أجوف، واحده: قصبة. والقصب: عروق الرئة، وهي

مخارج التنفس ومجاريه، أي لا ريش للخفاش ولا عظم ولا عرق كما يكون لسائر ما يطير.

(٢٠) في هـ. ب: جمع علم، ويريد العلم: رسوماً ظاهرة.

لَمَّا^(١) يَرِقًا فَيَنْشَقًّا، وَلَمْ يَغْلُظًا فَيَنْقُلًا، تَطِيرُ وَلَدُّهَا لاصِقًا بِهَا، لَاجِيَةً إِلَيْهَا، يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ، وَيَرْتَفِعُ إِذَا أُرْتَفَعَتْ، لَا يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَائُهُ، وَيَحْمِلُهُ لِسُلْهُوِّ جَنَاحِهِ، وَيَعْرِفُ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ، فَسُبْحَانَ الْبَارِي لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ^(٢).

* * *

قوله ﷺ: «ومن لطائف صنعته...»:

واعلم أن مغزى كلامه ﷺ في هذا الفصل التنبيه على إفساد مقالة تأثير الإيجاب، وقول من يجعل الصانع علّة أو طبعاً، وبيانه:

إنّ الخفّاش خالف جميع أجناس الحيوان في أشياء وجميع أنواع الطير في أشياء، فلا بُدَّ من إثبات مخالفٍ خالف به متخيّر في فعله، وكثيراً ما يشير ﷺ إلى إفساد هذه المقالة، وقد أشار الكتاب العزيز إلى هذا الطريق في إثبات الصانع في آيات كثيرة.

وتحقيق ذلك: إنّ حدوث العالم أمر متّفق عليه العقلاء، ضروريّ لم يخالف فيه من يؤبه له، وإنّما وقع الخلاف في كَيْفِيَّةِ تأثير المؤثّر فيه. واختلاف الموجودات وترتّبها وتنقّحها في أطوارها وأحوالها دليل أنّ صانع مختار، والله أعلم.

(١) عبّر بـ «لَمَّا» إشارة إلى أنّهما ما رفيا في الماضي ولا هما رقيقان، فهو نفى مستمر.

(٢) في هـ. ب: الأيّام الخالية: أي: الماضية.

ومن كلام له عليه السلام: خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص^(١) الملاحم:
فَمَنْ أَسْتَطَاعَ عِنْدَ ذَلِكَ^(٢) أَنْ يَغْتَقِلَ^(٣) نَفْسَهُ عَلَى اللَّهِ فَلْيَفْعَلْ؛ فَإِنْ أَطْعَمُونِي؛ فَإِنِّي
حَامِلُكُمْ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ؛ وَإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَمَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ.
وَأَمَّا فَلَانَةٌ فَأَذْرَكَهَا رَأْيِي^(٤) النَّسَاءَ، وَضِعْنُ^(٥) غَلَا فِي صَدْرِهَا كَمِزْجِلِ الْقَيْنِ^(٦)، وَلَوْ
دُعِيَتْ لِنَالٍ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ، وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَى، وَالْحِسَابُ عَلَى اللَّهِ.
مِنْهُ^(٧):

سَبِيلُ أَبْلَجِ الْمِنْهَاجِ، أَنْوَرُ السَّرَاجِ، فَبِالْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ، وَبِالصَّالِحَاتِ
يُسْتَدَلُّ عَلَى الْإِيمَانِ، وَبِالْإِيمَانِ يُعَمَّرُ^(٨) الْعِلْمُ، وَبِالْعِلْمِ يُزْهَبُ الْمَوْتُ، وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ
الدُّنْيَا، وَبِالدُّنْيَا تُحَرَّرُ الْآخِرَةُ^(٩)، وَإِنَّ الْخُلُقَ لَا مَقْصَرَ^(١٠) لَهُمْ عَنِ الْقِيَامَةِ، مُزْقَلِينَ^(١١) فِي
مِضْمَارِهَا^(١٢) إِلَى الْغَايَةِ الْقُضْوَى.
مِنْهُ^(١٣):

قَدْ شَخَّصُوا^(١٤) مِنْ مُسْتَقَرِّ الْأَجْدَاثِ، وَصَارُوا إِلَى مَصَائِرِ الْغَايَاتِ، لِكُلِّ دَارٍ أَهْلُهَا.

(١) في هـ. ب: جمع «قص» به.

(٢) في هـ. ص: الإشارة إلى غلبة أهل الفتن وضعف جانب الحق.

(٣) في هـ. ب: يحبس، وفي هـ. ص: أي يحبسها على طاعته، من الشرح.

(٤) في هـ. د: ضعف رأي - ر، وهامش م. (٥) في هـ. ب: حقد.

(٦) في هـ. ب: القين - عند العرب - : كل من يعمل بالنار. المرجل: القدر، وإنما مثل بمرجل

القين لأنه يغلي مادام يصنع، إشارة إلى أن حقدتها دائم الغليان.

(٧) في ص: ومنه. (٨) في هـ. ب: من العمارة.

(٩) في ط و د زيادة: وبالقيامة تزلف الجنة للمتقين، وتبرز الجحيم للغاوين؛ في هـ. د: هذه

العبارة ساقطة من ف ن ل ش. (١٠) في هـ. ب: لا معدل.

(١١) المضمار: ميدان السباق

(١٢) في هـ. ب: مسرعين.

(١٣) في هـ. ب: ذهبوا.

(١٤) في ب: منها.

لَا يَسْتَبِيدُونَ بِهَا، وَلَا يُنْقَلُونَ عَنْهَا.

وَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، لَخُلُقَانٍ مِنْ خُلُقِ اللَّهِ ^(١) سُبْحَانَهُ، وَإِنَّهُمَا لَا يُقْرَبَانِ مِنْ أَجْلِ، وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ.

وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ: فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ ^(٢)، وَالرِّيُّ النَّافِعُ ^(٣)، وَالْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ ^(٤)، وَالنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ، لَا يَعْوَجُّ فَيَقَامُ، وَلَا يَزِيغُ فَيَسْتَعْتِبُ ^(٥)، وَلَا تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ، وَوُلُوجُ السَّمْعِ ^(٦)، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ.

وَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: أَخْبِرْنَا عَنِ الْفِتْنَةِ ^(٧)، وَهَلْ سَأَلْتَ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ فَقَالَ ﷺ:

لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ ^(٨) عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَيْنَ أَظْهُرِنَا. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللَّهُ بِهَا؟

فَقَالَ: يَا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَلَيْسَ قُلْتُ لِي يَوْمَ أَحَدٍ حَيْثُ اسْتَشْهَدَ مَنْ اسْتَشْهَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَحِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ ^(٩) فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ فَقُلْتُ لِي: أَتَبِشُرُ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ؟ فَقَالَ لِي: إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ، فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَا؟

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ، وَلَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّكْرِ.

(١) في ب: من خلق الله، وفي هـ. ب: في روية: خلق الله.

(٢) في هـ. ص قال عز وجل: ﴿وشفاء لما في الصدور﴾ يوس: ١٠ / ٥٧.

(٣) في هـ. ب: وصف لري بالنافع توكيد، وفي هـ. ص: أي: ينقع الغلة وبقطعها.

(٤) في: للمستمسك. وفي هـ. أ، وفي نسخة: للمتمسك.

(٥) في هـ. ص: أي يطلب عنبه، أي: رضاء وعذره، والمراد من عمل به.

(٦) في هـ. ص: قوله: ولا يخلقه كثرة الرد.. الخ هذا من خصائص القرآن المجيد شرفه الله أنه

لا يُمَلَّ ولا يُسَمَّج وإن كثرت تلاوته واستماعه بخلاف كلام غيره.

(٧) في هـ. ب: الفتنة: الهلكة المحرفة، فتن الرجل وفتن: إذا أصابته فتنة.

(٨) الدخان: ١.

(٩) حازها الله عني فلم أنلها، وفي هـ. ب: جمعت، ويحتمل صرفت.

وَقَالَ: يَا عَلِيُّ إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي بِأَمْوَالِهِمْ، وَيَمْنُونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ، وَيَسْمَتُونَ رَحْمَتَهُ، وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ، وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ، وَالْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ، فَيَسْتَحِلُّونَ الْحَمَرَ بِالنَّبِيذِ، وَالسُّحْتَ بِالْهَدِيَّةِ، وَالرِّبَاءَ بِالْبَيْعِ.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَبِأَيِّ الْمَنَازِلِ ^(١) أَنْزَلَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ، أِبِمَنْزِلَةٍ رَدَّةٍ ^(٢)، أَمْ بِمَنْزِلَةٍ فِتْنَةٍ؟

فَقَالَ: بِمَنْزِلَةٍ فِتْنَةٍ.

* * *

هذا من كلام كثير قاله ﷺ بعد حرب الجمل، وقد رواه السيوطي في جامعه الكبير في مسند أمير المؤمنين ﷺ، وقال: رواه وكيع عن يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وهو جواب سؤالات سئل عنها.

قوله ﷺ: «وَأَمَّا فَلَانَةٌ» يعني عائشة، وهو مصرح بإسمها في الرواية، وإنما ذكرها لأنهم طالبوا بقسمة النساء والذرية ولجؤ في ذلك، فقال: مهلاً مهلاً رحمكم الله، فإن أنتم لم تصدقوا لي وأكثرتم عليّ - وذلك أنه تكلم في هذا غير واحد - فأيتكم يأخذ أمكم عائشة بسهمه؟!

قلوا: لا. أين يا أمير المؤمنين؟! بل أصبت وأخطأنا وعلمت وجهلنا، فنحن نستغفر الله.

ثم قال لهم - بعد كلام - : وَأَمَّا عائشة... إلى آخر كلامه.

قوله ﷺ: «ومنه سبيل أبلغ المنهاج... إلى آخره»:

في الرواية أنه قام إليه عبّاد بن قيس، وقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الإيمان؟ فقال:

نعم. فأجبه بكلام ذكر الرضيّ ﷺ أكثره في باب الحكم والمواعظ.

وقوله ﷺ: «فبالإيمان يستدلّ على الصالحات... إلى آخره»:

لذي يقرب عندي من معنى كلامه ﷺ هو الاخبار عن تلازم الإيمان الذي هو

لتصديق الحقيفي، وعمل الصالحات وهي المطابقة لمراد الشارع.

(١) في هـ. د: فبأية المنازل - هامش ن.

(٢) في هـ. ب: من الإرتداد، أي: هم المفتونون أم المرتدون.

فمعنى قوله: «فبالإيمان يستدل على الصالحات»:

أي: لا يحكم بكون أعمال المكلف صالحة وإن أوقعها على الوجه الشرعي، إلا إذا ثبت إيمان موقعها، وهو حقيقة: تصديقه.

ومعنى «بالصالحات يستدل على الإيمان»:

أي: من صدق وعضد تصديقه بالأعمال الصالحة حكمنا بصحة تصديقه وأنه تصديق حقيقي ظاهراً وباطناً.

ومن أظهر التصديق ولم يعضده بالأعمال الصالحة لم نحكم بصحة تصديقه.

ومعنى قوله ﷺ: «وبالإيمان يعمر العلم»:

أي: أن من صدق تصديقاً حقيقياً جعل علمه معموراً مطابقاً للكتاب والسنة، وبالعلم المطابق للكتاب والسنة يهرب الموت؛ لأنهما يثبتان الآخرة والجزاء ويحققان الوعيد والوعد، والله أعلم.

والمراد بالتصديق الحقيقي ما عناه الله بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾^(١) فهو الايقان بكل ما أمر المكلف باعتقاده، ومنه تفضيل من حكم الله بفضله

قوله ﷺ: «وان الأمر بالمعروف... إلى آخره»:

في الرواية أنه قام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أواجب هو؟

فأجابه بكلام كثير ومنه: «وإن الأمر بالمعروف... إلى آخره»، وإثما كانا من خلق الله؛ لأن الله سبحانه لم يأمر إلا بمعروف، ولم ينه إلا عن منكر، وإنما قال: «وإنهما لا يقربان من أجل... إلى آخره» تشجيعاً عليهما، لأن أكثر الناس يمسك عنهما تصوّراً لحصول الضرر والنقص في الحال بسببهما.

قوله ﷺ: «وعليكم بكتاب الله... إلى آخره»:

في الرواية: فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن أحاديث البدع قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أحاديث ستظهر من بعدي حتى يقول قائلهم: قال رسول الله ﷺ، وسمعت رسول الله ﷺ، كل ذلك إفتراء عليّ، والذي بعثني بالحق لتفترقن أمتي على أصل دينها وجماعتها إلى ثنتين وسبعين فرقة كلّها ضالّة مضلّة تدعو إلى النار، فإذا كان كذلك فعليكم بكتاب الله.. إلى آخره» فيحتمل أن يكون أمير المؤمنين ﷺ رواه من رسول الله ﷺ من جملة ما روي، ويحتمل أن يكون قاله هو.

وقول رسول الله ﷺ: «على أصل دينها وجماعتها»:

أي: مع اتفاقهم على ما هو ملّة الإسلام وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والله أعلم.

قوله: «وقام إليه - ﷺ - رجل فقال: أخبرنا عن الفتنة... إلى آخره»:

قال في الشرح: قد كان ﷺ ينكلّم في الفتنة؛ ولذلك ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ولذلك قال: «فعليكم بكتاب الله»، أي إذا وقع الأمر واختلط الناس، فعليكم بكتاب الله؛ فلذلك قام إليه من سأل عن الفتنة. وهذا الخبر مروي عن رسول الله ﷺ، قد رواه كثير من المحدثين عن عليّ عليه السلام، أن رسول الله ﷺ قال له: «إنَّ الله قد كتب عليك جهاد المفتونين، كما كتب عليّ جهاد المشركين».

قال: فقلت: يا رسول الله، ماهذه الفتنة لتي كتب عليّ فيها الجهاد؟

قال: قوم يشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وهم مخالفون للسنة.

فقلت: يا رسول الله، فعلام أقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد؟ قال: على الإحداث في

الدين، ومخالفة الأمر.

فقلت: يا رسول الله، إنك كنت وعدتني الشهادة، فاسأل الله أن يعجلها لي بين يديك.

قال: فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين؟! أما إني وعدتك الشهادة

وستستشهد؛ تضرب على هذه فتخضب هذه، فكيف صبرك إذا؟!

قلت: يا رسول الله، ليس ذا بموطن صبر، هذا موطن شكر، قال: أجل، أصبت، فأعدّ

للخصومة فإنك مخاصم.

فقلت: يا رسول الله، لو بيّنت لي قليلاً

فقال: إِنَّ أُمَّتِي سَتُفْتَنَنَّ مِنْ بَعْدِي؛ فَتَتَأَوَّلَ الْقُرْآنَ وَتَعْمَلُ بِالرَّأْيِ. وَتَسْتَحِلُّ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ، وَالسَّحْتِ بِالْهَدْيَةِ، وَالرِّبَا بِالْبَيْعِ، وَتَحَرِّفَ الْكِتَابَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَتَغْلِبَ كَلِمَةُ الضَّلَالِ، فَكُنْ حَلِيسَ^(١) بَيْتِكَ حَتَّى تَقْلُدَهَا، فَإِذَا قُلُدْتَهَا جَاشَتْ عَلَيْكَ الصُّدُورُ، وَقَلَّبْتَ لَكَ الْأُمُورَ؛ تَقَاتِلْ حِينَئِذٍ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، كَمَا قَاتَلْتَ عَلَى تَنْزِيلِهِ؛ فَلَيْسَتْ حَالُهُمُ الثَّانِيَةَ بَدُونَ حَالِهِمُ الْأُولَى

فقلت: يا رسول الله، فبأيّ المنازل أنزل هؤلاء المفتونين من بعدك؟ أبنزلة فتنة أم بمنزلة ردة؟

قال: بمنزلة فتنة يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل.

قلت: يا رسول الله أيدركهم العدل منّا أم من غيرنا؟

قال: بل منّا، بنا فتح الله وبنا يختم، وبنا آلف الله بين القلوب بعد الشرك، وبنا يؤلف بين القلوب بعد لفتنة. فقلت: الحمد لله على ما وهب لنا من فضله، انتهى نقلاً من شرح ابن أبي الحديد^(٢).

قلت: قوله ﷺ بعد بيان الفتنة: «فكن حليس بيتك حتى تقلدها» دليل على ان الفتنة كانت واقعة قبل أن يتولّى أمير المؤمنين، بل في الوقت الذي كان مأموراً فيه بلزوم البيت والقعود عن القتال، فتبين واعتبر، فإنّ في ذلك عبرة لأولي الأبصار، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «ولكن من مواطن البشرى والشكر»:

قل في الشرح: هذا كلام عال جداً يدلّ على يقين عظيم وعرفان تامّ، ونحوه قوله وقد ضربه ابن ملجم -: «فزت وربّ الكعبة»، انتهى^(٣).

قوله عليه السلام: «ستفتنون بأموالكم»: أي: ترغبون في تكثيرها وتشميرها وتركبون لذلك العظائم، ولم يزل حبّ المال وحبّ الرئاسة فتنة مهلكة، وحبّ الرئاسة هي الشهوة الباطنة التي ذكرها النبي ﷺ.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٠٦.

(١) في ط: جليس.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٠٧.

وقوله ﷺ: «يؤمنون بدينهم على ربهم»:

من قوله تعالى: ﴿يؤمنون عليك أن أسلموا﴾^(١) أي: يدلون بما سلف لهم من الأعمال الصالحة على ارتكاب السيئة.

وقوله ﷺ: «ويؤمنون رحمته»:

من قوله ﷺ: «أحمق الحمقى من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله».

وقوله ﷺ: «بالشبهات الكاذبة»:

أي: بأقوال تشبه الحق وهي كاذبة باطلة.

«والأهواء الساهية»: أي الغافلة.

«فيستحلون الخمر بالنيذ»: أي يسمون الخمر نبيذاً

«والسحت - أي الرشوة -، بالهدية»: فيقولون: أهدي إلينا، وهدايا الأمراء غلول.

«والربا بالبيع» أي: يسمون أبواباً من الربا بيعاً ويدخلونها تحت قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ

الْبَيْعَ﴾ وهي داخلة تحت قوله: ﴿وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(٣)، والله أعلم.

(١) الحجرات: ٤٩ / ١٧.

(٣) البقرة: ٢ / ٢٧٥.

ومن خطبة له عليه السلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ^(١)، وَسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ، وَدَلِيلًا عَلَى آلَايِهِ وَعَظَمَتِهِ.

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَزْيِهِ بِالْمَاضِينَ^(٢)، لَا يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ، وَلَا يَبْقَى سَرْمَدًا مَا فِيهِ، آخِرُ فِعَالِهِ^(٣) كَأَوَّلِهِ، مُتَشَابِهَةٌ^(٤) أُمُورُهُ^(٥)، مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلَامُهُ^(٦)، فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ^(٧) حَدَوَ الزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ^(٨)، فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ^(٩) بِغَيْرِ نَفْسِهِ^(١٠) تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ، وَأَرْتَبَكَ^(١١) فِي الْهَلَكَاتِ، وَمَدَّتْ^(١٢) بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ، وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئًا

(١) في هـ. ب: ابتدأ فحمد الله الذي جعل الحمد في أول القرآن: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، وفي هـ. ص: قوله: «مفتاحاً لذكره»: وذلك لأن الله سبحانه شرع لعباده - إذا ذكروه - أن يفتتحوا ذكره بحمده، وافتتح به كتابه الذي هو ذكره العظيم. وقال عليه السلام: «كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم».

وقوله: «سبباً لمزيد من فضله» قال الله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ إبراهيم: ١٤ / ٧، والحمد أحد أطراف الشكر. وقوله: «ودليلاً على آلائه وعظمته» وذلك لأن الله جعل الحمد للعباد ليدلوا به على عظمته في قلوبهم واعترافهم بنعمته عندهم.

(٢) في هـ. ب: أي أحوال الدهر متسارعة يتسابق خيرها وشرها لا يبقى منه شيء.

(٣) في ص: أفعاله.

(٤) في أ و ب و ط و د: متسابقة، وفي هـ. ب، وفي نسخة: متشابهة، وفي هـ. د: متشابهة - ح.

(٥) أمور الدهر: مصائبه. (٦) في هـ. ب: متناصرة راياته.

(٧) في هـ. ص: تسوقكم.

(٨) في هـ. ب: أي يابله الشائلة أذنائها، وفي هـ. ص: قوله «بشوله» الشؤل: النوق التي جف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية - من الشرح.

(٩) في هـ. ص: أي لم يسهها ويتفقد أحوالها فيصلح فاسدها ويزكيها.

(١٠) في هـ. ص: ذلك الغير: الدنيا وزينتها.

(١١) في هـ. ب: نشب فيها: أخلط، وفي ص: أي نشب ولم يخلص.

(١٢) في ص: وأمدت.

أعماله، فالجنة غاية السابقين، والنار غاية المفرطين.

إِغْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ: أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، وَالْفُجُورُ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ، لَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ، وَلَا يُخْرِزُ^(١) مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ، إِلَّا وَبِالتَّقْوَى تُقَطَّعُ حُمَةٌ^(٢) الْخَطَايَا، وَبِالتَّقْوَى تُدْرَكُ الْغَايَةُ الْقُصْوَى^(٣).

عِبَادَ اللَّهِ، اللَّهُ اللَّهُ فِي أَعَزِّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ، وَأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْضَحَ^(٤) سَبِيلَ الْحَقِّ، وَأَنَارَ طُرُقَهُ، فَشِقْوَةٌ^(٥) لَزِمَتْ، أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ، فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ لِأَيَّامِ الْبَقَاءِ، فَقَدْ دَلَّلْتُمْ عَلَى الزَّادِ، وَأَمَرْتُمْ بِالظُّغْنِ، وَخَشِيتُمْ عَلَى الْمَسِيرِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكِبٍ وَقُوفٍ لَا تَدْرُونَ مَتَى تُؤْمَرُونَ بِالْمَسِيرِ^(٦).

أَلَا، فَمَا يَصْنَعُ بِالْدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلْآخِرَةِ، وَمَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسَلَّبُهُ، وَتَبْقَى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ^(٨) وَحِسَابُهُ.

عِبَادَ اللَّهِ! إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا رَعَدَ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ مَتْرُكٌ^(٩)، وَلَا لِمَا نَهَى عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْغَبٌ^(١٠). عِبَادَ اللَّهِ! أَخَذَرُوا يَوْمًا تُفَحَّصُ فِيهِ الْأَعْمَالُ، وَيَكْثُرُ فِيهِ الزَّلْزَالُ، وَتَشِيبُ فِيهِ الْأَطْفَالُ. اَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصْدًا^(١١) مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَعُيُونًا مِنْ جَوَارِحِكُمْ، وَحِفَاطَ صَدَقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ، وَعَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ، لَا يَسْتَرْكُمُ^(١٢) مِنْهُمْ ظُلْمَةٌ لَيْلٍ دَاجٍ^(١٣)، وَلَا يَكْنُكُمُ^(١٤)

(١) أي لا يحفظ.

(٢) الحمة في الأصل: إبرة العقرب ونحوها؛ والمراد سطوة الذنوب.

(٣) في هـ. ب: أي الخلود في الجنة. (٤) في هـ. د: أوضح لكم - ض ح ب.

(٥) في هـ. ب: من الشقاوة. (٦) في أ و ط و د: قد، وفي هـ. د: فقد - ش.

(٧) في أ و ص و ط و د: بالسير، وفي هـ. د: بالمسير - م ب، وفي هـ. ب: أي تؤمرون بالضغن من الدار.

(٨) في هـ. ب: التبعة: ما يتبع شيئاً، واختصت بالذنوب لأنها تابعة للفعل القبيح.

(٩) في ب: متروك. وفي هـ. ب، وفي نسخة: مترك.

(١٠) في ب: مرغّب. وفي هـ. ب، وفي نسخة: مرغّب.

(١١) في هـ. ب: الرصد: القوم يرصدون كالحرس، يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث والمذكر، وهي العيون: الجواسيس.

(١٢) في هـ. ب: لا تستركم.

(١٣) في هـ. ب: لا يستركم.

(١٤) في هـ. د: ظلمة داج - ب.

مِنْهُمْ بَابُ ذُو رِثَاجٍ ^(١)، وَإِنَّ غَدًا مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ.
يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ، وَيَجِيءُ الْغَدُ لَاحِقًا بِهِ، فَكَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ
مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ ^(٢)، وَمَخَطَّ ^(٣) حُفْرَتِهِ، فَيَالَهُ مِنْ بَيْتٍ وَحْدَةٍ، وَمَنْزِلٍ وَحْشَةٍ، وَمُقَرَّدٍ غُرْبَةٍ ^(٤)،
وَكَأَنَّ الصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ، وَالسَّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ، وَبَرَزْتُمْ لِفَضْلِ الْقَضَاءِ، قَدْ زَاخَتْ ^(٥) عَنْكُمْ
الْأَبَاطِيلُ، وَاضْمَحَلَّتْ ^(٦) عَنْكُمْ الْعِلَلُ ^(٧)، وَاسْتَحَقَّتْ بِكُمْ الْحَقَائِقُ، وَصَدَرَتْ بِكُمْ الْأُمُورُ
مَصَادِرَهَا، فَاتَّعَظُوا بِالْعِبَرِ، وَاعْتَبِرُوا بِالْعِيَرِ، وَانْتَفِعُوا بِالنَّذْرِ.

(١) في هـ. ب: إغلاق. (٢) هو القبر.

(٣) في هـ. ب، وفي نسخة: ومخط، والمخط: موضع الخط.

(٤) في هـ. ب، وفي نسخة: ومقر غربة. (٥) في هـ. ب: زالت: قطعت.

(٦) هـ. ب: زالت. (٧) في هـ. ص في نسخة زيادة: والأضاليل.

ومن خطبة له عليه السلام

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ قَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ ^(١) مِنَ الْأُمَمِ، وَانْتِقَاضِ ^(٢) مِنَ الْمُبَرَمِ، فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ^(٣) وَالتَّوْرِ الْمُقْتَدَى بِهِ ^(٤)؛ ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطَقُوهُ، وَلَنْ يَنْطِقَ وَلَكِنْ أَخْبِرْكُمْ عَنْهُ، أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي، وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ.

منها:

فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَبْقَى بَيْنُكَ مَدَرٍ وَلَا وَرٍ إِلَّا وَأَدْخَلَهُ الظَّلَمَةُ تَرْحَةً ^(٥)، وَأُولَجُوا ^(٦) فِيهِ نِقْمَةً، فَيَوْمَئِذٍ لَا يَبْقَى لَكُمْ فِي السَّمَاءِ عَازِرٌ ^(٧)، وَلَا فِي الْأَرْضِ نَاصِرٌ، أَصْنَيْتُمْ ^(٨) بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ، وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ وَرْدِهِ ^(٩)، وَسَيَتَنَبِّهُ اللَّهُ مِمَّنْ ظَلَمَ مَأْكَلًا بِمَأْكَلٍ، وَمَشْرَبًا بِمَشْرَبٍ، مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلَقَمِ ^(١٠).

(١) في هـ. ب: النوم والغفلة، وفي هـ. ص: الهجعة والهجاع: الغفلة، وقد يستعمل في النوم المستغرق «وانتقاض من المبرم» كأنه عليه السلام عنى به مواعيق الله التي أخذها من الأنبياء على طاعة أمتهم (٢) في هـ. ب: من النقض في الحكم.

(٣) في هـ. ص: قوله «بتصديق الذي بين يديه» العرب تستعمل بين يدي الشيء عبارة عن السابق عليه، أي: الذي قبله من الكتب والرسالات، كما قال تعالى: ﴿وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

(٤) في هـ. ب: للمقتدي به - صح. (٥) في هـ. ب: حزناً، وفي هـ. ص: هي الحزن.

(٦) في هـ. ص: ادخلوا. (٧) لم ترد «عازر» في طبعة عبده.

(٨) في هـ. ب: اخترتم، وفي هـ. ص: خصصتم، كأن سائلاً سأله عن سبب هذه الفتن وتسليط هؤلاء الظلمة، فقال: سببه إخراج الأمر من أهله وتصويره في غير منصبه ومستحقه، وهو يشير بذلك إلى أمر السقيفة وما بعده، وهذا المعنى قد ذكره عليه السلام كثيراً وورد معناه في أحاديث كثيرة عن النبي عليه السلام وفي آثار عن الصحابة، والله أعلم.

(٩) في ص و ط: مودده، وفي هـ. ب: وفي نسخة: مودده.

(١٠) في هـ. ب: هو ثمر الحنظل، وهو مرّ، وفي هـ. ص: هو الحنظل، وعبر به هنا عن المأكَل البشيع من الزقوم والضريع.

وَمَشَارِبِ الصَّبْرِ وَالْمَقْرِ^(١)، وَلِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ، وَدِثَارِ السَّيْفِ^(٢)، وَإِنَّمَا هُمْ مَطَايَا
الْخَطِيئَاتِ، وَزَوَامِلُ^(٣) آثَامٍ، فَأُقْسِمُ ثُمَّ أُقْسِمُ، لَتَنْخَمَنَّهَا^(٤) أُمِّيَّةٌ مِنْ بَغْدِي كَمَا تَلْفِظُ
النُّخَامَةَ^(٥)، ثُمَّ لَا تَذُوقُهَا^(٦) وَلَا تَطْعَمُ بِطَعْمِهَا أَبَدًا مَا كَرَّرَ الْجَدِيدَانِ.

(١) هو السم، وفي هـ. ب: شيء مرّ، وفي هـ. ص: هو ما مرّ من المشرب وكُره.

(٢) الدثار من اللباس: علاه، وشبهه السيف بالذثار بما إذا عمّت إباحة الدم بالأهواء فلا يفلت منه بدن ولا عضو

(٣) في هـ. ب: حوامل، وفي هـ. ص: جمع زاملة وهو البعير يحمل عليه المسافر متاعه.

(٤) في هـ. ب: يعني: لترمينها، يقال: ننخّم: أي تنخّع.

(٥) في هـ. ص: أي مرّة واحدة، ولا استرجاع للملفوظ.

(٦) في هـ. ص: قال في الشرح فإن قلت: كيف قال: «لا تذوقها أبداً» وقد ملكوا بالمغرب بعد قيام لدولة الهاشمية مدّة طويلة؟ قلت: الاعتبار بملك العراق والحجاز، وما عداها من الأقاليم النائية لا اعتداد به، والله أعلم.

ومن خطبة له عليه السلام:

وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جَوَارِكُمْ، وَأَحْطْتُ بِجُهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ^(١)، وَأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رَيْقٍ^(٢) الدُّلِّ
وَحَلَقِ الضَّيِّمِ^(٣)؛ شُكْرًا مِنِّي لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ، وَإِطْرَاقًا^(٤) عَمَّا أَدْرَكَهُ الْبَصَرُ، وَشَهْدَةً الْبَدَنُ مِنَ
الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ^(٥).

قال في الشرح: فإن قلت: كيف يجوز له أن يطرق ويغضي عن المنكر؟
قلت: يجوز له ذلك إذا علم أو غلب على ظنه أنه إن نهاهم عنه لم يرتدعوا، وأضافوا
إليه منكراً آخر، فحينئذ يخرج الإطراق والإغضاء عن حدّ الجواز إلى حدّ الوجوب، لأنّ
النهي عن المنكر يكون والحالة هذه مفسدة، انتهى^(٦).
قلت: الظاهر من كلامه عليه السلام وسوقه: أنه يريد خلاف ما ذكره الشارح؛ فإنّ مخرج كلامه
مخرج تعريفه لهم حسن معاملته إياهم وإحسانه إليهم مع قبح معاملتهم له وعدم توقيهم
حقوقه.

فالحق في الجواب أن يقال: إنه عليه السلام أراد بالمنكر الذي أغضى عنه: ما يتعلق بشأنه من
عدم اعتقادهم فيه ما يجب أن يُعتقد فيه من كونه أفضل الأمة وخليفة رسول الله ﷺ بلا
فصل والمأخوذ عنه أحكام الدين، ومن عدم تلقّيهم أوامره بالامتثال. وقوله بالتصديق،

(١) في هـ. ص: أحطت بجُهدي من ورائكم: حميتكم وحضنتكم.

(٢) في هـ. ب: الرّيق: جمع رِبْقَةٍ، وهي الحبل يُرَبَّق به اليهم.

(٣) جمع حقة، وفي هـ. س: حلق الضييم: جمع حَلَقَةٍ، بالتسكين، ويجوز: «حلق» بكسر الحاء
وحلق، انتهى من الشرح.

(٤) في هـ. ب: شكراً وإطراقاً، كلاهما مصدران في موضع الحال، ويجوز أن يكونا مفعولاً.

يقال: أطرق الرجل: إذا سكت.

(٥) في هـ. د: الكبير - هامش م.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٢١.

وما صدر عنه بالقبول، فكلّ هذا منكر، ولكنّه لما تعلّق بحقّه كان له الإغضاء عنه والصبر عليه.

وقد أمر الله رسوله ﷺ بمثله وكان معلوماً من حاله ﷺ مع المنافقين، وما قيل له في شأن ابن أبيّ وما أجاب به منقول معلوم.

فأمّا ما لا يتعلّق بشأنه، وهو حق لله محض أو لغيره، فلم يكن يغضي عنه ولو كرّثه، وتسبب منه منكر آخر كما وقع في قصّة النجاشي وذلك معلوم من طريقته وسيرته، والله أعلم.

ومن خطبة له عليه السلام:

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ، وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ؛ يَقْضِي بِعِلْمٍ^(١)، وَيَعْفُو^(٢) بِحِلْمٍ.
 اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي؛ وَعَلَى مَا تُعَافِي^(٣) وَتَبْتَلِي؛ حَمْدًا يَكُونُ أَرْضَى
 الْحَمْدِ لَكَ، وَأَحَبُّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ؛ وَأَفْضَلُ الْحَمْدِ عِنْدَكَ؛ حَمْدًا يَمْلَأُ مَا خَلَقْتَ، وَيَبْلُغُ مَا
 أَرَدْتَ^(٤)؛ حَمْدًا لَا يُحْجَبُ عَنْكَ، وَلَا يَقْصُرُ^(٥) دُونَكَ؛ حَمْدًا لَا يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ، وَلَا يَفْنَى مَدَدُهُ،
 فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ؛ إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ؛ لَا تَأْخُذُكَ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ؛ لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ
 نَظَرٌ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ، أَدْرَكَتْ الْأَبْصَارُ وَأَخْصِيَّتْ الْأَعْمَالُ^(٦)، وَأَخَذَتْ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ.
 وَمَا الَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ، وَنَعَجِبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ، وَتَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ^(٧)؛ وَمَا
 تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ، وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ، وَانْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ، وَحَالَتْ سَوَاتِرُ^(٨) الْغُيُوبِ بَيْنَنَا
 وَبَيْنَهُ، أَعْظَمُ.

فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ، وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ^(٩) خَلْقَكَ، وَكَيْفَ
 عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمَاوَاتِكَ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى^(١٠) مَوَارِ^(١١) الْمَاءِ أَرْضَكَ؛ رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيرًا،
 وَعَقْلُهُ مَبْهُورًا^(١٢)، وَسَمِعُهُ وَالْهَاءُ^(١٣)، وَفِكْرُهُ خَائِرًا.

(١) في هـ. ب: أي عالم بمصلحة المأمور به. (٢) في أ و ص: ويغفر، وفي هـ. د: ويغفر - ن ف.

(٣) في هـ. ب: ما تعافي من الجرم والذم، وتبتلي بالتكليف.

(٤) في هـ. ب: لأن مراد الله من المكلف أن يعبد به بما يستحق.

(٥) في هـ. ب: أي: لا يحبس، والتقصير في الأمر: التواني.

(٦) في أ: الأعمار. (٧) في ب: شأنك.

(٨) في ط و د: ستور. (٩) في هـ. د: وذرات - ب.

(١٠) في ب: في. (١١) المورد: الموج.

(١٢) في هـ. ب: مغلوباً.

(١٣) في هـ. ب: متحيراً، وبالجيم - الجائر - العادل.

منها^(١):

يَدَّعِي^(٢) بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللَّهَ، كَذَّبَ وَالْعَظِيمِ! مَا بَالُهُ لَا يَتَّبِعُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ، فَكُلُّ^(٣) مَنْ رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ، وَكُلُّ^(٤) رَجَاءٍ^(٥) إِلَّا رَجَاءَ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ^(٦)، وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ إِلَّا خَوْفَ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَغْلُولٌ^(٧).

يَرْجُو اللَّهَ فِي الْكَبِيرِ^(٨)، وَيَرْجُو الْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ^(٩)، فَيُعْطِي الْعَبْدَ مَا لَا يُعْطِي الرَّبَّ، فَمَا بَالُ اللَّهِ جَلَّ سَنَاؤُهُ يَقْصُرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ لِعِبَادِهِ^(١٠)؟

أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِبًا، أَوْ تَكُونَ لَا تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعًا، وَكَذَلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْدًا مِنْ عِبِيدِهِ أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لَا يُعْطِي رَبَّهُ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ نَقْدًا، وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِمْ^(١١) ضِمَارًا^(١٢) وَوَعْدًا.

وَكَذَلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ، وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ^(١٣)، أَثَرَهَا عَلَى اللَّهِ فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا، وَصَارَ عَبْدًا لَهَا.

(١) في ص: ومنها.

(٢) في هـ ب: يجوز أن يكون إنساناً معيناً، ويجوز أن يكون على الإطلاق أي إن الإنسان يزعم أنه راجع لله وخائف من الله، ولا تظهر علامات ذلك من حاله.

(٣) في ب و ص: وكل.

(٤) في ط و د: فكل، وفي هـ د: وكل - حاشية ش.

(٥) «وكل رجاء» من ص وفي هـ ب، وفي نسخة، ولم ترد في أ و ط.

(٦) المدخول: المغشوش غير الخالص، أو المعيب الناقص لا يترتب عليه عمل، وفي هـ ب: يقال: دخل فلان فهو مدخول، أي في عقله دخل عيب وريبة، والنخل المدخول: ما يكون ثمره ناقصاً.

(٧) في ص: مغلول، وفي هـ ب: الخوف المغلول نقيض المحقق وأصل العلة: المرض.

(٨) في هـ ب: هو الثواب. (٩) في هـ ب: يعني به عرض الدنيا وما لا بد منه.

(١٠) في أ و ب: بعباده، وفي هـ د: يصنع لعباده - ض ب، يصنع به لعباده - ح.

(١١) في ص: خالقه وفي هـ ص، وفي نسخة: خالقهم.

(١٢) هـ ب: ما لا يرجى أدائه من المال، وما لا يرجى أدائه من الدين.

(١٣) في هـ د: في قلبه - ض ب، من قلبه - حاشية ن.

ولقد^(١) كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ^(٢) كَافٌ لَكَ فِي الْأُسُوةِ^(٣)، وَدَلِيلٌ لَكَ^(٤) عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وَعَيْبِهَا، وَكَثْرَةِ مَخَايِبِهَا^(٥) وَمَسَاوِيهَا، إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا، وَوُطِّئَتْ لِعَیْرِهِ أَكْنَافُهَا^(٦)، وَقُطِمَ مِنْ رَضَاعِهَا^(٧)، وَزُوِيَ عَنْ زَخَارِفِهَا^(٨).

وَإِنْ شِئْتَ ثَبِّتْ بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٩) إِذْ يَقُولُ^(١٠): «رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ»^(١١) وَاللَّهُ مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْرًا يَأْكُلُهُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ. وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ^(١٢) صِفَاقِ^(١٣) بَطْنِهِ لِهَزَالِهِ وَتَشَدُّبِ^(١٤) لَحْمِهِ. وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْ بِدَاوُدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صَاحِبِ الْمَرَامِيرِ^(١٥)، وَقَارِيءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ^(١٦) وَيَقُولُ لَجُلَسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا.

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ، وَيَلْبَسُ الْخَشْنَ، وَيَأْكُلُ الْجَشَبَ^(١٧)، وَكَانَ إِدَامَةُ الْجُوعِ، وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرُ،

(١) في هـ. د: وقد كان - ب.

(٢) في هـ. ب: الأسوة: أي القدوة، وتأسي: أي اقتدى، من الاقتداء.

(٣) لم ترد «لك» في أ.

(٤) في هـ. ب: من الخزي.

(٥) في هـ. د: عن رضاءها - ض ح ب.

(٦) في هـ. ب: زينتها.

(٧) لم ترد «وسلم» في ص، وفي ب: صلى الله عليه وآله.

(٨) في هـ. د: حيث يقول - ض ح.

(٩) لم ترد «رب» في ب.

(١٠) القصص: ٢٨ / ٢٤.

(١١) لرقته يشف ما وراءه، والصفاق الجلد الباطن الذي فوقه الجلد الظاهر من البطن، انتهى من الشرح.

(١٢) في هـ. ب: صفاق الجلد: أسفل الجلد الذي يلي الجلد الذي عليه الشعر.

(١٣) تفرق لحمه، وفي هـ. ب: شذب الشجرة: أي قطع ما تفرق من أغصانها.

(١٤) في هـ. ب: واحدًا مزمارة، نقول منه زمر يزمر فهو زمار، ويقال: ذا زمر: صوت حزين.

(١٥) في هـ. ب: سفيقة من خوص: نسيجة منه، يقال: اسففته إذا نسجته، والخوص: ورق النخل، الواحدة: خوصة.

(١٦) لم ترد «ويأكل الجشب» في أ و ب وفي هـ. د: ساقطة من م ن ب ل ش.

وِظْلَالُهُ^(١) فِي الشَّتَاءِ مَشَارِقُ الْأَرْضِ وَمَغَارِبُهَا، وَفَاكِهَتُهُ وَرِيحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ^(٢)، وَلَا وَلَدٌ يَحْزِنُهُ، وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ^(٣)، وَلَا طَمَعٌ يَذُلُّهُ، دَابَّتُهُ رِجْلَاهُ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ.

فَتَأْسُ^(٤) بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ^(٥) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَإِنْ فِيهِ أُسْوَةٌ^(٦) لِمَنْ تَأَسَّى^(٧)، وَعَزَاءٌ^(٨) لِمَنْ تَعَزَّى، وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّي^(٩) بِنَبِيِّهِ، وَالْمُقْتَصُّ^(١٠) لِأَثَرِهِ، قَضَمَ^(١١) الدُّنْيَا^(١٢) قَضْمًا، وَلَمْ يَعْرِهَا^(١٣) طَرَفًا^(١٤)، أَهْضَمَ^(١٥) أَهْلَ الدُّنْيَا كَشْحًا^(١٦)، وَأَحْمَصَهُمْ^(١٧) مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا^(١٨) فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئًا فَأَبْغَضَهُ، وَحَقَّرَ شَيْئًا فَحَقَّرَهُ^(١٩)، وَصَغَّرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُتْنَا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ^(٢٠).

(١) الطلال: جمع الظل، وهو الكِنّ والماوى وما يستظل به ومن كان ظلاله المشرق والمغرب فلا ظلال له.

(٢) في هـ. ب: من الفتن.

(٣) في هـ. ب لفته عن رأيه، أي: صرفه بلفته، وفي هـ. ص: أي يلفته عن الآخرة وطلبها.

(٤) أي: اقتد.

(٥) في ب: الأطهر الأطيب، وفي هـ. د: الأطهر الأطيب - ش.

(٦) في هـ. ب: اثره (٧) في هـ. ب: لمن اقتدى.

(٨) في هـ. ب: صبر. (٩) في هـ. ب: المقتدي.

(١٠) في هـ. ب: التابع.

(١١) في هـ. د: قضم - م ك، وفي هـ. ص: ويروى «قضم» بالضاد المهملة والقضم الأكل بأطراف الأسنان، والأغلب أن يكون للشيء ليابس (انتهى من الشرح) وكنى به ^{عنه} عن أكل غير رغب، بل للضرورة.

(١٢) هـ. ب: كسرها، قضم الدنيا: اكتفى منها بالقليل.

(١٣) في هـ. ب: من لعارية. (١٤) في هـ. ب: نظراً.

(١٥) في هـ. ب: رجل أهضم ويّين الهضم وهو الهضام: إذا كان خميصاً ثقله الأكل.

(١٦) الكشح: ما بين الخصرة إلى الضلع في الخلف، وفي هـ. ص: الكشح: الخصرة والمعني من لفقرتين واحد.

(١٧) الخمص: خلّو البطن وانطباقها من الجوع.

(١٨) في ص: الدنيا عليه.

(١٩) في ب و ص: حقر بالتشديد، وفي هـ. ص: وروي: حقر شيئاً فحقره بالتخفيف، انتهى من

الشرح. (٢٠) لم ترد «ورسوله» في أ و ب و د.

وتعظيمنا ما صغر الله ورَسُولُهُ^(١)، لَكَفَى بِهِ شِقَاقًا^(٢) لِلَّهِ، وَمُحَادَّةً^(٣) عَنْ أَمْرِ اللَّهِ.
ولَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَجْلِسُ جَلْسَةَ الْعَبْدِ،
وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَيُوكِبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَّ وَيُؤَدِفُ حَلْفَهُ، وَيَكُونُ السُّتْرُ
عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ، فَيَقُولُ: يَا قُلَانَّةُ - لِأَخْدَى أَرْوَاجِهِ - عَيْبِيهِ عَنِّي؛ فَإِنِّي
إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ،
وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ^(٤) عَيْنِهِ لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيشًا^(٥)، وَلَا يَغْتَفِدَهَا قَرَارًا، وَلَا
يَرْجُو فِيهَا مَقَامًا، فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ، وَأَشْخَصَهَا عَنِ الْقَلْبِ^(٦)، وَغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ،
وَكَذَلِكَ^(٧) مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا أَبْغَضَ أَنْ^(٨) يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُذَكَّرَ عِنْدَهُ.

ولَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِي الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا؛ إِذَا
جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ^(٩)، وَزُورِيَتْ^(١٠) عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ، فَلْيَنْتَظِرْ نَاضِرًا بِعَقْلِهِ،
أَكْرَمَ^(١١) اللَّهُ مُحَمَّدًا بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ؟ فَإِنْ قَالَ: «أَهَانَهُ» فَقَدْ كَذَبَ وَاللَّهُ الْعَظِيمُ^(١٢)، وَإِنْ قَالَ:
«أَكْرَمَهُ» فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهَانَ^(١٣) غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ وَزَوَاهَا^(١٤) عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ
مِنْهُ، فَتَأَسَّى^(١٥) مَتَأَسَّى بِنَبِيِّهِ، وَاقْتَصَّ أَثَرَهُ، وَوَلَجَ مَوْلَجَهُ، وَإِلَّا فَلَا يَأْمَنُ الْهَلَكَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ

(١) لم ترد «ورَسُولُهُ» في أ و ب و د، وفي هـ. د: ما أبغض الله ورسوله وتعظيمنا ما صغر الله ورسوله - ض ح ب.

(٢) الشقاق: الفساد والمخالفة، وفي ب: شفاقاً، وفي هـ. ب: خوفاً.

(٣) المحاداة: المخالفة في عناد، وفي هـ. ب: معاداة.

(٤) في ب: من، وفي هـ. د: من - ش. (٥) الرياش: اللباس الفاخر.

(٦) أي: أبعدتها. (٧) في هـ. د: وكذا - ب، ولذلك - ل.

(٨) في هـ. د: من ن - ب. (٩) أي: خصوصيته وفضيلته.

(١٠) أي: قبضت عنه الدنيا وأعدت، وفي هـ. ب: «زويت لي الأرض»، أي: طويت.

(١١) في ب ط د: أكرم، وفي هـ. د: أكرم - ض ح ب ش.

(١٢) في أ و ص: كذب والعظيم وفي ط: كذب والله العظيم بالافك العظيم وفي د: كذب والعظيم

وأتى بالافك العظيم، وفي هـ. د: لم ترد «وأتى بالافك العظيم» في س ل ف ن م وفي ح: فقد

كذب والله العظيم بالافك العظيم. وفي ب: فقد كذب وأتى بالافك العظيم.

(١٣) في هـ. د: ان الله أهان - ب. (١٤) في هـ. ب: قبضها.

(١٥) في هـ. د: فليتأس - هامش م، و «فتأسى» خبر يراد به الطلب.

جَعَلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَمًا لِلسَّاعَةِ^(١)، وَمُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ، وَمُنْذِرًا بِالْعُقُوبَةِ، خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا حَمِيصًا^(٢)، وَوَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيمًا، لَمْ يَضَعْ حَجْرًا عَلَى حَجَرٍ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ^(٣)، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ، فَمَا أَكْثَرَ مَنْةَ اللَّهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفًا نَتَّبِعُهُ وَقَائِدًا نَطْلُقُ عَقِبَهُ^(٤) وَاللَّهُ لَقَدْ رَقَعَتْ مِذْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا^(٥) وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ: أَلَا تَنْبِذُهَا^(٦) عَنْكَ فَقُلْتُ اغْرُبْ^(٧) عَنِّي فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السَّرَى^(٨).

(١) العلم: العلامة، أي: بعته دليل على قرب القيامة.

(٢) أي: خالي البطن، وفي هـ. ب: أخمص. (٣) في هـ. د: حتى مضى وأجاب - ف ن.

(٤) العقب: مؤخر القدم، ووطء العقب مبالغة في الاتباع، هـ. ب: يخطو.

(٥) المدرعة: ثوب من صوف، وفي هـ. ب: المدرعة والرداء والقميص ممّا يلبس.

(٦) في هـ. ب: ألا ترميها لخلقتها؟

(٧) في هـ. د: اعزب - ح م ب ل، وفي هـ. د: أي أبعد.

(٨) في هـ. ب: سير الليل، والمسافرون السائرون بالليل إذا أصبحوا ويريد به: القيامة.

ومن خطبة له عليه السلام:

ابْتَعَثَهُ^(١) بِالنُّورِ الْمُضِيِّ، وَالْبُزْهَانِ الْجَلِيِّ، وَالْمِنْهَاجِ الْبَادِي^(٢)، وَالكِتَابِ الْهَادِي.
أُسْرَتُهُ^(٣) خَيْرُ أُسْرَةٍ، وَشَجَرَتُهُ^(٤) خَيْرُ شَجَرَةٍ، أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ^(٥)، وَثَمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ^(٦)،
مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَهَجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ^(٧)، عَلَا بِهَا ذِكْرُهُ، وَامْتَدَّ مِنْهَا صَوْتُهُ، أُرْسِلَ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ،
وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ، وَدَعْوَةٍ مُتَلَافِيَةٍ^(٨)، أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ، وَقَمَعَ^(٩) بِهِ الْبِدَعَ
الْمَذْخُولَةَ^(١٠)، وَبَيَّنَّ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ^(١١)، فَمَنْ يَتَّبِعْ^(١٢) غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً يَتَحَقَّقُ^(١٣)
شِقْوَتُهُ، وَتَنْقُصُ^(١٤) عِزُّوَتُهُ، وَتَعْظُمُ كِبَوَتُهُ^(١٥)، وَيَكُنْ^(١٦) مَأْبَهُ^(١٧) إِلَى الْحُزَنِ الطَّوِيلِ،
وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ.

وَأَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلِ الْإِنَابَةُ إِلَيْهِ، وَأُسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى جَنَّتِهِ، الْقَاصِدَةَ إِلَى
مَحَلِّ رَغْبَتِهِ.

(١) في أ: بعثه، وفي هـ. د: بعثه - ب ن. (٢) في هـ. ب: الطريق الظاهر.

(٣) في هـ. ب: أسرة الرجل: رهطه؛ لأنه يتقوى بهم، ورهطه بنو هاشم.

(٤) في هـ. ب: قريش. (٥) في هـ. ب: مستقيمة.

(٦) في هـ. د: متبدلة - م، وفي الهامش: مهدلة، وفي هـ. ب: أي متدلّية، يعني دانية للاقتطاف.

(٧) في هـ. ب: المدينة.

(٨) التلافي: تدارك الشيء بالإصلاح قبل أن يهلكه الفساد.

(٩) في هـ. ب: أذلّ.

(١٠) في هـ. ص: أي المعيبة، والدخل: العيب والفساد.

(١١) المفصولة: أي التي فصلها الله أي قضى بها.

(١٢) في هـ. د: يتبع. (١٣) في أ: تتحقق.

(١٤) في هـ. ب: ينكسر.

(١٥) في هـ. ب: يقال: كبا الرجل لوجهه: أي سقط لوجهه.

(١٦) في هـ. ب: مرجعه.

(١٧) في هـ. د: يكون - ب.

أُرِصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، فَإِنَّهَا النُّجَاةُ غَدًا. وَالْمُنْجَاةُ^(١) أَبَدًا.
 رَهَبٌ^(٢) فَأُبْلَغَ، وَرَغَبٌ فَأُسْبَغَ^(٣)، وَوَصَفَ لَكُمْ الدُّنْيَا وَأَنْقَطَاعَهَا، وَزَوَّالَهَا وَأَنْتِقَالَهَا،
 فَأَعْرِضُوا^(٤) عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا^(٥)؛ لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا، أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ،
 وَأَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ^(٦).

فَقَضُّوا^(٧) عَنْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ غُمُومَهَا، وَأَشْغَالَهَا لِمَا قَدْ^(٨) أُيْقِنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا، وَتَصَرُّفِ
 حَالَاتِهَا، فَاحْذَرُوا حَذَرَ الشَّفِيقِ^(٩) النَّاصِحِ^(١٠)، وَالْمَجِدِّ الْكَادِحِ^(١١)، وَأَعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ
 رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ، قَدْ تَزَايَلَتْ^(١٢) أَوْصَالُهُمْ^(١٣)، وَزَالَتْ أَسْمَاعُهُمْ
 وَأَبْصَارُهُمْ^(١٤)، وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ، وَأَنْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ، فَبَدَّلُوا^(١٥) بِقُرْبِ
 الْأَوْلَادِ قَدَّهَا، وَبِصُحْبَةِ الْأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا، لَا يَتَفَاخَرُونَ، وَلَا يَسْتَأْسَلُونَ^(١٦)، وَلَا
 يَتَزَاوَرُونَ^(١٧)، وَلَا يَتَجَاوَرُونَ^(١٨).

فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ حَذَرَ الْغَالِبِ لِنَفْسِهِ^(١٩)، الْمَانِعِ لِشَهْوَتِهِ، النَّاطِرِ بِعَقْلِهِ^(٢٠)؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ

(١) في هـ ب. النجاة والمنجاة كلاهما جملة مجاز.

(٢) في هـ ب. رهب أي خوف بالله فبالغ في التخويف.

(٣) في هـ ب. ورغب في الجنة فأكس الترغيب.

(٤) في هـ ب. أعرض عن الشيء: تركه.

(٥) في هـ أ. في نسخة: منها، وفي هـ د: منها - م وحاشية ف.

(٦) في هـ د: لم ترد لفظة الجلالة في م.

(٧) في ص: ففضوا، وفي هـ ب: أي كفوا عنها، والغض: غض البصر.

(٨) لم ترد «قد» في ص و ط، وفي هـ د: لم ترد «قد» في ض ح ب.

(٩) في هـ ب: المشفق. (١٠) الناصح: الخالص و لمجدد والمجتهد.

(١١) الكادح: لمبالغ في سعيه، وفي هـ ب: الساعي.

(١٢) في هـ ص: تفارقت.

(١٣) في هـ ب: أعضاؤهم، وفي هـ ص: الأعضاء المتواصلة.

(١٤) في ط و د: أبصارهم وأسماعهم، وفي هـ د: أسماعهم وأبصارهم - م ف ن ل.

(١٥) في هـ د: فتبدلوا - م. (١٦) في هـ ب: من النسل، أي لا يتوالدون.

(١٧) في هـ ب: من الزيارة. (١٨) في هـ ب: من المجاورة.

(١٩) في أ شطب على لنفسه وكتب فوقه: نفسه.

(٢٠) في ب: الناطق بعقله، وفي هـ ب، وفي نسخة: الناظر بعقله - معاً - في هـ د: الناطق - ش.

واضح، والعلم قائم، والطريق جدد^(١)، والسبيل قصْد^(٢).

(١) الجدد: الطريق المستوي المسلوك. (٢) القصد: القويم.

ومن كلام له عليه السلام^(١):

لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ وَقَدْ سَأَلَهُ: كَيْفَ دَنَعَكُمْ قَوْمُكُمْ عَنْ هَذَا الْمَقَامِ وَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ؟ فَقَالَ:
يَا أَخَا^(٢) بَنِي أَسَدٍ إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِيعِ^(٣) تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدِيدٍ^(٤)، وَلَكَ^(٥) بَعْدُ ذِمَامَةٌ^(٦)
الصَّهْرِ^(٧) وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ^(٨)، وَقَدْ اسْتَعْلَمْتَ فاعْلَمْ:
أَمَّا الْإِسْتِبْدَادُ^(٩) عَلَيْنَا بِهَذَا الْمَقَامِ - وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَبًا، وَالْأَشَدُّونَ^(١٠) بِالرَّسُولِ^(١١)
نُوطًا^(١٢) - فَإِنَّهَا^(١٣) كَانَتْ أَثَرَةً^(١٤)، شَحَتْ^(١٥) عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ^(١٦) عَنْهَا نُفُوسُ
آخَرِينَ^(١٧)، وَالْحَكَمُ اللَّهُ^(١٨)، وَالْمَعْوَدُ^(١٩) إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٢٠).

(١) في أ: ومن كلامه

(٢) في ب: كتب فوق «يا أخا»: يا أبا.

(٣) في هـ ب: الوضين: ليهودج بمنزلة البطان للقتب، وكلاهما حبل يشد كل واحد منهما به،
وإذا اضطرب (قيل): فيها قلق.

(٤) في هـ ب: ترسل لسؤال والكلام في غير صواب، وفي هـ ص: أي في غير قصد وسداد.

(٥) في هـ د: وروي ولكن - ر.

(٦) في هـ ب: أصهار أهل لبنت، وفي هـ ص: قال في الشرح: لأن زينب بنت جحش سديّة
وأُمّها «أميمة بنت عبد المطلب».

(٨) في هـ ب: أي حق السؤال، وفي هـ ص: لأنّ للسائل على المسؤول حقًا.

(٩) في هـ ب: يعني الانفراد.

(١٠) في ب: والأشد.

(١١) في ص: بالنبي، وفي ط: برسول الله صلى الله عليه وآله.

(١٢) في هـ ب: علقه، وفي هـ ص: أي اتصالًا وتعنقًا.

(١٣) في هـ ص: يحتمل أن يكون الضمير للخلافة

(١٤) في هـ ص: أي استبداد بالأمر.

(١٥) في هـ ب: بخلت يعني هؤلاء.

(١٦) في هـ ب: من السخاء.

(١٧) في هـ ص: أي اولاده المعصومين.

(١٨) في هـ ص: هذا كلام شك متظلم، مترصد للاستعلاء، فهو يدلّ على أنّ ما ارتكبه القوم

عظيم.

(١٩) المَعْوَد: مفعول، من عاد يعود مستعمل على الاصل

(٢٠) لم ترد «يوم» في ص. د.

وَدَعَّ عَنْكَ نَهْباً^(١) صِيح^(٢) فِي حَجَرَاتِهِ

وَهَلُمَّ^(٣) الْخَطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ، وَلَا عَرَوْ^(٤) - وَاللَّهِ - فَيَالَهُ خَطْباً يَسْتَفْرِغُ^(٥) الْعَجَبَ، وَيُكَثِّرُ الْأَوْدَ^(٦)، حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ، وَسَدُّ قَوَارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ^(٧)، وَجَدَحُوا^(٨) بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شُرْباً وَبَيْئاً^(٩)، فَإِنْ تَرْتَفَعُ^(١٠) عَنَّا وَعَنْهُمْ مِخْنُ الْبُلُوَى أَحْمَلُهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَى مُحَضَةٍ^(١١)، وَإِنْ تَكُنْ الْأُخْرَى، «فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ»^(١٢).

قوله ﷺ: «إِنَّكَ لَقَلَقَ الْوُضِينَ»:

قال في الشرح: يقال للرجل المضطرب في أمره: إِنَّهُ لَقَلَقَ الْوُضِينَ، وذلك أَنَّ الْوُضِينَ إِذَا قَلَقَ اضْطَرَبَ الْقَتَبُ أَوِ الْهُودُجُ أَوِ السَّرَجُ، وَمَنْ عَلَيْهِ، وَالْوُضِينَ: هُوَ بَطَانُ الْقَتَبِ، وَحِزَامُ السَّرَجِ، انْتَهَى^(١٣)

أقول: كَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ يَحْجُمُ عَمَّا فِي نَفْسِهِ مِنْ أَمْرِ عَاقِدِي بَيْعَةِ السَّقِيفَةِ، فَإِنْ بَاحَ بِشَيْءٍ مِنْهُ وَغَلِبَهُ فَتَنَفَسَ بِهِ، جَاءَ بِكَلَامٍ مُحْتَمِلٍ كُنَايَةً وَتَعْرِيضاً؛ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا يَعْلَمُهُ مِنْ ضَمَائِرِ أَهْلِ زَمَانِهِ وَتَفَرُّتِهِمْ عَمَّا لَا يَأْلَفُونَهُ فَيَخْشَى تَفَرُّقَ جَنْدِهِ وَهُوَ مُلْجَأٌ إِلَى اسْتِصْلَاحِهِمْ. وَلَعَلَّ السَّائِلَ سَأَلَهُ فِي مُحْفَلٍ جَامِعٍ، وَالسُّؤَالُ يَقْتَضِي جَوَاباً مُفَصَّلاً، فَلِذَلِكَ أَجَابَهُ بِقَوْلٍ: «تَرْسُلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ» ثُمَّ قَاطَعَهُ وَجَمَلَ لَهُ الْجَوَابَ وَأَتَى بِهِ عَلَى وَجْهِ لَا تَنْفَرُ مِنْهُ نَفُوسُ السَّامِعِينَ، عَلَى أَنَّهُ عِنْدَ الْمُتَأَمِّلِينَ بِالْغَايَةِ الْكَشْفَ لِحَالِ الْعَاقِدِينَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قوله ﷺ: «فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ»:

(١) فِي هـ. ب: أَي غَنِيمَةٍ .

(٢) مِنَ الصِّيَاحِ .

(٣) أَي هَلُمَّ أَذْكَرَ، وَالْخَطْبُ: الْأَمْرُ الْعَظِيمُ، وَفِي هـ. ب: أَمراً عَظِيماً، وَفِي هـ. ب: هَلُمَّ كَذَا، أَي:

هَاتِ، وَإِذَا قِيلَ لَكَ: هَلُمَّ كَذَلِكَ قُلْتَ. (٤) فِي هـ. ص: أَي لَا عَجَبَ.

(٥) فِي هـ. ب: مِنْ لِإِفْرَاقِ. (٦) فِي هـ. ب: الْعُوجُ.

(٧) الْيَنْبُوعُ: الثَّقْبُ الَّذِي يَفُورُ مِنْهُ الْمَاءُ بِشِدَّةٍ.

(٨) فِي هـ. ب: خَلَطُوا، جَدَحُوا: مَزَجُوا. (٩) فِي هـ. ب: مِنَ الْوَبَاءِ.

(١٠) فِي هـ. ب: خَالَصَهُ.

(١١) فِي هـ. ب: خَالَصَهُ.

(١٢) (١٣) شَرْحُ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ٩: ٢٤٢.

(١٢) فَاطِر: ٣٥ / ٨

قال في الشرح: يشير إلى ما كان عنده من الكآبة لتقدم من سلف عليه؛ فلم يقنع الدهر له بذلك، حتى جعل معاوية نظيراً له، فضحك ﷺ ممّا تحكّم به الأوقات، ويقتضيه تصرف الدهر وتقلّبه؛ وذلك ضحك تعجّب واعتبار، انتهى^(١).

قوله ﷺ: «فياله خطباً»:

قال في الشرح: يقول قد صار العجب لأعجب، لأنّ هذا الخطب استغرق العجب فلم يبق ما يطلق عليه لفظ العجب، وهذا من باب الإغراق والمبالغة.

ثم ذكر ﷺ تماؤقريش عليه - يعني ما تقدّم من منابذة طلحة والزبير وأصحابهما وما شفع ذلك من معاوية وعمر وشيعتهما، انتهى من الشرح^(٢).

قلت: وما قبل ذلك من فعل أهل السقيفة وفعل أهل الشورى فهو أصل ذلك وأساسه، فبيّن أنّ قصدهم فيما فعلوه واحد وأنّ لحامل عليه الحسد، والله أعلم.

قال في شرح ابن أبي الحديد: سألت أبا جعفر يحيى بن محمّد العلويّ نقيب البصرة، وقت قراءتي عليه، عن هذا الكلام، وكان ﷺ على ما يذهب إليه من مذهب العلويّة منصفاً وافر العقل، فقلت له: منّ يعني ﷺ بقوله: «كانت أثره شحّت عبيها نفوس قوم، وسخّت عنها نفوس آخرين؟» ومنّ انقوم الذين عناهم لأسديّ بقوله: «كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به؟» هل المراد يوم السقيفة أو يوم الشورى؟ فقال: يوم السقيفة؛ فقلت: إنّ نفسي لا تسامحني أن أنسب إلى الصحابة عصيان رسول الله ﷺ ودفع النص. فقال: وأنا فلا تسامحني أيضاً نفسي أن أنسب الرسول ﷺ إلى إهمال أمر الإمامة، وأنّ يُترك الناس فوضى سُدّي مهملين؛ وقد كان لا يغيبُ عن المدينة إلّا ويؤمّر عليها أميراً وهو حيّ ليس بالبعيد عنها، فكيف لا يؤمّر وهو ميّت لا يقدر على استدراك ما يحدث!

ثم قال: ليس يشكّ أحدٌ من الناس أنّ رسول الله ﷺ كان عاقلاً كاملاً العقل، أمّا المسلمون فاعتقادهم فيه معلوم؛ وأمّا اليهود والنصارى والفلاسفة فيزعمون أنّه حكيم تامّ الحكمة، شديد الرأي، أقام ملّة، وشرّع شريعة، واستجدّ ملكاً عظيماً بعقله وتدييره؛ وهذا الرّجل العاقل الكامل يعرف طباع العرب وغرائزهم وطلّبتهم بالتّارات والدُّحول؛ ولو بعد

الأزمان المتطاولة. ويقتل الرجل من القبيلة رجلاً من بيت آخر، فلا يزال أهل ذلك المقتول وأقاربه يتطلّبون القاتل ليقتلوه؛ حتى يدركوا ثأرهم منه؛ فإن لم يظفروا به قتلوا بعض أقاربه وأهله، فإن لم يظفروا بأحدهم قتلوا واحداً أو جماعة من تلك القبيلة به وإن لم يكونوا رهطه الأذنين. والإسلام لم يُحلّ طبائعهم، ولا غيّر هذه السجيّة المركوزة في أخلاقهم، والغرائز بحالها، فكيف يتوهم ليب أن هذا العاقل الكامل وتّر العرب، وعلى الخصوص قريشاً، وساعده على سفك الدماء وإزهاق الأنفس وتقلد الضغائن ابن عمه الأدنى وصهره، وهو يعلم أنه سيموت كما يموت الناس، ويتركه بعده وعند ابنته، وله منها ابنان يجريان عنده مجرى ابنيين من ظهره حنواً عليهما، ومحبة لهما، ويعدل عنه في الأمر بعده، ولا ينصّ عليه ولا يستخلفه، فيحقن دمه ودم بنيه وأهله باستخلافه! ألا يعلم هذا العاقل الكامل؛ أنه إذا تركه وترك بنيه وأهله سوقة ورعيّة؛ فقد عرض دماءهم للإراقة بعده؛ بل يكون هو هو الله هو لذي قتلهم، وأشاط بدمائهم^(١)، لأنهم لا يعتصمون بعده بأمر يحميهم؛ وإنما يكونون مضغّة للأكل، وفريسة للمفترس، يتخطّفهم الناس، وتبلغ فيهم الأغراض؛ فأما إذا جعل لسلطان فيهم، والأمر إليهم؛ فإنه يكون قد عصمهم وحقن دماءهم بالرياسة التي يصولون بها. ويرتدع الناس عنهم لأجلها. ومثل هذا معلوم بالتجربة. ألا ترى أن ملك بغداد أو غيرها من البلاد لو قتل الناس ووترهم، وأبقى في نفوسهم الأحقاد العظيمة عليه، ثم أهمل أمر ولده وذريته من بعده، وفسح للناس أن يقيموا ملكاً من عرّضهم، وواحداً منهم، وجعل بنيه سوقة كبعض العامّة، لكان بنوه بعده قليلاً بقاؤهم، سريعاً هلاكهم، ولوّب عليهم الناس ذووا الأحقاد والتّرات من كلّ جهة، يقتلونهم ويشردونهم كلّ مشرد. ولو أنه عيّن ولداً من أولاده للملك، وقام خواصّه وخدمه وخوّله بأمره بعده، لحفنت دماء أهل بيته، ولم تطل يد أحد من الناس إليهم لتاموس الملك، وأبهة السلطنة، وقوّة الرياسة، وحرمة الإمارة!

أفترى ذهب عن رسول الله ﷺ هذا المعنى؛ أم أحب أن يستأصل أهله وذريته من بعده! وأين موضع الشفقة على فاطمة العزيزة عنده، الحبيبة إلى قلبه!

(١) أشاط بدمائهم: أهدرها أو عمل على هلاكها.

أقول: إنه أحب أن يجعلها كواحدة من فقراء المدينة، تتكفف الناس، وأن يجعل علياً، المكرّم المعظم عنده، الذي كانت حاله معه معلومة، كأبي هريرة الدؤيّي وأنس بن مالك الأنصري، يحكم الأمراء في دمه وعرضه ونفسه وولده، ولا يستطيع الامتناع، وعلى رأسه مائة ألف سيف مسلول؛ تتلظى أكباد أصحابها عليه، ويودّون أن يشربوا دمه بأفواههم، ويأكلوا لحمه بأسنانهم؛ قد قتل أبناءهم وإخوانهم وآباءهم وأعمامهم، والعهد لم يطل، والقروح لم تتقرّف^(١)، والجروح لم تندمل!

فقلت له: لقد أحسنت فيما قلت، إلا أن لفظه عليه السلام يدلّ على أنه لم يكن نصّ عليه، ألا تراه يقول: «ونحنُ الأعْلون نسباً، والأشدُّون بالرسول نوطاً»، فجعل الاحتجاج بالنسب وشدة القرب؛ فلو كن عليه نصّ، لقال عوض ذلك: «وأنا المنصوص عليّ، المخطوب باسمي».

فقال عليه السلام: إنّما أتاه من حيث يعلم، لا من حيث يجهل؛ ألا ترى أنّه سأله، فقال: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام، وأنتم أحقّ به؟ فهو إنّما سأل عن دفعهم عنه؛ وهم أحقّ به من جهة اللحم والعنّة؛ ولم يكن الأسديّ يتصوّر النصّ ولا يعتقده، ولا يخطر بباله، لأنّه لو كان هذا في نفسه، لقال له: لمّ دَفَعك النَّاس عن هذا المقام، وقد نصّ عليك رسول الله ﷺ؟ ولم يقلّ له هذا، وإنّما قال كلاماً عاماً لبني هاشم كافة: كيف دفعكم قومكم عن هذا وأنتم أحقّ به! أي باعتبار الهاشميّة والقربى. فأجابه بجواب أعاد قبله المعنى الذي تعلّق به الأسديّ بعينه؛ تمهيداً للجواب، فقال: إنّما فعلوا ذلك مع أنا أقرب إلى رسول الله ﷺ من غيرنا لأنّهم استأثروا علينا، ولو قال له: أنا المنصوص عليّ، والمخطوب باسمي في حياة رسول الله ﷺ، لما كان قد أجابه، لأنّه ما سأله: هل أنت منصوص عليك أم لا؟ ولا هل نصّ رسول الله ﷺ بالخلافة على أحد أم لا؟ وإنّما قال: لمّ دَفَعك قومكم عن الأمر وأنتم أقرب إلى ينبوعه ومعدنه منهم؟ فأجابه جواباً ينطبق على السؤال ويلائمه أيضاً، فلو أخذ يصرّح له بالنصّ، ويعرّفه تفاصيل باطن الأمر لنفّر عنه، واتّهمه ولم يقبل قوله، ولم ينجذب إلى تصديقه؛ فكان أولى الأمور في حكم السياسة وتدبير الناس؛ أن يجيب بما لا

(١) تقرّف الجرح: طلعت فوقه قشرة، أي شارف البرء.

نُفَرَة منه، ولا مطمئن عليه فيه، انتهى ما أورده في الشرح من كلام النقيب عليه السلام ^(١).

قلت: ويدلّ على صحّة ما ذكره النقيب عليه السلام في الجواب وأنّ أمير المؤمنين عليه السلام عرف من قصد الأسدّي أنّ مراده: ما بل قومكم دفعوكم؟ وهنا دليل ظاهر قوي على أنّكم أحق، وهو قربكم من الرسول؟ قد كان بلغه احتجاج قريش على الأنصار بالقربى، فقال: كيف دفعوكم وحجّتهم كاملة فيكم عليهم؟

فيدلّ على ذلك قوله عليه السلام: «انها - أي القصة - كانت أثرة» - أي استبداد بالعقد -، من غير نظر إلى دليل ولا مراعاة لاحتجاج محتجّ ولكنها مغالبة ومصالاة ومناهبة، وكان الحاضرون للعقد بين شحيح عليه فابتزّه، وسخّي عنه فتركه لذلك. لا لظهور دليل مع من صار إليه حتى يقال: هذا الدليل في غيره أظهر فيتبع النصفة.

و هذا الكلام أظهر دلالة على أنّه لم يكن ثمّ اختيار عن دليل ولا تراود وترجيح بين المستأهلين على ما تدّعيه المعتزلة، وإنّما كانت البيعة فلتة كما اعترف به عمر، والله أعلم. واعلم أنّ غرض النقيب عليه السلام من هذا الكلام استدراج ابن أبي الحديد وأشباهه من منكري النص إلى الاقرار به؛ فإنّهم أنكروه استبعاداً منهم لثبوتهم مع مخالفة الصحابة له فأراد أن يقرب إلى أذهانهم ما استبعدوه.

وقد أورد عنه ابن أبي الحديد كلاماً في هذا الباب عند ذكره أحوال عمر وذكر أخباراً كثيرة تدلّ على النص على أمير المؤمنين اعترف عمر بها ويدلّالتها، فقال ابن أبي الحديد: سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن محمّد بن أبي زيد -، وقد قرأت عليه هذه الأخبار - فقلت له: ما أراها إلّا تكاد تكون دالّة على النصّ، ولكنّي أستبعد أن يجتمع الصحابة على دفع نصّ رسول الله صلى الله عليه وآله على شخص بعينه، كما استبعدنا من الصحابة على ردّ نصّه على الكعبة وشهر رمضان وغيرهما من معالم الدّين، فقال لي عليه السلام: أبيت إلّا ميلاً إلى المعتزلة! ثم قال: إنّ القوم لم يكونوا يذهبون في الخلافة إلى أنّها من معالم الدين، وأنّها جارية مجرى العبادات الشرعية، كالصلاة والصوم، ولكنّهم كانوا يُجرونها مجرى الأمور الدنيويّة، ويذهبون بها مذهب تأمير ^(٢) الأمراء وتدبير الحروب وسياسة الرعيّة، وما كانوا يباليون في

(١) شرح نهج البلاغة ٩: ٢٤٨ - ٢٥١. (٢) في ط: ويذهبون لهذا مثل تأمير.

أمثال هذا من مخالفة نصوصه ﷺ إذا رأوا المصلحة في غيرها؛ ألا تراه كيف نصّ على إخراج أبي بكر وعمر في جيش أسامة، ولم يخرج لهما رأياً أن في مقامهما مصلحة للدولة وللملّة، وحفظاً للبيضة، ودفعاً للفتنة، وقد كان رسول الله ﷺ يخالف وهو حيّ في أمثال ذلك فلا ينكره، ولا يرى به بأساً. ألسنت تعلم أنّه نزل في غزاة بدرٍ منزلاً على أن يحارب قريشاً فيه، فخالفته الأنصار وقالت له: ليس الرأى في نزولك هذا المنزل فاتركه، وانزل في منزل كذا، فرجع إلى آرائهم! وهو الذي قال للأنصار عام قديم إلى المدينة: «لا تُؤبّروا النخل»، فعمموا على قوله، فحالت نخلم في تلك السنة ولم تُثمر حتى قال لهم: «أنتم أعرف بأمر دنياكم وأنا أعرف بأمر دينكم»، وهو الذي أخذ الفداء من أسارى بدرٍ، فخالفه عمر، فرجع إلى تصويب رأيه بعد أن فات الأمر وخلّص الأسرى ورجعوا إلى مكّة، وهو الذي أراد أن يصلح الأحزاب على ثلث تمر المدينة ليرجعوا عنه، فأتى سعد بن معاذ وسعد بن عباد فخالفاه، فرجع إلى قولهما، وقد كان قال لأبي هريرة: اخرج فناد في الناس. «من قال لا إله إلا الله مخلصاً به قلبه دخل الجنة»، فخرج أبو هريرة فأخبر عمر بذلك فدفعه في صدره، حتى وقع على الأرض، فقال: لا تغلها، فإنك إن تغلها يتكلوا عليها، ويدعوا لعمل، فأخبر أبو هريرة رسول الله ﷺ بذلك، فقال: «لا تغلها واخلهم يعملون»، فرجع إلى قول عمر!

وقد أطبقت الصحابة إطباقاً واحداً على ترك كثير من النصوص لما رأوا لمصلحة في ذلك، كإسقاطهم سهم ذوي القربى وإسقاط سهم المؤلفة قلوبهم، وهذان الأمران أدخل في باب الدين منهما في باب الدنيا، وقد عملوا بآرائهم أموراً لم يكن لها ذكر في الكتاب ولسنة، كحدّ الخمر فإنهم عملوه اجتهاداً، ولم يحدّ رسول الله ﷺ شارب الخمر، وقد شربها الجَمّ الغفير في زمانه بعد نزول آية التحريم، ولقد كان أوصاهم في مرضه أن أخرجوا نصارى نجران من جزيرة العرب فلم يخرجوهم، حتى مضى صدر من خلافة عمر، وعملوا في أيام أبي بكر برأيهم في ذلك باستصلاحهم، وهم الذين هدموا المسجد بالمدينة، وحولوا المقام بمكّة، وعمموا بمقتضى ما يغلب في ظنونهم من المصلحة، ولم يقفوا مع موارد النصوص، حتى اقتدى بهم الفقهاء من بعد، فرجّح كثير منهم القياس على

النص، حتى استحالَت الشريعة، وصار أصحاب القياس أصحابَ شريعة جديدة.
قال النقيب عليه السلام: وأكثر ما يعملون بآرائهم، فيما يجري مَجْرَى الولاياتِ والتأشير
والتدبير وتقرير قواعد الدولة، وما كانوا يقفون مع نصوص الرسول عليه السلام وتدبيراته إذا رأوا
المصلحة في خلافها، كأنهم كانوا يقيّدون نصوصه المطلقة بقيّد غير مذكور لفظاً، وكأنهم
كانوا يفهمونه من قرائن حواله، وتقدير ذلك القيد: «افعلوا كذا إن رأيتموه مصلحة».

قال: وأمّا مخالفتهم له فيما هو محض الشرع والدين، وليس بمتعلّق بأُمور الدنيا
وتدبيراتها، فإنّه يقلُّ جدّاً، نحو أن يقول: «الوضوء شرط في الصلاة»، فيجمعوا على ردِّ
ذلك ويجيزوا الصلاة من غير وضوء، أو يقول: «صوم شهر رمضان واجب»، فيطبقوا على
مخالفة ذلك ويجعلوا شوالاً عوضاً عنه، فإنّه بعيد، إذ لا غرض لهم فيه، ولا يقدرّون على
إظهار مصلحة عتروا عليها خَفِيَتْ عنه عليه السلام. والقوم الذين كانوا قد غلب على ظنونهم أنَّ
العرب لا تطيع عليّاً عليه السلام، فبعضها للحسد، وبعضها للوثر والثأر، وبعضها لاستحداثهم سنّه،
وبعضها لاستطائنه عليهم ورفعهم عنهم، وبعضها كراهة اجتماع النبوة والخلافة في بيت
واحد، وبعضها للخوف من شدّة وطأته وشدّته في دين الله، وبعضها خوفاً لرجاء تداوُلِ
قبائل العرب الخلافة إذا لم يقتصر بها على بيت مخصوص عليه، فيكون رجاء كلّ حيٍّ
وصولهم إليها ثابتاً مستمراً، وبعضها ببغضه، لبغضهم لرسول الله عليه السلام - وهم المنافقون من
النّاس، ومن في قلبه زيغ وشك^(١) من أمر النبوة - فأصقّ الكلّ صفاقاً واحداً على صرفِ
الأمر عنه، واحنجر رؤساؤهم: بأنّا^(٢) خفنا الفتنة، وعلمنا أنَّ العرب لا تطيعه ولا تتركه،
وتأوّلوا عند أنفسهم النصّ، ولا ينكر النصّ، وقالوا: إنّه لنص^(٣)، ولكنّ الحاضر يرى ما لا
يرى الغائب، والنصوص^(٤) قد تُترك لأجل المصلحة الكلية، وأعانهم على ذلك مسارعةُ
الأنصار إلى ادّعائهم الأمر، وإخراجهم سعد بن عبادة من بيته وهو مريض، لينصّبوه خليفة
- فيما زعموا - واختلط الناس. وكثر الخبط، وكادت الفتنة أن تشتعل^(٥) نارها، فوثب

(٢) في ط: عنه لغيره وقال رؤساؤهم أنا.

(٤) في ط: والغائب.

(١) لم ترد «وشك» في ط.

(٣) في ط: أنّه النص.

(٥) في ص: تضطرم.

رؤساء المهاجرين، فبايعوا أبا بكر، وكانت فلتة - كما قال قائلهم - وزعموا أنهم أطفئوا بها نائرة الأنصار، فمن سكت من المسلمين، وأغضى ولم يتعرّضهم، فقد كفاهم أمر نفسه، ومن قال سرّاً أو جهراً: إنّ فلاناً قد كان رسول الله ﷺ ذكره، أو نصّ عليه أو أشار إليه، أسكتوه في الجواب؛ بأنّا بادرنا إلى عقد البيعة مخافة الفتنة، واعتذروا إليه^(١) ببعض ما تقدّم، أمّا أنّه حدث السنّ أو تبغضه العرب، لأنّه وترها وسفك دماءها، أو لأنّه صاحب زهوٍ وتيه، أو كيف تجتمع النبوة والخلافة في مغرس واحد بل قد قالوا في العذر ما هو أقوى من هذا وأؤكد، قالوا: أبو بكر أقوى على هذا الأمر منه، لاسيما وعمر يعضّده ويساعده، والعرب تحبّ أبا بكر ويعجبها لينه ورقفه، وهو شيخ مجرّب للأُمور لا يحسده أحدٌ، ولا يحقد عليه أحد، ولا يبغضه أحد، وليس بذى شرف في النسب فيشتمخ على الناس بشرفه. ولا بذى قُربى من الرسول ﷺ فيدلّ بقربه، ودعّ ذاك له، فإنّه فضل مستغنى عنه. قالوا: لو نصبنا عليّاً عليه السلام، ارتد الناس عن الإسلام وعادت الجاهليّة كما كانت، فأيّما أصلح في الدين؟ الوقوف مع النصّ المفضي إلى ارتداد الخلق ورجوعهم إلى الأصنام والجاهليّة أم العمل بمقتضى الأصلح واستبقاء الإسلام واستدامة العمل بالدين، وإن كان فيه مخالفة النصّ!

قال رحمه الله: وسكت الناس عن الإنكار، فإنّهم كانوا متفرّقين.

فمنهم: من هو مبغض شائئٍ لعليّ عليه السلام، فالذي تمّ من صرف الأمر عنه هو قرّة عينه، وبزود قوّاده.

ومنهم: ذو الدين وصحة اليقين، إلّا أنّه لما رأى كبراء الصحابة قد اتّفقوا على صرف الأمر عنه، ظنّ أنّهم إنّما فعلوا ذلك لنصّ سمعوه من رسول الله ﷺ ينسخ ما قد كان سمعه من النصّ على أمير المؤمنين عليه السلام، لا سيّما ما رواه أبو بكر من قول النبي ﷺ: «الأئمة من قريش»، فإنّ كثيراً من الناس توهموا أنّه ناسخٌ للنصّ الخاصّ، وأنّ معنى الخبر أنكم مباحون في نصب إمامٍ من قريش، من أيّ بطون قريش كان، فإنّه يكون إماماً.

(١) في ط: واعتذروا عنده.

وأكد أيضاً في نفوسهم رفض النصّ الخاصّ ما سمعوه من قول رسول الله ﷺ: «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن»، وقوله ﷺ: «سألت الله ألا يجمع أمّتي على خطأ^(١)، فأعطانيها».

فأحسنوا الظنّ بعاقدي البيعة. وقال: هؤلاء أعرف بأغراض رسول الله ﷺ من كلّ أحبّ، فأمسكوا وكفّوا عن الإنكار.

ومنهم: فرقة أخرى - وهم الأكثرون - أعراب وجفّة، وطغام أتباع كلّ ناعق، يميلون مع كلّ ريح، فهؤلاء يقلّدون ولا يسألون ولا ينكرون، ولا يبحثون. وهم مع أمرائهم وولاتهم، لو أسقطوا عنهم الصلاة الواجبة لتركوها، فلذلك أمحق النصّ، وخفي ودّرس، وقويت كلمة العقادين لبيعة أبي بكر، وقواها زيادة على ذلك اشتغال عليّ وبني هاشم برسول الله ﷺ، وإغلاق بايهم عليهم، وتخليتهم الناس يعملون ما شاءوا وأحبّوا، من غير مشاركة لهم فيما هم فيه، لكنهم أرادوا استدراك ذلك بعدما فات، وهيهات الفائت لا رجعة له!

وأراد عليّ ﷺ بعد ذلك نقض البيعة، فلم يتمّ له ذلك، وكانت العرب لا ترى الغدر، ولا تنقض البيعة صواباً كانت أو خطأ، وقد قالت له الأنصار وغيرها: أيّها الرجل، لو دعوتنا إلى نفسك قبل البيعة لما عدلنا بك أحداً، ولكنّا قد بايعنا، فكيف السبيل إلى نقض البيعة بعد وقوعها!

قال النقيب رحمه الله: ومما جرّأ عمر على بيعة أبي بكر والعدول عن عليّ - مع ما كان سمعه^(٢) من الرسول ﷺ في أمره - أنه أنكر مراراً على الرسول ﷺ أموراً عتمدها فلم ينكر عليه رسول الله ﷺ إنكاره، بل رجع في كثير منها إليه، وأشار عليه بأمر كثيرة نزل القرآن فيها بموافقة، فأطمعه ذلك في الإقدام على اعتماد كثير من الأمور التي كان يرى فيها المصلحة، ممّا هي خلاف النصّ، وذلك نحو إنكاره عليه في الصلاة على عبدالله بن أبي المنافق، وإنكاره فداء أسارى بدر، وإنكاره عليه تبرّج نسائه للناس، وإنكاره قضية الحديبية، وإنكاره أمان العباس لأبي سفيان ابن حرب، وإنكاره واقعة أبي حذيفة بن عتبة،

(٢) في ط: يسمعه.

(١) في ط: على ضلال.

وإنكاره أمره بالنساء: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة»، وإنكاره أمره بذبح التواضع، وإنكاره على النساء بحضرة رسول الله ﷺ هيبتهن له دون رسول الله ﷺ... إلى غير ذلك من أمور كثيرة تشتمل عليها كتب الحديث، ولو لم يكن إلا إنكاره قول رسول الله ﷺ في مرضه: «أنتوني بدواة وكتب ليكم ما لا تملكون بعدى»، وقوله ما قال، وسكوت رسول الله ﷺ عنه، وأعجب الأشياء أنه قال ذلك اليوم: حسبنا كتاب الله، فافترق الحاضرون من المسلمين في الدار، فبعضهم يقول: القول ما قال رسول الله ﷺ، وبعضهم يقول: القول ما قال عمر، فقال رسول الله وقد كثر اللغط، وعلت الأصوات: «قوموا عني فما ينبغي لنبي أن يكون عنده هذا التنازع!» فهل بقي للنبيوة مزية أو فضل إذا كان الاختلاف قد وقع بين القولين، ومثل المسلمون بينهما، فرجح قوم هذا، وقوم هذا، فليس ذلك دالاً على أن القوم سووا بينه وبين عمر، وجعلوا القولين مسألة خلاف، ذهب كل فريق إلى نصرة واحد منهما، كما يختلف اثنان من عرض لمسلمين في بعض الأحكام، فينصر قوم هذا وينصر ذاك آخرون، فمن بلغت قوته وهمته إلى هذا، كيف ينكر منه أنه يبايع أبا بكر لمصلحة رآها، ويعدل عن النص! ومن الذي كان ينكر عليه ذلك، وهو في القول الذي قاله للرسول ﷺ في وجهه غير خائف من أنصار، ولا ينكر عليه أحد، لا رسول الله ﷺ ولا غيره، وهو أسد من مخالفة النص في الخلافة وأفظع وأشنع.

قال النقيب رحمه الله: على أن الرجل ما أهمل أمر نفسه، بل أعدّ أعذاراً وأجوبة، وذلك لأنه قال لقوم عرضوا له بحديث النص: إن رسول الله ﷺ رجع عن ذلك بإقامته أبا بكر في الصلاة مقامه، وأوهمهم أن ذلك جار مجرى النص عليه بالخلافة، وقال يوم السقيفة: أيكم يطيب نفساً أن يتقدم قدميْن قدّمهما رسول الله في الصلاة! ثم أكد ذلك بأن قال لأبي بكر، وقد عرض عليه البيعة: أنت صاحب رسول الله في المواطن كلها، شدتها ورخائها، رضيك لديننا، أفلا نرضاك لدينانا!

ثم عاب علياً بخطبته بنت أبي جهن، فأوهم أن رسول الله ﷺ كرهه لذلك ووجد عليه، وأرضاه عمرو بن العاص، فروى حديثاً افتعله واختلقه على رسول الله، قال: سمعته يقول: إن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين، فجعلوا ذلك كالناسخ

لقوله ﷺ: «من كنت مولاه فهذا مولاه».

وقلت للنقيب ﷺ: أيصح النسخ في مثل هذا؟ أليس هذا نسخاً للشيء قبل تقضي وقت فعله؟ فقال: سبحان الله! من أين تعرف العرب هذا؟ وأنى لها أن تتصوره فضلاً عن أن تحكم بعدم جوازها! فهل يفهم حُذاق الأصوليين هذه المسألة، فضلاً عن حَمَقى العرب! هؤلاء قوم ينخدعون بأدنى شبهة، ويُستمالون بأضعف^(١) سبب، وتُبْنى الأمور معهم على ظواهر النصوص ووائل الأدلة، وهم أهل جهل^(٢) وتقليد، لا أصحاب تفصيل ونظر!

قال ﷺ: ثم أكد حسنَ ظنِّ الناس بهم أن ظلفوا^(٣) أنفسهم عن الأموال، وزهدوا في متاع الدنيا وزخرفها، وسلكوا مسلك الرِّفض لزينتها، والرغبة عنها والقناعة بالطَّيف النَّزْر منها، وأكلوا الخشن، ولبسوا الكرايس، ولمَّا أَلَقَتْ إليهم الدنيا أفلاذ كبدها، وقروا الأموال على الناس، وقسموها بينهم، ولم يتدنسوا منها بقليل ولا كثير، فمالت إليهم القلوب، وأحبتهم النفوس، وحسنت فيهم الظنون، وقال من كان في نفسه شبهة منهم، أو وقفه في أمرهم: لو كان هؤلاء قد خالفوا النصَّ لهوى أنفسهم لكانوا أهلَ الدنيا، ولظهر عليهم الميل إليها، والرغبة فيها، والاستئثار بها، وكيف يجمعون على أنفسهم بين مخالفة^(٤) النصِّ، وترك لذات الدنيا ومآربها، فيخسروا الدنيا والآخرة! وهذا لا يفعله عاقل، والقوم عقلاء ذوو ألباب وآراء صحيحة؛ فلم يبق عند أحدٍ شكٌّ في أمرهم ولا ارتياب لفعلهم، وثبتت العقائد على ولايتهم. وتصويب آرائهم^(٥). ونسوا لذَّة الرياسة، وإنَّ أصحاب الهمم العالية لا يلتفتون إلى المأكَل والمشرب والمنكح، وإنَّما يريدون الرياسة ونفوذ الأمر، كما قال الشاعر:

وقد رَغِبْتُ عن لَذَّةِ المالِ أنْفُسُ وما رَغِبْتُ عن لَذَّةِ النُّهْيِ والأَمْرِ

قال ﷺ: والفرق بين الرجلين وبين الثالث، ما أصيب به الثالث، وقُتِلَ تلك القِتْلَةُ، وخلَّعه النَّاسُ وحَصَّروه، وضَيَّقوا عليه بعد أن توالى إنكارهم أفعاله، وجبَّهوه في وجهه

(٢) في ط: وهم أصحاب جهل .

(٤) لم ترد: «بين» في ط .

(١) في ص: «بأدنى».

(٣) في ط: أطلقوا.

(٥) في ط: أفعالهم.

وفسّقه، وذلك لأنّه استأثر هو وأهله بالأموال، وانغمسوا فيها واستبدّوا بها، فكانت طريقته وطريقتهم مخالفةً لطريقة^(١) الأولين، فلم تصبر العرب على ذلك، ولو كان عثمان سلك طريق عمر في الزهد، وجمع الناس، وردّع الأمراء والولاة عن الأموال، وتجنّب استعمال أهل بيته، ووفّر أعراض الدنيا وملاذّها وشهواتها على الناس، زاهدًا فيها، تاركًا لها، معرضًا عنها، لما ضرّه شيء قطّ، ولا أنكر عليه أحد قطّ، ولو حوّل الصلاة من الكعبة إلى^(٢) بيت المقدس، بل لو أسقط عن الناس إحدى الصلوات الخمس، واقتنع منهم بأربع، وذلك لأنّ همم الناس مصروفة إلى الدنيا والأموال، فإذا وجدوها سكتوا، وإذا فقدوها هاجوا واضطربوا، ألسنت ترى رسول الله ﷺ كيف قسّم غنائم هوازن على المنافقين، وعلى أعدائه الذين يتمنّون قتله وموته، وزوال دولته، فلمّا أعطاهم أحبّوه، إمّا كلّهم أو أكثرهم، ومن لم يحبّه منهم بقلبه جامه وداراه، وكفّ عن إظهار عداوته، والإجلاب عليه ولو أنّ عليًّا صانع أصحابه بالمال، وأعطاه الوجوه والرؤساء، لكان أمره إلى الانتظام والاطّراد أقرب، ولكنّه رفض جانب التدبير الدنيوي، وآثر لزوم الدّين، والتمسك بأحكام الشريعة، والملك أمر آخر غير الدين، فاضطرب عليه أصحابه، وهرب كثير منهم إلى عداوته.

وقد ذكرت في هذا الفصل خلاصة ما حفظته عن النقيب أبي جعفر، ولم يكن إمامي المذهب، ولا كان يبرأ من السلف. ولا يرتضي قول المسرفين من الشيعة، ولكنّه كلام أجراه على لسانه البحث والجدل بيني وبينه، على أن العلويّ لو كان كراميًا، لا بدّ أن يكون عنده نوعٌ من تعصّب وميل على الصحابة وإن قلّ، انتهى^(٣).

(١) في ط: الطريق.

(٢) في ص: ولو حوّل لقبله إلى.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٢: ٨٢ - ٩٠.

ومن خطبة له ﷺ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْعِبَادِ، وَسَاطِحِ الْمِهَادِ^(١)، وَمُسِيلِ^(٢) الْوِهَادِ^(٣)، وَمُخْصِبِ^(٤) النَّجْدِ^(٥)، لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ أَيْدَاءٌ^(٦)، وَلَا لِأَوَّلِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ، هُوَ الْأَوَّلُ لَمْ^(٧) يَزَلْ، وَالْبَاقِي بِلَا أَجَلٍ، خَرَّتْ^(٨) لَهُ الْجِبَاهُ^(٩)، وَوَحَّدَتْهُ الشِّفَاهُ^(١٠)، حَدَّ^(١١) الْأَشْيَاءِ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةٌ لَهُ^(١٢) مِنْ شَبَّهَهَا، لَا تَقْدِرُهُ الْأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ وَالْحَرَكَاتِ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَدَوَاتِ، لَا يُقَالُ لَهُ: «مَتَى» وَلَا يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ بـ «حَتَّى»^(١٣)، الظَّاهِرُ لَا يُقَالُ: «مِمَّا»^(١٤)؟، وَالْبَاطِنُ لَا يُقَالُ: «فِيمَا»^(١٥)؟ لَا شَبَحٌ^(١٦) فَيَنْقُضِي^(١٧) وَلَا مَحْجُوبٌ فَيُحَوِّي^(١٨)، لَمْ يَقْرُبْ مِنْ الْأَشْيَاءِ بِالتِّصَاقِ، وَلَمْ

(١) في هـ. ب: الأرض، وفي هـ. ص: هو هنا الأرض، وأصله الفراش، وقد سُمِّيَ الله تعالى الأرض مهاداً وفراشاً وبسطاً، والسطح: البسيط.

(٢) في هـ. ب، وفي نسخة: ومسبل.

(٣) في هـ. ب و ص: جمع وهدء، وهو المكان المطمئن.

(٤) في هـ. ب: أخضب: أعشب.

(٥) في هـ. ب: جمع نجد، وهو ما ارتفع من الأرض.

(٦) في هـ. ص: أي أنه واجب الوجود لذاته، ويتفرّع عليه ما بعده

(٧) في ط: ولم. (٨) في هـ. ب: سقطت.

(٩) في هـ. ب: جمع جبهة.

(١٠) في هـ. ب: أضاف الخُرُورَ إلى الجباه والتوحيد إلى الشفاه.

(١١) في هـ. ص: أي جعل لها حُدُوداً وغايات.

(١٢) لم ترد «له» في أ وفي هـ. أ: لها له، وفي هـ. د: لها - ف ر.

(١٣) في هـ. ص: لأن «حتى» للزمان ويتضمن السؤال عن الابتداء.

(١٤) في ط: ممّ.

(١٥) في ط: «فيم»، وفي هـ. ص: أي لا يقال «ممّ ظهر؟» كما هو شأن كلّ ظاهر غيره، ولا يقال

«فيم بطن؟» كما هو شأن بطن الأجسام. (١٦) في هـ. ب: لا شخص.

(١٧) في هـ. ب، وفي نسخة: فيتقضى - بالصاد وبالضاد -، وفي هـ. ص: من شأن الجسم أن ينقضي.

(١٨) في هـ. ص: من شأن المحجوب بغيره أن يحويه حاجبه.

يَبْعُدُ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ^(١)، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شَخُوصٌ^(٢) لَحْظَةٍ^(٣)، وَلَا كُرُورٌ^(٤) لَفْظَةٍ، وَلَا
 أَرْذِلَافٌ^(٥) رُبُوعَةٍ^(٦)، وَلَا انْبِسَاطٌ خُطْوَةٍ فِي لَيْلٍ دَاجٍ^(٧)، وَلَا غَسَقٍ سَاجٍ، يَتَفَيَّأُ^(٨) عَلَيْهِ^(٩)
 الْقَمَرُ الْمُنِيرُ، وَتَعْقِبُهُ^(١٠) الشَّمْسُ ذَاتُ الثُّورِ، فِي الْكُرُورِ وَالْأَفْوَلِ^(١١)، وَتَقْلِبُ^(١٢) الْأَزْمِنَةَ
 وَالذُّهُورَ مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ، وَإِذْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ، قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَمُدَّةٍ^(١٣)، وَكُلِّ إِحْصَاءٍ وَعِدَّةٍ.
 تَعَالَى عَمَّا يَنْحَلُهُ^(١٤) الْمُحَدِّثُونَ^(١٥) مِنْ صِفَاتِ الْأَقْدَارِ^(١٦)، وَنِهَايَاتِ الْأَقْطَارِ^(١٧)،
 وَتَأْتِلِ^(١٨) الْمَسَاكِينِ، وَتَمَكِّنِ الْأَمَاكِينَ، فَالْحَدِّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ وَإِلَى غَيْرِهِ مَنُشُوبٌ.
 لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أَصُولٍ أَرْزَلِيَّةٍ وَلَا مِنْ^(١٩) أَوَائِلِ^(٢٠) أَبَدِيَّةٍ، بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ،
 وَصَوَّرَ مَا صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ^(٢١).

لَيْسَ لِسَيِّءٍ مِنْهُ أَمْتِنَاعٌ^(٢٢)، وَلَا لَهُ بِطَاعَةِ شَيْءٍ انْتِفَاعٌ، عِلْمُهُ بِالْأَمْوَاتِ الْمَاضِينَ كَعِلْمِهِ

(١) فِي ب - ظَاهراً - : بِافْتِرَاقٍ. (٢) فِي هـ. ب. نَهَايَتَهَا

(٣) أَيِ امْتِدَادٍ بِصِرٍّ. (٤) فِي ص: وَكُرُورٌ.

(٥) تَقْرِبُهَا مِنْ لِنَظَرٍ. هـ. ب: قَرَبَ. (٦) فِي هـ. د: وَرْتَوْه - ك. ر.

(٧) الدَّاجِي: الْمَظْلَمُ. (٨) فِي هـ. ب: يَتَقَلَّبُ، وَفِي ص: يَتَقَلَّبُ قَبْفِيءً.

(٩) فِي هـ. ص: أَيِ عَلَى الْغَسَقِ.

(١٠) هـ. ص: أَيِ تَتَعَقَّبُهُ، فَحُذِفَ حُرُوفُ الْمَضَارَعَةِ.

(١١) فِي ط د: الْأَفْوَلُ وَالْكُرُورُ، وَفِي هـ. د: الْكُرُورُ وَالْأَفْوَلُ وَتَقْلِبُ - ف م ن ل ش

(١٢) فِي أَوْ ب و ط: وَتَقْلِبُ.

(١٣) «قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ» مُتَعَلِّقٌ بـ «يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ أَيِ يَعْلَمُهُ

قَبْلَ. (١٤) فِي هـ. ب: أَيِ يَدْعُوهُ مِنَ النَّحْلَةِ.

(١٥) فِي ص زِيَادَةٌ لَهُ.

(١٦) فِي هـ. ص: جَمْعُ قَدَرٍ، أَيِ تَعَالَى أَنْ يَوْصَفَ بِقَدَرٍ.

(١٧) فِي هـ. ب الْجَوَانِبُ، جَمْعُ قَطْرٍ، وَفِي هـ. ص: جَمْعُ قَطَرٍ، وَهُوَ الْجَانِبُ.

(١٨) التَّائِلُ: لِنَاصِلٍ، وَفِي هـ. ب: تَحْكُمُ، هـ. ب: تَأْتِلُ الْمَالُ: إِذَا عَقَدَهُ لِلانْتِفَاعِ، وَفِي هـ. ص: أَيِ

انْتِخَاذِهِ مِنَ الشَّرْحِ. (١٩) فِي هـ. د: لَمْ تَرِدْ «مِنْ» فِي ب.

(٢٠) فِي هـ. ب: أَوَائِلُ، إِشَارَةٌ إِلَى أَصْحَابِ الْهَيُولَى.

(٢١) لَمْ نَكُنْ مَوَادِّ مَتَسَاوِيَةٍ فِي الْقَدَمِ وَالْأَرْزَلِيَّةِ، فَجَعَلَهَا لِنَصَاوِيرٍ مُخْتَلِفَةٍ، بِنِ خَلْقِ الْمَادَّةِ وَأَقَامَ لَهَا

حُدُوداً وَصَوَّرَ مِنْهَا الْمَخْلُوقَاتِ.

(٢٢) أَيِ لَا يَمْتَنَعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ فَهِيَ كَلَّا تَحْتَ قَدْرَتِهِ.

بِالْأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ، وَعِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الْأَرْضِينَ ^(١) السُّفْلَى.
مِنْهَا:

أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ ^(٢)، وَالْمُنْشَأُ ^(٣) الْمَرْعِيُّ ^(٤) فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ، وَمُضَاعَفَاتِ
الْأَسْتَارِ، بُدِئْتَ مِنْ سُلَالَةٍ ^(٥) مِنْ طِينٍ، وَوُضِعْتَ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ^(٦) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ، وَأَجَلٍ
مَقْسُومٍ، تَمُورُ ^(٧) فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِينًا ^(٨)، لَا تُحِيرُ ^(٩) دُعَاءً، وَلَا تَسْمَعُ نِدَاءً، ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ
مَقْرَكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا ^(١٠)، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا، فَمَنْ هَذَاكَ لِاجْتِرَارِ ^(١١) الْغِذَاءِ مِنْ
تَدْيِ أُمِّكَ، وَعَرَفَكَ ^(١٢) عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ ^(١٣) طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ، هَيْهَاتَ إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ
صِفَاتِ ذِي الْهِئَةِ وَالْأَدْوَاتِ فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أُعْجِزُ، وَمَنْ تَنَاوَلَهُ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ
أُبْعَدُ.

مباحث كلامية:

قال في شرح ابن أبي الحديد: واعلم أنه عليه السلام أورد في هذه الخطبة ضرباً من علم
التوحيد، وكلها مبنية على ثلاثة أصول:

الأصل الأول: أنه تعالى واجب الوجود لذاته، ويتفرع على هذا الأصل فروع:

هي المذكورة بينه وبين الأصل الثاني.

الأصل الثاني: أنه تعالى عالم لذاته، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «لا يخفى عليه من

عباده».

(١) في هـ. د: الأرض - ب.

(٢) في هـ. ب: المخلوق.

(٤) في هـ. ص: المحفوظ الملحوظ.

(٥) في هـ. ب: أي من خلاصة، لأنها سلّت من بين الكدر، ويحتمل أن يريد أصل الإنسان وهو
آدم عليه السلام، وأن يريد كل واحد من نسله؛ لأنّ النطفة سلّت من الغذاء والغذاء من الطين والماء،
وأنه أعلم.

(٦) في هـ. ص: هو الرحم.

(٨) في ص: حيناً.

(٧) في هـ. ص: تتحرك.

(٩) في هـ. ب: يقال: كلمته فما أحرار إليّ جواباً، أي: ما رجع إليّ جواباً، وفي هـ. ص: أي: لا

ترجع، أحرار يحير: أي أجاب.

(١٠) في هـ. ب: تحضرها.

(١١) في هـ. ب: من الجر، وهو مصّ الطفل ثدي أمه.

(١٢) في ب: وحرّك، وفي هـ. ب: عرفك. (١٣) في ط: مراضع.

الأصل الثالث: أنه تعالى قادر لذاته، فكان قادراً على كل الممكنات، وإليه الإشارة بقوله: «لم يخلق الأشياء من أصول أزلية، ولا من أوائل أبدية، بل خلق ما خلق فأقام حدّه، وصوّر ما صوّر فأحسن صورته»، والردّ في هذا على أصحاب الهيلولي والطينة التي يزعمون قدّمها، انتهى^(١).

قلت: ولعمري إنّ هذا الكلام كما هو ردّ على أهل الهيلولي والطينة لهو ردّ على المعتزلة الذاهبين إلى أنّ ذوات العالم ثابتة في الأزل وأنّ تأثير الباري سبحانه إنّما هو في إيجادها لا في تدويرها؛ فإنّه لا فرق بين قولهم وقول أهل الهيلولي والطينة إلّا في العبارة كتعبيرهم «بالذات» و «الثبوت» و «الأزل»، بدل «الطينة» و «الوجود» و «العدم» ومجرد الاصطلاح لا يقتضي اختلاف المفهومات الوضعية.

على أنّ ابن أبي الحديد قد ذكر فيما نقلناه عنه أنّ امتناع أصحاب أبي هاشم من وصفها بالقدم إنّما هو امتناع في اللفظ لا في المعنى، فانتبه لفساد هذا القول، والله أعلم ثم قال ابن أبي الحديد: وأعلم أنّ هذا الفنّ هو الذي بانّ به أمير المؤمنين عليه السلام عن العرب في زمانه قاطبة واستحقّ به التقدّم والفضل عليهم أجمعين؛ وذلك لأنّ الخاصّة التي يتميّر بها لإنسان عن البهائم هي العقل والعلم، ألا ترى أنّه يشاركه غيره من الحيوانات في اللّحميّة والدُمويّة والقوّة والفدرة، والحركة الكئنة على سبيل الإرادة والاختيار، فليس الامتياز إلّا بالقوّة الناطقة، أي العاقلة العالمة؛ فكلّما كان الإنسان أكثر حظاً منها، كانت إنسانيّته أتمّ؛ ومعلوم أنّ هذا الرّجل نفرد بهذا الفنّ، وهو أشرف العلوم، لأنّ معلومه أشرف المعلومات، ولم يُنقل عن أحدٍ من العرب غيره في هذا الفنّ حرف واحد، ولا كانت أذهانهم تصلّ إلى هذا، ولا يفهمونه فهو بهذا الفنّ منفرد^(٢)، وبغيره من الفنون - وهي العلوم الشرعية - مشارك لهم، وراجع عبيهم؛ فكان أكملّ منهم، لأنّا قد بيّنا أنّ الأعلام أدخل في صورة الإنسانيّة؛ وهذا هو معنى الأفضلية، انتهى من الشرح^(٣).

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٥٣ - ٢٥٦ (٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٥٧.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٥٧.

قوله ﷺ: «لم يخلق الأشياء من أصول أزليّة.. الى آخره»:

اعلم أنّ القاسم بن إبراهيم قد جوّد في مناظرته للملحد الكلام في إفساد قول من يجعل الأصول أزليّة والفروع حادثة ووضّح أنّ حكم الأصول يجب أن يكون حكم الفروع، فكما قامت الدلالة على حدوث الفروع كانت تلك الدلالة قائمة على حدوث الأصول.

قال الملحد في أثناء المناظرة: إن صححت أنّ حكم الأصول حكم الفروع تركت مذهبي؛ فإنّه قد عظمت عليّ الشبهة في هذا الموضع. فيبين له القاسم ذلك بتقسيم وتمثيل وإفساد للفاسد وتصحيح للصحيح.

فلما بيّن له ذلك قال الملحد حينئذٍ: بارك الله فيك وفيمن ولدك، فقد أوضحت ما كان ملتبساً عليّ، انتهى.

فلا ينبغي الاعراض عنه ممّن ينظر في هذا الفن فإنّه أقرب مسلكاً وأوضح طريقاً في إثبات حدوث العالم، قال فيه: والدليل على أنّ الله عزّ وجلّ ليس بعلة ذلك، أنّ فعّاله تعالى مختلفة الأحوال متنقلة الصفات، ولو كان هو العلة لما زال شيء عن صفته، لأنّه - عزّ ذكره - قديم، والقديم لو كان علة شيء لم يزل معلوله كما لم يزل في نفسه. وزوال الأشياء عن صفاتها تدلّ على أنّ البارئ - عزّ وجلّ - ليس بعلة ولا معلول، انتهى.

قوله ﷺ: «هيهات أن من يعجز... إلى آخره»:

أي: بعد أن يحيط علماً بالخالق ممّن عجز عن معرفة المخلوق! قال الشاعر:

رأيتُ الورى يدعون الهدى	وكم يدعي الحقّ خلق كثير
وما في البرايا امرؤ عنده	من العلم بالحقّ إلا اليسير
خفيّ فما ناله ناظر	وما إن أشار إليه مشير
ولا شيء أظهر من ذاته	وكيف يرى الشّمس أعمى ضرير!

انتهى من الشرح^(١).

ومن كلام له عليه السلام ^(١) لما اجتمع الناس إليه ^(٢)، وشكوا ^(٣) ما نقموه ^(٤) على عثمان،
وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه ^(٥) لهم، فدخل عليه السلام على عثمان، فقال:
إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي وَقَدْ اسْتَسْفَرُونِي ^(٦) بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ؛ وَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ ^(٧)! مَا
أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ ^(٨)، وَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ ^(٩) لَا تَعْرِفُهُ!
إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ؛ مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَتُخَيِّرَكَ عَنْهُ، وَلَا خَلَوْنَا ^(١٠) بِشَيْءٍ فَتُبَلِّغَكَهُ؛
وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا، وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا
صَحِبْنَا. وَمَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلَا ابْنُ الْخَطَّابِ بِأَوْلَى بِعَمَلِ الْحَقِّ ^(١١) مِنْكَ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَيْجَةِ ^(١٢) رَحِمٍ مِنْهُمَا، وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صَهْرِهِ ^(١٣) مَا لَمْ

(١) في ط زيادة: لعثمان بن عفان، فالوا. (٢) في ط: إلى أمير المؤمنين عليه السلام

(٣) في ط: وشكوا إليه.

(٤) في هـ ص: نقمت على زيد، أنقم وأنا ناقم؛ إذا عبت عليه، وهذه اللفظة تجيء لازمة
ومنعوبة - من الشرح.

(٥) في هـ ب: الاستعتاب: طلب الرضا، وفي هـ ص: أي طلبوا منه ما يرضيهم، من الشرح.

(٦) في هـ ب: أي جعلوني سفيراً، وفي هـ ص: أي جعلوني سفيراً ووسيطاً بينك وبينهم، من
الشرح.

(٧) في هـ ب: ما أعلم ما أقول لك وأنت لا تعلم ذلك، وفي هـ ب أيضاً: ليس هذا أقوال على أنه
يعلم من العلوم الدينية، بل يقول له قولاً لئلا ويرافب جانبه.

(٨) في هـ ص: تجهله، أي: من هذه الأحداث خاصة، وهذا حق؛ لأن علياً عليه السلام لم يكن يعلم
منها ما يجهله عثمان، بل كل أحد من الصبيان، فضلاً عن العلماء المتميزين بعلمون وجهي
الصواب والخطأ فيها، انتهى من الشرح (٩) في هـ د: شيء - ب.

(١٠) في هـ ب: خلون مع النبي بالمدينة (١١) في ط: الخير، وفي هـ د: الخير - ح ل.

(١٢) هـ ب: وشيعة: قرابة، هـ د: وشيعة قرابة مهما - هـ مش ش.

(١٣) في هـ ب: أي زوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنت خديجة، وفي هـ ص: قال ابن أبي الحديد: هذا

يَنَالَا^(١)؛ فَاللهُ اللهُ فِي نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ وَاللهِ مَا تُبْصِرُ^(٢) مِنْ عَمِي، وَلَا تُعْلَمُ مِنْ جَهْلٍ؛ وَإِنَّ الطَّرِيقَ^(٣) لَوَاضِحَةٌ، وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ.

فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللهِ عِنْدَ اللهِ إِمَامٌ عَادِلٌ؛ هُدًى وَهَدًى^(٤)، فَأَقَامَ سُنَّةَ مَعْلُومَةٍ، وَأَمَاتَ بِدْعَةَ مَجْهُولَةٍ؛ وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَثِيرَةٍ^(٥) لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ الْبِدْعَ لظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ؛ وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ؛ فَأَمَاتَ سُنَّةَ مَاخُودَةٍ، وَأَحْيَا بِدْعَةَ مَثْرُوكَةٍ؛ وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ، وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ^(٦) وَلَا عَاذِرٌ^(٧)، فَيُلْتَمَى فِي جَهَنَّمَ^(٨)، فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى؛ ثُمَّ يَرْتَبُطُ^(٩) فِي قَعْرِهَا».

وَإِنِّي أُنْشِدُكَ اللهُ^(١٠) أَنْ تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ: يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَلْبَسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا، وَيَبِثُّ الْفِتْنَ فِيهَا، فَلَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ؛ يَمْوُجُونَ فِيهَا مَوْجًا، وَيَمْرُجُونَ^(١١) فِيهَا مَرْجًا. فَلَا تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ^(١٢) سَيِّقَةً^(١٣) يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جُلَالِ^(١٤) السُّنَنِ، وَتَقْضِي الْعُمْرَ.

فَقَالَ لَهُ عَثْمَانُ:

→ موضع المثل: «نسر حسوا في ارتقاء» ومراده تفضيل نفسه ﷺ عليهما؛ لأنَّ العلة التي فضل عثمان باعتبارها محققة فيه وزيادة؛ لأنَّ له مع المنافقة الهاشمية، فهو أقرب. والوشيجة: عروق الشجرة، انتهى.

- (١) في ب: من لم ينالا، وفي هـ. ب: مالم ينالا - صح. من قرابة الرسول ﷺ.
- (٢) في هـ. ب: ما تبصر من عمي، أي: أنت بصير به وأنت عليم لا حاجة لك إلى غيرك.
- (٣) في ص: الطريق.
- (٤) في ب و ص: فهدى.
- (٥) في هـ. د: لكثيرة - م، وفي الهامش لنيرة. (٦) في هـ. ب، وفي نسخة: زيادة: تصير.
- (٧) في هـ. ب: معذر.
- (٨) في هـ. ب: في رواية: في نار جهنم. وفي ط: في نار جهنم.
- (٩) في ص: يرتبك، وفي هـ. ب: يرتبط يرتبك معاً، ويرتبك: أي ينشب.
- (١٠) في هـ. ب: أي أقسمت بك بالله.
- (١١) في هـ. ب: يخلطون.
- (١٢) في هـ. ب: مروان بن الحكم.
- (١٣) في هـ. ب: سائق، وفي هـ. ب: ما يساق من الدواب.
- (١٤) في هـ. ص: بالضم الجليل.

كَلَّمَ النَّاسَ فِي أَنْ يُؤْجِّلُونِي، حَتَّى أَخْرَجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ.

فَقَالَ ﷺ:

مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ؛ وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وَصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ^(١).

قال ابن أبي الحديد: وقد ذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في «التاريخ الكبير»^(٢) هذا الكلام، فقال: إنَّ نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ تكاتبوا، فكتب بعضهم إلى بعض: أن أقدموا، فإنَّ الجهاد بالمدينة لا بالروم؛ واستطال الناس على عثمان، ونالوا منه؛ وذلك في سنة أربع وثلاثين؛ ولم يكن أحدٌ من الصحابة يذُبُّ عنه ولا ينهى؛ إلَّا نفراً، منهم زيد بن ثابت، وأبو أسيد الساعدي، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت؛ فاجتمع الناس، فكلموا علي بن أبي طالب ﷺ، وسألوه أن يكلم عثمان، فدخل عليه، وقال له: إنَّ الناس ورئي^(٣) الكلام إلى آخره بالفاظه، فقال عثمان: وقد علمت أنَّك لتقولنَّ^(٤) ما قلت! أما والله لو كنت مكاني ما عنفتك، ولأعتبتُ عليك^(٥). ولم آت منكراً، إنَّما وصلتُ رَحِماً، وسددتُ خَلَّةً، وآويت ضائعاً، ووليت شبيهاً بمن كان عمر يوليّه؛ أنشدك الله يا علي، ألا تعلم^(٦) أنَّ المغيرة بن شعبة ليس هناك! قال: بلى، قال: أفلا تعلم أنَّ عمر ولّاه! قال: بلى، قال: فلمَ تلومني أنَّ ولّيت ابنَ عامر في رَحِمِهِ وقربته! فقال عليّ ﷺ: إنَّ عمرَ كان يطأ على صماخ من يوليّه. ثم يبلغ منه إن أنكر منه أمراً أفضى إلى العقوبة^(٧)، وأنت فلا تفعل: ضعفت ورققت على أقربائك.

قال عثمان: هم أقرباؤك أيضاً، فقال عليّ: لعمرى إن رَحِمَهُم منّي لقريبة؛ ولكنَّ الفضل في غيرهم^(٨).

فقال عثمان: أفلا تعلم أنَّ عمر ولّى معاوية! فقد ولّيته. قال عليّ: أنشدك الله ألا تعلم أنَّ

(١) لم نرد «إليه» في ب.

(٢) في ط: إنَّ الناس... وروى.

(٣) الطبري: «ما عنفتك ولا أسلمتك».

(٤) في ط: أقصى العقوبة.

(٥) تاريخ الطبري ٥: ٩٦، ٩٧، ط الحسينية.

(٦) الطبري: «قد والله علمت ليقولن الذي قلت».

(٧) الطبري: «هل تعلم».

(٨) من الطبري.

معاوية كان أخوفَ لعمر من يَرُفأ غلامه له؟ قال: بلى، قال: فإنَّ معاوية يقطع الأمور دونك ويقول للناس: هذا بأمر عثمان، وأنت تعلم ذلك فلا تغيّر عليه!

ثم قام عليّ، فخرج عثمان على أثره، فجلس على المنبر، فخطب الناس، وقال: أما بعد؛ فإنَّ لكلِّ شيء آفة، ولكلِّ أمرٍ عاهة، وإن آفة هذه الأمة، وعاهة هذه النعمة قوم عَيَّابون طَعَّانون يُؤُونُكُمْ ما تحبُّون، وَيُتَزَوْنَ عَنْكُمْ ما تكرهون، يقولون لكم وتقولون: أمثال النعام يتبعُ أوَّلَ ناعق، أحبَّ مواردها إليها البعيد، لا يشربون إلَّا نغصاً ولا يردُّون إلَّا عِكرًا. أما والله لقد عبثتم عليّ ما أقررُّكم لابن الخطاب بمثله؛ ولكنّه وطئكم برجله، وضربكم بيده، وقمّعكم بلسانه؛ فدنتم له على ما أحببتم وكرهتم، ولثت لكم، وأوطأتكم كَتِفي، وكففت يدي ولساني عنكم، فاجترأتم عليّ. أما والله لأنّا أقربُ ناصراً، وأعزُّ نفراً؛ وأكثر عدداً؛ وأحرى إن قلت: هلّم أن يُجاب صوتي. ولقد أعددت لكم أقراناً؛ وكشّرت لكم عن نابي؛ وأخرجتم مني خُلُقاً لم أكن أحسنه؛ ومنطقاً لم أكن أنطق به. فكفّوا عني ألسنتكم وطعنكم وعيبيكم على ولاتكم، فما الذي تفقدون من حقّكم! والله ما قصّرت عن بلوغ شأو من كان قبلي^(١)؛ وما وجدتكم تختلفون عليه؛ فما بالكم!

فقام مروان بن الحكم، فقال: وإن شئتم حكّمتنا بيننا وبينكم السيف.

فقال عثمان: اسكت لا سكت! دعني وأصحابي، فما منطقك في هذا! ألم أتقدّم^(٢) إليك ألا تنطق!

فسكت مروان، ونزل عثمان، انتهى^(٣).

(١) في ط: عن بلوغ من كان قبلي يبلغ. (٢) تقدم إليه: أمره.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٦٥.

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها عجب خلقه الطاووس:

ابْتَدَعَهُمْ^(١) خَلْقًا عَجِيبًا مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ^(٢)، وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ^(٣). وَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صُنْعَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، مَا انْقَادَتْ لَهُ الْعُقُولُ^(٤) مُعْتَرِفَةً بِهِ^(٥) وَمُسَلِّمَةً^(٦) لَهُ، وَنَعَقَتْ^(٧) فِي أَسْمَاعِنَا دَلَالَتُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَمَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُورِ الْأَطْيَارِ الَّتِي أَسْكَنَهَا أَخَادِيدَ^(٨) الْأَرْضِ، وَخُرُوقَ فِجَاجِهَا^(٩)، وَرَوَاسِي أَعْلَامِهَا^(١٠)؛ مِنْ ذَوَاتٍ^(١١) أَجْنَحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ؛ وَهَيْئَاتٍ مُتَبَيِّنَةٍ؛ مَصْرَفَةٍ فِي زِمَامِ التَّشْخِيرِ^(١٢)، وَمُرْفَرَفَةٍ^(١٣) بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَخَارِقِ الْجَوِّ الْمُتَفْسِحِ^(١٤)، وَالْقَضَاءِ الْمُتَفَرِّجِ.

كَوْنُهَا بَعْدَ إِذْ لَمْ تَكُنْ، فِي عَجَائِبِ صُورِ ظَاهِرَةٍ، وَرَكِّبَهَا فِي حِقَاقٍ^(١٥) مَفَاصِلَ مُحْتَاجَةٍ^(١٦)، وَمَنَعَ بَعْضُهَا بِعِبَالَةٍ خَلَقَهُ^(١٧) أَنْ يَسْمُوَ فِي الْهَوَاءِ^(١٨) خُفُوفًا؛ وَجَعَلَهُ يَدْفُ^(١٩)

(٢) في هـ. ب: الجماد.

(٤) في هـ. ب: انقادت العقلاء.

(٦) في هـ. ب: منقادة.

(١) في هـ. ب: اخترعهم.

(٣) في هـ. ب: الرياح والماء.

(٥) في هـ. ب: مقررّة.

(٧) هـ. ب و ص: صاحت

(٨) في هـ. ب: جمع اخدود: الواسعة بين الجبلين، وفي هـ. ب: جمع اخدود، وهو الشق في الأرض.

(٩) في هـ. ب: جمع خرق، وهو الأخدود، وفي هـ. ص: جمع فجّ، وهو الفضاء بين الجبلين.

(١٠) في هـ. ب و ص: الجبال.

(١١) في هـ. ب: ذات، وفي هـ. د: ذات - ص ح ب.

(١٢) في هـ. ب: لتذليل.

(١٤) في هـ. ب: الواسع

(١٥) في هـ. ب: جمع حقّة، من انعظم والعصب واللحم حول المفصل، وفي هـ. ص: جمع حق، ويعني به مجمع المصلين من الأعضاء، من الشرح.

(١٦) في هـ. ب: من الاحتجاب.

(١٧) في هـ. ب: أي كثافة جسمه.

(١٨) في هـ. ب: في السماء، وفي هـ. د: السماء - ف ن م.

(١٩) في هـ. ب: دفع الطائر: مرّ فوق الأرض، وفي هـ. ص: أي قرب من الأرض.

دَفِيفًا؛ وَنَسَقَهَا^(١) عَلَى اخْتِلَافِهَا فِي الْأَصَابِغِ بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ، وَدَقِيقِ صَنَعَتِهِ؛ فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ^(٢) فِي قَالِبٍ لَوْنٍ لَا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنٍ مَا غَمَسَ فِيهِ، وَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي لَوْنٍ صَبِغٍ قَدْ طَوَّقَ^(٣) بِخِلَافٍ مَا صَبِغَ بِهِ.

وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقًا الطَّائُوسُ؛ الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ^(٤) تَعْدِيلٍ^(٥)، وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ^(٦) قَصَبَهُ^(٧)، وَذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ؛ إِذَا دَرَجَ إِلَى الْأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طَيِّبِهِ، وَسَمَّا^(٨) بِهِ مُطَلَّأً^(٩) عَلَى رَأْسِهِ؛ كَأَنَّهُ قَلْعٌ^(١٠) دَارِيٌّ^(١١) عَنَجَهُ^(١٢) نُورَتِيهِ^(١٣). يَخْتَالُ^(١٤) بِأَلْوَانِهِ، وَيَمِيسُ^(١٥) بِزَيْفَانِهِ. يُفْضِي^(١٦) كَإِفْضَاءِ الدِّيَكَةِ^(١٧)، وَيَوُزُّ^(١٨) بِمَلَاقِحِهِ^(١٩)

(١) في هـ. ب: أي جعلها مسوقاً.

(٢) في هـ. ب: المغموس هو الشيء المستور تحت الماء أو تحت الطين.

(٣) في أ: قد طرَّق. (٤) في ط: أحسن.

(٥) في هـ. ب: استقامة: مستقيم.

(٦) في أ: أسرج، وفي هـ. أ: في التكملة عن الجاردعي: المشرح: اللسان؛ لأنه يؤلف الكلام، يقال: سرجت انصوم. سردت أي تابعت.

(٧) في هـ. ب: سرجت العيبة إذا أحلت من أشراجها، وفي هـ. ص: أشرج قصبه، أي: ركب بعضها فوق بعض كما أن شرح العيبة: أي يداخل بين أشراجها، وهي عراها واحدها شرح، والقصب - هاهنا - عروق الجناح وغضاريفه وعظامه الصغار، تمت من الشرح.

(٨) في هـ. ب: علا. (٩) في ص: مظللاً، وفي هـ. ب: مرتفعاً.

(١٠) في هـ. أ: شراع، وفي هـ. ب: الشراع، وفي هـ. ص: عن الصحاح: بكسر القاف، والقلع: شراع السفينة، والدري: جالب العطر من البحر من دارين، وهي فرضة في البحرين فيها سوق يحمل إليها المسك من الهند، والنوتي: الملاح والجمع: نواتي، انتهى من الشرح.

(١١) في هـ. ب: إسم بلد.

(١٢) في هـ. ب: عطفه، وفي هـ. ص عطفه ولَوَاهُ، والنوتي بالنون والواو والتاء: لملاح.

(١٣) في هـ. ب: مَلَّاجُهُ. (١٤) في هـ. ص: يتبختر.

(١٥) في هـ. ب: أي ينكب ويبتخر، وفي هـ. ص: يتمايل كثيراً، والزيفان: الخفة والغرة.

(١٦) هـ. ب: يصل، هـ. ص: أي يصل إلى أنثى ويلقي إليها لقاحه.

(١٧) في هـ. ب: إفضاء الديكة للدجاج وصوله إليها عند الجماع.

(١٨) في ب: ويأر، وفي ص: ويور، وفي هـ. ب: يلقي النكاح، وفي هـ. ص: ينكح.

(١٩) في هـ. ب: من ألّح الفحل الناقة، وفي هـ. ص: جمع ملّح آلة النكاح.

أَرَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَةِ لِلضَّرَابِ^(١). أَجِيلُكَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مُعَايِنَتِهِ، لَا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَعِيفِ إِسْنَادِهِ. وَلَوْ كَانَ كَزَعْمٍ مَنْ يَزَعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَا^(٢) مَدَامِعُهُ، فَتَقِفُ فِي^(٣) ضَفَّتِي^(٤) جُفُونِهِ، وَأَنَّ أَثْنَاءَ تَطْعَمٍ^(٥) ذَلِكَ؛ ثُمَّ تَبْيِضُ^(٦) لَا مِنْ لِقَاحِ فَحْلٍ سِوَى الدَّمْعِ الْمُنْبِجِسِ^(٧)؛ لَمَّا كَانَ ذَلِكَ بِأَعْجَبٍ مِنْ مُطَاعَمَةِ الْغَرَابِ^(٨) تَخَالُ^(٩) قَصْبُهُ مَدَارِي^(١٠) مِنْ فِضَّةٍ، وَمَا أَثَبَّتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ^(١١) وَشُمُوسِهِ^(١٢) خَالِصِ الْعِثْيَانِ^(١٣) وَقَلِيدَ^(١٤) الزَّبَرْجَدِ^(١٥)، فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أَثَبَّتِ الْأَرْضُ قُلْتُ: جَنِيٌّ جُنِيٌّ^(١٦) مِنْ زَهْرَةٍ كُلِّ رَيْسِيعٍ^(١٧)، وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ^(١٨) بِالْمَلَابِسِ^(١٩)

(١) لم ترد «أَرَّ الفحول المغتلمة للضراب» في أوب وفي هـ. د: العبارة ساقطة من ق ن ش ب، وللضراب ساقطة من م ل.

(٢) في د: تنسجها، وفي هـ. د: تسفحها - ض م ح، وبخط الرضي تنسجها، تنسجها - ل، وفي هـ. : نسجها، وفي هـ. ص: تسفحها، ويروى: تسحها، من السح: صب الماء. (من الشرح).

(٣) لم ترد «في» في ب.

(٤) في هـ. ب: جانبي، وفي هـ. ص: والضفة بفتح الضاد المعجمة: الجانب، وهما ضفتا النهر، وقد جاء ذلك بالكسر أيضاً (من الشرح). (٥) في ص: تطعم، وفي هـ. أ: التطاعم بالفم.

(٦) في هـ. ب: من باض يبيض.

(٧) في هـ. ب: الدمع المنبجس: الذي يجيء قليلاً قليلاً.

(٨) في هـ. ص: تزعم العرب أن الغراب لا يسفد، وإنما سفاده مطاعمته، ويقال: أخفى من سفاد الغراب، ويقال: في النعام: أنها تلحق بالريح تمر على الظليم فتستنشقها الأنثى فتبيض، وكل ذلك - إذا ثبت - غير بعيد في قدرة الله وحكمته.

(٩) في هـ. ب: تظن.

(١٠) في هـ. ب: مداراة، جمع مدارة. وهي الهالة، وهي - هاهنا - مجاز واستعارة، وفي هـ. ص: جمع مدري، وهو شيء كالمسكة تصلح به الماشطة شعور النساء.

(١١) في هـ. ص: جمع دار، وهي: ما تدور في ريشه.

(١٢) في هـ. ص: شبيهة الشمس

(١٣) في هـ. ب: الذهب، وفي هـ. ص: هو الذهب.

(١٤) في هـ. ص: جمع فلذة: قطعة. (١٥) في هـ. ص: حجر من الجواهر، أخضر.

(١٦) لم ترد «جني» في أوب. (١٧) في هـ. ص: لاختلاف ألوانه وأصباغه.

(١٨) في هـ. ب: شابهته، وفي هـ. ص: شاكلته وماثلته.

(١٩) في ب: باللبس، وفي هـ. ب: بالملابس - صح.

فَهُوَ كَمَوْشِيٍّ^(١) الْخُلَلِ، أَوْ مُونِقٍ^(٢) عَصَبٍ^(٣) الْيَمَنِ^(٤)، وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْخُلِيِّ فَهُوَ كَقُصُوصِ
ذَاتِ الْوَانِ قَدْ نَطَقَتْ^(٥) بِاللَّجِينِ^(٦) الْمُكَلَّلِ^(٧).

يَمْشِي مَشْيَ الْمَرْحِ^(٨) الْمُخْتَالِ^(٩)، وَيَتَصَفَّحُ^(١٠) ذَنْبَهُ وَجَنَاحَيْهِ^(١١)، فَيَقْفَهُ ضَاحِكاً
لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ^(١٢) وَأَصَابِيغِ وَشَاحِهِ^(١٣). فَإِذَا رَمَى بَبَصَرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ رَقَا^(١٤) مُعَوِلاً
بصوت^(١٥) يَكَادُ يُبَيِّنُ عَنْ أَسْتِغَاثَتِهِ، وَيَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ. لَأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمُشٌ^(١٦) كَقَوَائِمِ
الدِّيَكَةِ الْخَلَّاسِيَّةِ^(١٧)،^(١٨) وَقَدْ نَجَمَتْ^(١٩) مِنْ ظُنُوبِ^(٢٠) سَاقِهِ صِيصِيَّةٌ^(٢١) خَفِيَّةٌ.

وَلَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ قَنْزَعَةٌ^(٢٢) خَضْرَاءُ مُوَشَّاءٌ^(٢٣)، وَمَخْرُجٌ عَنْهُ كَالْأَبْرِيقِ، وَمَغْرَزُهَا إِلَى
حَيْثُ بَطْنُهُ كَصَبْغِ الْوَسْمَةِ الْيَمَانِيَّةِ^(٢٤)، أَوْ كَحَرِيرَةِ مُلْبَسَةٍ مِرَاةِ ذَاتِ صِقَالٍ^(٢٥)، وَكَأَنَّهُ مَتَلَفَعٌ^(٢٦)

-
- (١) هـ. ب: مزين، هـ. ص: هو م دبح بالوشي، وهو الإبريسم الملون.
(٢) في هـ. د: أو كمونق - ض ح، وفي هـ. ب: مونق، أي: معجب.
(٣) في هـ. ب: العصب، أي: البرد من اليمن. (٤) في هـ. ص: ضرب من الثياب تصنع باليمن.
(٥) هـ. ب: نطقت أي تجعل منطقة. (٦) في ب: في اللجين.
(٧) اللجين: الفضة، والمكَلَّل: المزين بالجواهر.
(٨) المرح: المعجب.
(٩) المختال: الزاهي بحسنه.
(١٠) في هـ. د: يتصفح - م، وفي هـ. ب: ينظر إلى ذنبه.
(١١) في ب: وجناحه. (١٢) في هـ. ب: ثوبه.
(١٣) الوشاح: أديم عريض مرصع بالجواهر يلبس ما بين العاتق والكشح.
(١٤) في هـ. ب: رقا: أي صاح. (١٥) في هـ. د: لم ترد «بصوت» في ب.
(١٦) في هـ. ب: دقاق. (١٧) في هـ. أ: الديك الخلاسي، أي ذو لونين.
(١٨) في هـ. ب: الخلاسي: الذي من الأهلي والهندي، والخلاس موضع، وفي هـ. ص: هي المتولدة بين الدجاج الهندي والفارسي، انتهى من الشرح.
(١٩) في هـ. ب: طلعت، وفي هـ. ص: أي خرجت.
(٢٠) في هـ. ب: عظم الساق. وفي هـ. ص: هو حرفه وجانبه.
(٢١) شوكة مرتفعة تكون في رجل الديك، وفي هـ. ص: شوك مرتفع.
(٢٢) القنزعة: خصلة شعر تترك على رأس الصبي، وفي هـ. ب: شعر حوالي الرأس، وفي هـ. ص: شعر مرتفع.
(٢٣) في هـ. ب: منقش، وفي هـ. ص: منقوشة.
(٢٤) في هـ. ص: صبغ أسود، وهو النيل. (٢٥) الصقال: الجلاء.
(٢٦) في أ و ص: متلفع، وفي هـ. د: مقنع، ف م، وروي متقنع - ك، وفي هـ. ب: متلفع بمعجر:

بِمَعْجَرٍ أَسْحَمَ^(١)، إِلَّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ^(٢)، وَشِدَّةِ بَرِّيقِهِ^(٣)، أَنَّ الْخَضِرَةَ النَّاصِرَةَ مُتَمَرِّجَةً^(٤) بِهِ، وَمَعَ فَتَقٍ سَمْعِهِ حَطَّ كُمُسْتَدِقُ الْقَلَمِ^(٥) فِي لَوْنِ الْأَقْحَوَانِ^(٦)، أَيْبُضُ يَتَقَى^(٧)، فَهُوَ بَيَاضُهُ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ^(٨)، وَقَلَّ صَبْعُ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ^(٩)، وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ، وَيَصِيصُ^(١٠) دِيْبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ^(١١)، فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ^(١٢)، لَمْ تُرَبِّهَا^(١٣) أَمْطَارُ رَبِيعٍ، وَلَا شُمُوسُ^(١٤) قَيْظٍ.

وَقَدْ يَتَحَسَّرُ^(١٥) مِنْ رِيْشِهِ وَيَعْرِى مِنْ لَبَاسِهِ فَيَسْقُطُ تَشْرَى^(١٦)، وَيَنْبُتُ تَبَاعاً^(١٧)، فَيَنْحَتُ^(١٨) مِنْ قَصْبِهِ أَنْجِثَاتٍ أَوْ رَاقٍ الْأَغْصَانِ، ثُمَّ يَتَلَاخَقُ نَامِياً حَتَّى يَعودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُفُوطِهِ، لَا يُخَالِفُ سَالِفَ أَلْوَانِهِ، وَلَا يَتَغَيَّرُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ، وَإِذَا تَصَفَّحَتْ^(١٩) شَعْرَةٌ مِنْ شَعْرَاتِ قَصْبِهِ أُرْتُكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً^(٢٠)، وَتَارَةً خَضِرَةً زَبْرَجْدِيَّةً^(٢١)، وَأُخْيَاناً صَفْرَةً عَسْجَدِيَّةً^(٢٢).

→ متقطع بمفنة. وفي هـ ص: لابس قناع، و يروي: «منلفع» أي ملحف، و لمعجر: ما يعتجر به نحو ما تشده المرأة على رأسها، كالرداء. (١) الأسحمة: الأسود، وفي هـ ب: أسود.

(٢) في هـ د: لكثرة - ما هـ - ف، وفي هـ ب: أي: بالرونق.

(٣) في هـ ب: لمعنه. (٤) في هـ ب: مغلط.

(٥) في هـ ب: كمستدق القلم: القلم الدقيق.

(٦) في هـ ب: البابونج، وهو نوع من النبات، وفي هـ ص: هو البابونج الأبيض، وجمعه: قاح.

(٧) في هـ ص: أي خالص البياض، وجاء: «يقق» بالكسر، انتهى من الشرح.

(٨) في هـ ب و ص: يمع. (٩) أي: بنصيب.

(١٠) في هـ ب: بص، وفي هـ ص: هو البريق، وبص الشيء: لمع، انتهى من الشرح.

(١١) الرونق: الحسن. (١٢) أي: الأزهار المنتشرة.

(١٣) في هـ ص: وفي نسخة: تربها، وفي هـ ب: لم يجمعها.

(١٤) في هـ ب: جمع شمس.

(١٥) في أ و ب و ص: ينحسر، وفي هـ ص: وروي «يتحسر» من الشرح، وفي هـ د: ينحسر - م

ك ح.

(١٦) في هـ ص: أي شيئاً بعد شيء مع تراخ وفترات.

(١٧) في هـ ص: أي متتابعاً بلا فترات. (١٨) من النحت: السفوط والتقشر.

(١٩) في هـ ب، وفي نسخة: تأملت. (٢٠) في هـ ص: منسوبة إلى الورد.

(٢١) في هـ ص: نسبة إلى الزبرجد.

(٢٢) في هـ ب: ذهبية، وفي هـ ص: نسبة إلى العسجد، وهو الذهب.

فَكَيْفَ ^(١) تَصِلُ إِلَى صِفَةِ هَذَا عَمَائِقُ ^(٢) الْفِطَنِ، أَوْ تَبْلُلُهُ قَرَائِحُ ^(٣) الْعُقُولِ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ ^(٤) وَصْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِفِينَ، وَأَقْلُ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الْأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ ^(٥)، وَالْأَلْسِنَةُ أَنْ تَصِفَهُ ^(٦)، فَسُبْحَانَ الَّذِي بَهَرَ ^(٧) الْعُقُولَ عَنْ وَصْفِ خَلْقِ جَلَالِهِ ^(٨) لِلْعُيُونِ، فَأَذْرَكَهُ مَخْذُوداً مُكُوناً، وَمُؤَلَّفاً مُلَوَّناً، وَأَعْجَزَ الْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ، وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَفْتِهِ، وَسُبْحَانَ ^(٩) مَنْ أَدْمَجَ ^(١٠) قَوَائِمَ الذَّرَّةِ ^(١١)، وَالْهَمْجَةَ ^(١٢) إِلَى مَا فَوْقَهَا مِنْ خَلْقِ الْحَيَاتَانِ وَالْأَفِيلَةِ ^(١٣)، وَوَأَى ^(١٤) عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يَضْطَرِبَ شَبَحٌ ^(١٥) مِمَّا أُولِجَ فِيهِ الرُّوحُ إِلَّا وَجَعَلَ الْحِمَامَ مَوْعِدَهُ، وَالْفَنَاءَ غَايَتَهُ.

منها: فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ:

فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا، لَعَزِفَتْ ^(١٦) نَفْسُكَ ^(١٧) عَنْ ^(١٨) بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا، وَلَذَّاتِهَا، وَزَخَارِفِ مَنَاطِرِهَا، وَلَذَّهَلَتْ ^(١٩) بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ ^(٢٠) أَشْجَارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُتُبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا، وَفِي تَغْلِيْقِ

(١) فِي أَوْ د: وَكَيْفَ، وَفِي هـ. د: فَكَيْفَ - ض ب ح ل ش .

(٢) فِي هـ. ب: لَعَمَائِقُ: الْأَشْيَاءُ الْبَعِيدَةُ، وَفِي هـ. ص: بَعِيدَةُ الْعَمَقِ.

(٣) فِي هـ. ب: تَقْرِيحَةُ الْخَاطِرِ وَالذَّهْنِ، وَفِي هـ. ص: قُوَّةُ الْعَقْلِ الْمُدْرِكَةِ.

(٤) فِي هـ. ب: مِنَ الْإِنْتِظَامِ.

(٥) فِي هـ. ب: يَدْرِكُهُ.

(٦) فِي هـ. ب: يَصِفُهُ.

(٧) فِي هـ. ب: غَلَبَ، وَفِي هـ. ص: أَي غَلَبَ وَحَيَّرَ.

(٨) فِي هـ. ب: جَلَالُهُ مِنْ جَلُوتِ الْعُرُوسِ إِلَى زَوْجِهَا.

(٩) فِي هـ. ب وَ ص: فَسُبْحَانَ .

(١٠) فِي هـ. ب: أَدْمَجَ الْقَوَائِمَ: أَحْكَمَهَا، وَفِي هـ. أ: أَحْكَمَ.

(١١) فِي هـ. ب: النَّمْلَ.

(١٢) لَهْمَجَةٌ - مَحْرُكَةٌ -: وَاحِدَةُ الْهَمْجِ: ذِيَابٌ صَغِيرٌ يَسْقُطُ عَلَى وَحُوهِ الْغَنَمِ، وَفِي ط وَ د: وَالْفِيلَةُ.

(١٣) فِي هـ. ب، وَفِي نَسْخَةِ: وَالْفِيلَةُ، وَفِي هـ. د: وَالْأَفِيلَةُ - ش وَفِي الْهَامِشِ: الْفِيلَةُ.

(١٤) فِي هـ. ب وَ ص: وَعَدَ وَقَضَى .

(١٥) فِي هـ. ب: شَخْصٌ .

(١٦) فِي هـ. د: لَفَرَقَتْ - ض ب .

(١٧) فِي هـ. ب: زَهَدَتْ فِيهَا وَكَرِهَتْ، لَانْصَرَفَتْ.

(١٨) فِي هـ. ب: غَفَلَتْ .

(١٩) فِي هـ. ب: مِنْ - ب .

(٢٠) فِي هـ. ب: إِضْطَرَابٌ، وَفِي هـ. ب: وَالرُّوَايَةُ الصَّحِيْحَةُ: لَذَّهَلَتْ الْفِكْرَ فِي اصْطِفَاقِ الْأَشْجَارِ،

كَبَائِسُ ^(١) اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَائِلِجِهَا وَأَفْنَائِهَا ^(٢)، وَطُلُوعِ ^(٣) تِلْكَ الثَّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلْفِ ^(٤) أَكْمَامِهَا ^(٥)، تُجْنَى ^(٦) مِنْ غَيْرِ تَكْلَفٍ، فَتَأْتِي عَلَى مُنْتَبِهٍ ^(٧) مُجْتَنِيهَا، وَيُطَافُ عَلَى نَزَائِلِهَا ^(٨) فِي أَقْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالْأَغْسَالِ ^(٩) الْمُصَفَّقَةِ ^(١٠)، وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ ^(١١)، قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكَرَامَةُ تَتِمَادَى ^(١٢) بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ الْقَرَارِ ^(١٣)، وَأَمِنُوا نُقْلَةَ الْأَسْفَارِ، فَلَوْ شَغَلَتْ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِيعُ بِالْوُضُولِ إِلَى مَا يَهْجُمُ ^(١٤) عَلَيْكَ ^(١٥) مِنْ تِلْكَ الْمَنَاطِرِ ^(١٦) الْمُؤَنِقَةِ ^(١٧)، لَزَهَقَتْ ^(١٨) نَفْسُكَ شَوْقًا إِلَيْهَا، وَلَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هَذَا إِلَى مُجَاوَرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِعْجَالًا بِهَا، جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَسْعَى ^(١٩) بِقَلْبِهِ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ.

تَفْسِيرُ بَعْضِ مَا جَاءَ فِيهَا ^(٢٠) مِنَ الْغَرِيبِ.

قوله ^(١) كَبَائِسُ: وَكِينَاةٌ عَنِ النِّكَاحِ، يُقَالُ: أَرَّ الْمَرْأَةُ يَوُورُهَا ^(٢١)، أَيْ نَكَحَهَا ^(٢٢).
وقوله ^(٢) طُلُوعِ: كَأَنَّهُ قَلِعَ دَارِي عَنَجَهُ نُوتِيَّهُ: أَلْفَلَعُ: شِرَاعُ السَّفِينَةِ ^(٢٣). وَدَارِي: مَشُوبٌ إِلَى

→ كقول الشاعر:

حواسير ناشرات

كَأَنَّ النُّحْلَ صَفَتْ مِنْ

جَمْعُ حَاسِرَةٍ وَهِيَ مَكْشُوفَةُ الرَّأْسِ.

(١) فِي هـ. ب: الْكِبَاسَةُ - فِي الْأَصْلِ - : الْعِنُقُودُ، جَمْعُ كِبَاسٍ. وَهُوَ سِبْطَةُ التَّمْرِ.

(٢) فِي هـ. ب: أَغْصَانُهَا. (٣) فِي هـ. ب: عَطَفَ عَلَى اصْطِلَاقٍ.

(٤) فِي هـ. ب: جَمْعُ غُلْفٍ.

(٥) الْأَكْمَامُ جَمْعُ كَمٍ - بِكَسْرِ الْكَافِ - : وَعَاءُ الطَّلَعِ.

(٦) فِي هـ. ط: تَحْنَى مِنْ حَنَاهُ حَنُو: عَطْفُهُ، وَفِي هـ. ب: تَجَدُّ.

(٧) فِي هـ. ب: رَجَاءٌ. (٨) فِي هـ. ب: النَّازِلِينَ.

(٩) فِي هـ. ب: جَمْعُ عَسَلٍ. (١٠) فِي هـ. ب: الصَّافِيَةِ.

(١١) فِي هـ. ب: رَاقِ الشَّرَابِ: صَفَا. (١٢) فِي هـ. ب: أَيْ تَبْلُغُ الْمَدَى.

(١٣) هِيَ الْآخِرَةُ. (١٤) فِي هـ. ب: يَسْقُطُ.

(١٥) فِي ص: تَهْجُمُ عَلَيْهِ. (١٦) فِي هـ. ب: جَمْعُ مَنْظَرٍ.

(١٧) الْمُؤَنِقَةُ: الْمَعْجِبَةُ. (١٨) فِي هـ. ب: عَلَتْ.

(١٩) فِي أَوْ ص: سَعَى. (٢٠) فِي ب وَ ص وَ ط وَ د: مَا فِي هَذِهِ الْخُطْبَةِ.

(٢١) لَمْ تَرُدْ «قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُورُّ بِمَلَاقِحِهِ» فِي أ.

(٢٢) فِي ب وَ ص: «أَرَّ الْمَرْأَةُ: إِذَا نَكَحَهَا». (٢٣) لَمْ تَرُدْ «أَيْ نَكَحَهَا.. إِلَى: نُوتِيهِ» فِي أ.

دَارِينَ^(١)، وَهِيَ بَلْدَةٌ عَلَى الْبَحْرِ يُجْلَبُ مِنْهَا الطَّيْبُ، وَعَنْجَةٌ: أَيُّ عَطْفَةٍ، يُقَالُ: عَنَجْتُ النَّاقَةَ^(٢) أَعْنَجُهَا عَنْجًا: إِذَا عَطَفْتُهَا وَالتَّوْتِي: الْمَلَّاحُ.
وَقَوْلُهُ: «ضَفَّتِي جُفُونِي» أَرَادَ جَانِبِي جُفُونِي^(٣)، وَالصَّفَّتَانِ: الْجَانِبَانِ وَقَوْلُهُ: «وَفَلَذَ الزَّبْرَجِدَ»^(٤) أَلْفَلَذَ جَمْعُ فَلَذَةٍ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ.
وَقَوْلُهُ: «كِبَائِسِ اللَّوْلُوِّ الرَّطْبِ»^(٥) الْكِبَاسَةُ أَلْعَدْقُ^(٦)، وَالْعَسَالِيحُ: الْغُصُونُ، وَاجِدُهَا: عُسْلُوحٌ.

إِعلم أَنَّ قصد أمير المؤمنين عليه السلام من هذا الكلام إيضاح الآيات والدلائل التي يتضمنها خلقه الطاووس وغيره.

فمنها: الاختلاف الدالّ على اختيار الصانع؛ فإنّ الطاووس خلاف لكل الأطيّار ومختلفة خلقته حتى في اجتماع الحسن والقبح وكذلك اختلاف الحيوانات في الكبر والصغر، ففي الكبير عِظَمُ القدرة، وفي الصغير لطف الصنعة، كما أشار إليه بقوله: «فسبحان من أدمج قوائم الذرّة والهمجة... إلى آخره».

ومنها: باهر الإقتدار؛ فإنّه يخيل من ألوانه اجتماع الضدّين فيها مع فضله لكلّ منها عن مقارنه مع شدّة التلاصق.

ومنها: كمال الإحكام الدالّ على باهر الحكمة.

ومنها: تمثيل النشر والإعادة بانحدرات ريشه ورجوعه من غير مخالفة بين الأصل والمعاد.

ومنها: كشف عجز العقول عن المشاهد، فعجزها عمّا لا يشاهد ولا يقاس أظهر.

ومنها: تمثيل غرائب خلق الجنّة بغرائب خلقته، فإنّ النفوس تستبعد الغرائب التي لا نألّفها، وهذا أسلوب كلامه عليه السلام تعظيم الله والكشف عن أسرار حكمة الله.

(١) في هـ. ب: اسم موضع. (٢) في ط زيادة كنصرت.

(٣) لم ترد «وقوله... إلى جفونه» في أ. (٤) لم ترد «وقوله وفلذ الزبرجد» في أ.

(٥) في أ: والكبائس جمع الكباسة.

(٦) العدق للنخلة كالعتقود للعنب، مجموع الشماريخ وما قامت عليه من العرجون.

ومن خطبة له ﷺ :

لَيْتَأَسَّ^(١) صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ^(٢)، وَلْيَزَافَ^(٣) كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ؛ وَلَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ^(٤) الْجَاهِلِيَّةِ^(٥)؛ لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ^(٦)؛ وَلَا عَنِ اللَّهِ يَعْقِلُونَ^(٧)؛ كَقَيْضِ^(٨) بَيْضٍ فِي أَدَاخِ^(٩)، يَكُونُ كَسَرُهَا وَزُرًّا^(١٠)، وَيُخْرِجُ حِضَانُهَا^(١١) شَرًّا.

منها :

افْتَرَقُوا بَعْدَ الْفَتْهِمْ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ؛ فَمِنْهُمْ آخِذٌ^(١٢) بِغُضَنِ؛ أَيُّنَمَا مَالٌ مَالٌ مَعَهُ. عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لَشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ؛ كَمَا يَجْتَمِعُ^(١٣) قَرْعُ الْخَرِيفِ^(١٤)، يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ^(١٥) رُكَّامًا كَرَّامِ السَّحَابِ^(١٦)، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ^(١٧) لَهُمْ أَبْوَابًا يَسِيلُونَ مِنْ

(١) في هـ. ب: ليقندي.

(٢) في هـ. ب: صغير القدر و العمل لكبير القدر في العمل الصالح، وفي هـ. ص: أي ليتبعه في أخلاقه وآدابه.

(٣) هـ. ب: جمع الجافي

(٤) في هـ. ب: لا تكونوا مثل قوم جفاة من عادتهم الجهل وروى: «انجهل عار».

(٥) في أب: تتفقهون، وفي هـ. ص: وروى بالثناء على الخطاب، تمت من الشرح، وفي هـ. د: لا يتفقهون في الدين - ع.

(٦) في هـ. ب: كقشر، أي: أنتم كقيض بيض، وفي هـ. ص: هو قشر لبيض.

(٧) في ص: أداخ، وفي هـ. ب: جمع أدحياء، وهي الوكر للحية، وهو موضع البيض، وأدحى النعامة: الموضع الذي تفرخ فيها.

(٨) في هـ. ب: إثما.

(٩) في هـ. ب: ما احتضن منها.

(١٠) في ص: أخذ.

(١١) في أ: تجتمع

(١٢) في هـ. ب: جمع قزعة، وفي هـ. ب أيضاً: قطع سحب تجتمع ولها مطر. قال ﷺ: إذا فسد دنياهم اجتمعوا على هلاك بني أمية من هنا وهناك، وفي هـ. ص: جمع قزعة، وهي سحب صغار تجتمع فتصير ركاماً.

(١٣) في هـ. ب: السحاب المتراكم، وفي هـ. ص: هو ما اجتمع فتكاتف.

(١٤) لم نرد لفظة الجلالة في أ و د، وفي هـ. د: بفتح الله - ض ح ب.

مُسْتَتَارِهِمْ^(١) كَسِيلِ الْجَنَّتَيْنِ^(٢)، حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ^(٣)، وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ^(٤) أَكْمَةً^(٥)، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَّتُهُ^(٦) رِصٌّ^(٧) طَوْدٍ^(٨)، وَلَا حِدَابُ^(٩) أَرْضٍ؛ يُدْعِدُهُمْ^(١٠) اللهُ فِي بَطُونٍ أودِيَّتِهِ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَتَابِيعَ فِي الْأَرْضِ^(١١)، يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حَقُوقَ^(١٢) قَوْمٍ، وَيُمْكِنُ لِقَوْمٍ^(١٣) فِي دِيَارِ قَوْمٍ^(١٤).

وَأَيُّمُ اللهُ لَيَذُوبَنَّ^(١٥) مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالْتِمَكِينِ^(١٦)، كَمَا تَذُوبُ الْأَلْيَةُ^(١٧) عَلَى النَّارِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ لَمْ تَتَّخِذُوا عَنْ^(١٨) نَصْرِ الْحَقِّ، وَلَمْ تَهِنُوا^(١٩) عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ، لَمْ

(١) في هـ. ب: يخرجون من أوطانهم، وفي هـ. ص: موضع استتارهم.

(٢) في هـ. أ: يعني سيل العرم، وفي هـ. ب: إشارة إلى جنتين لقوم سبأ، وأن الذين أزعجهم بنو أمية فيها مثل سيل الجنتين، وهو سيل العرم الذي ذكره الله في كتابه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ وهو أبو ليمن كلها ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ وفي بددهم ﴿آيَةً﴾ أي حجة على وحدانية الله والتذكير بنعمته وقدرته. ثم فسر الآية فقال: ﴿جنتان عن يمين وشمال﴾ أي جنتان عن يمين دارهم وبستان عن شمالها، وكانت ثلاثة عشر قرية، في كل قرية نبي يدعوهم إلى الله يقول لهم: ﴿كلوا من رزق ربكم﴾ في هذه لمساكن ﴿واشكروا لله﴾ أي لله ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ فأرسل عليهم سيل العرم ﴿سورة سبأ: ٣٤ / ١٥-١٦. وذلك أن هناك كان يجتمع ماء المطر والسيول خلف الحبس... وفي هـ. ص: يعني جنتي سبأ.

(٣) في هـ. ب: جبل، وفي هـ. أ و ص: جبل صغير.

(٤) في هـ. أ: تثبت له. (٥) في هـ. ص: هي التلعة من الأرض.

(٦) في هـ. ب: طريقه، وفي هـ. ص: أي مجراه ومسلكه.

(٧) في هـ. أ: رصت الشيء: ألصقت بعضه ببعض ها هنا أراد ثبوت طود.

(٨) في هـ. ب: جبل. (٩) هـ. ب و ص: جمع حدبة.

(١٠) في هـ. ب: يفرق، وفي هـ. ص: بالذال المعجمة، أي يفرقهم.

(١١) في هـ. ص: أي يظهرون بعد خفائهم. (١٢) في هـ. ص: هي الثارات.

(١٣) في هـ. ص: بني العباس بلاء وفتنة (١٤) في هـ. ص: بني أمية.

(١٥) في هـ. ص: يعني بني أمية. (١٦) في هـ. د: بعد التمكن - حاشية ن.

(١٧) في هـ. ص: بفتح الهمزة، هي الشحمة التي تكون من الكباش موضع الأذنان من غيرها.

(١٨) في هـ. د: أيها الناس لم تتخذوا - ب.

(١٩) في هـ. ص: مضارع وهن، أي ضعف، وهو من أفاظ القرآن أيضاً.

يَطْمَعُ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، وَلَمْ يَقْوِ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ، لَكِنَّكُمْ تُهْتَمُّ^(١) مَتَا بَنِي إِسْرَائِيلَ.
وَلَعَمْرِي^(٢) لَيَضَعَنَّ^(٣) لَكُمْ التَّيَّةُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافًا بِمَا^(٤) خَلَفْتُمُ الْحَقَّ^(٥) وَرَأَى
ظُهُورَكُمْ، وَقَطَعْتُمُ الْأَدْنَى^(٦)، وَوَصَلْتُمُ الْأَبْعَدَ^(٧).
وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنْ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِيَ لَكُمْ^(٨)، سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَا جَ الرَّسُولِ، وَكُفَيْتُمْ مُؤْنَةَ
الْإِعْتِسَافِ^(٩)، وَتَبَذْتُمُ الثَّقَلَ الْفَادِحَ^(١٠) عَنِ الْأَعْنَاقِ.

قوله ﷺ: «كقيض بيض في أَدَاح»:

[أَدَاح] جمع أدحي وهو موضع يبيض النعام، والذي يظهر لي من وجه التشبيه: كونهم لا
خير فيهم كالقيض الذي لا نفع فيه.

ثم أخبر عن حكم المشبه فقال: يكون كسرهما - أي قتلهم - وزراً، لأنهم في الظاهر
مسلمون، وسمي القتل كسراً مراعاة للمشبه به.

ويكون حضانها - أي خبرهم وأعمالهم شراً، وسمي الخبر والأعمال حضاناً؛ لأنطوائهم
عليها إنطواء الحاضن على المحضون مع ملاحظة لتشبيه الذي بنى عليه الكلام.

قوله ﷺ: «افترقوا بعد ألفتهم»:

قال ابن أبي الحديد: هو ﷺ: يذكر حال أصحابه وشيعته بعده، فيقول: افترقوا بعد

(١) في هـ. ب: حيرتم، وفي هـ. ص: أي حرتم وأضللتكم الطريق، تمت من الشرح.

(٢) في ب: فلعمري، وفي هـ. د: فلعمري - ش.

(٣) في هـ. ب: التضعيف أن يزداد على أصل الشيء.

(٤) لم ترد «بما» في أ ب ص.

(٥) في هـ. ص، قوله: خلفتم الحق يعني عهد رسول الله ﷺ فيه ونصه عليه، وكأنه سئل عن
سبب التَّيَّةِ وعلته؟ فقال: خلفتم الحق..، أي: عوقبتم بذلك، والله أعلم.

(٦) في هـ. ص: يعني نفسه وآله.

(٧) في هـ. ص: يعني من ولّوه أمورهم وادّعوا له لفضل.

(٨) في هـ. ص: يعني نفسه، وروي: الراعي - بالراء، من الشرح.

(٩) في هـ. ب: الاعتساف: الأخذ على غير طريقة.

(١٠) في هـ. ب: المثقل، وفي هـ. ص: أي المؤثر بثقله في الحامل.

أُلفتهم؛ أي: بعد اجتماعهم.

وتشتتوا عن أصلهم، أي: عني بعد مفارقتي؛ فمنهم آخذٌ بغصن؛ أي: يكون منهم مَنْ يتمسكُ بمن أخلفه بعدي من ذرية الرسول، أينما سلكوا سلكوا معهم؛ وتقدير الكلام: ومنهم مَنْ لا يكون هذه حاله. لكنّه لم يذكره عليه السلام، اكتفاءً بذكر القسم الأول، انتهى^(١).

وأقول أنا: إنّه عليه السلام أشار إلى افتراق الشيعة عن جرثومتهم وهي تولي علي وأولاده باعتبار تولي بعضهم لبعض العترة دون بعض وذلك الافتراق الأصلي بين الشيعة هو رفض الروافض لزيد بن علي ومَنْ كان على منهجه، وبقيت الزيدية على تولي جميع العترة لا يفرّقون بينهم ويجعلون التفريق بين الأئمة الهادين كالتفريق بين النبيين، فذكر عليه السلام من خالف الأصل وطريق الألفة وسكت عن الباقي على الأصل.

قال عبدالله بن الحسن عليه السلام: «العلّم بيننا وبين الناس علي بن أبي طالب، والعلّم بيننا وبين الشيعة الرافضة زيد بن علي».

قال ابن أبي الحديد: ثم قال: علي أنّ هؤلاء القوم: من ثبت منهم على عقيدته فينا ومن لم يثبت؛ لا بدّ أن يجمعهم الله تعالى لشرّ يوم لبني أميّة، وكذا كان، فإنّ الشيعة الهاشمية اجتمعت على إزالة ملك بني مروان: مَنْ كان منهم ثابتاً على ولاء عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ومَنْ حادّ منهم عن ذلك؛ وذلك في أواخر أيام مروان الحمار، عند ظهور الدّعوة الهاشمية. انتهى من شرح ابن أبي الحديد^(٢).

قوله عليه السلام: «وتَهْتُمُ مَتَاهُ بني إسرائيل»:

أي: حرّتم وضلّلتكم الطريق؛ وقد جاء في المسانيد الصحيحة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «كَثُرَ كِبْنُ سَنَنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذَوْ النُّعْلِ بالنعل، والقَذَّةُ بالقَذَّة؛ حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه»، فقليل: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن إذا! ومن الأخبار الصحيحة أيضاً: «أمتهموكون^(٣) أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى!».

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٨٤. (٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٨٤.

(٣) التهوؤ: التحير، وفي الحديث: «أمتهموكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟» قال ابن عون: فقلت للحسن زما تمهؤكون؟ فقال: متحيرون، والتهوؤ - أيضاً - مثل التهور، وهو الوقوع

وفي صحيح البخاري ومسلم: أنه سيجاء يوم القيامة بأناس من أمتي، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فإذا رأيتهم اختلجوا دوني، قلت: رب، أصحابي! أصحابي! (١) فيقال لي: إنك لا تدري ما عملوا بعدك؟ فأقول ما قال العبد الصالح: «وكننت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد» (٢). الإسناد في هذا الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه.

وفي الصحيحين أيضاً، عن زينب بنت جحش قالت: استيقظ رسول الله يوماً من نومه محمراً وجهه؛ وهو يقول: «لا إله إلا الله. ويل للعرب من شرّ قد أقرب!» فقلت: يا رسول الله، أنهيك، وفيما الصالحون؟ فقال: «نعم، إذا كثر الخبث».

وفي الصحيحين أيضاً: «يُهلك أمتي هذا الحي من قريش، قالوا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: «لو أن الناس اعتزلوهم»، رواه أبو هريرة عنه رضي الله عنه، انتهى من شرح ابن أبي الحديد (٣).

→ في الشيء بقلّة مبالاة، تمتّ من الصحاح، وفي النهاية لابن الأثير ٤: ٢٥٨؛ قال: «التهوؤ كالتهوؤ؛ وهو الوقوع في الأمر بغير روية. أو الذي يقع في كل أمر؛ وقيل: هو التخبّر. (١) في ط: «قلت: أي رب أصحابي! أصحابي!». (٢) المائدة: ١١٧/٥. (٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٨٦ و ٢٨٧.

ومن خطبة له ﷺ في أول خلافة:

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ^(١) أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًا بَيِّنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ؛ فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا،
وَاصْدِقُوا^(٢) عَنْ سَمْتِ^(٣) الشَّرِّ تَقْصِدُوا^(٤).

الْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ^(٥)! أَدُّوْهَا إِلَى اللَّهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ. إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ حَرَامًا غَيْرَ مَجْهُولٍ،
وَأَحَلَّ حَلَالًا غَيْرَ مَدْخُولٍ^(٦)، وَفَضَلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحُرْمِ كُلِّهَا، وَشَدَّ بِالْإِخْلَاصِ
وَالتَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا^(٧). فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ
إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا يَحِلُّ أَدَى الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ.

بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ^(٨) أَمَامَكُمْ^(٩)، وَإِنَّ السَّاعَةَ
تَخْذُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ.

تَخَفَّفُوا تَلَحَّفُوا^(١٠)؛ فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ.

اتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ، فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنِ^(١١) الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ، أَطِيعُوا^(١٢) اللَّهَ
وَلَا تُعْصِرُوهُ؛ وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ.

(١) في ط: ان الله تعالى سبحانه أنزل، وفي هـ. د: ان الله تعالى أنزل - ض ب، ان الله سبحانه
ونعالى أنزل - ح.

(٢) في هـ. ص: أي أعرضوا.

(٣) في هـ. ص: طريقه ونهجه.

(٤) في هـ. ص: أي تستقيموا وتعبدوا.

(٥) في هـ. ص: نصب على الإغراء، أي: الزموا.

(٦) لم ترد «وأحل حلالاً غير مدخول» في ب وفي هـ. د: العبارة ساقطة من ن ف ل ش، وفي هـ

ص: أي لا عيب فيه ولا نقص.

(٧) في هـ. ب: مواضعها.

(٨) في هـ. د: وروي فإن البأس أمامكم - ك. (٩) في هـ. ص: أي سبقوكم وأنتم لاحقون بهم.

(١٠) في هـ. ص: التخفف هو القناعة والرضا من الدنيا باليسير وترك الحرص على قنيتها؛ فإن

لمسافر الخفيف أخرى بالنجاة ولحاق أصحابه من الثقيل، وقد نظم الرضي أبو الحسن ﷺ

هذا المعنى فقال:

حذفت فضول العيش حتى رددتها

وأملت أن أجري سريعاً إلى العلى

إلى دون ما يرضى به المتعفف

إذا شئتم أن تلحقوا فتحففوا

(١٢) في ط د: وأطيعوا، وفي هـ. د: أطيعوا - ش.

(١١) مسئولون عن - ع.

ومن كلام له عليه السلام بعدما بويع له بالخلافة، وقد قال له قوم من الصحابة: لو عاقبت قوماً ممن أجلب^(١) على عثمان، فقال عليه السلام:

يَا إِخْوَتَاهُ! إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ؛ وَلَكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةِ وَالْقَوْمِ^(٣) الْمَجْلِبُونَ^(٤) عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ^(٥) يَمْلِكُونَنَا وَلَا نَمْلِكُهُمْ! وَهَاهُمْ هَؤُلَاءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانُكُمْ^(٦)، وَالتَّمَّتْ إِلَيْهِمْ أَغْرَابُكُمْ^(٧)؛ وَهُمْ خِلَالَكُمْ^(٨) يَسُومُونَكُمْ مَا شَاءُوا؛ وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةٍ عَلَى شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ!

إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَمْرُ جَاهِلِيَّةٍ^(٩)؛ وَإِنَّ لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمِ مَادَّةً^(١٠)، إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ - إِذَا حُرِّكَ - عَلَى أُمُورٍ^(١١)؛ فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ لَا تَرَى^(١٢) هَذَا وَلَا هَذَا^(١٣). فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَا^(١٤) النَّاسُ وَتَقَعَ الْقُلُوبَ مَوَاقِعَهَا، وَتُؤْخَذَ الْحُقُوقُ

(١) في هـ. ص: أي قصد لخلعه وجيش لذلك.

(٢) في ط: يا إخوتاه. (٣) في هـ. ب: القوم (بدون واو).

(٤) في هـ. أ: جاء القوم بشوكتهم: أي بجماعتهم، وفي هـ. ب: مجتمعون ومعاونون.

(٥) في هـ. ب: شوكة الإنسان: شدته، وفي هـ. ص: أي لم ينفلح حدّهم ولم يضعفوا.

(٦) في هـ. ب: العبدان، جمع العبد، وفي هـ. ص: جمع عبد، وتكسر العين وتضم.

(٧) في أ و ص: إغرابكم، وفي هـ. ص، وفي نسخة: أغرابكم، وفي هـ. ب: أهل البدو في ناحية

الحجاز (٨) في هـ. ب: أوسطكم.

(٩) في هـ. ص: أي مشوب بعصبية.

(١٠) أي عوناً ومدداً، وفي هـ. ب: المادة: لزاوية المتصلة.

(١١) في هـ. ب: الناس على ثلاثة فرق: فرقة تقول: يجب أن يعاقبوا، ومنهم من يقول: لا يعاقبوا،

ومنهم من يقول: لا يعاقبوا الآن، بل من بعد.

(١٢) في ب زيادة: لا، وفي هـ. ص في نسخة زيادة: لا.

(١٣) لم ترد «فرقة لا ترى هذا ولا هذا» في أ، وفي ب: لا هذا ولا هذا، وفي أ و ص زيادة:

وفرقة ترى لا هذا ولا هذا، وفي هـ. د: لا ترى هذا ولا ذاك. ص ب، لا هذا ولا هذا - ش.

(١٤) في هـ. ب: يسكن.

مُسَمَّحَةً^(١).

فَاهْدُؤُوا^(٢) عَنِّي وَانْظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ^(٣) بِهِ أَمْرِي: وَلَا تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعِّضُ^(٤) قُوَّةً،
وَتُسْقِطُ مِثَّةً^(٥)، وَتُورِثُ وَهْنًا وَذِلَّةً. وَسَأَمْسِكُ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ؛ وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدًّا؛ فَأَخِرُ
الدَّوَاءَ الْكَيَّ^(٦).

* * *

قوله ﷺ: «يا إخواني إني لست أجهل ما تعلمون... إلى آخره»:

أجابهم ﷺ بجواب مجمل يقطع به شغبهم، فقال: لا تظنوا بي أنني أجهل ما تعلمونه صواباً، أنا غير جهول، فهذا كلام مطلق ولا يلزم منه أن يكون ما قالوه من هذا الأمر صواباً معلوماً لهم؛ لأن من الجائز مع هذا الجواب أن يكون خطأ مظنوناً لهم، فهو ﷺ لا يعلمه وإنما أراد: لا تظنوا أنكم تعلمون شيئاً وأجهله، بل اتهموا رأيكم على رأيي.

ثم أراد أن يلقيهم الحجر ويقطع شغبهم عنه، فقال: هبوا أن رأيكم هذا صواب، فكيف لنا بقوة على فعله مع هذه الموانع، ثم أمرهم بأن لا يبتدؤوه بشيء من الآراء والخوض في التدبير، بل ينتظروا ما يبدأهم به، فليس في كلامه هذا دلالة على أنه كان يرى عقوبة من

(١) في هـ. أ: مسحة، من قولهم: أسحت قروسه، أي: ذلت نفسه وتابعت، وفي هـ. ب: بكسر الميم، منقادة، من أسحت قروسه: أي ذلت نفسه وتابعت. وبفتح الميم من أسحت وساحت أي: ساهلت، وفي هـ. ص: أي سهلة.

(٢) في هـ. ب: أسكتوا، وفي هـ. ص: أي أسكتوا ودعوا الاعتراض.

(٣) في ص: ما يأتىكم، وفي هـ. ص، وفي نسخة: ماذا يأتىكم.

(٤) في هـ. ب: تضعف، وفي هـ. ص: تضعف وتهذ.

(٥) في هـ. ب: قوة عمن.

(٦) في أ و ب: فأخر الداء الكي وفي ص: فإن آخر الداء الكي.. وفي هـ. ب: فأخر الداء الكي، وهذا أصح.

وفي هـ. ص: قال في الشرح مثل مشهور، ويقال: آخر الطب، ويغلط فيه العامة فتقول: «آخر الداء الكي»؛ لأن الكي لا يكون من الداء حتى يكون آخره.

وفي هـ. ص - أيضاً - : لعل على حذف مضاف للعلم به أي آخر علاج الداء أو دواء الداء. فلا غلط ومثله كثير شائع.

قلت: والظاهر أن الكي هنا كناية عن القتل.

أجذب على عثمان، وكيف ورؤساء المجلبين عليه هم خلصائه ﷺ، ومن يعلم ضرورة ودّه لهم وموالاته إيّاهم كمالك الأشر وعمار ومحمد بن أبي بكر وحكيم بن جبلة وعمرو بن الحمق وحجر بن عدي وغيرهم من خاصته.

وكيف يقال أنّه كان يرى الاقتصاص من قتلة عثمان وقد عامل أهل الدار - دار عثمان - معاملة البغاة، فقبض على كلّ سلاح أجلبوا به على المسلمين كما رواه العسكري في كتاب الأوائل وغيره، ورواه أبو العباس لحسن بن علي عن محمد بن عبد الله النفس الزكية ﷺ، وقد رواه ابن أبي الحديد في شرح ما تقدّم، فإذا كانوا بغاة فمقاتلتهم مبغية عليه

فأعجب للشارح - ابن أبي الحديد - وتعجب من تلعب العصبية لمذهب أصحابه ببصيرته، والله أعلم.

ومن خطبة له عليه السلام:

عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة :

إِنَّ اللَّهَ ^(١) بَعَثَ رَسُولًا هَادِيًا بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ ^(٢) لَا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ ^(٣) وَإِنَّ
الْمُبْتَدِعَاتِ ^(٤) الْمُسَبِّهَاتِ ^(٥) هُنَّ الْمُهْلِكَاتُ إِلَّا مَا حَفِظَ ^(٦) اللَّهُ مِنْهَا ^(٧). وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ اللَّهِ
عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ ^(٨) فَأَعْطَوْهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوِّمَةٍ ^(٩) وَلَا مُسْتَكْرَهٍ بِهَا ^(١٠) وَاللَّهُ لَتَفْعَلَنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ
اللَّهُ ^(١١) عَنْكُمْ سُلْطَانَ الْإِسْلَامِ ^(١٢) ثُمَّ لَا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَدًا حَتَّى يَأْرِزَ ^(١٣) الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِكُمْ.

(١) في أود زيادة : تعالى، وفي هـ. د: ان الله بعث - ص ح ب .

(٢) في هـ. ب: هو الدين.

(٣) في هـ. ص: هذا كما تقول لا يعلم هذا الفن إلا عالم، أي: من قد بلغ الغاية واستحق أن
يوصف بذلك ويشار إليه فيه، كذلك لا يهلك بعدوله عنه إلا من هو أعظم الهالكين ومن يشار
إليه بالهلاك وقد بلغ الغاية في الهلاك، انتهى من الشرح.

(٤) في أ و ب و ص: المبتدعات، ويحتمل في ب: المتبدعات.

(٥) في هـ. ص: أي المشبهات بالسنن، وروي «المشبهات» أي: الشبهات على الناس، ويروى
«المشتبهات» أي: المتشابهات، انتهى من الشرح.

(٦) في ب: عصم الله، وفي هـ. ب، وفي نسخة: حفظ الله، وفي هـ. د: عصم الله - ش، وفي هـ. ص:
ما حفظ الله، يحتمل أن تكون «ما» مصدرية، أي: إلا وقت ما حفظ الله منها، ويحتمل أن
تكون موصولة، أي: إلا من حفظ الله، واستعملت لمن يعلم، نحو «والسَّماء وما بناها»
الشمس: ٩١ / ٥.

(٧) لم ترد «منها» في ب و ص.

(٨) في ب: عصمة لربكم، وفي هـ. ب، وفي نسخة: عصمة لأمركم، وفي هـ. ص: أي حفظاً، وفي
هـ. د: عصمة لربكم - ش.

(٩) ملوومة: مبالغة في لامة.

(١٠) في هـ. د: غير متلومين ولا مستكرهين - حاشية ن. وفي ب و ص: ملومة. وفي هـ. ب، وفي
نسخة: ملوومة، وفي هـ. ص: أي لا يلام فاعلها ولا ينسب إلى نفاق ولا رياء، تمت من الشرح.

(١١) في هـ. د: لم ترد لفظ الجلالة في ب.

(١٢) في هـ. ب: سلطان الاسلام هو قوة الإسلام ولطفه.

(١٣) في هـ. ب: ينقبض، وفي هـ. ص: أي ينضم ويجتمع.

إِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ تَمَالَوْا^(١) عَلَى سَخْطَةِ^(٢) إِمَارَتِي وَسَأْصِيرُ مَالِي أَخْفَ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ.
فَإِنَّهُمْ إِنْ تَنَمَّوْا عَلَى فَيَالَةِ هَذَا الرَّأْيِ^(٣) انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ وَإِنَّمَا طَلَبُوا هَذِهِ الدُّنْيَا
حَسَدًا لِمَنْ أَفَاءَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ^(٤) فَأَرَادُوا^(٥) رَدَّ الْأُمُورِ عَلَى أَذْبَارِهَا. وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ
اللَّهِ تَعَالَى وَسِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ^(٦) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ وَالنَّعْشُ^(٧) لِسُنَّتِهِ.

(١) في هـ. ب: تعاونوا.

(٢) السخطة : الكراهة وعدم الرضا، وفي هـ. ب: غضبه.

(٣) في هـ. أ: في التكملة «فيالة الرأي» بلكسر: خطأ الرأي، وفي هـ. ب: الفيالة: ضعف الرأي،
وفي هـ. ص: أي ردها، وفيه إشارة إلى أنها كانت له فغضبت عليه.

(٤) في هـ. ب. أي جعل تعالى تلك الأرض فينا لنا وغنيمة خاصة لنا، وفي هـ. ص: فيه إشارة
إلى أنها كانت قبل أن يتولّاها مدبرة عن القصد راجعة القهقري.

(٥) في هـ. د: وأرادوا - حاشية ن. (٦) في ب ورسوله، وفي هـ. ب: ورسوله - ش.

(٧) في هـ. ب: الرفع.

ومن كلام له عليه السلام:

كَلَّمَ بِهِ بَعْضَ الْعَرَبِ وَقَدْ أَرْسَلَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ لَمَّا قَرَّبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهَا لِيَقْلَمَ لَهُمْ مِنْهُ حَقِيقَةَ حَالِهِ مَعَ أَصْحَابِ الْجَمَلِ ^(١) لِتَزُولَ الشُّبْهَةُ مِنْ نُفُوسِهِمْ فَبَيَّنَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَمْرِهِ مَعَهُمْ مَا عَلِمَ بِهِ أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ ثُمَّ قَالَ لَهُ: بَايِعْ ^(٢). فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ قَوْمٍ ^(٣) وَلَا أُخِذْتُ حَدَّثًا حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِدًا ^(٤) تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ ^(٥) الْغَيْثِ فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ ^(٦) عَنِ الْكَلَاءِ وَالْمَاءِ فَخَالَفُوا إِلَى الْمَعَاطِشِ ^(٧) وَالْمَجَادِبِ مَا كُنْتَ صَانِعًا ^(٨). قَالَ: كُنْتُ تَارِكَهُمْ وَمُخَالَفَهُمْ إِلَى الْكَلَاءِ وَالْمَاءِ. فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَاْمُدُّ إِذَا ^(٩) يَدَكَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: فَوَاللَّهِ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أُمْتَنِعَ عِنْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيَّ فَبَايَعْتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالرَّجُلُ يُعْرِفُ بِكَلِيبِ الْجَرْمِيِّ ^(١٠).

(١) في هـ. ب: أي ليعلم ما فعل أمير المؤمنين بأصحاب الجمل لتزول الشبهة من أنفس أهل البصرة فبيّن عليه السلام من أمره مع أصحاب الجمل.

(٢) في هـ. ب: بايعني، والعبارة في أ وردت هكذا: ومن كلامه عليه السلام لما قال لكليب الجرمي قبل وقعة الجمل: بايع. (٣) في أ: قومي، وفي هـ. ب، وفي نسخة: قومي.

(٤) في هـ. ب: طالبا

(٥) في هـ. ص: المواضع التي يسقط عليها المطر.

(٦) في ب: فأخبرتهم، وفي هـ. د: فأخبرتهم - ش.

(٧) في هـ. ب: موضع القحط والعطش، وفي هـ. ص: مواضع العطش والجذب.

(٨) في هـ. ب: ما الذي كنت صادق. (٩) في ب: اذن، وفي هـ. ب: إذا.

(١٠) عبارة «عليه السلام، والرجل يعرف بكليب الجرمي» لم ترد في أ، وفي هـ. ص: الجرمي منسوب إلى بني جرم بن ربان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، من حمير، انتهى من الشرح.

ومن خطبة له عليه السلام:

لما عزم على لقاء القوم بصفين

اَللّٰهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ، وَالْجَوِّ الْمَكْفُوفِ ^(١)، الَّذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضاً ^(٢) لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمَجْرًى لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَمُخْتَلِفاً لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ، وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سَبْطاً ^(٣) مِنْ مَلَائِكَتِكَ ^(٤)، لَا يَسْأُمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ، وَرَبِّ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَاراً لِلْأَنَامِ، وَمَدْرَجاً ^(٥) لِلْهَوَامِّ وَالْأَنْعَامِ، وَمَا لَا يُحْصَى مِمَّا يُرَى وَمِمَّا لَا يُرَى، وَرَبِّ الْجِبَالِ وَالرَّوَاسِيِ الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ أَوْتاداً، وَلِلْخَلْقِ أَعْتِمَاداً ^(٦)، إِنْ أَظْهَرْتَنَا ^(٧) عَلَى عَدُوِّنَا فَجَنَّبْنَا الْبَغْيَ، وَسَدَّدْنَا ^(٨) لِلْحَقِّ، وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ، وَأَعْصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ.

أَيُّنَ الْمَانِعِ لِلذَّمَّارِ ^(٩)، وَالْغَائِرِ ^(١٠) عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ الْحِفَاطِ، أَلْعَارِ ^(١١) وَرَاءَ كُمُ، وَالْجَنَّةِ أَمَامَكُمْ.

(١) الجو: ما بين الأرض والأجرام السماوية وفيها من مصنوعات الله ما لا يحصى ولا يعدّ، وهو بحر عظيم تسبح فيه الكائنات العلوية وهي مكفوفة عن الأرض لاتسقط عليها.

في هـ. ب: الجو في اللغة الهواء، والمكفوف بالذات جعه كالقميص ويقال: هو الفلك الدائر مجرى القمر، وفي هـ. ب: المكفوف، يجوز أن يكون من الكف، وهو المنع عن السقوط، ويجوز أن يكون من كف الثوب وهو أن يخاط بالدرز الثاني.

(٢) غاض الماء، أي: نقص، وفي هـ. ب: المغيض، الموضع الذي يغيض فيه الماء، لنضبه، ويقال: فإذا قلت فيه الشجر فهي غيضة وفي هـ. ب أيضاً: المغيض اسم يقع على اشتداد الظلمة، والنهار على الضياء.

(٤) في هـ. د: الملائكة - ع

(٥) في هـ. ب: ما يمشى عليه كل هامة، وفي هـ. ص: مدرجاً، أي: موضعاً لدروجهم وهو سيرهم وحركاتهم في طلب معاشهم.

(٦) في هـ. ص: أي يعتمدون عليها في معاشهم.

(٧) في هـ. ب: أي جعلت لنا الغلبة.

(٨) في هـ. ب: أصلحنا.

(٩) في هـ. ص: الذمار: ما يحق للرجل أن يحميه ويمنعه.

(١٠) الغائر: الذي تحشمه الحمية والغيرة، والحقائق: الأمور الشديدة كالحاقات.

(١١) في ص: النار، وفي هـ. ص، وفي نسخة: العار.

ومن خطبة له عليه السلام :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُوَارَى ^(١) عَنْهُ سَمَاءُ سَمَاءً، وَلَا أَرْضٌ أَرْضاً.

منها:

وَقَالَ قَائِلٌ ^(٢): إِنَّكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ ^(٣) لَحَرِيصٌ، فَقُلْتُ: بَلْ أَنْتُمْ - وَاللَّهِ -
أَحْرَصُ ^(٤) وَأَبْعَدُ، وَأَنَا أَخْصُ وَأَقْرَبُ، وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقًّا لِي ^(٥)، وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ ^(٦) بَيْنِي وَبَيْنَهُ،
وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ، فَلَمَّا قَرَعْتُهُ ^(٧) بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلَأِ ^(٨) الْحَاضِرِينَ هَبَّ ^(٩) لَا يَدْرِي ^(١٠)
مَا يُجِيبُنِي بِهِ ^(١١).

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِذُّكَ ^(١٢) عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ، فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي ^(١٣)، وَصَغَرُوا
عَظِيمَ مَنْزِلَتِي ^(١٤)، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أُمْرًا هُوَ لِي، ثُمَّ قَالُوا: أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ ^(١٥) أَنْ

(١) في ب: يوارى، وفي هـ. ب: لا يستر.

(٢) في أ و د: وقال لي قائل، وفي هـ. د: وقد قال لي قائل - ص، وقد قال قائل - ح ب ل.

(٣) في ب: إنك يابن أبي طالب على هذا الأمر، وفي هـ. د: إنك يابن أبي طالب على هذا الأمر - ش.

(٤) في ط: لأحرص.

(٥) في هـ. ص: قد يقال طلبه الانتصاف من قوم موتى ليس إلا بمؤاخذه في الآخرة، فهو دعاء

بالعذاب. (٦) تحولون: تمنعون.

(٧) في هـ. ب: قارعه وضاربه وجادلته. (٨) في هـ. ب: جماعة الاشراف.

(٩) في أ و ص و د: بهت، وفي هـ. ب: أي طفق.

(١٠) في هـ. د: كأنه بهت لا يدري - ص ح ش، هب لا يدري.

(١١) ممّا يجبني به - ن.

(١٢) في هـ. ب: استعديت: استعنت، وفي هـ. د: استعبتك - ب.

(١٣) في هـ. ص: قطعوا رحمي: إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾

الانفال: ٨ / ٧٥.

(١٤) في هـ. ص: صغروا عظيم منزلتي: هي وجوب طاعته ومتابعته في الأقوال والأفعال

الشرعية والرجوع إليه عند الاشكال، فقد صار حكمه في ذلك عند غير الشيعة.

(١٥) في هـ. د: الا ان الحق - ب.

تَأْخُذُهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرَكُهُ^(١).

قال في شرح ابن أبي الحديد: هذا من خطبة يذكر فيها عليه السلام ما جرى يوم الشورى بعد مقتل عمر. والذي قال له: «إِنَّكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ لَحَرِيصٌ» سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، مع روايته فيه: «أَنْتَ مَنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى»^(٢)، وهذا عجب؛ فقال لهم: بل أَنْتُمْ وَاللَّهُ أَحْرَصُ وَأَبْعَدُ... الكلام المذكور. وقد رواه الناس كافة.

وقالت الإمامية: هذا الكلام يوم السقيفة، والذي قال له: إِنَّكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ لَحَرِيصٌ، أبو عبيدة بن الجراح؛ والرواية الأولى أظهر وأشهر انتهى^(٣).

قلت: الشارح سمح نفسه بأن ينسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام كل مقالة شنيعة في أهل الشورى ويقرر ما ورد عنه في شأنهم على ظاهره ويحمل كل صريح من كلامه عليه السلام على أنه يعينهم ولا يسمح بذلك في شأن أهل السقيفة، مع أن القوم كلهم صحابة، فليت شعري ما وجه الفرق؟

ثم قال ابن أبي الحديد: «أستعذبك»: طلب أن تعديتي عليهم وأن تتتصف لي منهم. «قطعوا رحمي»: لم يرعوا قربه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) في هـ. ب: المعنى أنهم قالوا: إِنَّكَ تَسْتَأْهِلُ الْإِمَامَةَ وَلَكِنَّ الْبَيْعَةَ سَبَقَتْ لِأَبِي بَكْرٍ، وفيه إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إِذَا بُويعَ لِخَلِيفَتَيْنِ فَاقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا».

(٢) في هـ. ص: قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أَنْتَ مَنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي» صريح الدلالة على إمامته عليه السلام؛ وذلك أَنَّ الْمَنْزِلَةَ اسْمُ جَنْسٍ وَقَعَ هُنَا مُضَافًا، وَفِي عَمِّ كَالْمَعْرُوفِ بِاللَّامِ، وَيدلّ على إرادة العموم هنا الاستثناء منه، فإذا استثنى منها مرتبة النبوة بقيت عامة في المنازل التي لهارون من موسى التي من جملتها: كونه خليفته في غييبته، ومتوليّاً في تدبير الأمور بدلاً عنه، ومتصرفاً في مصالح العامة، ورئيساً مفترض الطاعة. ومعلوم ثبوت هذه لهارون لو عاش بعد موسى؛ إذ لا يصلح موت موسى أن يكون رافعاً لهذه لمنازل الثابتة لهارون في حياته.

ألا ترى أَنَّ مِنْ مَنْزِلِ هَارُونَ الْبُيُوتَةِ، وَلَا تَرْتَفِعُ بِمَوْتِ مُوسَى قِطْعًا، وَكَذَلِكَ سَائِرُهَا وَخَلْفَ الْبُيُوتَةِ الْمُسْتَثْنَاةُ لِإِمَامَةِ إِذْ سَائِرُ الْمَنْزِلِ أَحْكَمُهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٠٥.

«وصغّروا عظيم منزلتي» أي: لم يقفوا مع النصوص الواردة فيه.
«وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي» أي: بالأفضلية أنا أحقّ به منهم؛ هكذا ينبغي أن يتأوّل كلامه.

وكذلك قوله: «إنّما أطلب حقّاً لي وأنتم تحولون بيني وبينه، وتضربون وجهي دونه». قال: «ثم قالوا: الآن في الحقّ أن تأخذه، وفي الحقّ أن تتركه»، قال: لم يقتصروا على أخذ حقيّ ساكتين عن الدّغوى؛ ولكنهم أخذوه وادّعوا أنّ الحقّ لهم. وأنّه يجبُ عليّ أن أترك المنازعة فيه؛ فليتهم أخذوه معترفين بأنّه حقيّ، فكانت المصيبةُ به أخفّ وأهون. واعلم أنّه قد تواترت الأخبار عنه عليه السلام بنحوٍ من هذا القول، نحو قوله: «ما زلتُ مظلوماً منذ قبضَ الله رسوله حتى يوم الناس هذا».

وقوله: «اللّهمّ أخزِ قريشاً فإنّها منعشتي حقيّ، وغصبتني أمري». وقوله: «فجزى قريشاً عنيّ الجوازي، فإنّهم ظلموني حقيّ، واغتصبوني سلطان ابن أُمّي». وقوله، وقد سمع صارخاً ينادي: أنا مظلوم، فقال: «هلمّ فلنصرُحْ معاً، فإنّي ما زلتُ مظلوماً».

وقوله: «وإنّه ليعلم أنّ محليّ منها محلّ القطب من الرّحى». وقوله: «أرى ترائي نهياً». وقوله: «أصغيا بآنئنا، وحَمَلّا الناس على رقابنا». وقوله: «إنّ لنا حقّاً إن نُعطه نأخذه، وإنّ نمنّعه نركب أعجاز الإبل؛ وإن طال السّرى». وقوله: «ما زلت مستأثراً عليّ، مدفوعاً عمّا أستحقّه وأستوجبه». وأصحابنا يحملون ذلك كلّ على ادّعائه الأمر بالأفضليّة والأحقّيّة؛ وهو الحقّ والصواب؛ فإنّ حملَه على الاستحقاق بالنصّ تكفيرٌ أو تفسيق لوجوه المهاجرين والأنصار؛ ولكنّ الإماميّة والزيدية حملوا هذه الأقوال على ظواهرها، وارتكبوا بها مركباً صعباً. ولعمري إنّ هذه الألفاظ مُوهمةٌ مغلّبة على الظنّ ما يقوله القوم؛ ولكن تصقّح الأحوال يبطل ذلك الظنّ؛ ويدرك ذلك الوهم، فوجب أن يجري مجرى الآيات المتشابهات

الموهمة ما لا يحوز على الباري، فإنه لا نعمل بها، ولا نعول على ظواهرها، لأننا لما تصفحنا أدلة العقول اقتضت العدول عن ظاهر اللفظ، وأن تحمل على التأويلات المذكورة في الكتب، انتهى كلام ابن أبي الحديد^(١).

قلت: وحاصل ما ذكره هو أنه على زعمه تعارض فيهم قول أمير المؤمنين عليه السلام القاضي بتأثيرهم وتضليلهم وفعله المقتضي توليهم لهم فرجح الفعل على القول وتأول القول ليطابق الفعل، هذا قصارى ما أراد.

وهذا الذي ذكره مردود:

أما أولاً: فإننا لا نسلم لتعارض، لأن الفعل لا يدل حتى يعرف وجهه، فلا نسلم كون أفعال أمير المؤمنين في معاملتهم موالاة، بل هي لوجوه أخر قريبة نخرج عن المقصود بذكرها.

وقد كان الحسنان عليه السلام وابن عباس وبقية خيار الصحابة يعاملون معاوية نحو تلك المعاملة، أفيجعل ذلك منهم على موالاته وتصويبه.

وأما ثانياً: فإننا إن سلمنا التعارض فإنه عنده تحمل الأفعال على الأقوال لا العكس؛ لأن الأقوال أقوى في باب الدلالة - كما هو مقرر في موضعه من كتب أصول الفقه -

وأما ثالثاً: فإن كلام أمير المؤمنين صريح فيما دلّ عليه، والتأويل إنما يكون للظاهر لا الصريح.

وأما رابعاً: فإن الأمر الذي يحبس عنه هو وأصحابه - وهو كون أمير المؤمنين عليه السلام منصوباً عليه - قد أجمع عليه أهل البيت عليه السلام، لا يختلفون فيه، وما أجمعوا عليه فهو حق. ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾^(٢)، والله أعلم.

ثم قل ابن أبي الحديد: وحدثني يحيى بن سعيد بن علي الحنبلي المعروف بابن عالية، من ساكني قطفنا^(٣) بالجانب الغربي من بغداد، وُحد الشهود المعدلين بها، قال: كنت

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٠٧. (٢) الاعراف ٧: ٦٠.

(٣) قطفنا، بالفتح ثم الضم والفاء ساكنة وناء مشناة والقصر: محلة بالجانب الغربي من بغداد، بينها وبين دجلة أقل من ميل (مرصد الاطلاع).

حاضر الفخر إسماعيل ابن عليّ الحنبليّ الفقيه المعروف بـ غلام ابن المنى، وكان الفخر إسماعيل بن علي هذا، مقدّم الحنابلة ببغداد في الفقه والخلاف؛ ويشغل بشيء في علم المنطق، وكان حُلُو العبارة، وقد رأيته أنا وحضرت عنده، وسمعت كلامه، وتوفي سنة عشر وستمائة.

قال ابن عالية: ونحن عنده نتحدّث؛ إذ دخل شخص من الحنابلة، قد كان له دين على بعض أهل الكوفة، فأنحدر إليه يطالبه به، واتفق أن حضرت زيارة يوم الغدير، والحنبليّ المذكور بالكوفة؛ وهذه الزيارة هي اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة، ويجتمع بمشهد أمير المؤمنين عليه السلام من الخلائق جُموعٌ عظيمة؛ تتجاوز حدّ الإحصاء.

قال ابن عالية: فجعل الشيخ الفخر يسأل ذلك الشخص: ما فعلت؟ ما رأيته؟ هل وصل مالك إليك؟ هل بقي لك منه بقية عند غريمك؟ وذلك يجاوبه؛ حتى قال له: يا سيّدي لو شاهدت يوم الزيارة يوم الغدير، وما يجري عند قبر علي بن أبي طالب من الفضائح والأقوال الشنيعة وسبّ الصحابة جهاراً بأصوات مرتفعة من غير مراقبة ولا خيفة؛ فقال إسماعيل: أيّ ذنب لهم! والله ما جرّأهم على ذلك، ولا فتّح لهم هذا الباب إلّا صاحب ذلك القبر! فقال ذلك الشخص: ومنّ صاحب القبر؟ قال: علي بن أبي طالب! قال: يا سيّدي، هو الذي سنّ لهم ذلك، وعلمهم إيّاه وطرقهم إليه؟! قال: نعم والله، قال: يا سيّدي فإن كان محقّقاً فما لنا أن نتولّى فلاناً وفلاناً! وإن كان مبطلاً فما لنا نتولاه! ينبغي أن نبرأ إمّا منه أو منهما.

قال ابن عالية: فقام إسماعيل مسرعاً، فلبس نعليه، وقال: لعن الله إسماعيل الفاعل إن كان يعرف جواب هذه المسألة، ودخل دار حرمة، وقمنا نحن وانصرفنا، انتهى من الشرح ^(١).

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢٠٨: ٩

[تنمة الخطبة ١٧٢]

وَمِنْهَا فِي ذِكْرِ أَصْحَابِ الْجَمَلِ:

فَخَرَجُوا يَجْرُونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ^(١) كَمَا تَجْرُ الْأُمَّةُ عِنْدَ شِرَائِهَا،
مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ. فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا، وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٢) لَهُمَا وَلَعَّيْرُهُمَا؛ فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ ^(٣) رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ الطَّاعَةَ، وَسَمَحَ
لِي بِالْبَيْعَةِ؛ طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ؛ فَقَدِمُوا ^(٤) عَلَى عَامِلِي بِهَا ^(٥)، وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ
وَعَبِيدِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا ^(٦)، فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْرًا ^(٧)، وَطَائِفَةً غَدْرًا.

فَوَاللَّهِ إِنْ ^(٨) لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا مُعْتَمِدِينَ ^(٩) لِقَتْلِهِ، بِلَا جُرْمٍ
جَزَاءٍ ^(١٠)، لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذَلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ؛ إِذْ حَضَرُوهُ ^(١١)، فَلَمْ يُنْكِرُوا، وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ
وَلَا يَدٍ ^(١٢)، دَعَا مَا إِنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ!

قال ابن أبي الحديد: وصدق عليه السلام، فإنهم قتلوا من أوليائه وخُزَّانِ بَيْتِ الْمَالِ بِالْبَصْرَةِ
خلقاً كثيراً؛ بعضهم غدرًا، وبعضهم صبرًا، كما خطب به عليه السلام ^(١٣).

(١) في هـ. ب: يعني زوجته عائشة، قال الله تعالى ﴿وَفَرَّغْنَا فِي يَوْمٍ تَكُونُ﴾ الاحزاب: ٣٣/ ٣٣.

وقد أخرجها لأجل أنفسهما، أي: طلحة والزبير، ولأجل فتنة هبَّجها.

(٢) في هـ. ب: زوجة. (٣) في هـ. ب: ليس منهم.

(٤) في هـ. ب: يعني جيش طلحة والزبير. (٥) في هـ. ب: بالبصرة.

(٦) في هـ. ب: أهل البصرة. (٧) في هـ. ب: أي أسيرا مغلولين بين الناس.

(٨) لم ترد «ن» في «و».

في هـ. ب: روي بكسر الهمزة وفتحها، والكسر هو الصواب و «إن» مخففة من المثقلة، أي:

والله إن الأمر والشأن لو لم يقتلوا إلا رجلاً واحداً لحلَّ لي قتلهم.

(٩) معتمدين: قاصدين. (١٠) جزاء: جناة.

(١١) في هـ. ب: أهل البصرة. (١٢) في ط: بيد، وفي هـ. د: ولا بيد - ض ب.

(١٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣١٠.

وقال ابن أبي الحديد: وقال أبو مخنف وذكر حديثاً طويلاً يتضمن ذكر ما جرى بين عثمان بن حنيف رضي الله عنه - عامل علي رضي الله عنه على البصرة -، وطلحة والزبير وعائشة لما قدموا عليه بها، وذكر فيه إنهم تحاربوا ثم تصالحوا حتى يقدم علي رضي الله عنه، وكتبوا بذلك كتاباً. ثم إن طلحة والزبير غدرا بعثمان بن حنيف ونكثا العهد وأسرا عثمان وأصحابه الذين يقال لهم «السبابجة» وهم خزّان بيت المال بها، والسابجة: جمع سبجي، لفظة معربة، قال في الصحاح: هم قوم من السند كانوا بالبصرة جلاوزة: هم الشرط وحراس السجن، والتاء للعجمة والنسبة، وهي بسين مهملة ثم ياء مثناة من تحت، ثم باء موحدة ثم جيم ^(١). قال: فلما أسر ضرب ضرب الموت، وتنف حاجباه وأشفار عينيه، وكل شعرة في رأسه ووجهه، وأخذوا السبابجة وهم سبعون رجلاً؛ فانطلقوا بهم وبعثمان ابن حنيف إلى عائشة، فقالت لأبان بن عثمان: اخرج إليه فاضرب عنقه، فإن الأنصار قتلت أباك، وأعانت على قتله، فددى عثمان: يا عائشة، ويا طلحة، ويا زبير: إن أخي سهل ابن حنيف خليفة علي بن أبي طالب على المدينة؛ وأقسم بالله إن قتلتموني ليضعن السيف في بني أبيكم وأهلكم ورهطكم؛ فلا يبقى أحداً منكم. فكفّوا عنه، وخافوا أن يقع سهل بن حنيف بعيالاتهم وأهلهم بالمدينة، فتركوه.

وأرسلت عائشة إلى الزبير أن أقتل السبابجة، فإنه قد بلغني الذي صنعوا بك. قال: فذبحهم والله الزبير كما يذبح الغنم، ولي ذلك منهم عبدالله ابنه، وهم سبعون رجلاً، وبقيت منهم طائفة مستمسكين ببيت المال. قالوا: لا ندفعه إليكم حتى يقدم أمير المؤمنين؛ فسار إليهم الزبير في جيش ليلاً، فأوقع بهم؛ وأخذ منهم خمسين أسيراً، فقتلهم صبراً.

قال أبو مخنف: فحدثنا الصقعب بن زهير. قال: كانت السبابجة القتلى يومئذ أربعمائة رجل، قال: فكان غدّر طلحة والزبير بعثمان بن حنيف أول غدركان في الإسلام، وكان السبابجة أول قوم ضربت أعناقهم من المسلمين صبراً. قال: وخيروا عثمان ابن حنيف بين أن يقيم أو يلحق بعلي، فاختر الرّحيل؛ فخلّوا سبيله، فلحق بعلي رضي الله عنه، فلما رآه بكى، وقال له: فارقتك شيخاً، وجئتك أمرد، فقال علي: إنا لله وإنا إليه راجعون! قالها ثلاثاً.

قال: فلما بلغ حَكِيم بن جبلة ما صنع القوم بعثمان بن حُنيف، خرج في ثلاثمائة من عبْد القيس مخالفاً لهم ومنايذاً؛ فخرجوا إليه، وحملوا عائشة على جَمَلٍ؛ فسَمِّي ذلك اليوم يوم الجمل الأصغر، ويوم عليّ يوم الجمل الأكبر.

وتجالَدَ الفريقان بالسُّيُوف، فشَدَّ رجل من الأزْد من عسكر عائشة على حَكيم بن جبلة، فضرب رجله فقطعها، ووقع الأزديّ عن فرسه، فجثا حَكيم، فأخذ رجله فرمى بها الأزديّ، فصرعه، ثم دبَّ إليه فقتله متكئاً عليه، خائفاً له حتى زهقت نفسه، فمر بحكيم إنسان وهو يجود بنفسه، فقال: مَنْ فعل بك؟ قال: وسادتي، فنظر فإذا الأزديّ تحته، وكان حَكيم شجاعاً مذكوراً

قال: وقتل مع حَكيم إخوة له ثلاثة، وقتل أصحابه كلُّهم، وهم ثلاثمائة من عبْد لقيس، والقليل منهم من بكر بن وائل^(١).

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣١١ - ٣٢٠ (بتلخيص الشارح).

ومن خطبة له عليه السلام:

أَمِينٌ^(١) وَخِيَّةٌ، وَخَاتَمُ رُسُلِهِ، وَبَشِيرُ رَحْمَتِهِ، وَنَذِيرُ تَقَمَّتِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ وَأَعْلَمُهُمْ^(٢) بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ، فَإِنْ شَغَبَ^(٣) شَاغِبٌ أَسْتَعْتَبَ^(٤)، فَإِنْ أَبَى قُوْتَلْ، وَلَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتْ الْإِمَامَةُ لَا تَنْعَقِدُ حَتَّى تَخْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ فَمَا^(٥) إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ، وَلَكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا، ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ.

أَلَا وَإِنِّي أَقَاتِلُ رَجُلَيْنِ: رَجُلًا أَدَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ^(٦)، وَآخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ^(٧).

أَوْصِيكُمْ^(٨) عِبَادَ اللَّهِ^(٩) بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَى الْعِبَادُ بِهِ، وَخَيْرُ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللَّهِ، وَقَدْ فَتَحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ^(١٠)، وَلَا يَحْمِلُ^(١١) هَذَا الْعِلْمُ^(١٢) إِلَّا أَهْلُ الْبَصَرِ وَالصَّبْرِ^(١٣) وَالْعِلْمُ بِمَوَاقِعِ الْحَقِّ^(١٤)، فَاْمْضُوا لِمَا تَوْمَرُونَ بِهِ، وَاقْفُوا عِنْدَمَا^(١٥) تُنْهَوْنَ عَنْهُ، وَلَا تَعْجَلُوا فِي أَمْرِ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا؛ فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تَنْكِرُوتَهُ غَيْرًا^(١٦).

(١) في هـ. ب: الذي يؤمن منه.

(٢) في ب و ص: أعلمهم، وفي هـ. ص، وفي نسخة: أعلمهم، وفي هـ. ب: وأعلمهم - ش.

(٣) الشغب: تهيج الفساد، وفي هـ. ب: شاغب: غالب. الشغب: المسترخي الشنيع.

(٤) أي طلب منه الرضا بالحق، وفي هـ. ب: استرضي.

(٥) في هـ. د: مالي الى - ن ف.

(٦) في هـ. ب: معاوية.

(٧) في هـ. ب: طححة والزبير.

(٨) في د زيادة: عباد الله، وفي هـ. د: أوصيكم بتقوى الله - ش.

(٩) أي من يصلّي الى القبلة.

(١٠) في هـ. د: وروي ولا يحملن هذا العلم - ر.

(١١) في ب: العلم، وفي هـ. ب، وفي نسخة: زيادة: ولعلم. وفي ص: كتب على «العلم»: نسخة.

(١٢) أي ليس حملنا لهذا العلم عن جهل أو غفلة عن أحكام الله.

(١٣) في أ زيادة: له.

(١٤) في ص: عمّا.

(١٥) في هـ. ب، وفي نسخة: عبراً، وفي هـ. ب: غيراً، أي: تغيراً، وفي هـ. د: في حاشية ش: عبراً.

أَلَا، وَإِنَّ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا، وَأَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ، لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، وَلَا مَنْزِلِكُمْ الَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ، وَلَا الَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ.
أَلَا، وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ، وَلَا تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا، وَهِيَ وَإِنْ غَرَّكُمْ مِنْهَا، فَقَدْ حَذَرْتُكُمْ شَرَّهَا، فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا، وَإِطْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا، وَسَابِقُوا فِيهَا إِلَى الدَّارِ الَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهَا، وَأَنْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا، وَلَا يَخْنِ (١) أَحَدُكُمْ خَيْنَ الْأَمَّةِ عَلَى مَا زُوي (٢) عَنْهُ مِنْهَا، وَأَسْتَمْتُمُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَالْمَحَافَظَةِ عَلَى مَا أَسْتَحْفَظُكُمْ مِنْ كِتَابِهِ.

أَلَا، وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكُمْ (٣) تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ، أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حَافِظُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ، أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَالْأَمْنِ وَإِيَّاكُمْ الصَّبْرَ.

قوله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ...»:

فيه دليل على اعتبار الأفضلية في الإمامة لقوله تعالى: «وَأَمِنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبَعَ...» (٤).

وقوله ﷺ: «فَإِنْ شَغِبَ شَاغِبٌ»:

تعقيب هذا لما قبله دليل على أن الإمامة تثبت للشخص باستكمالها لشرائطها؛ لأنه فرعه على الأحقية، والله أعلم.

وقوله ﷺ: «وَلَكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ...»:

مصدر كلامه ﷺ ومغزاه الرد على من كان يزعم أن إمامته ﷺ غير لازمة له؛ لأنه لم يحضر عقد البيعة فقال في الرد عليه - على وجه التسليم الجدلي - : هبوا أن طريق

(١) في ص: لا يخنن وفي هـ. ص: لا يخنن، وفي هـ. ب: ولا يحنن، والحنين والحنين واحد،

ولا يخنن بالحاء. ولا تخنن - بالخاء المعجمة - كالبكاء في الأنف، والخنة: كالغنة، وفي هـ. أ:

الحنين: البكاء في الأنف، وفي هـ. د: الحنين بالحاء المهملة - م ب ك ر.

(٢) في هـ. ب: قبض. (٣) في أ: تصبركم.

(٤) بونس: ١٠ / ٣٥.

الإمامة؛ العقد والاختيار، فإنه لا يلزم على هذا القول أن يحضرها جميع من تلزمه أحكامها لأنّ حضور عامة الناس عقدها محال، ولكن المعتبر عند أهل هذه المقالة؛ أن يحضرها من يعتبر حضوره، فإذا حكموا بأن فلاناً إمام لزمّت إمامته من حضر ومن غاب، أي فهذا هو الذي يعتبره أهل هذه المقالة، وقد حصل ذلك في إمامتي، فما بال حكمه لا يثبت عند من يقول به؟!

أمّا إمامته ﷺ فهي ثابتة عنده وعند آله بالنص، فلا يقال: إنّ كلامه هذا دليل على نفي النص وعلى كون الاختيار والعقد طريق الإمامة؛ لأنّ المقام مقام جدلي يختار فيه إيراد ما يلتزمه الخصم ويقطع شغبه، والله أعلم.

قوله ﷺ: «فامضوا لما تؤمرون به...»:

هذا أمر منه ﷺ بالإنقياد له والتسليم وأن يتّهموا آرائهم على رأيه؛ لأنّ وجوه هذا الأمر غامضة والعلم بحقائقه دقيق لا يعلمه كلّ أحد. وفرض أكثر العلماء فيه تقليد من هو أعلم به منهم.

وربّما يدلّ على تجزّي الاجتهاد وإنّ من الناس من يعلم بعض الأحكام ويجهل بعضها، والله أعلم.

قال في الشرح: لم يكن المسلمون قبّل حرب الجمل يعرفون كيفيّة قتال أهل القبلة؛ وإنّما تعلّموا فقه ذلك من أمير المؤمنين ﷺ.

وقال الشافعيّ: لولا عليّ لما عرف شيء من أحكام أهل البغي، انتهى من الشرح^(١).

قوله ﷺ: «ألا ون هذه الدنيا...»

وجدت أكثر ألفاظ هذه الخطبة فيما رواه الشيخ أبو جعفر الاسكافي في كتاب المعيار والموازنة^(٢)، فلعل الحال الذي قيلت فيه ولسبب الذي اقتضاه ما ذكره، أورد فيه ما رقمه: [خطبة أمير المؤمنين ﷺ لما أخبره أكابر أصحاب رسول الله ﷺ بأن طلحة والزبير التقيا ببني أميّة ممّن كان منهم بالمدينة، فأجمع رأيهم على نقض بيعتك]^(٣).

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩ : ٣٣١ . (٢) المعيار والموازنة : ١٠٩ - ١١٤ .

(٣) من ط .

وذكروا أن علياً عليه السلام لما قسم بينهم بالسوية، وأعطى الأسود والأحمر عطية واحدة، أنكر ذلك من فعله قوم ووجدوا من ذلك، ومشى بعضهم إلى بعض بالعتب والظعن. فبلغ ذلك أصحابه من المهاجرين والأنصار، فاجتمع أبو الهيثم بن التيهان وخزيمة ابن ثابت ذو الشهادتين، وعمار بن ياسر، ورفاعة بن رافع، وأبو حية وخالد بن زيد وسهل بن حنيف، فتشاوروا، فاجتمع رأيهم على أن يركبوا إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ويخبروه أن طلحة والزبير ومن كان من بني أمية بالحجاز قد اجتمع رأيهم واشتملت^(١) عداوتهم، وهم مصرّون على أمر لا نأمنهم عليه.

فركبوا إلى علي بن أبي طالب، فقالوا يا أمير المؤمنين أنظر في أمرك، وعاتب قومك هذا الحي من قريش، فإنهم قد تفضوا عهدك، وأخلفوا وعدك، وقد دعونا في السر إلى رفضك، هداك الله لرشدك؛ وذلك لأنهم فقدوا الأثرة، وكرهوا الأسوة، فلما آسيت بينهم وبين الأعاجم أنكروا، واستشاروا عدوك، فاجتمع رأيهم على أن يطلبوا بدم عثمان. فرقة لجماعة، وائتلافاً لأهل الجهالة! فرأيتك.

فأقبل علي ركباً بغلة رسول الله الشهباء، فدخل المسجد، فركب المنبر مغضباً، وعليه عمامة خز سوداء، مرتدياً بطاق مؤتزراً بيرد قطري، متوشحاً سيفاً، متوكئاً على قوس، فقال:

أما بعد أيها الناس، فإننا نحمد الله ربنا وإلهنا ووليّ النعمة علينا، الذي أصبحت نعمة علينا ظاهرة وباطنة. بغير حول منا ولا قوة إلا امتناناً علينا، وفضلاً ليلونا أنشكر أم نكفر. فمن شكر زاده ومن كفر عذبه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أحداً صمداً.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه رحمة للعباد والبلاد والبهايم والأنعام، نعمة أنعم به علينا ومنناً وفضلاً صلى الله عليه وآله وسلم.

فأفضل الناس - أيها الناس - عند الله منزلة، وأعظمهم شرفاً، وأقربهم من رسول الله

(١) في هـ. ص، وفي نسخة: استكملت.

قرباً، وأعظمهم عند الله خطراً أطوعهم لأمر الله، وأعلمهم بطاعة الله، أعملهم وأتبعهم لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحياهم لكتاب الله، فليس لأحد ممن خلق الله عندنا فضل إلا بطاعة الله وطاعة رسوله وأتباع كتابه وسنة نبيه عليه السلام.

هذا كتب الله بين أظهركم، وعهد نبي الله وسيرته فينا لا يجهلها إلا جاهل معاند عن الحق، يقول الله في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(١) فمن اتقى فهو الشريف المكرم المحب. وكذلك أهل طاعة الله وطاعة رسوله، لقول الله في كتابه: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(٢).

ويقول: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾^(٣).

ثم صاح بأعلى صوته: يا معشر المهاجرين، يا معشر الأنصار، يا معشر المسلمين أتمنّون على الله ورسوله بإسلامكم؟ والله ولرسوله المنّ عليكم إن كنتم صادقين.

ثم نادى: ألا إنّه من استقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأنّ محمداً عبده ورسوله، أجرنا عليه أحكام القرآن، وأقسام الإسلام ليس لأحد على أحد فضل إلا بتقوى الله وطاعته، جعلنا الله وإياكم من المتقين، وأوليائه وأحبائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

ثم قال: ألا، إنّ هذه الدنيا التي أصبحتم تطالبونها، وترغبون فيها، وأصبحت تغضبكم وترضيكم، ليست بداركم ولا منزل لكم الذي خلقتكم له، ولا الذي دعيتم إليه.

لأ، وإنّها ليست بباقية لكم، ولا تبقون عليها، فلا تغرّركم، فقد حذرتموها، ووصفت لكم وجربتموها، فأصبحتم لا تحمدون عواقبها.

فسابقوا إلى منازلكم التي أمرتم أن تعمروها، فهي العامرة التي لا تخرب أبداً والباقية التي لا تنفد، وهي التي رغبكم الله فيها، ودعاكم إليها، وجعل لكم الثواب فيها.

فانظروا يا معشر المهاجرين والأنصار وأهل دين الله ما وصفتكم به في كتاب الله ونزلتم

(٢) آل عمران: ٣/ ٣١.

(١) الحجرات: ٤٩/ ١٣.

(٣) آل عمران: ٣/ ٣٢.

به عند رسول الله، وجاهدتم عليه، فبم فضّلتُم؟ أبَحسب أو نسب؟ أو بعمل وطاعة؟ فاستتمّوا نِعَم الله عليكم يرحمكم الله بالصبر لأنفسكم على طاعة الله، والذلّ لحكم الله، والمسارة في رضوان الله، والمحافظة على ما استحفّظكم الله من كتابه. ألا، وإنّه لا يضرّكم تضييع شيء من دنياكم بعد حفظكم وصيّة رسول الله صلّى الله عليه واله وسلّم.

ألا، ولا ينفعكم شيء حافظتم عليه من دنياكم بعد تضييع ما أمرتم به من التقوى. عليكم عباد الله بتقوى الله، والتسليم لأمره، والرضا بقضائه والصبر على بلائه. وأمّا هذا الفياء، فليس لأحد على أحد فيه أثرة، قد فرغ الله من قسمه، فهو مال الله، وأنتم عباد الله المسمون.

وهذا كتاب الله به أقررنا، وعليه شهدنا وله أسلمنا، وعهد نبينا عليه السلام بين أظهرنا فسلموا رحمكم الله لأمر الله. فمن لم يرض بهذا فليتبوأ حيث شاء وكيف شاء، فإنّ العامل بطاعة الله، والحاكم بحكم الله لا وحشة عليه، أولئك حزب الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأولئك هم المفلحون...

نسأل الله ربّنا وإلهنا أن يجعلنا وإياكم من أهل طاعته، وأن يجعل رغبتنا ورغبتكم فيما عنده، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم.

ثم نزل عن المنبر وصلّى ركعتين، وبعث بعثاً إلى طلحة والزبير وهما في ناحية من المسجد، فقاما فجلسا إليه، فقال لهما^(١):

أنشدكما الله، هل جئتماني تبايعاني طائعين، ودعوتماني إليها وأنا كاره؟ قالوا: اللّهمّ نعم. قال: غير مجبورين ولا مقسورين فأسلمتما لي بيعتكما، وأعطيتماني عهدكما؟ قالوا: اللّهمّ نعم. فقال عليّ: الحمد لله ربّ العالمين على ذلك.

ثم قال لهما: فما عدا ممّا بدا^(٢)؟ قالوا: أعطيناك بيعتنا على أن لا تقطع الأمر دوننا وأن تستشيرنا في الأمور، ولا تستبدّ بها عنّا، ولنا من الفضل على غيرنا ما قد علمت! فأنّت

(١) كذا في ط وفي ص: فقال علي بن أبي طالب.

(٢) في ص: فما عدا كما بعد.

تقسم القسوم، وتقطع الأمور، وتمضي الأحكام بغير مشاورتنا، ولا رأينا ولا علمنا.

فقال عليّ عليه السلام: لقد نعمتما يسيراً، وأرجئتما كثيراً، استغفر الله لي ولكم.

ثم قال: ألا تخبراني أي شيء لكما فيه حقّ دفعتمكما عنه؟ أم بأي قسم استأثرت عليكما؟ قالوا: معاذ الله. قال: فأَيّ حق رفعه إليّ أحد من المسلمين ضعفت عنه أو جهلته، أو حكم أخطأت فيه^(١)؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأَيّ أمر دعوتاني إليه من أمر عامة المسلمين فقصّرت عنه وخالفتمكما فيه؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فما الذي كرهتما من أمري. وتقمتما من تأميري، ورأيتما من خلافي؟ قالوا: خلافتك عمر بن الخطاب وأئمتنا وحقنا في الفياء، جعلت حقنا في الإسلام كحق غيرنا، وسوّيت بيننا وبين من أفاء الله به علينا بسيوفنا ورماحنا وأوجفنا عليه بخيلنا وظهرت عليه دعوتنا. وأخذناه قسراً [ممن]^(٢) لم يأتوا الإسلام إلّا كرهاً.

فقال عليّ رحمه الله عليه: الله أكبر، الله أكبر، اللهم إني أشهدك عليهما، وأشهد من حضر مجلسي هذا اليوم عليهما.

ثم قال: أمّا ما احتججتما به عليّ من أمر الإستشارة فوالله ما كانت لي في الولاية رغبة ولا لي فيها محبة^(٣) ولكنكم دعوتموني إليها وحملتُموني عليها وأنا كاره فخفت أن تختلفوا وان أردّكم عن جماعتكم.

فلما أفضت إليّ نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا وأمر بالحكم به^(٤) وما قسم واستسنّ

(١) كذا في الأصل، وفي المختار: (٢٠٣) من نهج البلاغة: «ألا تخبراني أي شيء لكما فيه حقّ دفعتمكما عنه؟ وأي قسم استأثرت عليكما به؟ أم أي حق رفعه إليّ أحد من المسلمين ضعفت عنه أو جهلته؟ أم أخطأت بابه» وهو أظهر.

(٢) من ط.

(٣) كذا في الأصل. وفي المختار (٢٠٣) من نهج البلاغة: «والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية إربة».

(٤) وفي النهج: «نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا وأمرنا بالحكم به فاتّبعته، وما استسنّ النبي ﷺ فاقتديته».

النبي ﷺ فأمضيته وأتبعته، فلم أحتج إلى رأيكما ولا دخولكما معي ولا غيركما، ولم يقع حق جهلته فأثق برأيكما فيه وأستشيركما وإخواني من المسلمين، ولو كن ذلك لم أرغب عنكما ولا عن غيركما إذا كان أمر ليس في كتاب الله بيانه وبرهانه، ولم يكن فيه سنة من نبينا ﷺ ولم يمض فيه أحكام من إخواننا ممن يقتدى برأيه ويرضى بحكمه وأما ما ذكرتما من الأسوة. فإن ذلك أمر لم أحكم أنا فيه ولم أقسمه. قد وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله ﷺ قسماً قد فرغ منه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فلم أحتج اليكما فيما فرغ الله من قسمه وأمضى فيه حكمه. وأما قولكم: جعلت لهم فيننا وما أفاءت رماحنا وسيوفنا، فقد فيما ما سبق إلى الإسلام قوم لم يضرهم في شيء من الأحكام إذا استؤثر عليهم، ولم يضرهم حين استجابوا للربهم والله موفّهم يوم القيامة أعمالهم. ألا وإنا مجرون عليهم أقسامهم فليس لكما والله عندي ولا لغيركما في هذا عتب^(١).

أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إني الحقّ وألهمنا وإياكم الصبر.. ثم قال: رحم الله رجلاً رأى حقاً فأعان عليه. أو رأى جوراً فردّه. وكان عوناً للحقّ على صاحبه، انتهى^(٢).

هذا الكلام قد فرّقه الرضي رحمه الله في مواضع.

ومن كلام له عليه السلام في معنى طلحة بن عبيد الله:

قَدْ كُنْتُ وَمَا أَهْدَدُ بِالْحَرْبِ^(١)، وَلَا أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ؛ وَأَنَا عَلَى مَا وَعَدَنِي^(٢) رَبِّي مِنَ
النَّصْرِ؛ وَاللَّهِ مَا اسْتَعَجَلَ مُتَجَرِّدًا^(٣) لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ إِلَّا خَوْفًا مِنْ أَنْ يُطَالَِبَ^(٤) بِدَمِيهِ؛ لِأَنَّهُ
مَظْنُونُهُ^(٥)؛ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحْرَصُ عَلَيْهِ مِنْهُ^(٦)، فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ^(٧) فِيهِ
لِيَلْتَبَسَ^(٨) الْأَمْرُ، وَيَقَعَ الشَّكُّ.

وَاللَّهِ مَا صَنَعَ^(٩) فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ^(١٠)؛

لَئِنْ كَانَ ابْنُ عَفَّانَ ظَالِمًا - كَمَا كَانَ يَزْعُمُ - لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَازَرَ^(١١) قَاتِلِيهِ، وَأَنْ
يُنَابَذَ^(١٢) نَاصِرِيهِ.

وَلَئِنْ كَانَ مَظْلُومًا، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَهَنِّهِينَ^(١٣) عَنْهُ، وَالْمُعْذِرِينَ^(١٤)

(١) في هـ. ص: قوله عليه السلام: «قد كنت وما أهدد بالحرب» قال الرضي الاسترابادي في شرح الكافية أن الواو قد تدخل على الجملة التي هي خبر كان كما تدخل على الجملة الحالية تشبيهاً لها بها كقول علي عليه السلام: «قد كنت وما أهدد بالحرب» وكقول العرب: قد كنت وما يفاد بي البعير، وقد كنت وما أخشى الذئب، هذا حاصل ما ذكره.

(٢) في د: ما قد وعدني وفي هـ. د: ما قد وعدني - ب ض.

(٣) في هـ. ب: أي طسحة يجرد بالسلاح في وجهي، والتجرد: التعري، أي: أظهر مطالبته بدم عثمان.

(٤) في ص: يطلب. وفي هـ. ص، وفي نسخة: يطالب.

(٥) في هـ. ب: موضعه.

(٦) في ب: أحرص منه عليه، وفي هـ. د: أحرص منه عليه - ش.

(٧) في هـ. ب: جمع.

(٨) في ب: ليلبس، وفي هـ. ب، وفي نسخة: ليلبس وليلبس، وفي هـ. د: ليلبس - ح وحاشية ش.

(٩) في هـ. ب: طلحة. (١٠) في هـ. ب: أي حادثة واحدة.

(١١) في هـ. ب: يعاون.

(١٢) في أ و د: أو ينابذ، هـ. ب: أي: يحارب، في هـ. د: وان ينابذ - ض ح ل ش، أو أن ينابذ - ب.

(١٣) في هـ. ب: الذي يكف الغير عن شيء ويزجره.

(١٤) في هـ. ب: المعذرين.

فِيهِ.

وَلَيْنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخَصْلَتَيْنِ؛ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ، وَيَرْكُذَ^(١) جَانِبًا، وَيَدَعَ النَّاسَ مَعَهُ.

فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلَاثِ؛ وَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرِفْ بَائِبُهُ، وَلَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ.

قال في الشرح : كان هاهنا تامة، ولو او واو الحال؛ أي: خُلِقْتُ ووجدتُ وأنا بهذه الصفة، كما تقول: خلقتني الله وأنا شجاع.

ويجوز أن تكون الواو زائدة، وتكون «كان» ناقصة، وخبرها «ما أهدد»، كما في المثل: «لقد كنت وما أخشى بالذئب»^(٢).

فإن قلت: إذا كانت ناقصة، لزم أن تكون الآن بخلاف ما مضى؛ فيكون الآن يهدد ويُرهب. قلت: لا يلزم ذلك، لأنَّ «كان» الناقصة لماضي من حيث هو ماضٍ، وليس يشترط في ذلك أن يكون منقطعاً؛ بل قد يكون دائماً، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾^(٣). ثم ذكر عليه أنه على ما وعده ربُّه من النصر، وأنه واثق بالظفر والغلبة الآن؛ قوله عليه: «والله ما استعجل متجرّداً...».

شرح حال طلحة، وقال: إنه تجرّد^(٤) للطلب بدم عثمان، مغالطة للناس، وبها ما لهم أنه برىء من دمه، فيلتبس الأمر، ويقع الشك.

وقد كان طلحة أجهد نفسه في أمر عثمان والإجلاب^(٥) عليه، والحضر له، والإغراء به، ومثّته نفسه الخلافة؛ بل تلبس بها، وتسلم بيوت الأموال وأخذ مفاتيحها، وغشيه الناس^(٦)، وُحْدَقُوا به، ولم يبقَ إلا أن يصفقَ على يده بالخلافة^(٧).

(١) في هـ. ب، وفي نسخة: ويركب، وفي هـ. ب: يسكن: يلبث.

(٢) مجمع الامثال ٢: ١٨٠ (٣) النساء: ١٧.

(٤) يقال: تجرّد للأمر؛ إذا جدّ فيه وتفرّغ له.

(٥) أحلب عليه، أي: حاول أن يجمع الناس له من كل مكان.

(٦) في ط: وقاتل الناس.

(٧) صفق على يديه بالبيعة صفقاً وشفقة، أي: ضرب يده على يده.

ذكر ما كان من أمر طلحة مع عثمان:

ذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في كتاب «التاريخ» قال:

حدثني عمر بن شبة^(١)، عن علي بن محمد، عن عبد ربه، عن نافع، عن إسماعيل بن أبي خالد^(٢)، عن حكيم^(٣) بن جابر، قال: قال علي رضي الله عنه لطلحة وعثمان محصور: أنشدك الله إلا رددت الناس عن عثمان! قال: لا، والله حتى تُعطي بني أمية الحق من أنفسها.

وروى الطبري، قال: قال ابن عباس رضي الله عنه: لما حَجَّجْتُ بالناس نيابةً عن عثمان وهو محصور، مررت بعائشة وهي بالصُّلَّصِل^(٤)، فقالت: يا ابن عباس أنشدك الله! فإنك قد أعطيت لساناً وعقلاً، أن تُخَذِّلَ الناس عن طلحة: فقد بانت لهم بصائرهم في عثمان فأنهجت^(٥)، ورفعت لهم المنار، وتحلبوا من البلدان لأمر قد حُمّ؛ وإنَّ طلحة - فيما بلغني - قد اتخذ رجالاً على بيوت الأموال، وأخذ مفاتيح الخزائن، وأظنه يسير إن شاء الله بسيرة ابن عمه أبي بكر، فقال: يا أمه، لو حدث بالرجل حدث ما فزع الناس إلا إلى صاحبنا، فقالت: إيهأ عنك يا ابن عباس؛ إني لست أريد مكابرتك ولا مجادلتك^(٦).

وروى الطبري في التاريخ: أن عثمان لما حصر كان علي رضي الله عنه يحير في أمواله فلما قدم أرسل إليه عثمان يدعوه، فلما دخل عليه قال له إن لي عليك حقوقاً: حق الإسلام، وحق النسب، وحق مالي عليك من العهد والميثاق، ووالله لو لم يكن من هذا كله شيء وكنا في جاهلية لكان عاراً على بني عبد مناف أن يبتزهم إخوتهم ملكهم، يعني طلحة.

(١) في ص: عتبة .

(٢) في الأصول: «أبو طالب»، تحريف وصوابه من تاريخ الطبري.

(٣) حكيم بمفتوحة وكسر الكاف؛ كذا ضبط في التقريب.

(٤) صل: موضع بنواحي المدينة على سبعة أميال منها؛ نزل يوم خرج من المدينة إلى مكة

عام الفتح؛ قال عبد الله بن مصعب الزبيري:

أشرف على ظهر القديمة هل ترى
نصح العقيق فبطن طيبة موهناً
برقاً سرى في عارض مهلل
ثم استمر يوم قصد الصلصل

(٦) تاريخ الطبري ١: ٣٠٤٠ (طبع أوربا).

(٥) أنهج الطريق: وضع

فقال عليّ عليه السلام: سيأتيك الخبر، ثم قام فدخل المسجد فرأى أسامة بن زيد جالساً فدعاه واعتمد على يده وخرج يمشي إلى طلحة فدخل عليه داره، وهي دحاس من الناس فقام عليه. فقال: يا طلحة، ماهذا الأمر الذي وقعت فيه؟

فقال: يا أبا الحسن أبعداً أن مس الحزام الطيبين.

فانصرف علي عليه السلام ولم يحر إليه شيئاً حتى أتى بيت المال فنادى: افتحوا هذا الباب. فلم يقدرُوا على فتحه، فقال: اكسروه. فكسر، فقال: اخرجوا هذا المال. فجعلوا يخرجونه وهو يعطي الناس، وبلغ الذين في دار طلحة ما صنع علي فجعلوا يتسللون إليه حتى بقي طلحة وحده وبلغ الخبر عثمان فسرّ بذلك وأقبل طلحة عامداً إلى دار عثمان فاستأذن عليه، فلما دخل قال: يا أمير المؤمنين استغفر الله وأتوب إليه، ولقد رمت أمراً حال الله بيني وبينه.

فقال عثمان: إنك - والله - ما جئت تائباً، ولكن جئت مغلوباً. الله حسيبك يا طلحة وروى المدائني في كتاب «مقتل عثمان» أن طلحة منع من دفنه ثلاثة أيام [وأن علياً عليه السلام لم يبايع الناس إلا بعد قتل عثمان بخمسة أيام]^(١) وأن حكيم بن حزام أحد بني أسد بن عبد العزى، وجبير بن مطعم بن الحارث بن نوفل استنجدا بعلي عليه السلام على دفنه، فأقعد طلحة لهم في الطريق ناساً بالحجارة، فخرج به نفر يسير من أهله وهم يريدون به حائطاً بالمدينة يعرف بحش كوكب^(٢) كانت لليهود تدفن فيه موتاهم، فلما صار هناك رجم سريره، وهتموا بطرحه؛ فأرسل علي عليه السلام إلى الناس فعزم عليهم ليكفوا عنه، فكفوا، فانطلقوا به حتى دفنوه في حش كوكب، انتهى من شرح ابن أبي الحديد باختصار^(٤).

(١) من ط .

(٢) العبارة من ط وفي ص هكذا: حتى استنجد حكيم بن حزام وجبير بن مطعم بعلي .

(٣) حش كوكب: موضع عند بقيع الغرقد، ذكره ياقوت، وقال: اشتره عثمان بن عفان، وزاده في البقيع، ولما قتل ألقى فيه، ثم دفن في جنبه.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ٦ .

ومن خطبة له عليه السلام :

أَيُّهَا الْغَافِلُونَ ^(١) غَيْرُ الْمَعْقُولِ عَنْهُمْ، وَالتَّارِكُونَ، وَالْمَأْخُودَ ^(٢) مِنْهُمْ.
مَالِي أَرَاكُمْ عَنِ اللَّهِ ذَاهِبِينَ، وَإِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ! كَأَنَّكُمْ نَعَمَ أَرَاخَ ^(٣) بِهَا سَائِمٌ إِلَى مَرْعَى
وَبَيٍّ ^(٤)، وَمَشْرَبٍ دَوِيٍّ ^(٥)؛ إِنَّمَا ^(٦) هِيَ كَالْمَعْلُوقَةِ لِلْمُدَى ^(٧)؛ لَا تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا! إِذَا
أُخْسِنَ إِلَيْهَا تَحَسَّبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا ^(٨)، وَشَبَعَهَا أَمْرَهَا.
وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أَخْبِرَ ^(٩) كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلَجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ؛ وَلَكِنْ
أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ ^(١٠) بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أَلَا وَإِنِّي مُفْضِيهِ ^(١١) إِلَى الْخَاصَّةِ
مِمَّنْ يُؤْمِنُ ^(١٢) ذَلِكَ مِنْهُ. وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، وَاصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ، مَا أَتَقَبُّ إِلَّا صَادِقًا؛
وَلَقَدْ عَهَدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ ^(١٣) كُلُّهُ، وَبِمَهْلِكٍ مَنْ يَهْلِكُ، وَمَنْجِي مَنْ يَنْجُو، وَمَالَ هَذَا الْأَمْرِ؛ وَمَا
أَبْقَى شَيْئًا يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلَّا أَفْرَغَهُ ^(١٤) فِي أَذُنِّي، وَأَفْضَى بِهِ إِلَيَّ.

(١) في ط: أيها الناس وفي ه. د: أيها الناس - ح، وفي ه. ب: التاركون الغافلون الذين تركوا ما
بخبر عليه السلام. (٢) في ه. د: والتاركون المأخوذ - ض ب.

(٣) في ه. ب: راح. من الرواح، أراح وسترأح بمعنى واحد الإراحة: الاستراحة، إلا أن
الراحة متعدية.

(٤) في ه. أ: وبَيٍّ ووبىء - معاً - في ه. ب: من الوباء الذي يأتي بالوباء: أي ذي وباء.

(٥) في ه. د: وشرب روي - هامش ن، وفي ه. ب: الشرب الدوي: الذي يمرض.

(٦) في ط: وانما.

(٧) في ه. ب: للسكين، وفي ه. ص: جمع مديّة: السكين.

(٨) أي: لا تنظر إلى عواقب أمورها، فلا تعد شيئاً لما بعد يومها.

(٩) في ه. ب: في نسخة: أخبر.

(١٠) في ه. ب: أن يضيع حقي الثابت عليكم من رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١١) في ه. ب، وفي نسخة: ألا واني مفضي، وفي ه. ب: يقال: «أفضيت إليه بسري: إذا خلوت

معه فيه». ومفضيه: موصله، وفي ه. د: وروي إني مفض - هامش ن ر.

(١٢) في ب: ذلك.

(١٣) في ه. د: تؤم - م ن.

(١٤) في ه. ب: أي صه.

أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنِّي وَاللَّهِ مَا أُحْتَكُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا، وَلَا أَنَهَاكُمُ عَنْ مَعْصِيَةِ إِلَّا وَأَتْنَاهِيَ قَبْلَكُمْ عَنْهَا.

قوله ﷺ : «بمخرجه ومولجه»:

أي: من أين خرج، وكيفية خروجه من منزله، وأين يلج، وكيفية ولوجه؛ وجميع شأنه من مطعمه ومشربه، وما عزم عليه من أفعاله، وما أكله، وما ادّخره في بيته، وغير ذلك من شؤونته وأحواله.

وهذا كقول المسيح ﷺ: «وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ»^(١) انتهى من الشرح^(٢).

قوله ﷺ: «وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»:

قال في الشرح:

ومع أنه ﷺ قد كنتم ما علمه حذراً من أن يكفروا فيه برسول الله ﷺ، فقد كفر كثير منهم، وادّعوا فيه النبوة، وادّعوا فيه أنه شريك الرسول في الرسالة، وادّعوا فيه أنه هو الذي بعث محمداً ﷺ إلى الناس، وادّعوا فيه الحلول، وادّعوا فيه الاتحاد؛ ولم يتركوا نوعاً من أنواع الضلال فيه إلا وقالوه واعتقدوه؛ وقال شاعرهم فيه من أبيات:

وَمَنْ أَهْلَكَ عَادَا وَ	ثَمُودَا بِدَوَاهِيهِ
وَمَنْ كَلَّمَ مُوسَى فَوْ	قَ طُورٍ إِذْ يُنَادِيهِ
وَمَنْ قَالَ عَلَى الْمَد	بِرِ يَوْمًا وَهُوَ رَاقِيهِ
سَلُونِي أَيُّهَا النَّاس	فَحَارُوا فِي مَعَانِيهِ

وقال بعض شعرائهم:

إِنَّمَا خَلَقَ الْخَلَائِقَ مَنْ زَعَد	سَرَعَ أَرْكَانَ حَصْنٍ خَيْرٍ جَذْبَا
قَدْ رَضِينَا بِهِ إِمَامًا وَمَوْلَى	وَسَجَدْنَا لَهُ إِلَهًا وَرَبًّا ^(٣)

(١) آل عمران: ٤٩ / ٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٤، وجاء في هـ ص هنا ما يلي: الى هنا الجزء الأول، كما وجد في بعض النسخ.

ومن خطبة له عليه السلام:

اَتَّبِعُوا بَيَانَ اللَّهِ ^(١)، وَاتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ، وَاقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللَّهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَدَّ لَكُمْ بِالْجَلِيلَةِ ^(٢)، وَأَخَذَ ^(٣) عَلَيْكُمْ الْحُجَّةَ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مَخَابِتَهُ ^(٤) مِنَ الْأَعْمَالِ، وَمَكَارِهِهَ مِنْهَا؛ لِيَتَّبِعُوا هَذِهِ وَتَجْتَنِبُوا هَذِهِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ الْجَنَّةَ حُجِبَتْ ^(٥) بِالْمَكَارِهِ، وَإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ».

وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ شَيْءٍ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهِه ^(٦)، وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ شَيْءٍ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ، فَزَحَمَ اللَّهُ أَمْرًا ^(٧) نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ ^(٨)، وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ؛ فَإِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدَ شَيْءٍ مَنزَعًا ^(٩)، وَإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنزِعُ ^(١٠) إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوَى.

وَأَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ: أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُمَسِّي وَلَا يُصْبِح ^(١١) إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ ^(١٢) عِنْدَهُ، فَلَا

(١) أمر الله أولاً بالانتفاع من القرآن مثل قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ النساء: ٥٩ / ٤ وقوله: (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر...) النساء: ٨٣ / ٤ ثم أمر - ثانياً - بمثل: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ النحل: ٩٠ / ١٦.

وأمر - ثالثاً - بمثل قوله: ﴿فَاسْتَقِمُّ كَمَا أُمِرْتَ وَمِنَ تَابِ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ هود: ١١٢ / ١١، ومثل: ﴿تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ...﴾ إلى قوله: لعلكم تعقلون ﴿الأنعام: ١٥١ / ٦.

(٢) الاعتذار الجليلة، وفي هـ. ب: الواضحة. (٣) في ط: واتخذ.

(٤) في هـ. ب: التي أحبها الله.

(٥) في د: حفت، وفي هـ. د: حجبت - فن ل ش.

(٦) في هـ. ب: قهر. (٧) في أ و ج: رجلاً.

(٨) والعبارة في ب هكذا: فنزع رجل عن شهوته. وفي هـ. ب: قهر، وفي هـ. ص: النزع التشويق والميل.

(٩) في هـ. ب: تعيل إلى المعصية. (١٠) في أ: لا يصبح ولا يمسي.

(١١) في هـ. ب: فاعل والظنون مبالغة، أي: متهم، لنفس المؤمن ظنون عنده، أي: معهم على كل ما تبدي، وفي هـ. ص: أي متهمة.

يَزَالُ زَارِيًا^(١) عَلَيْهَا، وَمُسْتَزِيدًا لَهَا، فَكُونُوا^(٢) كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ وَالْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ، قَوَّضُوا^(٣) مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ، وَطَوَّوْهَا طَيَّ الْمَنَازِلِ.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغْشُ^(٤)، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ، وَالْمَحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ^(٥)، وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بَزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ؛ زِيَادَةٌ فِي هُدًى، أَوْ نُقْصَانٌ^(٦) مِنْ^(٧) عَمَى.

وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاةٍ^(٨)، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى، فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَانِكُمْ، وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأْوَانِكُمْ^(٩)، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ وَالْعَنَى وَالضَّلَالُ، فَاسْأَلُوا^(١٠) اللَّهَ بِهِ^(١١)، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ، وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ^(١٢) خَلْقَهُ، إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ بِمِثْلِهِ.

وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ^(١٣)، وَمَا حَلَّ^(١٤) مُصَدِّقٌ، وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفَعَ فِيهِ، وَمَنْ مَحَلَّ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَلَا

(١) هـ. ب: فلا يزل زارياً، أي عابثاً، فإنه إما مقصر أو متعد، إلا من عصمه الله.

(٢) في ص: وكونوا.

(٣) في هـ. أ: ارتحلوا، وفي هـ. ب: مفعول محذوف، أي: قَوَّضُوا خيامهم طوعاً ورغبة، مثل من

يقوص خيمته من منزل إذا أراد الرحيل، يقال: قوضت البناء أي نقضته من غير هدم، وفي هـ.

ص: تقويض الخيم نقضها وقد لاحظ تشبيه أهل الدنيا بالمسافرين.

(٤) في هـ. ص: الغش ضد النصح.

(٥) في ب: لا يكذب، وفي هـ. د: لا يكذب من باب التفعيل - ش.

(٦) في ب: ونقصان. (٧) في ب: في، وفي هـ. ب، وفي نسخة: من.

(٨) أي: حاجة إلى هديره، وفي هـ. ب: فقر.

(٩) في هـ. ب: شدة، وفي هـ. ص: هي الشدة.

(١٠) في أ: واسألوا. (١١) أي: اطلبوا سعادة الدنيا والآخرة باتباعه.

(١٢) في هـ. ب، وفي نسخة: زيادة: من.

(١٣) في د: شافع ومتشفع، وفي هـ. د: شافع مشفع - ف ن ش.

(١٤) ومحل: غمز، وفي هـ. ب يقال: محل فلان بفلان: إذا قال فيه قولاً وأوقعه في المكروه، وفي

هـ. د: محل مصدق - ف ن، قائل مصدق - ش، وفي هامش ف: وقائل. وفي د: وقائل

إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ ^(١) مُبْتَلَى فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَتِهِ عَمَلُهُ غَيْرَ حَرْثَةِ الْقُرْآنِ « فَكُونُوا مِنْ حَرْثِيهِ وَأَتْبَاعِيهِ، وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ ^(٢)، وَاسْتَنْصِحُوهُ ^(٣) عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَأَتَّبِعُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ ^(٤)، وَاسْتَغْشُوا ^(٥) فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ ^(٦) ».

الْعَمَلُ .. الْعَمَلُ ^(٧)، ثُمَّ النَّهَايَةُ .. النَّهَايَةُ ^(٨)، وَالِاسْتِقَامَةُ .. الِاسْتِقَامَةُ ^(٩)، ثُمَّ الصَّبْرُ .. الصَّبْرُ، وَالْوَرَعَ .. الْوَرَعَ؛ إِنَّ لَكُمْ نَهَايَةً فَاتَّبِعُوا إِلَى نَهَائَتِكُمْ، وَإِنَّ لَكُمْ عِلْمًا ^(١٠) فَاهْتَدُوا بِعِلْمِكُمْ، وَإِنَّ لِلْإِسْلَامِ غَايَةً فَاتَّبِعُوا إِلَى غَايَتِهِ ^(١١)، وَأَخْرُجُوا إِلَى اللَّهِ بِمَا ^(١٢) أَفْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ، وَبَيَّنَّ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ.

أَنَا شَاهِدٌ ^(١٣) لَكُمْ، وَحَجِيجٌ ^(١٤) يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ.

أَلَا وَإِنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ، وَالْقَضَاءُ الْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ ^(١٥)، وَإِنِّي مُتَكَلِّمٌ بَعْدَهُ اللَّهُ وَحُجَّتِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(١٦) : « إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أُنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ » ^(١٧) وَقَدْ قُلْتُمْ رَبُّنَا اللَّهُ، فَاسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ، وَعَلَى مِنْهَاجِ أَمْرِهِ، وَعَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ، ثُمَّ لَا تَمُرُّوا ^(١٨) مِنْهَا، وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا، وَلَا تُخَالِفُوا عَنْهَا، فَإِنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ

(١) في هـ. ب: كاسب. (٢) في هـ. ب: على طاعة ربكم.

(٣) في هـ. ب: اطلبوا النصيحة.

(٤) أي: إذا خالفت آراؤكم القرآن فاتهموها بالخطأ.

(٥) في ب: واغتشوا: أي ظنوا فيها الغش وارجعوا إلى القرآن، وفي هـ. د: واغتشوا - ر ل ش.

(٦) في هـ. ب: اغتشوا، أي: اتخذوا آراؤكم غاشية

(٧) في هـ. ب: أي الزموها. (٨) في هـ. ب: ثم اقصدوا الغاية.

(٩) في هـ. ب: إعملوا له.

(١٠) في هـ. ب: اماماً، وفي هـ. ص: انما يعني نفسه ^(١١) تمت من الشرح.

(١١) في هـ. ص: هي اداء الواجبات واجتناب المحظورات وأوضح ذلك بقوله: واخرجوا إلى الله.

(١٢) في أ و ب: ممّا. (١٣) في ط: شهيد، وفي هـ. د: شهيد - ن ب.

(١٤) في هـ. ب: أي مخاصم ومجادل.

(١٥) في هـ. ب: أي ورد الحكم الالهي شرعاً ولا حاجة إلى بدعة.

(١٦) في ب: عز وجل وفي ص: جل ذكره. (١٧) فصلت: ٤١ / ٣٠.

(١٨) في هـ. ب: أي لا تخرجوا من عبادة الله مروق السهم من الرمية.

مُنْقَطِعٌ^(١) بِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

ثُمَّ إِنِّي أُنَاقِلُكُمْ وَتَهْزِيعُ^(٢) الْأَخْلَاقِ وَتَصْرِيفُهَا^(٣)، وَاجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِدًا، وَلِيَخْتَرِنَ الرَّجُلُ^(٤) لِسَانَهُ، فَإِنْ هَذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ^(٥) بِصَاحِبِهِ، وَاللَّهُ مَا أَرَى عَبْدًا يَتَّقِي تَقْوَى تَنْفَعُهُ^(٦) حَتَّى يَخْتَرِنَ^(٧) لِسَانَهُ، وَإِنَّ^(٨) لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءَ قَلْبِهِ، وَإِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءَ لِسَانِهِ، لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَذَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا أَبْدَاهُ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا وَارَاهُ، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ، لَا يَذَرِي مَا ذَا لَهُ وَمَا ذَا عَلَيْهِ.

وَلَقَدْ^(٩) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ» فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ، وَهُوَ نَقِي الرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ، سَلِيمُ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ^(١٠) فَلْيَفْعَلْ.

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ^(١١) مَا^(١٢) اسْتَحَلَ عَامًّا أَوَّلًا، وَيُحَرِّمُ الْعَامَ مَا حَرَّمَ عَامًّا أَوَّلًا^(١٣)، وَإِنَّ مَا أَخَذَ النَّاسَ لَا يَحِلُّ لَكُمْ شَيْئًا مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ الْحَلَالُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ، وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الْأُمُورَ وَضَرَّسْتُمُوهَا^(١٤)، وَوَعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ

(١) في هـ. ص: بفتح الطاء انقطع يريد بصم الهمزة فهو منقطع به إذا لم يجد بلاغاً ووصولاً إلى المقصد، انتهى من الشرح.

(٢) في هـ. ب: اياكم وتهزيع الأخلاق: تغييرها عن محاسنها إلى مساوئها.

(٣) في ب: وتصرفها.

(٤) في ب: احتزن رجل، وفي ط: فليخزن الرجل، وفي هـ. ب: دعاء من الخزانة، وفي هـ. د: ليخزن الرجل - ن ب ح ض ل.

(٥) في هـ. ب: الجموح من الفرس: التي تعرج فارسها وتقلبه، ومن الرجال الذي يركب هواه.

(٦) في ب: ينفعه (٧) في ط: يخزن، وفي هـ. د: يخزن - ص. ب.

(٨) في أ: فان. (٩) في أ و ب: وفد، وفي هـ. د: لقد - ض ح ب.

(١٠) في هـ. ب: عيهم. (١١) في هـ. ب: في نسخة: السنة.

(١٢) في هـ. ب: الذي.

(١٣) في هـ. ب: يقول: المؤمن لا يستحل شيئاً إلا بعد العلم بأنه حلال، أو بنص القرآن أو بنص النبي، ولا يحرم شيئاً إلا بعد العلم بأنه حرام إلا بنص وعلم، لا بالقياس فيستحل شيئاً عاماً ويحرم عام آخر.

(١٤) في هـ. ب: ضرستموها، أي: جربتموها وعضضتموها بالأضراس، وفي هـ. ص: أي: اختبرتموها.

قَبْلَكُمْ وَضَرَبْتَ الْأَمْثَالَ لَكُمْ^(١)، وَدُعَيْتُمْ إِلَى الْأَمْرِ الْوَاضِحِ، فَلَا يَصُمُّ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا أَصَمُّ^(٢)، وَلَا يَغْمَى عَنْهُ^(٣) إِلَّا أَعْمَى، وَمَنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِاللَّهِ بِالْبَلَاءِ وَالتَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَةِ، وَأَتَاهُ التَّقْصِيرُ^(٤) مِنْ أَمَامِهِ^(٥)، حَتَّى يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ وَيُنْكِرَ مَا عَرَفَ، وَأَتَاهُ^(٦) النَّاسَ رَجُلَانِ: مُتَّبِعُ شِرْعَةٍ، وَمُبْتَدِعُ بِدْعَةٍ لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ بُرْهَانٌ سُنَّةٌ، وَلَا ضِيَاءٌ حُجَّةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعْظُ أَحَدًا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَسَبَبُهُ^(٧) الْأَمِينُ^(٨)، وَفِيهِ رَسِيعُ الْقَلْبِ^(٩)، وَتَنَابُيعُ الْعِلْمِ، وَمَا لِلْقَلْبِ جَلَاءٌ غَيْرُهُ^(١٠)، مَعَ أَنَّهُ^(١١) قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكَّرُونَ^(١٢)، وَبَقِيَ النَّاسُونَ أَوْ الْمُتَنَاسُونَ^(١٣)، فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْرًا فَأَعِينُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرًّا فَادْهَبُوا عَنْهُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَقُولُ: «يَا أَبْنَى آدَمَ اْعْمَلِ الْخَيْرَ وَدَعْ الشَّرَّ فَإِذَا أَتَتْ جَوَادُ قَاصِدٌ»^(١٤).

أَلَا وَإِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ: ظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ، وَظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ، وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَا يُطْلَبُ.
فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ: فَالشُّرْكُ بِاللَّهِ قَالَ اللَّهُ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ)^(١٥).

(١) في ط: لكم الأمثال، وفي هـ. د: لكم الأمثال - ح ض ب .

(٢) في هـ. ص: أي من هو حقيق أن يقال عنه: إنه أصم.

(٣) في ص: عنه، وفي هـ. د: عن ذلك - ب .

(٤) في ب و ص: النقص، وفي هـ. ب، وفي نسخة: التقصير، وفي هـ. د: النقص - ض ش و هامش م، ويروى النقص - ع.

(٥) أي كان التقصير بادئاً أمام عينه فيأخذه أخذ عزيز مقتدر، فعند ذلك يعرف ما كان ينكر من الحق وينكر ما كان عرف من الباطل. (٦) في ط: وان .

(٧) في ب: وسننه، وفي هـ. ب: وسببه. (٨) في هـ. ص: أي يؤمن انقطاعه بمن تعلق به.

(٩) في هـ. ص: ربيع القلب لأن القلب يحيى به كما يحيى الانعام برعي الربيع وينابيع العلم وذلك لأنه تتفرع عنه كما يخرج لماء من ينبوع وتتفرع إلى الجدول انتهى من الشرح .

(١٠) في هـ. ب: القرآن جلاء للقلب، بأنه يذهب الشكوى، من جلوت السيف بالصقل، وجلوت البصر بالكحل. (١١) في ص: على أنه .

(١٢) في هـ. ب: المتعظون.

(١٣) في أ و ص و د: والمقسون، وفي هـ. د: أو المتناسون - ص ب ح ش، وفي هـ. ب: الناسون؛

الذين انتفى تجدد العذر منهم بعد. (١٤) في هـ. ب: الفرس المستقيم .

(١٥) النساء: ٤ / ٤٨.

وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ، فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ^(١).
وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يَتْرُكُ، فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا^(٢)، الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ، لَيْسَ هُوَ
جَوْحًا بِالْمُدَى^(٣)، وَلَا ضَرْبًا بِالسَّيَاطِ، وَلَكِنَّهُ مَا يُسْتَضَعَرُ ذَلِكَ مَعَهُ.
فَيَأْيَاكُمْ وَالتَّلَوُّنَ فِي دِينِ اللَّهِ^(٤)، فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيْمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ فِرْقَةٍ فِيْمَا
تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَإِنَّ^(٥) اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَدًا يَفْرِقُهُ خَيْرًا مِمَّنْ مَضَى وَلَا مِمَّنْ بَقِيَ.
يَا أَيُّهَا النَّاسُ، طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وَطُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ، وَأَكَلَ
قُوَّتَهُ، وَاشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ^(٦)، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ فَكَانَ^(٧) مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغْلٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ
فِي رَاحَةٍ.

قوله ﷺ: «إِنَّ الْجَنَّةَ حَقَّتْ بِالْمَكَارِهِ»:

رواه ابن أبي لحديد: حُجِبَتْ، قَالَ: وَالْخَبَرُ لَذِي رَوَاهُ عنه مَرْوِيٌّ فِي كُتُبِ الْمُحَدِّثِينَ؛
وَهُوَ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ: «حُجِبَتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحَقَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»، وَمِنْ الْمُحَدِّثِينَ
مَنْ يَرْوِيهِ: «حَقَّتْ» فِيهِمَا، وَلَيْسَ مِنْهُمْ مَنْ يَرْوِيهِ: «حُجِبَتْ» فِي النَّارِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ نَفْظَ
«الْحِجَابِ» إِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ فِيْمَا يَرَامُ دُخُولُهُ وَوُلُوجُهُ لِمَكَانِ النِّفْعِ فِيهِ؛ وَيُقَالُ: حُجِبَ زَيْدٌ
عَنْ مَادَّةِ الْأَمِيرِ، وَلَا يُقَالُ: حُجِبَ زَيْدٌ عَنِ الْحَبْسِ، ائْتَهَى^(٨).
قوله ﷺ: «مَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ فِي شَهْوَةٍ»:
وَهَذَا حَقٌّ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَكُنْ مُتَرَدِّدَ الدَّوَاعِي لَا يَصِحُّ التَّكْلِيفُ؛ وَإِنَّمَا تَتَرَدَّدُ

(١) فِي هـ. ب: الْهَنَاتُ: الْأُمُورُ الْمُنْكَرَةُ وَلَا تَسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي الشَّرِّ.
(٢) فِي أَوْ نَ وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يَتْرُكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، قِيلَ: وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ،
وَفِي هـ. د: الْعِبَارَةُ فِيهَا تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ فِي النَّسْخِ.
(٣) فِي هـ. ب: الْمُدَى: الشَّفْرَةُ، وَالْجَمْعُ: الْمُدَى.
(٤) فِي هـ. ص: أَعْلِمَ أَنَّهُ ﷺ يُشِيرُ فِي كُلِّ هَذَا الْكَلَامِ إِلَى الْأُمُورِ الَّتِي ظَهَرَتْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ
جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَيَحْذَرُ مِنْهَا عَلَى جِهَةِ (اِقْتِصَاصِ) الْمَلَا حِمِّ وَتَعْرِيفِ أَسْبَابِ الْفِتْنَةِ، وَاللَّهُ
أَعْلَمُ.
(٥) فِي ص: فَانْ.
(٦) فِي ب: بِطَاعَتِهِ، وَفِي هـ. د: بِطَاعَتِهِ - ش. (٧) فِي ص: وَكَانَ.
(٨) شَرْحُ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ١٠: ١٧.

الدواعي إذا أمر بما فيه مشقة، أو نُهي عما فيه لذة ومنفعة.

فإن قلت: أليس قد أمر الإنسان بالنكاح. وهو لذة؟ قلت: ما فيه من ضرر الإنفاق ومعالجة أخلاق النساء يُرَبِّي على اللذة الحاصلة فيه مراراً، انتهى من الشرح^(١).

قلت: نحن قد بينا إن فائدة التكليف الابتلاء، ولا يتحصل إلا من إلزام المكروه ومنع المحبوب، والنكاح سبب في حفظ الفرج وغيض البصر فأمر به لذلك، كما أمر بأكل ما يقيم البدن ويحفظ القوة؛ لأنه سبب للقيام بالواجبات المكروهة، والله أعلم.

قوله ﷺ: «واعلموا أن هذا القرآن...»:

قال في كتاب «الأحكام» باب القول في حامل القرآن وفضل قراءته: قال يحيى بن الحسين: بلغنا عن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب ﷺ، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي القرآن يوم القيامة وله لسان طلق ذلق، قائلاً مصدقاً، وشفيعاً مشقّعاً، فيقول: يا رب جمعي عبدك فلان في جوفه فكان لا يعمل في بطاعتك ولا يجتنب في معصيتك ولا يقيم في حدودك. قال: فيقول: صدقت.

فتكون ظلمة بين عينيه وأخرى عن يمينه وأخرى عن شماله وأخرى من خلفه تنتره هذه وتدفعه هذه حتى تذهب به إلى أسفل درك من النار.

قال: ويأتي فيقول: يا رب جمعي فلان عبدك في جوفه فكان يعمل في بطاعتك ويجتنب في معصيتك ويقيم في حدودك، فيقول: صدقت.

فيكون له نورٌ يسطع ما بين السماء والأرض حتى يدخل الجنة فيقال له: اقرأ وارق فلك بكل حرف درجة في الجنة، حتى يساوي النبيين والشهداء كذا - وجمع بين المسبحة والوسطى -».

قال: وبلغنا عن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب ﷺ، أنه قال: كان رجل من الأنصار يعلم القرآن في مسجد رسول الله ﷺ فأتاه رجل ممن كان يعلمه بفرس، فقال: هذا لك، احمك عليه.

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٢٦.

فأتى النبي ﷺ فسأله عن ذلك، فقال له رسول الله ﷺ: تُحِبُّ أَنْ يَكُونَ حَظُّكَ غَدًا؟ فقال: لا والله، قال: فارددهُ انتهى الباب.

قوله ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ...»:

قال في الشرح: يشير بهذا الى خلافته.

وهذه الخطبة من أوائل الخطب التي خطب بها أيام بويج بعد قتل عثمان؛ وفي هذا إشارة الى أَنَّ رسول الله ﷺ قد أخبره أَنَّ الأمر سيفضي إليه منتهى عمره، وعند انقضاء أجله، انتهى^(١).

وأقول: يحتمل أن القدر والقضاء إشارة إلى الفتنة المعنوية بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ...﴾^(٢)، بل هو الأظهر بدليل وصل قوله «وَإِنِّي مُتَكَلِّمٌ بَعْدَهُ اللَّهُ وَحِجَّتُهُ» به، والله أعلم.

قوله: «حتى يستقيم لسانه»:

قال ﷺ: المسلم من سلم الناس من لسانه ويده.

وكان يقال: ينبغي للعاقل أن يتمسك بست خصال، فإنها من المروءة: أن يحفظ دينه، ويصون عرضه، ويصل رحمه، ويحمي جاره، ويرعى حقوق إخوانه، ويخزن عن البذاء لسانه.

وفي الخبر المرفوع: «مَنْ كُفِيَ شَرَّ قَبْقَبِهِ وَذَبْذَبِهِ، وَلَقَلْبِهِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ».

فالقَبْقَبُ البطن؛ والذَبْذَبُ: الفرج، واللقلق: اللسان، انتهى من الشرح^(٣).

قلت: جاء في الحديث المرفوع: «مَنْ كَانَ فِيهِ ثَلَاثٌ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَمَنْ كَانَ فِيهِ وَاحِدَةٌ مِنْهَا كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا سَأَلَ أَخْلَفَ» وهذه من آفات اللسان تزرع النفاق في القلب.

قوله ﷺ: «واعلموا عباد الله إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ... إِلَى آخِرِهِ»:

هذا الكلام من أوضح الأدلة وأصرحها في بطلان قول من يقول: إِنَّ كُلَّ مُجْتَهِدٍ مُصِيبٌ،

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ٢٦ . (٢) العنكبوت : ١ .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ٣٠ .

وهو أحد المواضع التي قال ابن أبي الحديد: إن أمير المؤمنين عليه السلام أشار فيها إلى منع الاجتهاد^(١).

ومعنى كلامه عليه السلام إن الحلال والحرام - بعد ورود الشريعة - هو ما جعله الله حلالاً وما جعله حراماً، فالتمسك بالشريعة، الحلال فيها في حقه حلال أبداً والحرام فيها في حقه حرام أبداً، لا كما يزعمه المصوّبة: إن من اجتهد في شيء فظنّه حلالاً، فإنه في حقه حلال قطعاً، وليس لله فيه حكم إلا ما ظنّه. فإذا اجتهد فيه مرة أخرى فظنّه حراماً انتسخ الحكم الأول وصار حكم الله عليه فيه أنه حرام قطعاً وكذلك في العكس، وهو حيث ظنّه أولاً حراماً ثم رآه ثانياً حلالاً، فيصير الشيء الواحد - عليه - بظنه حراماً وحلالاً في نفس الأمر، فقال عليه السلام: إن ما أحدث الناس بأرائهم لا يؤثر في تحليل ما جاءت الشريعة بتحريمه ولا في تحريم ما جاءت الشريعة بتحليله، وإن الله قد أحلّ كلّ حلال وحرّم كلّ حرام فعلى كلّ مكلف الاجتهاد والاحتياط والتبصّر في تعرف الحلال والحرام، وأخذ ذلك ممّن جعله الله معرفاً له، وأمن الناس من الضلال إذا تمسكوا به واتبعوه.

ولا يقصر في ذلك بالاستناد إلى قائل بالحلّ والحرمة من عرض الناس إتكالاً منه على أن كلّ مجتهد مصيب؛ فإنّ ذلك باطل لا تأثير له في الحقائق.

فإن قلت: فما حكم من اجتهد واحتاط وتعرّف الحق من مظانّ وجوده التي أشرت إليها وخالف حكم الله في الحادثة لعارض لبس [الواقع]^(٢) كما يوجد من الخلاف بين أئمة أهل البيت عليهم السلام؟!

قلت: حكمه أنه مخطئ لحكم الله، معذور، لا إثم عليه، مأجور على الاجتهاد في تعرف الحكم من مظانّه، ساقط عنه حكم الله في الحادثة؛ لجري ما ظنّه أنه حكم الله فيها مجرى البذل من حكم الله الحقيقي في تحصيل فائدة التكليف وهي الإبتلاء والإنقياد الذي هو شكر للمنع وتعظيم له، والله أعلم.

قال في الكشاف - عند تفسير قول الله عزّ وجلّ في سورة يونس: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٣١. (٢) في ص: وقع.

الله لكم من رزقي فجعلتم منه حراماً وحلالاً، قل ءالله أذن لكم أم على الله تفترون؟^(١). فقال: وكفى بهذه الآية زاجرة زجراً بليغاً عن النجوز فيما يسأل عنه من الأحكام وباعث على وجوب الاحتياط فيه، وأن لا يقول أحد في شيء أنه جائز أو غير جائز إلا بعد اتقان وإيقان، ومن لم يوقن فليتق الله تعالى وليصمت، وإلا فهو مفتري على الله، انتهى^(٢).

قوله ﷺ: «وأما الظلم الذي يُغفر، فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات»: يريد ﷺ: إذا كان له من الطاعة ما يكفره، وهذا هو الراجح عندي في تأويل قوله تعالى: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾^(٣).

ولا منع من أن يقع من المكلف طاعة فيكون لها موقع من تعظيم جلال الله ما يكفر الله به عنه ما يعدّ كبيراً من معاصيه ويكون هذا ممّا استأثر الله بعلمه للمصلحة، كما عرّف بعض كبار الإثم لمصلحة الزجر عنها والتحذير منها، وقصده ﷺ تخويف ظلم العباد والتحذير منه، فقسّم كلّ الظلم ليصل إلى قصده، والله أعلم.

قوله ﷺ: «أيّها الناس طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس... إلى آخره»: قال في شرح ابن أبي الحديد: أمر ﷺ بالعزلة، ولزوم البيت والاشتغال بالعبادة، ومجانبة الناس ومتاركتهم واشتغال الإنسان بعيب نفسه عن عيوبهم. وقد ورد في العزلة أخبار وآثار كثيرة؛ واختلف الناس قديماً وحديثاً فيها، ففضلها قوم على المخالطة، وفضل قوم لمخالطة عليها.

فأمّا كلام أمير المؤمنين ﷺ فيقتضي عند انعام^(٤) النظر فيه أنّ العزلة خير لقوم، وأنّ المخالطة خير لقوم آخرين على حسب أحوال الناس واختلافهم، انتهى^(٥).

وأقول أنا: إنّ العزلة أفضل من المخالطة بالنظر إلى أنفسهما لما فيها من التوقّر على العبادة التي هي المراد من خلق الإنسان والسلامة من شرور الناس؛ فإنّ أكثر طرائق لناس شرّ، فلا ترجّح المخالطة عليها إلاّ لعارض مرجّح كتعلّم العلم وتعليمه والقيام

(٢) تفسير الكشاف ٢: ٣٥٤.

(١) سورة يونس: ١٠ / ١.

(٤) في ط: امعان.

(٣) النساء: ٤ / ١١٦.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٣٨.

بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللواتي لا يقمن إلا بالخلطة.

يوضح ذلك طريقة رسول الله ﷺ قبل البعثة وبعدها، وطريقة أمير المؤمنين قبل البيعة وبعدها وطرائق أئمة أهل البيت عليه السلام عند معتبرها.

وللسيد أحمد بن أمير الناصري من علماء الزيدية الناصرية وفضلائها وزهادها، وخرج إلى اليمن في زمن الامام علي بن محمد:

يأنفس إن تطلبي عافية	فلا بد أن تلزمي زاوية
فأكثر أبناء هذا الزمان	سباع إذا فتشوا ضارية
أكف عن الخير محبوسة	والسنة بالخنا بارية
فطوبى لمستحلس بيته	قنوع له بُلغة كافية
ندماه دون الوري كتيه	فلا إثم فيها ولا لاغية
فإن ضاق يوماً بها صدره	تضجر ^(١) في حفنة خافية

روي عن سفيان الثوري قال: سمعت جعفر الصادق يقول: عزت السلامة حتى لقد خفي مطلبها، فإن يكن في شيء فيوشك أن يكون في الخمول فإن لم توجد في الخمول فيوشك أن يكون في التخلي، وليس كالخمول فإن لم تكن في أحدهما فيوشك أن تكون في الصمت، وليس كالتخلي، فإن لم توجد في الصمت فيوشك أن تكون في كلام السلف الصالح. والسعيد من وجد في نفسه خلوة، انتهى^(٢).

(١) أحفظه؛ تصحّر - بالمهملات، ما عدى التاء في أوله - ومعناه خرج إلى الصحراء في حفنة من الناس.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ٣٨.

ومن كلام له ﷺ في معنى الحكمين:

فَأُجْمَعَ رَأْيِي مَلَائِكُكُمْ^(١) عَلَى أَنْ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ^(٢)، فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجْعَجَعَا^(٣) عِنْدَ الْقُرْآنِ وَلَا يُجَاوِزَاهُ، وَتَكُونَ^(٤) أَلْسِنَتُهُمَا مَعَهُ، وَقُلُوبُهُمَا تَبَعُهُ، فَتَاهَا^(٥) عَنْهُ، وَتَرَكَ الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ، وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا، وَالْإِعْوِجَاجُ دَأْبَهُمَا^(٦)، وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا^(٧) عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ، وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ^(٨) رَأْيِهِمَا، وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا، وَ^(٩)الثِّقَّةُ^(١٠) فِي أَيْدِينَا لِأَنْفُسِنَا^(١١) حِينَ خَالَفْنَا سَبِيلَ الْحَقِّ، وَأَتَيْنَا بِمَا لَا يَعْرِفُ مِنْ مَعْكَوسٍ^(١٢) الْحُكْمِ.

(١) فِي د: مَلَائِكُكُمْ، وَفِي هـ. ب: الْمَلَائِكَةُ: أَشْرَافُ الْقَوْمِ.

(٢) فِي هـ. ب: الرِّجَالَانِ اللَّذَانِ اخْتَارَهُمَا أَصْحَابُ عَلِيٍّ بِصَفَيْنِ لِلتَّحْكِيمِ.

(٣) فِي هـ. ب: الْجَعَجَعَةُ: الْحَبْسُ، وَهُوَ - فِي الْأَصْلِ - الْمَوْضِعُ الْعَتِيقُ الْخَشَنُ، وَجَعَجَعَ بِهِمْ: أَي: أَنَاخَ بِهِمْ وَأَلْزَمَهُمُ الْجَعَجَعَةَ، وَفِي هـ. ص: إِنْ يَحْبَسَا أَنْفُسَهُمَا وَآرَاءَهُمَا، مِنْ الشَّرْحِ.

(٤) فِي ب: وَيَكُونُ. (٥) فِي هـ. ب: تَحِيْرًا.

(٦) فِي ط: رَأْيِهِمَا، وَفِي هـ. أ: وَفِي نَسْخَةٍ: رَأْيَهُمَا.

(٧) فِي هـ. ب: وَفِي نَسْخَةٍ: اسْتِثْنَاءٌ.

(٨) فِي هـ. ب: «اسْتِثْنَاءٌ» فَاعِلٌ، وَ«سُوءٌ» مَفْعُولٌ.

(٩) فِي هـ. ب: «الْوَاوُ» لِلْحَالِ (١٠) فِي هـ. د: وَرَوَيْهِ وَالْبَقِيَّةُ - ر.

(١١) أَي: الْحُجَّةُ فِي رَفْضِ حُكْمِهِمَا فِي أَيْدِينَا، وَعَبَّرَ عَنِ الْحُجَّةِ بِالثِّقَّةِ، أَي: السَّبَبُ الْمَوْثُوقُ بِهِ.

(١٢) فِي هـ. ب: الْعَكْسُ: رَدُّ الشَّيْءِ آخِرُهُ إِلَى أَوَّلِهِ.

ومن خطبة له عليه السلام:

لَا يَشْغَلُهُ ^(١) شَأْنٌ ^(٢)، وَلَا يُعَيِّرُهُ زَمَانٌ ^(٣)، وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ ^(٤)، وَلَا يَصِفُهُ ^(٥) لِسَانٌ،
لَا يَعْزُبُ ^(٦) عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ، وَلَا نُجُومِ السَّمَاءِ، وَلَا سَوَافِي ^(٧) الرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ، وَلَا
دَيْبٌ ^(٨) النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا ^(٩)، وَلَا مَقِيلٌ ^(١٠) الذَّرِّ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ، يَخْلُمُ مَسَاقِطَ الْأُورَاقِ،
وَحَفْيَ طَرْفِ الْأَحْدَاقِ ^(١١).

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ ^(١٢)، وَلَا مَشْكُوكٍ فِيهِ، وَلَا مَكْفُورٍ دِينُهُ، وَلَا
مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ ^(١٣)، شَهَادَةٌ مِنْ صِدْقَتِ نَبِيِّهِ، وَصَفَتْ دِخْلَتَهُ ^(١٤)، وَخَلَصَ يَقِينُهُ، وَثَقَلَتْ
مَوَازِينُهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا ^(١٥) عَبْدُهُ، وَرَسُولُهُ الْمُجْتَبَى ^(١٦) مِنْ خَلَائِقِهِ، وَالْمُعْتَمَدُ ^(١٧) لِشَرْحِ

(١) في هـ. ص: لا يكون الاشتغال إلا بإعمال الآلات البدنية من الأفكار والأركان في المفعول، وهذا المعنى محال في حقه تعالى فلم يحصل في حقه معنى الشغل ولا يتأتى، والله أعلم.
(٢) في د: لا يشغبه شأن عن شأن. (٣) في هـ. ص: لأنه ليس بزمانى.

(٤) في هـ. ص: لأنه ليس بجسم ولا عرض.

(٥) في هـ. ص: لأن كنه ذاته غير معلوم، وإنما المعلوم منه إضافات وسلوب، انتهى من الشرح.

(٦) في أ و ص: ولا يعزب. أي: لا يخفى.

(٧) في هـ. ب: السافيات والسوافي: الرياح التي تسفي التراب أي: تذريه.

(٨) أي: حركة النمل. من دب: إذا مشى ودرج.

(٩) في هـ. ب: الحجر الأملس.

(١٠) أي محل الاستراحة والمبيت. وفي هـ. ب: مقيل: موضع القيلولة، والذر: صغار النمل.

(١١) الحدف: العين، وطرفه: الجفن.

(١٢) في هـ. ب: أي: لا يسوى بالله أحد، عدلت فلانا بفلان: إذا سويت بينهما.

(١٣) التكوين: الخلق.

(١٤) في هـ. ب: الدخلة الضمير. والباطن، وفي هـ. ص: بكسر الدال: باطن الأمر ويجوز بالضم،

تمت من الشرح. (١٥) في هـ. ب: صلى الله عليه وآله.

(١٦) في هـ. ب: المختار.

(١٧) في هـ. ب: المختار، وفي هـ. ص: أي: المختار، والعيمة - بالكسر -: خيار المال، من الشرح.

حَقَائِقِهِ، وَالْمُخْتَصُّ بِعَقَائِلِ^(١) كَرَامَاتِهِ، وَالْمُصْطَفَى لِكَرَائِمِ^(٢) رِسَالَاتِهِ، وَالْمَوْضَحَّةُ بِهِ
أَشْرَاطُ^(٣) الْهُدَى، وَالْمَجْلُوبُ بِهِ غَرِيبُ^(٤) الْعَمَى.

أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ الْمُؤْمِلَ لَهَا وَالْمُخْلِدَ^(٥) إِلَيْهَا^(٦)، وَلَا تَنْفَسُ^(٧) بِمَنْ نَافَسَ
فِيهَا^(٨)، وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا اللَّهُ^(٩) مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضٍّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ
فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ، وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمْ
النِّقَمُ، وَتَزُولُ عَنْهُمْ النِّعَمُ فَرَعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ، وَوَلَّهِ^(١٠) مِنْ قُلُوبِهِمْ لَرَدَّ
عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ^(١١)، وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ، وَإِنِّي لِأَخْشَى^(١٢) عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فِتْرَةٍ^(١٣)،
وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مِثْلُهَا فِيهَا مِثْلَةٌ كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ، وَلَنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ
أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسَعْدَاءُ^(١٤)، وَمَا عَلَيَّ إِلَّا الْجُهْدُ^(١٥)، وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ عَفَا اللَّهُ عَمَّا
سَلَفَ^(١٦).

(١) في هـ. ب: كرائم، وفي هـ. ص: جمع عقيلة وهي الكريمة من كل شيء.

(٢) في ب: لمكارم وفي هـ. ب، وفي نسخة: لكرائم.

(٣) في هـ. ب و ص: علامات

(٤) في هـ. ب، وفي نسخة: غرايبب العمى، وهو شديد السواد، وفي هـ. ص: شديد السواد.

(٥) في هـ. ب: المستند. (٦) في ب: فيها.

(٧) في هـ. د: لا تنفس من باب النفعيل - ر ل، وفي هـ. أ: التنفيس: الترفه، وفي هـ. ب: لأنصف،

يقال: نفس بكذا ينفس إذا ظن في كذا: إذا رغبت فيه على وجه المباراة في الكرم، وروي:

«لا تنفس» أي: لا تفرج، يقال: نفست بالشيء. ونفس الله كربته، أي: فرجها، وفي هـ. ص:

نسخة ابن أبي الحديد: «ولا تنفس من نافس فيها»: أي: لا تظن به.

(٨) في هـ. ب: أي عيها.

(٩) في هـ. ب: أقسم أنه قط لم يكن غض نعمة فزال إلا بذنب اجترحه.

(١٠) في هـ. ب: تحير. (١١) في هـ. ب: متفرق

(١٢) في هـ. د: لا أخشى - ب.

(١٣) أي: فترة من عذاب بنظر بكم عقاباً من الله.

(١٤) في هـ. ب: جمع سعيد.

(١٥) في هـ. ب: الجهد بالفتح المشقة، وبالضم: الطاقة، وفي هـ. ص: بالضم الطاقة: أي بذل الجهد،

تمت من الشرح.

(١٦) في هـ. ص: قوله «عفى الله عما سلف» أجرى هذه الكلمة مجرى المثل وكنى بها عن

الاعراض عن ذكر إساءة الأمة إليه باغتصاب حقه وإن الله عاقبهم بالفتنة.

ومن كلام له عليه السلام وقد سأله ذعلب^(١) اليماني فقال^(٢): هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين^(٣)؟ فقال عليه السلام^(٤): أفأعبد ما^(٥) لا أرى! فقال: وكيف^(٦) تراه؟ قال^(٧): لا تُدركه^(٨) العيون بمشاهدة العيان؛ ولكن تُدركه القلوب بحقائق الإيمان، قريب من الأشياء غير ملامس، بعيد منها غير مبين؛ متكلم بلا رؤية^(٩)، مُريد بلا همّة^(١٠)، صانع لا بجارحة^(١١).
لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ، كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ، بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَةِ^(١٢)، رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرَّقَّةِ.

تَعْنُو^(١٣) الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ؛ وَتَجِبُ^(١٤) الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ.

قوله عليه السلام: «أفأعبد من لا أرى؟»:

قال في الشرح: هذا مقام رفيع جداً لا يصلح أن يقوله غيره عليه السلام.
ثم ذكر بعد ذلك ماهية هذه الرؤية^(١٥).

(١) في هـ. ص: الذعلب في الأصل: الناقة لسريعة. وكذلك الذعلبة، فسمي به انسان، تمت من الشرح.

(٢) في أ: ومن كلام له قاله لذعلب اليماني وقد سأله.

(٣) لم ترد «يا أمير المؤمنين» في أ. (٤) في ص: عليه وعلى آله السلام.

(٥) في ص: من، وفي هـ. ص، وفي نسخة: ما.

(٦) في أ: فكيف. (٧) في د: قال عليه السلام.

(٨) في ص: لا تراه، وفي هـ. أ، وفي نسخة: لا تراه، وفي هـ. ص، وفي نسخة: لا تدركه، وفي هـ.

د: لا تراه - ن. (٩) في هـ. د: متكلم لا بروية - ض ب.

(١٠) في ط: لا بهمة، وفي هـ. ب، وفي نسخة: لا بهمة، وفي هـ. د: لا بهمة - ح.

(١١) بلا جارحة - م ل، روي صانع لا بجارحة - ر.

(١٢) في هـ. ص: وذلك لأنه معى كونه بصيراً؛ كونه عالماً بما يصح إحصاره وعلمه بذلك بدائه لا بالقد.

(١٣) في هـ. ب: تخضع، والعاني: الأسير.

(١٤) في ب و ص: توجل، وفي هـ. ب: أي تخاف من الخوف.

(١٥) شرح ابن أبي الحديد: ٦٤ و ٦٥.

قلت: حاصلها نفى التوهم الذي هو حقيقة التوحيد عنده، كما قال: «التوحيد أن لا تتوهمه». وكما قال: «أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده..» إلى آخر كلامه.

قوله عليه السلام: «بحقائق الايمان» أي: إنها رؤية بصيرة، لا رؤية بصر.

قوله عليه السلام: «غير ملامس» وذلك لأنه ليس بجسم وأما قربه منها علمه بها.

قوله عليه السلام: «غير مبين»:

لأنه أيضاً ليس بجسم فلا يطلق عليه البينونة، وأما بُعدُه منها عبارة عن انتفاء اجتماعه معها، وذلك كما يصدق على البعيد بالوضع، يصدق - أفضل الصدق - على البعيد بالذات الذي لا يصحّ الوضع والأين أصلاً عليه

قوله عليه السلام: «متكلم بلا روية»:

والروية: الفكرة يرتئي الإنسان بها ليصدر عنه ألفاظ سديدة دالة على مقصده، والباري تعالى عالم بالحقائق - لذاته - لا يجهلها، فلا يرتأي.

قوله عليه السلام: «[مريد] بلا همّة»:

أي: بلا عزم، والعزم عبارة عن إرادة متقدمة للفعل، تفعل توطئناً للنفس على الفعل، وتمهيداً للإرادة المقارنة له؛ وإنما يصحّ، ذلك على الجسم الذي يتردد فيها، تدعوه إليه الدواعي، فأما العالم لذاته، فلا يصحّ ذلك فيه، انتهى من الشرح^(١).

أقول: وكفى بهذا برهاناً على إبطال حقيقة الإرادة في حقّه تعالى، وقول الشارح: إنَّ الهمّة: العزم. المتقدم، غير سديد، وإنما الهمّة والهمامة: ترديد خاطر في ترجيح الفعل على الترك، فإذا رجح الفعل كان العزم المستمر إلى الفعل، فالإرادة رجحان أحد الترديدين؛ فلا معنى لها في حقّه تعالى.

ولهذا يعتبر أمير المؤمنين عليه السلام عن نفى الإرادة بنفي الهمامة ونفي الإضمار، لأنَّ الإرادة في حقّ المخلوق تابع لمعنى ما فرع عليه، والله أعلم.

وقد نفى عليه السلام في هذه الأوصاف لازم الوصف بها في حقّ المخلوق ردعاً لتبادر الوهم

إلى المأنوس وتنبهها على اختلاف الاعتبار في الوصفين.

قوله ﷺ: «لطيف لا يوصف بالخفاء»:

لأنّ العرب إذا قالوا لشيء: إنه لطيف، أرادوا أنّه صغير الحجم، والباري تعالى لطيف لا بهذا الاعتبار بل يطلق باعتبارين:

أحدهما: أنّه لا يُرى لعدم صحّة رؤية ذاته؛ فلما شابه اللطيف من الأجسام في استحالة رؤيته، أطلق عليه لفظ «اللطيف» إطلاقاً للفظ السبب على المسبّب.

وثانيهما: أنّه لطيفٌ بعباده؛ كما قال في الكتاب العزيز، أي: يفعل الألطاف المقرّبة لهم من الطاعة، المبعّدة لهم من القبيح. أو لطيفٌ بهم بمعنى أنّه يرحمهم ويرفق بهم.

قوله ﷺ: «كبير لا يوصف بالجفاء»:

لما كان لفظ «كبير» إذا استعمل في الجسم أفاد تباعد أقطاره؛ ثم لما وصف الباري بأنّه أراد أن ينزّهه عمّا يدلّ لفظ «كبير» عليه، إذا استعمل في الأجسام؛ والمراد من وصفه تعالى بأنّه كبير، عظم شأنه وجلالة سلطانه.

قوله: «رحيم لا يوصف بالرقّة»؛ لأنّ لفظة الرحمة في صفاته تعالى تطلق مجازاً على إنعامه على عباده، لأنّ الملك إذا رقّ على رعيّته وعطف، أصابهم بإنعامه ومعروفه وإحسانه، انتهى من الشرح^(١).

أقول: قد نفى ﷺ في هذه القرائن الأربع وصفه تعالى بمرادف الأوصاف الأربعة إذا أطلقت في حق المخلوق، إذ المتبادر منها في حقّه مرادف المنفيّات، فأشار بنفي المرادفات إلى دفع الوهم عن إرادة ما يرادفها من معاني هذه الأوصاف إذا استعملت في حقّ الباري تعالى.

وتبّه على اختلاف اعتبار الإطلاقين تحقيقاً وشرحاً لمعنى قوله ﷺ: «التوحيد أن لا تتوهمه».

وكلامه ﷺ في التوحيد على هذا النمط وهذا الأسلوب، فحقّق مقاصده ﷺ لتطّلع على أسرار كلامه.

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٦٦.

ومن كلام له عليه السلام في ذم أصحابه:

أَحْمَدُ اللَّهِ ^(١) عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ، وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ؛ وَعَلَى ابْتِلَائِي ^(٢) بِكُمْ أَيْتَهَا الْفِرْقَةُ
الَّتِي إِذَا أَمُرْتُ لَمْ تُطِيعْ؛ وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ.

إِنْ أَهْمِلْتُمْ ^(٣) خُضْتُمْ ^(٤)، وَإِنْ حُورِثْتُمْ خُرْتُمْ ^(٥)، وَإِنْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ ^(٦)، وَإِنْ
أَجَبْتُمْ ^(٧) إِلَى مُشَاقَّةٍ ^(٨) نَكَصْتُمْ ^(٩).

لَا أَبَا لِيَغِيرَكُمْ! مَا تَنْتَظِرُونَ يَنْصُرِكُمْ، وَالْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ! الْمَوْتُ أَوَ الدُّلُّ لَكُمْ!
فَوَاللَّهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي - وَلِيَأْتِيَنِي - لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَأَنَا لِصُحْبَتِكُمْ قَالٍ ^(١٠)، وَبِكُمْ
غَيْرُ كَثِيرٍ.

لِلَّهِ أَنْتُمْ! أَمَا دِينُ يَجْمَعُكُمْ، وَلَا مَحِيَّةٌ ^(١١) تَشْحَذُكُمْ ^(١٢)! أَوَلَيْسَ عَجَبًا أَنْ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو

(١) في هـ ص، وفي نسخة: الحمد لله

(٢) في هـ ص: و يروى: على ما ابتلاني، من الشرح

(٣) في أ: أهملتكم، وفي هـ ب: أترككم، وروى «أهمتهم» يقال: أهملته: أي حليت بينه وبين
الشيء، من المهلة

(٤) في هـ ب: خِضْتُمْ وَخُضْتُمْ - معاً -، الخوص: الغوص

(٥) في هـ د: جرتم - م ك ر. وفي هـ ب: خرتم وجرتم - معاً - جرتم بالجيم: أي أعرضتم من

جار عن الطريق. وخرتم - بالخاء - أي. ضعفتم وانكسرتم وقيل: خرتم - بالخاء - أي:

صحتم من خار الثور يخور: إذا صاح.

في هـ ص: حرتم: ضعفتم، و يروى «جرتم» بالجيم: أي عدلتم عن الحرب فراراً، انتهى من
الشرح.

(٦) في هـ ب: طغيتم، وفي هـ د: طغيتم - حاشية م.

(٧) في ط و ظاهر: أجتتم، وفي هـ ص، في نسخة الشرح: أجتتم، بالهمز، أي: ألتجتم.

(٨) في هـ ب: خلاف وعداوة. (٩) في هـ ب: رجعتم.

(١٠) في هـ د: وأنا لكم قال - ب، واني لصحبتيكم قال - ل، وفي هـ ب: مبغض.

(١١) في ط: حمية، وفي هـ د: حمية - م ض ح، وفي هـ ص، وفي نسخة: حمية، وفي هـ ب:

الحمية والمحمية، كلاهما مصدر «حميت عن كذا» أي: منه.

(١٢) في هـ ب: شحذت السككين، أي: حددته، وفي هـ ص: يقال: شحذت النصل: حددته.

الْجِفَاءَ الطَّغَامَ^(١) فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلَا عَطَاءٍ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ - وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ^(٢) الْإِسْلَامِ وَبَقِيَّةُ النَّاسِ - إِلَى الْمَعُونَةِ أَوْ طَائِفَةٍ^(٣) مِنَ الْعَطَاءِ، فَتَتَفَرَّقُونَ عَنِّي، وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ!

إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضًا فَتَرْضَوْنَهُ، وَلَا سُخْطًا فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ^(٤)؛ وَإِنْ أَحَبَّ مَا أَنَا لَاقٍ إِلَيَّ الْمَوْتُ.

قَدْ^(٥) دَارَسْتُكُمْ الْكِتَابَ، وَفَاتَحْتُكُمْ^(٦) الْحِجَاخَ^(٧)، وَعَرَفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ، وَسَوَّغْتُكُمْ^(٨) مَا مَجَّحْتُمْ^(٩)، لَوْ كَانَ الْأَعْمَى يُلْحِظُ، أَوِ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ! وَأَقْرَبُ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ، وَمُؤَدِّبُهُمْ ابْنُ النَّابِغَةِ!

* * *

قوله عليه السلام: «الموت أو الذل لكم»:

قال في الشرح: دعا عليهم بأن يصيبهم أحد الأمرين، انتهى^(١٠).
والأقرب عندي أنه بدل من «ما» في قوله: «ما تنتظرون» أي: إن تأخيركم النصر يفضي بكم إلى أحد الأمرين إما أن أموت أو تموتوا قبل أن تنالوا حقكم وإما أن تذلوا.
وعلى هذا الوجه أن يقرأ: «الموت» - بالمد - كما هو شأن المبدل من اسم الاستفهام، أن تدخل عليه همزة الاستفهام.
والأفصح في «لام التعريف» إذا دخلت عليها همزة الاستفهام أن تقلب ألفاً، ويجوز أن تحذف ويقصر اللفظ، والله أعلم.

(١) في هـ. أ في نسخة: انطغاة، وفي هـ. ب: الطغام: أو غاد الناس والأراذل، ويوصف به الواحد.
(٢) في هـ. أ: أي: بقايا الإسلام، التراثك: بقايا الشُّحذ، وفيه: التراثك من المراتع، والمرتع: الذي كان الناس يدعوه، وفي هـ. ب: التريكة: البيضة التي يتركها النعامة، والتريكة أيضاً: الدوحة التي لم تزرع. وتريكة الإسلام: بقية الإسلام.

(٣) في هـ. أ، وفي نسخة: بوظيفة. (٤) في هـ. ب: فتحوطونه.

(٥) في ب: وقد. (٦) في هـ. ب: علمتكم.

(٧) في هـ. ب: حجة الله.

(٨) في هـ. ب: ساغ الشراب أي: سهل مدخله في الحلق.

(٩) في هـ. ب: مج الماء من فيه: رمى به. (١٠) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٦٩.

ومن لطائف كلامه ﷺ زيادة لفظه: «لكم» بعد الذل. تنبيهاً على أن الذل يلحقهم خاصة، بخلاف الموت؛ فإنه ينزل به وبهم، والله أعلم.
قوله ﷺ: «على غير معونة ولا عطاء»:

المعونة: ما يعطاه الجند في غير الوقت المضروب، والعطاء: في الوقت المضروب، أو أراد بالمعونة: الجهاد لا احتساب الأجر، والعطاء: النصيب من الفية. ومن كان يقتل مع معاوية لم يكن له قصد إلى الآخرة؛ لأن من كان منهم ذافهم لم يكن خافياً عليه إنه على باطل، ومن كان جافياً - وهم الجمهور - إنما كانوا يحاربون بحمية الجاهلية وكما يحارب الجار عن جاره، وإنما كان يخص بعطائه الرؤساء ويعدهم ويمنيهم، والله أعلم.
قوله ﷺ: «على أنه لا يخرج إليكم من أمري رضا [فترضونه، ولا سخط فنجتمعون عليه]»:

قال في الشرح: معناه أنكم لا تقبلون ممّا أقول لكم شيئاً، سواء كان ممّا يرضيكم أو ممّا يسخطكم، بل لكم لا بدّ من المخالفة والافتراق عنه.
ثم ذكر أن أحبّ الأشياء إليه أن يلقى الموت، وهذه الحال التي ذكرها أبو الطيب، فقال:
كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن تكنّ أمانيا
تمنيتهما لما تمنيت أن ترى صديقاً فأعيا، أو عدواً مداحياً^(١)
قوله ﷺ: «وسوّغْتُكم ما مجَّهْتُم»:

أي: ما رميتهموه كما يرمى المطعوم من لقم؛ نفرةً عنه، يقول: ما كانت عقولكم وأذهانكم تنفر عنه من الأمور الدينية أو ضحته لكم حتى عرَفْتُمُوهُ واعتقدتموه وانطوت قلوبكم عليه.

ولم يجزم ﷺ بحصول ذلك لهم، لأنه قال: لو كان الأعمى يلحظ، والنائم يستيقظ! أي: أنني قد فعلت معكم ما يقتضي حصول الاعتقادات الحقيقية في أذهانكم لو أزلتم عن قلوبكم ما يمنع من حصولها لكم، والمانع المشار إليه هو الهوى والعصبيّة والإصرار على اللجاج؛ ومحبة نصره عقيدة قد سبقت إلى القلب، وزرَعها التعصّب، ومشقة مفارقة

الأسلاف الذين قد انغرس في النفس تعظيمهم، ومالت القلوب إلى تقليد هم لحسن الظن بهم. انتهى من شرح ابن أبي الحديد^(١)

أقول: ولا يخفى ما في كلامه عليه السلام مع شرح الشارح له من الإشارة إلى أنه كان يقرّر عندهم أنه المستخلف للهداية، والمستحق للإمامة، والمأمور باتباعه، والكون معه، ونصرته، واعتقاد حقيقة أقواله وأفعاله وكانوا لا يقبلون ذلك منه قبول من يعرف نفع الحق وضرر الباطل، بل كما قال تعالى: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾^(٢)، والله أعلم.

(٢) النمل: ٢٧ / ١٤.

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ٧٢.

ومن كلام له عليه السلام وَقَدْ أَرْسَلَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ ^(١) يَعْلَمُ لَهُ عِلْمَ قَوْمٍ ^(٢) مِنْ جُنْدِ الْكُوفَةِ ^(٣) هَمُّوا بِاللِّحَاقِ بِالْخَوَارِجِ، وَكَانُوا عَلَى خَوْفٍ مِنْهُ عليه السلام، فَلَمَّا عَادَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ قَالَ لَهُ:

أَأَمِنُوا ^(٤) فَقَطَّنُوا ^(٥)، أَمْ جَبَنُوا فَطَعَنُوا ^(٦)! فَقَالَ الرَّجُلُ ^(٧): بَلْ ظَعَنُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ عليه السلام ^(٨):

بُعْدًا لَهُمْ كَمَا بَعَدَتْ ^(٩) نُمُودُ! أَمَّا لَوْ أُشْرِعَتْ ^(١٠) الْأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ، وَصَبَّتِ ^(١١) السُّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِمْ ^(١٢)، لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ. إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوَّءَ قَدْ اسْتَقْلَهُمْ ^(١٣)، وَهُوَ غَدَا مُتَبَوِّئٌ مِنْهُمْ، وَمُتَخَلِّ

(١) في هـ د: لرجل أرسله - ف ن م .

(٢) في ط و د: زيادة أحوال، والعبارة في أ هكذا: «ومن كلام له لرجل أرسله يعلم له علم»، وفي هـ ص، وفي نسخة: لرجل أرسله ليعلم . وفي هـ ص - أيضا: «هو الخريت الناجي وأصحابه من بني ناجية الذين قتلهم معقل بن قيس الرياحي وقومه وباع سيهم من مصقلة بن هبيرة لشيبياني، وقد سبق ذكرهم. وفي هـ د: علم قوم - ش. (٣) في ط زيادة: قد.

(٤) في ب: آمنوا، وفي هـ ب: تقديره: أَمِنُوا فَسَكَنُوا، أَمْ جَبَنُوا فَرَحَلُوا وفي هـ: «وكانوا على خوف منه فلما عاد قال ذلك.

(٥) في هـ ص: قطن الرجل بالمكان يقطن بالضم. أقام به وتوطنه، انتهى من الشرح

(٦) في هـ ب: رحلوا. (٧) في أ: فقال.

(٨) في ص: فقال عليه وعلى آله السلام. (٩) في هـ ب: هلكت.

(١٠) في هـ ب: أشرعت الرمح إليه: سدده، وفي هـ ص: سدده وجهه.

(١١) في هـ ص: أي اعتورتها مسرعة كصب الماء.

(١٢) في ب: هامهم، وفي هـ ب، وفي نسخة: هاماتهم، وفي هـ د: هامهم - ش ر .

(١٣) في أ و ب و د: استقلهم، وفي هـ ب: أي استهزمهم، واستقلهم أي: عدّهم قليلاً، وفي هـ د:

استقلهم - ح ب ض، وروى استفزهم - ر. واستقلهم: أي هزمهم، واستفزهم: أي استخف بهم،

عَنْهُمْ^(١)؛ فَحَسَبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى، وَازْتَكَايِهِمْ^(٢) فِي الضَّلَالِ وَالْقَمَى، وَصَدُّهُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَجَمَاعِهِمْ^(٣) فِي التَّيِّهِ.

→ وفي هـ . ص: أي وجدهم مفلولين، كذا فسروه، ويمكن عندي: أنه الضلال وجدهم فللاً لا خير فيهم، انتهى من الشرح.

(١) في هـ . ب: ﴿كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر، فلما كفر قال إني بريء منك﴾ الحشر: ٥٩ / ١٦ . وهو معاوية.

(٢) في هـ . ب: الركس: رد الشيء مقلوباً، ومنه الارتكاس، وهو الوقوع في الأمر الذي نجا منه . قال الله تعالى: ﴿وأركسهم بما كسبوا﴾ النساء: ٤ / ٨٨، أي: ردّهم إلى شقوتهم، وفي هـ . ص: أي رجوعهم.

(٣) في هـ . ب: إسراعهم في التحير، وفي هـ . ص: هو الغلو والإفراط، مستعار من جماع الفرس.

ومن خطبة له عليه السلام:

رُويَ عَنْ نَوْفٍ الْبِكَالِيِّ ^(١)، قَالَ: خَطَبْنَا بِهِذِهِ الْخُطْبَةِ امِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
بِالْكُوفَةِ ^(٢)، وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى حِجَارَةٍ نَصَبَهَا لَهُ جَعْدَةٌ ^(٣) ابْنُ هُيَيْرَةَ الْمَخْزُومِيِّ ^(٤)،
وَعَلَيْهِ مِذْرَعَةٌ ^(٥) مِنْ صُوفٍ، وَحِمَائِلُ سَيْفِهِ لَيْفٌ ^(٦)، وَفِي رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ مِنْ لَيْفٍ ^(٧)،
وَكَأَنَّ جَبِينَهُ ثِقَنَةٌ ^(٨) بَعِيرٍ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٩):

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ ^(١٠) الْخَلْقِ، وَعَوَاقِبُ ^(١١) الْأُمْرِ، نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ،
وَنَبِيرِ بُرْهَانِهِ، وَنَوَامِي ^(١٢) فَضْلِهِ وَامْتِنَانِهِ ^(١٣)، حَمْدًا يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً ^(١٤)، وَلِشُكْرِهِ أَدَاءً،
وَإِلَى ثَوَابِهِ مُقَرَّبًا، وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِبًا ^(١٥)، وَنَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةً رَاجٍ لِفَضْلِهِ، مُؤْمِلٍ

(١) في هـ ص: قال في الشرح قال في الصحاح: نواف البكالي بفتح الباء كان صاحب علي عليه السلام.
ثم قال: وقال ثعلب هو منسوب إلى بكاله، والرواية صحيحة بالكسر، لأن نواف بن فضالة
بكالي - بالكسر - من حمير، منهم هذا الشخص وهو نواف بن فضالة صاحب علي عليه السلام وقد
ذكر الكلبي نسب بني بكال الحميريين، انتهى

في هـ ب: بكال: حي من همدان من اليمن، ويقال لهم: بكيل - أيضاً - وهذا أكثر وقال ثعلب
البكالي، بكسر الباء. (٢) لم ترد «بالكوفة» في أ.

(٣) هو ابن أم هاني، أخت أمير المؤمنين، وهو من الصحابة، انتهى من الشرح

(٤) في هـ ب: قبيلة. (٥) في هـ ب: دراعة، وفي هـ ص: جبة.

(٦) في هـ ب: شيء غليظ يكون من جرائد النخل، وفي هـ ص: شجر يصنع منه الحبال.

(٧) لم ترد «وفي رجليه نعلان من ليف» في ب.

(٨) في هـ ص: هي واحدة ثغفات: وهي ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ فتغلظ
وتكثف كالركبتين وغيرهما. (٩) في ص: عليه وعلى آله السلام.

(١٠) في هـ ب: جمع مصير، وفي هـ ص: جمع مصير وهو مصدر صار.

(١١) في هـ ص: جمع عاقبة: آخر الشيء. (١٢) في هـ ب: زوائد.

(١٣) في هـ ب: من المنّة.

(١٤) في هـ ص: أي هو أبلغ ما يدخل تحت الطوق من قضاء حق الله ومن أداء شكره وإلا فإن

القوى قاصرة عن أداء حقيقة ما الله أهله. (١٥) في هـ ب: إشارة إلى أصول النعم

لِنَفْعِهِ، وَاتَّقِ بِدَفْعِهِ، مُعْتَرِفٍ لَهُ بِالطُّولِ^(١)، مُذْعِنٍ^(٢) لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ، وَتُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانٌ
مَنْ رَجَاهُ مُوقِنًا، وَأَنَابَ^(٣) إِلَيْهِ مُؤْمِنًا، وَخَنَعَ^(٤) لَهُ مُذْعِنًا، وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّدًا^(٥) وَعَظَّمَهُ
مُمَجِّدًا^(٦) وَلَاذًا^(٧) بِهِ رَاغِبًا مُجْتَهِدًا، لَمْ يُولَدْ سُبْحَانَهُ^(٨) فَيَكُونَ فِي الْعِزِّ مُشَارِكًا^(٩)، وَلَمْ
يَلِدْ فَيَكُونَ مُورِثًا^(١٠) هَالِكًا، وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتُ وَلَا زَمَانٌ، وَلَمْ يَتَعَاوَزْهُ^(١١) زِيَادَةٌ وَلَا
نَقْصَانٌ، بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عِلَامَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتَقِنِ^(١٢)، وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ^(١٣).

فَمِنْ^(١٤) شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ مُوَطَّدَاتٍ^(١٥) بِلَا عَمَدٍ^(١٦)، قَائِمَاتٍ بِلَا سَنَدٍ^(١٧)،
دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ^(١٨) مُذْعِنَاتٍ^(١٩)، غَيْرِ مُتَلَكِّثَاتٍ^(٢٠) وَلَا مُبْطِئَاتٍ، وَلَوْلَا إِقْرَارُهُنَّ
لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَإِذْعَانُهُنَّ لَهُ^(٢١) بِالطَّوَاعِيَّةِ^(٢٢)، لَمَا جَعَلَهُنَّ^(٢٣) مَوْضِعًا لِعَرْشِهِ، وَلَا مَسْكَنًا

-
- (١) في هـ. ب: الفضل، وفي هـ. ص: أي الافضال.
(٢) في هـ. ص: أي منقاد ومسلم وجهه إليه. (٣) في هـ. ب: رجع، وفي هـ. ص: أقبل وتاب.
(٤) في هـ. ب: ذل خاضعاً، وفي هـ. ص: خضع وذل.
(٥) في هـ. ب: أي اعتقد وحدانيته.
(٦) في هـ. ب: ممجد، هو الذي يقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».
(٧) في هـ. ب: عاذ، وفي هـ. ص: التجأ إليه. (٨) في هـ. ب: لم يتولد من شيء.
(٩) أي فيشاركه آياه. (١٠) في هـ. ب: مورثاً - ض ب.
(١١) في هـ. ب: يصبه. (١٢) في هـ. ب: المحكم.
(١٣) في هـ. ب: المحكم. (١٤) في ص: ومن، وفي هـ. د: ومن - ب.
(١٥) في هـ. ب: وطّد، أي: ثبت، ويُقال: وطّدت على باب الغار بالصخر: إذا سدّدته، وفي هـ. ص:
مقامات موزرات في مكانهنّ، مقومات.
(١٦) في هـ. ب: جمع عماد، وفي هـ. ص: جمع عماد نحو إهاب وأهب وأديم وادم، وهو على
خلاف القياس، انتهى من الشرح.
(١٧) في هـ. ب: بعماد، وفي هـ. ص: هو ما يستند إليه ويعتمد عليه.
(١٨) في هـ. ب: «قالنا أتينا طائعين» فصلت: ٤١/ ١١.
(١٩) في هـ. ب: منقادات.
(٢٠) في هـ. ب: مقصرات، تلكاً عن الأمر تباطأ عنه والمتلكثات: المتأخرات، وفي هـ. ص:
المتلكي: المبطى. (٢١) لم ترد «له» في أب.
(٢٢) في هـ. د: بالطوعية - م ن، وإذعانهن بالطوعية - ش، وفي هـ. ب: الطاعة.
(٢٣) في هـ. ب: يعني السماوات.

لِمَلَايِكَتِهِ، وَلَا مَصْعَدًا لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ ^(١) وَالْعَمَلِ ^(٢) الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ، جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلَامًا
يَسْتَدِلُّ بِهَا الْخَيْرَانُ فِي مُخْتَلَفِ فِجَاجٍ ^(٣) الْأَقْطَارِ ^(٤)، لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءُ نُورِهَا أَذْلَهُمَا ^(٥)
سَجَفٍ ^(٦) اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَلَا اسْتَطَاعَتْ ^(٧) جَلَابِيبُ ^(٨) سَوَادِ الْحَنَادِيسِ ^(٩) أَنْ تَرُدَّ ^(١٠) مَا
شَاعَ ^(١١) فِي السَّمَوَاتِ مِنْ تَلَالُؤٍ ^(١٢) نُورِ الْقَمَرِ، فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقِ
دَاجٍ ^(١٣)، وَلَا لَيْلٍ سَاجٍ ^(١٤) فِي بَقَاعِ الْأَرْضَيْنِ الْمُتَطَاطِنَاتِ ^(١٥)، وَلَا فِي بَقَاعِ ^(١٦) السُّفْعِ ^(١٧)
الْمُتَجَاوِزَاتِ ^(١٨)، وَمَا يَتَجَلَّجَلُ ^(١٩) بِهِ الرَّعْدُ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ، وَمَا تَلَاشَتْ ^(٢٠) عَنْهُ بُرُوقُ
الْغَمَامِ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ ^(٢١) الْأَنْوَاءِ ^(٢٢)،

(١) في هـ. ص: هو كل قول يرضي الله ويعبد به، والعمل الصالح كل عمل يطاع به الله ويتعبد له،
والكلام مأخوذ من قوله تعالى: (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فاطر: ١٠/٣٥.

(٢) في هـ. أ. في نسخة: في العمل. (٣) في هـ. ب: طرق.

(٤) في هـ. ب: الجوانب.

(٥) في هـ. ب: الظلمة، وفي هـ. ص: امتداد سواد الليل.

(٦) في هـ. ب: ستر، وفي هـ. ص: جمع سجع وهو الستر ويجوز فتح السين، تمت من الشرح.

(٧) في هـ. د: ولا استطاعت - حاشية ن، وفي هـ. ب: أي ما برحت.

(٨) في هـ. ب: جمع جلباب، وفي هـ. ص: جمع جناب، وهو ما يستر البدن من الثياب.

(٩) في هـ. ب: الظلمات. (١٠) في هـ. ب: تفرق.

(١١) في هـ. ب: ظهر. (١٢) في هـ. ب: اللمعان.

(١٣) في هـ. ص: أي مظلم أو غائب للأشياء. (١٤) في هـ. ب و ص: ساكن.

(١٥) في هـ. ب: تطاطأ: تطامن، سكن، متطافيات: ساكنات، وفي هـ. ص: أي المنخفضات.

(١٦) في هـ. ص: اليناع لمرتفع من الأرض، والسفع: جمع سفعاء، وهي ما كان لونه حمرة مشوباً
بالسود. وكذلك لونها في الأكثر. وفي هـ. د: بقاع السفع - م ن ف.

(١٧) في هـ. أ. في نسخة: السع، وفي هـ. ب: الحال. والسفعة: سواد مشروب حمرة، يعني
بالسفة مجاور لجبال. (١٨) في هـ. ب: المتدانيات.

(١٩) في هـ. ب: يتغلغل، الجلبة: صوت الرعد، وفي هـ. ص: أي: تردد صوته.

(٢٠) في هـ. ب: صارت لا شيء، وفي هـ. ص: تلاشت بمعنى اضمحلت، وكأنه مأخوذ من لسا
الرجل، أي: اتضع وخس بعد رفعة، ذكر معناه ابن أبي الحديد في الشرح ٨٧: ١٠. قلت:
يمكن أن يكون مأخوذاً من لا شيء؛ لأنه يندم عقيب وجوده بلا مهلة، فهو تفاعل من لفظ
لا شيء، والله أعلم. (٢١) في هـ. ب: رياح شديدة.

(٢٢) في هـ. ب: الأنواء: سقوط النجم، الجمع: الأنواء، وفي هـ. ص: جمع نوء، وهو سقوط نجم من
منازل القمر في المغرب مع الفجر وطلوع قرينه من المشرق مقابلاً له.

وَأَنْهَطَالُ^(١) السَّمَاءِ، وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرِ وَمَقَرَّهَا، وَمَسْحَبَ^(٢) الذَّرَّةِ وَمَجَرَّهَا، وَمَا يَكْفِي
الْبُعُوضَةَ مِنْ قُوَّتِهَا، وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَثْنَى^(٣) فِي بَطْنِهَا.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَائِنِ^(٤) قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيُّ أَوْ عَرْشٌ، أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ، أَوْ جَانٌّ أَوْ
إِنْسٌ، لَا يُدْرِكُ بَوَهِمٍ^(٥)، وَلَا يَقْدَرُ بِفَهْمٍ، وَلَا يَشْغَلُهُ سَائِلٌ، وَلَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ^(٦)، وَلَا يَنْظُرُ^(٧)
بَعَيْنٍ، وَلَا يُحَدُّ بِأَيْنٍ^(٨)، وَلَا يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ^(٩)، وَلَا يَخْلُقُ بِعِلَاجٍ^(١٠)، وَلَا يُدْرِكُ
بِالْحَوَاسِّ، وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ، الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا، وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيمًا بِلَا جَوَارِحَ
وَلَا أَدَوَاتٍ، وَلَا نُطْقٍ وَلَا لَهَوَاتٍ^(١١).

بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ^(١٢) لَوْصِفَ رَبِّكَ، فَصِفَ جِبْرَائِيلَ^(١٣) وَمِيكَائِيلَ، وَجُنُودَ
الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي حُجَرَاتِ^(١٤) الْقُدُسِ^(١٥) مُرْجَحِينَ^(١٦)، مُتَوَلِّهَةً^(١٧) عُقُولَهُمْ أَنْ

(١) في هـ. ب: انصباب، وفي هـ. ص: انفعال، من الهطل: نزول الماء.

(٢) في هـ. ب: من السحب، وهو الجر. (٣) في هـ. د: وما تحمل الأثنى - ض ح

(٤) في هـ. ص: أي الموجود الثابت، لا أن المراد الحاصل بعد أن لم يكن.

(٥) في هـ. ص: أي بفكر وقيس إلى المعروفات.

(٦) في هـ. ب: معطي.

(٧) في أ: ولا يبصر، وفي هـ. د: ولا يبصر - ف ن م.

(٨) في هـ. ص: أي بمكان، فكنى عن المكان؛ لأنه يسأل بها عنه، وكأن سر اختيار الكناية أنه لا
يحد ولا يطلب حده، والله أعلم. (٩) في هـ. ص: الأزواج: الأجزاء والأبعض.

(١٠) في هـ. ب: العلاج المعالجة، وهي المزاولة، والله تعالى يخلق بلا معاناة ولا تعب، والعلاج
إعمال الأدوات كما هو شأن المخلوق في عمله، وقصده نفي التوهم، والله أعلم.

(١١) اللهوات: جمع لهوة: اللحم المشرفة على الحلق في أقصى الفم.

(١٢) في هـ. ب: أي الإنسان لمتكلف. (١٣) في ب: جبريل.

(١٤) في هـ. ب: جمع حجرة، وفي هـ. أ: الحجرات: النواحي، وفي هـ. ب: جمع حجرة.

(١٥) في هـ. ب: الطهر.

(١٦) في هـ. أ: أرجحن الشيء: أي مال، وأرجحن: اهتز، وأرجحي: وقع، ورحى مرجحة: ثقيلة،

وجيش مرجحن، وفي هـ. ب: الإرجحنان: الميل، وجيش مرجحن ورحى مرجحن: أي

ثقل. وأرجحن الشيء: مال، وفي هـ. ص: أي مائلين إلى جهة تحت: خضوعاً لجلال الباري

سبحانه. أرجحن الحجر: إذا مال هاوياً، انتهى من الشرح.

(١٧) في هـ. ب: متحيرة، وفي هـ. ص: أي حائرة عن ذلك كافة عن تعاطيه.

يَحْدُوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ، فَإِنَّمَا ^(١) يُدْرَكُ بِالصِّفَاتِ ذُرُوهُ الْهَيَّاتِ ^(٢) وَالْأَدَوَاتِ، وَمَنْ يَنْقَضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْقَنَاءِ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ، وَأَظْلَمَ، بِظُلُمَتِهِ كُلَّ نُورٍ. أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَلْبَسَكُمْ الرِّيَاشَ ^(٣)، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ الْمَعَاشَ، وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلْمًا أَوْ لَدْفِعَ ^(٤) الْمَوْتَ سَبِيلًا لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ^(٥)، الَّذِي سَخَّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مَعَ النَّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الرِّزْقَةِ ^(٦)، فَلَمَّا اسْتَوْفَى طَعْمَتَهُ ^(٧)، وَاسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ ^(٨)، رَمَتْهُ قِيسِي ^(٩) الْفَنَاءِ بِنِبَالِ ^(١٠) الْمَوْتِ، وَأَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً، وَالْمَسَاكِينُ مُعْطَلَةً، وَوَرِثَهَا ^(١١) قَوْمٌ آخَرُونَ، وَإِنَّ ^(١٢) لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً، أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ ^(١٣) وَأَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ ^(١٤) وَأَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ، أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ ^(١٥) الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ، وَأَطْفَأُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ، وَأَخْيَرُوا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ ^(١٦)، أَيْنَ

(١) في أوص: وإِنَّمَا.

(٢) في ب: ذرو الهيئة وفي ص: ذو الهيئة وفي هـ. د: ذو الهيئة - ش، وفي هـ. ب: يعني الإنسان، وفي هـ. ص: أي: الحسم، وفيه دليل على أن الهيئة وما يراد فيها من الكيفية والحالة والمزية

من خواص الأجسام. (٣) في هـ. ب: اللباس.

(٤) في هـ. د: أو إلى دفع - ص ب. (٥) في ب و ط: «عليه لسلام».

(٦) في هـ. ب: القرب. (٧) في هـ. ب: كناية عن الرزق.

(٨) في هـ. ب: عمره. (٩) القسي: لقوس: وما يرمى به النبل.

(١٠) في هـ. ب: جمع نبل.

(١١) في أ و ب: ورثها، وفي هـ. ب، وفي نسخة: وورثها.

(١٢) في ب: فن.

(١٣) في هـ. ص: ذكر في الشرح في تعيينهم أقوالاً: .. هم أولاد عملاق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح. كان الملك لهم باليمن والحجاز وما تاخم ذلك من الأقاليم، فمنهم: عملاق بن لاوذ، ومنهم: طسم بن لاوذ، ومنهم: جديس بن لاوذ أخوهما، انتهى من الشرح.

(١٤) في هـ. ص: جمع فرعون، وهم ملوك مصر، انتهى من لشرح، وفي هـ. ب: فرعون لقب الوليد بن مصعب ملك مصر، وكلّ عت فرعون، والعتاة: الفراعنة. والعمالقة: قوم من ولد عمليق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح، وهم أمم تفرّقوا في البلاد.

(١٥) في هـ. ب: الرس: أمم بقية من قوم صالح، وعن الصادق عليه السلام: الرس هم أصحاب النبي حنظلة، كانوا مبينين بطول عنقهم

(١٦) في هـ. د: سير الجبّارين - م ن ف. وفي شرح محمد عبده ما يلي: سُئِلَ أمير المؤمنين عن

الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُبُوشِ، وَهَزَمُوا بِالْأُلُوفِ، وَعَسَكُرُوا الْعَسَاكِرَ، وَمَدَّنُوا^(١) الْمَدَائِنَ^(٢) مِنْهَا^(٣)؛

قَدْ لَيْسَ لِلْحَكْمَةِ جُنَّتُهَا^(٤)، وَأَخَذَ بِجَمِيعِ أَدْبِهَا: مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَيْهَا، وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا وَالتَّفَرُّغِ لَهَا، وَهِيَ^(٥) عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّةٌ الَّتِي يَطْلُبُهَا، وَحَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا، فَهُوَ^(٦) مُغْتَرِبٌ^(٧) إِذَا أَعْتَرَبَ الْإِسْلَامَ، وَصَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنْبِهِ^(٨)، وَالصَّقَ الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ^(٩)، بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ^(١٠).

ثم قال ﷺ^(١١):

أَيُّهَا النَّاسُ: إِنِّي قَدْ بَثْتُ^(١٢) لَكُمْ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ أُمَمَهُمْ، وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ

→ أصحاب مدائن الرس فيما رواه الرضي عن آبائه إلى جدّه الحسين، فقال: أنهم كانوا يسكنون في مدائن لهم على نهر يسمّى الرس من بلاد المشرق (هو نهر أرس في بلاد أذربيجان) وكانوا يعبدون شجرة صنوبر مغروسة على شفير عين تسمّى دوشاب (يقال: غرسها يافث بن نوح) وكان اسم الصنوبر شاه درخت، وعدة مدائنهم اثنتى عشرة مدينة، اسم الأولى: إبان، والثانية آذر، والثالثة دي، والرابعة بهمن، والخامسة اسفندارمز، والسادسة فروردين، والسابعة اردي بهشت، والثامنة خرداد، والتاسعة مرداد، والعاشر تير، والحادية عشرة مهر، والثانية عشرة شهر نور، فبعث الله لهم نبياً نبياً نهاهم عن عبادة الشجرة ويأمرهم بعبادة الله، فبغوا عليه وقتلوه أشنع قتل، حيث أقاموا في العين أنابيب من رصاص بعضها فوق بعض كالبرايق، ثم نزعوا منها الماء واحتفروا حفرة في قعرها وألقوا نبيهم فيها حياً، واجتمعوا يسمعون أنينه وشكواه حتى مات، فعاقبهم الله بإرسال ريح عاصفة ملتهبة سلقت أبدانهم، وقذفت عليهم الأرض مواد كريهة متفدة فذابت أجسادهم وهلكوا، وانقلبت مدائنهم.

(١) هـ. ب: أقاموا.

(٢) في هـ. ب: جمع مدينة، ومدن الرجل: إذا أقام بالمكان.

(٣) في أ: منها.

(٤) جنة الحكمة: ما يحفظها على صاحبها؛ من الزهد والورع والتقوى.

(٥) في ب و د: فهي.

(٦) في ب: وهو.

(٧) في هـ. ب: من الغربة.

(٨) في هـ. ب: منبت ذنبه من الجلد والعظم.

(٩) في هـ. ب: الجران: باطن عنق البعير، وفي هـ. ب: صدره.

(١٠) الإمام المهدي عجل الله فرجه. (١١) لم ترد «ثم قال عليه السلام» في أ.

(١٢) وفي ص: بيئت، وفي هـ. ص: نسخة ابن أبي الحديد: بثت. قال: أي فرقته ونشرته، وفي هـ. ب: البث: التفريق.

مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا، وَحَدَّوْكُمْ^(١) بِالزَّوْاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا^(٢).

لِلَّهِ أَنْتُمْ! اتَّقَوْنَ إِمَامًا غَيْرِي يَطَأُ^(٣) بِكُمْ الطَّرِيقَ^(٤)، وَيُرْشِدُكُمْ السَّبِيلَ! أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِرًا^(٥)، وَأَزْمَعَ^(٦) التَّرْحَالَ عِبَادُ اللَّهِ الْأَخْيَارُ، وَتَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا لَا يَبْقَى: بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ لَا يَفْتَى!

مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سَفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ بِصَفِينٍ^(٧) أَلَّا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءَ، يُسَيِّغُونَ^(٨) الْفُصَصَ، وَيَشْرَبُونَ الرَّنَقَ!^(٩) قَدْ - وَاللَّهِ - لَقُوا اللَّهَ فَوَقَّاهُمْ أَجُورَهُمْ، وَأَحْلَهُمْ دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ!

أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ، وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ! أَيْنَ عَمَّارُ! وَأَيْنَ ابْنُ التَّيْهَانِ^(١٠)! وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ^(١١)! وَأَيْنَ نَظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ^(١٢) تَعَاقدُوا^(١٣) عَلَى الْمَنِيَّةِ وَأُبْرِدَ^(١٤) بِرُءُوسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَةِ!

(١) في هـ. ص: أي سقتكم إلى الصلاح.

(٢) في هـ. ب: فلم تجتمعوا، وسقت: جمعت، وفي هـ. ص: أي لم تجتمعوا في المسير على منهج الحق.

(٣) في هـ. ص: أي يوطئكم طريق الحق، لما شبه الحق بالطريق أثبت له حكمه وهو الوطء، والمعنى: يسلك بكم الطريق المستقيم كما يسلك الدليل بالقوم في المفاوز، والمجاهل: جادة الطريق.

(٤) في هـ. ص: هو استقامة أمورها على وفق الشريعة ومنهاج الرسول ﷺ.

(٥) في هـ. ب: أي أقبل الشبه والجهالات والبدع، وهذا إنذار منه ﷺ بم يقع بعده من الفتن.

(٦) في هـ. د: وأزمعوا - ب. وفي هـ. ص: أي عزموا.

(٧) في أ و د زيادة: وهم وفي هـ. د: دماؤهم بصفين - ح ش ض.

(٨) في هـ. ب: ينجرعونها. (٩) في هـ. ب: الرنق: الكدور.

(١٠) في هـ. أ: ابن التيهان هو أبو الهيثم مالك بن التيهان ذو السيفين، وفي هـ. ب: أبو الهيثم..

(١١) في هـ. أ: ذو الشهادتين هو خرثمة بن ثابت، أقام رسول الله ﷺ شهادته مقام شهادة الرجلين. (١٢) لم ترد «الذين» في أ.

(١٣) في هـ. ب: تعاهدوا.

(١٤) في هـ. ص: أي أرسل. أي: حملت رؤوسهم مع البريد، وفي هـ. ب: بعث برؤوسهم على البريد ليصل إليهم سريعاً فيفرحوا بذلك.

قال: ثُمَّ ضَرَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ إِلَى^(١) لَحْيَيْهِ^(٢)، فَأَطَالَ الْبُكَاءَ.

ثم قال^(٣):

أَوَّه^(٤)، عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَّوْا^(٥) الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وَتَدَبَّرُوا الْقُرْصَ فَأَقَامُوهُ! أَحْيُوا السُّنَّةَ، وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ؛ دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا، وَوَثِقُوا بِالْقَائِدِ^(٦) فَاتَّبَعُوا^(٧).
ثم نادى بأعلى صوته:

الْجِهَادَ^(٨)، الْجِهَادَ عِبَادَ اللَّهِ! أَلَا رَأَيْتُمُ مَعْشَرَ فِي يَوْمِي هَذَا، فَمَنْ أَرَادَ الرِّوَاخَ^(٩) إِلَى اللَّهِ فَلْيَخْرُجْ^(١٠).

قَالَ نَوْفٌ: وَعَقَدَ لِلْحُسَيْنِ عليه السلام ^(١١) فِي عَشْرَةِ آلَافٍ^(١٢)، وَلَقِيسُ بْنُ سَعْدٍ عليه السلام فِي عَشْرَةِ آلَافٍ، وَلَأَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ، وَلَغَيْرِهِمْ عَلَى أَعْدَادٍ أُخَرَ؛ وَهُوَ يَرِيدُ الرَّجْعَةَ إِلَى صَفِّينَ فَمَا دَارَتْ الْجُمُعَةُ حَتَّى ضَرَبَهُ الْمَلْعُونُ ابْنُ مَلْجَمٍ لَعْنَهُ اللَّهُ، فَتَرَا جَسَدَ الْعَسَاكِرِ، فَكُنَّا كَأَغْنَامٍ فَقَدَتْ رَاعِيَهَا. تَخْتطفُهَا^(١٣) الذَّنَابُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ!
قوله عليه السلام: «لَمْ يُولَدْ سُبْحَانَهُ ... إِلَى قَوْلِهِ: هَالِكَا»:

نَفَى عليه السلام أَنْ يَكُونَ الْبَارِي سُبْحَانَهُ مَوْلُودٌ فَيَكُونَ لَهُ شَرِيكَ فِي الْعِزِّ وَالْإِلَهِيَّةِ؛ وَهُوَ أَبُوهُ

(١) في ط و د: على.

(٢) في ط و د زيادة «الشريفة الكريمة» وفي هـ. د: «الشريفة الكريمة» ساقطة من م ن ش.

(٣) في ط: ثم قال عليه السلام

(٤) في هـ. ب: «أوه» كلمة توجع، يقال عند الشكاية، وفي هـ. ص: هي ساكنة الواو ومكسورة الهاء ومفتوحة الهمزة وفيها لعاب، وهي كلمة تشك وتوجع.

(٥) في ط: قرءوا، وفي هـ. د: قرأوا - ض ح ب.

(٦) في هـ. ص: يعني نفسه عليه السلام. (٧) في ط و د: فاتبعوه.

(٨) في هـ. ص: منصوب بفعل مقدر، على الإغراء.

(٩) في هـ. ب: سير العشية.

(١٠) في ص: فليرح، وفي هـ. ص، وفي نسخة: فليخرج، وفي هـ. ص: قال ابن أبي الحديد: إن هذه الخطبة آخر خطبة خطب بها أمير المؤمنين عليه السلام قائما.

(١١) في ص: للحسن. (١٢) في ب: «ألف» وكذا فيما يليه.

(١٣) في أ: يختطفها، وفي هـ. ب: يسبها.

الذي ولده، وإنما قال ذلك جرياً على عادة ملوك البشر؛ فإن الأكثر أن الملك يكون ابن ملك قبله؛ ونفى أن يكون له ولد جرياً أيضاً على عادة البشر، في أن كل والد في الأكثر، فإنه يهلك قبل هلاك الولد، ويرثه الولد؛ وهذا النمط من الاحتجاج يسمى خطابة؛ وهو نافع في مواجهة العرب به، لأن المراد من الاحتجاج إثبات العقيدة، فتارة تثبت في نفوس العلماء بالبرهان، وتارة تثبت في نفوس العوام بالخطابة ولجدل، انتهى من الشرح^(١).

ويمكن أن يقال أنه عليه السلام أشار إلى برهان حقيقي، وبيانه لو كان له أب لكان إلهاً فيقوم عليه دليل وجوده وهو صدور الخلق عنه وإرسال الرسل منه، ولم يثبت شيء، فيجب نفيه؛ لعدم الدليل عليه بل يلزم أن يكون الأب أولى بالإلهية؛ لأنه أصل الابن ولم نعلم أحداً ممن أثبت الصانع المختار قال إنه مولود كما قال بعضهم إنه والد، لاستشعار نفوسهم النقص في ذلك.

وأما تحقيق البرهان على نفي كونه والداً فهو: إن رغبة المخلوقين في الأولاد لحاجتهم إليهم ليرثوهم، فلو اتخذ الله ولداً لكان لسد تلك الخلّة، ولعدم على ذاته محال، فلا يكون له إلى اتخاذ الولد حاجة فلا داعي له إلى اتخاذهم.

وقد أشار إلى ذلك في قوله: ﴿قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني﴾^(٢) مع قوله: ﴿فهب لي من لدنك ولياً يرثني﴾^(٣)، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «قد لبس للحكمة جُنَّتْهُ...»:

قال في شرح ابن أبي الحديد^(٤)

: هذا الكلام فسرّه كل طائفة على حسب اعتقادها، فالشيعة الإمامية؛ تزعم أن المراد به المهدي المنتظر عندهم، والصوفيّة يزعمون أنه يعني به ولي الله في الأرض؛ وعندهم أن الدنيا لا تخلو عن الأبدال؛ وهم اربعون، وعن الأوتاد، وهم سبعة، وعن القطب وهو واحد؛ فإذا مات القطب صار أحد السبعة قطباً عوضه، وصار أحد الأربعين وتداً عوض

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٨٢. (٢) البقرة: ١١٦ / ٢.

(٣) مريم: ١٩ / ٦. (٤) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٩٦.

الوَتِد، وصار بعض الأولياء الذين بصطفيتهم الله تعالى أبدالاً عوض ذلك البدل.
وأصحابنا يزعمون أن الله تعالى لا يخلي الأمة من جماعة من المؤمنين العلماء بالعدل
والتوحيد، وأن الإجماع إنما يكون حجةً باعتبار أقوال أولئك العلماء لكنه لما تعذرت
معرفتهم بأعيانهم، اعتبر إجماع سائر العلماء، وإنما الأصل قول أولئك.
قالوا: وكلام أمير المؤمنين عليه السلام ليس يشير فيه إلى جماعة أولئك العلماء من حيث هم
جماعة؛ ولكنه يصف حال كل واحد منهم؛ فيقول: من صفته كذا، ومن صفته كذا.
والفلاسفة يزعمون أن مراده عليه السلام بهذا الكلام العارف، ولهم في العرفان وصفات أربابه
كلام يعرفه مَنْ له أنس بأقوالهم. وليس يبعد عندي أن يريد به القائم من آل محمد عليه السلام في
آخر الوقت، إذا خلقه الله تعالى؛ وإن لم يكن الآن موجوداً، فليس في الكلام ما يدل على
وجوده الآن^(١)؛ وقد وقع اتفاق الفرق من المسلمين أجمعين على أن الدنيا والتكليف لا
ينقضي إلا عليه^(٢).

وأقول: سبحانه الله كم يحيص هذا الشارح عن الحق أن يلزمه تعصباً لمذهبه وأسلافه،
ألا ترى كيف نسب إلى الشيعة جميعهم قول الإمامية وسكت عن ذكر قول سادات الشيعة
والفرقة الناجية وهم الزيدية وهم يقولون إنه عليه السلام يعني بكلامه: الصالح للإمامة من أهل
بيت رسول الله ﷺ سواء من كان داعياً مظهراً لإمامته - كمن دعا منهم - أو كان خائفاً
مستتراً كسائرهم.

وهذا القول هو الذي دلّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٣) ودلّ
عليه الأحاديث المتواترة معناها عن رسول الله ﷺ، كحديث الثقلين المتواتر، وحديث
السفينة المتواتر، والتشبيه بالنجوم وغيرها.

وكشف القناع وفسّر المراد من قول الله وقول رسوله كلام أمير المؤمنين الذي أكثره

(١) الدلائل الكثيرة دلّت على وجوده في وقت كتابة الشرح، راجع مقدمة كتابنا أحاديث
المهدي في مسند أحمد بن حنبل. (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٩٦.

(٣) الرعد: ١٣ / ٧.

مذكور في هذا الكتاب، كقوله ﷺ: «إنما مثل آل محمد فيكم مثل نجوم السماء كلما أفل نجم طلع نجم» وقوله ﷺ: «اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهر مشهور أو خائف مغمور».

وغير ذلك من كلامه الذي يذكر صفات لهادي المطلق، مع ما قد كرّر وقرّر من أنّ الحجة والمأمور باتباعه وأخذ العلم عنه هو أهل بيت رسول الله ﷺ.

وكلامه هذ دالّ على أنّ هذه الحجة نابتة في كل وقت وكل زمان إما ظاهرة أو خافية، وتفسير كلامه ﷺ بكلامه وبما يوافق الكتاب ولسنة هو الواجب، لأنّه ﷺ منتصب لتعريف الشرعيات وأدلتها والحق ومعدنه

ويؤيده ما رواه المحدثون عن النبي ﷺ: «إن الله يبعث على رأس كل مئة في أمتي من يجدد لها دينها من أهل بيتي».

وأما ما ذكره الشارح في حق المهدي ﷺ، فهو حق، لكنّه واحد من أفراد الموصوف، مراد في زمانه لا قبل وجوده ولا دليل على قصر الكلام عليه مع ما يعلم من قصده ﷺ إلى ذكر حجج الله وخلقاته في كل أوان ومع دلالة كلامه الذي أوردناه عليه، وهو ﷺ أول المرادين؛ لأنّه الحجة في زمنه.

وأما ما أورده الشارح من قول الإمامية وقول الصوفيّة وقول أصحابه وقول الفلاسفة، فأقوال باطلة. لأنّه لم يدل عليها دليل، بل دلّ لدليل على بطلانه، وذلك لأنّه ﷺ أثبت للموصوف صفات يعلم عدم حصولها لمن ذكره، وذلك أنّنا نعلم بالوجدان أنّ هذه الأمور وهي الاغتراب لاغتراب الاسلام، ومفارقة الأهل والأوطان، بل والحياة في نصرته لم تحصل لغير أئمة أهل البيت وكذلك القيام بما هو لرسول الله ﷺ من إيضاح الحق وإرشاد الضلال وإصدار الفتاوى والأحكام والجهاد في الله حقّ الجهاد بالألسنة ولأيدي والأقدام ودفع المظالم وإيصال الحقوق إلى أهلها، لا نعلم اجتماع هذه الأشياء الذي هو معنى الخلافة للأنبياء في واحد من غير أئمة أهل البيت ﷺ.

ثمّ إنّ الشارح يحيص عن الاعتراف بأنّ أمير المؤمنين ﷺ يعني بكلامه الوارد في

تعريف من يجب اتباعه وأن الحق معه وأنه المستخلف على الأمة والملقى إليه حلّ المشكلات وتعريف المنتسبات، أهل بيت رسول الله في كل زمان. ويقصر ذلك إذا كان صريحاً في أهل لبيت على أمير المؤمنين عليه السلام خاصة.

والعلة الحاملة له على ذلك خشية أن يلزمه صحة مذهب الزيدية فيلزمه الخروج من كثير من مذهب أصحابه، والله أعلم.

قوله: «ما ضرّ إخواننا الذين سفكت دماؤهم بصفين... إلى آخره»

قال في شرح ابن أبي الحديد: قال أبو عمر بن عبد البر، قال عبد الرحمن بن ابرزي: شهدنا مع علي عليه السلام صفين ثمانمائة ممّن بايع بيعه الرضوان، قتل منّا ثلاثة وستون منهم عمّار بن ياسر ^(١).

وروى ابن عبد البر سنداً متصلاً بصالح بن الوجيه، قال: وممّن قُتِلَ بصفين عمّار، وأبو الهيثم بن التّيهان، وعبدالله بن بُدَيْل؛ وجماعة من البدريّين رحمهم الله ^(٢).

[ذكر أبي الهيثم بن التّيهان وطرف من أخباره] ^(٣):

قوله عليه السلام: «وأين ابن التّيهان»:

هو أبو الهيثم بن التّيهان: بالياء المنقوطة؛ بائنتين تحتها؛ المشددة المكسورة؛ وقبلها تاء منقوطة بائنتين فوقها؛ واسمه مالك، واسم أبيه مالك أيضاً، ابن عبيد بن عمرو بن عبد الأعم بن عامر الأنصاري؛ أحد الثّقباء ليلة العقبة. وقيل: إنه لم يكن من أنفسهم، وإنه من بليّ بن أبي لحارث بن قضاة ^(٤)، وإنه حليف لبني عبد الأشهل؛ كان أحد الثّقباء ليلة العقبة، وشهد بدر ^(٥).

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ١٠٤ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ١٠٨ ، والاستبصار : ٦٩٦ .

(٣) من ط .

(٤) في ص : وانه من بلي بن عمرو بن الحرث من قضاة .

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ١٠٧ .

ثم قال ابن أبي الحديد بعد أن روى عن ابن عبد البر تصحيح ابن التيهان قتل بصفين: ما لفظه: قلت: وهذه الرواية أصح من قول ابن قتيبة في كتاب المعارف. «وقد ذكر قوم أن أبا الهيثم شهد صفين مع عليٍّ عليه السلام؛ ولا يعرف ذلك أهل العلم ولا يشتهونه»^(١) فإن تعصب ابن قتيبة معلوم؛ وكيف يقول: لا يعرفه أهل العلم، وقد قاله أبو نعيم، وقاله صالح ابن الوجيه، ورواه ابن عبد البر وهؤلاء شيوخ المحدثين!^(٢)

[ترجمة ذي الشهادتين خزيمة بن ثابت]^(٣):

[ثم قال عليه السلام: «وَأَيْنَ»^(٤) ذُو الشَّهَادَتَيْنِ:]

هو خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الخطمي لأنصاري من بني خَطْمَة^(٥) من الأوس جعل رسول الله ﷺ شهادته كشهادة رجلين؛ لقصة مشهورة^(٦)؛ يكنى أبا عُمارة، شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد؛ وكانت راية بني خَطْمَة بيده يوم الفتح

ثم قال ابن أبي الحديد - بعد أن روى عن ابن عبد البر أن ذا الشهادتين قتل بصفين: قلت: ومن غريب ما وقعت عليه من العصبية القبيحة، أن أبا حيان التوحيدي قال في كتاب «البصائر»: «إِنَّ خُزَيْمَةَ بْنَ ثَابِتٍ الْمَقْتُولَ مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِصَفَيْنَ؛ لَيْسَ هُوَ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ ذَا الشَّهَادَتَيْنِ، بَلْ آخِرُ مِنَ الْأَنْصَارِ صَحَابِيُّ اسْمِهِ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ»، وهذا خطأ، لأن كتب الحديث والنسب تنطق بأنه لم يكن في الصحابة من الأنصار، ولا من غير الأنصار خزيمة بن ثابت إلا ذو لشهادتين؛ وإثما الهوى لا دواء له؛ على أن الطبري صاحب التاريخ قد سبق بأبا حيان بهذا القول؛ ومن كتابه نقل أبو حيان؛ والكتب الموضوعة لأسماء

(١) المعارف: ١١٧، قال: «وليس يعرف ذلك أهل العلم ولا يشتهونه».

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٠٨. (٣) من ط.

(٤) من ط. (٥) بنو خطمة؛ هم بنو عبد الله بن مالك بن أوس.

(٦) ذكر ابن الأثير في أسد الغابة، قال: «روى عنه ابنه عمارة أن النبي اشترى فرساً من سواء بن قيس المحاري، فجحدته سواء، فشهد خزيمة بن ثابت للنبي؛ فقال له رسول الله: «ما حملك على لشهادة، ولم تكن حاضراً معنا؟ قال: صدقتك بما جئت به، وعلمت أنك لا تقول إلا حقاً؛ فقال رسول الله: «من شهد له خزيمة أو عليه فهو حسبه».

الصحابة تشهد بخلاف ما ذكراه، ثم أي حاجة لناصري أمير المؤمنين أن يتكثروا بخزيمة، وأبي الهيثم، وعمّار وغيرهم! لو أنصف الناس هذا الرجل ورأوه بالعين الصحيحة، لعلموا أنّه لو كان وحده، وحاربه الناس كلّهم أجمعون، لكان على الحق، وكانوا على الباطل^(١). قلت: وبذلك يتحقّق معنى قول أمير المؤمنين في توجّعه من عاقدى الأمر لغيره: «وصغّروا عظيم منزلتي».

فانحطط منزلته في أنفس الناس إلى يوم القيامة، سببه عقد السقيفة، فلاهلها من جزاء ذلك وعييه النصيب الأوفى والله المستعان.

[ذكر سعد بن عبادَة ونسبه]^(٢):

قوله: «وقيس بن سعد»:

وقيس بن سعد بن عبادَة بن دليم الخزرجي^(٣)، صحابي، يكنى أبا عبد الملك؛ روى عن رسول الله ﷺ أحاديث، وكان طوالاً جداً سباطاً شجاعاً، جواداً، وأبوه سعد رئيس الخزرج؛ وهو الذي حاولت الأنصار إقامته في الخلافة بعد رسول الله ﷺ. ولم يبايع أبا بكر حين بُويع، وخرج إلى حوران، فمات بها، قيل: قتلتها الجنّ لأنّه بال قائماً في الصحراء ليلاً، ورووا بيتين من شعر: قيل إنهما سمعا ليلة قتله، ولم يرّ قائلهما:

نحنُ قتلنا سيّد الخزرج سعد بن عبادَة

ورمينا به سهمين فلم نُخطئ فؤاده

ويقول قوم: إنّ أمير الشام يومئذ كمن له من رماه ليلاً، وهو خارج إلى الصحراء

بسهمين، فقتله لخروجه عن طاعة الإمام، وقد قال بعض المتأخرين في ذلك:

يقولون سعد شكّت الجنّ قلبه ألا ربّما صحّحت دينك بالغدر

وما ذنبُ سعدٍ أنّه بال قائماً ولكنّ سعداً لم يبايع أبا بكرٍ

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ١٠٩ . (٢) من ط .

(٣) في ص: هو الخزرجي .

وقد صبرت من لذة العيش أنفُسُ وما صبرت عن لذة النهي والأمر
 وكان قيس بن سعد من كبار شيعة أمير المؤمنين عليه السلام؛ وقائلٌ بمحبته وولائه، وشهد معه
 حروبه كلها؛ وكان مع الحسن عليه السلام، تقم عليه صلحه معاوية، وكان طالبي الرأي، مخلصاً في
 اعتقاده وودّه؛ وأكد ذلك عنده فوات الأمر أباه وما نبل يوم السقيفة وبعده منه، فوجد من
 ذلك في نفسه وأضمره، حتى تمكن من إظهاره في خلافة أمير المؤمنين، وكما قيل: «عدو
 عدوك صديق لك»، انتهى من الشرح^(١).

[في ذكر أبي أيوب الأنصاري ونسبه]^(٢):

قوله: «ولأبي أيوب الأنصاري»:

وأما أبو أيوب الأنصاري؛ هو خالد بن يزيد بن كعب بن ثعلبة الخزرجي، من بني
 النجار، شهد العقبة وبدراً وسائر المشاهد، وعليه نزل رسول الله ﷺ لَمَّا خرج عن بني
 عمرو بن عوف، حين قدم المدينة مهاجراً من مكة، فلم يزل عنده حتّى بنى مسجده
 ومساكنه، ثم انتقل إليها؛ ويوم المؤاخاة آخى رسول الله ﷺ بينه وبين مصعب بن عمير.
 وقال أبو عمر في كتاب «الاستيعاب»: إن أبا أيوب شهد مع علي عليه السلام مشاهدته كلها^(٣)،
 وروى ذلك عن الكلبي وابن إسحاق، قالوا: شهد معه يوم الجمل وصفين، وكان على
 مقدّمته يوم النهروان، انتهى من الشرح^(٤).

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١١١-١١٢. (٢) من ط.

(٣) الاستيعاب: ٦٢٠. (٤) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١١٢.

ومن خطبة له عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، الْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَةٍ^(١)، خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ،
وَاسْتَعْبَدَ^(٢) الْأَرْيَابَ بِعِزَّتِهِ، وَسَادَ^(٣) الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ، وَهُوَ^(٤) الَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ،
وَبَعَثَ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ رُسُلَهُ؛ لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا، وَلِيُحَذِّرُوهُمْ^(٥) مِنْ ضَرَائِهَا،
وَلِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا^(٦)، وَلِيُبْصِرُوهُمْ عِيُوبَهَا، وَلِيَهْجُمُوا^(٧) عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبِرٍ مِنْ تَصَرُّفِ
مَصَاحِبِهَا^(٨) وَأَسْقَامِهَا^(٩)، وَحَلَالِهَا وَحَرَامِهَا، وَمَا أَعَدَّ سُبْحَانَهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ وَالْعَصَاةِ مِنْ
جَنَّةٍ وَنَارٍ، وَكَرَامَةٍ وَهَوَانٍ.

أَحْمَدُهُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحَمَدَ إِلَى خَلْقِهِ^(١٠) جَعَلَ^(١١) لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا^(١٢)، وَلِكُلِّ قَدَرٍ
أَجَلًا^(١٣)، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابًا^(١٤).

(١) في هـ ب : من غير تعب ونصب، وفي هـ. ص: المنصب بالفتح والنصب: التعب.

(٢) هـ. ص: أي انخذهم عبيداً.

(٣) في هـ ب : صار سيّداً.

(٤) في هـ ب : هو.

(٥) في هـ. د: لهم عن أمثالها - م.

(٦) في هـ ب : هجمت على الشيء: بغته.

في هـ. ص: يقال «هجمت على الشيء» أي: وقعت عليه بغته.

(٧) في هـ ب : مفاعل من الصحة.

(٨) عبارة «وليُصروهم عيوبها» وردت في «ب» هنا.

(٩) في هـ ب : استحمد إليه: إذا فعل الشئ عيبه، وفي هـ. ص: إمّا بمعنى طلب منهم حمده، وإمّا
بمعنى أحسن إليهم فاستحق عليهم أن يحمده.

(١٠) في هـ. د: وجعل - ض ب.

(١١) في هـ. ص: جعل لكل شيء قدراً: أي من أفعاله قدراً، أي: جعله مقدراً محدوداً لحكمة

اقتضت ذلك القدر وتلك الكيفية، كما قل سبحانه: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ الرعد: ١٣/٨.

انتهى من الشرح.

(١٢) في هـ. ص: أي وقتاً تنتهي إليه وينقطع عنده، من الشرح.

(١٣) في هـ. ص: أي رقماً تعرفه الملائكة لحكمة يعلمها.

مِنْهَا فِي ذِكْرِ الْقُرْآنِ:

فَالْقُرْآنُ أَمْرٌ زَاجِرٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ، حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، أَخَذَ عَلَيْهِمْ^(١) مِيثَاقَهُ، وَأَوْثَقَهُنَّ عَلَيْهِ^(٢) أَنْفُسَهُمْ^(٣)، أَنْتُمْ نُورُهُ، وَأَكْرَمُ^(٤) بِهِ دِينَهُ، وَقَبَضَ نَبِيُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَدْ فَرَعَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ الْهُدَى^(٥) بِهِ.

فَعَظَّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُخَفِ عَنْكُمْ شَيْئاً مِنْ دِينِهِ^(٦)، وَلَمْ يَتْرَكْ شَيْئاً رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ عِلْماً^(٧) بَادِئاً^(٨)، وَآيَةً مُحْكَمَةً^(٩)، تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ، فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ، وَسَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ، وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَلَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرِ بَيِّنٍ^(١٠)، وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرُّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ، قَدْ كَفَاكُمْ مَوْوَنَةً دُنْيَاكُمْ، وَحَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ، وَافْتَرَضَ مِنَ أَلْسِنَتِكُمُ الذِّكْرَ، وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى، وَجَعَلَهَا^(١١) مُنْتَهَى رِضَاهُ وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بَعِيْنُهُ^(١٢)، وَنَوَاصِيَكُمْ بِيَدِهِ، وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ - إِنَّ أَسْرَرْتُمْ^(١٣) عِلْمَهُ، وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كِتَابَهُ^(١٤)، قَدْ وَكَّلَ بِذَلِكَ^(١٥) حَفَظَةً كِرَاماً لَا يُسْقِطُونَ حَقّاً، وَلَا يُشَبِّتُونَ

(١) في ب: عليه، وفي هـ. د: عليه - ض ب ش. على المكلفين - ك.

(٢) في أ و ط و د: عليهم، وفي هـ. د: عليه ب ش.

(٣) أي أخذ على أداء حق القرآن أنفسهم فإن لم يفعلوا يهلكوا، وفي هـ. د: نفوسهم - م.

(٤) في ط د. أكمل، وفي هـ. د: أكرم - ش. (٥) في هـ ب: من الشرائع وغيره

(٦) في هـ ب: أي أن الله تعالى لم يخف عنكم شيئاً، فاما أمر به وبينته، واما نصب لهم عليه دليلاً قاطعاً.

(٧) في هـ ب: علامة.

(٨) في هـ ب: ظاهراً.

(٩) في هـ ب: الآية المحكمة التي لا تحتمل التأويل إلا حكماً واحداً.

(١٠) في هـ. ص: أي أن الأدلة واضحة وليس مراده الأمر بالتقليد، من الشرح.

(١١) في هـ ب: أي التقوى.

(١٢) يقال: فلان بعين فلان، إذا كان بحيث لا يخفى عليه منه شيء.

(١٣) في هـ. ص: أي لم يعلمه الكاتبون فكتبوه.

(١٤) في هـ. ص: أي يؤكد الحجة عليكم باستكنابه وان كان علمه محيطاً به.

(١٥) في هـ. د: وكل بكم - ض ب.

بِاطِلًا، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِنَ الْفِتَنِ، وَنُورًا مِنَ الظُّلُمِ، وَيُخْلِدَهُ فِيهَا
اَسْتَهْتْ نَفْسُهُ، وَيُنْزِلَهُ مَنَزِلَةً ^(١) الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ، فِي دَارٍ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ ^(٢)، ظِلُّهَا عَرْشُهُ،
وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ، وَزُورَاؤها مَلَائِكَتُهُ، وَرُفَقَاؤها رُسُلُهُ.

فَبَادِرُوا الْمَعَادَ، وَسَابِقُوا الْآجَالَ ^(٣)، فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ ^(٤) أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الْأَمَلُ،
وَيَزْهَقَهُمُ ^(٥) الْآجَلُ، وَيُسَدَّ عَنْهُمْ ^(٦) بَابُ التَّوْبَةِ، فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةُ
مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ^(٧)، وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ ^(٨) عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، وَقَدْ أُوذِنْتُمْ ^(٩)
مِنْهَا بِالْإِزْحَالِ، وَأُمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ، فَارْحَمُوا نَفُوسَكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ قَدْ
جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا، فَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشُّوْكَةِ تُصِيبُهُ، وَالْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ،
وَالرَّمْضَاءَ ^(١٠) تُحْرِقُهُ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ ^(١١) مِنْ نَارٍ، ضَجِيعَ حَجَرٍ وَقَرِينَ شَيْطَانٍ،

(١) في د: منزل، وفي هـ: د: منزلة - ض ب، وفي هـ: ص، وفي نسخة: منزل.

(٢) في هـ ب: يريد بها الجنة، واختارها لخاصة أولياء أمره.

(٣) في هـ ب: الاجل: الموت. (٤) في هـ ب: يقرب.

(٥) هـ ب: يغشاهم. هـ: ص: رهقه الأمر بالكسر: غشيه عنوة وفاجئه ودفعه.

(٦) في ب: عليهم. وفي في هـ ب: عنهم.

(٧) في ص: الرجعة إليه. وفي هـ: ص: من سبقكم من في هـ ب: الرجعة، إشارة إلى قوله تعالى:

﴿رَبِّ ارْجِعُون لَعَنِي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمَنْ وَرِثَهَا مِنْهُمْ بَرَزَخُ إِلَى

يَوْمٍ يَبْعَثُونَ﴾ المؤمنون: ٢٣ / ٩٩. يقول: هبوا إنكم بلغت إلى تلك الحال وطلبتم الرجعة

ورددتم إلى الدنيا فاعملوا الآن. وفي هـ: ص: أي إن أهل التفريط قد سأل الرجعة إلى ما أنتم

فيه من دار التكليف وإمكان العمل، فقرروا في أنفسكم إنكم إذا فرطتم كتفريطهم سألتم

الرجعة كسؤالهم، فلا تجابون كما لم يجابوا، والله أعلم.

(٨) في هـ: ص: ابن السبيل: السائر في الأرض.

(٩) أعلمتم.

(١٠) في هـ: ب: الرمضاء: الرملة الحارة، وفي هـ: ص: هي الأرض الشديدة الحرارة، والرمض -

بالتحريك -: وقع الشمس على الرمل وغيره وتأثيرها فيه الحرارة.

(١١) في هـ ب: الطابق: الآجرة الكبيرة، فارسي معرب، وضجيع حجر: إشارة إلى قوله تعالى:

﴿قُوْا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا...﴾ التحريم: ٦٦ / ٦. قيل: أنها حجارة الكبريت. وفي هـ: ص:

الطابق - بالفتح -: الآجرة العظيمة، فارسي معرب، انتهى من الشرح، فكانت الآية أراد: بين

أَعْلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكًا^(١) إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ^(٢) بَعْضُهَا بَعْضًا لِعَظْبِهِ وَإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ^(٣) بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعًا مِنْ زَجَرَتِهِ؟

أَيُّهَا الْيَقْنُ الْكَبِيرُ^(٤) الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ^(٥) الْقَتِيرُ^(٦)، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا التَّحَمَّتْ^(٧) أَطْوَأُ^(٨) النَّارِ بِعِظَامِ الْأَعْنَاقِ، وَنَشَبَتْ^(٩) الْجَوَامِعُ^(١٠) حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ؟ فَاللهُ اللَّهُ مَعَشَرَ الْعِبَادِ وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصُّحَّةِ^(١١) قَبْلَ السُّقْمِ، وَفِي الْفُسْحَةِ^(١٢) قَبْلَ الضِّيقِ، فَاسْعَوْا فِي فِكَاكِ^(١٣) رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَعْلَقَ رَهَائِنُهَا^(١٤).

أَسْهَرُوا عْيُونَكُمْ^(١٥)، وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ^(١٦)، وَاسْتَعْمِلُوا أَفْدَامَكُمْ^(١٧)، وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ^(١٨)، وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ^(١٩) تَجُودُوا^(٢٠) بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَبْخُلُوا

→ شِبْنَيْنِ مِثْلَيْنِ اطْبَقَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهْدٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ الْاِعْرَافُ: ٧/ ٤١، وَمِنْ قَوْلِهِ: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظِلٌّ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظِلٌّ﴾ الرَّمَرُ: ٣٩/ ١٦، وَانْتَهَ أَعْلَم.

(١) فِي هـ ب: مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ.
(٢) فِي هـ ب: كَسَرَ، وَفِي هـ ص: أَي كَسَرَهُ وَأَكَلَهُ، وَ«الْحَطْمَةُ» مِنْ أَسْمَاءِ النَّارِ، لِأَنَّهَا تَحْطُمُ مَا يَلْقَى فِيهَا، نَمَتْ مِنَ الشَّرْحِ.

(٣) فِي هـ ب: قَرَّتْ.
(٤) فِي هـ ب: الشَّيْبُ.

(٥) فِي هـ ب: خَالَطَهُ.

(٦) فِي هـ ب: الشَّيْبُ، وَفِي هـ أ: «لَهَزَهُ الْعَتِيرُ» أَي خَالَطَهُ الشَّيْبُ.

(٧) فِي هـ ب: التَّفَتَّ وَانْضَمَّتْ، وَفِي هـ ص: أَي خَالَطَتْ لِحْمَهَا فَأَفْضَتْ إِلَيْهَا.

(٨) فِي هـ ب: جَمَعَ طَوَقَ.

(٩) فِي هـ ب: عُلِقَتْ.

(١٠) فِي هـ ب: الْقِيُودُ، وَفِي هـ ص: جَمَعَ جَامِعَةً؛ لِأَنَّهَا تَجْمَعُ الْيَدَيْنِ إِلَى الرَّجْلَيْنِ.

(١١) فِي هـ ب: مَنَعْلَقٌ بِنَاصِبِ «اللَّهُ اللَّهُ»، مِنَ الشَّرْحِ.

(١٢) فِي هـ ب: السَّعَةُ.

(١٣) فِي هـ ب: نَخْلِيصٌ.

(١٤) فِي هـ ب: كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنَّ الرَّاهِنَ إِذَا لَمْ يَرُدَّ مَا عَلَيْهِ فِي الْأَجْلِ الْمُؤَقَّتِ مَلَكَ مَالِ الرَّهْنِ يُقَالُ أَغْلَقَ الرَّهْنَ، أَي تَعْلَقَ بِحُلُقِهِ، وَفِي هـ ص: يُقَالُ: عُلِقَ الرَّهْنُ - بِالْكَسْرِ - إِذَا اسْتَحَقَّ الْمُرْتَهِنُ بَأْنَ لَا يَنْفِكُهُ الرَّاهِنُ فِي الْمَشْرُوطِ وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ شَرَعِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَنَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ وَقَالَ: «لَا يَغْلِقُ الرَّهْنَ». مِنَ الشَّرْحِ.

(١٥) فِي هـ ب: أَي لَا تَنَامُوا، وَفِي هـ ص: تَهَجَّدُوا.

(١٦) فِي هـ ب: أَيْ الْإِصْمَارَ: الدَّقَّةَ وَالْهَزَالَ، وَفِي هـ ص: صُومُوا.

(١٧) فِي هـ ب: اِمْشَوْا فِي حَوَائِجِ إِحْوَانِكُمْ، وَفِي هـ ص: حَجَّوْا وَجَاهَدُوا.

(١٨) فِي هـ ب: تَصَدَّقُوا.

(١٩) فِي هـ ب: جَمَعَ جَسَدَ.

(٢٠) فِي ط: فَجُودُوا، وَفِي هـ د: فَجُودُوا - ض، مَا تَجَدُّوا - ب، وَفِي هـ ب: تَمِيلُوا.

بها^(١) عنها، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: «إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ»^(٢)، وَقَالَ تَعَالَى: «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ»^(٣).

فَلَمْ^(٤) يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَلَمْ يَسْتَفْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ^(٥)؛ اسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَاسْتَفْرِضْكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ^(٦) أَنْ يَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا.

فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ^(٧) جِيرَانِ اللَّهِ فِي دَارِهِ، رَافِقَ بِهِمْ رُسُلَهُ، وَأَزَارَهُمْ^(٨) مَلَائِكَتَهُ، وَأَكْرَمَ أَشْمَاعَهُمْ عَنْ أَنْ^(٩) تَسْمَعَ حَسِيسِ^(١٠) نَارٍ أَبَدًا، وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوبًا^(١١) وَنَصَبًا؛ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ^(١٢).

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ؛ وَهُوَ حَسْبُنَا^(١٣) وَنِعْمَ الْوَكِيلُ!

قوله ﷺ: «حجة الله على خلقه»:

جعله صامتنا؛ لأنه - من حيث هو حروف وأصوات - صامت، إذ كان العرض يستحيل أن يكون ناطقا؛ لأن النطق حركة الأداة بالكلام، والكلام يستحيل أن يكون ذا أداة ينطق بالكلام بها؛ وهو من حيث يتضمن الإخبار والأمر والنهي والنداء وغير ذلك من أقسام الكلام، كالناطق. لأن الفهم يقع عنده، وهذا من باب المجاز، انتهى من الشرح^(١٤).

قوله ﷺ: «فألقِ القرآنَ أمرَ راجِرٍ، وصامتِ ناطِقٍ»:

أي: إن القرآن لما كان بهذه الصفة كان حجة لله باقية ببقاء التكليف، لظهور حجتيته ودلالته

(١) في هـ. ص، وفي نسخة: عليها. (٢) سورة محمد ﷺ: ٤٧ / ٧.

(٣) البقرة: ٢ / ٢٤٥. (٤) في ص: ولم في هـ. ص، وفي نسخة: فلم.

(٥) في هـ ب: من قُلٍّ: أي: من قلة. (٦) في هـ. د: وأراد - ب.

(٧) في ص: من وفي هـ. ص، وفي نسخة: مع.

(٨) في هـ ب: من زار يزور.

(٩) في هـ ب: لم ترد «عن» في ط و د وفي هـ. د: عن أن تسمع - م.

(١٠) في هـ ب: اللغوب: النصب والتعب. (١١) في هـ ب: صوت.

(١٢) سورة الحديد: ٢١. (١٣) في هـ. د: فهو حسبي - ب وحسبنا الله - ل.

(١٤) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١١٧.

على مدلوله، أخذ عليهم ميثاقهم من قوله تعالى: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا﴾^(١) وجعل أنفسهم بمنزلة الرهن على ذلك الميثاق، فمن أوفى بميثاق الكتاب وهو العمل به أثابه وفك رهنه، ومن نكث وخالف غلق رهنه وجعل في محبس الرهائن.

قوله ﷺ: «وقد فرغ إلى الخلق...»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: ذكر ﷺ أن الله تعالى قبض رسوله ﷺ، وقد فرغ إلى الخلق بالقرآن من الإكمال والإتمام، كقوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾^(٢)، وإذا كان قد أكمله لم يبق فيه نقص ينتظر إتمامه، انتهى^(٣) قلت: وهذا مثل قوله ﷺ: «ما من شيء إلا وحكمه في القرآن، ولكن رأي الرجل يقصر عنه».

وهذا يدل على صحة قول من يقول بوحدة الحق، وإن ليس كل مجتهد مصيباً، إذ معنى كلامهم أن الله في كل حادثة حكماً وعلى كل مكلف طلبه، فمن ظفر به فهو المصيب، ومن خالفه فهو المخطئ وإن كان معذوراً.

ويدل أيضاً على أن موضوع القياس لا يوضح أن الحادثة المجتهد فيها من أفراد الحوادث التي قام النص عليها، وجزئي من جزئياتها والحكم ثابت بالنص، والله أعلم قوله ﷺ: «فعظموا منه سبحانه...»:

تفريع هذا بالنفاذ على ما قبله دليل على أن قصده ﷺ الرد على من يقول إن كثيراً من الحوادث لا حكم لله فيها وأن المراد من كل فيها ما أداه إليه اجتهاده وأنه حكم الله عليه فيها لا حكم له عليه سواه.

فقال ﷺ: إن الله قد عظم نفسه فقال: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾^(٤).

وقال: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾^(٥) وقال: ﴿تفصيل كل شيء﴾^(٦) ونحوها

(١) المائدة: ٥ / ٧.

(٢) المائدة: ٥ / ٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١١٧.

(٤) المائدة: ٥ / ٣.

(٥) الاسراء: ٩ / ١٧.

(٦) يوسف: ١٢ / ١١١.

من الآيات الدالة على أنه سبحانه لم يخف على العباد شيئاً من دينه ولم يترك مرضياً أو مكروهاً إلّا وأقام عليه دليلاً يأمر به أو ينهى عنه، وأنّ هذا الحكم مستمر في زمنه ﷺ وفيما يتجدّد من الحوادث بعده، فيجب على كلّ مسلم أن يعتقد عظمة الله التي أشار إليها ونبّه عليها في كتابه وهي كونه: أنزل ديناً كاملاً وافياً بكلّ ما يرضاه ويكرهه وأنّ كتابه الذي أنزله تبياناً لكلّ شيء وافٍ بالهداية إلى صراطه المستقيم، حجّة على الأولين والآخرين دليل على كلّ ما يعامل به من دينه، فمن اعتقد خلاف هذا فلم يقدر الله حقّ قدره ولم يعظّمه حقّ عظّمته فيألها بليّة عمّت وطمّت فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

قوله ﷺ: «فرضاه فيما بقى واحد وسخطه فيما بقى واحد»:

قال ابن أبي الحديد: معناه أنّ ما لم ينصّ عليه صريحاً، بل هو في محلّ النّظر، ليس يجوز للعلماء أن يجتهدوا فيه، فيحلّه بعضهم، ويحرّمه بعضهم؛ بل رضا الله سبحانه أمرٌ واحد، وكذلك سخطه، فليس يجوز أن يكون شيء من الأشياء يفتي فيه قوم بالحلّ وقوم بالحرمة، وهذا قول منه ﷺ بتحريم الاجتهاد، وقد سبق منه ﷺ مثل هذا الكلام مراراً، انتهى^(١).

وأقول: بأنّ هذا الكلام وأمثاله يتخرّج على وجهين من التفسير:

أحدهما: الردّ على من يقول بأن كلّ مجتهد مصيب، كما سبق بيانه^(٢).

والوجه الثاني: منع الاجتهاد من عموم الناس وتخصيصه بقوم مخصوصين خصّهم به الدليل الشرعي، وهم أهل بيت رسول الله ﷺ وقد أشار ﷺ إلى هذا الوجه في مواضع. وقد يقال في بيان وجهه وإقامة البرهان عليه:

وجدنا كتاب الله تعالى ناطقاً بدم الاختلاف في دين الله، من ذلك قول الله سبحانه: ﴿أَنِ اقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾^(٣).

والدين: الإسلام، لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٤).

والإسلام: الإيمان، والإيمان: قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان، فتخصيص بعض هذه الأركان بالإرادة من دون دليل قاطع ولا ظاهر مرجح، قول على الله

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ١١٨ . (٢) في شرح الخطبة : ١٧٦ .

(٣) الشورى : ٤٢ / ١٣ . (٤) آل عمران : ١٩ / ٣ .

ما لا يعلمه القائل، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿مَنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾^(٢).

وقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٣) وفي أخرى: ﴿الظَّالِمُونَ﴾^(٤) وفي أخرى: ﴿الْفَاسِقُونَ﴾^(٥).

وتجاويز الاجتهاد من كل ناظر سبب لتفريق الدين والحكم بغير ما أنزل رب العالمين، فما أدى إلى الباطل فهو باطل.

وإنما قال الله عز وجل: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾^(٦) قال أمير المؤمنين عليه السلام - فيما نكّر عنه واشتهر -: الرد إلى الله: الرد إلى محكم كتابه، والرد إلى الرسول: الرد إلى سنّته الجامعة غير المفارقة

والفرض إنّ الكتاب ليس فيه دليل صريح على المتنازع فيه، فلا بدّ أن يعبر عنه غيره. فإن قلنا: كلّ أحد يعبر عنه عدنا إلى الاختلاف المنهي عنه، فلم يبق إلّا أن يكون المعبر عنه بعضاً مخصوصاً، ولا نعرف الخصوصية إلّا بتوقيف شرعي

وقد دلّ على ذلك الأدلة التي دلّت على حجّية إجماع أهل البيت فإنّها مصرّحة بأنهم لا يخالفون كتاب الله ولا يفارقونه

ومعلوم أنّ السنّة الصحيحة لا تخالف الكتاب، فثبت أنّ أهل البيت دائماً مع الكتاب وانسنّة كما صرّح به النبي صلى الله عليه وآله فيما رواه في أمالي الإمام أبي طالب عن علي عليه السلام قال: «لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ وَالْبَيْتُ غَاصٌ بِمَنْ فِيهِ، قَالَ: ادْعُوا الْحَسْنَ وَالْحُسَيْنَ، قَالَ: فَجَعَلَ يَلْتَمِسُهُمَا حَتَّى أَغْمِيَ عَلَيْهِ.

قال: فجعل علي يرفعهما عن وجه رسول الله ﷺ

قال. ففتح عينيه، فقال: دعهما يتمتّعان مِنِّي وأتمتّع منهما، فإنّهما سيصيبهما بعدي أثر.

(٢) الروم: ٣٢ / ٣٠.

(٤) المائدة: ٤٥ / ٥.

(٦) النساء: ٥٩ / ٤.

(١) الانعام: ١٥٩ / ٦.

(٣) المائدة: ٤٤ / ٥.

(٥) المائدة: ٤٧ / ٥.

ثم قال: أيها الناس، إني قد خلفت فيكم كتاب الله وسنتي وعترتي أهل بيتي فالمضيّع لكتاب الله كالمضيّع لسنتي، والمضيّع لسنتي كالمضيّع لعترتي أما إن ذلك لن يفترق حتى اللقاء على الحوض، انتهى.

قلت: وهذا لحديث مبين لوجه الجمع بين ما روي أن رسول الله ﷺ ذكر مع الكتاب السنة وحدها في خطبة البلاغ بمكة، وما في حديث الغدير المتواتر فإنه ذكر فيه مع الكتاب العترة فقط، فإنه لا منافاة بين استخلاف السنة مع الكتاب واستخلاف العترة مع الكتاب، فنكون الثلاثة الكتاب والسنة والعترة مستخلفات على الدلالة والهداية - كما نصّه هذا الحديث - فكانوا هم المعبرين عنهما، فوجب الرجوع إليهم في المختلف فيه.

فإن قيل: ما ذكرت من الدليل دلّ على وجوب الرجوع إلى ما أجمعوا عليه فمن أين دلّ على منع الإجتهد من غيرهم.

قلت: تجوز الإجتهد من غيرهم مؤدّ إلى مخالفة الحقّ المردود إليهم وذلك أن الاجتهاد من الغير من حيث هو نظر موصل إلى مخالفتهم، ومخالفتهم مخالفة لكتاب الله، وما أدّى إلى الباطل فهو باطل.

فإن قيل: لا نسلم أن اجتهاد غيرهم مؤدّ إلى مخالفتهم؛ لجواز أن يوافقهم أو يوافقوا بعضهم.

فالجواب: أن لإجتهد من حيث هو نظر وفكر قاضٍ بالاختلاف والطريق الذي لا يؤمن موافقة الخطأ فيه؛ يجب اجتنابه إذا كان عنه مندوحة، وتجوز الإنفاق لا يدفع هذا الأصل الثابت، على أن علة مخالفة غيرهم لهم ضروري.

إن قيل: دليلك هذا ينتهز إذا أجمعوا على قول واحد، وهو خلاف مدّعاك - وهو منع الإجتهد من غيرهم، سواء إجتمعوا على قول واحد أو اختلفوا -.

فالجواب: أن غيرهم إذا قال في مسألة بقول يخالف كلّ واحد من أقوالهم فقد خالف الكتاب والسنة، لأنّ حكم الكتاب والسنة أحد أقوالهم - وإن لم يتعيّن -، غير خارج عنها قطعاً لأنّ لو جوّزناه خارجاً عنها لكنا قد جوّزنا مفارقتهم للكتاب والسنة، وقد قام النص الصريح على أنّهم لا يخالفونهما على أن أدلة حجّية إجماعهم مصرّحة بوجوب الرجوع

إليهم ومنع مخالفتهم عند اجتماعهم وافتراقهم على وجه أن يؤخذ بالأحسن من أقوالهم. فإن قيل: قد جَوَّزَ النبي ﷺ الاجتهاد لغيرهم كما في حديث معاذ وعقبة بن عامر وغيرهما، وأجمعت الصحابة على جوازه إذا كانوا بجتهدون من غير إنكار

فالجواب: أَمَّا عَمَّا تُمْسِكُ بِهِ - من تجويز النبي ﷺ - فذلك إنما جَوَّزه في حياته ﷺ لأمن مفسدة الاختلاف؛ لأنَّ الله يدلُّ نبيه ﷺ على الصواب ممَّا وقع من ذلك، وينبئه على الخطأ، فلا يقرَّر إلاَّ الحقُّ الذي هو حكم الكتاب والسنة، فيؤمن من الاختلاف، وذلك بخلاف ما بعد وفاته

وقد نبَّه ﷺ على ذلك في أدلَّة وجوب الرجوع إليهم نحو قوله: «لَنْ تَضْلُوا بَعْدِي» وقوله: «أَمِنْ لَأُمَّتِي مِنَ الْاِخْتِلَافِ» وقوله في حقِّ عليٍّ ؓ: «عليٌّ باب علمي ومبَيِّن لَأُمَّتِي مَا أُرْسِلْتُ بِهِ مِنْ بَعْدِي»، وقوله: «بِكَ يَا عَلِيُّ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ مِنْ بَعْدِي»، وقوله: «فَلْيَتَوَلَّ عَلِيًّا وَذُرِّيَّتَهُ مِنْ بَعْدِهِ: فَإِنَّهُمْ لَنْ يَخْرُجُوكُمْ مِنْ بَابِ هُدًى وَلَنْ يَدْخُلُوكُمْ مِنْ بَابِ ضَلَالَةٍ» ونحوها.

وَأَمَّا الْجَوَابُ عَمَّا نَمْسُكُ بِهِ، مِنْ إِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ، فغاية ما يدَّعي من ذلك هو الإجماع السكوتي، وهو على وجه غير ثابت، لأنَّ عماد الاجتماع وأصله أمير المؤمنين ؓ، بل قوله وحده حجة بنفسه، ومعلوم أنه لم ينقل عنه تصويب من اجتهد، بل كلامه مصرَّح بتخطئته وأقواله المنقولة عنه في هذا الكتاب، أعني النهج وغيره صريحة في ذلك، كثيرة بحيث تواتر معناها، وكفى بذلك دافِعاً لما يدَّعي من الاجماع وناقضاً له

إن قيل: إنَّ الوجه الذي اعتمدت عليه في منع الاجتهاد من غير العترة تقتضي منع إجتهداهم، فالتخصيص نحكم منك.

قلت: الأمر كما ذكرت من اقتضائه منع الاجتهاد مطلقاً، إلا أنَّ أدلَّة خاصَّة جَوَّزته لهم، حاصلها أنَّ صاحب الشريعة نصَّ على وجوب التمسك بهم وبالكتاب والسنة، وأخبر أنَّ ذلك لن يفترق مدَّة التكليف وأنَّ المتمسك بذلك آمِن من الضلال، وأوجب ردَّ المتنازع فيه إلى الكتاب والسنة.

والفرض أن لا صراحة في دلالة الكتاب والسنة على المتنازع فيه فعلمت أنَّ المراد الردَّ

إلى الكتاب والسنة مبينين، ولا يبينهما إلا من يعبر عنهما، ولا قطع بصحة بيان مبين إلا من جاء النص بأنه لا يفارق الكتاب والسنة فعلم أنه المراد بإيجاب الرجوع إليه، والمأذون له في استخراج معانيهما وتبيين مراديهما.

وإن وقع خطأ من بعض أفراده في تبين الحق فهو معفو عنه؛ لأنه فعل ما أذن له فيه، فلم يخطأ في السبب حتى يلزمه حكم خطأ القول المسبب، كما لزم من ليس من العترة؛ لأنه غير مأذون له في السبب؛ لأنه مأمور بالسؤال لا بالنظر.

إن قيل: لا شك أن المفسدة التي فررت منها، وهي الاختلاف والتفرق في الدين، حاصلة من تجويز النظر لهم؛ فإن كانت مانعة فلتمنع مطلقاً، وإن لم تكن مانعة فلم تمنع الإجتihad من غيرهم لا منهم؟

فالجواب: لا شك أن مراد الشارع منع الاختلاف والتفرق من كل أحد، لكنه لما كان لابد من معبر يعبر عن حكم الكتاب والسنة بنظره والاختلاف لازم للنظر، اقتصر - من تحصيل مراد الشارع - على تقليل المفسدة فجعل لذلك أهلاً مخصوصين طهر طينتهم وصفي سريرتهم ونور بصيرتهم، ثم دل عليهم وجعلهم درجات يأخذ كل درجة مئة فوقها، فأول الدرج وأعلىها رسول الله ﷺ كما قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾^(١).
وثانيها: أمير المؤمنين عليه السلام كما ثبت ذلك من أدلة حجية قوله^(٢).

ثم الحسنان، لآية التطهير وحديث الكساء واثبات امامتهما.

ثم أولادهم على درجاتهم، لأدلة حجية إجماعهم.

وما ينسب إليهم من الاختلاف فأكثره اختلاف رواية أو اختلاف تخريج لمذهب الإمام فإن كثيراً من أتباعهم توسعوا في التخريجات واعتمدوها وعدوها أقوالاً للأئمة وأكثرها مصادم لنصوصهم.

وبعض الأئمة يختار العمل بالأشق احتياطاً، لا أنه يمنع غيره، فيجعله المحصلون لمذهبه واجباً، والله أعلم

(١) النحل: ١٦ / ٤٤.

(٢) في هامش نسختنا بخط يفاير خط المتن ما يلي: منها: «خذوا بحجة هذا الأئمة».

وأعلم أنّ هذا القول - وهو منع الاجتهاد من غير العترة - تنفر منه نفوس المتأخرين لعدم أنسهم به، ولا لفهم لغيره ممّا تابعوا فيه علماء العامة وتقلّوه من كتبهم كما هو شأنهم في متابعتهم واستحسان أقوالهم.

وقد نقلنا فيما سبق كلام زيد بن علي والناصر للحق ومحمد بن القاسم وعليك بالنظر في خطبة كتاب الأحكام للهادي للحق.

وقد ثبت هذا القول الإمام القاسم بن محمد ووضّحه واضح له في كتاب الإرشاد بما يدفع عن الناظر فيه الشك والإرتياب، ويبيّن كيف يكون عمل الراجع إلى أهل البيت عند اختلافهم وقال: إنّ كلّ ما روي عنه مخالفاً لما في كتابه «الارشاد» فهو راجع عنه وما كان بعده دليلاً عليه، فقد صحّ عنده أنّه شبهة

قلت: ومن ذلك تجويز الاجتهاد من غير أهل البيت، فقد وقع في بعض كلامه تجويزه ومنعه في الإرشاد، فعليك بكتابه إن أردت تحقيق ما قلناه.

قوله عليه السلام: «و علموا أنّه لن يرضى عنكم بشيء سخطه على من قبلكم... إلى آخر الكلام».

معناه: أنّه ليس يرضى عنكم بالاختلاف في الفتاوى والأحكام كما اختلفت الأمم من قبلكم فيسخط اختلافهم، قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾^(١)، وكذلك ليس يسخط عليكم بالاتفاق والاجتماع الذي رضىه ممّن كان قبلكم من القرون، انتهى من شرح ابن أبي الحديد^(٢).

قلت: وكلامه عليه السلام ردّ على من يزعم أنّ رسول الله ﷺ قال: «اختلاف أمّتي رحمة»، فإنّ هذا اللفظ كما يدلّ على مدح الاختلاف يدلّ أيضاً على ذمّ الاتفاق.

وعلم أنّ هذه الأقوال التي صدر كلامه عليه السلام يشير إليها ويردّها على قائلها لم تكن قيلت في زمنه عليه السلام، ولكنّه قد كان علم أنّها ستقال، من أسرار الوصية ومكنون علم الرسول ﷺ الذي أفضاه إليه ونصبه لإيضاحه وكشف إلباسه وحلّ مشكلاته، وجعله نذير

الفتنة ومعرف أسبابها وسان معاملة أهلها، والله سبحانه أعلم.

واعلم أن هذا الحديث الذي يروّج به المختلفون طريقتهم، أصله ما أورده في الجامع الكافي ولفظه: روى محمد بإسناده عن عائشة، قالت: قلت يا رسول الله يصوم أهل هذا البلد اليوم ويصوم آخرون غداً، ويفطر أهل هذا البلد اليوم ويفطر آخرون غداً، ويضحّي أهل هذا البلد اليوم ويضحّي آخرون غداً، وفي هذا اختلاف.

فقال رسول الله ﷺ: «ليس هذا باختلاف ولكنّه رحمة، والصوم يوم يصوم الناس والفطر يوم يفطر الناس والأضحى يوم يضحّي الناس» انتهى نقلاً منه ومعنى قوله ﷺ: «ولكنّه رحمة».

أي: تخفيف وترخيص، يريد ﷺ أن الأوقات ومثلها الأماكن التي تلتبس إماراتها تثبت أحكامها تبعاً لظنّها، كما قال تعالى: ﴿فأينما تولّوا فثمّ وجه الله﴾^(١) ولم يرد الاختلاف في الأحكام الشرعية التي ورد الكتاب والسنة بالنهي عن الاختلاف فيها. فإنّما الاختلاف فيها بلوى وفتنة كما قال تعالى: ﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾^(٢).

قال في الكشف: ذلك إشارة إلى ما دلّ عليه الكلام الأوّل وتضمّنه - يعني ولذلك من... والاختيار الذي كان عليه الاختلاف خلقهم ليشيب مختار الحسن بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره انتهى والله العالم^(٣).

قوله: «وحاجته من خلقه».

وحاجته من خلقه، لفظة «حاجته» مجاز، لأنّ الله تعالى غنيّ غير محتاج؛ ولكنّه لما بالغ في الحثّ والحضّ عليها، وتوعد على تركها جعله كالمحتاج إلى الشيء، ووجه المشاركة أنّ المحتاج يحثّ ويحضّ على حاجته، وكذلك الأمر المكلف إذا أكّد الأمر، انتهى من الشرح^(٤).

(٢) هود: ١١ / ١١٩.

(١) البقرة: ٢ / ١١٥.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١١٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١١٩.

ومن كلام له عليه السلام قاله للبرج^(١) بن مسهر^(٢) الطائي^(٣) - وقد قال له بحيث يسمعه:
 «لا حكم إلا لله» وكان من الخوارج:
 أُسْكُتَ قَبْحَكَ^(٤) اللهُ يَا أَثْرَمُ^(٥) فَوَآنْتَ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتَ فِيهِ ضَيَّيلاً^(٦) شَخْصَكَ. خَفِيئاً
 صَوْتُكَ حَتَّى إِذَا نَعَرَ^(٧) الْبَاطِلُ نَجَمْتَ نُجُومَ^(٨) قَرْنِ الْمَاعِزِ^(٩).

(١) في ب: لبرج. (٢) في هـ. ص: بضم الميم وكسر الهاء.

(٣) وهو أحد شعراء الخوارج.

(٤) في هـ. ص: كلمة معناها: كسرك، يقال: قبحت الجوزة، أي: كسرتها، وقيل: قبحه: نحاه من الخير، انتهى من الشرح.

(٥) في هـ. ب: الأثرم في اللغة: من سقط نتيته، وليس ذلك بعيب، وبرج الطائي لعلة أثرم، ومعناه: يامن فعله. أو يلقب به لوجه معيب، وفي هـ. ص: كان ساقط الثنية فأهانته بأن دعاه به عقوبة.

(٦) في هـ. ب: دفيقاً، وفي هـ. ص: هو الدفيق الخافي.

(٧) في هـ. ب: صاح، وفي هـ. ص: أي صاح داعياً لأهله.

(٨) في هـ. ب: نجم القرن والسنن: أي ظهر، وفي هـ. ص: ظهرت.

(٩) في هـ. ب: الشاة، وفي هـ. ص: أي أعوج ملوئها.

ومن خطبة له عليه السلام^(١):

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ، وَلَا تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ^(٢)، وَلَا تَرَاهُ النَّوَظِرُ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَابِرُ، الدَّالُّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ، وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى وُجُودِهِ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ^(٣) عَلَى أَنْ^(٤) لَا شَبَهَ لَهُ، الَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ، وَارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ، وَقَامَ^(٥) بِالْقِسْطِ^(٦) فِي خَلْقِهِ وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ، مُسْتَشْهِدٌ^(٧) بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَرْزَاقِهِ، وَمَا وَسَمَهَا^(٨) بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ، وَمَا اضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ. وَاحِدٌ لَا يَعْدُدُ^(٩)، دَائِمٌ^(١٠) لَا يَأْمِدُ^(١١)، وَقَائِمٌ^(١٢) لَا يَغْيِبُ، تَتَلَقَّاهُ^(١٣) الْأَذْهَانُ^(١٤) لَا بِمُشَاعَرَةٍ^(١٥)، وَتَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي^(١٦) لَا بِمُخَاصَرَةٍ، لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ^(١٧)، بَلْ تَجَلَّى

(١) لم ترد هذه الخطبة في أ.

(٢) في هـ. ص: هي المجالس والنوادي، انتهى من الشرح.

(٣) في ص: وبأشباههم.

(٤) في ب: ألا.

(٥) في هـ. ب: قام وأقام بمعنى واحد.

(٦) في هـ. ب: العدل.

(٧) في ب: مستشهد، وفي هـ. د: وروي مستشهداً - ر، وفي هـ. ب: بالفتح أصح، ومستشهد

بالأشياء والقدرة في عجز الخلق، تقديره: مستشهد على أَرْزَاقِهِ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ.

(٨) في هـ. ب: من وسمه، أي: وسم به، من العلامة.

(٩) في هـ. ب: واحد لا ثاني له، ولا ينضم إليه غيره في العدد.

(١٠) في ص: دائم، وفي هـ. ص، وفي نسخة: ودائم.

(١١) في هـ. ب: زمان.

(١٢) في ب ص: قائم، وفي هـ. ص، وفي نسخة: وقائم.

(١٣) في ب: فتلقاه، وفي هـ. ب: من التلقي. (١٤) في هـ. ب: جمع ذهن، وهو الفهم.

(١٥) المشاعرة: انفعال إحدى الحواس بما تحسه، هـ. ب: الحواس، هـ. ص: يعني ادراك الحواس.

(١٦) في هـ. ب: جمع مرآة، على مفعلة، وهو المنظر الحسن.

(١٧) في هـ. ب: لم يحط الأوهام، أي: فكرته تجلَّى الله للأوهام ولا حجابها بالأوهام؛ لأنَّ

الأوهام تقع على نَهْ لولا الله لم يكن وهم ولا صاحب وهم ولا يقع الوهم وعلى أَنَّ الخالق

لَهَا^(١)، وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا خَاكُمَا^(٢)، لَيْسَ^(٣) بِذِي كِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النِّهَايَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيمًا، وَلَا بِذِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِيدًا، بَلْ كَبَّرَ شَأْنًا، وَعَظَّمَ سُلْطَانًا. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ^(٤) وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّيْفِيُّ^(٥)، وَأَمِينُهُ الرَّضِيُّ^(٦) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ^(٧)، وَظُهُورِ الْفُلُجِ، وَإِضَاحِ الْمَنْهَجِ، فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ صَادِعًا^(٨) بِهَا، وَحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ^(٩) ذَالًا عَلَيْهَا، وَأَقَامَ أَعْلَامَ الْإِهْتِدَاءِ، وَمَنَارَ الضِّيَاءِ، وَجَعَلَ أُمُرَاسَ^(١٠) الْإِسْلَامِ مَتِينَةً، وَعُرَى^(١١) الْإِيمَانِ وَثِيقَةً.

مِنْهَا: فِي صِفَةِ عَجِيبِ خَلْقِ أَصْنَافٍ مِنَ الْحَيَوَانِ:
وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ، وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ، وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ، وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ عَلِيلَةً^(١٢)، وَالْأَبْصَارَ^(١٣) مَذْخُولَةً^(١٤)، أَلَا يَنْظُرُونَ^(١٥) إِلَى صَغِيرِ مَا خَقَّ^(١٦) كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ، وَأَتَقَنَ تَرْكِيبَهُ، وَفَلَقَ^(١٧) لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ، وَسَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَشَرَ^(١٨)؟ أَنْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا، وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا، لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَخْظِ الْبَصَرِ،

→ تعالى كما دفع عليه الوهم والله تعالى خالق الأوهام أي جعلكم على نفس الأوهام بأنها لا تحيط به ولا تقع على ذاته، والمحاكمة: الموافقة،

(١) في ط بها (٢) أي: حكمت الأوهام على نفسها بالعجز.

(٣) في هـ. ب: أي ليس هو

(٤) لم ترد «وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له» في ب و ط.

(٥) في هـ. ص، وفي نسخة: المصطفى، وفي هـ. د: المصطفى - ف ن. عبده الصفي - م ل

(٦) في هـ. ص: في نسخة: المرتضى

(٧) أي ليلزم العبد بالحجج؛ والفليج: الظفر وظهور الفليج: إعلاء كلمة الإسلام.

(٨) في هـ. ب: مبيتاً صائحاً. (٩) في هـ. ب: الطريق.

(١٠) في هـ. ب: أي حبالها محكمة. والمرسة: الحبل.

(١١) في هـ. ب: جمع عروة. (١٢) في هـ. ب: مريضة.

(١٣) في هـ. د: والبصائر ح ص ب. (١٤) في هـ. ب: أي معيبة أو دغلة.

(١٥) في ب: ألا تنظرون.

(١٦) في ب زيادة: الله، وفي هـ. د: ما خلق الله - ش.

(١٧) في هـ. ب: خلق وشق. (١٨) جمع بشرة، وهي ظاهر الجلد

وَلَا بِمُسْتَدْرِكِ الْفِكْرِ، كَيْفَ دَبَّتْ^(١) عَلَى أَرْضِهَا، وَصَبَّتْ^(٢) عَلَى رِزْقِهَا^(٣)، تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا، وَتَعْدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا، تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا، وَفِي وَرُودِهَا^(٤) لِيَصْدَرِهَا^(٥)، مَكْمُولٌ^(٦) بِرِزْقِهَا، مَرْزُوقَةٌ بِوَقْفِهَا^(٧)، لَا يُغْفَلُهَا^(٨) الْمَنَانُ، وَلَا يَخْرِمُهَا^(٩) الدِّيَانُ^(١٠) وَلَوْ فِي الصَّفَا^(١١) الْيَابِسِ، وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ^(١٢).

وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا، وَفِي عُلوِّهَا وَسُفْلِهَا، وَمَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَّاسِيفٍ^(١٣) بَطْنِهَا، وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا، لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا^(١٤) عَجَبًا، وَلَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَبًا.

فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا، وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا، لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ، وَلَمْ يُعْنَهُ فِي خَلْقِهَا^(١٥) قَادِرٌ، وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لَتَبَلَّغَ غَايَاتِهِ^(١٦)، مَا دَلَّكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّحْلَةِ؛ لَدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ^(١٧)، وَغَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ، وَمَا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ، وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ^(١٨)، وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءٌ^(١٩)، كَذَلِكَ السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ، وَالرِّيَّاحُ وَالْمَاءُ.

-
- (١) فِي هـ ب: مَشَتْ مَشْيًا خَفِيًّا (٢) فِي هـ د: وَضَنْتَ - ن ف.
- (٣) فِي هـ ب: «صَبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا» قِيلَ: هُوَ عَلَى الْعَكْسِ، أَي: صَبَّتْ رِزْقَهَا عَلَيْهَا، وَظَاهِر اللَّفْظِ حَسَنٌ
- (٤) فِي ص: وَرَدَهَا، هـ د: دَرَدَهَا - ض ح.
- (٥) الصَّدْرُ مُحَرَّكَةٌ: الرَّجُوعُ بَعْدَ الْوُرُودِ. (٦) فِي د: مَكْفُولَةٌ.
- (٧) أَي بِمَا يُوَافِقُهَا مِنَ الرِّزْقِ. (٨) فِي هـ ب: لَا يَتْرُكُهَا.
- (٩) فِي هـ ب: لَا يَمْنَعُهَا
- (١٠) فِي هـ ب: «الدِّيَانُ» مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ اللَّهَ يَجَازِي وَيَحَاسِبُ وَيَكَافِي وَالْدِّينَ: الْجَزَاءُ وَالْمُكَافَأَةُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.
- (١١) فِي هـ ب: الْأَمْلَسُ. (١٢) فِي هـ ب: لَجَامِدٌ.
- (١٣) فِي هـ ب: الشَّرَّاسِيفُ: أَطْرَافُ الصَّلَعِ الَّتِي تَنْشُرُ عَلَى الْبَطْنِ، الْوَاحِدَةُ: شَرَسُوفٌ.
- (١٤) فِي ب: مِنْ ذَلِكَ، وَفِي هـ ب: مِنْ خَلْقِهَا - ص ح.
- (١٥) فِي د: عَلَى خَلْقِهَا، وَفِي هـ د: فِي خَلْقِهَا - ب ل ش.
- (١٦) فِي د: غَايَاتِكَ، وَفِي هـ د: غَايَاتِهِ - ض ح ب ل ش.
- (١٧) فِي هـ ب، وَفِي نَسْخَةِ: كُلِّ حَيٍّ.
- (١٨) فِي ب: وَالْخَلِيلُ، وَفِي هـ ب: الْخَفِيفُ، وَفِي هـ ب، وَفِي نَسْخَةِ: وَالْخَفِيفُ.
- (١٩) فِي هـ ب: كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بِعَثْكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾.

فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ، وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ، وَاخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ، وَتَفَجُّرِ هَذِهِ الْبَحَارِ، وَكَثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ، وَطُولِ هَذِهِ الْقِلَالِ^(١)، وَتَفَرُّقِ هَذِهِ اللُّغَاتِ،
وَالْأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ.

فَالْوَيْلُ^(٢) لِمَنْ جَحَدَ الْمُقَدَّرَ، وَأَنْكَرَ الْمُدَبِّرَ^(٣)، زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَالَهُمْ زَارِعٌ، وَلَا
لِاخْتِلَافِ صُورِهِمْ صَانِعٌ، وَلَمْ يَلْجَأُوا^(٤) إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا، وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أَوْعَوْا^(٥)،
وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ؟ أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ؟

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ، وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ^(٦)
وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ، وَفَتَحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِيَّ، وَجَعَلَ لَهَا الْحَسَّ الْقَوِيَّ^(٧)، وَنَابَتَيْنِ^(٨) بِيَهْمَا
تَقْرِضُ^(٩)، وَمِنْجَلَيْنِ^(١٠) بِيَهْمَا تَقْبِضُ، يَوْهَبُهَا^(١١) الزَّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ذِكَّهَا^(١٢)،
وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ، حَتَّى^(١٣) تَرِدَ الْحَزَّةَ^(١٤) فِي نَزَوَاتِهَا^(١٥)، وَتَقْضِيَ مِنْهُ شَهَوَاتِهَا^(١٦)،
وَخَلَقَهَا^(١٧) كُلُّهُ لَا يَكُونُ إِضْبَعًا مُسْتَدِقَّةً.

فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي^(١٨) يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا^(١٩) وَكَرْهًا، وَيَقْفَرُ لَهُ^(٢٠)

(١) في هـ. ب: جمع قلّة الجبل. (٢) في ب: الويل.

(٣) في د: لمن أنكر المقدر وجحد المدبر، وفي هـ. د: لمن جحد المقدر وأنكر المدبر - ب ل.

(٤) في هـ. د: لم يلجأوا - م ن ف.

(٥) في ب: ادعوا وفي د: وعوا، وفي هـ. ب: وعيت الشيء حفظته، وأوعيت الشيء: جعلته في الوعاء، وفي هـ. د: لما أوعوا - ض ب ل ش.

(٦) أي: مضيئتين كأن كلًّا منها قمر، أي: أضاءه القمر.

(٧) في هـ. ب: خلق أي جعل للجرادة ما تحسّ به الأشياء.

(٨) في هـ. ب: مثني ناب.

(٩) في هـ. ب: تقرض: تقطع، أي تستأصل به الزرع.

(١٠) في هـ. ب: المنجل: ما يحصد به الزرع. (١١) في هـ. ب: يخافها.

(١٢) في هـ. ب: دفعها. (١٣) في هـ. ب: وفي نسخة: حين.

(١٤) في هـ. ب: الزرع. (١٥) في هـ. ب: النزوات: الوثبات.

(١٦) في هـ. د: فيه شهواتها - ف. (١٧) في هـ. ب: خلقها: شخصها.

(١٨) في ب: فتبارك الذي، وفي هـ. د: فتبارك الذي - ص ح ف ل ش.

(١٩) في هـ. ب: صلحاً. (٢٠) في ط: ويعفوا، وفي هـ. د: ويعنوا - ب.

خَدَاً وَوَجْهًا، وَيُلْقِي بِالطَّاعَةِ إِلَيْهِ ^(١) سِلْمًا وَضَعْفًا، وَيُعْطِي لَهُ ^(٢) الْبَيَادَ ^(٣) رَهْبَةً وَخَوْفًا،
فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ أَحْصَى ^(٤) عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا وَالنَّفْسِ، وَأَرْسَى قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدَى
وَالْيَبَسِ، وَقَدَّرَ ^(٥) أَقْوَاتَهَا، وَأَحْصَى أَجْنَاسَهَا، فَهَذَا غُرَابٌ، وَهَذَا عُقَابٌ، وَهَذَا حَمَامٌ، وَهَذَا
نَعَامٌ، دَعَا كُلُّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ ^(٦)، وَكَفَّلَ لَهُ بِرِزْقِهِ، وَأَنْشَأَ السَّحَابَ الثَّقَالَ، فَأَهْطَلَ دِيَمَهَا ^(٧)،
وَعَدَّدَ قَسَمَهَا، قَبْلَ الْأَرْضِ بَعْدَ ^(٨) جُفُوفِهَا ^(٩) وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا ^(١٠).

* * *

قوله ﷺ: «لا تدركه الشواهد»:

[الشواهد] هي الحواس، أمّا لأنها تشهد الأشياء أي تحضرها، وإمّا لأنها تشهد
بالأشياء عند العقل، أي: تثبتتها انتهى من الشرح ^(١١).

قوله ﷺ: «الدال على قدمه... إلى قوله: وجوده»:

إعلم أنه ﷺ لما كان همّه ومغزى كلامه توحيد الله وتعريف دليل الوجدانية قدّم ذكر
دليل وصفه بكونه قديماً على بيان وصفه بأنه موجود؛ لأنّ وصفه بأنه موجود ضروري لم
يخالف فيه أحد من العقلاء إلّا من لا يؤبه له - كما ذكر قاضي القضاة عن جماعة من
الوراقين وتابعهم عليه ابن الراوندي كما سبق نقله -.

قال ﷺ: إنّ دليل كونه قديماً كون خلقه حادثاً؛ لافتقار كلّ محدث إلى محدث
بالضرورة، ولا يقطع داعي الضرورة إلّا إثبات مؤثر قديم غير كل المحدثات.

ثمّ إنّه ﷺ صرح بما فهم من هذا الاستدلال فقال: وهذا الدليل بعينه يدلّ على أمر آخر
وهو وصفه بكونه موجوداً؛ لضرورة أنّ المؤثر موجود وإن كان هذا الأمر مستغنياً عن
نصب الدليل عليه لكنّه من باب إكمال الفائدة، وإذا أراد مريد أن يبيّن به معانداً إيجاباً.

(٢) لم ترد «له» في ب و ص.

(٤) في هـ. ب: أثبت.

(٦) في هـ. ب: أي باسم طائر.

(٨) في ب: قبل.

(١٠) في هـ. ب: قحوطها.

(١) في ط: إليه بالطاعة.

(٣) في هـ. ب: من الانقياد.

(٥) في د: قدر، وفي هـ. د: وقدر - ض ح ب.

(٧) في هـ. ب: أمطارها.

(٩) في هـ. ب: يبسها.

(١١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٤٥.

إذا عرفت هذا فلا حاجة بنا إلى ما ارتكبه ابن أبي الحديد من الوجهين الباطلين^(١)، أحدهما: تخريج كلام أمير المؤمنين على مذهب أبي هاشم الباطل وهو إثبات الذوات المعلومة في الأزل. وقوله: إنها قد تتصف عندهم بصفات ذاتية وهي معدومة، وساق كلاماً في ذكر هذا المذهب حتى قال:

فإن قلت: أيقول أصحاب شيخكم أبي هاشم إن الذات المعدومة التي لا أول لها تسمى قديمة؟

قلت: لا، والبحث في هذا بحث في اللفظ، لا في المعنى، انتهى^(٢)

فهذا إقرار بلزوم تسميتهم لها قديمة، وإن لم يقولوه، وكفى بذلك بطلاً، فهذا المعنى لا يعقل، فضلاً عن كونه يصح حتى يثنى عليه تفسير كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

الوجه الثاني: من الوجهين الباطلين: زعم أنه يتخرج على مذهب البغداديين وهو تأويل متعسف يعم رده بالضرورة.

والذي ألجأه إلى هذين الوجهين زعمه إن إحدى القرنيتين تغني عن الأخرى فيكون ذكرها لغواً.

والحق أن ذكر الشيء صريحاً بعد ذكره لزوماً، لا لغو فيه؛ لأن التصريح بذكر الشيء بالقصد إليه، واللزوم ذكره تبعاً لغيره من غير قصد إليه، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «ويأشتباههم على ألا شبه له»:

بيان ذلك: إن الذي في الوجود مؤثر ومؤثر، والشيء لا يؤثر في نفسه؛ لوجوب تقدم المؤثر على المؤثر، وكذلك لا يؤثر في مثله - في ذاته وفي صفات ذاته - لأنه مثله قديم، وقد ثبت أن كل ما عداه حادث مؤثر. فصح أنه يجب أن يكون المؤثر خلافاً لأثره.

قال القاسم بن إبراهيم في كتابه الدليل الكبير: ومن أسباب العلم به دلائله بعد الذي أبان من أثر التمييز في جعائله أوتق وثائق الأسباب مما فطر عليه بنية الألباب من العلم البت واليقين المثبت، الذي لا يعتري فيه بحقيقته شك ولا مرية ولا يعترض فيما جعل من

(١) المصدر نفسه آخر ص ٤٥ وسيأتي بين الوجه الثاني في الصفحة لقادمة.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٤٦.

بصائرُه شبهة مغشية، من أن لكل ما أحسن أو عقل ممّا أثر سبحانه وجعل خلافاً^(١) متيقناً بعلوم لا تدركه الحواس ولا الوهوم تعقل وتعرف بخلاف ما عقلت الأشياء وعرفت، فيخالفه ويخالفها بغير ما به في أنفسها اختلفت.

ثم قال: وهذا الباب من خلافه سبحانه لأجزاء الأشياء كلّها فيما يدرك من فروع الأشياء وأصلها، فما لا يوجد إلا بين الأشياء وبينه ولا يوصف بها أحد غيره سبحانه وهي الصفة التي لا يشاركه عز وجلّ فيها مشارك ولا يملكها عليه تعالى مالك ولا يعمّ جميع الأشياء اختلاف عمومها، ولا تصحح الألباب - إلا لله - معلومه؛ لأنّه وإن وقع بين الأشياء ما يقع من الاختلاف فلن يوجد واقعاً إلا بين ذوات الأوصاف وكلّ واحد منها وإن خالف غيره في صفة فقد يوافقه في صفة أخرى كان ممّا يعقل أو كان ممّا يمس ويرى.

فإن اختلف محسوسان في لون أو طعم اتفقا فيما لهما من حدود الجسم، وإن اختلف معقولان في فعال أو همّة اتفقا فيما يعقل من أصولهما المتوهمّة كالملائكة والإنس والشياطين التي أصولها النفسانية واحدة متّفقة وهمّها وأفعالها مختلفة مفترقة، فهم الملائكة الاحسن والتسبيح، وهم الشياطين العصيان والقبّيح، وهم أنفس الإنس فمختلفة كاختلافها في قصدها وإسرافها فتحسن مرّة وتبرّ، وتسيء مرّة وتشرّ.

وكلّ خلق من الملائكة والإنس والشياطين فقد جعل الله له صفة متممة ذاتية، بها بان بعضهم من بعض، وكانت لكل من جعلها الله له خاصّة صفته، فهي لهم وبينهم، ولكلّهم اختلاف وكلّهم بها وبما جعل الله منها أصناف بعضهم غير بعض كالسماء غير الأرض، انتهى كلامه^(٢).

قوله ﷺ: «مستشهد بحدوث الأشياء على أزليّته»:

في هذا دليل على تنافي الوصف بالأزل والوصف بالحدوث، فكلاً وصف بالحدوث لم يصح أن يوصف بالأزل فيبطل قول أصحاب أبي هاشم في ذوات الأشياء إنّها أزلية.

(١) في الهامش: أي مخالف لها.

(٢) قد سبق الاستشهاد بهذا الكلام من القاسم في شرح الخطبة ١٠٧ أيضاً، فراجع.

وفيه دليل على ترادف الوصف بالأزل والقدم فيطل قولهم: إن الصفات أزلية لا قديمة.

قال في الصحاح: والأزل - بالتحريك - : القدم. يقال: أزلي، ذكر بعض أهل اللغة أن أصل هذه الكلمة قولهم للقديم: لم يزل، ثم نسب إلى هذا فلم يستقم إلا باختصار فقالوا: يزلي ثم أبدل الياء ألفاً لأنها أخف فقالوا: أزلي، كما قالوا في (الرمح) المنسوب إلى بني يزن: أزني، ونصل أثري، انتهى

ويظهر لي من مغزى كلامه إلى قوله: «سلطاناً» هو التنبيه على اختلاف مفهومي الصفة التي تطلق على الله سبحانه وعلى غيره ردعاً للوهم عند الإطلاق أن يتبادر إلى ما هو المألوف له تحقيقاً لقوله: «التوحيد ألا تتوهمه»، فبدأ بصفة القدم التي هي أخص صفات الباري تعالى، فقال: لما ثبت أن كل شيء غيره حادث - وإن وصف بالقدم - فهو النسبي، علم أنه سبحانه موصوف بالقدم وهو الوجود الذي لا أول له وهو المعبر عنه في عرف اللغة واصطلاح المتكلمين بالأزلية.

فمن ثم اختار عنه التعبير بها لاختصاص الوصف بها بالباري تعالى وقال عنه: إن الأشياء لما كان القادر منها يعجز عن كثير من المقدورات - وهي لمختصة بالباري تعالى -، وكان بعضها يقدر على شيء ويعجز عن شيء يقدر عليه غيره، ويختلف في ذلك ويتعكس ويحدث لبعضها بعد أن لم يكن ويزول بعد أن كانت، علمنا أن قدرة الأشياء بجعل جاعل مختار مؤثر في الذات وصفتها وعلمنا أن قدرة الباري تعالى ذاتية مخالفة لقدر الأشياء كلها - مفهوماً -.

ولما كانت الأشياء تفنى مترتبة فيه ومختلفة في أسبابه وأوقاته وكيفياته علمنا أن فتائها حصل بفعل فاعل متخير فلم يجز عليه الفناء لاحتياجه إلى المفني، ووجب له البقاء الدائم فهو الباقي مطلقاً لا الباقي بقاءً نسبياً كغيره.

ثم قال عنه: «واحد لا بعدد»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: لأنَّ وحدته ذاتية، ليست بصفة^(١) زائدة عليه، وهذا من الأبحاث الدقيقة في علم الحكمة، وليس هذا الكتاب موضوعاً لبسط القول في أمثاله.

ثم قال: «دائم لا بأمَد»، لأنَّه سبحانه ليس بزمني ولا داخل تحت الحركة والزمان، وهذا أيضاً من دقائق العلم الإلهي، والعرب دون أن تفهم هذا أو تنطق به، ولكن هذا الرجل كان ممنوحاً من الله تعالى بالفيض المقدّس والأنوار الربّانية.

ثم قال: «قائم لا بعمد»، لأنَّه لما كان في الشاهد كلّ قائم فله عماد يعتمد عليه، أبان عليه تنزيهه تعالى عن المكان، وعمّا يتوهمّه الجهلاء من أنّه مستقرٌّ على عرشه بهذه اللفظة. ومعنى القائم ها هنا ليس ما يسبق إلى الذهن من أنّه المنتصب؟ بل ما تفهمه من قولك: فلان قائم بتدبير البند، وقائم بالقسط، انتهى كلام ابن أبي الحديد^(٢).

قوله عليه السلام: «تلقّاه الأذهان لا بمشاعرة»:

قال في الشرح، أي: تتلقّاه تلقّياً عقلياً، ليس كما يتلقّى الجسم الجسم بمشاعره وحواسّه وجوارحه، وذلك لأنَّ تعقّل الأشياء هو حصول صورها في العقل بريئة من المادة، والمراد بتلقّيه سبحانه ها هنا تلقّي صفاته، لا تلقّي ذاته تعالى، لأنَّ ذاته تعالى لا تتصوّرها العقول، وسيأتي إيضاح أنّ هذا مذهبه عليه السلام.

ثم قال: «وتشهد له المرائي لا بمُحاضرة»:

المرائي: جمع مرئيّ، وهو الشيء المدرك بالبصر، يقول: المرئيات تشهد بوجود الباري، لأنَّه لو لا وجوده لما وُجدت، ولو لم توجد لم تكن مرئيات، وهي شاهدة بوجوده لا كشهادتها بوجود الأبصار، لأنَّها شهدت بوجود الأبصار لحضورها فيها. وأمّا شهادتها بوجود الباري فبيست بهذه الطريق، بل بما ذكرناه. والأولى أن يكون «المرائي» ها هنا جمع «مَرآة» بفتح الميم، من قولهم: هو حسن في مَرآة عيني، يقول: إنّ نفس^(٣) الرؤية يشهد بوجود الباري من غير محاضرة منه للحواس.

قوله عليه السلام: «لم تُحط به الأوهام... إلى قوله: وإليها حاكمها»:

(١) في ط: لأنَّ وحدته ذاتية وليست صفة. (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣ : ٤٨.

(٣) في ط: جنس.

قال في الشرح: هذا الكلام دقيق ولطيف، والأوهام هاهنا هي العقول، يقول: إنه سبحانه لم تحط به العقول، أي: لم تتصور كنه ذاته، ولكنه تجلّى للعقول بالعقول، وتجلّيه هاهنا هو كشف ما يمكن أن تصل إليه العقول من صفاته الإضافية والسلبية لا غير، وكشف ما يمكن أن تصل إليه العقول من أسرار مخلوقاته؛ فأما غير ذلك فلا؛ وذلك لأنّ البحث النظريّ قد دلّ على أنّنا لا نعلم منه سبحانه إلاّ الإضافة والسلب، أما الإضافة فبقولنا: عالم قادر، ومّا السلب فبقولنا: ليس بجسم ولا عرض ولا يرى، فأما حفيضة الذات المقدّسة المخصوصة من حيث هي، فإنّ العقل لا يتصوّرها، وهذا مذهب الحكماء وبعض المتكلّمين من أصحابنا ومن غيرهم

ثم قال: «وبالعقول امتنع من العقول»:

أي: وبالعقول وبالنظر: علمنا أنّه تعالى يمتنع أن تدركه العقول

ثم قال: «والى العقول حاكم العقول»:

أي: جعل العقول المدّعية أنّها أحاطت به وأدركته كالخصم له سبحانه، ثم حاكمها إلى العقول السليمة لصحيحة النظر، فحكمت له سبحانه على العقول المدّعية لما ليست أهلاً له.

واعلم أنّ لقول بالحيرة في جلال ذات الباري وانوقوف عند حدّ محدود لا يتجاوزه العقل قولٌ مازال فضلاء العقلاء قائلين به.

من أشعار ابن أبي الحديد في المناجاة:

ومن شعري الذي أسلك فيه سبيل^(١) المناجاة عند خلّواتي وانقطاعي بالقلب إليه سبحانه قولي:

والله لا موسى ولا عيسى	سوى المسيح ولا محمد
عصموا ولا جبريل وهـ	سوى محمّد المهدى يصعد

كلّا ولا النفس البسيـ
من كنهه ذاتك غير أنّـ
وجَدُوا إضافاتٍ وسلـ
ورأوا وجـوداً واجباً
فلتخسأ الحكماء عنـ
مَن أنت يارسطو ومَن
ومَن ابنُ سينا حين قرّر
هل أنتم إلا الفـرا
قدنا فأحرق نفْسَه

سطة، لا ولا العقل المجرد
ك أوحدٍ^(١) الذات سرمد
باً والحقيقة ليس تُوجد
يَفْتَى الزّمان وليس يَنقُذ
جرم^(٢) له الأفلاك تُسجد
أفلاطُ قبلك يا مبلداً
ماهديت به^(٣) وشيّد
ش رأى الشّهاب وقد توقّد
ولو اهتدى رُشداً لا بُعد

بمّا قلته أبضاً في قصور العقل عن معرفته سبحانه:

فيك يا أعجوبة الكون
أنت حـيّرت ذوي اللب
كلّما أقدم فكـري
ناكصاً يخبط في عمـ

غدا الفكر قليلاً^(٤)
وبـلّلت العقول
فيك شبراً فرّ ميلاً
سياء لا يُهدى السّيلاً

ولي في هذا المعنى:

فيك يا أغلوطة الفكر
سافرت فيك العقولُ فما
رجعتُ حـشري وما وقفتُ
فلحى الله الألى زعموا
كذبوا إنّ الذي طلبوا

تاه عقلي وانقضى عمري
ربحتُ إلا أذى السّفر
لا على عيني ولا أثر
أنك المـعلوم بالنظر
خارج عن قوّة البشـر

انتهى من شرح ابن أبي الحديد^(٥).

(٢) في ط: جرم

(٤) في ط: قليلاً

(١) في ط: واحد.

(٣) في ط: بنيت له.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٤٩ - ٥١.

قوله ﷺ: «ليس بذي كبر... إلى قوله: سلطاناً»:

يشير ﷺ إلى أن الباري سبحانه ومخلوقه يوصف كل واحد منهما بأنه كبير وعظيم والمفهوم فيهما مختلف فمعناه في حق المخلوق ما نفاه عن الباري ومعناه في حق الباري ما أثبتته «بل» ففي ذلك ردع الوهم وتنبيه العقل، وعلى هذا النمط كلامه ﷺ في التوحيد، فاعتبره، والله أعلم.

قوله ﷺ: «ولو فكروا... إلى آخره»:

إعلم أنه ﷺ أشار في هذا الكلام إلى وجه دلالة الصنع على صانعه وإلى كيفية الاستدلال لمريده، وذلك أن حدوث العالم متفق عليه، لم يخالف فيه من العقلاء من يؤبه به - كما سبق تقريره - كيف، والمشاهدة طريق معرفة حدوث الفروع، وليس حكم الأصول إلا كحكم الفروع لاتفاقها ذاتاً وصفةً وإنما اختلف العقلاء في حقيقة المؤثر الموجد المغيّر.

فالمتألهون قالوا: صانع متخير، وبعض الناس قالوا: موجب، فهو ﷺ يشير إلى إبطال قول من يجعل المؤثر موجباً.

واعلم أن هذه الطريقة من الاستدلال هي التي ورد بها القرآن وقد أبانها ﷺ أوضح بيان وفي التنبيه على ما في الصنع من الاختلاف وعلى اختلاف حكم المصنوعات وعلى تنقيل المحدث في أطوار مرتبات كترتيب المولودات من لدن كونها نطفاً إلى فنائها. وكترتيب النباتات من لدن إرسال الرياح، فإنارة لسحاب، فسوقه في السماء، فتنزيله لماء، فإسكانه في الثرى فأخراج النباتات به المختلفات، وترتيبها في أطوارها حتى تنتهي، فأخراج الثمرات مختلفة - ولو كانت واحدة - مترتبة في أطوارها حتى تدرك.

وآيات الدالات على ذلك تكثر على إيرادها، وهذا نمط ورودها:

قال في الكشف في آخر تفسير قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً...﴾^(١) ما لفظه: وهذا الترديد في الأحوال المختلفة والتغيير من هيئة إلى

هيئة وصفة إلى صفة أظهر دليل وأعدل شاهد على الصانع العليم القدير، انتهى.

وقد نبّه الله تعالى على مراده حيث قل: ﴿واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾^(١) وقوله في آخر آية فاطر: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾^(٢)، وقوله في آية الأنعام: ﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه﴾^(٣)، وقوله في آية الحج: ﴿لنُسبِن لكم﴾^(٤). إلى غير ذلك، ففي الاختلاف والترتيب برهان ضروري على تخيّر الصانع.

وقد اقتدى بأمير المؤمنين عليه السلام - في هذا الاستدلال - جماعة من المتكلمين كالجاحظ وصنّف على ذلك النمط كتابه (العبر والاعتبار)، ومتابعيه المعروفين بأهل المعارف، وجعلوا النتيجة المنساقة عن هذا الفكر ضرورة وذلك حق.

وهذا النمط من الاستدلال أصح ما يعتمد عليه كثير من دليل الدعاوي، فإن أكثر مقدّماته مخنلف، وعليه أسئلة مستصعبة، ومع ذلك، فإنّ نتيجته نتيجة قياس.

وقد اعتمد القاسم بن إبراهيم هذا الاستدلال في كتابيه: «الدليل الكبير» و«مناظرة الملحد»، قال في كتابه «الدليل الكبير» بعد أن قرّر بكلام طويل: إنّ اختلاف الأشياء يدلّ على أنّ لها صانعاً مختاراً أولاً: يعلم من يعمر ويجهل، فضلاً عمّن يبصر ويعقل -، أن لو كانت هذه البدائع والأصول وما تدركه منها عياناً العقول على ما يقول به الجاهلون - أنّها كانت وجاءت كما أرادت وشاءت - لما فضل بعضها بعضاً أبداً، ولما كانت الأرض سفلاً وأرضاً، ولما قصّر أوضاع الأشياء وأدناها عن درجة أرفع الأشياء وأعلاها، ولكانت الأشياء جميعاً سواء، ولما كان بعضها من بعض أقوى حتى يكون كلّها شيئاً واحداً، وحتى لا يوجد شيء لشيء منها ضدّاً. وقد يوجد باليقين من تضادّها وتبين صلاحها وفسادها لكلّ حاسة من الحواس الخمس.

ومن سلمت له حواسه من جميع الإنس فقد يستدلّ بما يرى فيها من الاختلاف والنقص على أنّ لها صانعاً خصّها بما بان فيها من الاختلاف والخصائص، يرى سبحانه وتعالى - من شبهها في النقص والاختلاف منعالٍ عمّا يوجد فيها أو في واحدٍ منها من الأوصاف.

(٢) فاطر: ٢٨ / ٣٥.

(٤) الحج: ٥ / ٢٢.

(١) الروم: ٢٢ / ٣٠.

(٣) الأنعام: ٩٩ / ٦.

فَدَلَّ سُبْحَانَهُ عَلَى صُنْعَتِهِ لِلْأَشْيَاءِ كُلِّهَا يَمَا أَبَانَ فِيهَا مِنْ تَصَرُّفِ أَحْوَالِهَا وَتَقَلُّبِهَا (انتهى كلامه).

ومن الاختلاف البديع: اختلاف الأفعال المنسوبة إلى الحيوانات التي لا تعقل كما أشار إليه ﷺ من فعل النملة وفعل النحلة وغيرهما من الطيور والدواب، فإنه مبدؤ من جهتها أفعال لا يحسنها ذو اللب الكامل والأدوات السليمة، فمعلوم أن إيجادها لها إنما هو بالفطرة الخقية والإلهام الرباني، فاختلفا في ذلك دليل على اختيار مفطرها ومهمها سبحانه وتعالى

بل وفي اختلاف العقلاء في الصناعات، فقد ظهر من جهة أحدهم ما لا يدركه كثير منهم ببداية عقولهم، فيعلم أنه بزيادة إلهام خصه به وتعليم أولي من جهته سبحانه. قوله ﷺ: «فالويل لمن جحد المقدّر وأنكر المدبّر... إلى قوله: وهل يكون بناء من غير بانٍ أو جناية من غير جانٍ»:

قال في شرح ابن أبي الحديد ما لفظه: ثم سقاه آراء المعطلة، وقال: «إنهم لم يعتصموا بحجة، ولم يحققوا ما وعوه» أي: لم يرتبوا العلوم الضرورية ترتيباً صحيحاً يفضي بهم إلى النتيجة التي هي حق.

ثم أخذ في الرد عليهم من طريق أخرى، وهي: دعوى الضرورة، وقد اعتمد عليها كثير من المتكلمين، فقال: نعلم ضرورة أن لبناء لا بد له من بانٍ

ثم قال: «والجناية لا بد لها من جانٍ»، وهذه كلمة ساقته إليها القرينة، والمرد عموم لفعليّة لا خصوص الجناية، أي مستحيل أن يكون الفعل من غير فاعل، والذين ادّعوا الضرورة في هذه المسألة من المتكلمين استغنوا عن الطرق الأربع التي ذكرناها، وأمير المؤمنين ﷺ اعتمد أولاً على طريق واحدة، ثم جنح ثانياً إلى دعوى الضرورة، وكلا الطريقين صحيح، انتهى^(١).

ونحن قد أشرنا إلى أن النظر في اختلاف الصنع إنما هو طريق للعلم الضروري نافٍ للتشكيك فيه، والله أعلم.

قال الامام العظيم ترجمان الدين القاسم بن ابراهيم في كتابه «الدليل الكبير» - بعد أن بسط القول في أن اختلاف الأشياء في ذواتها وأحوالها وتنقلها في أمورها دليل على أن لها صانعاً مختاراً ليس كمثلها - فقال: وكيف يشك ملحد في صنع الله للأشياء كلها أو فيما يرى من دق الأشياء وجلّها، وقد يرى كيف أحكمت فاستحكمت وانقادت للصنعة فتقومت وذلت على ما فطرت واضطرت كما اضطرت، وكلّها مصرف مضرور وجميعها بدع مقطور لا يمنع من القهر والذلة والخشوع ولا عما أبان الله فيها من أثر صنعة كلّ مصنوع، لا ينظر منها ناظر إلى طرف، ولا يلتفت إلى كنف إلا وجد أثر الصنع فيه واضحاً بيّناً ووجده بصنع الله فيه مخبراً مبيناً.

ولما ثبت اضطراباً بما لا يدفعه العقول بما لا مريّة فيه، وبما جميع العقول كلّها مجمعة عليه. أن لكل ما يرى أو يسمع أو يشمّ أو يذاق أو يلمس أو يتخيّل فيتوهم مدبراً لا يخفى تدبيره، ومؤثراً بيّناً لكلّ عقل تأثيره ثبت وجوده، خلافاً للمدبر مدبراً غير مدبر، ووجد خلاف المؤثر مؤثراً غير مؤثر، لا يمكن غير ذلك علماً، ولا يتخيّل خلاف ذلك فهماً؛ لأنّه لما كان ما وجد من الأشياء كلّها مدبراً وصنعاً وخلقاً مفنطراً احتيج إلى علم مدبره ومفتطره ونبت يفيناً وجود المفتطر المدبر بما وجد من تدبيره ومفتطره.

فلا بدّ - كيف ما كان لنظر في ذلك، ما ارتفع أو لم يرتفع - من أن يثبت مدبر صانع لم يدبر ولم يصنع، وذلك ممّا لا يوجد أبداً غير الله جلّ شأنه وتقدّست بكلّ بركة أسماؤه، انتهى كلامه ﷻ.

ومن خطبة له عليه السلام في التوحيد، وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم مالا تجمعه خطبة غيرها^(١)؛

مَا وَحَّدَهُ مِنْ كَيْفِهِ، وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مِنْ مَثَلِهِ، وَلَا إِيَّاهُ عَنَى مِنْ شَبَّهَهُ، وَلَا صَمَدَهُ^(٢) مِنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ. كُلُّ مَعْرُوفٍ^(٣) يَنْقُصُهُ مَصْنُوعٌ، وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ. فَاعِلٌ لَا بِاضْطِرَابِ آلَةٍ، مُقَدَّرٌ لَا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ؛ غَنَى لَا بِاسْتِفَادَةٍ؛ لَا تَصَحُّبُهُ الْأَوْقَاتُ؛ وَلَا تَرْفُذُهُ الْأَدْوَاتُ^(٤)، سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ، وَالْعَدَمَ وَجُودُهُ، وَالْإِبْتِدَاءَ أَوَّلُهُ. يَتَشَعَّبُ الْمَشَاعِرُ^(٥) عُرِفَ أَنْ لَا^(٦) مَشْعَرٌ لَهُ^(٧) وَيَمُضَاذَتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا^(٨) ضِدٌّ لَهُ. وَيُمُقَارَرَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا^(٩) قَرِينَ لَهُ. ضَاةَ النَّورِ بِالظُّلْمَةِ، وَالْوُضُوحَ^(١٠) بِالْبُهْمَةِ^(١١)، وَالْخَرُورَ بِالصَّرْدِ^(١٢)، مُؤَلَّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا^(١٣)، مُقَارَرٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا. مُقَرَّبٌ^(١٤) بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا^(١٥)، مُفَرَّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا^(١٦).

(١)، لم نرد «غيرها» في الف و ب

(٢) في ب: صمده، وفي هـ. ب: صمده، أي ولا صمد اليه ولا قصده من أشار اليه بأنه على العرش أو هو جسم.

(٣) في هـ ب: جنس الجواهر؛ لأنها تعرف بأن تشهد وتلمس.

(٤) في هـ ب: أي تعينه. (٥) في هـ. ب: المشاعر: الحواس.

(٦) في ل ف و ب: إلّا، وفي هـ. ب في نسخه: أن لا.

(٧) المسعر: كمقعد، محل الشعور أي الاحساس

(٨) و (٩) في الف و ب: إلّا.

(١٠) في هـ ب: مصدر وضح الأمر، أي بان، والبهمة: الانغلاق

(١١) في هـ ب: أي الظلمة. (١٢) الصرد محرّكاً: البرد.

(١٣) في هـ ب: أي متضاداتها. (١٤) في هـ ب: متقرب متباعداتها.

(١٥) في هـ. ب: أي متضاداتها.

(١٦) كالجزئين من عنصر و حد في جسمين مختلفي المزاج ووردت عبارة «مفرق بين

متدانياتها في الاصل قبل جملة مقرب بين متباعداتها.

لَا يُشْمَلُ بِحَدٍّ، وَلَا يُحْسَبُ بَعْدُ^(١)، وَإِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا، وَتُشِيرُ آلَاتُ^(٢) إِلَى نَظَائِرِهَا^(٣).

مَنْعَتَهَا مِنْذُ الْقَدَمَةِ، وَحَمَّتْهَا قَدْ الْأَزْلِيَّةُ. وَجَنَّبَتْهَا لَوْلَا^(٤) التَّكْمِلَةُ. بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ وَبِهَا أَمْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ الْعُيُونِ. وَلَا يَجْرِي^(٥) عَلَيْهِ السُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ^(٦)، وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ^(٧)، وَيَخْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَخَذَتْهُ.

إِذَا لَتَفَاوَتْ ذَاتُهُ وَلَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ وَلَا مَمْنَعَ مِنَ الْأَزْلِ مَعْنَاهُ^(٨) وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءُ إِذَا وُجِدَ لَهُ أَمَامٌ. وَلَا لَتَمَسَ التَّمَامَ إِذَا لَزِمَهُ النُّقْصَانُ. وَإِذَا لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ، وَلَتَحَوَّلَ دَلِيلًا بَعْدَ

(١) في هـ. ب: لا يعد بعدد.

(٢) في ب و ص: الآلة في هـ. ج: وتشير الآلة - ل.

(٣) في هـ. د: وتشير الى نظائرها - ب.

(٤) في هـ ص: «منذ» و «قد» و «لولا» فواعل للأفعال قبلها، و «منذ» لابتداء الزمان و «قد» لتقريبه، ولا يكون الابتداء والتقريب إلا في الزمان المتناهي، وكل مخلوق يقال فيه: «قد وجد» و «وجد منذ كذا» فهذا مانع لتقدم والأزلية، وكل مخلوق يقال فيه: «لولا خالقه ما وجد» فهو نافي لذاته محتاج للنكاملة بغيره.

(٥) في ص: «لا يجري». (٦) في ص: «أجراه».

(٧) في ص: «أبداه».

(٨) في هـ ص: قوله ﷺ: «إِذَا لَتَفَاوَتْ ذَاتُهُ وَلَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ وَلَا مَمْنَعَ مِنَ الْأَزْلِ مَعْنَاهُ» قال في الشرح: هذا تأكيد لبيان استحالة الحركة والسكون عليه يقول: لو صحَّ لكان محدثاً، وهو معنى قوله: «ولا ممانع من الأزل معناه» وأيضاً كان ينبغي أن يكون ذاته منقسمة؛ لأنَّ المتحرك الساكن لا بدَّ أن يكون متحيّزاً، وكل متحيّز جسم، وكل جسم منقسم أبداً، وفي هذا إشارة الى نفي الجوهر الفرد.

ثم قال: «ولكان له وراء إذا وجد له أمام».

هذا يؤكد ما قلناه إنّه إشارة الى نفي الجوهر الفرد، يقول: لو حلّت الحركة لكان جرماً وحجماً ولكان أحد وجهيه غير الوجه الآخر لا محالة، فكان منقسماً، وهذا الكلام لا يستقيم إلا مع نفي الجوهر الفرد؛ لأنَّ من أثبتته بقول: يصح أن تحته الحركة ولا يكون أحد وجهيه غير الآخر، فلا يلزم أن يكون له وراء وأمام، انتهى نقلاً منه بلفظه.

وقد نصَّ الامام أحمد بن سيمان في حقائق المعرفة على نفي الجوهر الفرد، وروى السيد حميدان القول بنفيه عن الامام الحسين بن القاسم العياني وكلام سائر المتقدمين ككلامهما، والله أعلم.

أَنْ كَانَ مَذْلُومًا عَلَيْهِ وَخَرَجَ بِسُلْطَانٍ اِلْمِْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثَّرَ فِيهِ مَا يُؤَثَّرُ فِي غَيْرِهِ^(١).
 الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْأَقُولُ، لَمْ يَلِدْ^(٢) فَيَكُونَ مَوْلُودًا وَلَمْ يُولَدْ
 فَيَصِيرَ مَحْدُودًا جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ. وَطَهَّرَ عَنْ^(٣) مُلَامَسَةِ النِّسَاءِ، لَا تَسَالُهُ الْأَرْهَامُ
 فَتَقْدَرُهُ. وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطَنُ فَتَصَوِّرُهُ. وَلَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُ فَتَحْسُهُ^(٤). وَلَا تَلْمِسُهُ الْأَيْدِي
 فَتَمْسُهُ. لَا يَنْغَيِّرُ^(٥) بِحَالٍ. وَلَا يَتَبَدَّلُ^(٦) فِي الْأَحْوَالِ^(٧). وَلَا تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ. وَلَا يُغَيِّرُهُ
 الضِّيَاءُ وَالظَّلَامُ.

وَلَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ. وَلَا بِعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ^(٨).
 وَلَا بِالْعَيْرِيَّةِ وَالْأَبْعَاضِ. وَلَا يُقَالُ لَهُ حَدٌّ وَلَا نِهَايَةٌ. وَلَا انْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ. وَلَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ
 تَحْوِيهِ: فَتُقْلَهُ^(٩) أَوْ تُهْوِيَهُ^(١٠) أَوْ أَنَّ شَيْئًا يَحْمِلُهُ فَيَمِيلُهُ أَوْ يُعْدِلُهُ^(١١). لَيْسَ^(١٢) فِي الْأَشْيَاءِ
 بَوَالِجِ^(١٣) وَلَا عَنْهَا بِخَارِجٍ.

يُخْبِرُ لَا يَلِسانِ^(١٤) وَلَهَوَاتٍ وَيَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ^(١٥) وَأَذَوَاتٍ. يَقُولُ وَلَا يَسْفِطُ^(١٦).
 وَيَحْفَظُ وَلَا يَتَحَقَّقُ^(١٧) وَيُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ.
 يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ. وَيُبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ. يَقُولُ لِمَا^(١٨) أَرَادَ كَوْنَهُ: كُنْ

(١) قوله: « وخرج » عطف على قوله: « لا يجري عليه السكون ». وسلطان الامتناع: هو سلطان العزة الأزلية

(٢) في هـ. د: ولم يلد - ب.

(٣) في الف: من

(٤) في هـ. ب: تحسسه، أي نحسه بالبد، قال تعالى: ﴿ هل نحسّ منهم ﴾

(٥) في ط: ولا يتغير. (٦) كذا في ب والأصـر ظاهرًا، وفي الف: يتبدل.

(٧) في هـ. د: بالأحوال - ب.

(٨) في هـ. ب: أي ما يعرض من الحركة والسكون والانتقال.

(٩) أي نحمله وترفعه. (١٠) أي نضعه ونسقطه.

(١١) في هـ. ب: عدلت الشيء سوّيته، ضد الميل.

(١٢) في د: وليس. (١٣) الولوج: الدخول.

(١٤) في الف بلا لسان، وفي هـ. ص في نسخة: بلا لسان، وفي هـ. د: بلا لسان - ف و م.

(١٥) في الف: بلا خروق وفي هـ. ب، وفي نسخة: بلا خروق، جمع خرق: وهو السمع.

(١٦) في ص: ولا يتلفظ، وفي هـ. ص: في نسخة: لا يلفظ.

(١٧) أي لا يتكلف الحفظ، وهو معنى: (ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم) .

(١٨) في ط: لمن، وفي هـ. د: لمن - ض ح ب.

فَيَكُونُ، لَا بِصَوْتٍ يَفْرَعُ. وَلَا بِبِنْدَاءٍ يُسْمَعُ. وَإِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ وَمَثَلُهُ.
لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَائِنًا وَلَوْ كَانَ قَدِيمًا لَكَانَ إِلَهًا ثَانِيًا.

لَا يُقَالُ كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَتَجْرَى عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ وَلَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ
فَضْلٌ، وَلَا لَهُ عَلَيْهِ فَضْلٌ فَيَسْتَوِي الصَّانِعُ وَالْمَصْنُوعُ. وَيَتَكَافَأُ الْمُبْتَدِعُ وَالْبَدِيعُ. خَلَقَ
الْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ. وَلَمْ يَسْتَعِنْ^(١) عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ. وَأَنْشَأَ
الْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا^(٢) مِنْ غَيْرِ أَشْتِغَالٍ. وَأَرْسَاهَا^(٣) عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ. وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمٍ.
وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمٍ. وَحَصَّنَهَا مِنَ الْأَوْدِ وَالْأَعْوِجَاجِ وَمَنْعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ^(٤) وَالْانْفِرَاجِ^(٥).
أَرْسَى أَوْتَادَهَا وَضَرَبَ أَشْدَادَهَا^(٦). وَأَسْتَفَاضَ عِيُونَهَا^(٧) وَخَدَّ^(٨) أَوْدِيَّتَهَا. فَلَمْ يَهِنْ
مَا بَنَاهُ وَلَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ.

هُوَ الظَّاهِرُ عَيْنِهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ. وَهُوَ الْبَاطِنُ^(٩) لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَالْعَالِي عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ. لَا يُعْجِزُهُ^(١٠) شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبُهُ. وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَغْلِبُهُ وَلَا
يَقْوَتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقُهُ. وَلَا يَخْتَاجُ إِلَى ذِي مَالٍ فَيَرْزُقُهُ. خَضَعَتِ الْأَشْيَاءُ لَهُ، وَذَلَّتْ^(١١)
مُسْتَكِينَتُهُ^(١٢) لِعَظَمَتِهِ لَا تَسْتَطِيعُ الْهَرَبُ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعُ^(١٣) مِنْ نَفْعِهِ وَضُرِّهِ.
وَلَا كُفُوًا^(١٤) لَهُ فَيَكَافِئُهُ^(١٥). وَلَا تَطِيرُ لَهُ فَيَسَاوِيهِ^(١٦). هُوَ الْمُفْنَى لَهَا بَعْدَ وَجُودِهَا. حَتَّى
يَصِيرَ^(١٧) مَوْجُودُهَا كَمَقْضُودِهَا.

- (١) في هـ. ب: في نسخة: يستعن. (٢) في هـ. ب: أثبتتها.
(٣) في هـ. ب: أثبتتها. (٤) التهافت: التساقط.
(٥) الانفراج: الانفصال. (٦) أي الجبال، (والجبال أوتادا).
(٧) في هـ. ب: جمع سد، وهو الجبل وفي هـ. ب: السد: الحاجز والجبل.
(٨) في هـ. ب: أي أفاض ماء عيونها. (٩) في هـ. ب: أي شق.
(١٠) في هـ. د: بطنت الشيء علمته بمكنونه.
(١١) في ص: «ولا يعجز». وفي هـ. د: ولا يعجزه - ب.
(١٢) في د: وذلت. (١٣) في هـ. ب: أي خاضعة.
(١٤) في هـ. ب، وفي نسخة: فيمنع.
(١٥) في ص: «لا كفؤ». وفي أ و ط: «ولا كفؤ»، وفي د: «ولا كف». (١٦) في ص: «فيكافيه». وفي د: «فيكافئه». (١٧) في ب: يصير.
(١٨) في ب: فيناويه.

وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ آيَتِدَائِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَاخْتِرَاعِهَا وَكَيْفَ وَلَوْ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا - مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا وَمَا كَانَ مِنْ مَرَاحِهَا ^(١) وَسَائِمِهَا ^(٢) وَأَصْنَافِ أَسْنَانِهَا ^(٣) وَأَجْنَاسِهَا وَمُتَبَلِّدَةِ أُمَمِهَا ^(٤) وَأَكْنِاسِهَا ^(٥) - عَلَى إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ مَا قَدَرْتُ عَلَى إِحْدَانِهَا وَلَا عَرَفْتُ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى إِبْجَادِهَا. وَلَتَحَيَّرْتُ عَقُولُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَتَاهَتْ ^(٦) وَعَجَزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ. وَرَجَعْتُ خَاسِئَةً ^(٧) حَسِيرَةً ^(٨) عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ. مُفِرَّةٌ بِالْعَجْزِ عَنْ إِنْشَائِهَا. مُدْعِنَةٌ ^(٩) بِالضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا.

وَأَنَّ سُبْحَانَهُ ^(١٠) يَعُودُ ^(١١) بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحْدَهُ لَا شَيْءَ مَعَهُ. كَمَا كَانَ قَبْلَ آيَتِدَائِهَا كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا بِلَا وَقْتٍ وَلَا مَكَانٍ وَلَا حِينٍ وَلَا زَمَانٍ. عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْأَجَالُ وَالْأَوْقَاتُ ^(١٢). وَزَالَتِ السُّنُونُ وَالسَّاعَاتُ. فَلَا شَيْءَ إِلَّا الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الْأُمُورِ. بِلَا قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ آيَتِدَاءُ خَلْقِهَا. وَبَغَيْرِ أَمْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَائُهَا. وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى أَلَا مَمْتِنَاعٍ لَدَامَ بَقَاؤُهَا لَمْ يَتَكَأَذْهُ ^(١٣) صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ. وَلَمْ يُوْذْهِ ^(١٤) مِنْهَا خَلْقُ مَا بَرَأَهُ وَخَلَقَهُ ^(١٥) وَلَمْ يَكُونْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ. وَلَا لِيَخَوْفٍ ^(١٦) مِنْ زَوَالٍ وَلُفْصَانٍ. وَلَا

(١) في هـ ب: المراح: الموضع الذي يراح الابل اليه بعد الرواح، والتي تراح، أي ثويتها.

(٢) في هـ ب: السائم: الذي [يرعى] من الماشية.

(٣) في ب: أسباخها وفي هـ ب: اشباحها: شخصها واشخاصها: أصولها.

(٤) المتبلدة: العبيّة، وفي هـ ب: مترددة أممها، متحيرة، تلبّد، أي تردّد متحيراً.

(٥) في هـ ب: جمع كيّس.

(٦) في هـ ب: تحيرت.

(٧) في هـ ب: صاغرة

(٨) في هـ ب: منقطعة معيبة.

(٩) في هـ ب: منقادة.

(١٠) في ص: «وان الله سبحانه».

(١١) د: وانه يعود سبحانه في هـ د: وانه سبحانه يعود - ح و ل، وان الله سبحانه يعود - ب.

(١٢) في هـ د: والأوقات والسنون - ب.

(١٣) في هـ د: وروي: لم يتكأذ - ر، ولم يتكأذه - ل و، وفي هـ ب: لم يتأذه، أي هو الله تعالى

فعل الافعال بغير معالجة ولا استحاث، فلم يكذه ولم يثقله، بخلافنا. وفي هـ ص: «بالمذ:

أي لم يشق عليه، ويجوز: يتأكّده، بالتشديد والهمزة، وأصله من العقبة الكؤود، وهي

الشاقة». انتهى من الشرح.

(١٤) أي لم يثقله.

(١٥) في هـ د: خلق ما خلقه وبرأه - ب.

(١٦) في ص: تخوّف.

لِلْأَسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى نِدِّ مُكَاتِّرٍ. وَلَا لِالْاِخْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدِّ مُثَاوِرٍ^(١). وَلَا لِلْإِزْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ. وَلَا لِمُكَاتَّرَةِ شَرِيكِ فِي شُرْكِهِ. وَلَا لَوُحْشَةِ كَانَتْ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا. ثُمَّ هُوَ^(٢) يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا لَا لِسَامٍ^(٣) دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِهَا وَتَذْيِيرِهَا وَلَا لِإِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ. وَلَا لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ. لَا^(٤) يُمِلُّهُ طَوْلُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا لِكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِطُفْفِهِ وَأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ وَأَتَقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا وَلَا أَسْتِعَانَةَ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا^(٥). وَلَا لِانْصِرَافٍ مِنْ حَالٍ وَخَشَةِ إِلَى حَالٍ أَسْتِئْنَسَ. وَلَا مِنْ حَالٍ جَهْلٍ وَعَمَى إِلَى حَالٍ عِلْمٍ وَالْتِمَاسٍ. وَلَا مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ إِلَى غِنَى وَكَثْرَةٍ. وَلَا مِنْ ذُلٍّ وَضَعَةٍ إِلَى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ.

قوله ﴿عَلَى نِدِّ مُكَاتِّرٍ﴾: «ما وحده ... الى قوله: ازله»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: هذا الفصل يشتمل على مباحث متعددة:

أولها قوله: «ما وَحَّدَهُ مَنْ كَيْفَهُ»:

وهذا حق لأنه إذا جعله مكَيِّفًا جعله ذا هيئة وشكل، أو ذا لونٍ وضوء، إلى غيرهما من أقسام الكَيْفِ، ومتى كان كذلك كان جسمًا ولم يكن واحداً، لأنَّ كلَّ جسم قابل للانقسام، والواحد حقاً لا يقبل الانقسام، فقد ثبت أنه ما وَحَّدَهُ مَنْ كَيْفَهُ^(٦).

وقال في شرح ميشم بن علي: دلت هذه الكلمة بالمطابقة على سلب التوحيد له تعالى عَمَّن وصفه بكَيْفِيَّةٍ، وبالالتزام على أنه لا يجوز تكييفه لمنافات ذلك للتوحيد الواجب له. ولنشر الى معنى الكَيْفِيَّةِ لِيَتَبَيَّنَ أنه لا يجوز وصفه بها. فنقول:

أمّا رسمها، فقيل: إنها هيئة قارّة في المحلّ لا يوجب اعتبار وجودها فيه نسبة إلى أمر خارج عنه؛ ولا قسمة في ذاته، ولا نسبة واقعة في أجزائه. وبهذه القسيود نفارق سائر الأعراض.

(١) في هـ. ا: المثاورة: الموائبة.

(٢) لم ترد «هو» في ب.

(٣) السام: الملل والضجر.

(٤) في ص: ولا يمله.

(٥) في الف: عليه.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٦٩.

وأما أقسامها، فإما أن تكون مختصة بالكم من جهة ما هو كم، كالمثلثية والمربعية وغيرهما من الأشكال للسطوح. وكالاستقامة والانحناء للخطوط. وكالفردية والزوجية للأعداد وهذا قسم أول.

وإما أن لا تكون مختصة به، وهي إما أن تكون محسوسة كالألون والطعوم والروائح وحرارة والبرودة، وهذا ينقسم إلى راسخة كصفرة الذهب وحلاوة العسل، وتسمى كميّات انفعالية؛ إما لانفعال الحواس عنها، وإما لانفعالات حصلت في الموضوعات عنها، أو غير راسخة إما سريعة الزوال كحمرة الخجل، ونسمى انفعالات لكثرة انفعالات موضوعاتها بسببها بسرعة، وهذا قسم ثاني.

وإما أن لا تكون محسوسة، وهي إما لاستعدادات إما لكمالات، كالاستعداد للمقاومة والدفع، وإما للانفعال ويسمى قوة طبيعية، كالمصاحبة والصلابة، أو لنفائض مثل الاستعداد بسرعة للإدغان و لانفعال، ويسمى ضعفاً ولا قوة طبيعية كالمراضية

وإما أن لا يكون استعداد لكمالات أو نقائص إبل يكون في أنفسها كمالات أو نقائص^(١)، وهي مع ذلك غير محسوسة بذواتها، فما كان منها ثابتاً سمي ملكة كالعلم والعفة والسجاعة، وما كان سريع لزوال سمي حالاً كغضب الحميم ومرض الصحاح فهذه أقسام الكيف. إذا عرفت ذلك فنقول:

إنما قلنا: إنه يلزم من وصفه بالكيفية عدم توحيده لما بيّنه في الخطبة الأولى من قوله ﷺ: «فمن من وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه» وكما سبق تقريره فينبج أن من وصف الله سبحانه فقد ثناه، وحينئذ نبين أن من كيفه لم يوحد له لأن توحيده وتثنيته ممّا لا يجتمعان. (انتهى كلام ميثم)^(٢).

أقول: وما ذكره فهو على اصطلاح الحكماء، وذكر في التمثيل والاعراض التي بها لكيف. ولأقرب والأوضح على عرف اللغة: أن الكيفية ما يرسم في الخيال من هيئة الذات متخلية بالمعنى المقصود؛ وذلك ان الكيفية نسبة الى كيف، فهي مدلول ما يقال في جواب السؤال بكيف، وهو اللفظ الدال على ذات باعتبار معنى هو المقصود من وضع

(١) من شرح ميثم بن علي.

(٢) شرح ميثم بن عبي ١٥٢.

اللفظ كقائم، قاعد، صحيح، سقيم، أحمر، أبيض، حلو، حامض، طويل، قصير، عريض، مستوي، منحني، عالم، جاهل، قوي، ضعيف، كلها بمعنى: ذو كذا، فالوصف بالعرض لازم للوصف بالکیفیة؛ لأنه جزء مدلول اللفظ الدال عليها، فمن ثم نفى عليه السلام التوحيد عن المكيف، والله أعلم.

قال ابن أبي الحديد: وثانيها: قوله: «ولا حقيقة أصاب من مثله»:

وهذا حق؛ لأنه تعالى لا مثل له، وقد دلت الأدلة الكلامية والحكمية على ذلك، فمن أثبت له تعالى مثلاً، فإنه لم يصب حقيقة تعالى، والسجعة الأخرى تعطي هذا المعنى أيضاً من غير زيادة عليه، وهي قوله عليه السلام: «ولا إياه عنى من شبهه» انتهى^(١).

وقال القاسم بن ابراهيم: فمن وصف الله بهيئات خلقه أو شبهه بشيء من صنعه أو توهمه صورة أو جسماً أو شبحاً، أو أنه في مكان دون مكان، أو أن الأقطار تحويه، أو أن الحجب تستره، أو أن الأبصار تدركه أو أنه لم يخلق كلامه وكتبه والقرآن وغيره من كلامه أو أحكامه، أو أنه كشيء مما خلق، أو أن شيئاً من خلقه يدركه ما كان أو يكون بجارحة أو حاسة، فقد نقاه وكفر به وأشرك به، انتهى.

قال ابن أبي الحديد: وثالثها: قوله عليه السلام: «ولا صمده من أشار إليه» وتوهمه. الصمد في اللغة العربية: السيد. والصمد أيضاً الذي لا جوف له، وصار التصميد في الاصطلاح العرفي عبادة عن التنزيه، والذي قال عليه السلام حق، لأن من أشار إليه - أي أثبت في جهة كما تقول الكرامية - فإنه ما صمده، أي ما نزهه عن الجهات، بل حكم عليه بما هو من خواص الأجسام، وكذلك من توهمه سبحانه، أي من خيل له في نفسه صورة أو هيئة أو شكلاً، فإنه لم ينزهه عما يجب تنزيهه عنه^(٢).

انتهى تفسير ابن أبي الحديد وهو صحيح، ان كانت الرواية: «صمده» - بشد الميم - فاما ان كانت الرواية بتخفيف الميم فالمعنى: لم يقصده بالعبادة والدعاء من أشار إليه وتوهمه بل عدل الى غيره، فيكون حاصل السجعات الثلاث واحداً، وهو أن المشبه له غير مؤمن به، ولا عابد له، ولا مسلم وجهه إليه، والله أعلم.

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٦٩ - ٧٠. (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٧٠.

قوله ﷺ: «كل معروف بنفسه... الى قوله: معلول»:

فسّر ابن أبي الحديد هاتين السجعتين بتفسير استشكلهما على فوده وتكلّف في الجواب وتعسف^(١).

ويقرب إلى ذهني قصده ﷺ الى أحد معنيين:

احدهما: كل ما يعرف من درك الحواس له ومشاهدتها له فهو مصنوع؛ إذ إدراكها مقصور على الأجسام والأعراض، ثم أكّده بقوله: وكل قائم - أي متمكن - في سواء معلول، إشارة الى أنّ مدرك الحواس لا بدّ أن يكون ذا جهة ومحل - كما هو مقرر في دليل المقابلة - ومعنى «معلول»: كمعنى مصنوع، أي محدث جسم أو عرض.

وثانيهما: كل معروف بنفسه، أي معروفة ذاته وهويّته فهو مصنوع، وكل ذي مكان فهو معلول، تأكيد للرد على المشبهه مجوّزي الرؤية؛ فإنّهم يزعمون انهم يعلمون بالرؤية حقيقة ذاته، ويلزمهم أن يكون في محل لتصح رؤيته، وذانك أمران يختصان المحدثان الأجسام والأعراض، والله أعلم

قوله ﷺ: «فاعل لا باضطراب آلة»:

قل في الشرح: هذا الشأن^(٢) الفرق بينه وبيننا، فإنّا نفعل بالآلات. وهو سبحانه قادر لذاته فاستغنى عن الآلة

وسابعا^(٣): قوله: «مقدّر لا بجول فكرة»:

هذا أيضاً للفرق بيننا وبينه، لأنّا إذا قدرنا أجّلنا أفكارنا، وتردّدت بنا الدواعي، وهو سبحانه يقدر الأشياء على خلاف ذلك.

وثامنها: قوله: «غني لا باستفادة»:

هذا أيضاً للفرق بيننا وبينه، لأن الغنيّ ممّا من يستفيد الغنى بسبب خارجي، وهو سبحانه لا يحتاج الى شيء من الأشياء أصلاً انتهى كلام ابن أبي الحديد^(٤).

أقول: جرت هذه السجعات الثلاث على نمط ذكره للوصف الذي يطلق على الباري

(١) انظر نفس المصدر ١٣: ٧٠ و ٧١. (٢) في ط: البيان.

(٣) كذ ولم يتعرض الشارح للمورد ٤ - ٦. (٤) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٧١

سبحانه وعلى غيره، ثم بشير الى نفي المتبادر منه في حق الغير؛ لانه المألوف، دفعا للتوهم، كما قال عليه السلام: «التوحيد أن لا تتوهمه».

وتاسعها: قوله: «لا تصحبه الأوقات»:

هذا بحث شريف جداً، وذلك لأنه سبحانه ليس بزمني ولا قابل للحركة، فذاته فوق الزمان والدهر؛ أمّا المتكلمون فإنهم يقولون: إنه تعالى كان ولا زمان ولا وقت.

وعاشرها: قوله: «ولا تُرَفِّدُه الأدوات»:

رفدت فلانا: إذا أعتته؛ والمراد الفرق بيننا وبينه؛ لأنّا مرفودون بالأدوات، ولولاها لم يصحّ منا الفعل، وهو سبحانه بخلاف ذلك.

وحادي عشرها: قوله: «سبق الأوقات كونه... إلى آخر الفصل»:

هذا تصريح بحدوث العالم.

فإن قلت: ما معنى قوله: «والعدم وجوده»، وهل يسبق وجوده العدم مع كون عدم العالم في الأزل لا أول له؟

قلت: ليس يعني بالعدم ها هنا عدم العالم بل عدم ذاته سبحانه، أي غلب وجود ذاته عدمها وسبقها، فوجب له وجود يستحيل تطرّق العدم اليه أزلا وأبداً بخلاف الممكنات، فإنّ عدمها سابق بالذات على وجودها، وهذا دقيق! انتهى كلام ابن أبي الحديد^(١).

قول: الذي يلوح أنّ قوله: «سبق الأوقات... إلى آخره»، تأكيد وشرح لمعنى قوله: «لا تصحبه الأوقات»، والله أعلم.

فوله عليه السلام: «بتشعيّره المشاعر... إلى آخره»:

قد شرح ابن أبي الحديد هذه الألفاظ بكلام استبعده، ويقرب عندي أنّه عليه السلام أراد: أنّا لما وجدنا المشاعر وهي الحواس لا تكون إلّا بفعل فاعل هو فاعل من تكون له، دليل ذلك اختلافها باعتبار ثبوتها في الأجسام وانتفاءها، وكمالها ونقصاتها، وقوتها وضعفها، لم يجز أن تضاف إليه تعالى؛ لاستحالة لحاق الحادثات بذاته الواجبة.

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٧٢، قلت ولعل مراده عليه السلام أن وجود العالم مشوب ومقرون بالعدم، وهو في عين وجوده عدم من جهة من الجهات، بخلافه تعالى فانه وجود لا عدم فيه أصلاً.

وقال: لما كان التضاد بين الأمور يجعل جاعل دليبه اختلاف المتضادة في وجوهه وثبوتها وانتفائه، واجتماع ضدّين على وجه ينفي حكم التضاد عنهما، ولا يجوز أن يلحق ما به التضاد ذاته؛ لاستحالة لحوق الحادّات بذاته الواجبة.

وقال: لما كان الافتران بين الشيئين انما يكون بفعل فاعل، دليل ذلك اختلاف الأشياء باعتبارها، وحصوله بعد عدمه، وانتفائه بعد ثبوتها، فلا يجوز لحوفه لذاته.

ثم أنّه أشار ﷺ الى بيان أنّ التضاد والمقارنة تكوينان من فعل الفاعل بقوله: «ضادّ النور بالظلمة» فينتفي أحدهما بالآخر، وقد يقرن بينهما فيجتمعان كما في أغباش أوّل الليل وأوّل النهار، والوضوح - وهو البياض - بالبهمة - وهي السواد، وقد يقرن بينهما كما في الأشهب والأكدر والأزرق، والجمود - وهو الشدة والصلابة - بالبلل، وهو الرقة والرخاوة، وقد يجتمعان كما في اللبن والرطب، والحر - كما في النار - والبرد - كما في الماء - وقد يقرن بينهما كما في الساخن.

قال ابن أبي الحديد: ثم قال: وإنّه تعالى مؤلّف بين هذه المتباعدات، المتعادات المتباينات، وليس المراد من تأليفه بينها جمعه إياها في مكان واحد، كيف وذلك مستحيل في نفسه، بل هو سبحانه مؤلّف لها في الأجسام المركّبة حتى خلع منها صورة مفردة، هي المزاج، ألا ترى أنّه جمع الحارّ والبارد والرطب واليابس، فمزجه مزجاً مخصوصاً حتى انتزع منه طبيعة مفردة ليست حرارة مطلقة، ولا باردة مطلقة، ولا رطوبة مطلقة، ولا يابسة مطلقة، وهي المزاج، وهو محدود عند الحكماء؛ بأنّه كميّة حاصلة من كميّات متضادّة، وهذا هو محصول كلامه ﷺ بعينه.

والعجب من فصاحته في ضمن حكمته، كيف أعطى كلّ لفظة من هذه اللفظات ما يناسبها ويليق بها، فأعطى المتباعدات لفظة «مقرّب»؛ لأنّ البعد بإزاء القرب، وأعطى المتباينات لفظة «مقارن»، لأنّ البينونة بإزاء المقارنة، وأعطى المتعادات لفظة «مؤلّف» لأنّ الائتلاف بإزاء التعادي.

ثم عاد ﷺ فعكس المعنى، فقال: «مفرّق بين متدانياتها»، فجعل الفساد بإزاء الكون، وهذا من دقيق حكمته ﷺ، وذلك لأنّ كلّ كائن فاسد، فلما أوضح ما أوضح في الكون

والتركيب والإيجاد، أعقبه بذكر الفساد والعدم، فقال: «مفروق بين متدانياتها»، وذلك لأن كل جسم مركب من العناصر المختلفة الكيفيات المتضادة الطبائع، فإنه سيؤول إلى الانحلال والتفروق انتهى^(١).

قلت: قصده رحمه الله بيان أن الجمع والفرق والتناسب والتباين بين الأشياء وجميع صفات الأجسام حصلت بفعل الفاعل المختار، فلا يجوز أن يضاف شيء من تلك الصفات إليه سبحانه؛ لاستحالة لحاق الحادثات ذاته عزّ وجلّ.

قوله رحمه الله: «لا يشمل بحد»:

أي ليس بذى نهاية تحويه الاقطار وتحده وتشتمل عليه كما يشتمل الظرف على المظروف فيمنعه من مجاوزة حده. وعقب ذلك بقوله: «ولا يحسب بعد» تكميلاً للمعنى الأول لأن العد إنما يلحق بالمحدود المتناهي.

ثم لما كان التحديد القولي والاشارة الحسية إنما تلحقان المحدود بالأماكن عقب ذكرهما فقال: «وإنما تحدّ الأدوات أنفسها، وتشير الآلات إلى نظائرها»:

وذلك لأن الأدوات كالجوارح، إنما تحدّ وتقدر ما كان مثلها من ذوات المقادير، وكذلك إنما تشير الآلات وهي الحواس إلى ما كان نظيراً لها في الجسمية ولوازمها، والبري تعالى ليس بذى مقدار ولا جسم، ولا حال في جسم، فاستحال أن تحدّ الأدوات، وتشير إليه الآلات^(٢).

قوله رحمه الله: «منعتها منذ القدم... إلى آخر الفقرات الثلاث»:

قال ابن أبي الحديد: أن الضمير المؤنث المفعول في «منعتها» وما بعده، يعود إلى الآلات والأدوات.

والأولى: أنه عائد إلى الأشياء التي تقدم ذكرها، يقول: إن إطلاق لفظة منذ عليها يمنعها عن كونها قديمة. لأن لفظة «منذ» وضعت لابتداء الزمان كلفظة «من» لابتداء المكان، والقديم لا ابتداء له، وكذلك إطلاق لفظة «قد» تمنعها وتحميها من كونها أزلية^(٣)؛

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٧٥-٧٦. (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٧٧.

(٣) في ط: إطلاق لفظة «قد» على الآلات والأدوات تحميها وتمنعها من كونها أزلية.

لأن «قد» لتقريب الماضي من الحال، تقول: قد قام زيد، فقد دلّ على أن قيامه قريب من الحال التي أخبرت فيها بقيامه، والأزلي لا يصح عليه ذلك، وكذلك إطلاق لفظة «لولا» عليها يمنعها، لأن^(١) لفظة «لولا» وضعت لامتناع الشيء لوجود غيره، وأنت تقول في الأشياء هذا الجسم ما أحسنه^(٢) لولا أنه فن! وما أتمّه لولا كذا^(٣)!

قوله عليه السلام: «بها تجلّى صانعها للعقول»:

أي ان احتياجها اليه في وجودها وقيامها دليل على وجوده وتدبيره لها، وبها امتنع عن نظر العيون، أي قام الدليل على ان المرئي لا يكون إلا جسماً أو عرضاً؛ لأن المرئي لا بد أن يكون في جهة وذو الجهة لجسم والعرض، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «لا يجري عليه السكون والحركة ... الى قوله: مدلولاً عليه»:

أقول: أنه أقام البرهان على استحالة جريان السكون والحركة عيه، أولاً بالاستفهام على جهة الإنكار، إشارة الى أن الحاق الحوادث بذاته ضروري الاستحالة، فقال: لو جريا عيه لكان مجريهما ومعيدهما ومحدثهما لنفسه؛ لاستحالة تأثير غيره في ذاته كما ذكره في قوله: «وخرج سلطان الامتناع ... إلى آخره»، وتأثيره في نفسه محال ضرورة.

ثم بين ذلك ووضّحه بما يلزم عنه من المحال، فقال: «إذا لتفاوت ذاته» وذلك لنزوم أن يكون موجوداً قبل وجود السكون والحركة؛ ضرورة تقدم المؤثر على أثره.

والمعلوم من شأن الحركة والسكون أنه لا يوجد ما يجريان عليه قبل وجودهما، بل لا بد أن يقترن وجوده بأحدهما فيلزم حدوثه كحدوثهما فتكون ذاته قديماً لأنه مؤثر، حادثاً لاقتترانه بالحدث وهذا تفاوت وتناف ظاهر.

ثم قال: «ولتجزأ كنهه»:

وهو في معنى الكلام الأول، أي يلزم أن يكون بعض مفهومه مؤثراً قديماً وبعضه مؤثراً فيه حادثاً، ولا تمتنع من الأزل معناه؛ لأنه يلزم ضرورة من جريان السكون والحركة عليه حدوثه.

(١) في ط: لفظة «لولا» عسى الأدوات والآلات يجنبها التكملة ويمنعها من التمام المطلق لأن.

(٢) في ط: في لأدوات والآلات وكل جسم ما أحسنه.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٧٧.

قال عليه السلام: «ويلزم من القول بجريان السكون والحركة عليه ان يكون له جهات أربع تحيط به»:

وذلك لأن معنى الحركة الانتقال إلى جهة من غيرها، فإذا فرض تحركه الى أمام لزم أن يكون له وراء هي الجهة التي انتقل عنها، وكذلك في اليمين والشمال والفوق والتحت، فيلزم أن يكون محدوداً محصوراً بجهات، وذلك محال في حقه تعالى.

وقال ابن أبي الحديد: ان في قوله: «ولتجزأ كنهه ولكن له وراء» إشارة إلى نفي الجوهر الفرد وابطال القول به على قائله^(١).

ثم قال عليه السلام: «ولا التمس التمام إذ لزمه النقصان»:

قال ابن أبي الحديد: هذا اشارة الى ما يقوله الحكماء، من أن السكون عدم ونقص، والحركة وجود وكمال، فلو كان سبحانه يتحرك ويسكن لكان حال السكون ناقصاً قد عدم عنه كماله، فكان ملتصقاً كماله بالحركة الطارئة على السكون، وواجب الوجود، يستحيل أن يكون له حالة نقصان، وأن يكون له حالة بالقوة وأخرى بالفعل، انتهى^(٢).

أقول: هذا يصلح رداً على أصحاب أبي هاشم الذاهبين الى أن «سميعاً» «بصيراً» حالان بالقوة، و«سامع» «مبصر» حالان بالفعل.

قوله عليه السلام: «وإذا لقامت آية المصنوع فيه»:

وذلك أن دليل حدوث الجسم مقارنته للحدث وهو السكون والحركة وعدم جواز انفكاكه عنهما

قوله عليه السلام: «وليحول دليلاً»؛ وذلك لأنه اذا ثبت حدوثه لم يكن له بد من محدث، وقد تقرّر أنه غاية الضرورة.

وفي شرح ميثم بن علي ما رسمه: وقد أشار عليه السلام الى بيان امتناعهما عليه من وجوه:

أحدها قوله: «وكيف يجري عليه... إلى قوله: أحدثه»:

وهو استفهام على سبيل الاستنكار؛ لجريان ما أجراه عليه وعود ما أبداه وأنشأه إليه وحدث ما أحدثه فيه.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٧٩.

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٧٨.

وبيان بطلان ذلك: أن الحركة والسكون من آثاره سبحانه في الأجسام، وكلّ ما كان من آثاره فيستحيل أن يجري عليه ويكون من صفاته

أمّا المقدّمة الأولى فظاهرة، وأمّا لثانية، فلأنّ المؤثر واجب التقدّم بالوجود على الأثر، فذلك لأثر بما أن يكون معتبراً في صفات الكمال، فيلزم أن يكون تعالى باعتبار ما هو موجود له ومؤثر فيه ناقصاً بذاته مستكماً بذلك الأثر، والنقص عليه تعالى محال، وإن لم يكن معتبراً في صفات كماله فله الكمال المطلق بدون ذلك الأثر، فكان إثباته صفة له نقصاً في حقّه؛ لأنّ الزيادة على الكمال المطلق نقصان وهو عليه تعالى محال

الثاني: لو كان كذلك للزم التغيّر في ذاته تعالى ولحوق الإمكان له، ودلّ على ذلك بقوله: «إذن لتفاوتت ذاته» أي تغيّرت بطريقتين الحركة عليها تارة والسكون أخرى؛ لأنّ الحركة والسكون من لحوادث المتغيّرة، فيكون تعالى بقبوله لتعاقبهما محلاً للحوادث والتغيّرات، فكان متغيّراً، لكن التغيّر مسلّم للإمكان، فالواجب لذاته ممكن لذاته، هذا خلف

الثالث: لو كان كذلك للزم حقيقته التجزئة والتركيب، لكن التالي باطل فالمقدّم كذلك. أمّا الملازمة: فلأنّ الحركة والسكون من عوارض الجسم الخاصّة به، فمواتصف تعالى بهما لكان جسماً، وكلّ جسم فهو مركّب قابل للتجزئة

وأمّا بطلان التالي: فلأنّ كلّ مركّب مفترق لى أجزائه، وممكن فالواجب ممكن. هذا

خلف

الرابع: أتته لو كان كذلك للزم أن يبطل من الأزل معناه، أمّا على طريق المتكتمين فظاهر: لأنّ الحركة والسكون من خواصّ الأجسام الحادثة، فيكون الموصوف بهما حادثاً، فلو كان تعالى موصوفاً بهما لبطل من الأزل معناه ولم يكن أزليّاً.

وأمّا على رأي الحكماء [فلأنّه تعالى لكونه واجب الوجود لذاته يستحقّ الأزليّة، ولكون الممكن ممكناً لذاته، فهو إنّما يستحقّ الأزليّة لا لذاته بل لأزليّة علته وتسامها أزلاً، حتى لو توقّفت علته على أمر ما في مؤثريّتها لزم حدوث الممكن، ولم يكن له من ذاته إلا كونه لا يستحقّ لذاته وجوداً ولا عدماً، وهو معنى الحدوث الذاتي عندهم.

فعلى هذا، لو كان تعالى قابلاً للحركة والسكون لكان جسماً ممكناً لذاته، فكان مستحقاً للحدوث الذاتي بذاته، فلم يكن مستحقاً للأزليّة بذاته، فيبطل من الأزليّة معناه، وهو استحقاقه الأزليّة بذاته، لكن التالي باطل لما مرّ^(١).

الخامس: أنّه لو كان كذلك للزم أن يكون له وراء إذ وجد له أمام، ووجه الملازمة: أنّه لو جرت عليه الحركة لكان له أمام يتحرّك إليه، وحينئذ يلزم أن يكون له وراء؛ إذ له أمام؛ لأنّهما إضافتان لا تنفك إحداهما عن الأخرى، لكن ذلك محال؛ لأنّ كلّ ذي وجهين فهو منقسم، وكلّ منقسم فهو ممكن على ما مرّ.

السادس: لو كان كذلك لالتمس التمام إذ لزمه نقصان، وبيان الملازمة: أنّ جريان الحركة عليه مستلزم لتوجهه بها إلى غاية إمّا جلب منفعة أو دفع مضرة؛ إذ من لوازم حركات العقلاء ذلك.

وعلى التقديرين فهما كمال مطلوب له، لنقصان لازم لذاته، لكن النقصان بالذات والاستكمال بالغير مستلزم الامكان فالواجب ممكن، هذا خلف.

السابع: لو كان كذلك لقامت آية المصنوع فيه، وبيان الملازمة: أنّه حينئذ يكون قادراً على الحركة والسكون، فقدّرت عليه عليهما ليست من خلقه وإلا لاقتقر ايجاده لها الى قدرة أخرى سابقة عليها ولزم التسلسل، وكان قادراً قبل أن كان قادراً وهما محالان، فهي إذاً من غيره، فهو إذن مفتقر في كماله الى غيره، فهو مصنوع وفيه آيات الصنع وعلامات التأثير، فليس هو بواجب الوجود، هذا خلف.

الثامن: لو كان كذلك لتحول دليلاً بعد أن كان مدلولاً عيه، وذلك أن يكون مصنوعاً على ما مرّ، وكلّ مصنوع فيستدلّ به على صانعه كما هو المشهور في الاستدلال بوجود العالم وحدوثه على وجود صانعه، ولأنّه يكون جسماً فيكون مصنوعاً فكان دليلاً على الصانع، لكنّه هو الصانع الأوّل للكلّ وهو المدلول عليه، فاستحال أن يكون دليلاً من جهة آثار الصنع فيه، فاستحال أن يكون قابلاً للحركة والسكون، فاستحال أن يجري عليه.

(١) ما بين المعقوفين من ط والعبارة في ص هكذ واما على رأي الحكماء.. الخ ما ذكره على رأيهم.

فانظر الى هذه النفس الملكية له ﷺ كيف يفيض عنها هذه الأسرار الالهية قبضاً من غير تقدّم مزاولة الصنائع العقلية وممارسة البحث في هذه الدقائق الالهية، انتهى^(١)

قوله ﷺ: «وخرج بسطان الامتناع من أن يؤثر فيه ما يؤثر في غيره»:

يريد ﷺ بسطان الامتناع: وجوب وجوده، وأنه «لا يجوز عليه التأثر، والأظهر أن الجملة معضوفة على الكلام السابق قبلها، أعني: «لا تجري عليه السكون والحركة»، وكأنه لما بين أنه لا يصح أن يجريهما في نفسه، عمم امتناع أن يجريهما هو أو غيره فيه؛ لأن التأثر عليه محال، لأنه القاهر غير المقهور.

أو تكون الواو للاستئناف، والمغزى من الايتان بهذه الجملة تأكيد ما سبق ذكره في قوله: «بتشعيرة المشاعر». وما بعده، وفي قوله: «لا يجري عليه السكون والحركة» فإن مضمون هذه الجمل أنه لا يتأثر ولا تلحق الحوادث ذاته.

قوله ﷺ: «لا يحول ولا يزول»:

أي لا يتنقل في الأحوال ويتغير. «ولا يزول»: أي لا يفنى «ولا يجوز عليه الأقول»: أي الغيبة.

وقوله ﷺ: «لم يلد فيكون مولوداً»:

التلازم إما لغلبة كون الوالد مولوداً؛ إذ لم يخرج من ذلك إلا آدم وحواء، وإما لأن الضمير في «فيكون» عائد الى مطلق الرب على تقدير الولادة، أي إذا ثبت والداً لزم أن يكون جنس ولده جنسه، كما قال تعالى: «قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين»^(٢) فيكون ولده رباً مولوداً، والمولود لا يصح أن يكون رباً؛ لأنه كان في ضمن والده والمضمون محدود متناهٍ، والمحدود المتناهي من جنس المحدثات، وهو معنى الفقرة الأخرى، والله أعلم

وقوله ﷺ: «جلّ عن اتخاذ الأبناء»:

لما ذكر استحالة الولادة الحقيقية عليه، نزهه عن اتخاذ الأبناء بذلك المعنى، أو بمعنى أن يصطفي من خلقه ما يشاء فيتبناه، كما كان يزعمه المشركون في الملائكة؛ وذلك لأن

المراد من اتخاذ الأبناء إجابة داعي الحاجة اليهم، والله غنيّ كما نبه عليه قوله: ﴿قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني﴾^(١) الآية.

وقوله: «طهر عن ملامسة النساء»:

أي هو واجب الطهارة، واختار هذه العبارة؛ لأن شأن ملامسة النساء التقذّر، والسجعتان من قوله تعالى: ﴿أنّني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة﴾^(٢) ونحوها.

وقوله ﷺ: «لا يتغيّر بحال»:

أي لا يلحق ذاته الأحوال كالسقم والهرم فتغيّره كما تغيّر الجسم إذا لحقته، ولا يتبدل في الأحوال - أي الأوقات - كما تتبدل الأجسام في الأطوار، والله أعلم.

قوله ﷺ: «لا يوصف بشيء من الأجزاء»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: أي ليس بمركّب؛ لأنّه لو كان مركّباً لافتقر إلى أجزائه، وأجزاؤه ليست نفس هويّته، وكلّ ذاتٍ تفتقر هويّتها إلى أمر من الأمور فهي ممكنة؛ لكنّه واجب الوجود، فاستحال أن يوصف بشيء من الأجزاء.

وقوله: «ولا بالجوارح والأعضاء»:

قال في الشرح: كما يقول مثبتو الصورة، وذلك لأنّه لو كان كذلك لكان جسماً، وكلّ جسم ممكن، وواجب الوجود غير ممكن^(٣).

قوله ﷺ: «ولا بعرض من الأعراض»:

العرض في اللغة: ما يعرض للإنسان من مرض ونحوه، ولا بد للعرض من محلّ يقوم به ويختص به، والباري سبحانه لا يجوز أن يكون محلاً ولا تدلّق الحادثات ذاته فامتنع وصفه بالأعراض.

وقال في شرح ميشم بن علي: أقول: الأعراض تنحصر في تسعة أجناس كما هو معلوم في مظانّه؛ وذلك أنّ كلّ الموجودات سوى الله تعالى مقسوم بعشرة أقسام، واحد منها جوهر والتسعة الباقية أعراض، ويظهر بتقسيم هكذا: كلّ ما عداه سبحانه فوجوده زائد

(٢) الأنعام: ٦ / ١٠١.

(١) يونس: ١٠ / ٦٨.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٨٢.

على ماهيته بالبراهين القاطعة فماهيته إما أن تكون بحيث إذا وجدت كان وجودها لا في موضوع وهذا لمعنيّ بالجوهر، أو يكون وجودها في موضوع وهو المعنيّ بالعرض ونعني بالموضوع المحلّ الذي لا يتقوّم بما يحلّ فيه، بل يبقى حقيقته كما كانت قبل حلوله، كالجسم الذي يحلّه السواد.

ثمّ العرض ينقسم الى أقسامه لتسعة، وهي: الكم، والكيف، والمضاف، وأين، ومتى، والوضع، والملك، وأن يفعل، وأن يفعل ونسمّى هذه الأقسام مع القسم العاشر وهو الجوهر: المقولات لعشر والأجناس العالية، ولرسم كلّ واحد منها ليظهر أنّه تعالى منزّه عن الوصف بشيء منها فنقول:

أمّ الجوهر، فقد عرفت رسمه، وأمّا الكمّ فرسم بأنّه العرض الذي يقبل لذاته المساواة واللامساواة والتجزّي، وقبل الجوهر بسببه هذه الصفات
وأما الكيف، فقد عرفته وعرفت أقسامه.

وأما الإضافة، فهي حالة للجوهر تعرض بسبب كون غيره في مقابلته ولا بعقل وجودها إلّا بالقياس إلى ذلك الغير كالأبوة والبنوة، وقد عرفت وأعرفت أيضاً أقسامها من قبل.

وأما الأين، فهي هيئة وحالة تعرض للجسم بسبب نسبته الى مكان وكونه فيه وليس مجرد النسبة اليه.

وأما متى، فهي حالة تعرض للشيء بسبب نسبته الى زمانه وكونه فيه أو في طرفه، وهو الآن

وأما الوضع، فهو هيئة تعرض للجسم بسبب نسبة أجزائه بعضها الى بعض نسبةً يختلف الأجزاء لأجلها بالقياس الى سائر الجهات كالقيام والقعود.

وأما الملك، فقد عرفت بأنّه نسبة الى ملاصق ينتقل بانتقال ما هو منسوب اليه كالتسلخ والتقمص

وأما أن يفعل، فهو كون الشيء بحيث يؤثّر في غيره مادام مؤثراً فيه كالتقطيع حالة التأثير.

وأما أن يفعل، وهو كون الشيء متأثراً عن غيره مادام متأثراً كالتقطع.
إذا عرفت ذلك فنقول: أما البرهان الجملي على امتناع اتّصافه تعالى بهذه الأعراض
واستحالة كونه موضوعاً لها: فما سبق بيانه عليه السلام بقوله: «فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه،
ومن قرنه فقد ثناه»، وكذلك ما بيّناه من استلزام وصفه بشيء حصول التغيّر في ذاته
وامتناع التغيّر عليه. ثم ذكر التفصلي مع تطويل ^(١) وفيما نقلنا عنه كفاية.
قوله عليه السلام: «ولا بالغيرية والأبعاض»:

أقول: قصده عليه السلام ردع الوهم عن أن يتبادر عند اطلاق أوصاف الكمال عليه تعالى مثل:
عالم، قادر، حي إلى ما هو المألوف عنده في الشاهد من وصف الذات بغير ما هو بعض
مدلول اسمها، مثاله: عالم، بدل في حق الشاهد على علم هو غير الذات، وبعض مدلول
لفظ عالم، لأن مدلوله ذو علم.

فأما في حق الباري فمعنى عالم: ذات مخصوصة يجب بخصوصيتها أن تعلم
المعلومات أبداً.

وهذا هو حقيقة قول الأئمة عليهم السلام: «صفات الله ذاته» أي مسمى علم الله وقدره الله
وحياة الله ووجود الله، ذاته لا معنى هو غيره.

وقد تقدم تحقيق القول في ذلك.

وقد ذكر ذلك ميثم بن علي في مباحث تقدم نقل بعضها وسيأتي نقل بعضها وذكر أن
ذلك مذهب الحكماء.

وقد روى ابن أبي الحديد ذلك عنهم في الوجود، وقد سبق نقله.

قوله عليه السلام: «ولا يقال له حد ولا نهاية»:

قال في الشرح أي ليس ذا مقدار، ولذلك المقدار طرف ونهاية؛ لأنه لو كان ذا مقدار
لكان جسماً، لأن المقدار من لوازم الجسمية، وقد ثبت أنه تعالى ليس بجسم.

قوله عليه السلام: «ولا انقطاع ولا غاية»:

(١) راجع شرح ميثم بن علي ٤: ١٦٧.

لأنه لو جاز عليه العدم في المستقبل لكان وجوده الآن متوقفاً على عدم سبب عدمه، وكلّ متوقف على غيره فهو ممكن في ذاته، والباري تعالى واجب الوجود، فاستحال عليه العدم؛ وأن يكون لوجوده انقطاع، أو ينتهي الى غاية يعدم عندها.

قوله عليه السلام: «ولا أن الأشياء تحويه فتقله»:

أي ترفعه، «أو تهويه»؛ أي تجعله هاوياً الى جهة تحت؛ لأنه لو كان كذلك لكان ذا مقدار أصغر من مقدار لشيء الحاوي له، لكن قد بينّا أنه يستحيل عليه المقادير، فاستحال كونه محوياً

وقوله: «أو أن شيئاً يحمله فيميله الى جانب»؛ أو يعدله بالنسبة الى جميع الجوانب، لأن كلّ محمول مقدّر، وكلّ مقدّر جسم، وقد ثبت أنه ليس بجسم^(١).

وقوله عليه السلام: «ليس في الأشياء بوالج ولا عنها بخارج»:

وذلك ان الولوج والخروج يوصف بهما من يتمكن الاماكن ويتحيز فيها، وذلك محال في حق واجب الوجود، لأن كل ذي مكان محدث، فلا يطلق عليه هذا الوصفان حقيقة ولا مجازاً؛ لعدم الإذن، وإنما ورد الإذن باطلاق حاضر وغير غائب، ومعناهما: عالم محيط.

وقد ذكر في هذا الفصل ما لا يجوز اجراءه عليه تعالى من صفات لمخلوقين وذكر في الفصل الذي بعده ما يجري عليه وعلى غيره، وأشار الى وجه الفرق في الاطلاقين فقال: «يخبر بلا لسان ولهوات ... الى قوله: وأدوات». وذلك لأن الأعضاء والآلات من خصائص الجسم، فما ليس بجسم لا يكون له ذلك. ومعنى كونه مخبراً: أنه فاعل للخبر كما يجيء، ومعنى كونه سامعاً: انه عالم بالسموع.

قوله عليه السلام: «يقول ولا يلفظ»:

قد اختص اللفظ بالقول الخارج من الفم

قوله عليه السلام: «يحفظ ولا يتحفظ»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: أمّا كونه يحفظ فيطلق على وجهين: احدهما أنه يحفظ

بمعنى أنه يحصى أعمال عباده ويعلمها، والثاني كونه يحفظهم ويحرسهم من الآفات والدواهي. وأمّا كونه لا يتحقّق فيحتمل معنيين. أحدهما أنه لا يجوز أن يطلق عليه أنه يتحقّق الكلام، أي يتكلّف كونه حافظاً له، ومحيطاً وعالمّاً به، كالواحد ممّا يتحقّق الدرس ليحفظه، فهو سبحانه حافظٌ غير متحقّق.

والثاني أنه ليس بمتحرّز ولا مشفق على نفسه خوفاً أن تبدر إليه بادرة من غيره^(١).

قوله ﷺ: «يريد ولا يضر»:

قال ميشم بن علي: إرادته تعالى تعود إلى اعتبار كونه تعالى عالماً بما في الفعل من الحكمة والمصلحة الذي هو مبدء فعله، ولا فرق في حقّه تعالى بين الإرادة والداعي، ولما كن المتعارف من الإرادة أنها ميل القلب نحو ما يتصوّر كونه نافعاً ولذيذاً، وذلك الميل من المضمرات المستكنّة في القلب، لا جرم كان إطلاق الإرادة في حقّه يستلزم تصوّر الاضرار، ولما تنزّه سبحانه عن الإضرار لا جرم احترز عنه في اطلاق المريد عليه تعالى، فكان ذلك الاحتراز كالقرينة الصارفة للفظ عن حقيقته الى مجازه وهو الاعتبار المذكور، انتهى^(٢).

قوله ﷺ: «أنه يحبّ ويرضى من غير رقة، ويبغض ويبغض من غير مشقة»:

قال ابن أبي الحديد: وذلك لأن محبته للعبد إرادته لأن يشبهه، ورضاه عنه أن يحمد فعله، وهذا يصحّ ويطلق على الباري، لا كإطلاقه علينا، لأنّ هذه الأوصاف يقتضي إطلاقها رقة القلب، والباري ليس بجسم، وأمّا بغضه للعبد فإرادة عقابه وغضبه كراهية فعله ووعيده بإتزال العقاب به، وفي الأغلب إنما يطلق ذلك علينا ويصحّ ممّا مع مشقة تنالنا من انزعاج القلب وغليان دمه، والباري ليس بجسم، انتهى^(٣).

قوله ﷺ: «انه يقول لما أراد كونه: كن؛ فيكون من غير صوت يقرع، ولا نداء يسمع»:

أقول: يحتمل أن يكون مراده ﷺ من هذا الكلام ظاهره، كما هو مذهب أبي الهذيل ومن وافقه في معنى قوله تعالى: «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون»^(٤) ولا بُعد في ذلك.

(٢) شرح ميشم بن علي ٤: ١٧٠.

(٤) يس: ٣٦ / ٨٢.

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٨٥.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٨٥.

وتحقيق هذا القول: إن الله جعل كلمة التكوين سبباً يحدث عنه الكائنات، لا لحاجته الى ذلك ولكن له في ربط أفعاله بالأسباب، حكمة استأثر بعلمها.

ويؤيد ذلك تسمية الكائنات كلمات كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَشْرِكُ بِكَلِمَةِ مِنْهُ اسْمَهُ الْمَسِيحَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ﴾^(١) وقوله: ﴿مِثْلَ كَلِمَةِ طَيِّبَةٍ﴾^(٢) ﴿مِثْلَ كَلِمَةِ خَبِيثَةٍ﴾^(٣) ومعنى قوله ﷺ: لا بصوت يقرع ولا نداء يسمع.

إن الصوت المحدث للتكوين لا يقرع صمخاً للمكوّن، كما هو شأن الكلام الموجّه الى الغير، ولا يسمع المنادى به ذلك النداء، كما هو شأن النداء لموجّه الى الموجود، لأنّ المنادى هنا معدوم.

ويحتمل أن يربد المعنى الذي تأوّل عليه المأوّلون الآيات القرآنية، وهو معروف.

قوله ﷺ: «وإنما كلامه سبحانه فعل منه انشاء ومثله»:

قال في الشرح: يقال: مثّلت له كذا تمثيلاً، إذا صوّرت له مثاله بالكتابة أو بغيرها، فالباري مثّل القرآن لجبريل ﷺ بالكتابة في اللوح المحفوظ فأنزله على محمد ﷺ. وأيضاً يقال: مثّل زيد بحضرتي إذا حضر قائماً، ومثّلت بين يدي زيد أي أحضرته منتصباً، فلمّا كان الله تعالى فعل القرآن واضحاً بينا كان قد مثّله للمكلّفين^(٤).

أقول: وفي هذه العبارة إشارة الى أن الباقي مثال القرآن لا نفس الأصوات، لأنها أعراض تفنى، كما حقّق فمن أراد أن يسمعه أو يسمعه أجراه على آلة تكلمه فيكون الحكم للمجري المحكي، وهكذا شأن كل كلام، والله أعلم.

وقوله ﷺ: «لم يكن من قبل ذلك كائناً... الى قوله: ثانياً»:

اعلم أن القدم هو وجوب الوجود الذي هو أخص صفات الباري تعالى، فمن وصف به وصف بالالهية؛ إذ هو لمؤثر غير المؤثر الذي اقتضته الضرورة، ولم يقتض إلا واحداً.

قال في شرح ميثم بن علي: وأشار بقوله: «ولو كان قديماً لكان الهاً ثانياً» إلى برهان حدوثة وهو قياس استثنائي وتفريره: لو كان كلامه تعالى قديماً لكان كلامه إلهاً ثانياً لكن

(١) آل عمران: ٤٥ / ٣.

(٢) إبراهيم: ٢٤ / ١٤.

(٣) إبراهيم: ٢٦ / ١٤.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٨٧.

التالي باطل، فالمقدم كذلك فأما بيان الملازمة: فلائه لو كان قديماً لكان إما واجب الوجود وإما ممكن الوجود، والثاني باطل، لأنه لو كان ممكناً مع أنه موجود في الأزل لكان وجوده مفتقراً إلى مؤثر، فذلك المؤثر إن كان غير ذاته تعالى فهو محال لوجهين:

أحدهما: أنه يلزم افتقاره تعالى في تحصيل صفته إلى غيره فهو محال.

الثاني: أنه يلزم أن يكون في الأزل مع الله غير فيكون مستنداً إليه في حصول تلك الصفة فيكون إلهاً ثانياً بل هو الأولى بالإنسية، هذا محال. وإن كان المؤثر في كلامه ذاته فهو محال أيضاً؛ لأن المؤثر واجب التقدم على الأثر فالكلام إما أن يكون من صفات كماله أولاً يكون، فإن كان الأول فتأثيره فيه إن كان - وكل كمال له حاصلًا له بالفعل - فقد كان وصف الكلام حاصلًا له قبل أن كان حاصلًا، هذا خلف. وإن كان تأثيره في حال ما هو خال عن صفة الكلام، فقد كان خالياً عن صفة كماله فكان ناقصاً بذاته، وهذا محال.

وأما إن لم يكن الكلام من صفات كماله كان إثباته له في الأزل إثباتاً لصفة زائدة على الكمال وازيادة على الكمال نقصان. فتعين أنه لو كان قديماً لكان واجب الوجود لذاته فكان إلهاً ثانياً.

وأما بطلان التالي، فلما بينا من كونه تعالى واحداً. فثبت بهذا الدليل الواضح أنه لا يجوز أن يكون كلامه قديماً، انتهى^(١).

قوله عليه السلام: «وانه سبحانه يعود بعد فناء الدنيا ... الى آخره»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: شرع أولاً في ذكر إعدام الله سبحانه الجواهر وما يتبعها ويفوم بها من الأعراض قبل القيامة، وذلك لأن الكتاب العزيز قد ورد به، نحو قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾^(٢)؛ ومعلوم أنه بدأه عن عدم، فوجب أن تكون الإعادة عن عدم أيضاً. وقال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾^(٣)؛ وإنما كان أولاً لأنه كان موجوداً، ولا شيء من الأشياء بموجود، فوجب أن يكون آخراً كذلك، هذا هو مذهب جمهور أصحابنا وجمهور المسلمين.

(٢) الأنبياء: ٢١ / ١٠٤.

(١) شرح ميشم بن علي ٤: ١٧٣.

(٣) الحديد: ٥٧ / ٣.

ثم ذكر أنه يكون وحده سبحانه بلا وقت ولا مكان، ولا حين ولا زمان، وذلك لأن المكان إما الجسم الذي يتمكن عليه جسم آخر، أو الجهة، وكلاهما لا وجود له بتقدير عدم الأفلاك وما في حشوها من الأجسام، أما الأول فظاهر، وأما الثاني، فلأن الجهة لا تتحقق إلا على تقدير وجود الفلك لأنها أمرٌ اضافي بالنسبة إليه، فتقدير عدمه لا يبقى للجهة تحقق أصلاً، وهذا هو القول في عدم المكان حينئذ.

وأما الزمان والوقت وحين، فكل هذه الألفاظ تعطي معنى واحداً، ولا وجود لذلك المعنى بتقدير عدم لفلك، لأن الزمان هو مقدار حركة الفلك، فإذا قدرنا عدم الفلك فلا حركة ولا زمان.

ثم أوضح ﷺ ذلك وأكد، فقال: «عدمت عند ذلك لآجال والأوقات، وزالت السنون والساعات»، لأن الأجل هو الوقت الذي يحل فيه الدين أو تبطل فيه الحياة، وإذا ثبت أنه لا وقت، ثبت أنه لا أجل، ولا سنة ولا ساعة؛ لأنها أوقات مخصوصة.

ثم قال الشارح: فان قلت: إذا كان يقنيها لا لكذا ولا لكذا، وكان من قبل أوجدها لا لكذ ولا لكذا، ثم قلت: إنه يعيدها لا لكذ ولا لكذا، فلا يي حال أوجدها أولاً، ولا يي حال فناها ثانياً، ولا يي حال أعادها ثالثاً؟ خبرونا عن ذلك، فإنكم قد حكيتم عنه ﷺ الحكم ولم تحكوا عنه العلة!

قلت: إنما أوجدها أولاً للإحسان إلى البشر ليعرفوه، فإنه لو لم يوجد لهم لبقى مجهولاً لا يعرف، ثم كلف البشر ليعرضهم للمنزلة الجليلة التي لا يمكن وصولهم إليها إلا بالتكليف وهي الثواب، ثم يقنيهم لأنه لا بد من انقطاع التكليف ليخلص الثواب من مشاق التكليف؛ وإذا كان لا بد من انقطاعه فلا فرق بين انقطاعه بالعدم المطلق، أو بتفريق الأجزاء، وانقطاعه بالعدم المطلق قد ورد به الشرع، وفيه لطف زائد للمكلفين؛ لأنه أرفع وأهيب في صدورهم من بقاء أجزائهم، واستمرار وجودها غير معدومة.

ثم إنه سبحانه يبعثهم ويعيدهم ليوصل إلى كل إنسان ما يستحقه من ثواب أو عقاب، ولا يمكن إيصال هذا المستحق إلا بالإعادة، وإنما لم يذكر أمير المؤمنين ﷺ هذه التعليقات، لأنه قد أشار إليها فيما تقدم من كلامه، وهي موجودة في فرش خطبه، ولأن

مقام الموعظة غير مقام التعليل، وأمير المؤمنين عليه السلام في هذه الخطبة يسلك مسلك الموعظة في ضمن تمجيد الباري سبحانه وتعظيمه، وليس ذلك بمظنة التعليل والحجاج، انتهى من شرح ابن أبي الحديد^(١).

وأقول: الذي بظهر من قصده عليه السلام دفع ما يتوهم علة من الوجوه العالية في تعليل أفعال العباد وفي أغراضهم، كما هو شأنه من تنزيه الباري سبحانه عن التوهّمات، ولم يذكر التعليل؛ لأنّه يكفي المؤمن أن يعلم أن فعل الله مشتمل على حكمة ولا حاجة له إلى معرفة خصوصيتها، وربما يكون بعض وجوهها ممّا استأثر الله به فيكون تظنيّه قولاً على الله ما لا يعلمه لقائل وهي ممنوع منه، والله أعلم وبه السداد.

وقال ميثم بن علي: وقوله عليه السلام: «ولم يكوّن لها لتشديد سلطان... الى اخره»:

إشارة الى تعديد وجوه الأغراض المتعارفة للفاعلين في إيجاد ما يوجدونه وإعدامه، ونفي تلك الأغراض عن فعله في إيجاد ما أوجده وإعدامه ما أعدمه من الأشياء.

أمّا الأغراض المتعلقة بالايجاد، فهو إمّا جلب منفعة كتشديد السلطان وجمع الأموال والقيّنات وتكثير الجند والعدّة والازدياد في الملك بأخذ الحصون والقلاع ومكاثرة الشريك في الملك كما يكثر الانسان غيره ممّن يشاركه في الأموال والأولاد، أو دفع مضرة كالتخوّف من العدم والزوال فخلقها ليتحصّن بها من ذلك، أو خوف النقصان فخلقها ليستكمل بها، أو خوف الضعف عن مثل مكابره فخلقها ليستعين بهما عليه، أو خوف ضدّ يقاومه فأوجده ليحترز بها منه ويدفع مضرّته، أو لوحشة كانت له قبل إيجادها فأوجد ليدفع ضرر استيحاشه بالأنس بها.

وكذلك الأغراض المتعلقة بعدمها: إمّا إلى دفع المضرة كدفع السأم اللاحق له من تصرّفها وتدبيرها والثقل في شيء منها عليه والملاّل من طول بقائها فيدعوه الى ذلك إلى افتائها، أو جلب المنفعة كالراحة الواصلة إليه. فإن جلب المنفعة ودفع المضرة من لواحق الإمكان الذي تنزّه قدسه عنه.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٩١ - ٩٤.

[وقوله: «لكنه سبحانه ... الى قوله: لقدرته»:

فتدبيرها بلطفه إشارة الى ايجاده لها على وجه الحكمة والنظام الأتم الأكمل الذي ليس في الإمكان أن يكون جملتها على أتم منه ولا ألطف، وإمساكه لها بأمره قيامها في الوجود بحكم سلطانه، وإتقانها بقدرته إحكامها على وفق منفعتها وان كان عن قدرته فعلى وفق علمه بوجوه الحكمة، كل ذلك بمحض الجود من غير غرض من الأغراض المذكورة تعود إليه

وقوله: «ثم يعيدها بعد الفناء»:

نصريح بإعادة الأشياء بعد فنائها. وفناؤها إما عدمها كما هو مذهب من جواز إعادة المعدوم، أو تشعبها وتفرقها وخروجها عن حد الانتفاع بها كما هو مذهب أبي الحسين البصري من المعتزلة^(١)

وفوله: «من غير حاجة... إلى آخره»:

ذكر وجوه الأغراض لصالحة في الإعادة، والإشارة الى نفيها عنه تعالى، وهي أيضاً كالحاجة اليها والاستعانة ببعضها على بعض، أو لانصراف من حال وحشة الى حال استيناس، أو لانصراف من حال جهل وعمى فيه الى حال علم والتماسه^(٢)، وكذلك من فقر وحاجة إلى غنى وكثرة، ومن ذلّ وضعة إلى عزّ وقدره. وقد عرفت أن كل هذه الأغراض من باب دفع المضرة لمنزّه قدسه تعالى عنها، وقد بينا فيما سلف البرهان لاجماليّ على تنزيهه تعالى في أفعاله عن الأغراض، بل إيجاده لما يوجد بمحض الجود الالهيّ لذي لا بخل فيه ولا منع من جهته. فهو الجواد المطلق والملك المطلق الذي يفيد ما ينبغي لا لغرض؛ يوجد ما يوجد لا لفائدة تعود إليه ولا غرض وهو مذهب أهل السنة والفلاسفة، والخلاف فيه مع المعتزلة، انتهى^(٣).

وأقول: أمّا الاغراض الراجعة الى الفاعل من جلب النفع ودفع الضرر فمحال نسبتها الى الباري تعالى، وهي التي اشتمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على نفيها.

(٢) في ط: «وبصيرة» بدل «والتماسه».

(١) ما بين المعقوفتين من ط.

(٣) شرح ميشم بن علي ٤: ١٨١.

وأما وجوه الحكمة التي يلحظها العقلاء في أفعالهم وبها يتميز الحكمة من الأعمال عن العبث، فلا بدّ من اعتباره والعلم باشتغال الفعل عليه هو تفسير الارادة في حق الباري تعالى.

لكن بعض المعتزلة يزعمون أنهم يحيطون بخصوصيات الحكمة في أفعاله تعالى، وانه يجب على الباري تعالى اعتبار ذلك المخصوص المتميّز عندهم.

وهذا غلوّ وتجاوز لحد العقل، فتوجهت اليهم الالزامات الصعبة من خصومهم والائمة من أهل البيت عليهم السلام

والمحققون من المعتزلة يقولون: لا بد وان يشتمل فعل الباري سبحانه على الحكمة لقيام برهان العقل وتنبيه السمع على ذلك ولكننا لا نحيط بالخصوصيات، فما ظهر خصوصيته اعتقدناه وما خفي علينا رددنا علمه الى الله تعالى، والله أعلم.

ومن خطبة له ﷺ تختص بذكر الملاحم^(١):

أَلَا بِأَبِي وَأُمِّي^(٢) هُمْ^(٣) مِنْ عِدَّةٍ^(٤) أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ، وَفِي الْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ^(٥).
أَلَا فَتَوَقَّعُوا^(٦) مَا يَكُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ، وَانْقِطَاعِ^(٧) وَصْلِكُمْ^(٨)، وَأَسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ^(٩).
ذَٰكَ^(١٠) حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ الدَّرْهِمِ مِنْ جِلَّةِ^(١١) ذَٰكَ
حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أَكْثَرَ مِنْ الْمُعْطِي^(١٢)؛ ذَٰكَ حَيْثُ تَشْكُرُونَ مِنْ غَيْرِ
شَرَابٍ^(١٣)، بَلْ مِنَ النِّعْمَةِ وَالنِّعَمِ^(١٤)، وَتَخْلِفُونَ^(١٥) مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ، وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ
إِخْرَاجٍ^(١٦)؛ ذَٰكَ^(١٧) إِذَا عَضَّكُمْ الْبَلَاءُ، كَمَا يَعْضُ الْقَتَبُ غَارِبَ الْبَعِيرِ^(١٨). مَا أَطْوَلَ هَذَا

-
- (١) في أ: ومن خطبة له ﷺ في الملاحم. (٢) في هـ ب: أي فداهم أبي وأمي
(٣) لم ترد «هم» في أ، وفي هـ د: ببي وأمي من عدة - ن وف وم.
(٤) في هـ ب: لعدة مصدر عدد الشيء، عدأ وعدة، والعدة جماعة قتلت أم كثرت، وعدة امرأة كذلك.
(٥) في هـ ب: أشار أولاً إلى أحد عشر من أولاده المعصومين من بعده وقال: إن الملائكة يعرفونهم وأكثر أهل الأرض يجهلونهم. (٦) في هـ ب: انتظروا.
(٧) في هـ ص: أي نفرقكم واختلافكم. (٨) في هـ ب: جمع وصلة.
(٩) في هـ ب: أي استعمل عليكم أحداثكم وذوو الصغار، واستعمال صغاركم: أي استعمل عليكم فاسق كل قبيلة ومن هو أصغر قدراً.
(١٠) في هـ ب: إشارة إلى فتنة الدجال قبل خروج المهدي.
(١١) في هـ ب: من كسب حلال، وفي هـ ب أيضاً أن ذلك الذي ذكرت إذا صار وحان وقته، اكتساب درهم حلال أصعب من احتمال ضربة سيف.
(١٢) في هـ ب: إشارة إلى أن اليد السفلى خير من اليد العليا، على ما يقال.
(١٣) في هـ ب: يسكرون بالنعيم والمال باسراف التمتع.
(١٤) في هـ ب: أي المال.
(١٥) في هـ ب، وفي نسخة: وتخلفون من الخلاف.
(١٦) في هـ د: من غير إخراج - ن ول، وفي هـ ب: الإخراج مصدر أخرجته، والمصدر الحرج.
(١٧) د: ذلك.
(١٨) في هـ ب: القتب بالتحريك رحل صغير على قدر السنام، والغارب من البعير: ما بين السنام

الْعَنَاءُ، وَأَبْعَدَ هَذَا الرَّجَاءُ!

أَيُّهَا النَّاسُ، أَلْقُوا هَذِهِ الْأَزِمَةَ ^(١) الَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورَهَا الْأَثْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ ^(٢)، وَلَا تَصَدَّعُوا ^(٣) عَلَى ^(٤) سُلْطَانِكُمْ فَتَنْدُمُوا ^(٥) غِبًّا ^(٦) فِعَالِكُمْ، وَلَا تَقْتَحِمُوا ^(٧) مَا اسْتَقْبَلْتُمْ ^(٨) مِنْ فَوْرِ ^(٩) نَارِ الْفِتْنَةِ، وَأَمِيطُوا ^(١٠) عَنْ سَنَنِهَا ^(١١)، وَخَلُّوا قَصْدَ السَّبِيلِ لَهَا؛ فَقَدْ لَعَمْرِي يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا ^(١٢) الْمُؤْمِنُ، وَيَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِ ^(١٣)، إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السَّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا.

فاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَعُوا، وَأَخْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا.

قوله ﷺ: «ألا بآبي وامي من عدة»:

قال ابن أبي الحديد: الإمامية تقول: هذه العدة هم الأئمة الأحد عشر من ولده ﷺ وغيرهم يقول: إنه عني الابدال الذين هم أولياء الله في الأرض، انتهى ^(١٤).

قلت: الحق خلاف هذين القولين:

أما قول الامامية: فلانه لا دليل على قصر الامامة في الأحد عشر ^(١٥)، بل كما دل على

→ الى العنق.

(١) في هـ. ب: جمع زمام.

(٢) في هـ. ب: أي ألقوا من أيديكم.

(٣) في هـ. ب: أي لا تتفرقوا.

(٤) في هـ. ص، وفي نسخة: عن.

(٥) في ص: فتندموا ظاهراً، وفي هـ. ب: من المذمة.

(٦) في هـ. ب: الغب: العاقبة.

(٧) في هـ. ب: أي لا تدخلوا قحمة الفتنة أي معظمها.

(٨) في الف و ص و د: ما استقبلكم في هـ. د: ما استقبلتم - ض و ح و ب و ل و ش.

(٩) في هـ. ب: أي من غليان.

(١٠) في هـ. ب: أي ابعادوا.

(١١) في هـ. ب: أي اتركوا سواء السبيل.

(١٢) في هـ. ب: أي ما يتلهب من النار.

(١٣) الى هنا ورد في أ، وفي هـ. د: «انما مثلي... الى تفهموا» ساقطة من ف و ن و ش.

(١٤) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٩٦

(١٥) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٩٦.

قلت: انما يستدل السبعة على حصر الامامة في اثني عشر خليفة بما ورد عن النبي ﷺ متواتراً بأنه يكون بعده اثني عشر خليفة لا غير كعدة نقيب بني اسرائيل.

امامتهم وفضلهم دليل، دل على امامة غيرهم من أئمة العترة وفضله دليل، والكلام معهم معروف.

وأما الأبدال الذين نسب الشارح القول بهم الى غير الامامية، فإنما يقول بهم ويزعمهم الصوفية بلا دليل ولا سند إلا مجرد التصور، وابدالهم الذين يزعمونهم لا ينسب اليهم تقرير شريعة ولا ردّ على مبطل ولا دعاء إلى أمر بمعروف أو نهى عن منكر وإنما طريقة رؤساء الصوفية الشطح والرمز والايهات التي يعلم بالضرورة انها خلاف طريقة رسول الله ﷺ وطريقة أهل بيته وطريقة لصحابة وعلماء الدين.

وأمر المؤمنين ﷺ إنما همّه وشأنه تقرير فواعد الدين والتنبيه على طريقة الهادين المهتدين

فالحق ان المعنيّ بهؤلاء العدة: أئمة أهل البيت على رأي الزيدية الذين جعلهم الله القدوة والعصمة والهداة والفادة، وورد عن رسول الله ﷺ وعن أمير المؤمنين في ذكر جملتهم وكثير من أفرادهم ما يكثر على الايراد.

وقد روى الشارح عن أمير المؤمنين التنصيص على أفرادهم في كلام كبير أورده الشارح حين ذكر ان أمير المؤمنين ﷺ كان يخبر عن الغيوب المفصلة.

فأما ما ذكر أمير المؤمنين ﷺ لجعلة أهل البيت ﷺ فأكثر من أن يحصر، وهذا الكتاب المشروح وشرح هذا الشارح مسحونان بذلك، ولكن حب مذهب الصوفية حمل الشارح على هذه المقالة.

وله غرض آخر في صرف كلام أمير المؤمنين ﷺ في هذا الكتاب الذي يعنى به ﷺ

→ وأما أئمة غير الشيعة الامامية خصوصاً الزيدية فهم يزيدون عدداً على ما ذكره الرسول ﷺ فلا بد ونهم لم يرادوا بالحديث الشريف.

وأما قول الامامية بأن مراد الامام هو الأحد عشر فلانه هو ﷺ أحدهم فبقي بعده أحد عشر اماماً وهم أئمة الشيعة بعد الامام علي ﷺ.

وأما ما قاله الشارح من انه دل الدليل على امامتهم وفضلهم فهو اعتراف بالحق، وأما ما قاله من دلالة الدليل على امامة غيرهم فهو مجرد ادعاء ولا بد له من اظهار وبيان ليناقش في صحة ذلك الدليل.

أهل البيت فتارة يقول: المراد به الأبدال والأقطاب، فإن كان مصرحاً بذكر أهل البيت فيه قال: المعني به علي عليه السلام، أو علي والحسنان فقط.

وغرضه من ذلك أن كثيراً من قواعد أصحابه - المعتزلة - خلاف قواعد أهل البيت عليهم السلام، فدوا اعترف بانهم المعنيون بكلام أمير المؤمنين عليه السلام للزمته الحجة والخروج عن مذهب أصحابه، فهو يحيص بالتأويلات عن لزوم ما هو لازم له، ولا ينبئك مثل خبير. قوله عليه السلام: «أسماءهم في السماء معروفة»:

قال في الشرح: أي تعرفها الملائكة المعصومون، أعلمهم الله بأسمائهم. وهي في لأرض مجهولة، أي عند الأكثرين لاستيلاء الضلال على أكثر البشر، انتهى قلت: وظهور هذا الوصف في أئمة أهل البيت عليهم السلام كظهور الشمس، فإن جميع فرق الاسلام إلا الزيدية ينكرونهم ويحقدونهم فضلهم ولا يذكرون لهم قولاً في خلاف ولا ترجمة في تاريخ ولا كرامة عند ذكر كرامات الأولياء ويسمونهم: الرافضة والمبتدعة، وينسبونهم الى الجهل، «والله المستعان على ما تصفون»^(١).

قوله عليه السلام: «ذاك حيث يكون ضربة السيف على المؤمن أهون من الدرهم من حله»: كأنه عليه السلام يشير الى كثرة الشبه واختلاط الأموال حتى يستهين المؤمن القتل على مشقة تحصيل العيش الحلال

وقد ورد في الأحاديث الكثيرة: انه يأتي على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه إلا بالمعصية، وذلك من الابتلاء الذي هو أعمّ حكمة في أفعال الحكيم سبحانه.

قوله عليه السلام: «ذاك حيث يكون المعطى أعظم أجراً من المعطي»:

ذكر ابن أبي الحديد في تفسير هذا كلاماً فيه بعد^(٢)، ولعله عليه السلام أشار الى ما أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وآله فيما روي عنه، ولفظه: ما الذي يعطي من سعة بأعظم أجراً من الذي يقبل، إذا كان محتاجاً. - عن أنس -^(٣).

(٢) انظر كلامه في شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٩٦.

(١) يوسف: ١٢ / ١٨.

(٣) الدر المنثور ١: ٣٦.

وما المعطي من سعة بأفضل من الآخذ إذا كان محتاجاً - عن ابن عمر -^(١). رواهما
الاسيوطي.

فكأنه ﷺ يريد: إنّ الأموال يتمكن منها في ذلك الزمان قوم لا خلاق لهم، وتنال
الحاجة والخصاصة كل برّ تقى، فلا يأخذ إلا مع ضرورة الى الآخذ، وذلك سبب للأجر -
كما أشار اليه الحديث - لأنّ تناول المال مع الضرورة قد يجب. أو يكون أشار ﷺ الى ان
أموال الله التي بيّن الله مصارفها^(٢) يبيها في ذلك الزمان من ليس بأهل لولايتها، فلا أجر له
على إعطائها، والآخذ لها من مستحقها يأخذها باستحقاق ليصرفها فيما يؤجر بالصرف
فيه فأخذها من الكسب المرغّب فيه، وهذا كما أخذ الأئمة والصالحون من الولاة
الامويين والعباسيين، والله أعلم.

(١) الدر المنثور ١: ٣٣٦.

(٢) في قوله تعالى: ﴿انما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ (التوبة: ٦٠).

ومن خطبة له عليه السلام:

أَوْصِيَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَكَثْرَةِ حَمْدِهِ عَلَى آلَايِهِ إِلَيْكُمْ، وَنِعْمَاتِهِ عَلَيْكُمْ، وَتِلَايِهِ لَدَيْكُمْ، فَكُمْ^(١) خَصَّكُمْ بِنِعْمَةٍ، وَتَذَارَكُكُمْ بِرَحْمَةٍ!
أَعُوزْتُمْ لَهُ^(٢) فَسَتَرَكُمْ، وَتَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ فَأَمْهَلَكُمْ!
وَأَوْصِيَكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَإِقْلَالِ الْعَقْلَةِ عَنْهُ، وَكَيْفَ غَفَلْتُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفَلُكُمْ، وَطَمَعُكُمْ فِيمَنْ^(٣) لَيْسَ يُمَهِّلُكُمْ؛ فَكْفَى وَاعِظًا بِمَوْتِي عَايَشُوهُمْ، حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ، وَأُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ، فَكَأَنَّهُمْ^(٤) لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّارًا، وَكَأَنَّ الْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَارًا. أَوْحَشُوا^(٥) مَا كَانُوا يُوطِنُونَ^(٦)، وَأَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ^(٧)، وَاشْتَغَلُوا^(٨) بِمَا قَارَقُوا، وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ انْتَقَلُوا^(٩)، لَا عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ انْتِقَالَ، وَلَا فِي حَسَنٍ^(١٠) يَسْتَطِيعُونَ أَرْذِيَادًا، أُنْسُوا بِالْدُّنْيَا فَغَرَّتْهُمْ، وَوَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ.
فَسَابِقُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى مَنَازِلِكُمُ الَّتِي أُمِرْتُمْ تَعْمُرُوهَا، وَالَّتِي رُغِبْتُمْ^(١١) فِيهَا وَدُعِيتُمْ إِلَيْهَا، وَاسْتَمُوا نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالْمَجَانَبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ، فَإِنَّ غَدًا مِنْ أَلْيَوْمِ قَرِيبٌ.

(١) في ب: وكم.

(٢) أعورتم أي انكشفتكم وابتد عوراتكم، وفي ه. ب أي بدا عورتكم. يقال أعورك الصيد أي أمكنك منه والعورة كل ما يستحي منه وما يتخوف منه من ثغر، وعور صار أعور.

(٣) ه. د: وطمعكم فيما - ف و ن و م. (٤) د: كأنهم، وفي ه. د: فكأنهم - ض و ب.

(٥) في ه. ب: اوحشت الأرض اذا وجدتها موحشة خالية.

(٦) في ه. ب: أي الدنيا. (٧) في ه. ب: أي القبر.

(٨) في ب: فاشتغلوا. (٩) في ص: انقلبوا.

(١٠) في ص: حسنة في ه. د: حسنة - ب. (١١) في ط و د: رغبتم.

مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ، وَأَسْرَعَ الْأَيَّامُ^(١) فِي الشَّهْرِ، وَأَسْرَعَ الشُّهُورُ فِي السَّنَةِ،
وَأَسْرَعَ السِّنِينَ فِي الْعُمُرِ!^(٢)

(١) في ص: اليوم، وفي هـ ص، وفي نسخة: الايام.

(٢) في ب هنا ما يلي: آخر الجزء الأول من كتاب نهج البلاغة، يتلوه في الجزء الثاني منه. من خطبة لمولانا أمير المؤمنين صوات الله عليه فمن الايمان ما يكون ثابتاً مستقراً في القلوب وكتب الحسين بن الحسن المؤدب حامداً لله ومصلحاً على رسوله محمد وآله الطاهرين وسلم نسليما.

قرأ علي هذا الجزء شيخه الفقيه الأصالح ابن عبد الله الحسين رعاه الله وكتب محمد بن علي بن أحمد بن فبدام [ظ] بخطه في جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وأربعمائة هجرية عظم الله يمنها بمنه

ومن خطبة له عليه السلام ^(١) :

فَمِنْ الْإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتًا مُسْتَقِرًّا فِي الْقُلُوبِ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِي بَيْنَ الْقُلُوبِ
وَالصُّدُورِ، إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ ^(٢) مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتَّى يَحْضُرَهُ الْمَوْتُ،
فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَةِ.

وَالْهَجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الْأَوَّلِ، مَا كَانَ لِلَّهِ فِي ^(٣) أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِيرٍ ^(٤)
الْأُمَّةِ وَمُعْلِنِهَا، لَا يَقَعُ اسْمُ الْهَجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ عَرَفَهَا
وَأَقَرَّ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ، وَلَا يَقَعُ اسْمُ الاسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ،
وَوَعَاها قَلْبُهُ.

إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَضْعَبٌ ^(٥) لَا يَحْمِلُهُ ^(٦) إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ ^(٧) أَمْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ
لِلْإِيمَانِ ^(٨)، وَلَا يَعِي ^(٩) حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ، وَأَخْلَامٌ ^(١٠) رَزِينَةٌ.

(١) في ب: بسم الله الرحمن الرحيم ومن خطبة لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
صلوات الله عليه.

(٢) في هـ. ب أي اذا تبرأتم من انسان لا اعتقاده الباطل فاحلوه حتى تعلموا على أي شيء
بخرج من الدنيا فانه ربما يكون معتقداً للحق ويكتنم اعتقاده لغرض دنيوي، وقيل معناه اذا
تبرأتم من أحد فترقبوا به الموت فانه ربما يتوب ويرجع وقيل هذا اشارة الى ما عمل.

وفي هـ ب : أي نظنون وتتهمون ان ايمانك ليس بحقيقي بامارة حق تعلمون اتهامه بظاهر
القول وليس في قلبه فقفوه حتى يحضر الموت، وفي هـ. ب و أ: اشارة الى انه كان عليه السلام اذا
صلّى على الميت ان كان منافقاً صلّى عليه أربع تكبيرات.

(٣) د: ما كان لله تعالى في وفي هـ. د: ما كان لله في - ض ب ح ش ل.

(٤) في ص زيادة : هذه.

(٥) في هـ. ب: يقال استصعبت الأمر واصعبته وجدته صعباً يعني امامته وامامة الأئمة
المعصومين عليهم السلام. (٦) في ط و د: لا يحمله.

(٧) في ص زيادة الا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن، وفي هـ. ص في نسخة إلا عبد امتحن

الله - ف و ن و م و ل . (٨) في هـ. ب: في حاشية ن: بالايमान.

(٩) هـ. ب: أي لا يحفظ. (١٠) أي : عقول.

أَيُّهَا النَّاسُ. سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَقْدُرْنِي، فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّْي بِطُرُقِ الْأَرْضِ؛ قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ^(١) بِرَجْلَيْهَا فِتْنَةً تَطَأُ فِي خِطَامِهَا، وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ^(٢) قَوْمِهَا.

قوله ﷺ: «فمن الإيمان... الى قوله: معلوم»:

اعلم ان الشارح - ابن أبي الحديد - تكلف في شرح هذا الكلام تكلفات شنيعة واخرج كلام أمير المؤمنين ﷺ عن سننه وظاهره، وسببه انه يتكلف تطبيق كلام أمير المؤمنين بمذهب أصحابه - كما صرح به مراراً -

والحق ان أمير المؤمنين ﷺ يشير الى مراد الله عزوجل في قوله: «افمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه»^(٣) ونحوه، وما عناه سبحانه بقوله: «ومن الناس من يعبد الله على حرف... الآية»^(٤) وقوله: «واضرب لهم مثل الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها»^(٥) ونحوهما.

قوله ﷺ: «فاذا كانت لكم براءة من أحد... الخ»:

قال في الشرح وينبغي أن تحمل هذه البراءة التي أشار إليها ﷺ على البراءة المطلقة، لا على كل براءة، لأننا يجوز لنا أن نبرأ من الفاسق وهو حي، ومن الكافر وهو حي، لكن بشرط كونه فاسقاً، وبشرط كونه كافراً، فأما مَنْ مات ونعلم ما مات عليه فإننا نبرأ منه براءة مطلقة غير مشروطة.

وقوله ﷺ: «والهجرة قائمة على حدّها الأوّل»:

قال في الشرح: هذا كلام يختص به أمير المؤمنين ﷺ، وهو من أسرار الوصية، لاعنّ الناس يروون عن النبي ﷺ أنه قال: «لا هجرة بعد الفتح» فشفع عمّه العباس في نعيم بن مسعود الأشجعي أن يستثنيه، فاستثناه، وهذه الهجرة التي يشير إليها أمير المؤمنين ﷺ ليست تلك الهجرة، بل هي الهجرة إلى الإمام، قال: إنها باقية على حدّها الأوّل مادام

(٢) في هـ. ب: أي أخلاق.

(٤) الحج: ٢٢ / ١١.

(١) في هـ. ب: أي ترفع.

(٣) الزمر: ٢٢ / ٣٩.

(٥) الاعراف: ٧ / ١٧٥.

التكليف باقياً، وهو معنى قوله: «ما كان الله تعالى في أهل الأرض حاجة». وقال الراوندي: ما ها هنا نافية، أي لم يكن لله في أهل الأرض من حاجة، وهذا ليس بصحيح، لأنه إدخال كلام منقطع بين كلامين متّصل أحدهما بالآخر، انتهى^(١). قلت: لا أرى ما ذكره الراوندي بعيداً، بل أراه قريباً، ولا نسلم انقطاعه عمّا قبله بل هو متصل به معنى، وذلك أنه عليه السلام أشار إلى الرد على من يزعم أن الهجرة إنما كان وجوبها لما كان الإسلام قلاً فيكثر أهلها، وبعد الساعة لا هجرة، لحصول الغنية عن من لم يهاجر فقال عليه السلام: لم يكن لله حاجة من قبل في أهل الأرض هو الغني العزيز، ولكنه أوجب الهجرة عليهم تعبدًا.

قال في الشرح: ثم ذكر أنه لا يصح أن يعد الإنسان من المهاجرين إلا بمعرفة إمام زمانه، وهو معنى قوله: «إلا بمعرفة الحجّة في الأرض». قال: «فمن عرف الإمام وأقرّ به فهو مهاجر»^(٢).

قوله عليه السلام: «ولا يقع اسم الاستضعاف.. إلى آخره»:

قد فسر ابن أبي الحديد هذا بكلام غير جيد، ويقرب عندي من معنى كلامه عليه السلام أنه نفى الاستضعاف الحقيقي الذي هو عذر في ترك الهجرة المعني بقوله تعالى: «الا المستضعفين...» الآية^(٣) عن بلغته دعوة الامام وعلم صحتها ولم يجبه وأقام في دار المعاصي لا يغيّرها زعمًا منه انه مستضعف مقهور وهو يجد السبيل الى الهجرة.

والحكم مأخوذ من قوله عليه السلام: «من سمع واعيتنا أهل البيت ثم لم يجبها أكبه الله على منخريه في النار». وقوله عليه السلام: «لا يحل لعين ترى الله يعصى فتطرف حتى تغير أو تنتقل». والله أعلم.

وقال في شرح ميثم بن علي لهذا الكلام قسمة للإيمان إلى قسمين، ووجه الحصر فيهما أن الإيمان لما كان عبارة عن التصديق بوجود الصانع سبحانه وماله من صفات

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٠٣. (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٠٤.

(٣) وتام الآية: «... من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم» سورة النساء: ٩٨ و ٩٩.

الكمال ونعوت الجلال، والاعتراف بصدق رسول الله ﷺ وما جاء به. فتلك الاعتقادات إن بلغت حد الملكات في النفوس فهي الإيمان الثابت المستقر في القلب، وإن لم تبلغ حد الملكة بل كانت بعد حالات في معرض التغير والانتقال فهي العواري المتزلزلة. واستعار لها لفظ العواري باعتبار كونها في معرض الزوال كما أن العواري في معرض الاسترجاع والرد، وكُنِيَ بكونها بين القلوب والصدور عن كونها غير مستقرة في القلوب ولا متمكنة من جواهر لنفوس.

[وقال بعض الشارحين: أراد أن من الإيمان ما يكون على سبيل الإخلاص ومنه ما يكون على سبيل النفاق

فوله ﷺ: «إلى أجل معلوم».

نرشح لاستعارة العواري إذ كانت من شأنها أن تستعار إلى وقت معلوم ثم ترد فكذلك ما كان بمعرض الزوال والتغير من الإيمان^(١). وهذه القسمة إلى هذين القسمين هي الموجودة في نسخه الرضي بخطه وفي نسخ كثير من الشارحين ونسخ كثيرة معتبرة، ونقل الشارح عبد الحميد بن أبي الحديد - رحمه الله - في لنسخة التي شرح لكتاب عليها ثلاثة أقسام هكذا: فمن الإيمان ما يكون ثابتاً مستقراً في القلوب، ومنه ما يكون عواري في القلوب، ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور إلى أجل معلوم. ثم قال في بيانها ما هذه خلاصته: [إن الإيمان إما أن يكون ثابتاً مستقراً في القلوب بالبرهان وهو الإيمان الحقيقي، أو ليس بنات بالبرهان بل بالدليل الجدلي كإيمان كثير مقن لم يتحقق العلوم لعقلية ويعتقد ما يعتقده من أقيسة جدلية لا تبلغ درجة البرهان، وقد سماه ﷺ عواري في القلوب: أي أنه وإن كان في القلب الذي هو محل الإيمان الحقيقي إلا أن حكمه حكم العارية في البيت فإنها بعرضة الخروج منه، وإما أن لا يكون مستنداً إلى برهان ولا إلى قياس جدلي بل على سبيل التقليد وحسن الظن بالأسلاف أو بإمام يحسن الظن به وقد جعله ﷺ عواري بين القلوب والصدور لأنه دون الثاني، فلم يجعله حالاً في القلب لكونه

(١) من شرح ميشم بن علي وأوردناه هنا توضيحاً للخلاصة، وفي نسخة الأصل بدله ما يلي: إلى أن قال ميشم.

أضعف ممّا قبله وأقرب إلى الزوال. ثم ردّ قوله: إلى أجل معلوم. إلى القسمين الأخيرين؛ لأنّ من ثبت إيمانه بالقياس الجدلي قد يبلغ إلى درجة البرهان إذا أنعم النظر ورُتّب المقدمات اليقينيّة ترتيباً منتجاً، وقد يضعف مقدّماته في نظرة فينحط إلى درجة المقلّد فيكون إيمان كلّ منهما إلى أجل معلوم لكونه في معرض الزوال^(١) وأقول: إن صحت هذه [الرواية] فالمعنى يعود إلى ما قلناه من القسمة فإنّ العلم بما يستلزمه البرهان أو غيره من الايمان إن بلغ إلى حدّ الملكة فهو الثابت المستقرّ، وإلاّ فهو العارية والذي أراه أنّ القسم الثاني تكرار وقع من قلم الناسخ سهواً والله أعلم، انتهى^(٢).

وقال ميثم بن علي في شرح قوله ﷺ: «والهجرة قائمة على حدّها الأول»: مراده ﷺ من بقاء الهجرة على حدّها الأول: صدقها على من هاجر إليه وإلى الأئمة من أهل بيته في طلب دين الله وتعرّف كبريّة السلوك لصراطه المستقيم، كصدقها على من هاجر إلى الرسول ﷺ. وفي معناها ترك الباطل إلى الحقّ. وبيان هذا الحكم بالمنقول والمعقول: أمّا المنقول فمن وجهين:

أحدهما: قوله تعالى: ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعةً﴾^(٣) فقد سمّى من فارق وطنه وعشيرته في طلب دين الله وطاعته مهاجراً. وقد علمت في أصول الفقه أنّ «من» للعموم فوجب أن يكون كلّ من سافر لطلب دين الله من معادنه مهاجراً.

الثاني: قول الرسول ﷺ: «المهاجر من هاجر ما حرّم الله عليه» وظاهر أنّ من هاجر معصية الأئمة إلى طاعتهم والاقتراء بهم فقد هاجر ما حرّم الله عليه، فكان اسم الهجرة صادقاً عليه

وأما المعقول فلأنّ المفارق لوطنه إلى الرسول ﷺ مهاجر فوجب أن يكون المفارق لوطنه إلى من يقوم مقامه من ذريته الطاهرين مهاجراً لصدق حدّ الهجرة في الموضعين، ولأنّ المقصود من الهجرة ليس إلاّ اقتباس الدين وتعرّف كبريّة سبيل الله. وهذا المقصود

(٢) شرح ميثم بن علي ٤: ١٩٤.

(١) المصدر نفسه.

(٣) النساء: ٤ / ١٠٠.

حاصل مَن يقوم مقام الرسول ﷺ من الأئمة الطاهرين ﷺ بحيث لا فرق إلا النبوة والإمامة. ولا مدخل لأحد هذين الوصفين في تخصيص مسمى الهجرة بمن قصد الرسول ﷺ دون من قصد الأئمة فوجب عموم صدقه على من قصدهم

فإن قلت: هذا معارض بقوله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح» حتى شفع عنه العباس في نعيم بن مسعود الأشجعي أن يستثناه فاستثناه.

قلت: يحمل ذلك على أنه لا هجرة من مكة بعد فتحها إلى المدينة توفيقاً بين الدليلين. وسلب الخاص لا يستلزم سلب العام، انتهى^(١).

قوله ﷺ: «امتحان الله تعالى قلبه للإيمان»:

قال في شرح ابن أبي الحديد هذه من ألفاظ القرآن العزيز، قال الله تعالى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى»^(٢)، وهو من قولك: امتحن فلان لأمر كذا وجرب ودرب للنهوض به، فهو مضطعب به غير وان عنه، والمعنى أنهم صبروا على التقوى أقوياء على احتمال مشاقها، ويجوز أن يكون وضع الامتحان موضع المعرفة، لأن تحققك الشيء إنما يكون باخباره كما يوضع الخبر موضع المعرفة، فكأنه قيل: عرف الله قلوبهم للتقوى، فيتعلق اللام بمحذوف، أي كائنه له، وهي اللام التي في قولك: أنت لهذا الأمر، أي مختص به كقوله:

أَعْدَاءُ مَنْ لِلْعَمَلَاتِ عَلَى الْوَجَا

وتكون مع معمولها منتصبة على الحال، ويجوز أن يكون المعنى: ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الصعبة، لأجل التقوى، أي لتثبت فيظهر تقواها، ويعلم أنهم متقون، لأن حقيقة التقوى لا تعلم إلا عند المحن والشدائد والاصطبار عليها. ويجوز أن يكون المعنى أنه أخلص قلوبهم للتقوى، من قولهم: امتحن الذهب، إذا أذابه فخلص إيريجه من خبئه ونقاؤه.

وهذه الكلمة قد قالها ﷺ مراراً، ووقفت في بعض الكتب على خطبة من جملتها: إن قريشاً طلبت السعادة فشقيت، وطلبت النجاة فهلكت، وطلبت الهدى فضلت، ألم يسمعوا

ويجهم قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾^(١)؟ فأين المعدل والمنزع عن ذرية الرسول، الذين شيّد الله بنيانهم فوق بنيانهم، وأعلى رؤوسهم فوق رؤوسهم، واختارهم عليهم! ألا إنّ الذرية أفناناً أنا شجرتها، ودوحة أنا ساقها، وإني من أحمد ﷺ بمنزلة الضوء من الضوء، كنّا ظلالاً تحت العرش قبل خلق البشر، وقبل خلق الطينة التي كان منها البشر، أشباحاً عالية، لا أجساماً نامية. إنّ أمرنا صعب مستصعب، لا يعرف كنهه إلا ثلاثة: ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، فإذا انكشف لكم سرّ، أو وضع لكم أمر فاقبلوه، وإلا فاسكتوا تسلموا، وردّوا علمنا إلى الله، فإنكم في أوسع مما بين السماء والأرض، انتهى.

قوله ﷺ: «سلوني قبل أن تفقدوني»:

قل ابن أبي الحديد: أجمع الناس كلّهم على أنّه لم يقل أحد من الصحابة، ولا أحد من العلماء: «سلوني» غير عليّ بن أبي طالب ﷺ، ذكر ذلك ابن عبد البر المحدث في كتاب «الاستيعاب».

والمراد بقوله ﷺ: «فلأنا أعلم بطرق لسماء منّي بطرق الأرض»، ما اختصّ به من العلم بمستقبل الأمور، ولا سيّما لملاحم والدول، وقد صدّق هذا القول عنه ما تواتر عنه من الإخبار بالغيوب المتكرّرة، لا مرة ولا مائة مرة، حتى زال الشك والريب في أنه إخبار عن علم، وأنه ليس على طريق الاتفاق، وقد ذكرنا كثيراً من ذلك فيما تقدّم من هذا الكتاب. وقد تأوّل قوم على وجه آخر قالوا: أراد أنا بالأحكام الشرعيّة والفتاوى الفقهيّة أعلم منّي بالأمور الدنيويّة؛ فعبر عن تلك بطرق السماء، لأنها أحكام الهية، وعبر عن هذه بطرق الأرض لأنها من الأمور الأرضية. والأوّل أظهر؛ لأنّ فحوى الكلام وأوّل يدلّ على أنه المراد، انتهى من الشرح^(٢).

أقول: ويحتمل أنه أراد أحد أمرين:

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٠٥ و ١٠٦.

(١) الطور: ٢١.

احدهما: اني عالم بالمسالك التي يكون بها نجاتكم من الفتن والضلال، و اضافها الى السماء لأن تعريفها والتنصيب عليها نزل من السماء، قال: ولست محيطاً بطرق الأرض ولا خزيناً لمجاهلها.

والآخر: أنه عرّفهم شمول معرفته لكل الأشياء التي لا تعرف إلا بتعريف الله حتى الأمور التي لا يتعلق التكليف بمعرفتها، وهي العالم العلوي من السماء وسكانها وأحوالهم حتى مسالكها، وهو لا يعلم كل مسالك الأرض التي تعلم بالتعلم من البشر. إشارة الى أن علومه مكتسبة من الوحي، وهنّه مقصور على تعلم ما يرجع الى تعظيم الله وما يشبت جلاله في القلوب وما يقبل في معاملته وما لا. والحاصل ان علومه كلّها الهيّة، والله أعلم.

ومن خطبة له ﷺ:

أَحْمَدُهُ شُكْرًا لِإِنْعَامِهِ ^(١). وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ ^(٢) حُقُوقِهِ، عَزِيزَ ^(٣) الْجُنْدِ، عَظِيمَ
الْمُجْدِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ، وَقَاهَرَ ^(٤) أَعْدَاءَهُ، جِهَادًا عَنْ
دِينِهِ، لَا يَتَّخِذُهُ ^(٥) عَنْ ذَلِكَ أَجْتِمَاعٌ ^(٦) عَلَى تَكْذِيبِهِ، وَإِلْتِمَاسِ لِإِطْفَاءِ نُورِهِ.

فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللَّهِ؛ فَإِنَّ لَهَا حَبْلًا وَثِيقًا عَزُوزَتُهُ، وَمَعْقِلًا ^(٧) مَنِيْعًا ^(٨) ذُرْوَتُهُ ^(٩). وَبَادِرُوا
الْمَوْتَ وَغَمَرَاتِهِ ^(١٠)، وَأَمْهَدُوا ^(١١) لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ، وَأَعِدُّوا لَهُ ^(١٢) قَبْلَ نَزْوِلِهِ؛ فَإِنَّ الْغَايَةَ
الْقِيَامَةَ؛ وَكَفَى بِذَلِكَ وَاعِظًا لِمَنْ عَقَلَ، وَمُعْتَبَرًا ^(١٣) لِمَنْ جَهِلَ. وَقَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ
مِنْ ضِيقِ الْأَرْمَاسِ ^(١٤)، وَشِدَّةِ الْإِبْلَاسِ ^(١٥)، وَهَوْلِ الْمُطْلَعِ ^(١٦)، وَرَوْعَاتِ الْفَرْعِ ^(١٧)، وَاخْتِلَافِ
الْأَضْلَاحِ، وَاسْتِكَائِ الْأَسْمَاعِ ^(١٨)، وَظُلْمَةِ اللَّحْدِ، وَخِيفَةِ الْوَعْدِ ^(١٩)، وَغَمِّ الضَّرِيحِ ^(٢٠)

(١) في هـ. ص: دل على ان العبادات شكر للمنع.

(٢) في هـ. ب: جمع وظيفة. (٣) في هـ. ب: حال استعينه.

(٤) في هـ. ص: أي قاومهم بالقهر. (٥) في هـ. ب: أي لا يصرفه.

(٦) في هـ. ب: أي اجتماع العدو.

(٧) في هـ. ب: موضع العقل من عقال الناقة وفي هـ. ص: هو ما يعتصم به.

(٨) في هـ. ب: أي محفوظاً.

(٩) في هـ. ص: أعلاه، وقد شبه التقوى بالحصن الرفيع المانع لما فيه.

(١٠) في أ و ب: في غمراته، وصح في ب بما في المتن، وفي هـ. ب: في شدائده. وفي هـ. د: في

غمراته - ف و م و ب. (١١) في هـ. ص: أي اتخذوا مهاداً.

(١٢) في هـ. ب: أي هيئوا. (١٣) في هـ. ب: موضع العبرة.

(١٤) في هـ. ب و ص: الارماس جمع رمس وهو القبر.

(١٥) في هـ. ص: مصدر إبلس: خاب وانقطع ويئس.

(١٦) في هـ. ب: ما يطلع عليه، موضع الاطلاع من اشراف الى اللحد وفيه وصراط وفي هـ. ص:

معرفة امور الآخرة. (١٧) في هـ. ب: الروعات: الافراع الشديدة.

(١٨) في هـ. ب: أي صمم استك سمعه فهو ساك أي صم. وفي هـ. ص: أي صممها.

(١٩) في هـ. ب: من الخوف. (٢٠) في هـ. ب: أي اللحد.

وَرَدَمٌ^(١) الصَّفِيحِ^(٢).

قَالَ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ! فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنِ^(٣)، وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرْنٍ^(٤)،
وَكَاثِبَةٍ قَدْ جَاءَتْ بِأَسْرَاطِهَا^(٥)، وَأَزِنْتُ بِأَفْرَاطِهَا^(٦)، وَوَقَفْتُ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا^(٧)، وَكَانَتْهَا قَدْ
أَشْرَفَتْ بِرِزَالِهَا، وَأَنَاخْتُ بِكَلَالِهَا^(٨)، وَأَنْصَرَفْتُ^(٩) الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا، وَأَخْرَجْتُهُمْ مِنْ
حِصْنِهَا^(١٠)، فَكَانَتْ كَيَوْمِ مَضَى، وَشَهْرٍ^(١١) أَنْقَضَى، وَصَارَ جَدِيدُهَا رَتْماً^(١٢)، وَسَمِينُهَا غَتًّا^(١٣).
فِي مَوْقِفٍ^(١٤) ضَنْكٍ^(١٥) الْمَقَامِ، وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ، وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلْبِهَا^(١٦)، عَالٍ
لَجِبِهَا^(١٧)، سَاطِعٍ لِهَبِّهَا^(١٨)، مُتَغَيِّظٍ^(١٩) زَفِيرُهَا^(٢٠)، مُتَأَجِّجٍ^(٢١) سَعِيرُهَا، بَعِيدٍ خُمُودُهَا،
ذَلِكَ^(٢٢) وَقُودُهَا، مَخُوفٍ وَعَيْدُهَا، غَمٍّ^(٢٣) قَرَارُهَا، مُظْلِمَةٍ أَقْطَارُهَا، حَامِيَةٍ قُدُورُهَا.

(١) في هـ. ب: أي سد والدم والردم: النصوص

(٢) في هـ. ب: الصفيح لبحر العريض يحمل في القبر

(٣) في هـ. ص: أي طريق من قبلكم.

(٤) في هـ. أ و ب: القرن الحبل وفي هـ. ص: هو الحبل يقرن به بين حيوانين.

(٥) في هـ. ب و ص: أي علاماتها

(٦) في هـ. أ: جمع الفرط ومقدم القوم إلى الماء، وفي هـ. ب: المتقدم الذي يطلب الماء، وفي هـ.

ص: بأوائنها وسوائقها.

(٧) في أ و ب: سراطها، وفي هـ. د: سراطها - ف و ن و ش.

(٨) في هـ. ص: جمع كلكل وهو الصدر، كنى بهذه العبارة عن ثقلها.

(٩) في أ و د: وانصرمت، وفي هـ. د: وانصرفت - سُ

(١٠) في ب: حصنها ظاهراً. وفي هـ. ص: بكسر الحاء ما دون الابط إلى الكشح كأن الدنيا

حاضنة لمن فيها. (١١) في هـ. د: أو شهر - ص و ب.

(١٢) في هـ. ب: أي خلقاً وفي هـ. ص: أي خلقاً بالياً.

(١٣) في هـ. ب: أي نحيفاً وفي هـ. ص: أي هزيلاً.

(١٤) في هـ. د: من موقف - م.

(١٥) في هـ. ب: ضيق.

(١٦) في هـ. ب: شدتها.

(١٧) في هـ. ب: أي صوتها.

(١٨) في هـ. ب: أي وقودها.

(١٩) في هـ. ب: متعال من الغيظ.

(٢٠) في هـ. ب: أي هزيلة.

(٢١) في هـ. ب: أي جديد

(٢٢) في ص: غم وفي هـ. ب: في نسخة غم وفي هـ. د: غم - ص ب، وفي هـ. ص: غم أي يغم من

فَطِيعَةٌ^(١) أُمُورُهَا.

«وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا»^(٢). قَدْ أَمِنَ^(٣) الْعَذَابُ، وَأَنْقَطَعَ الْعِتَابُ، وَزُحِرُوا عَنِ النَّارِ، وَأَطْمَأْنَتْ بِهِمُ الدَّارُ، وَرَضُوا الْمَتَى وَالْقَرَارَ؛ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً، وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيةً، وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَارًا، تَخْشَعًا وَاسْتِغْفَارًا؛ وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلًا؛ تَوْحُّشًا وَأَنْقِطَاعًا فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ ثَوَابًا^(٤)، وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا، فِي مُلْكٍ دَائِمٍ، وَنَعِيمٍ قَائِمٍ.

فَارْعَوْا^(٥) عِبَادَ اللَّهِ مَا بَرِعَ عَائِيهِ يُفُوزُ فَايُزُكُمْ، وَبِإِضَاعَتِهِ يَخْسِرُ مُبْطِلُكُمْ، وَيَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ مَرْتَهِنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ، وَمَدِينُونَ^(٦) بِمَا قَدَّمْتُمْ، وَكَأَنَّ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ الْمَخُوفُ، فَلَا رَجْعَةَ تُنَالُونَ، وَلَا عَثْرَةَ تُقَالُونَ.

أَسْتَعْمَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ^(٧)، وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ. أَلْزَمُوا الْأَرْضَ، وَأَضْبِرُوا عَلَى الْبَلَاءِ، وَلَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ فِي^(٨) هَوَى أَلْسِنَتِكُمْ، وَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ اللَّهُ لَكُمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ^(٩) وَحَقِّ رَسُولِهِ^(١٠) وَأَهْلِ بَيْتِهِ^(١١) مَاتَ شَهِيدًا، وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ،

→ فيه وفي شرح ميثم: اسند العمى الى فرارها مجازاً باعتبار انه لا يهتدى منه لظلمته أو لأن عمقها لا يوقف عليه لبعده، انتهى ويفهم منه ان نسخته: عم. بالعين المهملة وتخفيف الميم. والله أعلم.

(٢) الزمر: ٧٣.

(٣) في هـ. ب: أومن ويحتمل نها نسخة. وفي هـ. ص: في نسخة أمنوا.

(٤) في د و ط: الجنة مآباً والجزاء ثواباً، وفي هـ. ب: «مآباً والجزاء» ساقطة من ف و ن و ل و ش.

(٥) في هـ. ب: احتفظوا.

(٦) في هـ. ب: مجزيون.

(٧) لم ترد ﷺ في د و ط.

(٨) لم ترد «في» في ا و ب، وهي غير واضحة في ب، وكتب عليها في ص: نسخة، وفي هـ. د:

سيوفكم في هوى - ص و ب و ح، سيوفكم هوى - ل.

(٩) في د زيادة عزوجل، وفي هـ. د: «عزوجل» ساقطة من ص و ح و ب و ل.

(١٠) في ب كتب على «وحق رسوله» نسخة.

(١١) لم ترد ﷺ في د و ط.

وَأَسْتَوْجِبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ، وَقَامَتِ النَّيَّةُ مَقَامَ إِصْلَاتِهِ^(١) لِسَيْفِهِ^(٢)؛ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجَلًا.

قال ابن أبي الحديد. واعلم أن هذه الخطبة من أعيان خطبه عليه السلام. ومن ناصع كلامه ونادره. وفيها من أعيان^(٣) صناعة البديع الرائقة المستحسنة البريئة من التكسّف ما لا يخفى، وقد أخذ ابن نباتة الخطيب كثيراً من لفاظها فأودعها خطبه، [مثل قوله: «شديد كلبه، عال لجبها»]، انتهى^(٤).

قوله عليه السلام: «الزموا الأرض ... الى آخره»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: تم أمر أصحابه أن يتثبتوا ولا يعجلوا في محاربة من كان مخالطاً لهم من ذوي العقائد الفاسدة كالخوارج، ومن كن يطين هوى معاوية، وليس خطابه هذا تشبيطاً لهم عن حرب أهل الشام، كيف^(٥) وهو لا يزال يوبّخهم ويقرّعهم عن التقاعد والابطاء في ذلك! ولكن قوماً من خاصته كانوا يطلعون على ما عند قوم من أهل الكوفة، ويعرفون نفاقهم وفسادهم، ويرومون قتلهم وقتالهم، فنهاهم عن ذلك، وكان يخاف فرقة جُنْدِه وانتشار^(٦) حبل عسكره، فأمرهم بلزوم الأرض، والصبر على البلاء انتهى^(٧).

وفي شرح ميشم بن علي: ثم عقب وعظهم وتحذيرهم والدعاء لهم بأمرهم أن يلزموا الأرض ويصبروا على ما يلحقهم من بلاء أعدائهم ومخالفهم في العقيدة كالخوارج والبلغاة على الامام بعده من ولده والخطاب خاص بمن يكون بعده بدلالة سياق الكلام. ولزوم الأرض، كناية عن الصبر في مواطنهم وقعودهم عن النهوض لجهاد الظالمين في زمن عدم قيام الامام الحق بعده عليه السلام.

وقوله: «ولا تحرّكوا بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم»:

(١) الاصل بالسيف مصدر اصلت سيفه أي سل سيفه.

(٢) كذا في د و ط وفي غيرهما بسيفه. (٣) شرح ابن أبي الحديد ٣: ١١٤.

(٤) نفس المصدر: ١١٤. (٥) في أ: تشبيطاً عن حرب أهل الشام فكيف.

(٦) في الأصل: وانتشار. (٧) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١١٣.

نهى عن الجهاد من غير أمر أحد من الأئمة من ولده بعده، وذلك عند عدم قيام من يقوم منهم لطلب الأمر؛ فإنه لا يجوز إجراء هذه الحركات إلا بإشارة من إمام الوقت وهو ألسنتهم ميلها الى السبّ والشتم موافقة لهوى النفوس.

وقوله: «فإنه من مات منكم. إلى قوله: بسيفه»:

بيان لحكمهم في زمن عدم قيام الامام الحق بعده لطلب الأمر وتنبيه لهم على ثمره الصبر، وهو أن من مات منهم على معرفة حقّ ربّه وحقّ رسوله وأهل بيته والاعتراف بكونهم أئمة الحقّ والاقترناء بهم لحق بدرجة الشهداء ووقع أجره على الله بذلك، واستحقّ الثواب منه على ما أتى به من الأعمال والصبر على المكاره من الأعداء، وقامت نيّته أنّه من أنصار الإمام لو قام لطلب الأمر وإنّه معينه مقام تجرّده بسيفه معه في استحقاق الأجر انتهى^(١).

ومن خطبة له ﷺ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي ^(١) حَمْدُهُ ^(٢)، وَالْغَالِبِ جُنْدُهُ ^(٣)، وَالْمُتَعَالَى جَدُّهُ ^(٤)؛ أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ
التَّوَامِ ^(٥)، وَالْآلِيهِ الْعِظَامِ، الَّذِي عَظَّمَ حِلْمُهُ نَعْفًا، وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى، وَعَلِمَ بِمَا يَمْضِي
وَمَا مَضَى، مُبْتَدِعِ ^(٦) الْخَلَائِقِ ^(٧) بِعِلْمِهِ، وَمُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ، بِلَا أَقْتِدَاءٍ وَلَا تَعْلِيمٍ؛ وَلَا
أَخْتِدَاءٍ ^(٨) لِمِثَالِ صَانِعِ حَكِيمٍ، وَلَا إِصَابَةِ خَطَأٍ ^(٩)، وَلَا حَضْرَةٍ ^(١٠) مَلَأَ ^(١١)،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ ^(١٢)، أَبْتَعَنَهُ وَالنَّاسُ يَضْرِبُونَ ^(١٣) فِي غَمْرَةٍ ^(١٤)،

(١) في هـ ص: أي الذئع المنتشر (٢) في ط: الفاشي في الخلق حمده.

(٣) في هـ ب: أي المؤمنون.

(٤) في هـ ب: أي المتعالي جلاله وعظمته عن اتخاذ الحاجب والولد، وفي القرآن: ﴿وإنه تعالى جد ربنا﴾، وفي هـ ص: الجد الحظ، وهو من قوله تعالى: ﴿وإنه تعالى جد ربنا﴾ ويراد به في حق الله العظمة. وفي حديث أنس: «كان أحدنا إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فبنا» أي عظم، وإنه أعلم.

(٥) في هـ ب: في نسخة التوأم، وفي هـ ب: يعني اصول النعم وفروعه، وفي هـ ص: التوأم جمع توأم وهو الولد يتارن أخاه في بطن وأراد به - هنا - الكثيرة المتقارنة

(٦) هـ ب: أي المخترع.

(٧) في هـ ب: الخلائق جمع خليفة، وهي الخلق.

(٨) في هـ ب: حذوت النعل بالنعل أي قدرت واحدة على الأخرى.

(٩) في هـ ب: ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾.

(١٠) في ب: حضور، وفي هـ ب: وفي نسخة: حضرة، وفي هـ د: ولا حضور ملاء - ش وفي ص: حضرة، وفي هـ ص: وفي نسخة: حضرة.

(١١) في هـ ص: في نسخة: ولا أصابه خطأ ولا حضره ملأ، وفي هـ ب: ما اشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم (١٢) لم ترد عِلْمُهُ فِي د و ط.

(١٣) في هـ ب: أي يسرعون وفي هـ ص: أي يسرون.

(١٤) في هـ ب: أي جهل وضلال، وفي هـ ص: أي غمرة جهل.

وَيَمْوُجُونَ^(١) فِي حَيْرَةٍ^(٢)، قَدْ قَادَتْهُمْ أَرْمَةٌ^(٣) الْحَيْنِ^(٤)، وَاسْتَعْلَقَتْ^(٥) عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ^(٦).

عِبَادَ اللَّهِ! أَوْصِيكُمْ^(٧) بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَلَيْكُمْ؛ وَالْمُوجِبَةُ^(٨) عَلَى اللَّهِ حَقُّكُمْ، وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهِ بِاللهِ^(٩)، وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللَّهِ^(١٠)؛ فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحِزْرُ وَالْجَنَّةُ، وَفِي غَدِ الطَّرِيقِ إِلَى الْجَنَّةِ؛ مَسْلَكُهَا وَاضِحٌ، وَسَالِكُهَا رَاحٌ، وَمُسْتَوْدَعُهَا^(١١) حَافِظٌ^(١٢). لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا^(١٣) عَلَى الْأَمَمِ الْمَاضِينَ مِنْكُمْ، وَالْغَابِرِينَ^(١٤) لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَدًا^(١٥)، إِذَا أَعَادَ^(١٦) اللَّهُ مَا أَبَدَى، وَأَخَذَ مَا أُعْطِيَ^(١٧)، وَسَأَلَ عَمَّا أَشَدَّى^(١٨). فَمَا أَقَلَّ^(١٩) مَنْ قَبْلَهَا^(٢٠)، وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا! أُولَئِكَ الْأَقْلُونَ عَدَدًا، وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾^(٢١).

-
- (١) في هـ. ب : من الموج .
 (٢) في هـ. ب : جمع زمام .
 (٣) في هـ. ب : أي الهلاك، وفي هـ. ص أي حقت عليهم كلمة العذاب بما كفروا وظلموا .
 (٤) في هـ. ص : واستعلقت استحكما اغلاقها .
 (٥) في هـ. ص : هو الدنس والطبع يكون على القلب من المعاصي .
 (٦) في د : اوصيكم عباد الله .
 (٧) في هـ. ب : التاء ضمير التقوى «على الله حقكم» يعني الثواب .
 (٨) في هـ. ص : ليقويكم عليها ويلهمكم اياها من قوله تعالى: ﴿وما تشاؤون إلا ان يشاء الله﴾ .
 (٩) في هـ. ص : أي تتوجهون بها وتزدلفون بها عنده وتتخلصون من عذابه .
 (١٠) في هـ. ص : هو الله عز وجل قال تعالى: ﴿انا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ .
 (١١) في هـ. ب : محفوظ .
 (١٢) في هـ. ب : أي لم تزل التقوى تعرض نفسها على الغابرين أي .
 (١٣) في هـ. ب : الغابرين : الماضين والباقيين (١٥) في هـ. ب : أي في القيامة .
 (١٤) في هـ. ب : أي أعاد الخلق . (١٧) في هـ. ب : أي ما أعطاه في الدنيا .
 (١٥) في هـ. ب : الاسداء : الاعطاء وفي هـ. ص : أي قدم من النعم .
 (١٦) في هـ. ب : في نسخة : ما أقل .
 (١٧) في هـ. ب : من قبلها حذف لقوله فما أقل من قبلها أي من كان قبل التقوى في الدنيا .
 (١٨) (٢١) سبأ : ١٣ .

فَاهْطِعُوا^(١) بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا، وَأَكْظُوا^(٢) بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا، وَأَعْتَاضُوهَا^(٣) مِنْ كُلِّ سَلَفٍ خَلَفًا، وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقًا.

أَيَقْطُوا بِهَا نَوْمَكُمْ، وَأَقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ، وَأَشْعِرُوهَا^(٤) قُلُوبَكُمْ، وَأَرْحَضُوا^(٥) بِهَا دُئُوبَكُمْ؛ وَدَاوُوا بِهَا الْأَسْقَامَ^(٦)، وَتَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ^(٧)، وَأَعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا، وَلَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا.

أَلَا قَصُورُوهَا^(٨) وَتَصَوَّنُوا بِهَا، وَكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُرَاهَا^(٩)، وَإِلَى الْآخِرَةِ وُلَاهَا^(١٠)، وَلَا تَضَعُوا مَنْ رَفَعْتَهُ التَّقْوَى، وَلَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعْتَهُ الدُّنْيَا، وَلَا تَشِيمُوا^(١١) بِأَرْقِئِهَا، وَلَا تَسْمَعُوا نَاطِقَهَا، وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا^(١٢)، وَلَا تَسْتَضِيئُوا^(١٣) بِإِشْرَاقِهَا، وَلَا تُفْتِنُوا^(١٤) بِأَعْلَاقِهَا^(١٥)، فَإِنَّ بَرِّقَهَا خَالِبٌ^(١٦)، وَنُطْقَهَا كَاذِبٌ، وَأَمْوَالُهَا مَحْرُوبَةٌ^(١٧)، وَأَعْلَاقُهَا مَسْلُوبَةٌ^(١٨).

(١) في ص: فانقطعوا، وفي هـ. د: فانقطعوا - م و ن و ق وفي هـ. ص ويروى فاهطعوا ومعناه: سرعوا وفي هـ ب: المهطع: الذي ينظر في ذل وخشوع، معناه واسرعوا.

(٢) في ط: والظو وفي د: وواكظوا في هـ. د: والظو - ح، وفي هـ. ب: الموكضة الموافقة والملازمة وفي هـ. ب: أي داموا، وفي هـ. ص: أي داوموا، وروى والظوا. ومعناه ألحوا، والألظاظ الألحاح من السرح (٣) في هـ. ب: خذوها عوضاً.

(٤) في هـ. د: وأشعروا بها - ب

(٥) في هـ. ب: في نسخة: أرخصوا، وفي هـ. ص: أي اغسلوا.

(٦) في هـ. ص: أي أمراض القلوب. (٧) في هـ. ب: أي الموت.

(٨) في ص: وصونوها، وفي هـ. د: وصونوها - ش.

(٩) في ص: بزها، وكذا في هـ. ب في نسخة. وفي هـ. ص جمع نزيه: المنبري من العيب، المتحرز وفي هـ. ب: جمع نزيه.

(١٠) في ص: ولها وكذا في هـ. ب في نسخة، وفي هـ. ب و ص: جمع واله وهو المشتاق.

(١١) في هـ. ب: أي لا تنظروا، وفي هـ. ص: الشيم: نظر البرق طمعاً في المطر.

(١٢) في هـ. د: ولا تسمعوا ناطقها ولا ناعقها - ب.

(١٣) في ب طاهراً -: ولا تستضيئوا. (١٤) في هـ. ص في نسخة: تفتنوا.

(١٥) في هـ. ب و ص: جمع علق وهو الشيء النفيس.

(١٦) في هـ. ص: أي لا مطر معه. (١٧) في هـ. ص: أي منهوبة.

(١٨) في هـ. ب: من السلب.

أَلَا وَهِيَ الْمُتَّصِدَّةُ^(١) الْعَنُونُ^(٢)، وَالْجَامِحَةُ^(٣) الْحَرُونُ^(٤)، وَالْمَائِنَةُ^(٥) الْحَوُونُ^(٦)،
وَالْجَحُودُ^(٧) الْكَتُودُ، وَالْعَنُودُ^(٨) الصَّدُودُ^(٩)، وَالْحَيُودُ^(١٠) الْمَيُودُ^(١١)؛ حَالُهَا اتَّيْقَالُ، وَوُطَانُهَا
زَلْزَالُ^(١٢)، وَعِزُّهَا ذُلٌّ، وَجِدُّهَا هَزْلٌ، وَعُلُوقُهَا سُفْلٌ.

دَارُ حَرْبٍ وَسَلْبٍ، وَنَهَبٍ وَعَطَبٍ، أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ^(١٣) وَسِيَّاقٍ^(١٤)، وَلَحَاقٍ^(١٥) وَفِرَاقٍ،
قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا، وَأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا^(١٦)، وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا، فَأَسْلَمَتْهُمْ^(١٧) الْمَعَايِلُ،
وَلَفَظَتْهُمْ^(١٨) الْمَنَازِلُ، وَأَغْيَتْهُمْ^(١٩) الْمَحَاوِلُ^(٢٠)؛ فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ^(٢١)، وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ^(٢٢)،
وَسِلْوٍ^(٢٣) مَذْبُوحٍ، وَدَمٍ مَسْفُوحٍ^(٢٤)، وَعَاضٌ عَلَى يَدَيْهِ، وَصَافِقٍ^(٢٥) يَكْفِيهِ^(٢٦).

(١) في هـ ب : المعترضة، نصدى أي تعرض ليستشرفه ناظر وفي هـ ص التي تعرض.

(٢) في هـ ا: العنون من الدواب: المتقدمة في السير. وفي هـ ب : العنون من الدابة المتقدمة على
غيرها.. اذا اعترض وفي هـ ص: العنون التي تمن وتترائي، شبهها بالمرأة تبدي محاسنها
للرجال. (٣) في هـ ب : المائلة بفارسها.

(٤) في هـ ب : لفرس الذي لا ينقاد (٥) في هـ ب و ص: أي الكاذبة.

(٦) في هـ ب : من الخيانة الى فارسها، وفي هـ ص: الخائنة.

(٧) في هـ ب : تنكر الحير وفي هـ ص كأنها تجحد احسان او بانها وفي معناها الكنود.

(٨) في هـ ا: العنود التي ترعى ناحية، وفي هـ ص: الناقة تعدل عن مرعى الابن وترعى ناحية.

(٩) في هـ ص: تصد عن القصد وتعديل. (١٠) في هـ ص: تحيد أي تميل.

(١١) في هـ ب : المائلة وفي هـ ص تتحول من محال الى آخر.

(١٢) في هـ ص: قوله ووطانها زلزالها هي كالضغطة وهي بمنزلة الشدة. وأصلها من وطء القدم،
وانزلال: استبداد الخطب، وان كانت الروابة بفتح الواو والطاء ومد الألف فهو مصدر الوطي
بمعنى المضمئن من هو عليه.

(١٣) في هـ ب : شدة، ساق من سوق يسوق، وفي هـ ص: أي شدة.

(١٤) في هـ ص: الى الآخرة.

(١٥) في هـ ص بفتح اللام، أي من الباقي وفراق من السابق.

(١٦) في هـ ب : جمع مهرب. (١٧) في ب: فاستسلمتهم.

(١٨) في هـ ب : أي نبذتهم. (١٩) هـ ب: أي أعجزتهم.

(٢٠) في هـ ب : المطالب، وفي هـ ص: أي ما يحاولون ويطلبون، وكأنه يريد طلب الرجعة.

(٢١) في هـ ب : أي مجروح. (٢٢) في هـ ب : جزرت الناقة أي تحرثها.

(٢٣) في هـ ب و ص : هو العضو. (٢٤) في هـ ب : أي مسفوك.

(٢٥) في هـ ص: تأسفاً.

(٢٦) في أ و ب و د: لكفيه، في هـ د بكفيه - ص ح ب.

وَمُؤْتِفِقٍ^(١) بِخَدَّيْهِ، وَزَارٍ^(٢) عَلَى رَأْيِهِ، وَرَاجِعٍ عَنْ عَزْمِهِ.
وَقَدْ أَذْبَرَتِ الْحِيلَةُ، وَأَقْبَلَتِ الْغِيلَةُ^(٣)، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ!^(٤) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! قَدْ^(٥)
فَاتَ مَا^(٦) فَاتَ، وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ، وَمَضَتِ الدُّنْيَا لِحَالٍ بِأَلْهَا، ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ
وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْتَظِرِينَ﴾^(٧).

قوله عليه السلام: «مبتدع الخلاق بعلمه»:

في شرح ميثم بن علي: ظاهر كلامه عليه السلام ناطق بأن العلم هنا سبب لما ابتدع من خلقه، ولا شك أن السبب له تقدم على المسبب من جهة ما هو سبب، وهذا هو مذهب جمهور الحكماء، والخلاف فيه مع المتكلمين. إذ قالوا: إن العلم تابع للمعلوم والتابع يمتنع أن يكون سبباً، فالبراء على رأيهم إذن للاستصحاب، وعلى الرأي الأول للتسبب. ونحن إذا حققنا القول وقلنا: إنه لا صفة له تعالى تزيد على ذاته، وكانت ذاته وعلمه وقدرته وإرادته شيئاً واحداً وإنما تختلف بحسب اعتبارات تحدثها عقولنا الضعيفة بالقياس إلى مخلوقاته، كما سبق بيانه في الخطبة لأولي، لم يبق تفاوت في أن يستند المخلوقات إلى ذاته أو إلى علمه أو إلى قدرته أو غيرهما. وأما بيان أن العلم تابع للمعلوم حتى يمتنع أن يكون سبباً له أو متبوعاً حتى لا يمتنع ذلك، فمما حقق في مظانّه. والمسألة مما طال الخطب فيها بينهم، انتهى^(٨).

أقول: ومن غايات خطبهم فيها أن أثبتت المعتزلة ذوات العالم في الأزل ليتعلق العلم الأزلي بها، وصارت الجبرية إلى أن العبد مجبور على فعله، لما تعلق علم الله به، والعلم

(١) في هـ. ص: أي معتمد عليها حزناً وإيلاساً.

(٢) في هـ. ب و ص: عائب له.

(٣) في هـ. ب: الهلاك، وفي هـ. ص الاعتيال الهلكة.

(٤) في هـ. ب: لا لتوكيد النفي ويزاد فيها التاء فيقال: لات، كما يقال تمت وراعت، وشبهوا

لات بليس، وأضمروا اسم الفاعل ولا يقال لات الأمر حين، وقد جاء حذف حين في الشعر وهو: «ولات حين مناص»، والمناص: المهرب.

(٥) في هـ. ب: وهيهات قد حـ. ب. (٦) في هـ. ب: من.

(٧) الدخان: ٢٩. (٨) شرح ميثم بن علي ٤: ٢١٧.

تابع للمعلوم، فلو قدر عدمه انكشف علم الله جهلاً. فاعتبر بمجاورة حد العقل، كيف تطرح صاحبها في المهالك؟! وما حققه ميشم وما نسبته الى الحكماء هو المناسب لأقوال الأئمة عليهم السلام وفي كلام القاسم بن ابراهيم: ولم يشتبه عليه ما اتقنه علمه السابق.

وفي كلامه عليه السلام: «فأما قوله تبارك وتعالى: ﴿خلقت بيدي﴾»^(١):

يعني بقدرتي وعلمي، يريد اني على ذلك قدير وبه عالم، توليت ذلك بنفسي لا شريك لي في تدبيره وصنعي، لأن قدرتي وعلمي ونفسي غيري، بل أنا الواحد لا شيء مثلي انتهى^(٢).

وكلام غيره من الأئمة المتقدمين على نعت قوله، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾»:

هو من قوله تعالى في سورة الدخان^(٣).

قال في الشرح: والمراد أهل السماء وهم الملائكة وأهل الأرض وهم البشر، والمعنى أنهم لا يستحقون أن يتأسف عليهم، وقيل: أراد المبالغة في تحقير شأنهم لأن العرب كانت تقول في العظيم القدر يموت: بكت السماء، وبكت النجوم، قال الشاعر:

فالشَّمْسُ طالعةٌ ليست بكاسِفةٍ تبكي عليك نجوم الليل والقمر^(٤)

فنفي عنهم ذلك، وقال: ليسوا من يقال فيه مثل هذا القول، وتأولها ابن عباس رضي الله عنه لما قيل له: أتبكي السماء والأرض على أحد؟ فقال: نعم يبكيه مصلاًه في الأرض ومصعد عمله في السماء؛ فيكون نفي البكاء عنهما كناية عن أنه لم يكن لهم في الأرض عمل صالح يرفع منهما الى السماء، انتهى من الشرح^(٥).

(٢) أي كلام القاسم بن ابراهيم.

(٤) لجريز، ديوانه: ٣٠٤.

(١) سورة ص: ٧٥.

(٣) الدخان: ٤٤ / ٢٩.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٢٦.

ومن خطبة له عليه السلام:

ومن الناس مَنْ يسمّى هذه الخطبة بالقاصعة، وهي تتضمن ذمّ إبليس لعنه الله ^(١)، على استكباره وتركه السجود لآدم عليه السلام وأنه أول من أظهر العصبية وتبع الحمية. وتحذير الناس من سلوك طريقته ^(٢):

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَبَسَ الْغَزَّ وَالْكِتْرِيَاءَ؛ وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُمَا حِمَى ^(٣)
وَحَرَمًا عَلَى غَيْرِهِ، وَأَصْطَفَاهُمَا ^(٤) لِبَجَالِهِ، وَجَعَلَ اللَّغْنَةَ عَلَى مَنْ نَارَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ.
ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ؛ لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكَبِرِينَ، فَقَالَ
سُبْحَانَهُ، وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ وَمَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ: (إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ *
فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ *
إِلَّا إِبْلِيسَ) ^(٥)؛ أَعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ، فَعَدَّوْا اللَّهَ
إِمَامًا ^(٦) الْمُتَعَصِّبِينَ، وَسَلَفُ الْمُسْتَكَبِرِينَ؛ الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصِيَّةِ، وَنَارَعَ اللَّهَ رِذَاءَ
الْجَبَرِيَّةِ، وَادَّرَعَ ^(٧) لِبَاسَ التَّعَزُّزِ، وَخَلَعَ قَدْعَ التَّذَلُّلِ.
أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللَّهُ بِتَكْبَرِهِ، وَوَضَعَهُ بِتَرْفَعِهِ ^(٨)؛ فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَذْخُورًا ^(٩)، وَأَعَدَّ
لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيرًا!

(١) لم نرد «لعنه الله» في ب و ص.

(٢) في أ بدل ما بين لفوسين: تسمى القاصعة، وهي طويلة وفيها ذم إبليس والعصبية، وفي ه ب: تسمى هذه الخطبة قاصعة؛ لأنها تنقص إبليس، أي تكسر ظهره، وفيها ان أمير المؤمنين كان على ناقدة نقص بجرتها، أي تخرج من جوفها الجرّة.

(٣) في ه. ب: ما مفاده: الحمى: المحل الذي يمنع الاغيار من الاستفادة منه

(٤) في آ: واصطفاهما. (٥) ص: ٧١ - ٧٤.

(٦) في ه. ب في نسخة: فعُدَّ والله امام. (٧) في ه. ب: جعله الدرع.

(٨) في ص كتب على «بترفعه» نسخة، وفي ط: ووضعه الله بترفعه، وفي ه. د: ووضعه الله

بترفعه - ب ض. (٩) في ه. ص: أي مطروداً مبعداً.

وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ^(١) أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطِفُ الْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ، وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ رَوَاؤُهُ ^(٢)، وَطِيبٍ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ ^(٣)، لَفَعَلَ؛ وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الْأَعْنَاقُ ^(٤)، خَاضِعَةً، وَلَخَفَّتِ الْبُلُوى ^(٥) فِيهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي ^(٦) خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ تَمْيِيزًا بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ، وَنَفْيًا لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ، وَإِثْعَادًا لِلْخِيَلَاءِ ^(٧) مِنْهُمْ، فَأَعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ ^(٨) عَمَلَهُ الطَّوِيلَ، وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ، وَكَانَ قَدْ ^(٩) عَبَدَ اللَّهَ ^(١٠) سِتَّةَ آلَافٍ ^(١١) سَنَةً، لَا يُدْرَى أَمِنْ سِنَى الدُّنْيَا أَمْ مِنْ ^(١٢) سِنَى الْآخِرَةِ، عَنْ ^(١٣) كِبَرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَمَنْ ^(١٤) بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ!

كَلَّا مَا كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَرًا بِأَمْرِ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكًا، إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ ^(١٥) الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ، وَمَا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ ^(١٦) فِي إِتَابَةِ حِمَى ^(١٧) حَرَمِهِ اللَّهِ ^(١٨) عَلَى الْعَالَمِينَ.

(١) لم ترد لفظة الجلالة في آود، ولم ترد «سبحانه» في ط وفي هـ. د: ولو أراد الله أن يخلق - ص ح ب ل.

(٢) في أ: رواه، وفي هـ. ب، وفي نسخة: ارتواه أحسن منظره وفي هـ. ص: هو المنظر الحسن.

(٣) في هـ. ب: أي رائحته. (٤) في هـ. د: لظلت الأعناق له - م ن ف.

(٥) في هـ. ب: أي المحن. (٦) في ط: ابتلى، وفي هـ. د: ابتلى ض ح ب.

(٧) في هـ. ص بضم الخاء، وجاء بكسرهما: الكبير، وكذلك الخا والمخيلة.

(٨) في هـ. ص: أي أبطل، وربما يستدل به على أن لمعصية تكبير لوقوعها على وجه مخصوص، وربما يستدل به على أن الاحباط ليس باعتبار الموازنة.

(٩) في د: وقد كان، وفي هـ. د: وكان قد - ض ح ب ل ش.

(١٠) في آ: وقد كان عبد. (١١) في ب: ألف.

(١٢) لم ترد «من» في ب و د، وفي هـ. د: أم موسى - ص ح.

(١٣) في ب و ط: عن، وفي هـ. ب، وفي نسخة: على.

(١٤) في ط فمن ذا، وفي هـ. د: فمن ذ - ض ح ب.

(١٥) لم ترد «أهل» في ط.

(١٦) في هـ. ب: أي صلح، وفي هـ. ص: هي المودعة والمصالحة.

(١٧) في هـ. ب: ما يمنع الله منه ورسوله. (١٨) لم ترد لفظة الجلالة في ب و د.

فَاخْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ^(١) عَدُوَّ اللَّهِ^(٢) أَنْ يُعَذِّبَكُمْ^(٣) بِدَائِهِ^(٤)، وَأَنْ يَسْتَفْزِكُمْ^(٥) بِخَيْلِهِ
وَرَجُلِهِ^(٦)، فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوْقَ^(٧) لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ، وَأَغْرَقَ^(٨) لَكُمْ^(٩) بِالنَّزْعِ^(١٠) الشَّدِيدِ،
وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ^(١١)، وَقَالَ^(١٢) : «رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأَزِنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ
وَلَأُغْرِبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ»^(١٣)، قَدْ فَأْ بِغَيْبٍ بَعِيدٍ، وَرَجُمًا بِظَنٍّ غَيْرٍ مُصِيبٍ^(١٤)؛ صَدَقَهُ^(١٥) بِهِ أَبْنَاءُ
الْحَمِيَّةِ، وَإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ، وَفُؤَسَاؤُ الْكِبَرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ، حَتَّى إِذَا أَنْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ^(١٦)
مِنْكُمْ، وَأَسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ^(١٧) مِنْهُ فِيكُمْ، فَتَجَمَّتِ^(١٨) الْخَالُ مِنَ السَّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الْأَمْرِ
الْجَلِيِّ، أَسْتَفْحَلَ^(١٩) سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ، وَدَلَفَ^(٢٠) بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ، فَأَقْحَمَكُمْ^(٢١) وَلَجَاتٍ^(٢٢)

(١) لم ترد «عباد الله» في ب وفي هـ. د لم ترد «عباد الله» في م ل ش.

(٢) لم ترد «عدو الله» في آ.

(٣) في هـ. ب: أي بصيبكم، وفي هـ. ص: يعذّبكم من العذوب وهي انتقال الداء من محل إلى محل، شبه عذبة به تعلمهم منه الكبر والفساد.

(٤) العبارة في د و ط: وان يستفزكم بندائه وان يجلب عليكم بخيله ورجله، وفي هـ. د: «بندائه وان يجلب عليكم» ساقطة من م ن ف ل ش.

(٥) في هـ. ب و ص: أي يستخفكم. (٦) في هـ. ص: أي أعوانه.

(٧) في هـ. ص: فوق السهم وضع فوقه، وهو السوف في سقله في الوتر.

(٨) في هـ. ص: اسبوفى مدّ القوس وبائع في جذبه.

(٩) في ط: اليكم. (١٠) في هـ. ب: من النزاع للسهم عن القوس.

(١١) في هـ. أ: في غير هذا الكتاب ورمكم بالتهديد من مكان بعيد.

(١٢) في ط: فقال. (١٣) الحجر: ٣٩.

(١٤) في ب: بظن مصيب وفي هـ. ب، وفي نسخة: بظن غير مصيب، وفي هـ. د: ورجماً بالغيب - ب ل ش.

(١٥) في هـ. د: صدقه امناء الحمية - ف و ن.

(١٦) في هـ. ب، وفي نسخة: الجماحة من الجموح، وفي هـ. ص: بما جمع جامع، أو مفرد صفة للنفس.

(١٧) في هـ. ب: الطماعية والطماعة بمعنى واحد كالكرهية والكرهية، وفي هـ. ص: مصدر طمع.

(١٨) في هـ. ب: أي طمع. (١٩) في هـ. ب: أي استعظم.

(٢٠) في هـ. ب: أي ذهب، وفي هـ. ص: تقدم.

(٢١) في هـ. ب: من الاقحام وهو الادخال في هـ. ص: أي أدخلوكم.

(٢٢) في آ: ولجاب، وفي هـ. آ: الولج: الطريق في الرمل. وفي هـ. ب: ولجات جمع ولجة، وفي هـ. ص وهي نحو الغار والكهف.

الذِّلَّ، وَأَخْلَوْكُمْ وَرَطَاتٍ ^(١) الْقَتْلِ، وَأَوْطَأُوكُمْ ^(٢) إِثْخَانَ ^(٣) الْجِرَاحَةِ، طَعْنًا فِي عُيُونِكُمْ، وَحَزًّا ^(٤) فِي حُلُوقِكُمْ، وَدَقًّا لِمَنَاخِرِكُمْ، وَقَصْدًا لِمَقَاتِلِكُمْ، وَسَوْقًا بِخَزَائِمٍ ^(٥) الْقَهْرِ، إِلَى النَّارِ الْمُعَدَّةِ لَكُمْ، فَأَصْبَحَ ^(٦) أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ جُرْحًا ^(٧)، وَأَوْزَى ^(٨) فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحًا، مِنْ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ، وَعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ ^(٩).

فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ ^(١٠) وَلَهُ جِدَّكُمْ. فَلَعَنُوهُ اللَّهُ لَقَدْ فَخَرَ عَلَى أَصْلِكُمْ ^(١١)، وَوَقَعَ فِي حَسَبِكُمْ، وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ، وَأَجْلَبَ بِحِيلِهِ عَلَيْكُمْ؛ وَقَصَدَ بِرَجْلِهِ سَبِيلَكُمْ. يَفْتَنِيصُونَكُمْ ^(١٢) بِكُلِّ مَكَانٍ، وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ ^(١٣)، لَا تَمْتَنِعُونَ ^(١٤) بِحِيلَةٍ، وَلَا تَدْفَعُونَ ^(١٥) بِعَزِيمَةٍ، فِي حَوْمَةٍ ^(١٦) ذُلًّا، وَخَلْقَةٍ ضِيقٍ، وَعَرَصَةٍ مَوْتٍ، وَجَوْلَةٍ ^(١٧) بَلَاءٍ.

فَأُطِفُوا مَا كَمَنَّ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ، وَأَخْقَادِ ^(١٨) الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّمَا ^(١٩) تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ ^(٢٠) مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ ^(٢١)، وَنَزَعَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ.

(١) في هـ. ب: جمع ورطة وهي المهبكة.

(٢) في هـ. ب: أوردوكم في هـ. ص: أي جعلوكم واطئين.

(٣) في هـ. ب: أي كثرة القتل، والمبالغة في القتل، وفي هـ. ص: الاثخان مصدر اثخن في القتل أي أكثر منه وبالع حتى كشف شأنه وصار كالشيء الثخين، ومعنى إبطاء الشيطان بني آدم ذلك: الفاؤهم فيه، من الشرح. (٤) في هـ. ب: أي قطعاً.

(٥) في هـ. ب: جمع خزام وهو الزمام، وفي هـ. ص: جمع خزمة وهي ما يجعل في نف البعير يقاد به. (٦) في ط: فأصبحتم.

(٧) في ط: حَرَجًا.

(٨) في هـ. ص: أي أكثر ايراء، والإيراء: إخراج النار من الزند.

(٩) في هـ. ب و ص: أي مجتمعين.

(١٠) في د: حدكم، وفي هـ. ب: ما يجب عليهم، أي فاجعلوا عليه جانبكم أي المخصوص.

(١١) في هـ. ب: آدم عليه السلام، وفي هـ. ص: أي عاب أصلكم.

(١٢) في هـ. ب: أي يصيدونكم (١٣) في هـ. ب: اصبع.

(١٤) في ب: لا يمتنعون لا تمتنعون. (١٥) في ب: لا يدفعون لا تدفعون.

(١٦) في هـ. ب: معظم المعسكر، وفي هـ. ص: هي معظم الشيء كالماء والحرب ونحوهما.

(١٧) في هـ. ص: الموضع يجال فيه. (١٨) في هـ. ب: جمع حقد.

(١٩) في ب و د: وانما، وفي هـ. د: فانما - ض ب.

(٢٠) في أ: من المسلم. (٢١) في هـ. ب: جمع نخوة وهي التكبر.

وَأَعْتَمِدُوا^(١) رَضَعَ التَّذَلُّ عَلَى رُءُوسِكُمْ، وَإِلْقَاءَ التَّعْزُرِ^(٢) تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، وَخَلَعَ التَّكْبِيرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ، وَاتَّخِذُوا التَّوَاضِعَ مَسْلَحَةً^(٣) بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ؛ فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُودًا وَأَعْوَانًا، وَرَجُلًا وَفُرْسَانًا؛ وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ^(٤) عَلَى ابْنِ أُمِّهِ^(٥) مِنْ غَيْرِ مَا فَضَّلَ جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِ، سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ^(٦)، وَقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ، وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبَرِ الَّذِي أَغْشَاهُ اللَّهُ بِهِ النَّدَامَةَ، وَالزَّمَهُ أَثَامَ الْفَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(٧).

أَلَا وَقَدْ أَمَعْتُمْ^(٨) فِي الْبَغْيِ، وَأَفْسَدْتُمْ فِي الْأَرْضِ مُصَارَحَةً

لِلَّهِ بِالْمُنَاصَبَةِ، وَمُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ، فَاللَّهُ اللَّهُ فِي كِبَرِ الْحَمِيَّةِ وَقَحْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مَلَأَ^(٩) الشَّنَانِ وَمَنَافِخِ^(١٠) الشَّيْطَانِ اللَّاتِي^(١١) خَدَعَ بِهَا الْأُمَمَ الْمَاضِيَةَ وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةَ^(١٢)، حَتَّى أَعْنَقُوا^(١٣) فِي حَنَادِينَ^(١٤) جَهَالَتِهِ وَمَهَارِي^(١٥) ضَلَالَتِهِ ذُلًّا عَنْ سِيَاقِهِ سُلْسًا^(١٦) فِي قِيَادِهِ^(١٧)، أَمْرًا تَشَابَهَتْ الْقُلُوبُ فِيهِ وَتَتَابَعَتْ الْقُرُونُ عَلَيْهِ وَكَبُرَ تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ بِهِ.

(١) في ص: فاعتمدوا وفي ه: ص، وفي نسخة: واعتمدوا.

(٢) في ه: ب: الغللة.

(٣) ه: ب: المسلحه قوم ذوو سلاح، ه: ص هي جماعة من الخيل نعد في العورة للحماية والدفاع.

(٤) في ه: ص: هو قابيل وابن امه هو هابيل، وفي ه: ب: قابيل وهابيل.

(٥) في ه: : في غير هذا الكتاب: «على أخيه ابن أمه وأبيه»

(٦) في ط: الحسب، وفي ه: د، وفي نسخة: الحسب.

(٧) في ه: ص: في مالي الامام أبي طائب مسنداً الى عبيداته - أظنه ابن مسعود - قال: قال رسول الله ﷺ لا يقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، وذلك انه سُنَّ القتل. انتهى.

(٨) في ه: ب: أي أسرعتم، وفي ه: ص: أي بانغتم.

(٩) ه: ب: جمع منقح، والمصدر اللقاح. (١٠) في ه: ب: من النسخ.

(١١) في ه: د: التي - ض ح ب (١٢) في ه: ب: الماضية.

(١٣) ه: ص: أي أسرعوا. (١٤) في ه: ب: جمع حندس أي الظلمة

(١٥) في ه: ب: مساقط. (١٦) في ه: ب: منقادين.

(١٧) في ه: ب: من الفود.

أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمْ الَّذِينَ تَكْبَرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ وَتَرَفُّعُوا
فَوْقَ نَسَبِهِمْ. وَالْقُوا الْهَجِينَةَ^(١) عَلَى رَبِّهِمْ. وَجَاخَدُوا اللَّهَ عَلَى^(٢) مَا صَنَعَ بِهِمْ. مُكَابِرَةً
لِقَضَائِهِ وَمُغَالَبَةً لآلَائِهِ. فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أُسَاسِ الْعَصِيَّةِ^(٣) وَدَعَائِمُ أَزْكَانِ الْفِتْنَةِ وَسُيُوفُ
اعْتِرَازٍ^(٤) الْجَاهِلِيَّةِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَكُونُوا لِنِعْمِهِ عَلَيْكُمْ أُضْدَاداً وَلَا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ
حُسَاداً^(٥) وَلَا تُطِيعُوا الْأَدْعِيَاءَ^(٦) الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ
مَرَضَهُمْ وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ وَهُمْ أُسَاسُ^(٧) الْفُسُوقِ وَأَخْلَاسُ^(٨) الْعُقُوقِ اتَّخَذَهُمْ
إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ^(٩)، وَجُنُوداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ
اسْتِزَاقاً^(١٠) لِعُقُولِكُمْ وَدُخُولاً فِي عُيُونِكُمْ وَنَفْثاً^(١١) فِي أَسْمَاعِكُمْ فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَبِيلِهِ
وَمَوْطِئَ قَدَمِهِ وَمَاخِذَ يَدِهِ. فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ
وَصَوْلَاتِهِ وَوَقَائِعِهِ^(١٢) وَمَثَلَاتِهِ^(١٣) وَاتَّبِعُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ^(١٤) وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ

(١) في هـ ب: الهجنة: وفي هـ ب: في نسخة: هجنة، والهجنة العيب.

(٢) لم نرد على في د وفي هـ د: جاحدوا الله - ص ح ب.

(٣) في هـ ص: أي في هذه الأمة.

(٤) في ب ص: اعتراء، وفي هـ ب الانتساب، وفي هـ ص: أي جاهلية الأهواء وانبدع يحتج
بهم أهلها. (٥) في هـ ب: في الآثار الحاسد عدو معني.

(٦) في هـ ب: جمع دعي، وفي هـ ص: الادعاء جمع دعي، وهو من يدعي ما ليس له، والمراد
هنا من يدعي من لفضل والرئاسة ما ليس له، ولا يخفى على ذوي لبصائر المتوسمين من
يريد. (٧) في هـ ص: جمع اس، وهو الأصل.

(٨) الاحلاس لبس، جمع حلس، وفي هـ ص: احلاس العقوق: جمع حلس وهو في الأصل
كساء رقيق بلازم طهر البعير فكنتي به عن الملازمة وانما جعلهم احلاس عقوق لانهم قطعوا
من أمر الله به ان يوصل من أهل بيته وآله وصحبه وسلم.

(٩) أي يضلهم بهم (١٠) في هـ ب: من قوله تعالى: «استرق السمع».

(١١) في أ: نشأ، وفي هـ أ: نشرأ، وفي هـ ص: وىروى نشأ، وهو فشاء الحديث، وفي هـ د: نشأ - ع.

(١٢) في هـ ب: جمع وقية وهي ما يقع من العذاب

(١٣) في أ: مثلات، هـ ب: مثلاته، من قتل وغيره.

(١٤) في هـ ب: في نسخة: مهاوي وهي المساقط، و لمثاوي جمع مثنوى وهو المنزل.

وَأَسْتَعِيدُوا بِاللهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبَرِ^(١) كَمَا تَسْتَعِيدُونَ^(٢) مِنْ طَوَارِقِ^(٣) الدَّهْرِ. فَلَوْ رَخَّصَ اللهُ فِي الْكِبَرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِحَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ^(٤) وَأَوْلِيَائِهِ. وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَايُرَ^(٥) وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ. فَأَلْصَقُوا بِالأَرْضِ خُدُودَهُمْ. وَعَفَّروا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَكَانُوا أَقْوَاماً مُسْتَضْعِفِينَ قَدْ اخْتَبَرَهُمُ اللهُ^(٦) بِالمُخَمَّصَةِ^(٧) وَابْتَلَاهُمْ بِالمُجْهِدَةِ^(٨). وَأَمَتَحَنَهُمْ بِالمَخَاوِفِ وَمَخَضَهُمْ^(٩) بِالمَكَارِهِ. فَلَا تَعْتَبِرُوا^(١٠) الرِّضَا وَالسُّخْطَ بِالمَالِ وَالْوَلَدِ جَهْلًا بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ وَالِاخْتِبَارِ فِي مَوَاضِعِ الْغِنَى^(١١) وَالْإِقْتِدَارِ^(١٢). فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: «أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَنَبِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ»^(١٣) فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعِفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ.

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ^(١٤) عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ^(١٥) الصُّوفِ وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ^(١٦) فَسَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَّامَ عِزِّهِ فَقَالَ: أَلَا تَعْجَبُونَ

(١) في هـ ب: لواقح الكبر: جمع لاقح، وهو نوح

(٢) هـ د: كما تستعدون - ب، كما تستعيدون به - ن.

(٣) في هـ ب: جمع طارقة وهي الحادثة التي يخشى منها.

(٤) في ب: حاصة لأتبيائه، وفي هـ ب في نسخة لخاصه أنبيائه

(٥) في ب: التكائر والتكابر معا. (٦) لم ترد لفظة الجلالة في أ

(٧) في هـ ب: بالجوع وفي هـ ص: المجاعة

(٨) في هـ ب: الجهر، وفي هـ ص: المشقة

(٩) في ص وفي هـ وب، وفي نسخة محصهم، وفي هـ ب: محصهم أي خلصهم، وفي هـ د:

محصهم - ح و ع. محضهم - ن وروي محصهم - ك

(١٠) في أ: ولا تعتبر. (١١) في هـ ب، وفي نسخة: الغناء.

(١٢) في أ و د: الافتقار، وفي ص: الاقتار، وفي هـ ب، وفي نسخة: الاقتار، وفي هـ د: الاقتار -

ص ح ب ل ش. (١٣) المؤمنون: ٥٥ - ٥٦.

(١٤) في ط: صلى الله عليهما.

(١٥) هـ ب: جمع دراعة، هـ ص: جمع مدرعة بالكسر، وهي هنا لباس من صوف ضيق الكمين،

ويقال له جمارة، قال الشاعر:

جمارة ضيق منها الكمان

ينغنيك عن طاق كثير الأمان

(١٦) في أ: العصا. وفي هـ د: العصا - ف.

مِنْ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِيْ ذَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءِ الْمُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ ^(١) مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ فَهَلَّا
أَلْقَى عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةً ^(٢) مِنْ ذَهَبٍ إِعْظَامًا لِلذَّهَبِ وَجَنَيعَةً وَاحْتِقَارًا لِلصُّوفِ وَلُئْسِيهِ وَلَوْ
أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذَّهَبَانِ ^(٣) وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ ^(٤)
وَمَغَارِسَ الْجَنَانِ وَأَنْ يَخْشُرَ مَعَهُمْ طَيْرَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرْضَيْنِ ^(٥)؛ لَفَعَلَ وَلَوْ فَعَلَ
لَسَقَطَ الْبَلَاءُ ^(٦) وَبَطَلَ الْجَزَاءُ وَاضْمَحَلَّتِ ^(٧) الْأَنْبَاءُ وَلَمَّا وَجَبَ ^(٨) لِلْقَابِلِينَ أَجُورُ الْمُبْتَلِينَ
وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ ^(٩) وَلَا لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيهَا وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ
جَعَلَ رُسُلَهُ أَوْلَى قُوَّةً فِي عَزَائِمِهِمْ وَضَعْفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمَلُّ
الْقُلُوبَ وَالْعُيُونُ غَنَى وَخَصَاصَةٍ ^(١٠) تَمَلُّ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أَدَى.

وَلَوْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ ^(١١) وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ ^(١٢) وَمُلْكٍ تُمَدُّ ^(١٣) نَحْوُهُ أُعْنَاقُ
الرُّجَالِ وَتُشَدُّ ^(١٤) إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْاِعْتِبَارِ وَأَبْعَدَ لَهُمْ مِنْ
الْاِسْتِكْبَارِ وَلَا مَسْئُوا ^(١٥) عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ فَكَانَتِ ^(١٦)

(١) في أ: يرون.

(٢) في د: أساور، وفي هـ. ص: جمع اسورة، جمع سوار.

(٣) في هـ. ب: الذهبان اسم للذهب، وفي هـ. ص جمع ذهب كخرب وخربان، وفي هـ. ب:
الذهبان جمع ذهب كما قالوا حرب وحربان وهو ذكر الحبارى.

(٤) في هـ. ب: هو الذهب. (٥) د: الأرض، وفي هـ. د: الأرضين - ش.

(٦) في هـ. ب: التكليف.

(٧) في ب: واضمحل، وفي هـ. ب: فنى، وفي هـ. ص أي تلاشت وفنيت والانباء جمع نباء، يعني
ان خصيصة الانبياء: الانباء عن الله وباعتباره يتبعهم المصدقون، واذا كانوا ملوكاً يتبعهم
الخلق اتباع الملوك وبطل اعتبار الخصيصة، وانما وجب للقابلين أجور المبتلين لقهرهم
أنفسهم وحملها على الصبر. (٨) في هـ. ب، نسخة: أوجب.

(٩) في هـ. ص: لأن المحسن من يفعل الخير، لأنه خير لا رغباً في الدنيا ولا رهباً فيها.

(١٠) في هـ. ب، وفي نسخة: غضاضة، والخصاصة: الفقر والحاجة.

(١١) في هـ. ب: لا يطلب ولا يظفر. (١٢) في هـ. ب: لا يظلم.

(١٣) في د: تمتد. (١٤) في ب: يشد.

(١٥) هـ. ب، في نسخة: ولأمنوا.

(١٦) في أ و د: وكانت وفي هـ. ب، وفي نسخة: وكانت، وفي ص: فكانت، وفي هـ. ص: وكانت،
وفي هـ. د: فكانت - ض ح ل ش.

النِّيَّاتُ^(١) مُشْتَرَكَةٌ وَالْحَسَنَاتُ مُنْقَسِمَةٌ^(٢) وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْاِتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ
وَالْتَّصِيقُ بِكُتُبِهِ وَالْخُشُوعُ لَوُجْهِهِ وَالِاسْتِكَانَةُ^(٣) لِأَمْرِهِ وَالِاسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ أُمُورًا لَهُ
خَاصَّةٌ لَا يَشُوبُهَا^(٤) مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ. وَكَلَّمَا كَانَتْ الْبَلَوُى وَالِاخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتْ الْمَثُوبَةُ
وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ^(٥) أَتَزَوُّونَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ^(٦) إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ
هَذَا الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ^(٧). فَجَعَلَهَا بَيِّنَةً الْحَرَامَ الَّذِي
جَعَلَهُ^(٨) لِلنَّاسِ قِيَامًا^(٩). ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرَ^(١٠) بَقَاعِ الْأَرْضِ خَجْرًا، وَأَقْلَّ تَنَاقٍ^(١١) الْأَرْضِ^(١٢)
مَدْرًا. وَأَضْيَقَ بَطُونِ الْأَوْدِيَةِ قُطْرًا^(١٣) بَيْنَ جِبَالٍ خَسَنَةٍ وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ^(١٤). وَعُيُونٍ وَتِبَلَةٍ^(١٥)
وَقُرَى مُنْقَطِعَةٍ لَا يَزْكُو^(١٦) بِهَا خُفٌّ. وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ^(١٧) وَوَلَدَهُ أَنْ يَسْتَوُوا^(١٨)
أَعْطَاهُمْ^(١٩) نَحْوَهُ فَصَارَ مَثَابَةً لِمُتَتَّجِعٍ^(٢٠) أَسْفَارِهِمْ وَغَايَةً لِمُتَلَقًى رَحَالِهِمْ.

(١) في هـ ب، وفي نسخة: السنات، والكسرة غير واضحة في ص

(٢) في ص: منقسمة (٣) في هـ ب: الحنوع

(٤) في ب: لا شوبها.

(٥) في هـ ص: أي كثر، ولجزل: العظيم، وعطاء: حزن وجزيل، والجمع: جرائل، من انسرح

(٦) في ص زيادة: بآدم (٧) في ب: ولا تسمع ولا تبصر

(٨) في ص زيادة: لله، وفي هـ ب: في نسخة زياده: لله

(٩) في هـ ب: أي قائم.

(١٠) في هـ ب: أي أحسن، وفي هـ ص: أي أصعب، والوعر: الصعب

(١١) في هـ ب: جمع ناقة، وفي هـ ص: قال في الشرح: أصل هذه اللفظة من قولهم: امرأة متناق،

أي كثيرة الحبل والولادة ويقال: صبعة متناق أي كثيرة الربع، فجعل ~~لها~~ الضباع ذوات
المدر التي تدر للحرث تناثق. وقال: ن مكة قلها صلاحاً للزرع؛ لأن أرضها حجرية

(١٢) في ا و ص و د: الدنيا، وفي هـ د: الأرض - ب

(١٣) في هـ ب: أي جنباً.

(١٤) في هـ ا: أي ليثة، وفي هـ ص: أي سهلة، وكلما كان الرمل أسهل كان أبعد من أن يثبت.

(١٥) في هـ ا و ب: أي فلسة الماء، وفي هـ ص: الوشل: قلة الماء.

(١٦) أي لا ينمو. (١٧) في د: زيادة: ~~لها~~.

(١٨) في هـ ب: أي يصرفوا، وفي هـ ص: يلفتوا ويقصدوه.

(١٩) في هـ ب: مناكبهم، وفي هـ ص: عطفوا الرجل: جانباه.

(٢٠) هـ ب: موضع الانتجاع، هـ ص: مرجعاً يثاب عليه ويرجع إليه مرة بعد أخرى

تَهْوِي ^(١) إِلَيْهِ يُنَادِ الْأَقْبَدَةَ ^(٢) مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ وَمَهَاوِي ^(٣) فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ وَجَزَائِرِ بَحَارٍ
مُنْقَطِعَةٍ حَتَّى يَهْرُوا ^(٤) مَتَاكِتَهُمْ ^(٥) ذَلِكَ يَهْلُلُونَ لِلَّهِ ^(٦) حَوْلَهُ. وَيَزْمُلُونَ ^(٧) عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْنًا
غُبْرًا لَهُ قَدْ تَبَدُّوا ^(٨) السَّرَائِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ. وَشَوْهُوا ^(٩) بِإِعْقَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ
اِبْتِلَاءً عَظِيمًا وَامْتِحَانًا شَدِيدًا وَاخْتِبَارًا مُبِينًا. وَتَمَحِّصًا ^(١٠) بَلِيغًا جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَبًا لِرَحْمَتِهِ
وَوُضْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ. وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ بَيْنَ جَنَابٍ
وَأَنْهَارٍ وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ جَمَّ الْأَشْجَارِ دَانِي الثَّمَارِ مُلْتَقًّ الْبُنَى مُتَّصِلَ الْقَرَى بَيْنَ بُرَّةٍ ^(١١) سَمَرَاءَ
وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ وَأَرْيَافٍ ^(١٢) مُخْدِقَةٍ وَعِرَاصٍ ^(١٣) مُعْدِقَةٍ وَرِيَاضٍ نَاصِرَةٍ ^(١٤) وَطُرُقٍ غَامِرَةٍ
لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ. وَلَوْ كَانَتْ ^(١٥) الْأَسَاسُ الْمَحْمُولُ
عَلَيْهَا ^(١٦) وَالْأَخْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا بَيْنَ زُمُرَدَةٍ ^(١٧) خَضْرَاءَ وَيَاقُوتَةٍ حُمْرَاءَ وَنُورٍ وَضِيَاءٍ
لَخَفَّتَ ^(١٨) ذَلِكَ مُضَارَعَةً ^(١٩) الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ وَلَوْضَعَ مُجَاهِدَةً إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ

(١) في ب: تهوي، وفي هـ. ص: تتشوق وتنزع.

(٢) في هـ. ص: وثمره القلب: سويدها.

(٣) في هـ. ص: المهوي جمع مهواة: ما يهوى فيه.

(٤) في هـ. ب: يحرکوا

(٥) في هـ. ص: جمع منكب، مجمع عظم العضد والكتف

(٦) في ا يهلون، وفي هـ. ص: يقولون لا اله الا الله، وفي هـ. د: يهلون - ف ن ب ل وحاشية م.

(٧) في هـ. ص: سير فوق المشي ودون السعي.

(٨) في هـ. ص: أي حاموا وأبعدوا. (٩) في هـ. ب: قبحوا.

(١٠) في هـ. ب: تخلصاً، وفي هـ. ص: التمحيص: التطهير من محصت الذهب بالنار: إذا صفّيته.

(١١) في هـ. ب: البرّة: لحنطة.

(١٢) في هـ. ب: جمع ريف، وهو كل أرض بها خصب في هـ. ص: جمع ريف، وهو الخصب.

(١٣) هـ. ب: جمع عرصة.

(١٤) في هـ. ص: كثيرة الماء والندادة، وفي أوه ص ود: وزروع.

(١٥) في غير ط ود: كان. هـ. د: كان - ض و ح و ب.

(١٦) في هـ. ص: يجوز أن يكون المناسب ضمير النسب في المحمول المرفوع، ويجوز أن يكون الجار والمجرور. (١٧) في هـ. ص: فص أخضر.

(١٨) في أوب ود: لخفف وفي هـ. د: لحتت - ب، وفي هـ. ب: خفف ذلك مفعوله مضارعة الشك.

(١٩) في ص و ط ود: مضارعة، بالصاد، وفي ط: مسارعة، وفي هـ. ب: في نسخة: مضارعة

وَلَنَفَى مُعْتَلَجٍ ^(١) الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنَّ اللَّهَ ^(٢) يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعٍ ^(٣) الْمَجَاهِدِ ^(٤) وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ إِخْرَاجاً لِلتَّكْبَرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ. وَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَاباً فَتْحاً إِلَى فَضْلِهِ وَأَسْبَاباً ذُلّاً لِعَفْوِهِ.

فَاللَّهُ آتٍ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ وَآجِلِ وَخَامَةِ ^(٥) الظُّلْمِ وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبَرِ ^(٦) فَإِنَّهَا مَصِيدَةٌ ^(٧) إِبْلِيسَ الْعُظْمَى وَمَكِيدَتُهُ ^(٨) الْكُبْرَى الَّتِي تُسَاوِرُ ^(٩) قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ. فَمَا تُكْدِي أَبَداً ^(١٠) وَلَا تُشْوِي ^(١١) أَحَداً لَا عَالِماً لِعِلْمِهِ وَلَا مُقْتَلًا ^(١٢) فِي طَمَرِهِ ^(١٣) وَعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزُّكُوتِ وَمُجَاهَدَةِ الصَّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ تَسْكِيناً لِأَطْرَافِهِمْ ^(١٤) وَتَخْشِيعاً لِأَبْصَارِهِمْ وَتَذَلُّيلاً لِنُفُوسِهِمْ، وَتَخْفِيزاً ^(١٥) لِقُلُوبِهِمْ وَإِذْهَاباً لِلْخِيَلَاءِ ^(١٦) عَنْهُمْ

→ الشك وفي هـ ب: أي مشابهة، وفي هـ ص: بالصاد المهمة مفاعلة من الصرع، ويروى بالصاد معجمة، ومعناه مقارنة الشك ودنوّه من النفوس، وأصله من مصارعة المقدر إذا حان

ادراكها، ومن مضارعة الشمس إذا دنت للغروب، من السرح ١٥٧: ١٣

(١) في هـ ب: من الاعتلاج وهو منازعة اليفين و هـ ص: أي اضطرابه وقلقه.

(٢) في ب زيادة سبحانه.

(٣) في أ و ب: بالوان.

(٤) في هـ ب: من الجهد.

(٥) في هـ ب: لوخم: الشرّ وبلد وخيم اذ لم يوافق ساكنه.

(٦) في أ: التكبر.

(٧) في هـ ب: في نسخة: مصبدة، موضع الصيد وفي هـ أ: في الديون المصيدة ما يصاد به، وفي غبره: المصيدة وهي القعة يصاد بها. وفي هـ ص: مصيدة تفتح الميم وسكون الصاد وفتح الياء: ما يصاد به

(٨) في هـ ص: المكيدة: في الأصل صخرة يصل إليها حافر البئر فلا يفدر على الوصول الى الماء، فاستعبر لمطلق الحرمان ولخيبة.

(٩) في هـ ب: تخالط: مفاعلة من السورة وهي السطوة والحملة، وفي هـ ص: أي نواذب وتنازل.

(١٠) في هـ ب: من الكدة قلت: أكدي الحافر اذا عجز عن التأثير في الأرض.

(١١) في هـ ب: الاشواء: خطأ المقتل. وفي هـ ص: يقال رمي فأشوى أي لم يصب المقتل كانه يصيب الشوى وهي الأطراف كأيدي الرجل.

(١٢) في هـ ب: فقيراً.

(١٣) في هـ ب: ثوب خلق.

(١٤) في هـ ب: أعضائهم.

(١٥) في هـ ص: تحفيظاً، وفي هـ ب: تسكيناً.

(١٦) في هـ ب: الكبير.

لِمَا^(١) فِي ذَلِكَ مِنْ تَغْيِيرِ عِتَائِكَ^(٢) أَلْوَجُوهَ بِالتُّرَابِ تَوَاضِعاً وَالتِّصَاقِ^(٣)، كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ
بِالْأَرْضِ تَصَاغُراً. وَلُحُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلاً مَعَ مَا فِي الرِّكَاعَةِ مِنْ صَرْفِ
ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ وَغَيْرِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ^(٤).

أَنْظُرُوا إِلَى مَا فِي هَذِهِ الْأَفْعَالِ^(٥) مِنْ قَمْعٍ^(٦) نَوَاجِمٍ^(٧) الْفَخْرِ وَقَدْعٍ^(٨) طَوَالِعِ الْكِبَرِ.
وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لَشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ
تَحْتَمِلُ^(٩) تَسْوِيَةً^(١٠) الْجُهْلَاءِ أَوْ حُجَّةً نَلِيطُ^(١١) بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ غَيْرَكُمْ فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرِ
مَا يُعْرِفُ لَهُ سَبَبٌ وَلَا مَسَيدَ عِلَّةٍ^(١٢). أَمَا إِنْ لَيْسَ فَتَعَصَّبَ^(١٣) عَلَى آدَمَ لِأَضْلِهِ. وَطَعَنَ عَلَيْهِ
فِي خَلْقَتِهِ. فَقَالَ: «أَنَا نَارِي وَأَنْتَ طِينِي»^(١٤).

وَأَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتَرَفَةٍ^(١٥) الْأُمَمِ. فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ. فَقَالُوا: «نَحْنُ أَكْثَرُ
أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ»^(١٦) فَإِنْ كَانَ لَأَبَدٌ مِنَ الْعَصِيَّةِ^(١٧) فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ

(١) في هـ. ص: توضيح لوجه العلية في المنصفات، فهو عنة كونها علة.

(٢) في ط: عتاق، وفي هـ. د: عتاق - ض و ب و ح، وفي هـ. ب: أي أحرار.

(٣) في أ و ص: الصاق، وفي هـ. د: الصاق - ف و ن و ل.

(٤) في هـ. ص: هذا وجه ذلك أيضاً، وذلك لأن الفقير بصير شريكاً قاهراً لرب المال لسلطان
الله عز وجل فيعطيه ذلك كما يعطي للسلطان.

(٥) في هـ. د: هذه الأحوال - م. (٦) في هـ. ب: قلع.

(٧) النواجم من نجم إذا طلع وظهر، وفي هـ. ب: جمع نجم وهو ما طلع من الأرض.

(٨) في هـ. ب: في نسخة ظاهراً: فرغ، وفي هـ. أ: قدعه: أي كفه وفي ب، وفي هـ. ب: القدع:

الكف. وفي هـ. ص: وهي بالبدال المهملة: الكف، قدعت الفرس كففته وكبحته باللجام.

(٩) في أ: تحمل. وفي هـ. ص: ويرى تحمل، والمعنى متفق.

(١٠) في هـ. ب: أي تلبس، وفي هـ. ص: هو التلبس من: موهت النحاس بالذهب إذا طليته
بالذهب ليخفى ويروم في المرأى.

(١١) في هـ. أ: تلزق، وفي هـ. ب: نليط تلصق، وفي هـ. ص: أي: تلصق وتعلق.

(١٢) في ب و ط و د: سبب ولا علة، ولم ترد ولا مس يد، وفي هـ. د: لأمر لا يعرف - ض و ب و

ط و د. (١٣) في هـ. ب: في نسخة: على غيره.

(١٤) اقتبس من قوله تعالى: (خلقتني من نار وخلقته من طين) سورة ص: ٣٨/٧٦.

(١٥) في هـ. ص: جمع مترف، وهو الذي أطغته النعمة.

(١٦) سبأ: ٣٤/٣٥. (١٧) في هـ. د: المعصية - م.

لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ وَمَحَامِدِ الْأَفْعَالِ وَمَخَاسِنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَفَاصَلَتْ فِيهَا الْمَجْدَاءُ^(١) وَالتَّجْدَاءُ^(٢) مِنْ بَيُوتَاتِ الْعَرَبِ وَيَعَاسِبِ^(٣) الْقَبَائِلِ بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيبَةِ^(٤) وَالْأَخْلَامِ^(٥) الْعَظِيمَةِ. وَالْأَخْطَارِ^(٦) الْجَلِيلَةِ. وَالْآثَارِ الْمُخْمُودَةِ. فَتَقَعَّصُوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ مِنَ الْجَفِظِ لِلْجَوَارِ^(٧) وَالْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ^(٨). وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ. وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكَبِيرِ. وَالْأَخْذِ بِالْفَضْلِ. وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ. وَالْأَعْظَامِ لِلْقَتْلِ. وَالْإِنْصَافِ لِلْحَقِّ. وَالْكَظْمِ لِلْغَيْظِ. وَاجْتِنَابِ^(٩) الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ^(١٠). وَآخِذُوا مَا نَزَلَ بِالْأَمَمِ قَتْلَكُمْ مِنَ النُّثَلَاتِ^(١١) سُوءِ الْأَفْعَالِ وَذَمِيمِ الْأَعْمَالِ. فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ. وَآخِذُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ. فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالِهِمْ^(١٢) فَالْزُمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ الْعِزَّةُ بِهِ حَالَهُمْ^(١٣). وَزَاخَبَ^(١٤) الْأَعْدَاءَ لَهُ عَنْهُمْ. وَمُذَّتِ الْغَافِيَةُ فِيهِ^(١٥) عَلَيْهِمْ^(١٦) وَانْقَادَتِ النِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ. وَرَصَلَتِ الْكَرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلُهُمْ. مِنْ اجْتِنَابِ الْفُرْقَةِ. وَاللُّزُومِ لِلْأُلْفَةِ^(١٧).

(١) في هـ ب: لشراء، وفي هـ ص: جمع ماحد وهو الشريف

(٢) في هـ ب: جمع بحيد وهو السجاع، وفي هـ ص: جمع بجيد وهو لنساج وبعده نحد يصم ويكسر وجمع أنحد

(٣) في هـ ب: جمع يعسوب، وفي هـ ص: لبعاسيب جمع يعسوب، وهو الرئيس المسوع

(٤) في هـ ب: المرغوبه فيها (٥) في هـ ب: لأحلاق.

(٦) في هـ ب: لخطر: أمر عظيم.

(٧) في هـ ص: عممه ولمراد به خلق وهو جواره فيهم لأنه دين

(٨) في ب: الذمار وفي هـ د في سحه الذمام، وفي ب: لعهد وفي هـ ص: طلعه ولمراد به

ذمامه فيهم وعهده لأنه دين (٩) في هـ ب: رفض.

(١٠) في هـ ص: هذا الكلام تعريض بدتهم وإهم لم يحفظوا جواره ولم ينو بدمامه ولم يطبعوه

فيما أمرهم به من لبر ولم يطرحوا ما بعلوهم من الكبر إذا ذكر لهم فضائله وخصائصه فانهم

كانوا ينهمونه ويترامون بالأبصار. (١١) في هـ ب و ص: أي العقوبات.

(١٢) في هـ ص: في نسخة: في الاختلاف الكبير. وفي هـ ب: حالهم: السلامة وغير السلامة.

(١٣) في هـ د: شأنهم - ض و ب و ح

(١٤) في هـ ب: أي زلت وفي هـ ب: الزيح: البعد، وفي هـ ص: أي بعدت.

(١٥) في أ و ص و ط: فيه، وفي ب: فيته، وفي هـ ب: أي جماعة، وفي هـ ص: هاشم آخر: النفي: الظل والغنبة.

(١٦) في ب و د: فيته بهم، وفي هـ د: فيته عليهم - ض و ف و ح.

(١٧) في هـ ص: في الكلام حث على لزوم سبب الألفة، وهو التمسك به وبآله، واجتناب سبب

وَالْتَحَاضُ ^(١) عَلَيْهَا وَالتَّوَاصِي بِهَا وَاجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ ^(٢) . وَأَوْهَنَ مُنْتَهُمُ ^(٣) . مِنْ تَضَاعُنِ ^(٤) الْقُلُوبِ وَتَشَاحُنِ الصُّدُورِ وَتَدَابُرِ ^(٥) النَّفُوسِ وَتَخَاذُلِ الْأَيْدِي وَتَدَبُّرِ أَحْوَالِ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمَحِيصِ ^(٦) وَالْبَلَاءِ ^(٧) أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلَائِقِ أَعْبَاءً ^(٨) وَأَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلَاءً وَأَضْيَقَ أَهْلِ الدُّنْيَا حَالًا . اتَّخَذَتْهُمْ الْفَرَاغَةُ عَسِيدًا فَسَامُوهُمْ سُوءَ ^(٩) الْعَذَابِ وَجَرَّعُوهُمْ الْمُرَارَ ^(١٠) . فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَكَةِ وَقَهْرِ الْغَلْبَةِ لَا يَجِدُونَ حِيلَةً فِي امْتِنَاعٍ وَلَا سَبِيلًا إِلَى دِفَاعٍ حَتَّى إِذَا رَأَى اللَّهُ ^(١١) سُبْحَانَهُ جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ وَالْإِحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَائِقِ الْبَلَاءِ فَرَجًا فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ وَالْأَمْنَ مَكَانَ الْخَوْفِ . فَصَارُوا مُلُوكًا حُكَّامًا . وَأَيْمَةً أَعْلَامًا ^(١٢) . وَبَلَغَتِ الْكَرَامَةُ مِنْ اللَّهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَذْهَبِ ^(١٣) الْأَمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ . فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ الْأَمْثَلَاءُ ^(١٤) مُجْتَمِعَةً وَالْأَهْوَاءُ مُؤْتَلِفَةً ^(١٥) وَالْقُلُوبُ

→ الفرقة وهو مخالفينهم، كما قال رسول الله ﷺ: ما ان نمسكتكم به لن تضلوا، وقال: أهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، ونحوهما. راجع البحار ٢: ٢٢٦، ح ١٣ و ١٦: ٣٠٢.

(١) في هـ. ب: من الحَض وهو الحث وفي هـ ص: تفاعل من الحَض فامرهم ان يحض بعضهم بعضاً عليها وبتواصوا.

(٢) في هـ. ب: عظم الظهر، وفي هـ ص: واحده فقار الظهر، ويكنى به عما يؤثر سراً.

(٣) في هـ. ب و ص: قوتهم. (٤) في هـ. ب: تحافد.

(٥) في هـ. ص: تدبر نفس كل منهم عن أخيه.

(٦) في هـ. ب: التمحيص: التخليص، وفي هـ. ص: التصفية لهم بالبلاء.

(٧) التمحيص الابتلاء والاختيار.

(٨) في هـ. ب: اثقالاً، وفي هـ. ص جمع عبء وهو الحمل الثقيل.

(٩) في ب: سوم، وفي هـ. ب في نسخة سوء.

(١٠) في ص: جرع المرار، وفي هـ. د: جرع المرار - ش. - المرار - بضم ففتح -: شجر شديد

المرارة تتفلس منه شفاء الابل اذا أكلته، وفي هـ. ص: شجر مرّ، وفي الأصل سم توسع فيه

فاستعمل في حق من لقي شدة. (١١) في د زيادة: سبحانه.

(١٢) في هـ. ص: جمع علم، أي يهتدي بهم كما يهتدى بالاعلام في المفازة.

(١٣) في هـ. د: لم تبلغ - ب.

(١٤) في هـ. ب: جمع ملاء. وفي هـ. ص جمع ملاء جماعة الرؤساء.

(١٥) في هـ. د: متفقة - ب.

مُعْتَدِلَةٌ وَالْأَيْدَى مُتَرَادِفَةٌ^(١)، وَالسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةٌ^(٢)، وَالْبَصَائِرُ نَافِذَةٌ^(٣)، وَالْعَزَائِمُ وَاجِدَةٌ^(٤)، أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِينَ وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ. فَانْظُرُوا^(٥) إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ وَتَشَتَّتَتِ^(٦) الْأَلْفَةُ وَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ وَالْأَفِيدَةُ، وَتَشَعَّبُوا^(٧) مُخْتَلِفِينَ وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ^(٨) قَدْ خَلَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ^(٩) وَبَقِيَ قَصَصُ^(١٠) أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبْرًا^(١١) لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنْكُمْ. وَاعْتَبِرُوا^(١٢) بِخَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنَى إِسْحَاقَ وَبَنَى إِسْرَائِيلَ^(١٣)، فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالِ الْأَحْوَالِ^(١٤)، وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهِ الْأَمْثَالِ.

تَأْمَلُوا أَمْرَهُمْ فِي خَالِ تَشَتُّبِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ لَيَالِي^(١٥) كَانَتْ الْأَكَاسِرَةُ وَالْقِيَاصِرَةُ أَرْبَابًا لَهُمْ يَحْتَاذُونَهُمْ^(١٦) عَنْ رَيْفِ^(١٧) الْآفَاقِ وَبَحْرِ^(١٨) الْعِرَاقِ، وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا إِلَى مَنَابِتِ الشَّيْحِ^(١٩) وَمَهَافِي^(٢٠) الرِّيحِ وَتَكْدِ^(٢١) الْمَعَاشِ فَتَرْكُوهُمْ عَالَةً^(٢٢) مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبْرِ

(١) في هـ. د: في حاشية م - مرادفة. (٢) في هـ. ب: متعاضدة وفي هـ. ب: متطابقتان.

(٣) في هـ. ص: يقال نفذت بصيرني في هذا الأمر أي اجتمع همي وعزمي عليه ولم يبق عندي تردد فيه لعلمي وتحقيقي ياه.

(٤) في أ و ط و د: واحدة، ويحتمل أن يكون في ب: واحدة.

(٥) في ب: وانظروا. (٦) في ص: ونشتت.

(٧) في هـ. ص أي صاروا شعوباً ولم يبقوا جرثومة واحدة.

(٨) في أ و ب: متحاربين، وفي هـ. ب: متحاربين، من الحزب، وبالراء من الحرب.

(٩) غضارة النعمة: سعتها. (١٠) قصص الأخبار حكايتها وروايتها.

(١١) في هـ. د: عبرة - ض و ح.

(١٢) في أ و ط و د: فاعتبروا، وفي هـ. ب: في نسخة: فاعتبروا.

(١٣) لم ترد في هـ. ب: أي توازنها وتساويها. (١٤) في هـ. ص: أي توازنها وتساويها.

(١٥) في هـ. ب: سمي نهارهم وأيامهم ليالي لكثرة الفساد.

(١٦) في هـ. ب: يجمعونهم، وفي هـ. ص: أي يبعدونهم.

(١٧) في هـ. ب و ص: أي خصب. (١٨) في هـ. ص: هو دجلة والفرات.

(١٩) في هـ. ص: هي أرض العرب والشبح نبت في البادية طيب الرائحة.

(٢٠) في هـ. ب: في نسخة: ومهاب، وفي ص: ومهاب، وفي هـ. ص: في نسخة: مهافي، وفي هـ. ب: المهافي مساقط الريح، يريد به قربهم من الهوة وهو السقوط، وفي هـ. ص: حيث يهفو أي

يخترق. (٢١) في هـ. ب: أي منقص.

(٢٢) في هـ. ب: أي فقراء.

وَوَيْرٍ^(١) أَذَلَّ الْأُمَمِ دَاراً وَأَجْدَبَهُمْ^(٢) قَرَاراً لَا يَأُؤُونَ^(٣) إِلَى جَنَاحٍ^(٤) دَعْوَةً يَغْتَصِمُونَ بِهَا
وَلَا إِلَى ظِلٍّ أَلْفَةٍ يَتَعَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا فَلَا أُخْوَالَ مُضْطَرِبَةٍ. وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ. وَالْكَثْرَةُ
مُتَّفَرِّقَةٌ. فِي بِلَاءٍ أَزَلٍ^(٥) وَأُطْبَاقٍ^(٦) جَهْلٍ. مِنْ بَنَاتٍ مَوْودَةٍ^(٧) وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ. وَأَرْحَامٍ
مَقْطُوعَةٍ. وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ^(٨).

فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّهِ^(٩) عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا فَقَعَدَ^(١٠) بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ.
وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أَلْفَتَهُمْ. كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا. وَأَسَالَتْ لَهُمْ
جَدَاوِلَ^(١١) نَعِيمِهَا^(١٢). وَالتَّتَفَّتِ^(١٣) الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ^(١٤) بَرَكَتِهَا. فَأَضْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا
غَرِيقِينَ^(١٥). وَعَنْ خُضْرَةٍ عَيْشِهَا فَكِهَيْنَ^(١٦). قَدْ تَرَبَّعَتْ^(١٧) الْأُمُورُ بِهِمْ فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ
قَاهِرٍ. وَأَوْتَهُمْ^(١٨) الْحَالُ إِلَى كَنْفٍ^(١٩) عِزٍّ غَالِبٍ. وَتَعَطَّطَتْ^(٢٠) الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَى^(٢١)
مُلْكٍ ثَابِتٍ. فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ. وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِينَ. يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَى

(١) في ب: دَيْنٌ وَوَيْرٍ وفي هـ. ب في نسخة: دبر ووير، وفي هـ. ب دين: مذلة، ووتر: حقد.

(٢) الجذب: القحط.

(٣) في ب: لا يَأُؤُونَ، وفي هـ. ب لا يَأْن.

(٤) في هـ. ب، الجناح: الجانب.

(٥) في هـ. ب و ص: أي ضيق.

(٦) في هـ. ب بفتح الهمزة جمع طبق أي جهل متراكم بعضه فوق بعض فان روى بكسر الهمزة

فهو مصدر اطبق.

(٧) من وأد بنته اذا دفنها وهي حيّة.

(٨) في هـ. ب: مصبوبة.

(٩) في ب زيادة: سبحانه.

(١٠) في هـ. ب: أي كانت طاعتهم كالشيء المنتشر المحلول فعدها بملة محمد ﷺ.

(١١) في هـ. ب: جمع جدول وهو النهر، وفي هـ. ب: جمع جدول: النهر.

(١٢) في أ: نعمتها، وفي هـ. ب: نعمتها - ف وحاشية ن.

(١٣) في هـ. ب: في نسخة: التفت، وفي هـ. ب: أي أصاب. هـ. ب: أي جمعتهم، يقال: التفت

الحبل بالحطب أي جمعه، والتفت الحطب بالحبل أي اجتمع به، من الشرح.

(١٤) في هـ. ب: العوائد المنافع، وفي هـ. ب: جمع عائدة وهي النفع.

(١٥) في هـ. ب: مبالغة في شمولها كما يفرق الناس بالمطر.

(١٦) في ط: فاكهين، وفي هـ. ب: أي أشرين، ويروى: «فاكهين» أي ناعمين.

(١٧) في هـ. ب: صار مربعاً، وفي هـ. ب: أي تمكنت أو أقامت يقال ربح بالمكان: أقام به.

(١٨) في هـ. ب: جمعتهم.

(١٩) في هـ. ب: أي علا، وفي هـ. ب: جمع ذروة: أعلى الشيء.

(٢٠) هـ. ب: كناية عن السعادة والاقبال.

(٢١) في هـ. ب: أي علا، وفي هـ. ب: جمع ذروة: أعلى الشيء.

مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ. وَيُمْضُونَ الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُضَيِّعُهَا فِيهِمْ. لَا تُعْمَرُ^(١١) لَهُمْ قَبَاةٌ^(١٢) وَلَا تُفْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ.

أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَقَضْتُمْ^(٣) أَيْدِيَكُمْ عَنْ^(٤) حَبْلِ الطَّاعَةِ^(٥) وَلَمَلَّثْتُمْ حِصْنَ اللَّهِ^(٦) الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ^(٧) وَإِنَّ^(٨) اللَّهَ سُنْحَانُهُ قَدْ آمَنَ عَلَى جَمَاعَةٍ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الْأَلْفَةِ الَّتِي يَسْتَقِلُّونَ^(٩) فِي ظِلِّهَا^(١٠). وَيَأْوُونَ إِلَى كَنَفِهَا. بِنِعْمَةٍ^(١١) لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيَمَةً لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنِ وَأَجَلٍ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ^(١٢).

وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَغْرَابًا^(١٣) وَبَعْدَ الْمَوَالَةِ أَحْزَابًا^(١٤) مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ. وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رُسْمَهُ. تَقُولُونَ النَّارَ وَلَا الْعَارَ^(١٥) كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِفُوا^(١٦) الْإِسْلَامَ عَلَى وَجْهِهِ أَنْتِهَآكََا لِحَرِيمِهِ وَنَقْضًا لِمِيثَاقِهِ الَّذِي وَضَعَهُ^(١٧) اللَّهُ لَكُمْ حَرَمٌ فِي أَرْضِهِ وَأَمْنًا بَيْنَ خَلْقِهِ^(١٨). وَإِنَّكُمْ

(١) في هـ ب. أي لا نقبض

(٢) هـ ص: بكنى به عن حل العز الذي لا يضم

(٣) في أ: نقضتم.

(٤) في ب و ط و د من، وفي هـ د: عن - ف و م.

(٥) في هـ ص: كلمة تقال في اطراح الشيء وتركه، وهي أبلغ من أن يقول: تركتم حل الطاعة؛

لأن من بخي الشيء من يده تم يفيض يده منه يكون أشد تخلية له ممن لا ينفذها، بل يقتصر على نخلبته فقط؛ لأن نفضها اشعار وادان بشدة الاطراح والاعراض، من

الشرح ١٣: ١٨٠. (٦) في هـ ب: أي حدود الله وأحكامه

(٧) في هـ ب: أي لا تفعلوا فعل لجاهليه (٨) في ط: فان.

(٩) في ب يتقبلون، وفي هـ ب: يتقبلون.

(١٠) في هـ د: تتقبلون في طيها - م، يتقبلون في ظلها - ش.

(١١) في هـ ب: قوله تعالى: (فألف بين قلوبهم).

(١٢) في هـ ب: أمر عظيم (١٣) في هـ ب: الاعراب أشد كفرًا ونفاقًا.

(١٤) في هـ ب: أحزاباً: جمع حزب وهي الطائفة والجماعة. أي بعد المودة والهناء صرتم جماعة

متفرقين، وفي هـ ص أي متحزبين على أهل الحق معادين لهم وهو اشعار بما يكون منهم

بعده وكشف لحالهم الذي يصيرون اليه. (١٥) في هـ ب: أي تقبل النار ولا تقبل العار.

(١٦) في هـ ب: ان تقبلوا وتكثبوا يقال كفأت الشيء لوجهه: أي قلبته.

(١٧) في أ: وضع. (١٨) في هـ ب: يعني الكعبة والحرم.

إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ ثُمَّ لَا جَبْرَائِيلَ^(١) وَلَا مِيكَائِيلَ وَلَا مُهَاجِرِينَ^(٢) وَلَا أَنْصَارَ^(٣) يَنْصُرُونَكُمْ إِلَّا الْمُقَارَعَةَ^(٤) بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ.

وَإِنَّ عِنْدَكُمْ الْأَمْثَالَ^(٥) مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَقَوَارِعِهِ^(٦) وَأَيَّامِهِ وَقَائِعِهِ^(٧) فَلَا تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلًا بِأَخْذِهِ وَتَهَارُنَا بِبَطْشِهِ وَيَأْسًا مِنْ بَأْسِهِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقُرُونَ الْمَاضِيَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِيُزَكِّيَهُمْ^(٨) الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ. فَلَعَنَ اللَّهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي وَالْحُلَمَاءَ^(٩) لِيُتْرِكَ التَّنَاهِي^(١٠).

أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الْإِسْلَامِ وَعَظَلْتُمْ حُدُودَهُ وَأَمْسَمْتُمْ^(١١) أَحْكَامَهُ أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالنُّكُثِ وَالْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ فَأَمَّا النَّاكِثُونَ^(١٢) فَقَدْ قَاتَلْتُ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ^(١٣) فَقَدْ جَاهَدْتُ وَأَمَّا الْمَارِقَةُ^(١٤) فَقَدْ دَوَّخْتُ^(١٥) وَأَمَّا شَيْطَانُ الرَّدْهَةِ^(١٦) فَقَدْ كُفِّتُهُ بِصَعْقَةٍ^(١٧) سَمِعَتْ لَهَا وَجْبَةً^(١٨) قَلْبِهِ وَرَجَّةً^(١٩) صَدْرِهِ وَبَقِيَّتَ^(٢٠) بَقِيَّةً مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ وَلَيْسَ أَذِنَ اللَّهُ فِي

(١) في ط و د: جبرائيل، وفي هـ. ب: أي لا جبرائيل لنصرتكم، وفي هـ. ص: الرواية المشهورة بالفتح اعراباً أو بناءً، وهو جار على التشبيه بالنكرة بتقدير: ثم لا ناصر، وقد روي بالرفع في الجميع

(٢) في ب: أنصار، وفي د: أنصار.

(٣) في هـ. ب: الأمثال والنظار، وفي هـ. ص هي قصص القرآن.

(٤) في هـ. ب: جمع قارعة وهي الداهية.

(٥) في هـ. ب: جمع قارعة وهي الداهية.

(٦) في هـ. ب: جمع قارعة وهي الداهية.

(٧) في هـ. ب: جمع قارعة وهي الداهية.

(٨) في هـ. ب: جمع قارعة وهي الداهية.

(٩) في هـ. ب: جمع قارعة وهي الداهية.

(١٠) في هـ. ب: جمع قارعة وهي الداهية.

(١١) في هـ. ب: جمع قارعة وهي الداهية.

(١٢) في هـ. ب: جمع قارعة وهي الداهية.

(١٣) في هـ. ب: جمع قارعة وهي الداهية.

(١٤) في هـ. ب: جمع قارعة وهي الداهية.

(١٥) في هـ. ب: جمع قارعة وهي الداهية.

(١٦) في هـ. ب: جمع قارعة وهي الداهية.

(١٧) في هـ. ب: جمع قارعة وهي الداهية.

(١٨) في هـ. ب: جمع قارعة وهي الداهية.

(١٩) في هـ. ب: جمع قارعة وهي الداهية.

(٢٠) في هـ. ب: جمع قارعة وهي الداهية.

الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ لَا دِيلَ^(١) مِنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَشَدَّرُ^(٢) فِي أَطْرَافِ الْبِلَادِ^(٣) تَشَدُّرًا.
 أَنَا وَضَعْتُ^(٤) بِكَلاَكِلِ^(٥) الْعَرَبِ وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ^(٦) قُرُونٍ رَبِيعَةً^(٧) وَمُضَرَ وَقَدْ
 عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٨) بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ^(٩) وَضَعْنِي
 فِي حِجْرِهِ^(١٠) وَأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ وَيَكْتَفِينِي إِلَى فِرَاشِهِ^(١١) وَيُسَيِّنِي جَسَدَهُ
 وَيُسَيِّنِي عَرْقَهُ^(١٢) وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ وَلَا
 خَطْلَةً^(١٣) فِي فِعْلٍ وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ^(١٤) بِهِ ﷺ مِنْ لَدُنْ^(١٥) كَانَ فَطِيمًا أَعْظَمَ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ
 يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَمَخَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارُهُ. وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ أَتْبَاعَ
 الْفَصِيلِ^(١٦) أَتْرَأُمَهُ يَوْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْمًا^(١٧) وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ وَلَقَدْ
 كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحَرَاءَ^(١٨) فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ وَاحِدٍ يُؤْمِنُنِي فِي
 الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَدِيثَهُ وَأَنَا تَالِثُهُمَا. أَرَى نُورَ الْوَحْيِ زَالِ السَّالَةِ وَأَشْمُ رِيحِ
 النَّبُوءَةِ.

(١) في هـ ب. الادالة: اعطاء الدولة، والمراد نفى الدولة منهم وأبدهم، وفي هـ ب: ولاد بلس،

الاذالة: الالهانة، أي بقيت منهم جماعة (٢) في هـ ب: يتفرق.

(٣) في هـ د في أطراف البلاد - ض ح ب، من أطراف البلاد - ن

(٤) في ط زيادة: في الصغر، وفي هـ د: أنا وضعت في الصغر - ض و ب .

(٥) في أ و ب: بكلكل، وفي هـ أ في نسخة: بكلاكل، وفي هـ ب: كلاكل جمع كلكل، وهو

الصدر وعظماء العرب، وفي هـ ص: الباء زائدة، والكلاكل الصدور، والمعنى: اني أذللتهم

وصرعتهم الى الأرض. (٦) في هـ ب: أي طوالع.

(٧) في هـ ب: قبيلة.

(٨) في ب: وآله

(٩) في هـ ب: الخاصة (١٠) في هـ ص: هذا شرح للمنزلة الخسيصة.

(١١) في ط و د: في هـ د: الى فراشه - ب.

(١٢) في هـ ب: الطيب، وفي هـ ص: العرف: الرائحة الطيبة.

(١٣) في هـ ص: هي الخطأ فيه وايقاعه على غير وجهه.

(١٤) في ب زيادة: تعالى.

(١٥) في ط زيادة: ان، وفي هـ د: من لدن ان - ض ح ب .

(١٦) لفصيل: ولد الناقة. (١٧) في هـ د: في كل يوم علماً من أخلاقه - ش.

(١٨) في هـ ب: بحراء جبل في مكة، بحراً وبحراً يذكر ويؤنث ويصرف ولا يصرف.

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ آتَى مِنْ عِبَادَتِهِ. إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ نَبِيًّا. وَإِنَّكَ لَوَزِيرٌ^(١) وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ^(٢). وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ ﷺ لَمَّا أَتَاهُ الْأَمْلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالُوا لَهُ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدْ ادَّعَيْتَ عَظِيمًا لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ^(٣) وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْرًا إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا^(٤) إِلَيْهِ وَأَرَبْتَنَاهُ عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ فَقَالَ لَهُمْ^(٥) ﷺ: وَمَا تَسْأَلُونَ؟ قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلَعَ^(٦) بِعُرْوِقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ. فَقَالَ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ لَكُمْ^(٧) أَتَوْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي سَأَرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيضُونَ إِلَيَّ خَيْرٍ^(٨)، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلْبِ^(٩)، وَمَنْ يُحْزَبُ الْأَحْزَابِ^(١٠). ثُمَّ قَالَ^(١١): يَا أَيُّهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَانْقَلِعِي بِعُرْوَقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ. فَوَالَّذِي^(١٢) بَعَثَهُ بِالْحَقِّ^(١٣) لَا تُنْقَلَعُ بِعُرْوِقِهَا وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيُّ^(١٤) شَدِيدٌ وَقَصْفٌ^(١٥) كَقَصْفِ أَجْنَحَةِ الطَّيْرِ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَرْفُوفَةً^(١٦) وَأَلْقَتْ بِغُضَنِهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِغُضِّهَا أَعْصَانَهَا عَلَى مَنْكِبِي وَكُنْتُ عَنْ^(١٧) يَمِينِهِ ﷺ^(١٨) فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَيَّ ذَلِكَ قَالُوا^(١٩) عُلُوءًا وَاسْتِكْبَارًا: فَمَرَّهَا

(١) في أ: ولكنك وزير، وفي هـ. ب: في نسخة: ولكنك وزير.

(٢) في أ على خير، وفي هـ. ب: على خير ترجمه.

(٣) في ص: أهل بيتك، وفي هـ. ب: أي قبيلتك

(٤) في د ان أنت أجبتنا، وفي هـ. د: إن أجبتنا - ش.

(٥) في ب زيادة: النبي ولم نرد «لهم» في ط و د.

(٦) في أ: تنقلع.

(٧) في ب: بكم ذلك وفي ط و د: لكم ذلك.

(٨) في هـ. ب: إلى إسلام.

(٩) في هـ. ب: أبو جهل.

(١٠) في هـ. ب: أبو سفيان.

(١١) في ط و د زيادة: ﷺ.

(١٢) في هـ. ب: نبياً.

(١٣) في هـ. ب: صوت شديد.

(١٤) في هـ. ب: الرفرة قرع الطير جناحه بعضها على بعض.

(١٥) في ص: على، وفي هـ. د: على - م.

(١٦) في ب: ﷺ.

(١٧) في ب و ص: فقالوا.

فَلْيَأْتِكْ نِصْفُهَا وَيَبْقَ نِصْفُهَا. فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ تَضْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدَّ دَوِيًّا
فَكَادَتْ تُلْتَفُّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالُوا كُفْرًا وَعَتُوًّا: قَمَرُ هَذَا التَّصَفِّ فَلْيَرْجِعْ^(١) إِلَى نِصْفِهِ
كَمَا كَانَ، فَأَمَرَهُ ﷺ^(٢) فَرَجَعَ، فَقُلْتُ أَنَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنِّي^(٣) أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ
وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ^(٤) بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلْتُ مَا فَعَلْتَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَصْدِيقًا لِنُبُوتِكَ^(٥) وَإِجْلَالًا
لِكَلِمَتِكَ. فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ عَجِيبُ السُّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ وَهْلٌ بُصْدُقَكَ فِي
أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا يَعْثُونَنِي وَإِنِّي لِمِنْ قَوْمٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ سِيَمَاهُمْ سِيَمَاءُ
الصَّادِقِينَ وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَبْرَارِ عَمَّارُ اللَّيْلِ^(٦) وَمَنَارُ^(٧) النَّهَارِ مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ
الْقُرْآنِ^(٨)، يُحْيُونَ سُنَنَ اللَّهِ وَسُنَنَ رَسُولِهِ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَغْلُونَ وَلَا يَغْلُونَ^(٩) وَلَا
يُفْسِدُونَ، قُلُوبُهُمْ فِي الْجَنَانِ وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ^(١٠).

قوله : ومن الناس من يسمي هذه الخطبة «القاصعة»

قال في الشرح بجوز أن تسمى هذه الخطبة «القاصعة» من قولهم: قصعت الناقة
بجرَّتِها، وهو أن نردّها الى جوفها، وتخرجها من جوفها فتملاً فاهها، فلما كانت الزوجر

(١) في هـ د: فليرجع الله نصفه - ب . (٢) في ط: ﷺ .

(٣) في أ و ب: فاني . (٤) في ط: قرّ، وفي هـ د: أقر - ص و ح و ب .

(٥) في ط و د: بنبوتك

(٦) في هـ ب: عمّار الليل، أي طال لبثهم في صلاة الليل في الخضوع والخشوع، وهم كعب الله
بن العباس وحمزة وأبي عبيدة من أعمامه، واخوانه عقيل وجعفر وغيرهم من أولادهم أولاد
أمير المؤمنين، وصحابه المقداد الكندي وأبو ذرّ وسلمان وغيرهم.

(٧) في هـ ب: المنار: موضع النور والضياء

(٨) في ب: بحبل الله القرآن، وفي هـ د: بحبل الله القرآن - ش.

(٩) أي لا يخونون.

(١٠) في أبعد هذه الخطبة ما يلي: باب المختار من كتب أمير المؤمنين ﷺ ورسائله الى أعدائه
وامراء بلاده، ويدخل في ذلك ما اختير من عهوده الى عمّاله ووصاياءه لأهله وأصحابه، من
كتاب له الى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة الى البصرة ولم ترد في الخطب لتي
وردت في لنسخ الأخرى الى الجزء الثالث، وهو في الكتب، وفي هـ د: هنا انتهى أبواب
الخطب في ف و م و ن.

والمواعظ في هذه الخطبة مرددة من أولها الى آخرها، شبهها بالناقة التي تقصع الجرة. ويجوز أن تسمى «القاصعة» لأنها كالقاتلة لإبليس وأتباعه من أهل العصية، من قولهم: قصعت القملة، إذا هشمته وقتلتها، ويجوز أن تسمى «القاصعة»، لأن المستمع لها المعتبر بها يذهب كبره ونخوته، فيكون من قولهم: قصع الماء عطشه، أي أذهب وسكنه، قال ذو الرمة بيتاً في هذا المعنى:

فَأَنْصَاعَتِ الْحَقْبُ لَمْ تَقْصَعْ ضَرَائِرَهَا وَقَدْ تَشَحَّ فَلَارِيٌّ وَلَا هِيمٌ^(١)

الضرائر: جمع صريرة، وهي العطش؛ ويجوز أن تسمى «القاصعة» لأنها تتضمن تحفير إبليس وأتباعه وتصغيرهم، من قولهم: قصعت الرجل إذا امتهنته وحقرتة، وغلّام مقصوع، أي قميء لا يشب ولا يزداد. انتهى^(٢).

والأقرب عندي أنه من قصعت الناقة الجرة، لا للتوجيه الذي ذكره، بل لأن أمير المؤمنين عليه السلام أخرج ما يضره من عتبه على الأمة وبيّن سبب ضلالها في حقه، ومشهور عندهم إذا أبرز الإنسان ما يضره أن يعبروا عن ذلك بنحو قولهم: ذبيح مجرته؟ وهذا كما سميت الشقشقية، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين»:

اعلم أن أمير المؤمنين قد كرّر تعليل أفعال الله في عبادته بالاختبار والامتحان وعلى ذلك دلّ القرآن فينبغي تحقيق معنى ذلك.

قال في شرح ميثم بن علي: وقد علمت معنى ابتلائه واختباره تعالى لخلقه فيما سبق. ونزيده بياناً. فنقول: لما كانت حقيقة الاختبار طلب لخبر بالشيء ومعرفة لمن لا يكون عارفاً به، وكان هو تعالى عالماً بمضمرات قلوب وخفيات القلوب فيميز المطيعين من عبيده من العصاة لم يكن إطلاق هذا اللفظ في حقه حقيقة بل على وجه الاستعارة باعتبار أنه لما كان ثوابه وعقابه للخلق موقوفين على تكليفهم بما كلفهم به فإن أطاعوه فيما أمرهم أثابهم وإن عصوه عاقبهم أشبه ذلك اختبار الإنسان لعبيده وتمييزه لمن أطاعه منهم ممن عصاه، فأطلق عليه لفظه.

وقوله: «ليميز المتواضعين منهم من المتكبرين» ترشيح لاستعارة الاختبار لأن التمييز من لوازمه وعوارضه.

ويحتمل ان يريد ليميز المطيعين عن العصاة بإعطاء الثواب لهم دونهم، فلا يكون التمييز بمعنى العلم، بل الانفصال الخارجي لكل من المطيعين والعصاة بما يستحقه من ثواب وعقاب، انتهى^(١)

وما أحسن كلام الامام القاسم بن ابراهيم في تحقيق هذا المعنى وتوضيحه. قال في كتاب الرد على المصحدة قال الملحد: ما وجه الحكمة في خلق العالم وخلق الممتحنين؟ قال القاسم رحمه الله: وجه الحكمة في ذلك انه احسان أو دع الى الاحسان وكل من أحسن أو دعى الى الاحسان فهو حكيم فيما نعرفه.

قال للملحد: وكيف يكون حكيماً من خلق خلقاً فآلماً بأنواع الآلام وامتحنه بضروب من الامتحان؟ خبرني عن وجه الحكمة في ذلك من الشاهد

قال القاسم رحمه الله: اما قولك كيف يكون حكيماً من خلق خلقاً فآلماً بأنواع الآلام؟ فوجه الحكمة في ذلك من الشاهد أنا وجدنا من الآلام في الشاهد ما هو داع الى الاحسان، من ذلك ضَرْبُ المؤدبين للصبيان، ومنه الحجامَة ولفصد وشرَب الأدوية الكريهة، كل ذلك داعية الى الاحسان والى شيء حسن في العقل.

فاذا كان من الآلام في الشاهد ما هو كذلك، فكل ما هو كونه من قبل الله عز وجل مثل الموت، والمرض، والعذاب وغيره، حكمة في الصنع وصواب في التدبير؛ إذ كل ذلك داعية الى الاحسان.

قال الملحد: ما الدليل على ان ذلك داعية الى الاحسان؟

قال القاسم رحمه الله: لأنَّه فعل الحكيم، والحكيم إنما يفعل هذه الأشياء التي هي ترغيب في السلامة والصحة والخير وترهيب من الغم والسقم، ومن رغب في الخير، فحكيم فيما نعرفه؛ واما قولك: لم امتحن امتحانات عذب أكثرهم عندها؟ فانا نقول في ذلك - ولا قوة إلا بالله - : ان الله سبحانه إنما امتحانه وأمره ونهيهِ داعية له^(٢) الى الحكمة، فالمأمور من

(١) شرح ميشم بن علي ٤: ٢٣٨.

(٢) في هـ ص: أي للمكلف.

قبل نفسه عطب، لأنه لم يَأْتِمر بما أمره به سبحانه ولم ينته عما نهى عنه، ولو كان انتهى عما نهى عنه وركب ما أمره به لكان يؤذيه ذلك إلى الفوز العظيم فهو من قبل نفسه عطب، لا من قبل الله عز وجل.

ومثل ذلك فيما نعرفه أن حكيمًا من حكمائنا لو أعطى عبداً له دراهم، وقال لهم: اتجروا، فإن ربحتم ولم تفسدوا فانا معطيكم ما يكفيكم، وإن لم تفعلوا عاقبتكم، فأطاعه منهم قوم وعصاه آخرون، لم ترجع اللائمة عليه بعصيانهم إيّاه، ولكنها لاحقة بهم حين عصوه ولم يخرج دعاء سيدهم إياهم وعطيتهم عن الحكمة، إذ لم يدعهم به إلا إلى الاحسان، فلما كان كذلك كان الله حكيمًا بامتحانه وأمره ونهيه.

قال الملحد: إن الله يعلم ما هم صائرون إليه ونحن لا نعلم ذلك.

قال القاسم رحمه الله: إن العلم والجهل لا يحسن الحسن ولا يقبح القبيح؛ وذلك لأنه لو كان حسناً لأن الأمر به يعلم أنه حسن لكان قبيحاً إذا كان الأمر منا بما يصير إليه المأمور جاهلاً، فلما لم يكن ذلك قبيحاً لجهل الأمر منا؛ لأنه أمر بالحسن ودعا إلى الحسن وإن كان جاهلاً بما يصير إليه المأمور أو عالماً.

وشيء آخر: وهو أنه لو كان الامتحان قبيحاً إذا علم أنه يعصي، لكان لا شيء أقبح من إعطاء العقل؛ لأنه إنما يعصى عند وجوده ويستحق الذم والمدح به. فلما كان إعطاء العقل عند الأمم كلها موحدها وملحدها حسناً، دلّ ذلك على أن الامتحان والخلق والأمر بالحسن، كلّ حسن - علم أنه يعصي أو يطيع -

قال الملحد: فلم مزج الخير بالشر، ولم صار واحد غنياً، والآخر فقيراً، والآخر قبيحاً، والآخر حسناً؟!

قال القاسم رحمه الله: لأن هذه الدار دار امتحان وابتلاء، وحقيقة الامتحان هو أن يخلق فيه أو يأمره بشيء تثقل على طباعه فينظر هل يطيع أو لا يطيع؟ ولو خلق الله ما هو خفيف على طباعه أو أمره بالخفيف، لكان ذلك لذة له وليس بامتحان، فلما كانت هذه الدار دار امتحان، كان الواجب في صواب التدبير أن يمزج الخير بالشر والنفع بالضرر والمكروه بالمحبوب والحسنة بالسيئة، والكريم المنظر بالحسن المنظر؛ إذ كانت الدار دار امتحان؛

لأنه لو كان كله محبوباً كان دار الثواب ولو كان كله مكروهاً كان دار العقاب، ودار الثواب والعقاب هذه صفتها.

واعلم انه لو لم تعرف علل ذلك كان جائزاً، وذلك أنه في بدء الأمر إذا أقمت الدلالة على انه حكيم في نفسه وفعله ثم دلت على ان الكل من أفعاله حكمة، استغنيت عن معرفة علله، ومثال ذلك من الشاهد: أنا لو هجمنا على الآت من الآت الصانع فرأينا اعوجاج المعوجاء، واستواء المستويات، وصغر بعضها، وكبر بعضها، وغلظ بعضها، ورقة بعضها، فحكمنا على ان صانعها غير حكيم لكننا جاهلين بالحكمة، نضع الحكمة في غير موضعها؟

بل حينئذٍ الواجب علينا ان نسلم للحكماء حكمهم ونعرف انهم لا يفعلون ذلك إلا لضرب من لحكمة يعرفونه، ونعرف ان المعوج والمسوى، وكل زوج منها يصلح لعمل لا يصح له الآخر، فحينئذٍ وضعنا لحكمة في موضعها، فاعرف ذلك وتبينه تجده كما قلنا ان شاء الله، فلم كانت أفعال الله كلها إحساناً، وداعية الى الاحسان كان تبارك وتعالى بفعلها كلها حكيماً؛ إذ كل ذلك حسن في العقل.

فن قلت: لم فعل الحسن في العقل؟

قيل لك: يفعل الحسن لحسنه، ولو لم يفعل الحسن لحسنه في لعقل لكان لا يترك القبيح لقبحه، وكفى بهذا القول قبحاً.
قال الملحد: لقد أبلغت، انتهى.

قوله عليه السلام: «ألا وقد امعنتم في البغي... الى آخره»:

اعلم ان مصدر هذه الخطبة عن أمير المؤمنين عليه السلام ما علمه من حال لجمهور في زمانه بالخبرة والإخبار من رسول الله صلى الله عليه وآله، وبعده بالإخبار منه عليه السلام من كونهم يستمعون من الاقرار بالفضل له على جميع المسلمين، وكونه إماماً، ومستخلفاً، ومأموراً باتباعه وسبب ذلك الاستكبار ممن كان في عصره - ممن كان يدعي مناظرته - وتبعهم من جاء بعدهم تبع تقليد وحسن ظن بالمتبوع، فالقادة هم المعنيون بالسادة والكبراء، ومعنى القاءهم الهجينة على ربهم، هو: انهم قالوا: ختيارهم ارجح من اختياره، وانهم أعلم بطرق

المصنعة منه. والأمثال المضروبة، يريد بها بيان حاله من كونه ابتلي به هذه الأمة، وحال من خالفه منها، في كونه استكبار عتاة الأمم الماضين. ولم يزل يجمل ويعرض حتى صرح في آخر الخطبة بما ضرب الأمثال في شأنه.

فاعرف هذا، وابن كلامه عليه السلام ينتضح لك غرضه ومغزى كلامه، واستكبار معاصريه عليه وخروجهم من حكم الله فيه، هو سبب كل فساد واختلاف وفرقة في هذه الأمة، كما ان سبب كل معصية في الأرض استكبار ابليس عن أمر الله له بالسجود لآدم.

فلا بد ان يكون لأول من سنّ في هذه الأمة الفتنة نصيب من إثم كل ذي فتنة فيها كما أوضح ذلك بحال ولد آدم في قتل أخيه.

وقد أشار الى ذلك بقوله - في بعض كلامه - «من سن سنة قبيحة كان عليه اثمها واثم العاملين بها الى يوم القيامة».

يحقق ما قلته من اجتماع الناس على التعصب عليه عليه السلام من دون سبب اوله، ما ذكره الشيخ أبو جعفر الاسكافي^(١) في نقضه على الجاحظ كتاب العثمانية. قال: لولا ما غلب على الناس من الجهل وحبّ التقليد، لم نحتج الى نقض ما احتجّت به العثمانية، فقد علم الناس كافة: انّ الدولة والسلطان لأرباب مقالتهن، وعرف كل أحد علو أقدار شيوخهم وعلمائهم وأمرائهم، وظهور كلمتهم، وقهر سلطانهم وارتفاع التقية عنهم والكرامة، والجائزة لمن روى الأحاديث في فضل أبي بكر، وما كان من تأكيد بني أمية لذلك، وما ولّده المحدثون من الأحاديث طلباً لما في أيديهم. فكانوا لا يألون جهداً في طول ما ملكوا أن يُخملوا ذكر علي عليه السلام وولده. ويطفتوا نورهم، ويكتموا فضائلهم ومناقبهم وسوابقهم، ويحملون الناس على شتمهم^(٢) وسبهم ولعنهم على المناير؛ فلم يزل السيف يقطر من دمائهم، مع قلة عددهم وكثرة عدوّهم، فكانوا بين قتيل وأسير، وشريد وهارب، ومستخف ذليل، وخائف مترقب، حتى إنّ الفقيه والمحدث والقاضي والمتكلم، ليتقدّم

(١) هو محمد بن عبدالله أبو جعفر المعروف بالإسكافي، ذكره الخطيب في تاريخ بغداد ٥: ٤١٦، وقال عنه: «أحد المتكلمين من معتزلة البغداديين، وله تصانيف معروفة... وبلغني انه مات في سنة أربعين ومائتين». (٢) في ط: ويحملوا على شتمهم.

اليه ويتوعد بغاية الإيعاد وأشدّ العقوبة، أن لا يذكروا شيئاً من فضائلهم، ولا يرخصوا لأحد أن يهّم بذلك^(١)، وحتى بلغ من تقيّة المحدث أنّه إذا ذكر حديثاً عن علي عليه السلام كنى عن ذكره، فقال: قال رجل من قريش، وفعل رجل من قريش، ولا يذكر علياً عليه السلام، ولا يتفوّه باسمه.

ثم رأينا جميع المختلفين قد حاولوا نقض فضائله، ووجهوا الحيل والتأويلات نحوها، من خارجي مارق، وناصب حنيق، وثابت^(٢) مستبهم، وناشئ معاند، ومناقق مكذب، وعثمانيّ حسود، يعترض فيها ويطعن، ومعتزلي قد نقض في الكلام، وأبصر علم الاختلاف، وعرف الشبه ومواضع الطعن وضروب التأويل، قد التمس الحيل في إبطال مناقبه وتأويل مشهور فضائله، فمرة يتأولها بما لا تحتل، ومرة يقصد أن يضع من قدرها بقياس منتقض، ولا يزداد مع ذلك إلا قوّة ورفعة، ووضوحاً واستنارة: وقد علمت أن معاوية ويزيد ومن بعدهما من بني مروان أيام ملكهم - وذلك نحو ثمانين سنة - لم يدعوا جهداً في حمل الناس على شتمه ولعنه وإخفاء فضائله، وستر مناقبه وسوابقه^(٣).

ثم أورد أبو جعفر روايات كثيرة تصدق قوله هذا^(٤)، لى أن قال: وقد روي عن ابن مسعود إمّا موقوفاً عليه أو مرفوعاً: كيف أنتم إذا شملتكم فتنة يربو عليها الصغير ويهرم فيها الكبير، يجري عليها الناس فيتخذونها سنة، فإذا غير منها شيء قيل: غيرت السنة! قال أبو جعفر: وقد تعلمون أن بعض لملوك ربّما أحدثوا قولاً، أو ديناً لهوى فيحملون عليه لناس فيجمعون على ذلك^(٥)؛ حتى لا يعرفون غيره، كنحو ما أخذ الناس الحجاج بن يوسف بقراءة عثمان، وترك قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب، ونوعد على ذلك، بدون ما صنع هو وجبابرة بني أمية وطغاة بني مروان بولد علي عليه السلام وشيعته، وإنما كان سلطانه نحو عشرين سنة، فما مات الحجاج حتى جتمع أهل العراق على قراءة عثمان، ونشأ

(١) في ط: أن يطيف بهم. (٢) في هـ. ص: الثوابت: الحشوية.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٢٠.

(٤) في الصفحات ٢٢٠ - ٢٢٢ من المصدر المذكور.

(٥) في ط: فيحملون الناس على ذلك.

أبناءؤهم لا يعرفون غيرها^(١)؛ لإمساك الآباء عنها، وكفّ المعلمين عن تعليمها؛ حتى لو قرأت عليهم قراءة عبدالله وأبي ما عرفوها، ولظنوا بتأليها^(٢) الاستكراه والاستهجان؛ لإلف العادة [وطول الجهالة؛ لأنه إذا استولت على الرعيّة الغلبة، وطالت عليهم أيام التسلط، وشاعت فيهم المخافة، وشملتهم التقية؛ اتفقوا على التخاذل والتساكت فلا تزال الأتّام تأخذ من بصائرهم؛ وتنقص من ضمائرهم، وتنقص من مرائرهم، حتى تصير البدعة التي أحدثوها عامرة للسنة التي كانوا يعرفونها]^(٣) ولقد كان الحجاج ومنّ ولّاه، كعبد الملك والوليد ومنّ كان قبلهما وبعدهما من فراعنة بني أمية على إخفاء محاسن عليّ عليه السلام وفضائله وفضائل ولده وشيعته، وإسقاط أقدارهم، أحرص منهم على إسقاط قراءة عبدالله وأبي، لأنّ تلك القراءات لا تكون سبباً لزوال ملكهم، وفساد أمرهم، وانكشاف حالهم؛ وفي اشتهار فضل عليّ عليه السلام وولده وإظهار محاسنهم بوارهم، وتسليط حكم الكتاب المنبوذ عليهم؛ فحرصوا واجتهدوا في إخفاء فضائله، وحملوا الناس على كتمانها وسترها؛ وأبى الله أن يزيد أمره وأمر ولده إلا استدارة وإشراقاً، وحبّهم إلا شغفاً وشدة، وذكرهم إلا انتشاراً وكثرة، وحبّتهم إلا وضوحاً وقوة، وفضلهم إلا ظهوراً، وشأنهم إلا علواً؛ وأقدارهم إلا إعظاماً، حتى أصبحوا بإهانتهم إيتاهم أعزّاء؛ وبإماتتهم ذكرهم أحياء؛ وما أرادوا به وبهم من الشرّ تحوّل خيراً، فانتهى إلينا من ذكر فضائله وخصائصه ومزاياه وسوابقه ما لم يتقدّمه السابقون؛ ولا ساواه فيه القاصدون، ولا يلحقه الطالبون؛ ولولا أنّها كانت كالقُبلة المنصوبة في الشهرة، وكالسُنن المحفوظة في الكثرة؛ لم يصل إلينا منها في دهرنا حرف واحد؛ إذ كان الأمر كما وصفناه، انتهى ما ذكره الشيخ أبو جعفر مع اختصار نقلاً من شرح ابن أبي الحديد، والله أعلم^(٤).

قوله عليه السلام: «ولكن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد... إلى آخره».

قال في شرح ابن أبي الحديد: واعلم أنّ محصول هذا الفصل أنّه كلّما كانت العبادة أشقّ

(٢) في ط: بتأليفها

(١) في ط: ولا يعرفون غيرها.

(٣) ما بين المعقوفين من ط. ولم ترد في ص.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٢٤.

كان الثواب عليها أعظم، ولو أن الله تعالى جعل العبادات سهلة على المكلفين لما استحقوا عليها من الثواب إلا قدرأً يسيراً، بحسب ما يكون فيها من المشقة اليسيرة، انتهى^(١)

وأقول: قد أوضح ﷺ في هذه الخطبة علل التكاليف الشرعية، وإن مقصود الشارع منها هو الاختبار والابتلاء، لا تقيادهم واذعائهم لذي هو كمال السجود، الذي هو كمال الشكر، الذي هو تعظيم المنعم لأجل نعمته، المستحسن بالفطرة

كما أن ضده، وهو الاستخفاف بالمنعم، والإعراض عنه، كمال الكفر المستقبح بالفطرة. وتفيد الشرعيات مع ذلك فوائد زوائد، ومصالح دنيوية وأخروية، كالقريب من الطاعة والتباعد من المعصية - الذي قصرت المعتزلة نظرها على اعتبارهما، وسموا معتبرهم مصالح والطافاً، وتمحلوا في بيان وجوههما تكلفات الزمتهن شناعات - ونحن نقول: حكمة الله أجل من أن يحيط البشر بتفاصيلها، فنذكر ما ظهر ونكّل ما خفي أمره إلى الله عز وجل.

أما الإبتلاء، فقد دل على اعتباره الكتاب وكلام الرسول ﷺ وكلام أمير المؤمنين ﷺ، والله أعلم.

قوله ﷺ: «فإنكم تتعصبون لأمر ما يعرف له سبب ولا علة»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: وينبغي أن يحمل قوله ﷺ: «فإنكم تتعصبون لأمر ما يعرف له سبب ولا علة»، على أنه لا يعرف له سبب مناسب، فكيف يمكن أن يتعصبوا لغير سبب أصلاً!

ثم أورد رواية مجهولة في حكاية سبب لهذه الخطبة لا تصلح أن تكون سبباً لهذه الخطبة المبني عليها قواعد الدين^(٢).

وأقول: إن هذا الموضع من المواضع التي أشار فيها إلى مقصوده خصوصاً، وإن كان مقصود لخطبة كلها هو هذا الغرض، لكن العبارة قد تعم وقد تخص.

يريد ﷺ: نكم تتعصبون لأمر لا يلحقكم نفع حصوله ولا ضرر نفيه ولا هو مما يخص

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٦١. (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٦٧ و ١٦٨.

حالككم، فإنَّ الجِدالَ والمَحاكَة والقَتالَ والمَناصبَة على كَونِ غيرِ أميرِ المؤمنين ﷺ أفضلَ منه، والمَكابرَة والجَحد لكونه منصوصاً عليه ومخصوصاً بخصائص الوصاية شيء لا يعرف له تعلق بفاعله، لا يلحقه نفعه ولا ينقصه نفيه، وهذه الفتنة ديدن غير شيعته منذ قبض الله رسول الله ﷺ إلى يوم الناس.

وإذا أردت أن تتحقّق أنَّ الناس كلَّهم تعصّبوا عليه ﷺ وعلى ولده لغير سبب فتأمل ما ذكره الجاحظ في كتاب «العثمانية»، والقاضي عبد الجبار في كتاب «المغني» فإذا كان ذلك القدر من التعصّب صادر عن رؤساء المعتزلة الذين يدّعون التحقيق ويزعمون أنَّهم منسبون إليه ﷺ في أصولهم، وهم أبعد الناس من الأسباب المقتضية للتعصّب عليه، فما ظنّك بالحشوية والأشاعرة والخوارج والناصبية الذين كلامه ﷺ مشحون بالرد لمقالاتهم والتشنيع عليهم وتزييف طرائقهم وهم جمهور الأمة وأهل السلطان والغلبة وأهل الأحاديث والرواية.

ولا سبب لعصية القوم عليه إلا أن الله اصطفاه وزاده بسطة في لعلم والجسم وأمرهم بطاعته^(١) وأوجب عليهم اتباعه، فقالوا - كما قالت بنو إسرائيل - «أنى يكون له الملك علينا ونحن أحقّ بالملك منه»^(٢)، فحسده معاصروه وتعصّب لهم من أتى بعدهم.

وبما نبهتك على تأمله يتحقّق لك صدق تمثيله ﷺ لحاله معه بحال إبليس مع آدم، وقابيل مع هابيل، ومترفة الأمم مع الأنبياء، وإن حاله ﷺ في هذه الأمة كما قال النبي ﷺ: «كمثل باب حطة في بني إسرائيل»^(٣).

قوله ﷺ: «واعتبروا بحال ولد اسماعيل وبني اسحاق وبني إسرائيل ﷺ.. إلى آخره»: قال في شرح ابن أبي الحديد: لقائل أن يقول: ما نعرف أحداً من بني إسحاق وبني إسرائيل احتازتهم الأكاسرة والقيصرة عن ريف الآفاق إلى البادية ومنابت الشّيح، إلا أن يقول: يهود خيبر والنّضير وبني قُريظة وبني قَيْنُقَاع، وهؤلاء نفرٌ قليل لا يعتدّ بهم. ويُعلم

(١) كما ورد في القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ٢٤٧

(٢) البقرة ٢٤٧.

(٣) المعجم الصغير، للطبراني: ١٧٠، ط دهلي، وفيه: «وانما مش أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له».

من فحوى الخطبة أنهم غير مرادين بالكلام، ولأنه ﷺ قال: تركوهم إخوان دبر ووبر، وهؤلاء لم يكونوا من أهل الوبر والدبر، بل من أهل المدبر؛ لأنهم كانوا ذوي حصون وآطام. والحاصل أن الذين احتازتهم الأكاسرة والقياصرة من الرّيف الى البادية، وصاروا أهل وّبر ولد إسماعيل وهم العرب، فما باله قال ﷺ فاعتبروا بحال بني إسماعيل وبني إسحاق وبني إسرائيل^(١)!

والجواب أنه ﷺ ذكر في هذه الكلمات، وهي قوله: «فاعتبروا بحال ولد إسماعيل وبني إسحاق وبني إسرائيل المقهورين والقاهرين جميعاً»: أما المقهورون فبنو إسماعيل، وأما القاهرون فبنو إسحاق وبني إسرائيل، لأن الأكاسرة من بني إسحاق؛ ذكر كثير من أهل العلم أن فارس من ولد إسحاق، والقياصرة من ولد إسحاق أيضاً، لأن الروم بنو العيص بن إسحاق، وعلى هذا يكون الضمير في «أمرهم»، و «تشتتهم» و «تفرقهم» يرجع الى بني إسماعيل خاصة.

فإن قلت: فبنو إسرائيل، أي مدخل لهم هاهنا؟ قلت: لأن بني إسرائيل لما كانوا ملوكاً بالشام في أيام أجاب الملك وغيره، حاربوا العرب من بني إسماعيل غير مرّة، وطردهم عن الشام، وأجنتوهم على المقام ببادية الحجاز. ويصير تقدير الكلام: فاعتبروا بحال ولد إسماعيل مع بني إسحاق وبني إسرائيل؛ فجاء^(٢) في صدر الكلام على العموم، ثم خصّص فقال: الأكاسرة والقياصرة؛ وهم داخلون في عموم ولد إسحاق، وإنما لم يخصّص عموم بني إسرائيل لأن العرب لم تكن تعرف ملوك ولد يعقوب، فيذكر لهم أسماءهم في الخطبة، بخلاف ولد إسحاق فإنهم كانوا يعرفون ملوكهم من بني ساسان ومن بني الأصفر، انتهى كلامه^(٣).

وفيه تكلفات ودعاوي بعيدة.

وأقول: لا حاجة بنا الى ما تكلف، وإن أمير المؤمنين ﷺ ذكر من المقهورين جملة جمع بينهم في نظره تفرق الكلمة وتشتت الالفة وهم بنو إسماعيل وبني إسحاق من

(١) العبارة في ط ناقصة.

(٢) في ط: فجاء بهم .

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٧٣.

اسرائيل، فذكر اسحاق للتشريف وليقابل به اسماعيل، وذكر اسرائيل للتخصيص؛ لئلا يدخل بنو العيص. ثم ذكر من أحوالهم ما يستبشع، وإن اختصت ببعضهم - وهم بعض ولد إسماعيل - لتحويل ما كانوا فيه من البلاء عند الاختلاف.

وقد كانت بنو اسرائيل مقهورين بالشام والعراق والحجاز من الأكاسرة والقيصرية وكانوا ينتظرون الفرج على الذين يقهرونهم بظهور رسول الله ﷺ وإنما بغوا عليه بعد ظهوره ووجدوا.

ثم اختلف حال المقهورين من أجاب منهم الرسول ﷺ فعادوا ملوكاً للمالكين وأرباباً لمن كانوا عليهم متسلطين ببركة الألفة والطاعة. ولا يلزم أن يثبت الصفات والأحكام لجميع أفراد الجملة، وأيضاً: قد كان ذكر أحوال بني اسرائيل في وقت مقهوريتهم وتمكينهم قبيل هذا، فاكتفى بذلك، والله أعلم.

قوله ﷺ: «واعلموا انكم صرتم بعد الهجرة أعراباً... الى آخره»:

الأعراب على عهد رسول الله ﷺ: مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ وَلَمْ يَهَاجِرْ إِلَيْهِ، وَهُمْ نَاقَصُوا الْمَرْتَبَةَ عَنِ الْمُهَاجِرِينَ؛ لَجَفَائِهِمْ وَقَسْوَتِهِمْ وَتَوَحُّشِهِمْ، وَنَشْئُهُمْ فِي بُعْدٍ مِنْ مَخَالَطَةِ الْعُلَمَاءِ، وَسَمَاعِ كَلَامِ الرَّسُولِ ﷺ، وَهَذَا هُوَ الْغَالِبُ مِنْ أَمْرِهِمْ، ذَكَرَ مَعْنَاهُ فِي الشَّرْحِ ^(١). قلت: صار الأعرابي عبارة عن المنافق بجامع الإعراض عن الدين وعدم الاهتمام به وفي الكلام إشارة الى قوله ﷺ: «لا يبغيضك إلا منافق»، وقوله: «عدوك عدوي» وقوله: «حربك حربي» ^(٢).

وهذا الموضع - أيضاً - من المواضع التي يشير فيها الى غرضه وما في نفسه وينعي على جمهور المنتسبين الى الاسلام سوء صنيعهم وباطل معتقدتهم.

واعلم انه ﷺ ينسب الى جملتهم ما وقع من بعضهم وما سيقع من بعضهم بجامع الرضى والتسبيب، فهو ينسب الى المتقدمين أفعال المتأخرين وفسادهم؛ لأنهم سببوا لوقوع ذلك منهم، وينسب الى المتأخرين أفعال المتقدمين وتسبيبتهم في الفساد، لأنهم رضوا به فاشترك الكل في كل ما وقع من ذلك.

(٢) راجع شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٩٣.

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٨١.

وهذا نهج القرآن في قصصه لآخبار الماضين كما قص من أخبار بني إسرائيل ووجه الخطاب إلى الموجودين في زمن رسول الله ﷺ نحو قوله: ﴿وَأَذَقْتُمْ نَفْسًا﴾ ﴿وَأَذَقْتُمْ يَٰ مُوسَىٰ﴾ ونحو ذلك، فهو ﷺ ينسب إلى المخاطبين في زمنه ما وقع من فساد بعده؛ لأنه مسبب عن أفعال من سبقهم وقد رضوا بها فشاركوهم فيها وفي مسبباتها.

فاستوضح مقاصده ﷺ لتفوز بفائدة كلامه

قوله ﷺ: «ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي... إلى آخره»:

من هذا الموضع إلى آخر الخطبة التصريح منه ﷺ بحاله ومنزلته في الإسلام والتنبيه لهم على أنه يجب عليهم أن ينزلوه المنزلة التي أنزلها الله ورسوله بها فقد كانوا في أمره على خلاف ذلك وأن حقه على الأمة كحق رسول الله ﷺ كما دلّ عليه قوله ﷺ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» ودل عليه قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾

لم يختف المفسرون في أن رسول الله ﷺ دعى لذلك علياً وفاطمة وحسن والحسين، ون الأبناء كانوا الحسين، والنساء كنّ فاطمة، والأنفس كانت رسول الله وعلياً.

دلّ ذلك على أن الله سوى بين نفسيهما في الطهارة والزكاة والزلفى إلى الله، فيجب أن يوقر ويعزر وينصر ويطاع كمثله، فمن عدل عن هذه الطريفة في حقه فهو كمن عدل عنها في حق رسول الله ﷺ.

فهذا التوبيخ والتقريع لذلك، والله أعلم.

قوله ﷺ: «فاما الناكثون... إلى آخره»:

وجدت في كتاب مؤلف في «تسمية من روى عن زيد بن علي عليه السلام» ما صورته: عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب، مدني تابعي رأى سهل بن سعد، وسمع أم خالد بنت خالد، أخبرنا الحسين بن محمد بن لحسين الحمري، قال: أخبرنا عبد العزيز بن إسحاق، قال: حدّثني محمد بن عيسى بن سلام، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق الملقب قال: حدّثنا أبو ابراهيم علي بن عبيد الله لعمري، عن أبيه عن زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن

علي عليه السلام قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فاما الناكثون فأهل الجمل، وأما القاسطون فمعاوية وأصحابه، واما المارقون فالحرورية.

قال زيد: والله لو أمره بقتال الرابعة لقاتلهم، انتهى.

وأقول: قول زيد عليه السلام: والله لو أمره ... الى آخره تحته سر عجيب ونكتة من الاستدلال لطيفة يعقلها ذوو الفطن والبصائر، والله أعلم.

فوله عليه السلام: «واما شيطان الردهة» الى آخره».

قال في شرح ابن أبي الحديد: وأما شيطان الردهة، فقد قال قوم: إنه ذو النُدَيَّة صاحب النهروان، وروو في ذلك خبراً عن النبي صلى الله عليه وسلم، وممن ذكر ذلك واختاره الجوهرى صاحب الصحاح^(١)، وهؤلاء يقولون: انّ ذا النُدَيَّة لم يقتل بسيف، ولكن الله رماه يوم النهروان بصاعقة، وإليها أشار عليه السلام بقوله: «فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجبة قلبه»^(٢). ووجدت في مناقب أحمد بن حنبل ما لفظه: حدّث عبدالله، قال: حدّثنا حجاج بن الشاعر، قال: حدّثني عبد لصمد بن عيد الوارث، حدّثنا يزيد بن أبي صالح، ان أبا الوصي عباداً حدّثه، انه قال: كنّا عامدين الى الكوفة مع علي بن أبي طالب فذكر حديث المخدّج، فقال علي: فوالله ما كذبت ولا كذبت - ثلاثاً - فقال علي: اما ان خليلي أخبرني ان ثلاثة أخوة من الجن، هذا أكبرهم، والثاني له جمع كثير، والثالث فيه ضعف^(٣).

وفي هذا الكتاب أيضاً: بعد أن ذكر السند وصدر الحديث الى قوله: قال: فحمد الله علي بن أبي طالب فقال: ان خليلي أخبرني إنّ قائد هؤلاء رجل مخدج على حلمة تديه ثلاث شعرات كأنهن ذنب اليربوع.

فالتمسوه في القتلى فلم يجدوه، فأتيناه فقلنا: إنّنا لم نجده. فجاء علي بنفسه فجعل يقول: إقلبوا ذا، إقلبوا ذا، حتى جاء^(٤) رجل من أهل الكوفة، فقال علي: الله أكبر لا يأتيكم أحد يخبركم من أبوه؟

(١) الصحاح ٨: ٢٢٣٢، وفيه: قال الخليل: الردهة: شبه أكمة كثيرة الحجارة. وفي الحديث

أنه صلى الله عليه وسلم ذكر المقتول بالنهروان، فقال: «شيطان الردهة».

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٨٣. (٣) مسند أحمد بن حنبل ١: ١٤١.

(٤) في هربص في هذا الموضع ما يلي: كذا وجد، ولعله أراد: حتى ظهر.

قال: فجعل الناس يقولون: هذا مالك هذا مالك.

يقول علي ابن من؟ انتهى نقلاً من مناقب أحمد بن حنبل^(١).

قلت: ولا بعد في ان يجعل الله الجني رجلاً لحكمة ان يُعلم به الفرقة التي علم بقاتلها أهل الحق من أمة محمد ﷺ إلى يوم القيامة وكيف يستبعد ذلك وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ ومعلوم قطعاً ان الملائكة ﷺ كانوا ينزلون في صورة البشر، والله أعلم.

قوله ﷺ: «بالقربة القريبة»:

هي انه ابن عمه دنياً، وان أبيهما أخوان لأب وأم دون غيرهما من بني عبد لمطلب إلا الزبير.

والمنزلة الخصيصة: إن أباه كفل رسول الله ﷺ دون غيره من الاعمام ورباه في حجره، ثم حامى عنه ونصره عند إظهار الدعوة دون غيره من بني هاشم، ثم ما كان بينهما من المصاهرة التي فضت الى النسل الأطهر دون غيره من الأصهار، انتهى من الشرح .
قوله ﷺ: «وضعتني في حجره ... الى آخره»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: روى الطبري في تاريخه: قال حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد ابن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن نجيح، عن مجاهد، قال: كان من نعمة الله عز وجل على علي بن أبي طالب ﷺ، وما صنع الله له، وأراد به من الخير، أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه - وكان من أيسر بني هاشم - إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد ترى ما أصاب الناس من هذه الأزمة، فانطلق بنا، فلنخفف عنه من عياله، آخذ من بيته واحداً، وتأخذ واحداً، فنكفيهما عنه. فقال العباس: نعم، فانطلق حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما: إن تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرًا ﷺ،

(١) رواه أحمد بن حنبل في المناقب كما رواه في المسند ١: ١٤١.

فضّته اليه، فلم يزل عليّ بن أبي طالب عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتى بعثه الله نبياً، فاتّبعه عليّ عليه السلام، فأقرّ به وصدّقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه^(١).

قوله عليه السلام: «اتبعه اتباع الفصل اثر امه... الى آخره»:

قال في الشرح: قال الطبري: وحدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا حضرت الصلاة خرج الى شعاب مكة، وخرج معه عيّ بن أبي طالب عليه السلام مستخفياً من عمّه أبي طالب، ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصلّيان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا، فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا.

ثم إنّ أبا طالب عثر عليهما وهما يصيّبان، فقال لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا ابن أخي، ما هذا الذي أراك تدين به؟ قال: يا عمّ هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم - أو كما قال - بعثني الله به رسولاً الى العباد، وأنت يا عمّ أحقّ من بذلت له النصيحة، ودعوته الى الهدى، وأحقّ من أجابني إليه، وأعانتني عليه - أو كما قال. فقال أبو طالب: يا ابن أخي، إنّي لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي، وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص إليك شيء نكرهه ما بقيت.

وروى جبير بن مطعم، قال: قال أبي مطعم بن عدي لنا ونحن صبيان بمكة: ألا ترون حبّ هذا الغلام - يعني عليّ - لمحمّد واتباعه له دون أبيه! واللّات والعزّى، لوددت أنّه ابني بفتيان بني نوفل جميعاً!^(٢)

قوله عليه السلام: «ولقد قرن الله به... الى آخره»:

قال في الشرح: وروى أنّ بعض أصحاب أبي جعفر محمد بن عليّ الباقر عليه السلام سأله عن قول الله عز وجل: ﴿إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾^(٣). فقال عليه السلام: يوكل الله تعالى بأنبيائه ملائكة يحصون أعمالهم، ويؤدّون إليه تليغهم الرّسالة، ووكل بمحمّد صلى الله عليه وآله ملكاً عظيماً منذ فُصل عن الرّضاع يرشده الى

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٩٩ عن تاريخ الطبري ٢: ٣١٣ (طبعة المعارف).

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٠٠ - ٢٠١ عن تاريخ الطبري ٢: ١٦١ - ١٦٥ (طبع المعارف).

(٣) الجن: ٢٧.

الخيرات ومكارم الأخلاق، ويصدّه عن الشرّ ومساوئ الأخلاق، وهو الذي كان يناديه: السّلام عليك يا محمّد، السّلام عليك يا رسول الله وهو شاب لم يبلغ درّجة الرّسالة بعد، فيظنّ أنّ ذلك من الحجر والأرض، فيتأمل فلا يرى شيئاً.

وروى محمد بن حبيب في «أماليه» قال: قال رسول الله ﷺ: أذكر وأنا غلام ابن سبع سنين، وقد بنى ابن جُدعان داراً له بمكّة، فجئت مع الغلمان نأخذ التراب والمدر في حجورنا فننقله، فملأت حجري تراباً فانكشفت عورتني، فسمعت نداءً من فوق رأسي: يا محمّد، أرخ إزارك، فجعلت أرفع رأسي فلا أرى شيئاً، إلّا أني أسمع لصوت، فتماسكت ولم أرّخه، فكان إنساناً ضربني على ظهري، فخررت لوجهي، وانحلّ إزاري فسترني، وسقط التراب إلى الأرض، فقامت إلى دار أبي طالب عمّي ولم أعد، انتهى^(١).

قوله ﷺ: «وكان يجاور في كل سنة بحراء... إلى آخره»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: وأما حديث مجاورته عليه الصلاة والسلام بحراء فمشهور، وقد ورد في الكتب الصحاح أنّه كان يجاور في حِراء من كلّ سنة شهراً، وكان يُطعم مَنْ جاءه في ذلك الشهر من المساكين، فإذا فضى جواره من حِراء، كان أوّل ما يبدأ به إذا انصرف أن يأتي الكعبة قبل أن يأتي بيته^(٢)، فيطوف بها سبعة، أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته، حتى جاءت السنة التي أكرمه الله فيها بالرسالة، فجاور في حِراء شهر رمضان، ومعه أهله: خديجة وعلي بن أبي طالب وخادم لهم، فجاءه جبريل بالرسالة، قال رسول الله ﷺ: جاءني وأنا نائم بنمط فيه كتاب، فقال: اقرأ، قلت: ما اقرأ، فغتنني^(٣) حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: «اقرأ باسم ربك الذي خلق»، إلى قوله: «علّم الإنسان ما لم يعلم»^(٤). فقرأته، ثم انصرف عني فانتبهت من نومي، وكأنما كتب في قلبي كتاب، وذكر تمام الحديث، انتهى^(٥).

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٠٨. (٢) في ط يأتي باب الكعبة قبل أن يدخل بيته.

(٣) في ص: فغطني، وفي هـ: ط: غطني، قال ابن الأثير: «الغت والغط سواء، كأنه أراد: عصرتني عصراً شديداً حتى وجدت منه المشقة كما يجد من يغمس في الماء قهراً». النهاية ٣: ١٤٩.

(٤) العلق: ١/ ٩٦ - ٥. (٥) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٠٩.

قوله ﷺ: «ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام ... الى آخره»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: وأما حديث أن الاسلام لم يجمع عليه بيت واحد [يومئذ إلا النبي وهو - ﷺ - وخديجة] ^(١) فيدل عليه ما رواه شريك بن عبدالله، عن سليمان بن المغيرة، عن زبد ابن وهب، عن عبدالله بن مسعود، أنه قال: أول شيء علمته من أمر رسول الله ﷺ أنني قدمت مكة مع عمومة لي وناس من قومي، وكان من أنفسنا شراء عطر، فأرشدنا ^(٢) الى العباس بن عبد المطلب، فأنتهينا إليه، وهو جالس الى زمزم، فبينما نحن عنده جلوساً، إذ أقبل رجل من باب الصفا، وعليه ثوبان أبيضان، وله وفرة الى أنصاف أذنيه؛ جعدة، أشم أفتى، أدعج العينين، كث اللحية، براق الثنايا، أبيض تعلوه حمرة، كأنه القمر ليلة البدر، وعلى يمينه غلام مرقق أو محتلم، حسن الوجه، تقفوهما امرأة، قد سترت محاسنها، حتى قصدوا نحو الحجر، فاستلمه واستلمه الغلام ^(٣)، ثم استلمته المرأة، ثم طاف بالبيت سبعاً، والغلام والمرأة يطوفان معه، ثم استقبل الحجر، فقام ورفع يديه وكبر، وقام الغلام الى جانبه، وقامت المرأة خلفهما، فرفعت يديها، وكبرت، فأطال القنوت، ثم ركع وركع الغلام والمرأة، ثم رفع رأسه فأطال، ورفع الغلام والمرأة ثم سجد وسجد الغلام والمرأة معه، يصنعان مثل ما يصنع، فلما رأينا شيئاً ننكره، لا نعرفه بمكة، أقبلنا على العباس، فقلنا: يا أبا الفضل، إن هذا الدين ما كنا نعرفه بمكة فيكم؟ قال: أجل والله، قلنا: فمن هذا؟ قال: هذا ابن أخي، هذا محمد بن عبد الله، وهذا الغلام ابن أخي أيضاً؛ هذا علي بن أبي طالب، وهذه المرأة زوجة محمد، هذه خديجة بنت خويلد، والله ما على وجه الأرض أحد يدين بهذا الدين؛ إلا هؤلاء الثلاثة.

ومن حديث موسى بن داود، عن خالد بن نافع، عن عفيف بن قيس الكندي، وقد رواه عن عفيف أيضاً، مالك بن إسماعيل النهدي ^(٤) والحسن بن عنبسة الوراق وإبراهيم بن محمد بن ميمونة ^(٥)، قالوا جميعاً: حدثنا سعيد بن جشم ^(٦)، عن أسد بن عبدالله البجلي،

(٢) «فأرشدونا».

(٤) في ص: الهندي.

(٦) في ص: خثيم.

(١) من ط.

(٣) في ص: فاستلماه.

(٥) في ص: ميمون.

عن يحيى بن عفيف بن قيس^(١)، عن أبيه، قال: كنت في الجاهلية عطاراً، فقدمت مكة، فنزلت على العباس بن عبد المطلب، فبينما أنا جالس عنده، أنظر إلى الكعبة، وقد تحلقت الشمس في السماء، أقبل شاب كأن وجهه القمر، حتى رمى ببصره إلى السماء، فنظر إلى الشمس ساعة، ثم أقبل حتى دنا من الكعبة، فصفت قدومه بصلي، فخرج على أثره فتى كأن وجهه صحيفة يمانية، فقام عن يمينه، فجاءت امرأة متكففة^(٢) في ثيابها، فقامت خلفهما، فأهوى الشاب راكعاً، فركعا معه، ثم أهوى إلى الأرض ساجداً، فسجداً معه، فقلت للعبس: يا أبا الفضل، أمر عظيم! فقال: والله أمر عظيم! أتدري من هذا الشاب؟ قلت: لا، قال هذا ابن أخي، هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب! أتدري من هذا الفتى؟ قلت: لا، قال: [هذا ابن أخي علي بن أبي طالب بن عبد المطلب! أتدري من هذه المرأة؟ قلت: لا، قال: هذه ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزى، هذه خديجة زوج هذا، وإن محمداً هذا يذكر أن إلهه إله السماء ولأرض أمره بهذا الدين، فهو عليه كما ترى، ويزعم أنه نبي، وقد صدقه على قوله ابن عمه علي هذا الفتى، وزوجته خديجة، هذه المرأة؛ والله ما أعلم على وجه الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.

قال عفيف: فقلت له: فما تقولون أنتم؟ قال: نتنظر الشيخ ما يصنع! يعني أبا طالب أخاه^(٤).

وأما رثة الشيطان، فروى أبو عبد الله أحمد بن حنبل في مسنده، عن عسي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: كنت مع رسول الله ﷺ صبيحة الليلة التي أسري به فيها، وهو بالحجر يصلي، فلما قضى صلاته، وقضيت صلاتي، سمعت رثة شديدة، فقلت: يا رسول الله، ما هذه الرثة؟ قال: ألا تعلم! هذه رثة الشيطان، علم أنني أسري بي الليلة إلى السماء، فأيس من أن يُعبد في هذه الأرض^(٥).

وروى عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه، قال: كان علي رضي الله عنه يرى مع رسول الله ﷺ قبل

(١) في ص: كيس

(٢) في ط: متلففة.

(٣) لم ترد في ص ومنها وهذا.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٢٧.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٠٩، والبحار ٤٠: ٩١، ح ١١٤.

الرسالة الضوء وبسمع الصوت، وقال له ﷺ: «لولا أنني خاتم الأنبياء لكنت شريكاً في النبوة، فإنك لا تكن نبياً فإنك وصي نبي ووارثه، بل أنت سيّد الأوصياء وإمام الأتقياء»^(١).

وأما خبر الوزارة، فقد ذكره الطبري في تاريخه، عن عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِذْ عَشِيرَتُكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٢)؛ على رسول الله ﷺ دعائي، فقال: يا علي، إن الله أمرني أن أئذ عشيرتي الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً، وعلمت أنني متى أبادئهم بهذا الأمر أَر منهم ما أكره، فصمتُ حتى جاءني جبريل رضي الله عنه، فقال: يا محمد، إنك إن لم تفعل ما أمرت به يعذبك ربك؛ فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رجلاً شاة، واملا لنا عُسّاً من لبن، ثم اجمع بني عبدالمطلب حتى أكلمهم، وأبلغهم ما أمرت به. ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم وهم يومئذ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً أو ينقصونه، وفيهم أعمامه: أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب؛ فلما اجتمعوا إليه دعا بالطعام الذي صنعت لهم، فجئت به، فلما وضعت تناول رسول الله ﷺ بضعة^(٣) من اللحم فشققها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصّحفة، ثم قال: كلوا باسم الله، فأكلوا حتى مالهم الى شيء من حاجة، وأيم الله انذي نفس علي بيده، إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمته لجميعهم، ثم قال: اسقِ القوم يا علي، فجئتهم بذلك العسّ فشربوا منه، حتى رويوا جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بذكره أبو لهب الى الكلام، فقال: لشدّ ما سحركم صاحبكم! فتفرّق القوم، ولم يكلمهم رسول الله ﷺ، فقال من الغد: يا علي، إن هذا الرجل قد سبقني الى ما سمعت من القول، فتفرّق القوم قبل أن أكلمهم، فعدلنا اليوم إلى مثل ما صنعت بالأمس، ثم اجمعهم لي. ففعلت ثم جمعتهم، ثم دعاني بالطعام، فقربته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتى مالهم بشيء حاجة، ثم قال: اسقهم، فجئتهم بذلك العسّ، فشربوا منه جميعاً، حتى رويوا، ثم تكلم رسول الله ﷺ، فقال: يا بني عبد المطلب، إنني والله ما أعلم أن شاباً في لعرب جاء قومه بأفضل ممّا

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢١٠، والبحار ٢٦: ٣٤٩، ح ٢٣.

(٢) البضعة بالفتح، وقد تكسر: القطعة من اللحم.

(٣) الشعراء: ٢١٤.

جئتمكم به، إني قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيتكم يؤازرنني على هذا الأمر، على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت أنا^(١) وإني لأحدثهم سناً وأرمصهم^(٢) عينا، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم^(٣) ساقاً: أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه، فأعاد القول، فأمسكوا وأعدت ما قلت، فأخذ برقبتي، ثم قال لهم: هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم. فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أmerk أن تسمع لابنك وتطيع^(٤).

ويدل على أنه وزير رسول الله ﷺ من نص الكتاب والسنة قول الله تعالى ﴿وَأَجْعَلْ لِي وِزيراً مِنْ أَهْلِي﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿أَشْدِدْ بِهِ أَمْرِي﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿١٥﴾ وقال النبي ﷺ في الخبر المجمع على روايته بين سائر فرق الاسلام: «ننت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» فأثبت له جميع مرتب هارون عن موسى، فإذن هو وزير رسول الله ﷺ، وشاد أزره، ولولا أنه خاتم النبيين لكان شريكاً في أمره

وروى الطبري أيضاً في «التاريخ»: أن رجلاً قل لعلي عليه السلام: يا أمير المؤمنين، بم ورثت ابن عمك دون عمك؟ فقال علي عليه السلام: هاؤم ثلاث مرات، حتى اشرب الناس، ونشروا آذانهم، ثم قال: جمع رسول الله ﷺ بني عبدالمطلب بمكة، وهم رهطه^(٦) كهم، يأكل الجذعة، ويشرب الفرق^(٧)، فصنع مِدأً من طعام، حتى أكلوا وشبعوا وبقي الطعام كما هو، كأنه لم يمس، ثم دعا بغمر^(٨)، فشربوا ورووا؛ وبقي الشراب كأنه لم يشرب، ثم قال: يا بني عبدالمطلب، إني بعثت إليكم خاصة، وإلى الناس عامة، فأيتكم يبايعني عسى أن يكون

(١) ساقطة من التاريخ.

(٢) الرمص في العين: كالغمص، وهو فذى تلفظ به: كناية عن صغر سنه.

(٣) حمش الساقين: رقيقهما.

(٤) تاريخ الطبري ٢: ٣١٩ - ٣٢١ (المعارف)، وتفسير الطبري ١٩: ٧٤، ٧٥ (بولاقي)، بتفصيل

(٥) طه: ٢٠ / ٢٩ - ٣١.

أوفى.

(٦) في ص: «رهط».

(٧) الفرق، بكسر الفاء، وبعضهم يقول بالفتح: مكبال كبير لأهل المدينة يقال به اللبن.

(٨) الغمر: القدح الصغير.

أخي وصاحبي، ووارثي؟ فلم يُنم إليه أحدٌ، ففقت إليه، وكنت من أصغر القوم، فقال: اجلس، ثم قال: ذلك ثلاث مرّات، كلّ ذلك أقوم إليه، فيقول: اجلس، حتى كان في الثالثة، فضرب بيده على يدي، فلذلك ورثتُ ابن عمّي دون عمّي^(١)

ومن خصائصه ما دلّ عليه هذا الحديث: وروى عبد السلام بن صالح، عن إسحاق الأزرق، عن جعفر بن محمد، عن آبائه، أن رسول الله ﷺ لما زوّج فاطمة، دخل النساء عليها، فقلن: يا بنت رسول الله، خطبك فلان وفلان، فردّهم عنك، وزوّجك فقيراً لا مال له، فلمّا دخل عليها أبوها ﷺ رأى ذلك في وجهها، فسألها فذكرت له ذلك، فقال: يا فاطمة، إنّ الله أمرني فأنكحتك أقدمهم سلماً؛ وأكثرهم علماً، وأعظمهم حِلماً؛ وما زوّجتك إلاّ بأمرٍ من السماء؛ أما علمت أنه أخي في الدنيا والآخرة!^(٢)

وروى عثمان بن سعيد عن الحكم بن ظهير، عن السديّ: أن أب بكر وعمر خطبا فاطمة رضي الله عنها، فردّهما رسول الله ﷺ وقال: لم أومر بذلك، فخطبها عليّ رضي الله عنه، فزوّجه إياها، وقال لها: زوّجتك أقدم الأمة اسلاماً.. وذكر تمام الحديث. قال: وقد روى هذا الخبر جماعة من الصحابة، منهم أسماء بنت عميس، وأمّ أيمن، وابن عبّاس وجابر بن عبد الله، وأبو أيوب الأنصاري ومعقل بن يسار.

قال: وقد روى محمد بن عبد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جدّه أبي رافع، قال: أتيتُ أبا ذرّ بالربذة أودّعه، فلما أردت الانصراف، قال لي ولأناسٍ معي: ستكون فتنة، فاتّقوا الله، وعليكم بالشيخ علي بن أبي طالب، فتبعوه، فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول له: «أنت أول من آمن بي، وأول من يضافحني يوم القيامة، وأنت الصديق الأكبر، وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحقّ والباطل، وأنت يعسوب المؤمنين؛ والمال يعسوب الكافرين؛ وأنت أخي ووزير، وخير من أترك بعدي، تقضي دَينِي وتنجز موعدي».

قال: وقد روى ابن أبي شيبة، عن عبد الله بن نُمير، عن لعلاء بن صالح، عن المنهال بن عمرو، عن عبّاد بن عبد الله الأسديّ، قال: سمعتُ عليّ بن أبي طالب، يقول: أنا عبد الله

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢١٢، عن تاريخ الطبري ٢: ٣٢١، ٣٢٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٢٧.

وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها غيري إلا كذاب، ولقد صليت قبل الناس سبع سنين^(١).

ومن خصائصه ﷺ: انه ثبت مع النبي ﷺ يوم أحد، بالاجماع، بخلاف غيره ففيه خلاف^(٢).

وانه قتل أصحاب الألوية من بني عبد الدار؛ منهم طلحة بن أبي طلحة، الذي رأى رسول الله ﷺ في منامه انه مردف كبشاً، فأوله وقال: كبش الكتيبة نقتله [فلما قتله عليّ عليه السلام مبارزة - وهو أول قتيل قتل من المشركين ذلك اليوم - كبر رسول الله ﷺ، وقال: «هذا كبش الكتيبة»].^(٣)

وما كان منه من المحاماة عن رسول الله ﷺ، وقد فرّ الناس وأسلموه، فتصمد له كتيبة من قريش، فيقول: «يا عليّ، اكفني هذه» فيحمن عليها فيهزمها، ويقتل عميدها، حتى سمع المسلمون والمشركون صوتاً من قبل السماء:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي^(٤)

وحتى قال جبريل: يا محمد ان هذه للمواساة، قال: انه مني وأنا منه، فقال جبريل: وأنا منكما^(٥).

وله ﷺ غير ذلك من الخصائص وكل واحد من هذه الخصائص مشهور نقل من طرق ووجوه كثيرة^(٦).

قوله ﷺ: «ولقد كنت معه ﷺ ... الى آخر حديث الشجرة»:

قال في شرح ابن أبي الحديد:

وأما أمر الشجرة التي دعاها رسول الله ﷺ؛ فالحديث الوارد فيها كثير مستفيض، قد ذكره المحدثون في كتبهم، وذكره المتكلمون في معجزات الرسول ﷺ، والأكثر من رواها

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٢٨. (٢) نقل ذلك ابن أبي الحديد في ١٣: ٢٩٣.

(٣) من ط. (٤) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٣٩٣.

(٥) ذكره بإجمال ابن أبي الحديد في شرحه ١٣: ٣٩٣.

(٦) انظر بعض تلك الخصائص في شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢١٥.

الخبر فيها على الوضع الذي جاء في خطبة أمير المؤمنين، ومنهم من يروي ذلك مختصراً أنه دعا شجرة فأقبلت تخذ إليه الأرض خدًا.

وقد ذكر البيهقي في كتاب «دلائل النبوة» حديث الشجرة، ورواه أيضاً محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب السيرة والمغازي على وجه آخر، قال محمد بن إسحاق: كان رُكَّانة^(١) بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف أشدَّ قريش كَلِّها، فخلا يوماً برسول الله ﷺ في بعض شعاب مكة، فقال له رسول الله ﷺ: يا رُكَّانة، ألا تتقي الله، وتقبل ما أدعوك إليه؟ قال: لو أعلم أن الذي تقول حقٌّ لا تبعثك، قال: أفرأيت إن صرعتك؛ أتعلم أن ما أقول لك حقٌّ؟ قال: نعم، قال: فقم حتى أصارحك، فقام رُكَّانة، فلمَّا بطش به رسول الله ﷺ أضجعه لا يملك من نفسه شيئاً، فقال: عدُّ يا محمد، فعادَ فصرعه، فقال: يا محمد، إن هذا لعجبٌ حين^(٢) تصرعني، فقال رسول الله ﷺ: وأعجب من ذلك إن شئت أريتُكه، إن اتقيت الله، وتبعت أمري، قال: ماهو؟ قال: أدعو لك هذه الشجرة التي تراها، فتأتي، قال: فادعُها؛ فدعاها، فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ، ثم قال: ارجعي إلى مكانك، فرجعت إلى مكانها، فرجع رُكَّانة إلى قومه، وقال: يا بني عبد مناف، ساجروا^(٣) بصاحبكم أهل الأرض! فما رأيت أسحر منه قط، ثم أخبرهم بالذي رأى، والذي صنع^(٤)، انتهى^(٥).

أقول: يقرب إلى الذهن إن الملائكة سمعوا بحديث رُكَّانة جاؤا إلى رسول الله ﷺ يطلبون منه أن يريهم ذلك كما تتطلع الناس إلى الأعجوبات لا لطلب الحق، والله أعلم.

(١) كذا ضبطه صاحب الاشتقاق ٧٨، بضم الراء.

(٢) ب: «حتى»، تصحيف، وفي ابن هشام: «أتصرعني».

(٣) ساجروا: أي غالبوهم بالسحر.

(٤) سيرة ابن هشام ١: ٤١٨ (نشر المكتبة التجارية).

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢١٥.

ومن خطبة له عليه السلام:

رَوَى أَنَّ صَاحِباً لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يُقَالُ لَهُ هَمَّامٌ كَانَ رَجُلًا عَابِداً، فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: صِفْ لِي الْمُتَّقِينَ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرَ إِلَيْهِمْ، فَتَنَاقَلَ عَلَيْهِ السلام^(١) عَنْ جَوَابِهِ، ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السلام: يَا هَمَّامُ اتَّقِ اللَّهَ وَأَحْسِنْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾^(٢). فلم يقنع هَمَّامٌ بهذا^(٣) القول حتى عزم عليه^(٤)، فحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

ثم قال عليه السلام:

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلْقُ الْخَلْقِ - جِئْنَا^(٥) خَلَقَهُمْ - غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ^(٦)؛ لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ عَصَاةٍ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ أَطَاعَةٍ، فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَاشَهُمْ^(٧)، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ، فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ، مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الْاِقْتِصَادُ^(٨)، وَمَسْبِيهِمُ التَّوَاضُعُ.

غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ. نَزَلَتْ^(٩) أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ، كَالَّذِي نَزَلَتْ^(١٠) فِي الرَّخَاءِ.

وَلَوْ لَا^(١١) الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ^(١٢) لَمْ تَشَقَّرْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ،

(١) لم يرد عليه السلام في ب. (٢) النحل: ١٢٨

(٣) في د: بذلك، وفي هـ. د: بهذا - ض و ح و ب

(٤) في هـ ب: أوجب، وفي هـ. ص: أي قال: عزمت عليك.

(٥) في ب: حيث. (٦) في ب: بمعصيتهم.

(٧) في هـ. د: معيشتهم - ب. (٨) أي ليس بالتمين جداً ولا بالحقير جداً.

(٩) في ب و ص و د: نزلت - في الموضعين. (١٠) المصدر نفسه.

(١١) في ب و ص: لولا بدون واو.

(١٢) في د: لهم، وفي هـ. د: كتب الله عليهم - ض، كتب عليهم - ب.

شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ.

عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَالْجَنَّةُ ^(١) كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا فَهُمْ فِيهَا مُتَعَمِّونَ وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ.

صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ ^(٢) رَاحَةً طَوِيلَةً تِجَارَةً ^(٣) مُرَبِحَةً يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ. أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ ^(٤) يُرِيدُواهَا وَأَسَرَّتْهُمْ فَفَدَوْا ^(٥) أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا.

أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ ^(٦) لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرْتَلُّونَهُ ^(٧) تَرْتِيلًا. يَحْزَنُونَ ^(٨) بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَشِيرُونَ ^(٩) بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ ^(١٠) فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ ^(١١) رَكَنُوا ^(١٢) إِلَيْهَا طَمَعًا وَتَطَلَّعَتْ ^(١٣) نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصِبَ أَعْيُنُهُمْ وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَرُوا ^(١٤) إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا ^(١٥) فِي أَصُولِ آدَانِهِمْ فَهُمْ حَائُونَ ^(١٦) عَلَى أَوْسَاطِهِمْ مُفْتَرِشُونَ لِجَبَاهِهِمْ وَأَكْفُهُمْ وَرُكْبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي فَكَاكٍ رِقَابِهِمْ.

وَأَمَّا النَّهَارُ فَخُلَمَاءُ عُلَمَاءُ أَتْرَازٍ أَتَقِيَاءُ. قَدْ بَرَّاهُمْ ^(١٧) الْخَوْفُ بَرَى الْقِدَاحَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النََّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ وَيَقُولُ لَقَدْ خُولِطُوا ^(١٨) وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ

(١) في هـ ص: يروي بالنصب على ان الواو بمعنى مع وبالرفع بالعطف على الأصل.

(٢) في هـ ب: في نسخة الأصل: ورثتهم.

(٣) في هـ ص: أي تجارتهم تجارة مربحة بحذف المبتدأ، ويروي تجارة مربحة بالنصب على انه مصدر محذوف الفعل. من الشرح. (٤) في ب: ولم.

(٥) في هـ ب: في نسخة: ففادوا. (٦) في ب: تالون، وفي هـ د: تالون - ش.

(٧) في د: يرتلونها، وفي هـ ص في نسخة يرتلونها، وفي هـ د ويرتلونها - ر، يرتلونه - ض ش

و هامش م. (٨) في ب: يحزنون.

(٩) في هـ ب: أي يهيجون ويطلبون.

(١٠) في هـ ب: قال أبو عبيد جمع لداء أدواء وجمع الدواء أدوية وجمع الدواة دوي.

(١١) في هـ ب: التشويق: تهيج الأمانة. (١٢) في هـ ب: اطمأنوا.

(١٣) التطلع: الأمل والاحتساب. (١٤) في هـ ب: مالوا به.

(١٥) الشديد من زفيرها. (١٦) في هـ ب: من الحنوة، أي الشني.

(١٧) في هـ ب: من البري وهو النحت. (١٨) في هـ ب: أي زال عقولهم.

عَظِيمٌ. لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ الْقَلِيلَ. وَلَا يَشْتَكِرُونَ الْكَثِيرَ. فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ. وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ إِذَا زُكِّيَ أَحَدُهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي. وَرَبِّي أَعْلَمُ مِنِّي بِنَفْسِي^(١). اَللّٰهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ وَأَعْفُ زِلِي مَا لَا يَعْلَمُونَ.

فَمِنْ عِلْمِهِ أَهْلُهُمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ. وَحَزْمًا فِي لَبِّهِ. وَإِيمَانًا فِي يَقِينٍ. وَحِرْصًا فِي عِلْمٍ وَعِلْمًا فِي حِلْمٍ. وَقَصْدًا فِي غِنَى وَخُشُوعًا فِي عِبَادَةٍ. وَتَجَمُّلاً^(٢) فِي قَاقَةٍ. وَصَبْرًا فِي شِدَّةٍ. وَطَلَبًا فِي خَلَالٍ وَنَشَاطًا فِي هُدًى وَتَحَرُّجًا عَنْ^(٣) طَمَعٍ يَفْعَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى رَجُلٍ.

يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذُّكْرُ يَبِيتُ حَذِرًا. وَيُصْبِحُ فَرِحًا. حَذِرًا لِمَا حُذِرَ مِنْ أَلْغَفَلَةٍ. وَفَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ. إِنْ أَشْتَصَعَبَتْ^(٤) عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكَرَّرَ^(٥) لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ.

قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى. يَمْرُجُ^(٦) الْحِلْمُ بِالْعِلْمِ. وَالْقَوْلُ بِالْعَمَلِ. تَرَاهُ قَرِيبًا أَمَلُهُ. قَلِيلًا زَلَّهُ. خَاشِعًا قَلْبُهُ. قَانِعَةً نَفْسُهُ. مَتَزَوِّرًا^(٧) أَكَلُهُ. سَهْلًا أَمْرُهُ. حَرِيزًا^(٨) دِينَهُ مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ. مَكْظُومًا غَيْظُهُ. الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ. وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ. إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ. وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ. يَغْمُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ. وَيُعْطَى مَنْ حَرَمَهُ. وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ. بَعِيدًا فُحْشُهُ. لَبِنًا قَوْلُهُ. غَائِبًا مُنْكَرُهُ. حَاضِرًا مَعْرُوفُهُ. مُقْبِلًا خَيْرُهُ. مُدْبِرًا شَرُّهُ.

فِي الرِّلَازِلِ وَقُورُ^(٩) وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ. وَفِي الرِّخَاءِ شُكُورٌ لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ. وَلَا يَأْتُمُ فِيمَنْ يُحِبُّ يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ. لَا يَضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ. وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ. وَلَا يُتَابَزُ بِالْأَلْقَابِ وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ. وَلَا يَشْتَمُ بِالْمَصَائِبِ. وَلَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ وَلَا

(١) في ط: وربي أعلم بي مني بنفسي . (٢) في ص: ونحماً.

(٣) في ب وفي هـ. ب في نسخة: عن. (٤) في هـ. د: استصعب - ب .

(٥) في ب: يكره. (٦) في هـ. ب: يخلط.

(٧) في هـ. ب: قليلاً. (٨) في هـ. ب: أي محرراً ومحروراً.

(٩) في هـ. ب: رزين.

يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ.

إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغْنَمْ^(١) صَمْتُهُ. وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَقُلْ صَوْتُهُ. وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ.

نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ. وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ. أَتَعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ. وَأَزَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ. بَعْدَهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ^(٢). وَدُنُوهُ مِنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ. لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبَرٍ^(٣) وَعَظَمَةٍ وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ^(٤).

قَالَ: فَصَعِقَ^(٥) هَمَامٌ^(٦) صَعَقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا^(٧) فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام. أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ.

ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا. فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ^(٨) فَمَا بَالُكَ أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ^(٩) فَقَالَ عليه السلام:

وَيْحَكَ، إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتًا لَا يَغْدُوهُ، وَسَبَبًا لَا يَتَجَاوِزُهُ، فَمَهْلًا لَا تَعْدُ لِمِثْلِهَا، فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ!

في درية هذا الكلام ما رواه الشيخ أبو جعفر الاسكافي في كتابه المعيار والموازنة من كلامه عليه السلام ورسمه: وذكر عنه أيضاً، عليه السلام أنه قال:

إِنَّ اللَّهَ خَالِصَةٌ مِنْ عِبَادِهِ، وَنَجِيَاءٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَصَفْوَةٌ مِنْ بَرِيَّتِهِ، صَحَبُوا الدُّنْيَا بِأَسْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مَعْلُوقَةٌ بِالْمَلَكُوتِ الْأَعْلَى، أَوْلَئِكَ أَشْبَاهُ الرُّوحَانِيِّينَ فِي الدُّنْيَا أَمْثَالُهُمْ فِينَا قَلِيلٌ. أَوْلَئِكَ نَجِيَاءُ اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ وَأَمْنَاؤُهُ فِي بِلَادِهِ، وَالدَّعَاةُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ، وَالْوَسِيلَةُ إِلَى دِينِهِ، هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ بَعْدُوا وَفَاتُوا، وَوَارْتَهُمْ بَطُونُ الْأَرْضِ وَفَجَاجِهَا.

(١) في هـ ب لم يغمه أي لم يظلم وجهه ونفسه ولم يغمه من الغم.

(٢) في ب: لكبر.

(٣) في هـ ب كرم.

(٤) في هـ ب: غشي عليه.

(٥) في هـ ب: وخدعة - ب.

(٦) في هـ ب: أي مات.

(٧) في هـ ب: فصعق همام عليه السلام - ش.

(٨) في هـ ب: القائل يعني به عبد الله بن الكوا.

(٩) لم ترد «صلوات الله عليه» في ص، وفي د و ط: عليه السلام.

على أنه لم يخل الأرض من حجة الله على خلقه، لأن لا تبطل حجج الله وبشائنه. هيهات هيهات أولئك قوم اصطفاهم الله لمعرفة، فحجبهم عن عيون خلقه، وقطع بهم عن امتحان الصبر، وحاد بهم عن آفات الدنيا وفتنتها، ألا وهم الذين قطعوا أودية الشكوك باليقين، وجازوا ظلم الإشتباه بنور البصائر واستعانوا على أعمال الفرائض بالعلم، واستدلّوا على فساد العمل بالمعرفة فهربوا عن وحشة الغفلة عمّا خسقوا له بالتنفّل. وتسربلوا العلم بأنقاء لجهل، واحتجزوا عن غرّة لإضطراب بخوف الوعيد، وجدّوا في صدق الأعمال لإدراك الثواب، وخنّوا عن الطمع الكاذب مع معانقة الهوى، وقطعوا تجيّر^(١) الارتياح بروح اليقين، واستضاءوا بنور الآخرة في ظلم الدنيا، وأدحضوا حجج المبندعين بأبّاع السنن، وبأدروا بالانتقال عن المكروه قبل فوت^(٢) الإمكان، وسارعوا في الإحسان تعرّضاً للعفو عن الإساءة، وتلقّوا النعم بالشكر استجلاباً للمزيد، وصيّروه نصب أعينهم عند خواطر الهمم، وحركات الجوارح

عملوا فأخلصوا فادّخروا ما عملوا ليوم الجزاء. ولم يبذلوه^(٣) بالثمن الوكس في الدنيا، والطمع الكاذب، فبجأوا بهذه الأدوات الى معاقل الإيمان، وتحصّنوا من مكائد الشيطان، ومردة الإنس بحصن التوحيد، وتجرّدوا من سوء ضمائر الأنفس بإعمال الإخلاص، واحتجبوا من تقلّب الهوى بلزوم لحقّ، فوسمهم ذلك بسيماء المتّقين، وشواهد الصالحين.

أولئك قوم قطعوا الدنيا بالقوت من الحلال، ودافعوها بالراح، للتجربة والبلاغ لنفاد المدة وانقطاع الأكل، وأحسنوا صحبتها بحسن السيرة^(٤) منهم في الأخلاق والآداب واصطفوا نور بهجتها، وتألّؤ زينتها بحسن وصف الآخرة.

أولئك قوم اتّخذوا الأرض بساطاً، والماء طيباً، وبقاع الأرض مساجد، ومساجدها بيوتاً، وبيوتها كمنازل الأضياف.

أولئك قوم نزع الله ما في قلوبهم من غلّ وطهرهم تطهيراً، وسلّم قلوبهم من الريب

(١) في ط: وقطعوا منها.

(٢) في ط: فوات.

(٣) في ط: يبذلوه.

(٤) في ص: السيرة.

والشك فأنقاها، فأصبحوا وبطونهم خمصة^(١) من أموال الناس، وأيديهم نقيّة، وظهورهم خفيفة «يمشون على الأرض هوناً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً»، «وإذا مروا باللغو مروا كراماً»^(٢).

أولئك قوم عرفوا الناس ولم يعرفوهم، بل عرفهم الله برضوان، فجعلهم مصابيح الهدى، وجلى بهم كل فتنة مضلّة^(٣).

أولئك قوم عرفوا الدنيا بأبصار عيونهم، وصحبوها بأبدانهم، وعرفوا الآخرة بأبصار قلوبهم، وصحبوها بأرواحهم، فعانوا بأبصار قلوبهم من ملك الآخرة، كبهجة ما عانوا بأبصار عيونهم من زينة الدنيا، فزهدوا في الدنيا عياناً، ورغبوا فيما عانوا بأبصار قلوبهم من ملك الآخرة، فأكلوا قصداً، وقدموا فضلاً، وأحرزوا ذخراً وشمروا في طلب البغية، بالسير الحثيث، والأعمال الزكية، وهم يظنون - بل لا يشكون - أنهم مقصرون! وذلك لأنهم عقلوا حتى آمنوا، ثم آمنوا حتى أيقنوا، ثم أيقنوا حتى تعلّموا، ثم تعلّموا حتى علموا. ثم علموا حتى غنموا، ثم أشفقوا حتى تفكّروا ثم تفكّروا حتى أبصروا. فلما أبصروا تسوّرت عليهم طوارق أحزان الآخرة، وقطع بهم الحزن عن حركات الألسن بالكلام، وكَلَّتْ ألسنتهم من غير عيٍّ عن محاسن الوصف بالحكمة خوف التزيّن به فيسقطوا عند الله فأمسكوا، وإن حاجة أحدهم لتتلجج في صدره، ما يأذن لنفسه في إظهارها خوفاً من شرّ نفسه، فأصبحوا - والله يا أخي مع حسن هذا الوصف - في الدنيا مقهورين، وأمساوا فيها محزونين، مع عقول صحيحة، ويقين ثابت، وقلوب شاكرة، وألسن ذاكرة، وأنفس ذليلة، وأبدان صابرة، وأنفاس مقهورة، وجوارح مطيعة، وأهواء معلقة بالملا الأعلى، أمراً عظيماً^(٤).

(١) في ط خميسة.

(٢) ما بين القوسين مقتبس من سورة الفرقان : ٢٥.

(٣) أي كشف بهم كل فتنة توقع الناس في الضلالة، وفي الحديث: (١٢٦٣) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام من تاريخ دمشق ٣: ٢٠٧: «أولئك مصابيح الهدى يخلو عنهم كل فتنة مظلمة...».

(٤) العبارة في ط هكذا: معلقة بالملكوت الأعلى معلقة أمراً عظيماً.

تراهم على^(١) ذلك أهل دين، وشكر، وسلامة، وتوكل، ورضى، وإيمان، ويقين. عقلوا عن الله مواعظه، فشغوا الأدوات منهم فيما أمروا به وخلقوا له، وقطعوا الدنيا بالصبر على لزوم الحق، وهجروا الهوى بدلالات عقولهم، وتمسكوا بحصن التنزيل، وشرعة الشئنة، فصارت الدنيا لهم سجنًا، وذلك إنَّ المسجون مصيره إلى راحة.

ثمَّ خرجوا من الدنيا مغبوطين مغتبطين، فوهاً لوصفهم، بل وهاً لرؤيتهم، بل وهاً للميئة^(٢) معهم، فما شيء على الله العزيز أكرم^(٣) منهم انتهى نقلاً من كتاب المعيار والموازنة^(٤)، وأنت إذا تأملت كلامه ﷺ الذي في النهج والذي في كتاب المعيار والموازنة وسيأتي نظيره عند إيراد كلامه ﷺ لكميل بن زياد، وجدت ما ذكره من الصفات وحال صفات خواص الصحابة في عصر رسول الله ﷺ منطبقاً على علماء محققين محققين زهدوا في الدنيا ورفضوها وحذروا من فتنها، ورغبوا في الآخرة ودعوا إليها وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وأوضحوا ملتبسات لدين.

ولا تجد علماء فرقة يجمعون هذه الصفات إلا علماء أهل البيت ﷺ لا سيما القدماء منهم المشردون المخوفون الفارون بدينهم لى القفر وإلى أطراف الأرض. وقد أوضح مراده كثير من كلامه الذي يذكر فيه أهل البيت ﷺ وأين ابدال الصوفية الذين يزعمونهم من ما ذكر من الصفات التي جلَّها الدعاء إلى نصرة دين الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكشف المسكلات ودفع شبه المبتدعين.

وأين علماء العمة مبتغوا التروس، ومن حرّفوا المقالات وطالبوا لدنيا، ومتَّبَعوا الأهواء ومؤنسوا الظلمة والمخاصمون عن الخونة من صفات قهر النفس وتذليلها والإشفاق والخوف والترقب والفرار من الدنيا وأهبا، لا يخفى الحق عن المتوسمين، والله أعلم بالمهتدين.

(٢) في ط: للمنية.

(٤) المعيار والموازنة : ٨٦

(١) في ط : الى .

(٣) في ط : بأكرم.

ومن خطبة له عليه السلام يصف فيها المنافقين :

تَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ ^(١) مِنَ الطَّاعَةِ وَذَادَ ^(٢) عَنْهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ. وَنَسَأَلُهُ لِمَنِّيهِ ^(٣) تَمَاماً وَبِحَبْلِهِ ^(٤) اَعْتَصَمَ ^(٥). وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاصَّ ^(٦) إِلَى رِضْوَانِ ^(٧) اللَّهِ كُلِّ غَمْرَةٍ ^(٨) وَتَجَرَّعَ فِيهِ ^(٩) كُلَّ غُصَّةٍ وَقَدْ تَلَوْنَ ^(١٠) لَهُ الْأَدْنُونَ ^(١١) وَتَأَلَّبَ ^(١٢) عَلَيْهِ الْأَقْصُونَ وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعْيُنَهَا ^(١٣). وَضَرَبَتْ لِمَحَارِبَتِهِ ^(١٤) بُطُونٌ رَوَّاحِلَهَا حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ ^(١٥) عَدَاوَتَهَا ^(١٦) مِنْ أْبَعَدِ الدَّارِ ^(١٧) وَأَشْحَقِ ^(١٨) الْمَزَارِ.

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَأَحْذَرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ فَإِنَّهُمْ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ وَالزَّالُّونَ ^(١٩) الْمُرْلُونَ ^(٢٠) يَتَلَوُّونَ الْوَانَاءَ وَيَقْتُنُونَ أَفْتِنَانًا ^(٢١) وَيَعْمِدُونَكُمْ ^(٢٢) بِكُلِّ عِمَادٍ ^(٢٣)

(١) في هـ. ب: أي وفقنا للطاعة له. (٢) في هـ. ب: أي دفع

(٣) في هـ. ب، وفي نسخة: بمنته، وفي هـ. د: لمنته - ف ن، وروى لمنته - ك، وفي هـ. ب: أي مع منته وفي هـ ب أيضاً: نسأله تماماً من نعمته أي يتم بمنته النعمة.

(٤) في ط: لحبله. (٥) في هـ. ب: ونسأله اعتصاماً بحبله.

(٦) في هـ. ب: أي دخل. (٧) في هـ. ب: أي رضا.

(٨) في هـ. ب: أي شدة، وفي هـ ص: هي في الأصل: ما اجتمع من الماء وتكاثف، ثم استعير لكل كثير حتى من المعاني. (٩) في هـ. ب: أي في الله.

(١٠) في هـ. ب: أي تغير. (١١) في هـ. ب: الأقرباء أبو جهل.

(١٢) في هـ. ب: أي اتحد ونجم عليه الأبعدون من قرابته.

(١٣) في هـ. ب: جمع عنان. (١٤) في د: إلى محاربته، لمحاربته - ب.

(١٥) في ص: ساحته. (١٦) في هـ ص في نسخة: عدواتها.

(١٧) في هـ. ب: أي من أقصى البلاد. (١٨) اسحق: أقصى وأبعد.

(١٩) هـ. ب: من الزلل.

(٢٠) في هـ. ب: من الازلال وهو الزول والانحراف من مكانه ومما هو عليه من الاتقياد.

(٢١) في ب: في نسخة: ويفتنون أفتناناً، وفي هـ. ب: بقتنون، أي يبذرون أنواع الفتن المختلفة، والافتتان: الوقوع في الفتنة.

(٢٢) في هـ. ب: أي يقصدونكم بكل قصد، وفي هـ ص: يهدونكم ويقدحونكم.

(٢٣) في هـ. ص: ما يجعل به المصاب عميداً.

وَيَرْصُدُونَكُمْ^(١) بِكُلِّ مِرْصَادٍ. قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ^(٢). وَصِفَاحُهُمْ^(٣) نَقِيَّةٌ. يَحْشُونُ الْخَفَاءَ^(٤).
وَيَدْبُونُ الضَّرَاءَ^(٥). وَصَفُهُمْ دَوَاءٌ. وَقَوْلُهُمْ^(٦) شِفَاءٌ. وَفَعْلُهُمُ الدَّاءُ الْغَيَاءُ^(٧). حَسَدُهُ
الرَّخَاءُ^(٨) وَمُؤَكَّدُوا الْبَلَاءِ وَمُقْنَطُوا الرَّجَاءِ لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيحٌ وَإِلَى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ
وَلِكُلِّ شَجْوٍ^(٩) دُمُوعٌ. يَتَقَارِضُونَ^(١٠) الشَّاءَ^(١١) وَيَتَرَاقِبُونَ الْجَزَاءَ. إِنْ سَأَلُوا الْحَفْوُ^(١٢) وَإِنْ
عَذَلُوا كَشَفُوا^(١٣) وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا.

قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَتَّى بَاطِلًا^(١٤). وَلِكُلِّ قَائِمٍ^(١٥) مَائِلًا^(١٦). وَلِكُلِّ حَتَّى^(١٧) قَاتِلًا^(١٨) وَلِكُلِّ

(١) في هـ. ب: أي يرصدون أوقات، وفي هـ. ص: أي يتربصون بكم الدوائر
(٢) في هـ. ب: من الداء الدوي، وفي هـ. ص: رواية ابن أبي الحديد: دوية بخفان قال أي ذات
داء قال ومن شدد فيوافق نفيه

(٣) في هـ. ب: الصفاح جمع صفيحة، وهي عرض بدنه وجسده، أي ما ظهره طاهر وباطنه
نجس، وفي هـ. ص: أي وجوههم.

(٤) في هـ. ب: خفي السير خفاء، وبرح الخفاء أي وضع الأمر.

(٥) في هـ. ب: الضراء: الضرر، يعني فيما يوازي مشقة، وفي هـ. ص: هو شجر الوادي الملتف،
يقال للرجل إذا حدث صاحبه هو: بدت له الضراء وتمسى له الحمر، قال بشر:

عطفنا لهم عطف الضروس من الملا شبهارة لا يمشي الضراء رقيبها

ذكره في الصحاح في معتل اللام، والهمزة منقلبة عن واو، وفي ديوان الأرب في باب فعال
بفتح الضاء، والضراء: شجر الحظل إذا صفر.

(٦) في ص: وقلوبهم.

(٧) لعياء: الذي أعيا الأطباء ولا يمكن الشفاء منه.

(٨) في هـ. ب: الرخاء والسهولة (٩) الشجو: الحزن أي يبكون تصنعاً متى أرادوا.

(١٠) في هـ. د: يتقارضون - ش، وروي يتقارضون بالفاء - ر.

(١١) في هـ. ب: من القرص، وفي هـ. ص: أي يشي هذا على هذا فيجزيه هذا بثنائه فكان الأول
أقرض الآخر، وما أحسن ما أنشده ابن الأعرابي من الشعر القديم.

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم والمنكرون لكل أمر منكر

وبقيت في خف يزين بعضهم بعضاً ليستر معور عن معور

(١٢) في هـ. ب: أي ألحوا. (١٣) في هـ. ب: أي لاموا.

(١٤) في هـ. ص: يعارض به. (١٥) في هـ. ص: كل قول ودليل

(١٦) في هـ. ص: أي عادلاً من الجواب. (١٧) في هـ. ص: أي الحق.

(١٨) في هـ. ص: أي شبهه يقتله.

بَابُ مِفْتَاحٍ وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحًا. يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالنَّيَاسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَشْوَاقَهُمْ وَيُنْفِقُوا
بِهِ أَغْلَاقَهُمْ^(١) يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ^(٢) وَيَصِفُونَ فَيَمُوهُونَ^(٣) قَدْ هَيَّؤُوا^(٤) الطَّرِيقَ،
وَأَضْلَعُوا^(٥) الْمَضِيقَ فَهُمْ لُئْمَةُ^(٦) الشَّيْطَانِ وَحُمَةُ^(٧) النَّيَرَانِ : ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ
أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٨).

-
- (١) هـ. ب: انفق ضد الكساء في بيع المتاع، من النفاق وهو اتجار المتاع، يمنع سوق الرجل.
(٢) في هـ. ص: أي يشبهون باطلهم بالحق. (٣) في هـ. ب: يموهون: من موء الدرهم إذا طلاه.
(٤) في ط: هونوا، وفي هـ. د: هونوا - ض ح، ب.
(٥) في هـ. ب: الضلع الاتساع والضلع الاعوجاج، المراد: انهم يهونون على الناس طرق السير
معهم على أهوائهم، ثم بعد ان ينقادوا لهم يضاعون عليهم الطرق، أي يجعلونها معوجة يصعب
تجاوزها فيهلكون. (٦) في هـ. ب: اللمة: الجماعة.
(٧) في هـ. ب: أي سم، وفي هـ. ص بالتخفيف.
(٨) المجادلة: ١٩.

ومن خطبة له عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ ^(١). وَجَلَالُ كِبَرِيَّائِهِ مَا حَيَّرَ مُقَلَّ الْعُيُونِ ^(٢) مِنْ عَجَائِبِ ^(٣) قُدْرَتِهِ وَرَدَعَ ^(٤) خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ ^(٥) النَّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ ^(٦). وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً إِيْمَانٍ وَإِيقَانٍ وَإِخْلَاصٍ وَإِدْعَانٍ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. أَرْسَلَهُ وَأَعْلَامُ الْهُدَى دَارِسَةً. وَمَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةً ^(٧). فَصَدَعَ ^(٨) بِالْحَقِّ. وَنَصَحَ لِلخَلْقِ. وَهَدَى إِلَى الرُّشْدِ. وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ ^(٩) عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَأَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا. وَلَمْ يُزِيلْكُمْ هَمَلًا ^(١٠). عَلِمَ مَبْلَغَ نِعْمِهِ عَلَيْكُمْ. وَأَخْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ. فَاسْتَفْتَحُوهُ ^(١١) وَاسْتَنْجَحُوهُ ^(١٢). وَأَطْلُبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَمْنَحُوهُ ^(١٣). فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ وَلَا أَعْلَقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ. وَإِنَّهُ لِبِكْرٌ مَكَانٍ ^(١٤). وَفِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ. وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٍ. لَا يَثْلُمُهُ ^(١٥) الْعَطَاءُ ^(١٦) وَلَا يَنْقُصُهُ ^(١٧) الْحَبَاءُ وَلَا يَسْتَنْفِدُهُ سَائِلٌ وَلَا يَسْتَقْصِيهِ ^(١٨) نَائِلٌ وَلَا يَلْوِيهِ ^(١٩) شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ وَلَا يُلْهِبِيهِ صَوْتُ عَنْ صَوْتٍ وَلَا

(١) في هـ. ب: من آيات قدرته

(٢) في ب مقل العقول. وفي هـ. ب أي العنقود العنقود والزكاة

(٣) في هـ. د: وروي من آيات - ر. (٤) في هـ. ب: أي زجر.

(٥) هماهم النفوس همومها في طلب العلم، وفي هـ. ب: جمع همم

(٦) في هـ. ب: معرفة. (٧) من طمس أي انمحي واندرس.

(٨) في هـ. ب: أي طهر. (٩) في هـ. ب: أي بالوسط

(١٠) في هـ. ب: أي مهملاً، وفي هـ. ص: هو ارسال الماشية من غير كافل ولا وازع.

(١١) أي اسأله النجاح في أعمالكم. وفي هـ. ب: اطفروا.

(١٢) في هـ. د: واستمنحوه - ر، وفي هـ. ب: طلب العطاء.

(١٣) في هـ. ص: هذه العبارة لتمثيل الاحاطة.

(١٤) هـ. ص: بالكسر، وهو في الأصل كسر جانب الاناء فاستعير لكسر الحال واشتهر حتى

استعمل فيمن لا حال له. (١٥) في هـ. ب: العطاء الحباء.

(١٦) في هـ. د: ولا يبعثه - ب. (١٧) في هـ. د: ولا يستنقصه - م.

(١٨) في هـ. ب: لا يميله من اماله من الميل

تَحْجُزُهُ^(١) هِبَةً عَنْ سَلْبٍ. وَلَا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ وَلَا تُؤْلِيهِ^(٢) رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ^(٣) وَلَا يُجِنُّهُ الْبُطُونُ^(٤) عَنِ الظُّهُورِ^(٥) وَلَا يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ. قَرَّبَ فَنَائِي وَعَلَا فِدَائِي وَظَهَرَ فَبْطَنٌ وَظَنَ فَعَلَنُ^(٦) وَدَانَ^(٧) وَلَمْ يَدْنِ لَمْ يَذْرَأِ^(٨) الْخَلْقَ بِاخْتِيَالٍ^(٩) وَلَا أَسْتَعَانَ بِهِمْ لِكَلَالٍ^(١٠).

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا الزَّمَامُ^(١١) وَالْقَوَامُ^(١٢) فَتَمَسَّكُوا بِوَتَائِقِهَا وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا تَوَلَّ^(١٣) بِكُمْ إِلَى أَكْثَانٍ^(١٤) الدَّعَةِ^(١٥) وَأَوْطَانِ السَّعَةِ وَمَعَاقِلِ^(١٦) الْحِزْرِ وَمَنَازِلِ الْعِزِّ فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ وَتُظْلِمُ لَهُ الْأَقْطَارُ وَيُعْطَلُ فِيهِ^(١٧) صُرُومُ^(١٨) الْعِشَارِ^(١٩)

(١) في ب: لا يحجزه وفي هـ. ب: أي لا يشغله.

(٢) في هـ. ب: يؤليه وفي هـ. ب: المولى الذي وله عقله، يقال وله موله إذا أرسل وذهب بلا رأي.

(٣) في هـ. ب: ص أي لا يكون رحمته رقة تحجزه عن عقاب مستحق العقاب، كما هو شأن رحمه المخلوق. (٤) في هـ. ب: ص: مصدر بطن.

(٥) في هـ. ب: ص مصدر ظهر

(٦) في هـ. ب: ص قرب بعلمه فنأى بجلاله، وعلا بكبريائه فدنا برحمته، وظهر بدليل وجوده فبطن بعلم يعلم كنه دانه.

(٧) دان: أي جازى وحاسب ولم يحاسبه أحد، وفي هـ. ب: دأينت الرجل، إذا عاملته وأقرضته.

(٨) في ص: ولم يذر. ذرأ أي خلق، وفي هـ. ب: د: روى ولم يدر - ر.

(٩) الاحتياال: النظر في العمل وطلب الثمك من ابرازه، ولا يكون إلا من العجز.

(١٠) في ب: ولا كلال، وفي هـ. ب: لا كلال له فيستعين.

(١١) في هـ. ب: ص: أي يقودكم الى الخير الأبدي.

(١٢) في هـ. ب: القوام ما يفوم به أمركم وفي هـ. ب: ص أي يقيم بها أمركم العجز.

(١٣) في هـ. ب: لتناول وفي هـ. ب: أي لترجع

(١٤) في هـ. ب: الأكتان جمع كن وهو المكان الخالي من الآفات.

(١٥) في هـ. ب: الجنة. (١٦) في هـ. ب: المعقل: الملجأ.

(١٧) في ب: وتعطل.

(١٨) في هـ. ب: الصرمة جمع صرمة، وهي القطيعة من الابن، وفي هـ. ب: ص: جمع صرم وصرمة، القطيعة من الابن نحو الثلاثين.

(١٩) في هـ. ب: الحوامل عشرة أشهر، وفي هـ. ب: ص: العشار النوق لها عشرة أشهر من يوم اللقاح، والكلام من قوله: «وذا العشار عطلت»، وانما خصت بالذكر لأنها أعز أموال العرب اليها

وَيُنْفَعُ فِي الصُّورِ. فَتَرْهَقُ^(١) كُلُّ مُهْجَةٍ وَتَبْكُمُ^(٢) كُلُّ لَهْجَةٍ^(٣) وَتَذُلُّ^(٤) الشُّمُّ^(٥) الشَّوَامِخُ^(٥)
وَالصُّمُّ^(٦) الرِّوَايِخُ^(٦). فَيَصِيرُ صَلْدُهَا^(٧) سَرَابًا رَقْرَقًا^(٨) وَمَعْهَدُهَا^(٩) قَاعًا سَمْلَقًا^(١٠) فَلَا
شَفِيعَ يَشْفَعُ^(١١) وَلَا حَمِيمَ يَنْفَعُ وَلَا مَعْذِرَةَ تَدْفَعُ^(١٢).

→ والمعنى يوم يذهل ذو المال عن ماله ولو كان نفيساً نحو ﴿يوم تذهل كل مرضعة عما
أرضعت﴾ والله أعلم.

(١) في ص وتزهق، وفي هـ. ص: في نسخة: فتزهق، وفي هـ. ب: أي تزهق كل العقول، وفي هـ
ص: أي تهلك. (٢) في هـ. ص: أي تخرس.

(٣) في هـ. ص: أي فصاحة ودلاقة. (٤) الشم: جمع أشم وهو الرفع.

(٥) الشوامخ: المتسامي في الارتفاع. (٦) في هـ. ب: الاحجار الثوابت.

(٧) في هـ. ص: الصلد هو الصب شديد الصلابة.

(٨) في هـ. د: وروي سراباً رقرقاً - ر، وفي هـ. ب: المضطرب، والرقراق: ما يتملق من مفارح
السراب أي لمعانه.

(٩) المعهد المحل الذي يعهد وجودها فيه، وفي هـ. ب: أي مكانها.

(١٠) في هـ. ص: أي مستويا. (١١) في هـ. د: فلا شفيع ولا حميم - ب.

(١٢) في هـ. د: لا حميم ينفع ولا معذرة تدفع - ش.

ومن خطبة له عليه السلام :

بَعَثَهُ حِينَ لَا عِلْمَ^(١) قَائِمٌ وَلَا مَنَارٌ^(٢) سَاطِعٌ^(٣) وَلَا مَنَهَجٌ وَاضِحٌ.
أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَأَحْذَرُكُمْ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا دَارُ شُخُوصٍ^(٤) وَمَحَلَّةٌ تَنْغِيصٍ^(٥).
سَاكِئُهَا ظَاعِنٌ^(٦). وَقَاطِنُهَا بَائِسٌ^(٧) تَمِيدُ^(٨) بِأَهْلِهَا مَيِّدَانُ^(٩) السَّفِينَةِ، تَصَفَّقُهَا^(١٠) الْعَوَاصِفُ
فِي لُجَجِ الْبَحَارِ فَمِنْهُمْ الْغَرَقُ الْوَبَقُ^(١١) وَمِنْهُمْ النَّاجِي عَلَى مَثُونٍ^(١٢) الْأَمْوَاجِ، تَخْفُزُهُ^(١٣)
الرِّيَاحُ بِأَذْيَالِهَا وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا فَمَا غَرَقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرِكٍ وَمَا نَجَا مِنْهَا فَآلَى
مَهْلِكٍ.

عِبَادَ اللَّهِ الْآنَ فَاعْلَمُوا وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ وَالْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ وَالْأَعْضَاءُ لَدَنَةٌ^(١٤) وَالْمُنْقَلَبُ
فَسِيحٌ^(١٥) وَالْمَجَالُ عَرِيضٌ قَبْلَ إِزْهَاقِ^(١٦) الْفُوتِ^(١٧) وَحُلُولِ الْمَوْتِ فَحَقِّقُوا^(١٨) عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ
وَلَا تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ.

(١) العلم والعلامة معروفان، أي علامة الدين والعلم المراد به أي واجد لذلك.

(٢) في هـ. ب: المنار موضع النور أي نور الاسلام.

(٣) في هـ. ب: نور مرتفع.

(٤) في هـ. ب: أي دار.

(٥) أي محل نغص.

(٦) الطاعن: المغادر.

(٧) في هـ. ب: قطن بالمكان: أقام به.

(٨) في هـ. ب: أي تميل أهلها.

(٩) في هـ. ب: ميلان السفينة.

(١٠) في ط: تقصفها، وفي هـ. د: تقصفها - ض ح ب، وفي هـ. ب: أي تقلبها.

(١١) في هـ. ب: أي الهالك، وفي هـ. ص: هو الهالك، ويقال: يبق وبقا، وفيه رواية أخرى: وبق

يوق وبقا، ولغة ثالثة: وبق الرجل - بالكسر - يبق بالكسر أيضاً من الشرح.

(١٢) في ط: بطون، وفي هـ. د: بطون - ض، ح، ب.

(١٣) في هـ. ب: الليل يحفز النهار أي يسوقه، وفي هـ. ص: أي تسوقه وتعجله.

(١٤) في هـ. ب: لينة، وفي هـ. ص: أي رطبة. (١٥) في هـ. ب: أي واسع.

(١٦) في هـ. ب: اسراع، وفي هـ. ص: أي غشيان.

(١٧) في هـ. ص: أي اتيانه.

(١٨) أي اجعلوه حقيقة.

ومن خطبة له ﷺ^(١):

وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ^(٢) مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَنِّي لَمْ أُرِدْ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ^(٣)، وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ^(٤) بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ^(٥) فِيهَا الْأَبْطَالُ، وَتَتَأَخَّرُ الْأَقْدَامُ^(٦)، نَجْدَةً^(٧) أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا^(٨).

وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي، وَلَقَدْ^(٩) سَأَلْتُ نَفْسَهُ فِي كَفِّي، فَأَمَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي. وَلَقَدْ وَلَّيْتُ^(١٠) غَسْلَهُ ﷺ وَالْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي؛ فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالْأَفْنِيَّةُ: مَلَأَ يَهْطُ، وَمَلَأَ يَغْرُجُ، وَمَا فَارَقْتُ سَمْعِي هَيْئَةً^(١١) مِنْهُمْ، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ، حَتَّى وَارَيْنَاهُ^(١٢) فِي صَرِيحِهِ^(١٣)، فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيًّا وَمَيِّتًا!

فَانْفُذُوا عَلَى بَصَائِرِكُمْ، وَلْتَصُدَّقْ نِيَّتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ، فَوَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي

(١) وردت هذه الخطبة في ص بعضها هنا وبعضها في آخر الشرح، على خلاف سيرة الكتاب فجعلناها بأجمعها هنا مشاكلة لسائر الخطب.

(٢) في هـ. ب: المستحفظون يعني العلماء الذين يطلب العلم منهم.

(٣) في هـ. ب: لم أُرِدْ أي ما رددت من الحق شيئاً على المسلمين والرسول غير مقبول ويجوز أن يرد نفسه إلى الباطل ساعه.

(٤) في هـ. ب: في نسخة: وآسيته من المواساة وهي المساعدة وآسيته من الاسود وهو العلاج. (٥) تنكص أي تراجع.

(٦) في هـ. ب: فكأنه ﷺ أشار بذلك إلى مواساته مع النبي ﷺ في يوم خيبر ويوم الخندق وغير ذلك (٧) في هـ. ب: شجاعة.

(٨) في هـ. ب: أكرماني، كأنه إشارة بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بعلي، وقوله: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾. الأحزاب: ٢٥ / ٣٣ والنساء: ٩٥ / ٤.

(٩) في ب و ص: وقد، وفي هـ ص في نسخة: ولقد.

(١٠) في د: ولَّيت.

(١١) في هـ. ب: صوت خفي وفي هـ ص: الصوت الخفي وفي هـ. ب: صوتاً خفياً.

(١٢) في هـ. ب: دفناه. (١٣) في هـ. ب: قبره.

لَعَلَى جَادَّةِ الْحَقِّ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَّةٍ ^(١) الْبَاطِلِ.
أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

[قال في شرح ابن أبي الحديد] ^(٢): الظاهر أنه يرمز في قوله ﷺ: «لم أَرِدْ عَلَى اللَّهِ، ولا على رسوله ساعة قط» إلى أمور وقعت من غيره، كما جرى يوم الحديبية عند سَطْرُ كتاب الصلح؛ فإنَّ بعض الصحابة ^(٣) أنكر ذلك، وقال: يا رسول الله، ألسنا مسلمين؟ قال: بلى، قال: أوليسوا الكافرين؟ قال: بلى، قال: فكيف نعطي الدنيَّة في ديننا؟ فقال ﷺ: «إنَّما أعمل بما أُمِرَ به» فقام فقال لقوم من الصحابة: ألم يكن قد وعدنا بدخول مكة؟ وها نحن قد صُدِدنا عنها ثم ننصرف بعد أن أعطينا الدنيَّة في ديننا، والله لو أجد أعواناً لم أعطِ الدنيَّة أبداً، فقال أبو بكر لهذا القائل: ويحك! الزم غَزْزه ^(٤)، فوالله إنه لرسول الله ﷺ، وإنَّ الله لا يضيِّعه.

ثم قال له: أقال لك: إنه سيدخلها هذا العام؟ قال: لا، قال: فسيدخلها. فلما فتح النبي ﷺ مكة، وأخذ مفاتيح الكعبة، دعاه فقال: هذا الذي وعدتم به. واعلم أنَّ هذا الخبر صحيحٌ لا ريبَ فيه، والناس كلُّهم يروونه. انتهى من شرح ابن أبي الحديد ^(٥)

أقول: والرجل المكنى عنه ببعض الصحابة: عمر، كما هو في سيرة ابن هشام ^(٦) وغيره من كتب الحديث، وقد صرَّح به ابن أبي الحديد في موضع آخر ^(٧). وأعجب للشارح وأضرابه ممن إذا قرَّر له نص رسول الله ﷺ على أمير المؤمنين قال: أنا استبعد أن يخالف الصحابة نص رسول الله ﷺ ويمانع ويدفع الصراع لهذا السند، وهو

(١) المزلَّة مكان الزلل الموجب للسقوط والهلاك.

(٢) انظر شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ١٨٠.

(٣) هو عمر بن الخطاب، وانظر سيرة ابن هشام ٣ : ٣٣١ (طبعة الحلبي).

(٤) الغرز في الأصل: ركاب كور الجمل، والكلام هنا على المجاز، أي اتبع قوله وفعله.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ١٨٠. (٦) سيرة ابن هشام ٣ : ٣٣١.

(٧) انظر شرح ابن أبي الحديد ١٢ : ٥٩.

يحق ما روي من رد عمر على رسول الله ﷺ أمره، فعرفه رسول الله ﷺ انه فعله بالوحي لا باختياره، فيقوم من مجلس رسول الله ﷺ مصراً على الانكار عازماً على المخالفة لو يجد معيناً مرتاباً في خبر رسول الله ﷺ بدخول مكة

ثم أعجب لسائر المخالفين يغنون في عمر غلواً فاحشاً ويزعمون انه ملهم للحق، وأن الوحي كان ينزل بموافقته، مع انهم يروون عنه مثل هذه المخالفة الشنيعة في اضراب لها تكثر على الاحصاء

وكان الرجل شيخاً يسارع لى الاعتراض في الأمور وكان يسارع الى الغلظة بطبعه، فاذا كانت المصلحة الغلظة كقصة اسارى بدر وافق الوحي ما قاله، والله أعلم.

واعلم ان كثيراً من المتمردين على أمير المؤمنين عليه السلام ينسبون اليه اغصاب رسول الله ﷺ بأنه خطب ابنة أبي جهل، وكثير من الشيعة ينكرون ذلك^١

(١) ورواه أحمد بن حنبل في الفضائل ح ١٣٢٩ وباسناده عن أبي اليمان في المسند ٤. ٢٢٦ وباسناده عن وهب في ص ٢٢٦ بلفظ بقرب منه وكذا في الحديث ١٣٢٤ من فضائل الصحابة وأخرجه البخارى في صحيحه ٧: ٨٥ ومسلم في صحيحه ٤: ١٩٠٣ عن أبي اليمان، وأبو داود في سننه ٢: ٢٢٥ عن الزهري.

وهذا الحديث - ون كثر ناقلوه من العامة - فهو منحصر بهم ولم نر فيه ولا طريفاً صحيحاً واحداً من الخاصة، وهو بظاهره مناف لما كان عليه أمير المؤمنين عليه السلام من طاعته للرسول وعدم مخالفته له، حتى في أسط الأمور فكيف يعمل ما يوجب أذى الرسول ﷺ؟!

والمشهور بين المحدثين ان الرسول ﷺ قال: «فاطمة بضعة مني» على ما رواه أكثر المحدثين - بعبارات مختلفة - الا ان دمج هذا لقول بقصة مفتعلة للحط من كرامة أمير المؤمنين عليه السلام قد جند الغيارى على التراث للدفاع عن الامام عليه السلام ومنهم السيد المرتضى علم الهدى في كتابه «تنزيه الأنبياء» وخلاصة ما قاله عليه السلام: ان هذا الخبر موضوع قد تفرّد به راي واحد هو الكرابيسي طاعناً به على أمير المؤمنين عليه السلام وفيه ما يشهد العقل بكذبه وبطلانه وهو أمور:

منها: ان النبي ﷺ لا يكر ما أحاه الاسلام، فللرجل أن يتزوج أربعاً فكيف ينكر الرسول هذا المباح ويعلن بذلك على المنابر.

ومنها: ان هذا الخبر يتضمّن الطعن على النبي ﷺ لأنه أتى زوج فاطمة عليها السلام من أمير المؤمنين بعد أن اختار الله لها ذلك، ومن المعلوم ان الله لا يختار لها من بين الخلائق من

ومن نظائر ذلك ما ذكره ابن أبي الحديد في شرحه حيث قال: وقد كانت وقعت من هذا القائل أمورٌ دون هذه القصة، كقوله: دعني أضرب عنق أبي سفيان. وقوله: دعني أضرب عنق عبدالله بن أبيي، وقوله: دعني أضرب عنق حاطب بن أبي بلتعة. ونهى النبي ﷺ له عن التسرع الى ذلك، وجذبه ثوب رسول الله ﷺ حين قام على جنازة ابن سلول يصلي. وقوله: كيف تستغفر لرأس المنافقين! وليس في ذلك جميعه ما يدل على وقوع القبيح منه، وإنما الرجل كان مطبوعاً على الشدة والشراسة والخشونة، وكان يقول ما يقول على مقتضى السجية التي طبع عليها^(١). وأعدل المذاهب وأسد الأقوال: ان الذي وقع من ذلك ان بني عمرو بن هشام ابتغوا القربة الى بني هاشم فعرضوا على أمير المؤمنين أن ينكح كريمتهم، ولم يكن أمير المؤمنين ليفعل شيئاً ما هو أصغر من ذلك إلا بإذن رسول الله ﷺ، ولعله عرّفه إياه - أو: رقي اليه من غيره - فجعل رسول الله ﷺ ذلك سبباً لذكر فضيلة لسيدة النساء ﷺ وأبان خصيصة لها ليكون ذكر ذلك لهذا السبب أدعى الى نقل ما يذكره ﷺ من ذلك وأعمّ لروايته، لأن أولياء أهل البيت ينقلونه تنويهاً بفضيلتهم وتسجيلاً على أعدائهم، وأعداء أهل البيت ينقلونه تهجيناً على أمير المؤمنين، وليس عليه هجينة لأنه لم يرده، كما قال ابن عباس في جوابه على عمر عندما عاب عليه بذلك: انه لم يعزم على ذلك وقد قال الله تعالى: ﴿ولم نجد له عزماً﴾ - أو ما هذا معناه - وهذا كما جعل يوسف ﷺ وضع السقاية في رحل أخيه سبباً لاحتباسه لأخيه مع ما وقع من نسبة السرقة إلى من لم يسرق، والظنون الفاسدة ممن لم يعلم حقيقة الأمر.

وكما أذن رسول الله ﷺ لعائشة أن تشرط الولاء لبائع بريرة ليجعل ذلك سبباً لبيان: ان

→ يؤدبها ويغتمها، وهذا دلّ دليل على كذب القصة.

ومنها: انه لم يعهد من أمير المؤمنين عليه السلام خلاف على الرسول ﷺ ولا كان - قط - بحيث يكره الرسول ﷺ - على طول الصحبة - فكيف يتصور منه المخالفة له في هذا الموضوع.

ومنها: انه لو صحّ ذلك لانتهزه الأعداء من بني أمية واتباعهم للطعن به على أمير المؤمنين عليه السلام في حين أننا لم نعر على من روى هذه القصة غير الكرابيسي. إلى غير ذلك مما

هو مسطور في كتاب السيد المرتضى عليه السلام ط النجف ص ٢١٢.

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٨١.

شرط نحو ذلك باطل، مع ما في تلك الصورة من المخادعة والخلف^(١) ونحو ذلك كثير. وكلّ يعرض تعليق الأمور بأسبابٍ لحكمة ربط الأشياء بأسبابها التي راعاها - أعني الفاعلين - عن الاسباب، ومعلوم ان رسول الله ﷺ قد علم ما يجري على ابنته بعده من الهضم والإغصاب وتعصب الناس على أهل بيته، فلو أخبر ان غضبها يكون سبباً لغضب الله وغضب رسوله غير رابط له بسبب متكرر الدواعي الى نقله لكتمها كثير من الناس، كما كتم كثير منهم حديث النص مع تكرره واشتهار موقعه.

ولما وقع ذلك البيان معلقاً بذلك السبب واشتهر وتولّع الأعداء والأولياء بذكره. فالواقع من ذلك فضيلة لأمر المؤمنين وسيدة نساء العالمين ﷺ، وعار ونقص على من أغضبهما.

وأول من عاب أمير المؤمنين بذلك عمر بن الخطاب على قاعدته في نسبته الى أمير المؤمنين ما يبعده عن الخلافة في زعمه، وساعده عمرو بن العاص فزاد في الحديث: «إن آل أبي طالب ليسوا بأوليائي إنما وليّ الله وصالح المؤمنين».

وتابع عمر معاوية وزاد في الحديث: «مهما ذمنا من صهر فلم نذم صهر أبي العاص بن الربيع».

ثم تولّع به المتمردون على أهل البيت من بني أمية وبني العباس وأتباعهم، وأصل الحديث معروف عند أهل الايمان والتحقيق، والله أعلم.

قوله ﷺ: «ولقد واسيته بنفسي»:

يقال: واسيته وآسيته. وبالهزة أفصح. وهذا مما اختصّ ﷺ بسجيته^(٢) غير مدافع، ثبت معه يوم أحد وفرّ الناس، وثبت معه يوم حنين وفرّ الناس، وثبت تحت رايته يوم خيبر حتى فتحها وفرّ من كان بعث بها من قبله.

وروى المحدثون أن رسول الله ﷺ لما ارتث^(٣) يوم أحد، نادى الناس: قتل محمد،

(١) ولهذا وأشباهه لا يصح نسبة ذلك الى رسول الله وأمر المؤمنين ﷺ. والأصح هو ما ذكرناه

في الهامش السابق، فراجع. (٢) في ط: بفضيلته.

(٣) ارتث: حمل من المعركة جريحاً وفيه رمق.

رأته كتيبة من المشركين وهو صريح بين القتلى، إلا أنه حي، فصمدت له. فقال لعلي عليه السلام: اكفني هذه، فحمل عليها عليه السلام فهزمها، وقتل رئيسها، ثم صمدت له كتيبة أخرى، فقال: يا علي اكفني هذه، فحمل عليها فهزمها، وقتل رئيسها، ثم صمدت له كتيبة ثالثة، فكَذلك، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يقول: قال لي جبريل: يا محمد، إن هذه للمواساة، فقلت: وما يمنعني وهو مني وأنا منه! فقال جبريل: وأنا منكما.

وروى المحدثون أيضاً أن المسلمين سمعوا ذلك اليوم صائحاً من جهة السماء ينادي: «لا سبف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي»، فقال رسول الله ﷺ لمن حضره: «ألا تسمعون! هذا صوت جبريل».

وأما يوم حنين، فثبت معه في نفر يسير من بني هاشم، بعد أن ولّى المسلمون الأدبار، وحامى عنه، وقتل قوماً من هوازن بين يديه، حتى ثابت إليه الانتصار، وانهزمت هوازن وغنمت أموالها.

وأما يوم خيبر، فقصته مشهورة. انتهى من شرح ابن أبي الحديد^(١).

وفي «الاتباع» في قصة حنين: قال الحرث بن نوفل، فحدثني الفضل بن العباس. قال التفت العباس يومئذٍ وقد اقشع الناس عن بكرة أبيهم فلم ير علياً فيمن ثبت، فقال: شوهة نوهة، أفي مثل هذه الحالة يرغب ابن أبي طالب بنفسه عن رسول الله ﷺ وهو صاحبه في المواطن المشهورة له؟

فقلت له: بعض قولك لابن أخيك، أما تراه في الرهج؟ قال: اشعرلي يا بُني.

قلت: هو ذو كذا، ذو البردة.

قال: فما تلك لبرقة؟

قلت: سيفه يرفل به بين الاقران.

قال: فداه عمّ وخال.

قال: فضرب عليّ يومئذٍ، انتهى.

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٨٢.

وروى أصحابنا في كتبهم عن المشيخ ابن فارط النهدي ان أباه حدثه - وكان جاهلياً - قال: شهدت هوازن وكنت إمراً أقدماً يسودني قومي، ولقينا رسول الله ﷺ فرأيت في عسكره رجلاً لا يلقاه قرن إلا دهدأه، ولا يبرز له شجاع إلا أرداه، فعمد له وبرز اليه الجلمود بن قريع - وكان والله ما علمته - حوشي القلب شديد الصبر - فأهوى اليه الرجل بسيفه فأصلى قحف رأسه عن أم دماغه، فحدث عنه وجعلت أرمقه وهو لا يقصد ركافة ولا يؤم إلا صناديد الرجال، لا يدنو من رجل إلا قتله. وكانت الدبرة لمحمد ﷺ علينا. فأسلمت بعد ذلك فعرفت الرجل، فإذا هو علي بن أبي طالب ؑ، وبالله لقد رأيت زنده فخلته أربع أصابع، وأن أول خنصره كآخر مفصل من مرفقه. انتهى.

ومن خطبة له عليه السلام :

الحمد لله الذي ^(١) يَعْلَمُ عَجِيبَ ^(٢) الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ ^(٣) وَمَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَاتِ وَأَخْتِلَافَ النَّيَّانِ ^(٤) فِي الْبَحَارِ الْعَامِرَاتِ ^(٥). وَتَلَاطُمَ الْمَاءِ بِالرِّيحِ الْعَاصِفَاتِ. وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا نَجِيبُ اللَّهِ وَسَفِيرُ ^(٦) وَخِيهِ وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ. أَمَّا بَعْدُ، فَأَوْصِيكُمْ ^(٧) بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ وَبِهِ نَجَاحُ طَلَبَتِكُمْ وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ وَنَحْوُهُ قَصْدُ ^(٨) سَبِيلِكُمْ وَإِلَيْهِ مَرَامِي ^(٩) مَفْرَعِكُمْ، فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ دَوَاءٌ دَاءِ قُلُوبِكُمْ وَبَصَرٌ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ وَشِفَاءٌ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ وَصَلَاحٌ فَسَادِ صُدُورِكُمْ وَطُهْرٌ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ وَجَلَاءٌ غِشَاءِ ^(١٠) أَبْصَارِكُمْ وَأَمْنٌ فَرَجِ جَأَشِكُمْ ^(١١) وَضِيَاءٌ سَوَادِ ظُلُمَتِكُمْ. فَاجْعَلُوا طَاعَةَ اللَّهِ شِعَاراً دُونَ دِثَارِكُمْ ^(١٢). وَدَخِيلاً دُونَ شِعَارِكُمْ ^(١٣) وَلَطِيفاً بَيْنَ أَضْلَاعِكُمْ وَأَمِيراً فَوْقَ أُمُورِكُمْ وَمَنْهَلاً ^(١٤) لِحِينِ وَرُودِكُمْ ^(١٥). وَشَفِيعاً لِدَرْكِ ^(١٦) طَلَبَتِكُمْ ^(١٧).

-
- (١) لم ترد «الحمد لله الذي» في ب و ط و د.
 (٢) في هـ. ب: لعج رفع الصوت وفي هـ. ص: تصويتها.
 (٣) في هـ. ب: لفلاة يعني المفازة.
 (٤) في هـ. ب: الحبثان.
 (٥) في هـ. ب: السائرات.
 (٦) في هـ. ب: السفير الذي يصلح بين القوم.
 (٧) في هـ. د: فائي أوصيكم - ش.
 (٨) في هـ. ب: جانيه.
 (٩) مرمى المفزع ما يدفع اليه الخوف وهو الملجأ وفي هـ. ب: مطلب.
 (١٠) هـ. د: عشاء - ش، ر.
 (١١) الجأش: ما يضطرب في القلب عند الفزع وفي هـ. ب: قلبكم.
 (١٢) في هـ. ب: الدثار ما يكون من الانسان فوق الشعار.
 (١٣) في هـ. ب: شعاراً دون دثاركم أي غير دثاركم ودخيلاً تحت شعاركم.
 (١٤) في ب: منتهلاً، وفي هـ. ب: في نسخة: منهلاً. المنهل ما ترده الشاربة من الماء للشرب.
 (١٥) في ط و د: ورودكم. وفي هـ. ب: في نسخة: ورودكم.
 (١٦) في هـ. ب: في نسخة: ندرك، والدرك بالتحريك: اللحاق لِدَرْكِ.
 (١٧) الطلبة بالكسر: المطلوب.

وَجُنَّةٌ^(١) لِيَوْمِ فَرَعِكُمْ وَمَصَابِيحَ لِبَطُونِ قُبُورِكُمْ وَسَكَنًا^(٢) لِبَطُولِ وَخْشَتِكُمْ وَنَفْسًا^(٣) لِكَرْبِ مَوَاطِنِكُمْ فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ حُرُزٌ مِنْ مِتَالِفٍ^(٤) مُكْتَنِفَةٍ^(٥) وَمَخَافِ مُتَوَقِّعَةٍ وَأَوَارٍ^(٦) نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ^(٧) فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ^(٨) عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوءِهَا وَأَخْلَوَتْ لَهُ الْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا^(٩). وَأَنْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأُمُوجُ بَعْدَ تَرَائِكُمِهَا. وَأَسْهَلَتْ لَهُ الصَّعَابُ^(١٠) بَعْدَ إِنْصَابِهَا^(١١) وَهَطَلَتْ^(١٢) عَلَيْهِ الْكَرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا. وَتَحَدَّبَتْ^(١٣) عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا وَوَيْلَتْ^(١٤) عَلَيْهِ الْبَرَكَةُ بَعْدَ إِزْدَاذِهَا^(١٥).

فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ. وَوَعَظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ. وَأَمَّنْ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ. فَعَبَّدُوا^(١٦) أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ وَآخِرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ.

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْإِسْلَامَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ. وَأَصْطَنَعَهُ^(١٧) عَلَى عَيْنِهِ. وَأَصْفَاهُ خَيْرَةً^(١٨) خَلَقَهُ. وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ^(١٩) عَلَى مَحَبَّتِهِ^(٢٠). أَذَلَّ الْأَذْيَانَ بِعِزِّهِ^(٢١). وَوَضَعَ الْمِلَلَ

(١) الجنة بالضم: الوقاية.

(٢) في هـ. ب: ما يسكن به لانسان، وفي هـ. ص: ما يسكن الله انسه.

(٣) في هـ. ب: ما ينفس به الانسان (٤) في هـ. ب: جمع متلف وهو المهلكة.

(٥) في هـ. ب: محيطه. (٦) في هـ. ب و ص: حر.

(٧) ص: مستوقدة، وفي هـ. ص في نسخة: متوقدة

(٨) في هـ. ب و ص: بعدت. (٩) في ص: مرارها.

(١٠) في هـ. ب: جمع صعب.

(١١) في هـ. ص في نسخة انصابها وفي هـ. ب: إتعابها.

(١٢) في هـ. ب: سالت

(١٣) في هـ. ب: شفقت، وفي هـ. ص تعطف وحنن.

(١٤) في هـ. ص الوابل المطر الكثير.

(١٥) في هـ. ب: الرذاذ مطر صغير القطر، وفي هـ. ص: مطر قليل.

(١٦) في هـ. ب: التعبيد أن تجعل نفسك ذلولاً خشوعاً، وأيضاً: التعبيد أن تجعلها مكرماً أي

صطفاه لخير خلقه، وفي هـ. ص: أي ذلوا.

(١٧) في هـ. ب: أي حفظه لنفسه، وفي هـ. ص: كلمه تقال لما اشتد الاهتمام به.

(١٨) في هـ. ص: الخبرة، المختار. (١٩) في هـ. ص: أي الايمان.

(٢٠) في هـ. ص: أي محبة الله.

(٢١) في ط: بعزته، وفي هـ. د: بعزته - ص، ح، ب.

بَرْقِعِهِ^(١). وَأَهَارَ أَغْدَاءَهُ بِكَرَامَتِهِ. وَخَذَلَ^(٢) مُحَادِيهِ^(٣) بِنَصْرِهِ^(٤). وَهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ. وَسَقَى مَنْ عَطِشَ مِنْ حَيَاضِهِ^(٥). وَأَثَاقَ^(٦) الْحَيَاضِ بِمَوَاتِحِهِ^(٧) ثُمَّ جَعَلَهُ لَا أَنْفَصَامَ^(٨) لِعُرْوَتِهِ^(٩). وَلَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ. وَلَا أَنْهَدَامَ لِأَسَاسِهِ. وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ. وَلَا انْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ. وَلَا انْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ.

وَلَا عَفَاءَ^(١٠) لِشَرَائِعِهِ وَلَا جَذَّ^(١١) لِفُرُوعِهِ وَلَا ضَنْكَ^(١٢) لِبُطُوقِهِ وَلَا وُعُوثَةً^(١٣) لِسُهُولَتِهِ وَلَا سَوَادَ لَوَضْعِهِ^(١٤). وَلَا عِوَجَ لِانْتِصَابِهِ وَلَا عَضَلَ^(١٥) فِي عُودِهِ وَلَا وَعَثَ^(١٦) لِفَجْهِ^(١٧) وَلَا أَنْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ وَلَا مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاحٍ^(١٨) فِي الْحَقِّ أَسْنَاخُهَا^(١٩) وَتَبَّتْ لَهَا أَسَاسُهَا^(٢٠) وَتَبَايَعُ غَزَرَتْ^(٢١) عُيُونُهَا وَمَصَابِيحُ شُبَّتْ نِيرَانُهَا وَمَنَارٌ أَفْتَدَى بِهَا

(١) في هـ. د: لرفعه - ب. (٢) في هـ. ب: في نسخة احتمالا: خبر.

(٣) في هـ. ب: معادية، وفي هـ. ص: المناوي (٤) في هـ. ب: في نسخة: بنصرته.

(٥) في ص: حباطه.

(٦) في هـ. ب: ملأ، وفي هـ. ب: الاتاق: ان تملأ الحوض من الماء، وفي هـ. ص: أملاً.

(٧) في هـ. د: لمواتحه - ب. والمواتح جمع ماتح وهو نازع الماء من الحوض، وفي هـ. ب:

المتح: نزع لماء. (٨) في هـ. ص: أي لا انكسار.

(٩) في هـ. ب: عروة الكور: الشيء، يؤخذ بها حين ينقل.

(١٠) العفاء: الدروس والامحاء (١١) في ب: جزء، وفي هـ. ب: قطع.

(١٢) في هـ. ب: الضنك: الضيق.

(١٣) في هـ. ب: الأوعث: المكان السهل ذو الرمل يغيب فيه الرجل، وبشق على من يمشي فيه،

لا وعوثة: أي لا صعوبة، وفي هـ. ب: الوعوثة ... وفي السهولة يوجب مشقة المشي؛ لأن

الأقدام تعث في الأرض. من الشرح. (١٤) الوضع: بياض الصبح.

(١٥) في ط و د: عصل، وفي هـ. ب: العضل: الاعوجاج، والعصل الاعوجاج في صلابته.

(١٦) في هـ. ب: الوعت: الرمس. (١٧) في هـ. ب: مسك بعيد.

(١٨) في هـ. ب: أثبت، وفي هامش آخر: ساخت قواعده في الأرض، أي في الوحل، ومطرنا

حتى إذا صارت الأرض سواخي، على فعلي: إذا كثر المطر، وفي هـ. ص: أي أدخل ومكّن.

(١٩) في هـ. ب: الاسناخ جمع سنخ وهو الأصل وسناخها: أصلها، وفي هـ. ص: جمع سنخ:

الأصل.

(٢٠) في هـ. ب: اساسها: أصلها، وفي هـ. ص: جمع أسس، كسبب وأسباب والأسس والأس

والأساس: أصل البناء. (٢١) هـ. ب: كثرت.

سَفَارَهَا^(١) وَأَعْلَامَ قُصْدِ بِهَا فِجَاجُهَا وَمَنَاهِلُ رُوى^(٢) بِهَا وَرَادُّهَا جَعَلَ أَنَّهُ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ وَذُرْوَةَ دَعَائِمِهِ وَسَنَامَ^(٣) طَاعَتِهِ فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَثِيقُ الْأَرْكَانِ رَفِيعُ الْبُنْيَانِ مُنِيرُ الْبُؤْهَانِ مُضِيءُ النُّيُوزَانِ عَزِيزُ السُّلْطَانِ مُشْرِفُ الْمَنَارِ مُعَوِزُ^(٤) الْمَثَارِ^(٥) فَشَرَّفُوهُ وَآتَبَعُوهُ وَأَذُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ^(٦).

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا الْإِنْقِطَاعُ وَأَقْبَلَ مِنَ الْآخِرَةِ الْإِطْلَاعُ^(٧) وَأَظْلَمَتْ بَهْجَتُهَا^(٨) بَعْدَ إِشْرَاقِ، وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى سَاقٍ^(٩). وَخُشِنَ مِنْهَا مِهَادُ^(١٠). وَأَزِفَ^(١١) مِنْهَا يُفَادُ^(١٢). فِي انْقِطَاعٍ مِنْ مَدَّتِهَا. وَأَقْتَرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا^(١٣) وَتَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِهَا. وَأَنْقِصَامٍ^(١٤) مِنْ خَلْقَتِهَا. وَأَنْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا. وَعَفَاءٍ مِنْ أَعْلَامِهَا. وَتَكْشُفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا. وَقَصْرٍ مِنْ طُولِهَا. جَعَلَهُ^(١٥) أَنَّهُ بَلَاغًا لِرِسَالَتِهِ^(١٦). وَكَرَامَةً لِأُمَّتِهِ. وَرَبِيعًا لِأَهْلِ زَمَانِهِ. وَرَفْعَةً لِأَعْوَانِهِ. وَشَرَفًا لِأَنْصَارِهِ.

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُورًا لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ وَسِرَاجًا لَا يَخْبُو^(١٧) تَوَقُّدُهُ وَبَحْرًا لَا يُدْرِكُ قَعْرُهُ وَمِنْهَا جَا لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ^(١٨) وَشُعَاعًا لَا يَظْلِمُ ضَوْؤُهُ^(١٩). وَفُرْقَانًا لَا يُخْمَدُ بَرْهَانُهُ. وَتَبْيَانًا^(٢٠) لَا تُهْدَمُ أَرْكَائِهِ. وَشِفَاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ وَعِزًّا لَا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ وَحَقًّا لَا تُخْذَلُ

(١) في هـ. ب: جمع سافر. (٢) هـ. ب: رويث من الماء أروى.

(٣) في هـ. ب: السنام البعير، وهو يريد به أصلهم

(٤) في ط معوذ، وفي هـ. د: معور المثال، ومعور المثال - ز

(٥) في هـ. د: المثال - م، ر، وفي هـ. ب في نسخة المثال والمثار مصدر من ثر الغبار اذا هج..

أي ان أحدا لا يمكنه إنارة هذا الدين لثباته، وفي هـ. ص: أي معجز الناس أثارته وازعاجه

لفوته ومثانته. من الشرح. (٦) في هـ. د: مواضعه - ب.

(٧) في هـ. ب: الاطلاع الاشراف ليرى شيئا، قال الله تعالى ﴿فَاطْلِعْ فَارَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾.

(٨) في هـ. ب: البهجة: الحسن. (٩) في هـ. ب: أي شدة

(١٠) في هـ. ب: المهاد هي الأرض. (١١) في هـ. ب: أي قرب.

(١٢) في ص و ط و د: قباد. (١٣) في هـ. ب: أي علاماتها

(١٤) في هـ. ب: أي انكسار. (١٥) في هـ. ب: أي محمد ﷺ.

(١٦) في ص: لرسالته. (١٧) أي لا بطفأ.

(١٨) المنهاج الطريق الواسع والتهج ولسلوك، أي ليس في سلوكه اختلال

(١٩) في ب: نوره، وفي هـ. ب في نسخة ضوؤه.

(٢٠) في هـ. د: تبيانا - ح، ض، ب.

أَعْوَانُهُ فَهُوَ مَعْدِنُ الْإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ^(١) وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ وَرِيَاضُ^(٢) الْعَدْلِ
وَعُذْرَاتُهُ^(٣) وَأَتَانِي^(٤) الْإِسْلَامِ وَبُثْيَانُهُ وَأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وَغِيْطَانُهُ^(٥) وَيَحْرُ لَا يَنْزِلُهُ
الْمُسْتَنْزِفُونَ^(٦) وَغُيُونُ لَا يُنْضِبُهَا^(٧) الْمَاتِحُونَ^(٨) وَمَنَاهِلُ لَا يُغِيضُهَا^(٩) الْوَارِدُونَ وَمَنَازِلُ
لَا يَصِلُ نَهْجُهَا^(١٠) الْمُسَافِرُونَ وَأَعْلَامُ لَا يَغْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ وَآكَامُ^(١١) لَا يَحُورُ^(١٢) عَنْهَا^(١٣)
الْقَاصِدُونَ جَعَلَهُ اللَّهُ رِيًّا لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ وَرَبِيعًا لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ، وَمَحَاجَّ^(١٤) لِبُطُونِ الصُّلَحَاءِ
وَدَوَاهٍ لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ وَنُورًا لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ وَحَبْلًا وَثِيقًا غُرُوثُهُ وَمَعْقِلًا^(١٥) مَتَبِعًا ذُرُوءُهُ
وَعِرْوًا لِمَنْ تَوَلَّاهُ^(١٦) وَسِلْمًا^(١٧) لِمَنْ دَخَلَهُ. وَهُدًى لِمَنْ أَتَمَّ بِهِ. وَعُذْرًا لِمَنْ أَتَّحَلَّهُ^(١٨)
وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ وَفَلَجًا^(١٩) لِمَنْ حَاجَّ بِهِ، وَخَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ^(٢٠)
وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ^(٢١) وَجَنَّةً لِمَنْ أَسْتَلَّامَ^(٢٢) وَعِلْمًا لِمَنْ وَعَى^(٢٣) وَحَدِيثًا
لِمَنْ رَوَى، وَحُكْمًا لِمَنْ قَضَى.

(١) بحبوحة المكان: وسطه.

(٢) الرياض جمع روضة وهي مستنقع الماء في رمل أو عشب.

(٣) جمع غدير وهو القطعة من الماء يغادرها السيل.

(٤) هـ. ب: الغائط المكان المظمن من الأرض والجمع الغيطان.

(٥) في أ: المترفون، وفي هـ. د: المستزفون - ب، وفي هـ. ب الذين يطلبون النرف، النرف نرح
الماء ونرف دمه اذا جرحته كلمة، السكران نريف: لانه لا يبقى له عقل.

(٦) في هـ. ب: المنضوب عوز لماء. (٧) في هـ. ب: الماتحون بالياء معاً.

(٨) في هـ. ب: لا ينغصها ح. (٩) في هـ. ب: طريقها.

(١٠) في هـ. ب: جمع اكمه، وفي هـ. ب في نسخة: وفجاءاً.

(١١) في ط: لا يجوز، وفي هـ. لا يجوز، وفي هـ. ب لا بجور من جار بجور.

(١٢) في هـ. د: عنه - ل. أي عدل عن الطريق.

(١٣) في هـ. ب: المحبة الطريق لواضح. (١٤) في هـ. ب: ملجأ.

(١٥) في هـ. ب: التولي: المحبة. (١٦) هـ. ب: السلم: الصلح وسلماً لمراده.

(١٧) في هـ. ب: لمن ادعى.

(١٨) في ص: فلجاً، وفي هـ. د: الفلج والفلح كلاهما روي - ر. وفي هـ. ب: ظفراً.

(١٩) في ص: حملة. (٢٠) في هـ. ب: التوسم: الفراسة.

(٢١) في هـ. ب: أي انخذه لانمة وهي الدرع الواسع.

(٢٢) في هـ. ب: أي حفظ.

ومن كلام له عليه السلام كان يوصي به أصحابه:

تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلَاةِ وَحَافِظُوا عَلَيْهَا وَاسْتَكْبِرُوا مِنْهَا وَتَقَرَّبُوا بِهَا فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا. أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِيِّينَ ^(١).

وَإِنَّهَا لَتَنَحْتُ ^(٢) الذُّنُوبَ حَتَّى الْوَرَقِ وَتُطْلِقُهَا إِطْلَاقَ الرَّبْقِ ^(٣) وَشَبَّهَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْحَمَةِ ^(٤) تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ. وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رَجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَشْغُهُمْ ^(٥) عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ وَلَا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلَا مَالٍ، يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ ^(٦) وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَصَبَ ^(٧) بِالصَّلَاةِ بَعْدَ التَّبَشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ ^(٨) عَلَيْهَا﴾ ^(٩) فَكَانَ يَأْمُرُ بِهَا ^(١٠) أَهْلَهُ وَيُصْبِرُ ^(١١) عَلَيْهَا ^(١٢) نَفْسَهُ.

ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلَاةِ قُرْبَانًا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ. فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا فَإِنَّهَا تَجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً وَمِنَ النَّارِ حِجَازًا ^(١٣) وَوَقَايَةً فَلَا يُتْبَعُهَا ^(١٤) أَحَدٌ نَفْسَهُ وَلَا يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا

(١) المدثر: ٤٢ - ٤٣.

(٢) في هـ ب: تسقط.

(٣) الربق: جمع ربة، وهو حل فيه عرى تربط بها الأشياء، وفي هـ ب: الاحبال.

(٤) هـ ب: الحفيرة التي فيها الماء الحلال في هـ لا يشغلهم.

(٦) النور: ٣٧. (٧) في هـ ب: تعباً.

(٨) في هـ ب: اصبر. (٩) طه: ١٣٢.

(١٠) لم ترد «بها» في ط. (١١) في هـ ب: يحبس.

(١٢) لم ترد «عليها» في ط.

(١٣) في هـ ب: في نسخة: حجاباً، وفي هـ د: حجاباً - هامش ن.

(١٤) في ص: فلا يتبعها.

لَهَقَهُ^(١) فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا يَزْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا فَهُوَ جَاهِلٌ
بِالسُّنَّةِ^(٢) مَعْبُودُ^(٣) الْأَجْرِ. ضَالُّ الْعَمَلِ. طَوِيلُ النَّدَمِ.

ثُمَّ أَدَاءَ الْأَمَانَةِ، فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمَوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ
وَالْأَرْضِينَ الْمَدْحُورَةِ^(٤) وَالْجِبَالِ ذَاتِ الطُّوْلِ وَالْعَرْضِ الْمَنْصُوبَةِ، فَلَا أَطُولَ وَلَا أَعْرَضَ
وَلَا أَعْلَى وَلَا أَعْظَمَ مِنْهَا. وَلَوْ أَمْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لَا مُتَنَعٍ وَلَكِنْ
أَسْفَقَنَ مِنَ الْعُقُوبَةِ. وَعَقَلَنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَوْعَفُ مِنْهُمْ^(٥) وَهُوَ الْإِنْسَانُ هَإِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا
جَهُولًا^(٦).

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ^(٧) فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ لَطْفَ
بِهِ^(٨) خُبْرًا^(٩) وَأَخَاطَ بِهِ عِلْمًا. أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ. وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ وَضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ
وَخَلَوَاتُكُمْ عَيْنَانُهُ.

(٢) في ص: السنة .

(٤) أي المبسوطة.

(٦) الاحزاب : ٧٢.

(٨) في ص: بهم .

(١) في هـ . ب: حسرته .

(٣) في هـ . ب: منقوص .

(٥) في هـ . ب: خلق الانسان ضعيفا

(٧) في هـ . ب: مكتسبون

(٩) في هـ . ب: امتحانا .

ومن كلام له عليه السلام:

وَاللّٰهُ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَذْهَىٰ ^(١) مِنِّي وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ. وَلَوْ لَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَذْهَىٰ
التَّاسِ وَلَكِنْ كُلُّ غُدْرَةٍ فُجْرَةٌ ^(٢) وَلِكُلِّ ^(٣) فُجْرَةٍ كُفْرَةٌ وَلِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
وَاللّٰهُ مَا أُسْتَعْفِلُ ^(٤) بِالْمَكِيدَةِ ^(٥) وَلَا أُسْتَعْمَرُ ^(٦) بِالشَّدِيدَةِ.

(١) في هـ. ب: أي أكيس

(٢) في هـ. د: ولكل فجرة كفر - ب. وفي هـ. ص: ويروى غُدْرَةٌ وَفُجْرَةٌ بضم الأول وفتح الثاني

على فعله وهو كثير الغدر والفجور، وكل ما كان على هذا البناء فهو للمفعول يقال رجل
ضحكة أي يضحك وضحكه أي يضحك منه ومثله سخرة وسُبه.

(٣) في ط: وكل.

(٤) في هـ. ب: ما استغفل من الغفال أي ما أُوخذ بالغفل.

(٥) في ب: من المكيدة. (٦) في هـ. ب: استفعال من الغمز.

ومن كلام له عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْتَوْحِشُوا ^(١) فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقَلَّةِ أَهْلِهِ فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ ^(٢) شَبْعُهَا قَصِيرٌ وَجُوعُهَا طَوِيلٌ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسُ ^(٣) الرِّضَى وَالسُّخْطُ وَإِنَّمَا عَقَرُ نَاقَةٍ ثُمُودَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَعَمَّهُمْ ^(٤) اللَّهُ ^(٥) بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمَّوْهُ بِالرِّضَاءِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَقَعَّرُوها فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ ^(٦) فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ ^(٧) أَرْضُهُمْ

بِالْخَسْفَةِ خُورَ السَّكَّةِ الْمُحْمَاةِ ^(٨) فِي الْأَرْضِ الْخَوَازَةِ ^(٩).

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِعَ وَرَدَ الْمَاءَ وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي النَّيْبِ ^(١٠).

اعلم ان مراده عليه السلام من هذا الكلام نفي ما عساه يقع من الشك في قلب من لم يكن نافذ البصيرة في كونه عليه السلام أفضل الأمة وحنة عليها ومستخلفاً عليها ومنصوصاً عليه؛ وذلك لا طباق الأكثر على خلافه فقال عليه السلام: لا بدخل الشك في قلوبكم قلة من يوافقكم على عقيدتكم حتى يحملكم ذلك على مفارقة طريقتكم اغتراراً بالكثرة، فان السبب في مخالفة الناس لطريقتكم اجتماعهم على طلب الدنيا ومحبتهم لها وشبعها قصير؛ لأن الانتفاع بها يكون في الدنيا وهي فانية. وجوعها - أي ضررها - طويل؛ لأن الاستضرار بها

(١) في هـ. ب: من الوحشة وهي الوجل.

(٢) هـ. ب: المائدة يريد بها لدنيا، ويقال يريد بها معاوية.

(٣) أي يجمعهم في استحقاق لعقاب. (٤) هـ. ب: عم الشيء شمل الجماعة.

(٥) في ب زيادة تعالى. (٦) هود: ٦٥.

(٧) في هـ. ب: الخوار: صوت العجل والبفر.

(٨) السكة المحماة: حديدة المحراث اذا أحميت في النار، فتكون أسرع غوراً في الأرض.

(٩) في هـ. ب: السهلة، والخور من الأرض المنخفض من السهل وأرض خوار أي ضعيفة

(١٠) في هـ. ب: التحير.

يكون في الآخرة وهي باقية.

ثم أمرهم باستقباح القبيح من فاعله وكراهة صدوره عنه ومعاداته بالقلب وبتضمن ذلك الأمر بالبحث عن كون الفعل حسناً أو قبيحاً، وذلك منه عليه السلام تحذير من أن يقول قائل: غاب عني فعل غصبه الخلافة وصغر منزلته وطرق للناس إلى مخالفته ومعاداته، ولم أتول من فعلهم ذلك شيئاً فلا تكليف عليّ فيه، ولا أدخل نفسي فيما لم أكن داخلياً فيه. قال عليه السلام: ان من لم يفعل مكلف فيما فعله غيره يرضاه إن كان لله رضى، وسخطه إن كان سخطاً ومن رضى فعل قوم كان كالدخل فيه معهم، ومن سخط فعل قوم كان مشاركاً لدفعه ومنكره

فمن هنا وجب على كل أحد النظر في فعل غيره ليوافقه فيه بالعقيدة وقد سبق له نظير هذا حيث قال: «واعلموا انكم لن تعرفوا طريق الرشد حتى تعرفوا الذي تركه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه، ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذوه... إلى آخره.

وكل ذلك إشارة إلى مقالة العامة ودفعها وذلك نهم يمتنعون من النظر في أحوال الصحابة والحث عن المحق منهم والمبطل ويقولون انه فضول ودحول فيما لا يعني، ويزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «اياكم وما شجر بين أصحابي..» وزعموا انه قال: «دعوا لي أصحابي»

وهذا منه عليه السلام على قاعدته في التنبيه على الأقوال الباطلة الحادثة بعده ثم أخبرهم انه لا ينجو إلا من استقام على منهج الحق، ومن وقع منه أية مخالفة وعدل عنه وقع في المتاهة ولم يصل إلى المنجاة، كطالبي مآءٍ أحدهما سلك طريقه الواضح الذي هو طريق له، وآخر عدل عنه وركب ثنيات الطريق، والله أعلم.

ومن كلام له ﷺ :

روي ^(١) أنه قاله عند دفن سيدة النساء فاطمة صلي الله عليهما ^(٢) كالمناجى به رسول الله ﷺ عند قبره :

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جَوَارِكَ وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ.
قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي. وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلْدِي ^(٣). إِلَّا أَنَّ لِي فِي النَّأْسِي ^(٤) بَعْظِيمَ
فُرْقَتِكَ وَفَادِحَ ^(٥) مُصِيبَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزُّ ^(٦). فَلَقَدْ وَشَدْتُكَ ^(٧) فِي مَلْحُودَةٍ ^(٨) قَبْرِكَ. وَفَاضَتْ
بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ ^(٩). فَإِنَّا ^(١٠) إِلَيْهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. فَلَقَدْ اسْتَوْجَعْتُ ^(١١) الْوَدِيعَةَ ^(١٢).
وَأَخَذْتُ الرَّهِينَةَ ^(١٣). أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ. وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسْهَدٌ ^(١٤) إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللَّهُ لِي ^(١٥) دَارَكَ
الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ ^(١٦) وَسَتُنَبِّئُكَ أَبْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أَمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا ^(١٧) فَأُخْفِهَا ^(١٨) السُّؤَالَ
وَأَسْتَخْبِرَهَا الْحَالَ هَذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ. وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذُّكْرُ. وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامَ مَوْدَعٍ

(١) في ب زيادة : عنه .

(٢) في ط ﷺ ، وفي ه . ب : ثلاثة وتسعين يوماً بقيت بعد رسول الله ﷺ .

(٣) في ه . ب : تصبري .

(٤) العبارة في ب هكذا : ان في التأسي لي ، وفي ه . ب : في نسخة : ان لي في التأسي لي .

(٥) في ه . ب : ثقیل .

(٦) في ه . ب : تصبر .

(٧) في ه . ب : من الوساد .

(٨) في ه . ب : اللحد والملحودة واحد .

(٩) في ه . ب : روحك .

(١٠) كذ في ط ، وفي سائر النسخ : انا .

(١١) في ه . ب : في نسخة : استوجعت .

(١٢) في ه . ب : يعني به فاطمة عليها الصلاة والسلام .

(١٣) في ه . ب : فاطمة .

(١٤) أي ينقضي بالسهاد وهو السهر .

(١٥) في ص : لي الله .

(١٦) في ه . ب : أي الجنة .

(١٧) لم نرد «بتضافر امتك على هضمها» في ب و ص ، وفي ه . د : العبارة ساقطة من م و ف و ن و

ل و ش ، والهضم : الظلم .

(١٨) في ه . ب : احف اي استقص ، أي طالب الأقصى في السؤال .

لَا قَالَ^(١) وَلَا سَمِ^(٢) فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ. وَإِنْ أَقُمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ الصَّابِرِينَ.

قال في الشرح: أما قول الرضي رحمه الله: «عند دفن سيّدة النساء»؛ فلأنّه تواتر الخبر عنه عليه السلام أنّه قال: «فاطمة سيّدة نساء العالمين»، أما هذا اللفظ بعينه أو لفظ يُوَدِّي معناه، وروي أنّه قال لها وقد راها تبكي عند موته: «ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء هذه الامة؟»، وروي أنّه قال: «سادات نساء العالمين أربع: خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وأسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران»، انتهى.

قوله عليه السلام: «هذا ولم يطل العهد...»:

الاشارة الى مدلول الكلام السابق أي المخالفة لعهدك والوثوب على أهل بيتك بأنواع المساءة، من غصب الخلافة وغصب المال والهم بالقتل - مرة - وبتحريق البيت أخرى - والهجوم على أهل البيت - ثالثة - والسوق العنيف والتهديد والتخويف والقول السفیه. والحال ان العهد بك لم يطل والذكر لم يخلُ حتى يقال: نُسي ما قال من النص والتوصية بأهل بيته والأمر بتبجيلهم وتعظيمهم واحترامهم بل هو مصارحة بالمخالفة ومسارة الى مسأته في أهل بيته، والله المستعان^(٣).

(١) في هـ. ب: مبغض . (٢) ب: سائم وفي هـ. ب: سئم.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ٢٦٥ - ٢٦٦ .

ومن كلام له عليه السلام :

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ وَلَا تَهْتِكُوا
أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ
فَفِيهَا اخْتِبرْتُمْ وَلَغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكَ وَقَالَتِ السَّلايِكَةُ مَا قَدَّمَ
لِلَّهِ آبَاؤُكُمْ فَقَدِّمُوا بَعْضًا يَكُنْ لَكُمْ^(١) وَلَا تُخَلِّقُوا^(٢) كَلًّا^(٣) فَيَكُونُ^(٤) عَلَيْكُمْ.

(١) في ب زيادة: فرضاً، وفي هـ. د: يكن لكم فرضاً - م ل وهامش ن وش.

(٢) في هـ. د: ولا تتركوا، وفي الهامش: ولا تخلفوا - م.

(٣) في هـ. د: كلاً أي ثقلاً.

(٤) في هـ. د: فيكون فرضاً عليكم - ح.

ومن كلام له عليه السلام كان كثيراً ما ينادي به أصحابه :

تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ فَقَدْ تُودَىٰ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ وَأَقْلُوا الْعُرْجَةَ^(١) عَلَى الدُّنْيَا وَأَنْقَلِبُوا
بِصَالِحِ مَا يَحْضُرَتُكُمْ مِنَ الزَّادِ فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَثُوداً^(٢) وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً^(٣) لَا بُدَّ
مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا وَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَا حِظَ^(٤) الْمَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةً^(٥) وَكَأَنَّكُمْ
بِمَخَالِبِهَا^(٦) وَقَدْ نَسَبَتْ^(٧) فِيكُمْ وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ^(٨) مِنْهَا^(٩) مُفْطَعَاتُ^(١٠) الْأُمُورِ وَمُفْضِلَاتُ^(١١)
الْمَحْذُورِ، فَتَقَطَّعُوا عِلَاقَ الدُّنْيَا، وَاسْتَظْهِرُوا بِرَّادِ التَّوَّابِ.
وقد مضى شيء من هذا الكلام فيما تقدم بخلاف^(١٢) هذه الرواية .

* * *

(١) في هـ . ب : التعريج وهو المقام . وفي هـ . ص : هي الالتفات الى المحل وحب البقاء فيه .

(٢) في د : كزودا ، وفي هـ . ب : يقال تأكدني لأمر : صعب ، والعقبة الكؤود : الصعبة ، وفي هـ . ب :
أي شاقة . (٣) في هـ . ب : مخوفة ، شاقة .

(٤) في هـ . ص : شبه المنية بسبع مفترس والناس فرانس فلا يزال بلا حطهم طمعاً ، ولم شبهها
بالأسد أثبت لها ماله من الآلة التي اقتدر بها على فعله وكأنه غنى بها أسباب الموت ، والله
أعلم .

(٥) في ص و د : دانية ، وفي هـ . ب : في نسخة : دائبة ، وفي هـ . د : دانية - ن م ك ر .

(٦) في هـ . ب : جمع مخلب ، وفي هـ . ص : المخلب للسبع بمنزلة الظفر للإنسان .

(٧) في هـ . ب : علقت .

(٨) في هـ . ب : هاجمتكم ، والداهية سميت بذلك لظلامها .

(٩) في د : فيها . (١٠) في هـ . ص : الفضيعة ما جاوز الحد لتدديد .

(١١) في ب : مضلعات ، وفي هـ . ب : من الضلع . وفي هـ . د : معضلات - ض . وفي هـ . ب : معضلات

أي مشكلات . وفي هـ . ص : معضلات ، اعضل الأمر اذا صعب وتعذر دفعه وفي نسخة شرح

ابن أبي الحديد : مضلعات ، قال : أي لخطوب التي تجعل الانسان ضالعا أي معوجا ، والماضي

ضلع بالكسر يضلعه ضلعا ، قال : ومن رواها بالطاء أراد الخطوب التي تجعل الانسان ظالعا أي

يغمر في مشيه ؛ لثقلها عليه ، والماضي طلع بالفتح ، انتهى من الشرح ٦ : ١١ .

(١٢) في ط : يخالف .

قوله ﷺ : «عقبة كؤوداً»::

لما كان موقف القيامة بين يدي الراحل من الدنيا وبين مصيره وغايته من جنّة ونار شُبّه بالطريق التي تفصل بين المحل الذي ينتقل منه وبين المنتقل اليه فاستعير له ما للطريق من الأسماء والصفات، فسمي صراطاً وعقبة وجسراً على جهنم، وجعلت أزماته المختلفة الأحوال بمنزلة المنازل المترتبة، ووصف بالكؤودة والمخافة والهول والدحض والوعوثة والضيق وكونه شائكاً، ومثل في الخيال بمسلك ممدود على هواء قدره قدر الشعرة دقة، تصويراً للخطر والهول والزلزلة التي ترهق الناس فيه، والله أعلم^(١).

(١) في هـ ص هنا ما يلي: وقد نقلنا هذا الكلام والسبب الذي اقتضاه من كتاب المعيار والموازنة فيما سبق.

ومن كلام له عليه السلام كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة، وقد عتبا عليه ^(١) من ترك مشورتهم والاستعانة في الأمور بهما ^(٢) :

لَقَدْ نَقَمْتُمَا ^(٣) يَسِيرًا، وَأَرْجَأْتُمَا ^(٤) كَثِيرًا ^(٥) . أَلَا تُخْبِرَانِي أَيُّ شَيْءٍ لَكُمَا ^(٦) فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ! أَوْ أَيُّ ^(٧) قَسَمٍ اسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ! أَوْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ ^(٨) إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ، أَمْ جَهَلْتُهُ، أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ! ^(٩)

وَاللَّهِ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلَافَةِ رَغْبَةٌ، وَلَا فِي الْوِلَايَةِ إِزِيَّةٌ ^(١٠)؛ وَلَكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا، وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَفْضَتْ ^(١١) إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا، وَأَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ، وَمَا اسْتَنْ ^(١٢) النَّبِيُّ ﷺ فَاقْتَدَيْتُهُ. فَلَمْ أُحْتَجْ إِلَى رَأْيِكُمَا، وَلَا رَأْيِ غَيْرِكُمَا، وَلَا وَقَعَ ^(١٣) حُكْمُ جَهْلْتُهُ فَأَسْتَشِيرُكُمَا وَإِخْوَانِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ^(١٤). وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أُرْغَبْ عَنْكُمَا وَلَا عَنْ غَيْرِكُمَا.

(١) لم يرد عليه في ص.

(٢) في هـ . ب: بعدما فعلا من الغدر والعظمة هو عتابهما عسى المؤمن لانه ترك مشاورتهما والاستعانة بهما.

(٣) في هـ . ب: أنكرتما، وفي هـ . ص: نقم بالفتح نقم هذه الفصيحاء وجاء نقم بالكسر ينقم بالفتح، انتهى من الشرح . (٤) في هـ . ب و ص: أخرتما.

(٥) في هـ . ص: يعي الطاعة والوفاء بالبيعة. (٦) في ط و د: زيادة كان.

(٧) في ص: وأي وفي ط و د: أم أي . (٨) في ب: دفعه، وفي هـ . ب: في نسخة رفعه.

(٩) في هـ . ب: أي وجهه.

(١٠) في هـ . ب: حاجة، وفي هـ . ص بكسر الهمزة بمعنى الارب وهي الحاجة.

(١١) في هـ . ب: بلغت. (١٢) في ب: استسن.

(١٣) في ب و ص: ولم يقع.

(١٤) في د: وإخواني المسلمين وفي هـ . د: وإخواني من المسلمين - ش

وَأَمَّا ^(١) مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْأُسُوءَةِ ^(٢)، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكَمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي، وَلَا وَلِيِّتُهُ ^(٣) هَوَى ^(٤) مِنِّي، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ اللَّهُ مِنْ قَسْمِهِ ^(٥)، وَأَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ. فَلَيْسَ لَكُمَا وَاللَّهُ عِنْدِي وَلَا لِيغَيْرِكُمَا فِي هَذَا عُثْبَى ^(٦).

أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَاللَّهِمَّنَا وَإِيَّاكُمْ الصَّبْرَ!
ثُمَّ قَالَ ﷺ :

رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا رَأَى حَقًّا فَأَعَانَ عَلَيْهِ، أَوْ رَأَى جَوْرًا فَرَدَّهُ، وَكَانَ عَوْنًا بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ.

قوله ﷺ: «ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية اربة»:

يريد ﷺ: لم أكن راغباً في الولاية رغبتكما، والتي تعتقدان اني عليها وهي ميل النفس اليها لشرف الرئاسة والاستيلاء على الأموال، ائما اطلبها عندما اطلبها، ودخلت فيها عندما دخلت فيها؛ لوجوب ما فعلت عليّ وكونه فرضاً لازماً فطلبتها في حال لأؤكد الحجّة على من منعني إياها وامتنعت عنها عندما طلبت لتتأكد الحجّة على من طالبني بها، ويظهر انه لم يكن ثم اكراه لأحد عليها، ثم ليتأكد وجه لزوم الدخول فيها بوجود الناصر، وقد أشار الى هذه المعاني في مواضع من كلامه.

فلا يتوهم من كلامه نفي النص عليه وكونه مستخلفاً، فان الولاية وهي التصرف في

(١) في ص: فأما .

(٢) في هـ ب: الاقتداء، والاسوة: قدوة يقتدى به، ولا يتمام هو الاتباع، يريد ﷺ القياس، فقال: لم أحكم بقرايتي ولا وليته بهوى نفسي، بل وجدت ما جاء به رسول الله ﷺ، ووجدت في كل مسألة نصاً من فعل النبي ﷺ. وفي هـ ص: قال في الشرح: ثم تكلم في معنى التفضيل في العطاء فقال: اني عملت بسنة رسول الله ﷺ في ذلك، وصدق ﷺ: فان رسول الله ﷺ ساوى بين الناس في العطاء، وهو مذهب أبي بكر. انتهى

(٣) هـ ب: التولية: الولاية والاقبال والادبار. (٤) في هـ د: وروي بهوى مني - ر.

(٥) في هـ ب: تقديره.

(٦) في هـ ص: أي رضى أي لست أرضيكما بارتكاب ما لا يحل لي من ارتكابه. شرح.

الأنفس والأموال والقيام بما الى الامام، غير كون الشخص اماماً بجعل الله له اماماً، ذلك فعله وهذا فعل الله وحكمه.

قال ابن أبي الحديد في شرح هذا الكلام كلاماً طويلاً في بيان سبب تغيير قلوب الناس على علي عليه السلام ومحاربتهم له، ونحن ننقل منه ما يقرر مذهب الشيعة ويدل على اعتراف الشارح بأمر طال ما مانع ثبوته وما حك وجادل، فقال:

ولقد كان عمر موقفاً حيث منع قريشاً والمهجرين وذوي السوابق من الخروج عن المدينة، ونهاهم عن مخالطة الناس، ونهى الناس عن مخالطتهم، ورأى أن ذلك أسُّ الفساد في الأرض، فإن الفتوح والغنائم قد أبطرت المسلمين، ومتى بُعد الرؤوس والكبراء منهم عن دار الهجرة، وانفردوا بأنفسهم، وخالطهم الناس في البلاد البعيدة لم يأمن أن يحسبوا لهم الوتوب، وطلب الإمرة ومفارقة الجماعة، وحلّ نظام الألفة، ولكنه نقض هذا الرأي السديد بما فعله بعد طعن أبي لؤلؤة له من أمر الشورى، فإن ذلك كان سبب كل فتنة وقعت، وتقع الى أن تنقضي الدنيا وقد قدّمنا ذكر ذلك، وشرحنا ما أدّى إليه أمر الشورى من الفساد بما حصل في نفس كل من الستّة من ترشيحه للخلافة^(١)

ثم ذكر ابن أبي الحديد روايات تدل على ما ذكر^(٢) من منع عمر لهم، وعلى ان عثمان خنى عنهم فخالطو الناس الى أن قال في شأن طلحة والزبير: صار لهما لفيف عظيم من المسلمين يمتنونهما للخلافة، ويحسبون لهما طلب الإمرة، لاسيما وقد رشّحهما عمر لهما، وأقامهما مقام نفسه في تحملها، وأي امرئ منى بها قطّ نفسه ففارقها حتى يغيب في اللحد! لاسيما طلحة قد كان يحدث بها نفسه وأبو بكر حيّ، ويروم أن يجعلها فيه، لشبهة أنه ابن عمّه، وسخط خلافة عمر، وقال لأبي بكر: ما تقول لرّبك وقد وليت علينا فظاً غليظاً! وكان له في أيام عمر قوم يجلسون اليه، ويحدثونه سرّاً في معنى الخلافة...

الى أن قال ابن أبي الحديد: فلما صارت الى عثمان سخطها طلحة بعد أن كان رضىها، وأظهر ما في نفسه، ولّب عليه حتى قُتِل، ولم يشك أن الأمر له، فلما صارت الى علي عليه السلام، حدث منه ما حدث، وآخر الدواء الكي.

وأما الزبير فلم يكن إلا علويّ الرأي، شديد الولاء.

ويقال: إنه عليه السلام لما استنجد بالمسلمين عقيب يوم السقيفة وما جرى فيه، وكان يحمل فاطمة عليها السلام ليلاً على حمار، وابناها بين يدي الحمار، وهو عليه السلام يسوقه ويطرق بيوت الأنصار، ويسألهم النصرة والمعونة، أجابه أربعون رجلاً، فبايعهم على الموت، وأمرهم أن يصبحوا بكرّة محلّقي رؤوسهم ومعهم سلاحهم، فأصبح لم يوافيه منهم إلا أربعة: الزبير، والمقداد، وأبو ذرّ، وسلمان. ثم أتاها من الليل، فناشدهم فقالوا: نصبتك غدوة؛ فما جاءهم إلا الأربعة، وكذلك في الليلة الثالثة، وكان الزبير أنقذهم بصيرة وأشدّهم له طاعة، حلق رأسه وجاءه مراراً وفي عنقه سيفه، وكذلك الثلاثة الباقيون، إلا أن الزبير كان الرأس فيهم وقد نقل الناس خبر الزبير لما هجم عليه بيت فاطمة عليها السلام، وكسر سيفه في صخرة ضربت به، ونقلوا اختصاصه بعلي عليه السلام، وخلواته به. ولم يزل موالياً له، متمسكاً بحبه ومودّته، حتى نشأ ابنه عبدالله فشبه، فترع به عرق من الأمّ، ومال إلى تلك الجهة وانحرف عن هذه، ومحبة الوالد للولد معروفة، فانحرف لزبير لانحرافه؛ انتهى^(١).

قلت: ولا يخفى ما في هذا الكلام من تقرير ان انحراف الناس عن علي عليه السلام كان أمراً حادثاً سببه تولي غيره ومصير الأمر إلى من تولاه لما تسبب من هذا من المفساد وان الأمر لو عفد له بعد موت رسول الله ﷺ ما حصل في الأمة فساد أصلاً.

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٤.

ومن كلام له عليه السلام وقد سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم

بصفين :

إِنِّي ^(١) أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ، وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ، كَانَ أَصُوبَ فِي الْقَوْلِ، وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ:
 اللَّهُمَّ أَحِقِّ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنَهُمْ، وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مِنْ جَهْلِهِ، وَيَرْعَوْى ^(٢) عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ مِنْ لَهَجٍ ^(٣) بِهِ !

وجدت في بعض لكتب المؤلفة في اخبار صفين، لما ذكر ان أمير المؤمنين عليه السلام عسكر بالخبيثة لما أراد المسير الى صفين قبل الواقعة ما صورته: قال: وخرج حجر بن عدي، وعمر بن الحمق، يظهران البراءة واللعن من أهل الشام، فأرسل اليهما علي: أن يكفَّا ^(٤)، فأتياه فقالا: يا أمير المؤمنين: ألسنا محقِّين؟ قال: بلى قالوا: أوليسوا مبطلين؟ قال: بلى. قالوا: فلم منعنا من ستمهم؟ قال: «كرهت لكم أن تكونوا لعانيين شتامين، تشتمون وتبترءون، ولكن لو وصفتهم مساوئ أعمالهم فقلتكم من سيرتهم كذا وكذا، ومن عملهم كذا وكذا، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر. و [لو ^(٥)] قلتكم مكن لعنكم إياهم وبرءتكم منهم: اللهم حقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهددهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق منهم من جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به، كان هذا أحب إليّ وخيراً لكم». فقالوا: يا أمير المؤمنين، تقبل عظمتك، وتتأدب بأدبك. وقال

(١) في ب: انني وفي هـ. ب في نسخة: اني .

(٢) في هـ. ب: الارعواء: النزوع عن الغي والرجوع عن الخطأ. يكف ارعوى عن القبيح رجع.

(٣) أي ولع به وحرص عليه وفي هـ. ب: حرص

(٤) في ط ان كفا عمّا يبلغني عنكما . (٥) ما بين المعقوفين من ط.

عمرو بن الحمق: يا أمير المؤمنين ما أحببتك ولا بايعتك على قرابة بيني وبينك، ولا على مالٍ تؤتينيهِ، ولا على التماس سلطان ترفع ذكرى به^(١)؛ ولكن أحببتك لخصالٍ خمس: أنك ابن عم رسول الله ﷺ، وأول من آمن به، وزوجُ سيِّدة نساء الأمة فاطمة بنت محمد ﷺ، وأبو الذريَّة التي بقيت فينا من رسول الله ﷺ، وأعظم رجل من المهاجرين سهماً في الجهاد. فلو أني كُلفت نقل الجبال الرواسي، ونزخ^(٢) البحور الطوامي حتى يأتي عليَّ يومي في أمرٍ أعزَّ به وليَّك وأوهن به عدوك، ما رأيت أني أدِّيت فيه ما يجب عليَّ من حقِّك.

فقال أمير المؤمنين عليّ: اللهم نور قلبه بالتقوى، وهدِّه إلى صراط مستقيم، ليت ان في جندي مائة مثلك.

فقال حجر: إذا والله، يا أمير المؤمنين يصحَّ جندك ويقل فيهم من يغشك، انتهى^(٣). قلت: وفي هذا الكلام دليل على الكراهة دون التحريم، فلا يحسن السبَّ لا لسببٍ يقتضيه، والله أعلم.

قال في الشرح: والذي كرهه ﷺ منهم، أنهم كانوا يشتمون أهل الشام، ولم يكن يكره منهم لعنهم إياهم، والبراءة منهم، كما يتوهمه قومٌ من الحشوية، فيقولون: لا يجوز لعن أحدٍ ممَّن عليه اسم الاسلام، وينكرون على من يلعن، ومنهم من يغالي في ذلك، فيقول: لا ألعن الكافر، ولا ألعن إبليس، وإن الله تعالى لا يقول لأحدٍ يوم القيامة: لمَ لم تلعن؟ وإنما يقول: لمَ لَعَنْتُ؟

واعلم أن هذا خلاف نصِّ الكتاب، لأنه تعالى قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾^(٤).

وقال: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾^(٥).

وقال في إبليس: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٦).

(١) العبارات في ط قريبة المعنى من هذا. (٢) في ط: ونزح.

(٣) وقعة صفين، لنصر بن مزاحم: ١٠٣. (٤) الأحزاب: ٦٤.

(٥) البقرة: ١٥٩. (٦) سورة ص: ٧٨.

وقال: ﴿مَلْعُونَيْنِ أَنْتَمَا ثِقِفُوا﴾^(١).

وفي الكتاب العزيز من ذلك الكثير الواسع.

وكيف يجوز للمسلم أن ينكر التبرّي ممّن يجب التبرّي منه! ألم يسمع هؤلاء قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لَقَوْمِهِمْ إِنَّا بِرَأَيْهِمْ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾^(٢) وإنما يجب لنظر فيمن قد اشتبهت حاله؛ فإن كان قارف كبيرة من الذنوب يستحقّ بها اللعن والبراءة؛ فلا ضيرَ على مَنْ يلعنه ويتبرأ منه، وإن لم يكن قد قارف كبيرة لم يجرّ لعنه، ولا البراءة منه.

وممّا يدلّ على أنّ مَنْ عليه اسم الإسلام إذا ارتكب الكبيرة يجوز لعنه، بل قد يجب في وقت، قول الله تعالى في قصّة اللعان: ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾^(٣).

وقال تعالى في الفاذف: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٤).

فهاتان الآيتان في المكلفين من أهل القبلة، والآيات قبلهما في الكافرين والمنافقين؛ ولهذا قنّت أمير المؤمنين عليه السلام على معاوية وجماعة من أصحابه، ولعنهم في أدبار الصلوات.

فإن قلت: فما صورة السبّ الذي نهى أمير المؤمنين عليه السلام عنه؟

قلت: كانوا يشتمّونهم بالآباء والأمهات، ومنهم مَنْ يطعن في نسب قوم منهم، ومنهم مَنْ يذكرهم [باللؤم، ومنهم مَنْ يعيّرهم]^(٥) بالجبن والبخل وبأنواع الأهاجي التي ينتهاجى بها الشعراء، وأساليبها معلومة، فنهاهم عليه السلام عن ذلك، وقال: إني أكره لكم أن تكونوا سبّايين؛ ولكن الأصوب أن تصفوا أعمالهم، وتذكروا حالهم؛ أي أن تقولوا إنهم فسّاق؛ وإنهم أهل

(١) الأحزاب: ٦١.

(٢) الممتحنة: ٤.

(٣) النور: ٦، ٧.

(٤) النور: ٢٣.

(٥) من ط.

ضلال وباطل. انتهى من شرح ابن أبي الحديد^(١).

وأقول: ما ذكره محتمل، والأظهر خلافه؛ لأن أمير المؤمنين عليه السلام ذم الأشعث بنسبه وحرفته، ورسول الله ﷺ ذم معاوية بكثرة أكله وبغضه عجزته، وكذلك ذمه به أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت شعراء رسول الله ﷺ تهاجي قريشاً بالجبن وبالطعن في الأنساب. وقارّهم رسول الله ﷺ على ذلك.

والأولى أن يقال: لا يخلو النهي أن يكون على جهة التنزيه أو للتحريم، فإن كان على وجه الكراهة فوجهه أنه لم يكن هناك مقتضى يرجح فعله كما في الوقت الذي لعن فيه أمير المؤمنين معاوية ومن معه.

ولعله عليه السلام كان قبل الواقعة يرجو رجوع أهل الشام عن غيهم، وظن أن في سيئهم تنفيراً لهم فيكون النهي على نحو قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(٢). من ترجيح صرف المفسدة في حال، وعلى نحو قوله عليه السلام: إذا كان لكم براءة من أحد فقفوه حتى بلية الموت - كما سبق^(٣).

وان كان على وجه التحريم، فلعله عرف من حال السبايين أنهم كانوا يخرجون سيئهم مخرج التنقص الديني، ولم يكن يخرجونه مخرج العقوبة والمعاملة الدينية، والذم يجري مجرى الجد، وقد نصوا على أنه يحرم فعل الحد على جهة التشفي، ولكن على وجه إقامة الشرع وقد سبق له عليه السلام نصير ذلك حيث نهى عن عيب الناس وتعييرهم بمعاصيهم مع عيبه لكثير من العصاة بمعاصيهم.

فهذا من الأمور التي تقع على وجوه تختلف أحكامها باختلافها، والله أعلم.

(٢) الأنعام: ١٠٨.

(١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٣.

(٣) راجع شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٠١.

ومن كلام له عليه السلام في بعض أيام صيفين، وقد رأى الحسن ابنه عليه السلام يتسرع^(١) إلى الحرب :

أَمْلِكُوا^(٢) عَنِّي هَذَا الْغُلَامَ لَا يَهْدِي^(٣)؛ فَإِنِّي أَنَفْسُ^(٤) بِهِذَيْنِ - يَعْنِي الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - عَلَى الْمَوْتِ لِنَلَأٍ يَتَقَطَّعُ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .
قَالَ الرِّضِيُّ أَبُو الْحَسَنِ^(٥):

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَمْلِكُوا عَنِّي هَذَا الْغُلَامَ» مِنْ أَعْلَى الْكَلَامِ وَأَفْصَحِهِ .

* * *

قوله عليه السلام: «املكوا عني»:

الألف في «املكوا» ألف وصل؛ لأن الماضي ثلاثي، من ملكت الفرس والعبد والدار. أملك بالكسر، أي احجروا عليه كما يحجر المالك على مملوكه.

وعن، متعلقة بمحذوف تقديره: استولوا عليه وأبعدوه عني، انتهى من الشرح^(٦)
وأقول: الأظهر أن من متعلقة بمعنى الكلام إذ معناه املكوا أمره نيابة عني. وتولوه بتولية مني، صادرة عن أمري لكم بها، والله أعلم

ووجه علو هذا الكلام وفصاحته أنه لما كان في: «املكوا» معنى البعد، أعقبه بعن، وذلك أنهم لا يملكونه دون أمير المؤمنين عليه السلام إلا وقد أبعادوه عنه؛ ألا ترى أنك إذا حجرت على زيد دون عمرو، فقد باعدت زيدا عن عمرو؛ فلذلك قال: املكوا عني هذا الغلام، انتهى من شرح ابن أبي الحديد^(٧).

(١) في هـ. ب: سرع جذلا

(٢) في هـ. ب: امسكوا، يقال: كننا في أملاك فلان، أي ملكنا دبتة أو امرأته أو فرسه أو غير ذلك

(٣) في هـ. ب: لا يكسرني.

(٤) في هـ. ب: أي ابخل وفي هـ. ص: أي أضيق وأبخل.

(٥) من ط . (٦) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٥.

(٧) راجع شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٦ وانظر البحار ٣٢: ٥٦٢.

وأقول: ان هذا كلام مضطرب، وقصارى محصولة انه أمرهم بتبعية الحسن عنه، ثم يمنعونه من القتال؟ وهذا لا طائل تحته، فكيف يكون في أعلى الدرجات. والأظهر أن «عن» متعلقة بمعنى النيابة والخلفية فقد وكلهم على متعه في محضره ومغيبه.

ووجه علوه وفصاحته تضمنه للتأكيد والمبالغة؛ لأنه جعل متعة حقاً عليه واجباً ولأهم إياه، فهو أكد من المكنى عنه وهو امنعوا هذا الغلام من الحرب وأفخم وأروع، والله أعلم.

وقوله ﷺ. «نسل رسول الله ﷺ»:

أجمعت الأمة - إلا من ينسب الى العناد والجحد - ان الحسن والحسين وذريتهما ذرية رسول الله ﷺ.

وروى ابن حنبل في المناقب، عن عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي، وكل ولد أب فان عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فانتى أنا أبوهم وعصبتهم» انتهى^(١).
والروايات بهذا المعنى كثيرة، والله أعلم.

(١) نقله العلامة المجلسي في البحار ٢٥: ٢٤٧، ح ٤.

ومن كلام له ﷺ قاله لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة :
 أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَى مَا أَحَبُّ . حَتَّى نَهَكَتْكُمْ^(١) الْحَرْبُ ، وَقَدْ وَاللَّهِ
 أَخَذْتُ مِنْكُمْ وَتَرَكْتُ^(٢) ، وَهِيَ لِعَدُوِّكُمْ أَنْهَكَ .
 لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيرًا ، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُورًا ، وَكُنْتُ أَمْسِ نَاهِيًا ، فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ
 مَنُهِيًا . وَقَدْ أَحْبَبْتُمْ الْبَقَاءَ ؛ وَلَيْسَ لِي أَنْ أُحْمِلَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ !

* * *

[فأما قوله: «كنت أمس أميراً، فأصبحت اليوم مأموراً»]، فقد قدّمنا شرح حالهم من
 قبل، وأنّ أهل العراق لما رفع عمرو بن العاص ومن معه المصاحف على وجه المكيدة
 حين أحسّ بالعطب وعلوّ كلمة أهل الحقّ، ألزموا أمير المؤمنين عليه بوضع أوزر الحرب،
 وكفّ الأيدي عن القتال، وكانوا في ذلك على أقسام
 فمنهم من دخلت عليه الشبهة برفع المصاحف، وغلب على ظنه أنّ أهل الشام لم
 يفعلوا ذلك خُدعة وحيلة، بل حقّاً ودعاء إلى الدين وموجب الكتاب، فرأى أنّ الاستسلام
 لسحبة أولى من الإصرار على الحرب.
 ومنهم من كان قد ملّ الحرب، وآثر السّلم، فلمّا رأى شبهة ما يسوغ التعلّق بها في
 رفض المحاربة وحبّ العافية أخلد إليهم.

ومنهم من كان يُبغض عليّاً عليه بباطنه، ويطيعه بظاهره، كما يطيع كثير من الناس
 السلطان في الظاهر ويبغضه بقلبه، فلمّا وجدوا طريقاً إلى خذلانه وترك نصرته، أسرعوا
 نحوها، فاجتمع جمهور عسكره عليه، وطالبوه بالكفّ وترك القتال، فامتنع امتناع عالم
 بالمكيدة، وقال لهم: إنها حيلة وخديعة، وإنّي أعرفُ بالقوم منكم [إنهم ليسوا بأصحاب

(١) في هـ. ب: أضعفكم

(٢) في هـ. ب: أثرت فيكم وأخذت منكم الشجاعة، أو أن شدة الحرب أخذت منكم فترككم.

قرآن ولا دين، قد صحبتهم وعرفتهم صغيراً وكبيراً، فعرفت منهم الإعراض عن الدين، والركون إلى الدنيا، فلا تراغوا برفع المصاحف، وصمّموا على الحرب، وقد ملكتموهم، فلم يبق منهم إلا حشاشة ضعيفة، وذمّاء قليل^(١). فأبوا عليه، وألحوا وأصرّوا على القعود والخذلان، وأمرّوه بالإنفاذ إلى المحاربين من أصحابه، وعليهم الأشر أن يأمرهم بالرجوع، وتهذّده إن لم يفعل بإسلامه إلى معاوية، فأرسل إلى الأشر يأمره بالرجوع وترك الحرب، فأبى فقال: كيف أرجع وقد لاحت أمارات الظفر! فقولوا له: «ليمهلني ساعة وحدة»، ولم يكن علم صورة الحال كيف قد وقعت. فلما عاد إليه الرسول بذلك، غضبوا ونفروا وشغبوا، وقالوا: أنفذت إلى الأشر سرّاً وباطناً، تأمره بالتصميم، وتنهاه عن الكفّ، وإن لم تعد الساعة، وإلا قتلناك كما قتلنا عثمان، فرجعت الرّسل إلى الأشر فقالوا له: أتحبّ أن تظفر بمكانك وأمير المؤمنين قد سلّث عليه خمسون ألف سيف، فقال: ما الخبر؟ قال: إنّ الجيش بأسره قد أحرق به، وهو قاعد بينهم على الأرض. تحتة نطع، وهو مطرّق، والبارقة تلمع على رأسه، يقولون: لئن لم تُعد الأشر قتلناك [قال: ويحكم! فما سبب ذلك؟ قالوا: رَفَع المصاحف، قال: والله لقد ظننت حين رأيتهما رُفعت أنّها ستوقع فرقةً وفتنة].

فكر راجعاً على عقبيه، فوجد أمير المؤمنين عليه السلام تحت الخطر، قد ردّده أصحابه بين أمرين: إمّا أن يُسلموه إلى معاوية، أو يقتلوه، ولا ناصر له منهم إلا ولداه وابن عمّه ونفر قليل لا يبلغون عشرة، فلما رآهم الأشر سيّهم وشتهم [وقال: ويحكم! أبعد الظّفر والنصر صبّ عليكم الخذلان والفرقة! يا ضعاف الأحلام! يا أشباه النساء! يا سفهاء العقول] فشتموه وسبّوه، وقهروه وقالوا: المصاحف المصاحف! والرجوع إليها، لا نرى غير ذلك! فأجاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى التحكيم، دفعاً للمحذور الأعظم بارتكاب المحذور الأضعف [فلذلك قال: «كنت أميراً فأصبحت مأموراً، وكنت ناهياً فصرت منهياً»^(٢).

(١) من ط.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٣١، وما بين المعقوفات من ط.

ومن كلام له عليه السلام بالبصرة ، وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي ؛ وهو من أصحابه يعودده فلما رأى سعة داره قال :

مَا كُنْتُ تَصْنَعُ بِسَعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا ، أَمَا أَنْتَ ^(١) إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ كُنْتُ أَخُوجُ !
وَبَلَى إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ : تَقْرِي ^(٢) فِيهَا الضَّيْفَ ، وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ ، وَتُطْلِعُ ^(٣) مِنْهَا
الْحَقُوقَ مَطَالِعَهَا ^(٤) ، فَإِذَا ^(٥) أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ !

فَقَالَ لَهُ الْعَلَاءُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَشْكُو إِلَيْكَ أَخِي عَاصِمَ بْنَ زِيَادٍ .

قال : وماله ؟

قال : لَيْسَ أَلْعِبَاءُ ^(٦) ، وَتَخْلَى مِنَ الدُّنْيَا .

قال : عَلَى بِهِ . فلما جاء قال : يَا عُدَيَّ ^(٧) نَفْسِيهِ ! لَقَدْ اسْتَهَامَ ^(٨) بِكَ الْخَبِيثُ ! أَمَّا رَحِمْتُ
أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ ! أَتَرَى أَنَّهُ أَخْلَلَ لَكَ الطَّيِّبَاتِ ، وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا ! أَنْتَ أَهْوَنُ ^(٩) عَلَى اللَّهِ
مِنْ ذَلِكَ !

قال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذَا أَنْتَ فِي خُسُوفَةٍ ^(١٠) مَلْبَسِكَ ، وَجُسُوفَةٍ ^(١١) مَأْكَلِكَ !
قَالَ : وَيَحَكَ إِنْ شِئْتُ كَأَنْتَ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أُمَّةٍ أَلْعَدَلِ ^(١٢) أَنْ

(١) في ب و د: أنت وليس فيها «و» وهي في هـ د: أما أنت إليها - ح و ب

(٢) في هـ ب: تطعم.

(٣) في هـ ب: تخرج يقال: اطلع النحل ما خرج طلعا.

(٤) في هـ ب: مواضعها.

(٥) هـ ب: إذا هنا للمفاجأة.

(٦) في د: لعباءة، وفي هـ ص: العباء جمع عباءة مهموزاً وقد لا يهمز، وهو الكساء.

(٧) في هـ ب: تصغير العدو.

(٨) استهام.

(٩) في هـ ب: من الهون.

(١٠) في هـ ب و ص: الخشن ضد اللين.

(١١) في هـ ب: الطعام الجشب هو لذي لا ادام له، وفي هـ ص: أي غلظة، فهو ما يؤكل لدفع الجوع لا للذة.

(١٢) في ط و د: الحق، وفي هـ و ص في نسخة: الحق.

يُقَدِّرُوا^(١) أَنْفُسَهُمْ بِضَعْفَةِ النَّاسِ ، كَيْلًا يَتَّبِعَ^(٢) بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ !

قوله ﷺ: « كَيْلًا يَتَّبِعُ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ »:

أي يهيج ويتزايد ضرره، يقال: يتبَّعُ الدم وتبَّوع: اذا هاج. وغلا فأضر بصاحبه.
واعلم ان الزهد ورفض الدنيا خلق النبيين وأحب الخلال الى ربِّ العالمين وكلام أمير المؤمنين ﷺ مشحون بذلك فلا يؤخذ من هذا الكلام كراهته والمنع منه، وله محمل.
والتحقيق: ان الزهد بالقلب واخراج زينة الدنيا من النفس ليس له إلا وجه واحد وهو الوجوب كما في حق النبي ﷺ، أو الندب كما في حق غيره. واما اظهار الزهد في الأحوال فانه يقع على وجوه ترجحه وترجّح خلافه.
وقد أشرنا الى نحو هذا فيما سبق مع تفصيل قليل فراجع، والله أعلم.

(٢) في هـ. ب: يتبَّع.

(١) في هـ. ص: أي يشبهوا ويمثلوا.

ومن كلام له ﷺ وقد سألته سائل عن أحاديث البدع، وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر، فقال ﷺ :

إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلًا، وَصِدْقًا وَكَذِبًا، وَنَاسِخًا وَمَنْسُوحًا، وَعَامًّا وَخَاصًّا، وَمُحْكَمًا وَمُتَشَابِهًا^(١)، وَحِفْظًا وَوَهْمًا^(٢).

وَلَقَدْ كَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَهْدِهِ، حَتَّى قَامَ خَطِيبًا، فَقَالَ: «مَنْ كَذَبَ عَلَى مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». وَإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ، لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ : رَجُلٌ مُتَافِقٌ مَظْهُورٌ لِلْإِيمَانِ، مُتَّصِعٌ بِالْإِسْلَامِ، لَا يَتَأَنَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ^(٣)، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُتَعَمِّدًا، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُتَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا: صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رَأَاهُ^(٤) وَسَمِعَ مِنْهُ^(٥)، وَلَقِفَ عَنْهُ^(٦)؛ فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللَّهُ عَنِ الْمُتَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ^(٧)، فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَيْمَةِ الضَّلَالَةِ^(٨)، وَالِدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ، فَوَلَّوهُمْ الْأَعْمَالَ، وَجَعَلُوهُمْ حُكَّامًا^(٩) عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، فَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ

(١) في هـ. ص: وهذا دليل على وقوعهما في السنة كم في الكتاب.

(٢) في هـ. ص: الهاء مفتوحة مصدر وهمت بالكسر أو وهم أي غلطت وسهوت وقد روي وهم، بالتسكين وهو مصدر وهمت بالفتح سم إذا ذهب وهمك إلى شيء وأنت تريد غيره والمعنى متقارب، انتهى من الشرح.

(٣) في هـ. ب: أي لا يرى أثماً ولا حرجاً، وفي هـ. ص: والتأثم الكف عن موجب الأثم والتحرج الكف عن موجب الحرج. (٤) في هـ. د: رأى - ب.

(٥) في ب: به وفي هـ. ب: في نسخة منه. (٦) أي تناول وأخذ عنه.

(٧) في هـ. ب و ص و د زائدة ﷺ وفي هـ. ب: بعد النبي.

(٨) في ص: الضلال.

(٩) لم ترد «حكاماً» في ب و ص و د وفي هـ. ب: حاكماً على رقاب الناس، وفي هـ. د: وجعوههم حكماً - ض ح ب.

الْمُلُوكِ وَالذُّنْيَا، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ. فَهَذَا أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ ^(١).

وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ^(٢) شَيْئًا لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَوَهِمَ ^(٣) فِيهِ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِبًا، فَهُوَ فِي يَدَيْهِ، يَرْوِيهِ ^(٤) وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهَمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ ^(٥). وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذَلِكَ لَرَفَضَهُ.

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ، سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا، يَأْمُرُ بِهِ، ثُمَّ ^(٦) نَهَى عَنْهُ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ^(٧)، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ^(٨)، فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ، فَلَوْ عَلِمَ ^(٩) أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ. وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ.

وَآخَرُ رَابِعٌ ^(١٠)، لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ، مُبِغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ ^(١١)، وَتَعْظِيمًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَهَمْ ^(١٢)، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى سَمْعِهِ ^(١٣)، لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ، فَهُوَ ^(١٤) حَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ، وَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ ^(١٥)، وَعَرَفَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ، وَعَرَفَ الْمُتَشَابِهَ وَمَحْكَمَهُ ^(١٦) وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَلْكَالُ لَهُ وَجْهَانِ، فَكَلَامٌ خَاصٌّ، وَكَلَامٌ

(١) في هـ د: فهو أحد الأربعة - ب. (٢) في ب و ض زيادة ﷺ.

(٣) أي غلط وأخطأ.

(٤) في ط: ويرويه، وفي هـ د: ويرويه - ض ح ب.

(٥) في هـ د: لم يقبلوا منه - ض ب ل. (٦) في ط: ثم انه، وفي هـ د: ثم انه - ض، ح.

(٧) في هـ ب: أي وهو لا يعلم نهيه. (٨) في هـ ب: أي وهو لا يعلم انه أمر به.

(٩) في ب و ص د: فلو يعلم، وفي هـ د: فلو علم - ض ح ب.

(١٠) في هـ ص: قال ابن الجوزي في كتابه ذخيرة الصابرين: وإنما دل بهذا على نفسه انتهى، وفي أمالي أحمد بن عيسى مارسه: قال سمعت أبا الطاهر العلوي يذكر قال: إذا سمعت حديثين وثبتا عندي حديث عن النبي ﷺ وحديث من علي، أخذت بالحديث الذي من علي لأنه كان أعلم الناس بآخر ما كان عليه النبي ﷺ.

(١١) في ب و ص و د: خوفاً لله، وفي هـ د: خوفاً من الله - ض ح ب.

(١٢) في هـ ب: من لوهم.

(١٣) د: على ما سمعته، وفي هـ د: على سمعته ص ح ب ش.

(١٤) لم ترد «فهو» في ب ر د. (١٥) في هـ ب: أي أخذ عنه جانباً.

(١٦) العبارة في ط هكذا: والمحكم ومتشابه فوضع كل شيء موضعه.

عَامٌ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنِ اللَّهِ^(١) بِهِ، وَلَا مَا عَنِ^(٢) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ، وَيُوجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ، وَمَا قَصَدَ بِهِ، وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ^(٣)، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنْ^(٤) كَانَ يَسْأَلُهُ، وَيَسْتَفْهِمُهُ، حَتَّى إِنْ^(٥) كَانُوا لَيَحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ أَوْ الطَّارِي^(٦)، فَيَسْأَلُهُ ﷺ^(٧)، حَتَّى يَسْمَعُوا^(٨)، وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِى مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ، وَحَفِظْتُهُ.

فَهَذِهِ وَجْوهٌ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلَافِهِمْ وَعَلَلِهِمْ^(٩) فِي رِوَايَاتِهِمْ.

قوله ﷺ: «رجل متافق ... الى قوله: لرفضوه»:

اعلم ان الجرح والتعديل على قواعد المحدثين لا تنفي هذه العلل التي ذكرها أمير المؤمنين ﷺ.

ام أولاً: فلأن أكثر القول فيه مبني على الهوى، ألا ترى القوم حكموا بعدالة كل صحابي؟ وكلام أمير المؤمنين ﷺ - هذا - في الرواة من الصحابة.

وأيضاً جعلوا التسريح بدعة، وضده سنة، فحكموا بجرح كل شيعي وبعدالة كل ناصبي، فكم من مجروح معدل ومعدل مجروح، ولهم في ذلك خبط واضطراب.

وام ثانياً: فلأن النسخ والوهم وكون اللفظ مراداً به غير ما فهمه الراوي، لا يعرف بالرجال، بل بالمعرفة بمقاصد الشرع، وانما الذي ينفي كل ما ذكره ﷺ من العلل ويوضح

(١) في ط و د زيادة سبحانه، وفي هـ. د: ما عني الله به - ش.

(٢) في ب و ص زيادة به.

(٣) في هـ. ب: أي ما خرج من سببه، أي يسأل رسول الله ﷺ وأشفعهم منه القوم: ذ طلع عليهم

وفي هـ. ص: بالهمز؛ الطالع على القوم من غيرهم.

(٤) لم ترد «من» في د، وفي هـ. د: من كان - ص ح ب.

(٥) في هـ. ص: ان مخفقة من الثقيلة ولذلك جاء اللام في الخبر عن الشرح.

(٦) في ط: والطارئ (٧) في هـ. ب: «فيسأله» عائد الى النبي.

(٨) في هـ. ص: وذلك لأنهم لما نهوا عن السؤال عن أشياء هابوا ولم يكن لأكثرهم جودة تميز

بين ما يحسن السؤال عنه وما لا، كما كان لعلي ﷺ

(٩) في هـ. ص: روى بالرفع مطلقاً على وجوه مروى بالجرح عطفاً على اختلافهم.

الصحيح من الخطل ما اعتمده أئمتنا عليه السلام من الرجوع الى كتاب الله في القبول، والرد لما وقع الشك فيه من الحديث.

قال الامام القاسم بن محمد في أساسه والسيد أحمد بن محمد عليه السلام في شرحه: «وما نقل من الأخبار أحاديثاً قلّه تفاصيل فيها خلافاً مذكورة في كتب الأصول، وأصحها قول من يوجب العرض عني الكتاب أي عرض الخبر الأحادي على القرآن.

وهذا قول القاسم والهادي وولده المرتضى، والقاسم بن علي العياني وغيرهم. وعن الحارث الأعور انه دخل على علي عليه السلام فقال: ان الأحاديث قد كثرت فقال: قد فعوها؟! سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: تكون فتنة تكثر فيها الأحاديث.

قللت: يا نبي الله فما المخرج؟

فقال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخير ما بعدكم وحكم ما بينكم... الخبر. ذكره في المستحسنة وغيرها.

وانما كان هذا القول أصحها لقوله صلى الله عليه وآله: «ألا وانه سيكذب عليّ كما كذب على الأنبياء من قبلي»، فما روي عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فهو مني وانا قلته وما خالفه فليس مني ولم أقله.

وهذا خبر تلقاه الاصوليون بالقبول واحتجوا به فيجري مجرى المحكم من الكتاب فيرد اليه ما وقع فيه من الاشتباه من الأخبار. انتهى

وفي موضع من شرح الأساس قال المرتضى محمد بن الهادي الى الحق في جواب من سأله ما لفظه:

وقلت: لأي معنى لم ندخ الأحاديث في أقوالنا؟ ولسنا ندخل ما كان من الحديث باطلاً عندنا، وانما كثير من الأحاديث مخالفة لكتاب الله ومصادمة له فلم نلتفت اليها، ولم نحتج الى ما كان كذلك منها، وكلّم وافق الكتاب وشهد له بالصواب صحّ عندنا وأخذنا به، وما كان أيضاً من الحديث مما رواه أسلافنا أباً عن أب عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله فنحن نحتج به.

وما كان مما رواه الثقات من أصحاب محمد ﷺ قبلناه وأخذنا به وأنفذهناه وما كان خلاف ذلك لم نرضه صواباً ولم نقل به ، انتهى .

قوله ﷺ: «وكان لا يمر بي شيء من ذلك إلا سألت عنه وحفظته»، هذا على عادته ﷺ في الإشارة إلى كونه المحق واجب الاتباع، بعد أن يذكر محققاً ومبطلاً مجملين - في غير موضع من كلامه -

وهو ﷺ يريد الحث على اتباعه والأخذ عنه لا عن غيره، لأمن المفسد في الأخذ عنه، بخلاف غيره، والطريق الذي يكون سالكها وانقاً بالوصول إلى مطلوبه آمناً من مخاوف المسالك واجبة السلوك لا يجوز العدول عنها، والله أعلم

قال في شرح ابن أبي الحديد: واعلم أن أمير المؤمنين ﷺ كان مخصوصاً من دون الصحابة رضوان الله عليهم بخلوات كان يخلو بها مع رسول الله ﷺ، لا يطلع أحدٌ من الناس على ما يدور بينهما، وكان كثير السؤال للنبي ﷺ عن معاني القرآن وعن معاني كلامه ﷺ، وإذا لم يسأل ابتدأه النبي ﷺ بالتعليم والتثقيف، ولم يكن أحدٌ من أصحاب النبي ﷺ كذلك، بل كانوا أقساماً: فمنهم من يهابه أن يسأله، وهم الذين يحبون أن يجيء الاعرابي أو الطاري فسأله وهم يسمعون، ومنهم من كان بليداً بعيد النهم قليل الهمة في النظر والبحث، ومنهم من كان مشغولاً عن طلب العلم وفهم المعاني، إما بعبادة أو دنيا، ومنهم المقلد الذي يرى أن فرضه السكوت وترك السؤال، ومنهم المبغض الشائن الذي ليس للدين عنده من الموفق ما بضيق وفته وزمانه بالسؤال عن دقائقه وغوامضه، وانصاف إلى الأمر الخاص بعلي ﷺ ذكاًؤه وفطنته، وطهارة طينته، وإشراق نفسه وضوءها، وإذا كان المحل قابلاً متهيئاً، وكان الفاعل لمؤثر موجوداً، والموانع مرتفعة، حصل الأثر على أتم ما يمكن؛ فلذلك كان علي ﷺ - كما قال لحسن البصري - رباني هذه الأمة وذا فضلها؛ ولذا تسميه الفلاسفة: إمام الأئمة وحكيم العرب^(١).

[ذكر بعض أحوال المنافقين بعد وفاة محمد ﷺ]:

فوله ﷺ: «وانما اتاك بالحديث أربعة رجال... الى آخره»:

قال في شرح ابن أبي الحديد واعلم أن هذا التقسيم صحيح، وقد كان في أيام الرسول ﷺ منافقون، وبَقُوا بعده، وليس يمكن أن يقال: إن النفاق مات بموته، والسبب في استتار حالهم بعده أنه ﷺ كان لا يزال يذكرهم بما ينزل عليه من القرآن، فإنه مشحون بذكرهم، ألا ترى أن أكثر ما نزل بالمدينة من القرآن مملوء بذكر المنافقين، فكان السبب في انتشار ذكرهم وأحوالهم وحركاتهم هو القرآن، فلما انقطع الوحي بموته ﷺ لم يبق من يَنْعَى عليهم سقطاتهم ويُوَبِّخهم على أعمالهم، ويأمر بالحدَر منهم، ويجاهرهم تارة، ويجاملهم تارة^(١)، وصار المتولَّى للأمر بعده يحيلُ الناس كلهم على كاهل المجاملة، ويعاملهم بالظاهر، وهو الواجب في حكم الشرع والسياسة الدنيوية، بخلاف حال الرسول ﷺ فإنه كان تكليفه معهم غير هذا التكليف، ألا ترى أنه قيل له: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾^(٢)! فهذا يدل على أنه كان يعرفهم بأعيانهم، وإلا كان التَّهْيُّ له عن الصلاة عليهم تكليف ما لا يطاق، والوالي بعده لا يعرفهم بأعيانهم، فليس مخاطباً بما خُوطِب به ﷺ في أمرهم، وبسكوت الخفاء عنهم بعده خَمَلَ ذكرهم، فكان قُصَارَى أمرِ المنافق أن يُسِرَّ ما في نفسه، ويعامل المسلمين بظاهره، ويعاملونه بحسب ذلك. ثم فُتِحَتْ عليهم البلاد، وكثرت الغنائم، فاشتغلوا بها عن لحركات التي كانوا يعتمدونها أيام رسول الله ﷺ، وبعثهم الخلفاء مع الأمراء الى بلاد فارس والروم، فألهتهم الدنيا عن الأمور التي كانت تُنقِم منهم في حياة رسول الله ﷺ، ومنهم من استقام اعتقاده، وخلصت نيَّته، لمَّا رأوا الفتوح وإلقاء الدنيا أفلاذ كبدها من الأموال العظيمة، والكنوز الجلييلة إليهم، فقالوا: لو لم يكن هذا الدِّين حقاً لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه وبالجملَة لمَّا تركوا تُرْكُوا، وحيث سُكِت عنهم سكتوا عن الاسلام وأهله؛ إلا في دسيمة خفية يعملونها، نحو لكذب، الذي

(١) في هـ، ص: قلت: لكن قد علّمهم رسول الله ﷺ بعلامة ظاهرة مستمرة وهي بغض علي ﷺ وأهل بيت رسول الله صلوات الله عليه وعليهم فاضدادهم داخلون تحت الآيات الذاكرة للمنافقين والماردون على النفاق منهم علماء السوء الجحّادون المسكفون المتفقّهون فاعرف، انتهى.

(٢) النوبة: ٨٤.

أشار إليه أمير المؤمنين (عليه السلام)، فإنه خالط الحديث كذبٌ كثيرٌ، صدرَ عن قومٍ غير صحيحي العقيدة، قصدوا به الإضلال وتخبيط القلوب والعقائد، وقصدَ به بعضهم التنويه بذكر قوم كان لهم في التنويه بذكرهم غرض دنيوي. وقد قيل: إنه افتُعل في أيام معاوية خاصّة حديث كثير على هذا الوجه، ولم يسكت المحدثون الراسخون في علم الحديث عن هذا، بل ذكروا كثيراً من هذه الأحاديث الموضوعة، وبيّنوا وضعها؛ وأنّ واضعيها غير موثوق بهم، إلّا أن المحدثين إنّما يطعنون فيما دون طبقة الصحابة، ولا يتجسرون في الطعن على أحد من الصحابة لأنّ عليه لفظ «الصحبة»؛ على أنهم قد طعنوا في قوم لهم صحبة كبسرين أرطاة وغيره.

فان قلت: مَنْ هم كُمة الضلالة، الذين تقرب إليهم المنافقون الذين رأوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وصحبوه بالزور والبهتان؟ وهل هذا إلا تصريح بما تذكره الإمامية، وتعتقده؟ قلت: ليس الأمر كما ظننت وظنّوا، وإنّما يعني معاوية وعمر بن العاص ومَنْ شايعهما على الضلال، كالخبر الذي رواه مَنْ رواه في حق معاوية «اللهم في العذاب والحساب، وعلمه لكتاب»^(١)؛ وكرواية عمرو بن العاص تقرّباً إلى قلب معاوية: «إنّ آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنّما وليي الله وصالح المؤمنين»، وكرواية قوم في أيام معاوية أخباراً كثيرة من فضائل عثمان، تقرّباً إلى معاوية بها، ولنا نجده فضل عثمان وسابقته، ولكنّا نعلم أنّ بعض الأخبار الواردة فيه موضوع، كخبر عمرو بن مرّة وهو مشهور، وعمرو بن مرّة ممّن له صحبة.

إذكر بعض ما مُني به آل البيت من الأذى والاضطهاد:

وليس يجب من قولنا: إنّ بعض الأخبار الواردة في حقّ شخص فاضل مفتعلة أن نكون قدحين في فضل ذلك الفاضل؛ فإنّا مع اعتقادنا أنّ علياً أفضل الناس، نعتقد أنّ بعض الأخبار الواردة في فضائله مفتعل ومختلق

(١) في هـ. ص: نقل الشارح عن الثقب أبي جعفر أن عمرواً افتعله لعمر بن الخطاب. والله أعلم.

وقد رُوي أن أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، قال لبعض أصحابه: يا فلان، ما لقينا من ظلم قريش إيانا، وتظاهروا بهم علينا، وما لقي شيعتنا ومحبونا من الناس! إن رسول الله ﷺ قبض وقد أخبر أنا أولى الناس بالناس، فتمالأت علينا قريش واحداً بعد واحد حتى أخرجت الأمر عن معدنه، واحتجّت على الأنصار بحقنا وحجّتنا. ثم تداولتها قريش، واحداً بعد واحد، حتى رجعت إلينا، فنكثت بيعتنا، ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر في ضعف وكسود، حتى قتل. فبويح الحسن ابنه وعُوهده ثم غدر به، وأسلم، ووئب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه، وانتهبت عسكره، وعولجت خلاخيل أمّهات أولاده، فوادع معاوية وحقق دمه ودماء أهل بيته، وهم قليل حتى قتل. ثم بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون ألفاً، ثم غدروا به، وخرجوا إليه، وبيعته في أعناقهم فقتلوه، ثم لم نزل - أهل البيت - نُستدَلّ ونُستضام، ونقصى ونُمتّهن، ونحرّم ونقتل، ونخاف ولا نأمن على دماننا ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقرّبون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلدة، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنّا ما لم نقله وما لم نفعله، ليلغّضونا إلى الناس، وكان أعظم ذلك وأكثره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام، فقُتِلَت شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظّنة، وكان من يذكر بحبنا والإِنقطاع إلينا سُجن أو نهب ماله، أو هُدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام، ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلّة، وأخذهم بكل ظنّة ونهمة، حتى إن الرجل ليُقال له: زنديق أو كافر، أحبُّ إليه من أن يقال: شيعة علي، وحتى صار الرجل الذي يذكر بالخير - ولعلّه يكون ورعاً صدوقاً - يحدث بأحاديث عظيمة عجيبة، من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة، ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها، ولا كانت ولا وقعت وهو يحسب أنّها حقٌّ لكثرة من قد رواها ممن لم يعرف بكذب ولا بقلة ورع.

وروى أبو الحسن عليّ بن محمد بن أبي سيف المدايني في كتاب «الأحداث» قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كل كورة، وعلى كل منبر، يدعون عليّاً

ويبرءون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته؛ وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة؛ لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سمية، وضم إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف؛ لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام؛ فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم. وقطع لأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق؛ فلم يبق بها معروف منهم. وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق؛ ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة وكتب إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته؛ والذين يروون فضائله ومناقبه؛ فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرمواهم، واكتبوا لي بكل ما يروي كل رجل منهم، واسمه واسم أبيه وعشيرته. ففعلوا ذلك، حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات ولكساء ولحباء والقطائع، ويفيضة في العرب منهم والموالي؛ فكثر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل ولدنيا. فليس يجيء أحد من الناس عاملاً من عمال معاوية، فيروى في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وتسفعه. فلبثوا بذلك حيناً.

ثم كتب إلى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر وقسا في كل مصر وفي كل وجه وناحية؛ فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في لصاحبه؛ فإن هذا حب إلي وأقر لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله

فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى معلّمي الكتاتيب؛ فعلموا صبيانهم وغلماهم من ذلك الكثير الواسع حتى روه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان. انظروا من فامت عليه البيعة أنه بحب علياً وأهل بيته، فامحوه من الديوان، وسقطوا عطاءه ورزقه، وشفع ذلك بنسخة

أخرى: مَنْ اتَّهَمْتُمُوهُ بِمُوَالَاةِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، فَتَكَلَّوْا بِهِ، وَاهْدِمُوا دَارَهُ. فلم يكن البلاء أشدَّ ولا أكثر منه بالعراق؛ ولا سيما بالكوفة، حتى إنَّ الرجل من شيعة عليٍّ عليه السلام ليأتيه مَنْ يثق به، فيدخل بيته. فيلقى إليه سرّه، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة، ليكتُمَنَّ عليه، فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة؛ وكان أعظم الناس في ذلك بليَّةُ القراء المرءون، والمتصنِّعون الذين يُظهرون الخشوع والتَّسك فيفتعلون الأحاديث ليحفظوا بذلك عند ولائهم، ويقرَّبوا مجالسهم، ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل؛ حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديَّانين الذين لا يستحلُّون الكذب والبهتان؛ فقبلوها ورووها، وهم يظنُّون أنها حقٌّ، ولو علموا أنَّها باطلة لما رَووها، ولا تديَّنوا بها.

فلم يزل الأمر كذلك حتَّى مات الحسن بن عليٍّ عليه السلام، فازداد البلاء والفتنة، فلم يسبق أحدٌ من هذا القبيل إلَّا وهو خائف على دمه؛ أو طريد في الأرض.

ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام، وولَّى عبد الملك بن مروان، فاشتدَّ على الشيعة، وولَّى عليهم الحجاج بن يوسف، فتقرَّب إليه أهل التَّسك والصلاح والذين ببغض عليٍّ وموالاته أعدائه، وموالاته مَنْ يدَّعي قوم من لناس أنَّهم أيضاً أعداؤه، فأكثروا في الرواية في فضيهم وسوابقهم ومناقبهم، وأكثروا من الغصَّ في عبيد الله عليه السلام وعييه، والطعن فيه، والشَّان له حتَّى إنَّ إنساناً وقف للحجاج - ويقال إنَّه جد الأصمعيِّ عبد الملك بن قريب - فصاح به: أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّ أَهْلِي عَقُّونِي فَسَمُّونِي عَلِيًّا، وإني فقير بئس، وأنا إلى صلة الأمير محتاج. فتضاحك له الحجاج، وقال: لِلطُّفِّ ما توَّسَّلت به قد ولَّيتك موضع كذا.

وروى ابن عرقة المعروف بنقطويه - وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم - في تاريخه ما يناسب هذا الخبر، وقال: إنَّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتُعلت في أيام بني أمية، تقرُّباً إليهم بما يظنون أنَّهم يُرغمون به أنوف بني هاشم. (انتهى من شرح ابن أبي الحديد) (١).

أقول: ولا يخفى ما في هذا النقل الذي نقله الشارح وفرره من اثبات تهمة فيما يروى من فضائل الصحابة قوية مشككة، فإن من شرط قبول رواية الراوي ألا يكون له غرض فيما روى وقد ثبت بهذا أن لجمهور رواة فضائل الصحابة أغراضاً دنيوية.

أما متقدموهم فما نقل آناً، وأما متأخروهم فأنهم صرحوا بأنهم يقبلون من أحاديث فضائل الصحابة الضعيف ليقمعوا به رؤوس الشيعة، فتعلقت التهمة بالمتقدمين والمتأخرين

ولا يخفى - أيضاً - ما فيه من الدلالة على صحة ما روى من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وقوة أسانيدها واشهرها، وإن لله إرادة في بقائها وظهورها، فحفظها لأنه بدون هذه الأفعال من بني أمية تضمحل الحقائق كيف البواطل^(١)؟

لكن ما حفظه الله له يذهب، كبف ومحدوا العامة يعادون الشيعة ويماحكونهم ويتعنقون بأضعف الأسباب في إبطال مقالاتهم، فأجرى الحق على ألسنتهم وهم كارهون. وما من حديث يختص الشيعة بروايته إلا وله شواهد مما ترويه العامة تحقق معناه وتثبتته ولحمد الله.

واعلم: أن تقسيم أمير المؤمنين عليه السلام وارد في رواية الصحابة صريح فيهم وفيه أوضح الدلالة على أن الصحابة كغيرهم في باب الجرح والتعديل، وهذه مسألة خلاف معروف في أصول الفقه والمصنفون من متأخري أصحابنا يخطئون في ثقل مذاهب الأئمة عليهم السلام فيها فكل ينسب اليهم ما يقرب إلى هواه، والمسألة عظيمة القدر إذ عيبها مدار الدين، فيحسن منا أن ننقل ما يوافق كلام أمير المؤمنين، ويوضح الحق المبين وبالله التوفيق:

وجدت بخط الإمام لقاسم بن محمد ما رسمه. قال ابن الصلاح في النوع التاسع والثلاثين من كتاب معرفة أنواع علم الحديث: «للصحابة بأسرهم خصيصة وهي أنهم لا يسأل عن عدالة الواحد منهم ذلك أمر مفروغ منه، لكونهم على الإطلاق معدلين بالكتاب والسنة واجماع من يعتد به في الاجماع من الأمة؛ قال الله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت

(١) في هـص: أي لو قدر أنها باطل.

للناس»^(١)، وقال تعالى: «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس»^(٢) وقال سبحانه: «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار»^(٣).

قال: ومن السنة الشاهدة لذلك كثرة: كحديث أبي سعيد المتفق على صحته ان رسول الله ﷺ قال: لا تسبوا أصحابي ... الخبر^(٤).

قال: ثم ان الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة، ومن لا بس الفتن منهم كذلك، باجماع العلماء الذين يعتد بهم في الاجماع، انتهى .

وهلا تلى ابن الصلاح قوله تعالى: «مردوا على النفاق لا تعلمهم...»^(٥) الآية. وقوله تعالى: «منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة...» الآية^(٦) وقوله تعالى: «من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها»^(٧) وهلا تذكر ما يروي هو في الصحاح قوله ﷺ في أصحابه الذين يردون الحوض فيحلبون عنه فيقال: انك لا تدري ما أحدثوا بعدك. وأين اجماع الأمة على التعديل مع استحلال دماء أهل واقعة الجمل وصقين والنهروان بعضهم بعضاً. إلا ان يخرج أولئك من الأمة، وكيف وهم كانوا هم الأمة، ثم من هؤلاء الذين يعتد باجماعهم دون من سواهم؛ ان كان بدليل خاص فليبرزه، فهو في محل الاحتجاج الذي لا يقتصر فيه على مجرد الدعوى

ثم ان لمخالفه أن يدعي خلاف ما ادعى ثم لا يكون أيهما أولى بصحة دعواه من الآخر. (انتهى ما وجدته بخط الامام).

قلت: والحديث الذي أشار اليه الامام مشهور رواه الناس كلهم عن جماعة من الصحابة، ووجدت في تهذيب المزي. في ترجمة المغيرة بن النعمان النخعي الكوفي بعد ايراد سند طويل من وجوه قال: حدثني المغيرة بن النعمان، قال: حدثني سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال ﷺ: «انكم تحشرون الى الله حفاة عراة عزالا» ثم قرأ: «كما

(٢) البقرة: ١٤٣.

(١) آل عمران: ١١٠

(٣) الفتح: ٤٨.

(٤) سنن أبي داود: ٤٦٥٨، سنن الترمذي: ٣٨٦١.

(٦) آل عمران: ١٥٢.

(٥) التوبة: ١٠١.

(٧) هود: ١٥.

بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا انا كُنتا فاعلين»، وان أول من يكسئ ابراهيم عليه السلام يوم القيامة. الا وان ناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول أصحابي أصحابي، فيقال: انهم لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم. فأقول كما قال العبد الصالح عيسى بن مريم: ﴿وكننت عليهم شهيداً ما دمت فيهم...﴾ لى قوله: ﴿العزيز الحكيم﴾^(١).
رواه البخاري عن محمد بن كثير فوافقناه بعلو، وأخرجه من حديث شعبة عنه أيضاً.
وأخرجه مسلم من حديث شعبة وأخرجه الترمذي والنسائي من حديث سفيان وشعبة
فوقع لنا عالياً بدرجتين، وقال الترمذي حسن صحيح، انتهى^(٢).
وفي شرح السيد صلاح بن أحمد المؤيدي رحمه الله على الفصول بعد ايراد متمسكات
الأقوال:

والحق في هذه المسألة هو الانصاف والبعد عن جانب التعصب والاعتساف، إنهم
كفبرهم لما قدمنا، مما اذا اعتمدته تحققت ما قلناه، ولقوله تعالى: ﴿مردوا على النفاق لا
تعلمهم﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة﴾^(٤)

مع قوله تعالى: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها...﴾^(٥) الآية.

ولما روي في الصحيح في الذين يردون الحوض فيحثلون عنه، فيقول أصحابي
أصحابي - وفي روايه لمسلم: انهم من أمتي - فيقال: انك لا تدري ما أحدثوا بعدك، وغير
ذلك، انتهى.

واجماع أهل البيت على خطأ الصحابة في صرفهم الولاية عن علي عليه السلام معلوم وان
اختلفوا في حكم الخطأ، والله أعلم.

(١) المائدة ٥: ١١٧.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٦: ٥٣، ط / دار صادر، وصحيح البخاري ٨: ٢٦، ط / دار الفكر،

وصحيح مسلم، الجنة ٥٨، ط / عيسى الحلبي، وانظر مجمع الزوائد ١٠: ٣٣٢، ط / القدسي.

(٤) آل عمران: ١٥٢.

(٣) التوبة: ١٠١.

(٥) هود: ١٥.

[إيراد كلام لأبي المعالي الجويني في أمر الصحابة والرّد عليه]:

وفي شرح ابن أبي الحديد ما رسمه:

وحضرت عند النقيب أبي جعفر يحيى بن محمد العلويّ البصري في سنة إحدى عشرة وستمائة ببغداد، وعنده جماعة، وأحدهم يقرأ في الأغاني لأبي الفرج، فمرّ ذكر المغيرة بن شعبة وخاض القوم، فذمّه بعضهم، وأثنى عليه بعضهم، وأمسك عنه آخرون؛ فقال بعض فقهاء الشافعية ممن كان يشتغل بطرف من علم الكلام على رأي الأشعريّ: الواجب الكفّ والإمساك عن الصحابة، وعمّا شجر بينهم، فقد قال أبو المعالي الجويني: إن رسول الله ﷺ نهى عن ذلك، وقال: «إياكم وما شجر بين صحابتي»، وقال: «دعوا لي أصحابي، فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً لما بلغ مدّاً أحدهم ولا نصيفه»؛ وقال: «أصحابي كالنجوم، بأيّهم اقتديتم اهتديتم»، وقال: «خبركم القرن الذي أنا فيه ثمّ الذي يليه، ثمّ الذي يليه، ثمّ الذي يليه»، وقد ورد في القرآن الثناء على الصحابة وعلى التابعين؛ وقال رسول الله ﷺ: «وما يُدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»؛ وقد روى عن الحسن البصري أنه ذكر عنده الجمل وصفين، فقال: تلك دماء طهر الله منها أسبافنا، فلا نلطّخ بها ألسنتنا.

ثم إن تلك الأحوال قد غابت عتّا وبعدت أخبارها على حقائقها؛ فلا يليق بنا أن نخوض فيها؛ ولو كان وحدث من هؤلاء قد أخطأ لوجب أن يحفظ رسول الله ﷺ فيه، ومن المروءة أن يحفظ رسول الله ﷺ في عائشة زوجته، وفي الزبير ابن عمّته، وفي طلحة الذي وقاه بيده. ثمّ ما الذي ألزمنّا وأوجب علينا أن نلعن أحداً من المسلمين أو نبأ منه! وأيّ ثواب في اللعنة والبراءة! إن الله تعالى لا يقول يوم القيامة للمكلف: لِمَ لم تلعن؟ بل قد يقول له: لِمَ لعنت؟ ولو أن إنساناً عاش عمره كلّ لم يلعن إبليس لم يكن عاصياً ولا آثماً. وإذا جعل الإنسان عوض اللعنة استغفر الله كان خيراً له. ثمّ كيف يجوز للعمامة أن تدخل أنفسها في أمور الخاصة، وأولئك قوم كانوا أمراء هذه الأمة وقادتها، ونحن اليوم في طبقة سافلة جداً عنهم؛ فكيف يحسن بنا التعرّض لذكرهم! أليس يقبح من الرعيّة أن تخوض في دقائق أمور الملك وأحواله وشؤونه التي تجري بينه وبين أهله وبني عمّه ونسائه

وسرريه! وقد كان رسول الله ﷺ صهراً لمعاوية. وأخته أم حبيبة تحته، فالأدب أن تُحفظ أم حبيبة وهي أم المؤمنين في أخيها

وكيف يجوز أن يلعن من جعل الله تعالى بيته وبين رسوله مودة! اليس المفسرون كلهم قالوا: هذه الآية أنزلت في أبي سفيان وآله، وهي قوله تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾^(١)! فكان ذلك مصاهرة رسول الله ﷺ أبا سفيان وتزويجه ابنته على أن جميع ما تنقله لشبعة من الاختلاف بينهم ولمشاجرة لم يثبت، وما كان القوم إلا كبنّي أم واحدة ولم يتكدر باطن أحدٍ منهم على صاحبه قط ولا وقع بينهم ختلاف ولا نزاع.

فقال أبو جعفر رحمه الله: قد كنت منذ أيام علقت بخطي كلام وجدته لبعض الزيدية في هذا المعنى نقضاً وردّ على أبي المعالي الجويني فيما اختاره لنفسه من هذا الرأي، وأنا أخرجكم إليكم لأستغني بتأمله عن الحديث على ما قاله هذا الفقيه، فإنّي أجدُ المأ يَمْنَعُنِي مِنَ الإطالة في الحديث لا سيما إذا خرج مخرج الجدل ومُقاومة الخصوم ثم أخرج من بين كتبه كُراساً قرأناه في ذلك المجلس وأستحسنه الحاضرون، وأنا أذكر هاهنا خلاصته.

قال: «ولا أن الله تعالى أوجب معاداة أعدائه، كما أوجب موالات أوليائه، وضيّق على المسمين تركها إذا دلّ العقل عليها، أو صحّ الخبر عنها بقوله سبحانه: ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾^(٢)، ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُواهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾^(٣)، ويقول سبحانه: ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾^(٤)، ولا إجماع المسلمين على أن الله تعالى قرَضَ عداوة أعدائه، وولاية أوليائه، وعلى أن: البغض في الله، والحبُّ لله واجب - لما تعرّضنا لمعاداة أحدٍ من الناس في الدين، ولا البراءة منه، ولكانت عداوتنا للقوم تكلفاً ولو ظنّنا أن الله عزّ وجلّ يعذّرنا إذا قلنا: يا ربّ غاب مُرهم عنا، فلم يكن لخوضنا في أمرٍ قد غاب عنه معنى، لا اعتمادنا على هذا العذر، وواليتهم،

(٢) المائدة: ٨١.

(٤) الممتحنة: ١٣.

(١) الممتحنة: ٦٠.

(٣) المجادلة: ٢٢.

وَلَكِنَّا نَخَافُ أَنْ يَقُولَ سُبْحَانَهُ لَنَا: إِنْ كَانَ أَمْرُهُمْ قَدْ غَابَ عَنْ بُصَارِكُمْ، فَلَمْ يَغِيبْ عَنْ قُلُوبِكُمْ وَأَسْمَاعِكُمْ؛ قَدْ أَتَيْتُكُمْ بِهِ الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ الَّتِي بِمِثْلِهَا أَلْزَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ الْإِقْرَارَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَمَوَالَاةِ مَنْ صَدَّقَهُ، وَمَعَادَاةِ مَنْ عَادَاهُ وَجَحَدَهُ، وَأَمْرْتُمْ بِتَدْبِيرِ الْقُرْآنِ وَمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَهَلَّا حَذَرْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ غَدًا: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَعْطَيْنَا سَادَتَنَا وَكُتُبَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾^(١)

فَأَمَّا لَفْظَةُ اللَّعْنِ فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا، وَأَوْجَبَهَا، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾^(٢)، فَهُوَ إِخْبَارٌ مَعْنَاهُ الْأَمْرُ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾^(٣)؛ وَقَدْ لَعَنَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَاصِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾^(٤)، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾^(٥)، وَقَوْلِهِ: ﴿مُلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا قَتِيلًا﴾^(٦)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِإِبْلِيسَ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٧) وَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾^(٨)

فَأَمَّا قَوْلُ مَنْ يَقُولُ: «أَيُّ ثَوَابٍ فِي اللَّعْنِ؟ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقُولُ لِلْمَكْلُوفِ لِمَ لَمْ تَلْعَنْ؟» بَلْ قَدْ يَقُولُ لَهُ: لِمَ لَعَنْتَ؟ وَأَنَّهُ لَوْ جَعَلَ مَكَانَ لَعْنِ اللَّهِ فَلَانًا، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي لَكَ خَيْرًا لَهُ، وَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا عَاشَ عَمْرَهُ كُلَّهُ لَمْ يَلْعَنْ إِبْلِيسَ لَمْ يُؤَاخِذْ بِذَلِكَ؛ فَكَلَامُ جَاهِلٍ لَا يَدْرِي مَا يَقُولُ؛ اللَّعْنُ طَاعَةٌ، وَيُسْتَحَقُّ عَلَيْهَا الثَّوَابُ إِذَا فُعِلَتْ عَلَى وَجْهِهَا، وَهُوَ أَنْ يُلْعَنَ مُسْتَحَقُّ اللَّعْنِ لِلَّهِ وَفِي اللَّهِ، لَا فِي الْعَصْبِيَّةِ وَالْهَوَى، أَلَا تَرَى أَنَّ الشَّرْعَ قَدْ وَرَدَ بِهَا فِي نَفْيِ الْوَلَدِ، وَنَطَقَ بِهَا الْقُرْآنُ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ الزَّوْجُ فِي الْخَامِسَةِ: ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾^(٩) فَلَوْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ تَعَالَى يَرِيدُ أَنْ يَتَلَقَّظَ عِبَادُهُ بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ وَأَنَّهُ قَدْ تَعَبَّدَهُمْ بِهَا، لَمَا جَعَلَهَا مِنْ مَعَالِمِ الشَّرْعِ، وَلَمَا كَرَّرَهَا فِي كَثِيرٍ مِنْ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَلَمَا قَالَ فِي حَقِّ الْقَائِلِ:

(٢) البقرة: ١٥٩.

(٤) المائدة: ٧٨.

(٦) الأحزاب: ٦١.

(٨) الأحزاب: ٦٤.

(١) الأحزاب: ٦٧.

(٣) البقرة: ٢٢٨.

(٥) الأحزاب: ٥٧.

(٧) ص: ٧٨.

(٩) النور: ٧.

﴿وَعَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ﴾^(١)، وليس المراد من قوله: «ولعنه» إلا الأمر لنا بأن نلعنه، ولو لم يكن المرادُ بها ذلك لكان لنا أن نلعنه، لأن الله تعالى قد لعنه، أفيلعن الله تعالى إنساناً ولا يكون لنا أن نلعنه! هذا ما لا يسوغ في العقل؛ كما لا يجوز أن يمدح الله إنساناً إلا ولنا أن نمدحه، ولا يذمه إلا ولنا أن نذمه؛ وقال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾^(٢)، وقال: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَاءِ لَعْنًا كَبِيرًا﴾^(٣)، وقال عز وجل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا﴾^(٤) وكيف يقول القائل: إن الله تعالى لا يقول للمكلف: لم تلعن؟ ألا يعلم هذا القائل أن الله تعالى أمر بولاية أوليائه، وأمر بعداوة أعدائه، فكما يسأل عن التولي يسأل عن التبري! ألا ترى أن اليهودي إذا أسلم يطالب بأن يقال له: تَلَفَّظْ بكلمة الشهادتين، ثم قلْ برئت من كل دين يخالف دين الإسلام، فلا بد من البراءة، لأن بها يتم العمل! ألم يسمع هذا القائل قول الشاعر:

تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزْعُمُ أَنِّي صَدِيقُكَ، إِنَّ الرَّأْيَ عِنْدَكَ لِعَارِبٌ

فمودة العدو خروج عن ولاية الولي، وإذا بطلت المودة لم يبق إلا البراءة؛ لأنه لا يجوز أن يكون الإنسان في درجة متوسطة مع أعداء الله تعالى وعصاته بألا يودهم ولا يبرأ منهم بإجماع المسلمين على نفي هذه الواسطة

وأما قوله: «لو جعل عوض اللعنة: استغفر الله لكان خيراً له»، فإنه لو استغفر من غير أن يلعن أو يعتقد وجوب اللعن لما نفعه استغفاره ولا قبل منه، لأنه يكون عاصياً لله تعالى، مخالفاً أمره في إمساكه عمّن أوجب الله تعالى عليه البراءة منه، وإظهار البراءة، والمُصِرُّ على بعض المعاصي لا تُقبل توبته واستغفاره عن البعض الآخر، وأمّا من يعيش عمره ولا يلعن إبليس، فإن كان لا يعتقد وجوب لعنه فهو كافر، وإن كان يعتقد وجوب لعنه ولا يلعنه فهو مخطئ؛ على أن الفرق بينه وبين ترك لعنه رؤوس الضلال في هذه الأمة كعماوية والمغيرة وأمثالهما، أن أحداً من المسلمين لا يُورث عنده الإمساك عن لعن إبليس شبهة في أمر إبليس، والإمساك عن لعن هؤلاء وأضرابهم يشير شبهة عند كثير من المسلمين في

أمرهم، وتجنَّب ما يُورِث الشبهة في الدين واجب، فلهذا لم يكن الإمساك عن لعن إبليس نظيراً للإمساك عن أمر هؤلاء.

قال: ثم يقال للمخالفين: أرايتم لو قال قائل: قد غاب عنا أمر يزيد بن معاوية والحجاج بن يوسف، فليس ينبغي أن نخوض في قصّتهما، ولا أن نعنهما ونعاديهما. ونبرأ منهما؛ هل كان هذا إلا كقولكم: قد غاب عنا أمر معاوية والمغيرة بن شعبة وأضرابهما، فليس لخوضنا في قصّتهم معنى!

وبعد، فكيف أدخلتم أيها العامة والحشوية وأهل الحديث أنفسكم في أمر عثمان وخُصّتم فيه، وقد غاب عنكم! وبرئتم من قتلته، ولعنتموهم! وكيف لم تحفظوا أبا بكر الصديق في محمد ابنه فإنكم لعنتموه وفسّقتموه، ولا حفظتم عائشة أم المؤمنين في أخيها محمد المذكور، ومنعتمونا أن نخوض وندخل أنفسنا في أمر عليّ والحسن والحسين ومعاوية الظالم له ولهما، المتغلّب على حقّه وحقوقهما! وكيف صار لعن ظالم عثمان من السنة عندكم، ولعن ظالم عليّ والحسن والحسين تكفّراً! وكيف أدخلت العامة أنفسها في أمر عائشة وبرئتم ممّن نظر إليها، ومِن القائل لها: يا حُمَيِّراء، أو إنما هي حُمَيِّراء، ولعنّته بكشفه سترها، ومنعتمونا أن نخوض في أمر فاطمة وما جرى لها بعد وفاة أبيها.

فإن قلتم: إنّ بيت فاطمة إنّما دُخل، وسترها إنّما كُشِف، حفظاً لنظام الإسلام، وكَيْلاً يَنْتَشِر الأمرُ ويُخْرِج قومٌ من المسلمين أعناقهم من رِبْقَة^(١) الطاعة ولزوم الجماعة.

قيل لكم: وكذلك ستر عائشة إنّما كُشِف، وهُوْدَجها إنّما هُتِكَ، لأنها نشرت^(٢) حبل الطاعة، وشَقَّت عصا المسلمين. وأراقت دماء المؤمنين من قبل وصول عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى البصرة، وجرى لها مع عثمان بن حُنيف وحكيم بن جبلة ومَن كان معهما من المسلمين الصالحين من القتل وسفك الدماء ما تنطق به كُتُب التواريخ والسِّير؛ فإذا جاز دخول بيت فاطمة لأمر لم يقع بعدُ جاز كشف ستر عائشة على ما قد وقع وتحقق، فكيف صار هَتِك ستر عائشة من الكبائر التي يجب معها التخليد في النار، والبراءة من فاعله، ومِن أَوْكَدِ عُرَى الإيمان، وصار كشف بيت فاطمة والدّخول عليها منزلها وجَمْع حَطَب

(٢) نشرت حبل الطاعة: أي قطعته.

(١) رِبْقَة الطاعة: عرقها.

ببائها، وتهذدها بالتحريق من أؤكد عرى الدين، وأثبت دعائم الإسلام؛ ومما أعزّ الله به المسلمين وأطفأ به نار الفتنة، والحُرمتان واحدة، ولستران واحد. وما نحبّ أن نقول لكم: إنّ حرمة فاطمة أعظم، ومكانها أرفع، وصيانتها لأجل رسول الله ﷺ أولى، فإنها بضعة منه، وجزء من لحمه ودمه، وليست كالزوجة الأجنبية التي لا نسب بينها وبين الزوج، وإنما هي وُصلة مستعارة، وعقد يجري مجرى إجارة المنفعة، وكما يملك رقّ الأمة بالبيع والشراء، ولهذا قال الفرضيون: أسباب التوارث ثلاثة: سبب، ونسب، وولاء، والنسب القرابة، والسبب النكاح، ولولاء: ولأء العتق؛ فجعلوا النكاح خارجاً عن النسب؛ ولو كانت الزوجة ذات نسب لجعلوا الأقسام الثلاثة قسمين.

وكيف تكون عائشة أو غيرها في منزلة فاطمة، وقد أجمع المسلمون كلّهم من يحبّها ومن لا يحبّها منهم أنها سيدة نساء العالمين !

قال: وكيف يلزمنا اليوم حفظ رسول الله ﷺ في زوجته، وحفظ أمّ حبيبة في أخيها، ولم تلزم الصحابة أنفسهم حفظ رسول الله ﷺ في أهل بيته، ولا ألزمت الصحابة أنفسهم في حفظ رسول الله ﷺ في صهره وابن عمّته عثمان بن عفان، وقد قتلوههم ولعنوههم؛ وقد كان كثير من الصحابة يلعن عثمان وهو خيفة؛ منهم عائشة كما تقول: اقتلوا نعتلاً، لعن الله نعتلاً؛ ومنهم عبد الله بن مسعود؛ وقد لعن معاوية عليّ بن أبي طالب وابنيه حسناً وحسيناً وهم أحبّاء يرزقون بالعراق، وهو يلعنهم بالشام على المنابر، وبقنت بلعنهم^(١) في الصلوات، وقد لعن أبو بكر وعمر سعد بن عبادة وهو حي، وبرئاً منه، وأخرجاه من المدينة إلى الشام، ولعن عمر خالد بن الوليد لما قتل مالك بن نويرة، وما زال اللعن فاشياً في المسلمين إذا عرفوا من الإنسان معصية تقتضي اللعن والبراءة.

قالوا: ولو كان هذا أمراً معتبراً وهو أن يُحفظ زيد لأجل عمرو فلا يُلعن، لوجب أن تحفظ الصحابة في أولادهم، فلا يلعنوا لأجل آبائهم، فكان يجب أن يُحفظ سعد بن أبي وقاص فلا يلعن ابنه عمر بن سعد قاتل الحسين، وأن يحفظ معاوية فلا يلعن يزيد صاحب وقعة الحرّة وفاتل الحسين، ومخيف المسجد الحرام بمكة، وأن يُحفظ عمر بن

(١) في ط : وبقنت عليهم .

الخطاب في عبيد الله ابنه قاتل الهرمزان، والمحارب علياً عليه السلام في صفين.

قال: على أنه لو كان الإمساك عن عداوة من عادى الله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في أصحابه ورعاية عهده وعقده لم نُعاديهم ولو ضُربت رقابنا بالسيوف، ونكن محبة رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه ليست كمحبة الجهال الذين يضع أحدهم محبته لصاحبه موضع العصبية، وإنما أوجب رسول الله صلى الله عليه وآله محبة أصحابه لطاعتهم لله، فإذا عصوا الله وتركوا ما أوجب محبتهم؛ فليس عند رسول الله صلى الله عليه وآله محابة في ترك مودتهم وما كان عليه من محبتهم، ولا تغطرس في العدول عن التمسك بموالاتهم، فلقد كان صلى الله عليه وآله يحب أن يعادي أعداء الله ولو كانوا عترته، كما يحب أن يوالي أولياء الله ولو كانوا أبعد الخلق نسباً منه؛ والشاهد على ذلك إجماع الأمة على أن الله تعالى قد أوجب عداوة من ارتد بعد الإسلام، وعداوة من نافق وإن كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي أمر بذلك ودعا إليه، وذلك أنه صلى الله عليه وآله قد أوجب قطع السارق وضرب القاذف، وجلد البكر إذا زنى، وإن كان من المهاجرين والأنصار؛ ألا ترى أنه قال: لو سَرَقَتْ فاطمة لقطعتها؛ فهذه ابنته، الجارية مجرى نفسه، لم يُحاربها في دين الله، ولا راقبها في حدود الله، وقد جلد أصحاب الإفك، ومنهم مسطح بن أثاثة، وكان من أهل بدر.

قال: وبعد، فلو كان محل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله محل من لا يعادي إذا عصى الله سبحانه ولا يُذكر بالقبیح، بل يجب أن يُراقب لأجل اسم الصُّحبة، ويغضى عن عيوبه وذنوبه، لكان كذلك صاحب موسى المسمون نبأه ^(١) في القرآن لما اتبع هواه، فانسَلخ مما أوتي من الآيات وغوى، قال سبحانه: وَرَأَتْهُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ^(٢)، ولكان ينبغي أن يكون محل عبدة العجل من أصحاب موسى هذا المحل، لأن هؤلاء كلهم قد صحبوا رسولاً جليلاً من رُسُل الله سبحانه.

قال: ولو كانت الصحابة عند أنفسهم بهذه المنزلة؛ لعلمت ذلك من حال أنفسهم، لأنهم أعرف بمحلهم من عوام أهل دهرنا، وإذا قدرت أفعال بعضهم لبعض دلتك على أن القصة كانت على خلاف ما قد سبق إلى قلوب الناس اليوم؛ هذا علي وعمار، وأبو الهيثم بن

التيهان، وخزيمة بن ثابت، وجميع مَنْ كان مع علي عليه السلام من المهاجرين والأنصار، لم يَرَوْا أن يتغافلوا عن طلحة والزبير حتى فعلوا بهما وبين معهما ما يُفعل بالشرأة في عصرنا، وهذا طلحة والزبير وعائشة ومَنْ كان معهم وفي جانبهم لم يَرَوْا أن يُمسكوا عن علي؛ حتى قصدوا له كما يُقصد للمتغلبين في زماننا، وهذا معاوية وعمرو لم يَرِيا علياً بالعين التي يرى بها العامي صديقه أو جاره، ولم يُقَصِّروا دونَ ضَرْب وجهه بالسيف ولعنه ولعن أولاده وكلَّ مَنْ كان حياً من أهله، وقتل أصحابه، وقد لَعَنهما هو أيضاً في الصَّلوات المفروضات، ولعن معهما أبا لأعور السمي، وأبا موسى الأشعري، وكلاهما من الصحابة، وهذا سعد بن أبي وقاص، ومحمد بن سلمة، وأسامة بن زيد، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل، وعبدالله بن عمر، وحسان بن ثابت، وأنس بن مالك، لم يَرَوْا أن يَقلِّدوا علياً في حرب طلحة، ولا طحمة في حرب علي، وعلي^(١) وطلحة والزبير بإجماع المسلمين أفضل من هؤلاء المعدودين، لأنهم خافوا^(٢) أن يكون علي قد غَلَطَ وَزَلَ في حربيهما، وخافوا أن يكونا قد غَلَطَا وَزَلَا في حرب علي؛ وهذا عثمان قد تَقَى أبا ذرّاً إلى الرِّبْدة كما يُفعل بأهل الخنا والرَّيب، وهذا عَمَّار وابن مسعود تلقيا عثمان بما تلقياه به لما ظهر لهما - بزعمهما - منه ما وعظاه لأجله، ثم فعل بهما عثمان ما تناهى اليكم، ثم فعل القوم بعثمان ما قد علمتم وعلم الناس كلهم، وهذا عمر يقول في قصة الزبير بن العوام لما استأذنه في الغزو: ها إني ممسكٌ بباب هذا الشعب أن يتفرَّق أصحاب محمد في لناس فيضلُّوهم، وزعم أنه وأبو بكر كانا يقولان: علياً ولعباس في قصّة الميراث زعماهما كاذبين ظالمين فاجرين؛ وما رأينا عبيّاً والعباس اعتذرا ولا تنصّلا، ولا نقل أحدٌ من أصحاب الحديث ذلك، ولا رأينا أصحاب رسول الله ﷺ أنكروا عليهما ما حكاه عمر عنهما، ونسبه اليهما، ولا أنكروا أيضاً على عمر قوله في أصحاب رسول الله ﷺ: انهم يريدون إضلال الناس ويهمون به، ولا أنكروا على عثمان دُوسَ بطن عَمَّار، ولا كَسَرَ ضلع ابن مسعود، ولا على عَمَّار وابن مسعود ما تلقيا به عثمان، كإنكار العامة اليوم الخوض في حديث الصحابة، ولا اعتقدت الصحابة في أنفسها ما يعتقدُه العامة فيها؛ اللهم إلا أن يزعموا أنهم أعرف بحقِّ

(١) لم نرد «علي» في ط .

(٢) في ط: زعموا أنهم قد خافوا.

القوم منهم. وهذا علي وفاطمة والعباس مازالوا على كلمة واحدة يكذبون الرواية: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»، ويقولون: إنها مختلفة.

قالوا: وكيف كان النبي ﷺ يُعرف هذا الحكم غيرنا ويكتمه عنا ونحن الورثة؛ ونحن أولى الناس بأن يؤدَّى هذا الحكم إليه، وهذا عمر بن الخطاب يشهد لأهل الشورى أنهم لنفّر الذين تُوفيّ الرسول ﷺ وهو عنهم راضٍ، ثم يأمر بضرب أعناقهم إن أخروا فصل حال الإمامة، هذا بعد أن ثلبهم، وقال في حقهم ما لو سمعته العامة اليوم من قائل لو وضعت ثوبه في عنقه سحبا إلى السلطان، ثم شهدت عليه بالرّفْض واستحلّت دمه، فإن كان الطعن على بعض الصحابة رفضاً فعمر بن الخطاب أرفض الناس وإمام الروافض كلّهم. ثم ما شاع واشتهر من قول عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتة، وقى الله شرّها؛ فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه؛ وهذا طعن في العقد، وقدح في البيعة الأصلية.

ثم ما نقل عنه من ذكر أبي بكر في صلاته، وقوله عن عبد الرحمن ابنه: دُويبة سوء وهو خير من أبيه. ثم عمر القائل في سعد بن عباد، وهو رئيس الأنصار وسيدها: اقتلوا سعداً، قتل الله سعداً، اقتلوه فإنه منافق. وقد شتم أبا هريرة وطعن في روايته، وشتم خالد بن الوليد وطعن في دينه، وحكم بفسقه وبوجوب قتله، وخون عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان ونسبهما إلى سرقة مال الفياء واقتطاعه، وكان سريعاً إلى المساءة، كثير الجبه والشتم والسب لكل أحد، وقل أن يكون في الصحابة من سلّم من معرة لسانه أو يده، ولذلك أبغضوه وملّوا أيامه مع كثرة الفتوح فيها، فهلاً احترام عمر الصحابة كما تحترمهم العامة! إمّا أن يكون عمر مخطئاً، وإمّا أن تكون العامة على الخطأ!

فإن قالوا: عمر ما شتم ولا ضرب، ولا أساء إلا إلى عاصٍ مستحق لذلك، قيل لهم: فكأنّا نحن نقول: إنّنا نريد أن نبرأ ونعادي من لا يستحق البراءة والمعادة، كلّاً ما قلنا هذا ولا يقول هذا مسلم ولا عاقل.

وإنما غرضنا الذي إليه نجري بكلامنا هذا أن نوضح أن الصحابة قومٌ من الناس لهم ما للناس، وعليهم ما عليهم، من أساء منهم ذمناه، ومن أحسن منهم حمّدناه، وليس لهم

على غيرهم من المسلمين كثير^(١) فَضَّلَ إِلَّا بمشاهدة الرسول ومعاصرتة لا غير، بل ربّما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم، لأنهم شهدوا الأعلام والمعجزات، ففربت اعتقاداتهم من الضرورة، ونحن لم نشاهد ذلك، فكانت عقائدهم محض النظر والفكر، وعقائدها بعرضة السُّبّه والشكوك، فمعاصينا أخف لأننا أعذر.

ثم نعود إلى ما كتبا فيه فنقول: هذه عائشة أم المؤمنين: خرجت بقميص رسول الله ﷺ فقالت الناس: هذا قميص رسول الله لم يَبْلُ، وعثمان قد أبلى سنته؛ ثم تقول: اقتتلوا نَعْتَلًا، قَتَلَ الله نَعْتَلًا، ثم لم ترض بذلك حتى قالت: أشهد أن عثمان جيفة على الصراط غدًا فمن الناس من يقول: روت في ذلك خبراً، ومن الناس من يقول: هو موقوف عليها؛ ونرون هذا لو قاله إنسان اليوم يكون عند العامة زنديفاً. ثم قد حصر عثمان؛ حضرته أعيان الصحابة، فما كان أحدٌ ينكر ذلك، ولا يُعْظِمه ولا يسعي في إزלתه، وإنما أنكروا على من أنكر على المحاصرين له، وهو^(٢) رجلٌ كما علمتم من وجوه أصحاب رسول الله ﷺ، ثم من أشرافهم، ثم هو أقرب إليه من أبي بكر وعمر؛ وهو مع ذلك إمام المسلمين، ولمختار منهم للخلافة، وللإمام حق على رعيته عظيم، فإن كان القوم قد أصابوا فإذن ليست الصحابة في الموضع الذي وضعتها به العامة، وإن كانوا ما أصابوا فهذا هو الذي تقول: من أن لخطأ جائز على آحاد الصحابة؛ كما يجوز على آحادنا اليوم. ولنا نقدح في لإجماع، ولا ندعي إجماعاً حقيقياً على قتل عثمان، وإنما نقول: إن كثيراً من المسلمين فعلوا ذلك والخصم يسلم أن ذلك كان خطأ ومعصيةً، فقد سلم أن الصحابي يجوز أن يُخطئ ويعصي، وهو المطلوب.

وهذا المغيرة بن شعبة وهو من الصحابة، ادّعى عليه الزنا، وشهد عليه قومٌ بذلك، فلم يُنكر ذلك عمر، ولا قال: هذا محال وباطل؛ لأنّ هذا صحابي من صحابة رسول الله ﷺ لا يجوز عليه الزنا. وهلاً أنكر عمر على الشهود وقال لهم: ويحكم هلاً تغافتم عنه لما رأيتموه يفعل ذلك، وإن الله تعالى قد أوجب الإمساك عن مساوى أصحاب رسول

الله ﷺ، وأوجب الستر عليهم! وهلاً تركتموه لرسول الله ﷺ في قوله: «دعوا لي أصحابي»، ما رأينا عمر إلا قد انتصب لسماع الدعوى، وإقامة الشهادة، وأقبل يقول للمغيرة: يا مغيرة، ذهب رُبْعك، يا مغيرة، ذهب نصفك، يا مغيرة، ذهب ثلاثة أرباعك، حتى اضطرب الرابع، فجُلِدَ الثلاثة. وهلاً قال المغيرة لعمر: كيف تسمع في قول هؤلاء، وليسوا من الصحابة، وأنا من الصحابة، ورسول الله ﷺ قد قال: «أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم»! ما رأينا عمر إلا قد قال ذلك، بل استسلم لحكم الله تعالى. وها هنا من هو أمثل من المغيرة وأفضل، قدامة بن مظعون، لما شرب الخمر في أيام عمر، فأقام عليه الحد، وهو رجل من عليّة الصحابة ومن أهل بدر، والمشهود لهم بالجنة، فلم يردّ عمر الشهادة، ولا درأ عنه الحدّ لعلّه أنه بدري، ولا قال: قد نهى رسول الله ﷺ عن ذكر مساوئ الصحابة. وقد ضرب عمر أيضاً ابنه حدّاً فمات، وكان ممّن عاصر رسول الله ﷺ ولم تمتعه معاصرتة من إقامة لحد عليه.

وهذا عليّ رضي الله عنه يقول: ما حدّثني أحدٌ بحديث عن رسول الله ﷺ إلا استحلفته عليه؛ ليس هذا اتهاماً لهم بالكذب! وما استثنى أحداً من المسلمين إلا أبا بكر على ما ورد في الخبر^(١)، وقد صرّح غير مرّة بتكذيب أبي هريرة، وقال: لا أحد أكذب من هذا الدّوسي

(١) أورد هذا الحديث عبد العظيم المنذري في كتابه الترهيب والترغيب بلفظ: عن علي رضي الله عنه قال: كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني وإذا حدّثني أحدٌ من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدّقته، قال: وحدّثني أبو بكر، وصدق أبو بكر، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من عبد يذنب ذنباً فبحسن الطهور ثم يقوم فيصلّي ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له. ثم تلى هذه الآية: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم...﴾ الآية.

رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه، وليس عند بعضهم ذكر الركعتين، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وذكر أن بعضهم وقفه. انتهى.

قلت: وليس في الحديث ما يدل أن أمير المؤمنين رضي الله عنه استثنى أبا بكر من حكم الاستحلاف كما توهمه بعضهم؛ إذ لم ينفعه، وظاهر اللفظ الأول العموم، وإن قدر أنه لم يستحلفه في هذا الحديث وصدقه فلا يلزم تصديقه في كل حديث؛ لجواز أن يكون قام قرينة على صدقه في

على رسول الله ﷺ . وقال أبو بكر في مرضه الذي مات فيه: وَدَدْتُ أَنِّي لَمْ أَكْشِفْ بَيْتَ فاطمة ولو كان أغلق على حرب فنده، والنَّدَم لا يكون إلا عن ذنب.

ثم ينبغي للعاقل أن يفكر في تأخر عليٍّ عليه السلام عن بيعة أبي بكر ستة أشهر إلى أن ماتت فاطمة، فإن كان مصيباً فأبو بكر على الخطأ في انتصابه في الخلافة، وإن كان أبو بكر مصيباً فعليٌّ على الخطأ في تأخره عن البيعة وحضور المسجد؛ ثم قال أبو بكر في مرض موته أيضاً للصحابه: قد^(١) استخلفت عليكم خيركم في نفسي - يعني عمر - فكلُّكم ورمَ لذلك أنفه^(٢)، يريد أن يكون الأمر له، لما رأيتم الدنيا قد جاءت، أما والله لتتخذن ستائر الدِّياج ونضائد لحرير^(٣). ألبس هذا طنعا في الصحابة، وتصريحا بأنه قد نسبهم إلى الحسد لعمر، لما نصَّ عليه بالعهد! ولقد قال له طحمة لما ذكر له عمر للأمر: ماذا تقول لربك إذا سألك عن عبادي، وقد وليت عليهم فظًّا غليظاً! فقال أبو بكر: اجلسوني أجلسوني، بالله نخوِّفني! إذا سألتني قلتُ: وليت عليهم خير أهلِكَ ثم نتمه بكلام كثير منقول: فهل قول طلحة إلا طعن في عمر، وهل قول أبي بكر إلا طعن في طلحة!

ثم الذي كان بين أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود من السَّباب حتى نفى كلَّ واحد منهما الآخر عن أبيه، وكلمة أبي بن كعب منهورة منقولة: ما زالت هذه الأمة مكبوبة على وجهها منذ فقدوا نبيَّهم، وقوله: ألا هلك أهل العقد، والله ما آسى عليهم إنما آسى على من يضلُّون من الناس

ثم قول عبد الرحمن بن عوف: ما كنت أرى أن أعينس حتى يقول لي عثمان: يا منافق؛

→ هذا خصوصية، فلا يلزم استثناؤه في كل حديث عن الاستحلاف، كيف؟ وقد صرح بالتهمة فيما رواه أبو بكر: «الأئمة من قريش» (نحن معاصر الأنبياء لا نورث) فهذا الخبران تفرد أبو بكر بروايتهما ولقهما الناس عنه.

نعم يدلُّك هذا المروي عن أمير المؤمنين أنه لا يكفي القبول مجرد تكامل الشرائط التي اعتبروها، بل لابد من حصول جزم بالصدق بقرائن خارجيات إن لم تحصل من مجرد السند، ومن الخارجيات موافقة ظاهر الكتاب كما في حديث أبي بكر في الاستغفار السابق، واته أعلم.

(١) في ط: فلما .

(٣) الكامل لمبرد ١: ٧.

(٢) في هـ. ص: أي غضب .

وقوله: لو استقبلتُ من أمري ما استدبرت ما ولّيت عثمان شِشع^(١) نعلي؛ وقوله: اللّهم إن عثمان قد أبى أن يقيم كتبك فافعل به وافعل.

وقال عثمان لعليّ عليه السلام في كلام دارَ بينهما: أبو بكر وعمر خيرٌ منك؛ فقال علي: كذبت، أنا خيرٌ منك ومنهما، عبدتُ الله قبلهما، وعبدته بعدهما.

وروى سفيان بن عُيينة عن عمرو بن دينار، قال: كنت عند عروة بن الزبير، فسألته كم أقام النبي بمكة بعد الوحي؟ فقال عروة: أقام عشراً، فقلت: كان ابن عباس يقول: ثلاث عشرة، فقال: كذب ابن عباس.

وقال ابن عباس: المتعة حلال^(٢)؛ فقال له جبير بن مطعم: كان عمر ينهى عنها، فقال يا عديّ نفسه، من ها هنا ضللتكم، أحدثكم عن رسول الله ﷺ، وتحدّثني عن عمر! وجاء في الخبر عن عليّ عليه السلام، لولا ما فعل عمر بن الخطاب في المتعة ما زنتي إلا شقي؛ وقيل: ما زنتي إلا شقاً، أي قليلاً.

فأما سبّ بعضهم بعضاً وقدح بعضهم في بعض في المسائل الفقهية فأكثر من أن يُحصى، مثل قول ابن عباس وهو يردّ على زيد مذهبه في العول في الفرائض: إن شاء - أو قال: من شاء - باهلته^(٣) أن الذي أحصى رَمْلَ عالج^(٤) عدداً أعدل من أن يجعل في المال نصفاً ونصفاً وتلنا، هذان النصفان قد ذهبا بالمال، فأين موضع الثلث! ومثل قول أبيّ بن كعب في القرآت: لقد قرأت القرآن وزيدٌ هذا غلام ذو ذؤابتين يععب بين صبيان اليهود في المكتب.

وقال عليّ عليه السلام في أمهات الأولاد على المنبر: كان رأيي ورأي عمر ألا يُيعن، وأنا أرى الآن بيعهنّ، فقام إليه عبيدة السلماني، فقال: رأيك في الجماعة أحبُّ إلينا من رأيك في الفرقة.

(١) الششع: قبال النعس.

(٢) نكاح المتعة؛ هو أن يتزوَّج الرجل المرأة بمهر معيّن وعدّة خاصّة، وشرائط مبيّنة في كتب الفقه، ولا يختلف عن الزواج الدائم لا بالمدة وعدم وجوب النفقة وعدم التوارث بين الزوجين.

(٣) باهل القوم بعضهم بعضاً وابتهلوا: تلاعنوا.

(٤) عالج: موضع به رمل، معروف.

وكان أبو بكر يرى التسوية في قسم الغنائم، وخالفه عمر وأنكر فعله.
وأنكر عائشة على أبي سلمة بن عبد الرحمن خلافه على ابن عباس في عدة المنوقى
عنها زوجها وهي حامل؛ وقالت: فرّوج يصقع^(١) مع الديكة
وأنكرت الصحابة على ابن عباس فونه في الصّرف، وسفّوها رأيّه حتى قيل: إنه تاب
من ذلك عند موته

واختلفوا في حدّ شارب الخمر حتى خطأ بعضهم بعضاً
وروى بعض لصحابة عن النبي ﷺ أنه قال: السّوء في ثلاثة: المرأة والدار، والفرس،
فأنكرت عائشة ذلك، وكذّبت الراوي وقالت: إنما قال ﷺ ذلك حكاية عن غيره
وروى بعض الصّحابة عنه ﷺ أنه قال: لاجر فاجر، فأنكرت عائشة ذلك، وكذّبت
الراوي وقالت: إنما قال ﷺ في تاجر دّلس
وأنكر قوم من أنصار رواية أبي بكر: «الأئمة من قريش»، ونسبوه الى افتعال هذه
الكلمة

وكان أبو بكر يقضي بالقضاء فينقضه عليه صاغر الصحابة كبلال وصُهيّب ونحوهما.
قد روي ذلك في عدة قصاي

وقيل لابن عباس: ان عبد الله بن الزبير يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس موسى
بني إسرائيل؛ فقال: كذب عدوّ الله! أخبرني أبيّ بن كعب، قال: خطبنا رسول الله ﷺ وذكر
كذّ: بكلام يدلّ على أنّ موسى صاحب الخضر هو موسى بني إسرائيل
وباع معاوية أواني ذهب وفضه بأكثر من وزنها، فقال له أبو الدرداء: سمعت رسول
الله ﷺ ينهى عن ذلك، فقال معاوية: ما أنا فلا أرى به بأساً؛ فقال أبو الدرداء: من عذيري
من معاوية! أخبره عن الرسول ﷺ، وهو يخبرني عن رأيه! والله لا أساكئك بأرضٍ أبداً.
وطعن ابن عباس في خبر أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ: «إذا استيقظ أحدكم من نومه
فلا يدخلن يده في الإناء حتّى يتوضأ»، وقال: فما تصنع بالمهراس^(٢)!

(٢) المهراس: إناء مستطيل منقور يتوضأ فيه.

(١) صقع الديك صقعا: صاح.

وقال عليّ عليه السلام لعثمان ^(١) وقد أفتاه الصحابة في مسألة وأجمعوا عليها: إن كنوا راقبوك فقد غشوك، وإن كن هذا جهد رأيهم فقد أخطئوا.

وقال ابن عباس: ألا يتقى الله زيد بن ثابت، يجعل ابن الابن ابناً، ولا يجعل أب الأب أباً!

وقالت عائشة: أخبروا زيد بن أرقم أنه قد حبط جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأنكرت الصحابة على أبي موسى قوله: إن النوم لا ينقض الوضوء، ونسبته إلى الغفلة وفلة التحصيل، وكذلك أنكرت على أبي طلحة الأنصاري قوله: إن أكل البرد لا يفطر الصائم، وهزأت به ونسبته إلى الجهل.

وسمع عمر عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب يختلفان في صلاة الرجل في الثوب الواحد، فصعد المنبر وقال: إذا اختلف اثنان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أي فتياكم يصدر المسلمون! لا أسمع رجلين يختلفان بعد مقامي هذا إلا فعلت وصنعت.

وقال جرير بن كليب: رأيت عمر ينهى عن المتعة، وعليّ عليه السلام يأمر بها، فقلت: إن بينكما لشراً، فقال عليّ عليه السلام: ليس بيننا إلا الخير، ولكن خیرنا تبعنا لهذا الدين.

قال هذا المتكلم: وكيف يصح أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»؛ لا شبهة أن هذا يوجب أن يكن أهل الشام في صفين على هدى، وأن أهل العراق أيضاً على هدى، وأن يكون قاتل عمار بن ياسر مهتدياً؛ وقد صح الخبر الصحيح أنه قال له: «تقتلك الفئة الباغية»، وقال في القرآن: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ ^(٢)؛ فدل على أنها ما دامت موصوفة بالمقام على البغي، مفارقة لأمر الله، ومن يفارق أمر الله لا يكون مهتدياً.

وكان يجب أن يكون بسر بن أبي أرطاة الذي ذبح ولدي عبيد الله بن عباس الصغيرين مهتدياً، لأن بسرأ من الصحابة أيضاً. وكان يجب أن يكون عمرو بن العاص ومعاوية اللذان كانا يلعبان علياً أدبار الصلاة وولديه مهتدين؛ وقد كان في الصحابة من يزني ومن يشرب الخمر كأبي محجن الثقفي، ومن يرتد عن الإسلام كطليحة ابن خويلد، فيجب أن

يكون كل من اقتدى بهؤلاء في أفعالهم مهتدياً.

قال: وإنما هذا من موضوعات متعصبة الأهوية^(١)، فإن لهم من ينصرهم بلسانه، وبوضعه الأحاديث إذا عجز عن نصرهم بالسيف

وكذا القول في الحديث الآخر، وهو قوله: «القرن الذي أنا فيه»، ومما يدل على بطلانه أن القرن الذي جاء بعده بخمسين سنة شرُّ قرون الدُّنيا، وهو أحد القرون التي ذكرها في النص. وكان ذلك القرن هو القرن الذي قُتل فيه الحسين، وأوقع بالمدينة، وحوصرت مكة، ونقضت الكعبة، وشربت خلفاؤه والقائمون مقدمه والمنتصبون في منصب النبوة الخمور، وارتكبوا الفجور، كما جرى ليزيد بن معاوية ويزيد بن عاتكة وللوليد بن يزيد، وأريقت الدماء لحرام، وقُتل المسلمون، وسُبي الحرير، واستعبد أبناء المهاجرين والأنصار، ونُقِس على أيديهم كما يُنقَس على أيدي الرُّوم، وذلك في خلافة عبد الملك وإمرة الحجاج وإذا تأملت كتب التواريخ وجدت الخمسين الثانية شرّاً كلّها لا خير فيها، ولا في رؤسائها وأمرائها، والناس برؤسائهم وأمرئهم، والقرن خمسون سنة، فكيف يصحّ هذا الخبر.

قال: فأما ما ورد في القرآن من قوله تعالى: ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين﴾^(٢). وقوله: ﴿محمدٌ رسول الله والذين معه﴾^(٣).

وقول النبي ﷺ: إن الله أطلع على أهل بدر؛ إن كان الخبر صحيحاً فكلّه مشروط بسلامة العاقبة، ولا يجوز أن يخبر الحكيم مكلّفاً غير معصوم بأنه لا عقاب عليه، فليفعل ما شاء.

قال هذا المتكلم: ومن أنصف وتأمل أحوال الصحابة وجددهم مثلنا، يجوز عيهم ما يجوز علينا، ولا فرق بيننا وبينهم إلا بالصّحبة لا غير، فإن لها منزلةً وشرفاً، ولكن لا إلى حيث^(٤) يتمتع على كل من رأى الرسول أو صاحبه يوماً أو شهراً أو أكثر من ذلك أن يخطئ ويَزِلّ، ولو كان هذا صحيحاً ما احتاجت عائشة إلى نزول براءتها من السماء، بل كان رسول الله ﷺ من أوّل يوم يعلم كذب أهل الإفك، لأنها زوجته، وصحبته له آكد من

(١) في ط: الأهوية.

(٢) الفتح: ١٨.

(٤) في ط: إلى حد.

(٣) الفتح: ٢٩.

صحبة غيرها. وصفوان بن المعطل أيضاً كان من الصحابة، فكان ينبغي ألا يضيق صدر رسول الله ﷺ، ولا يحمل ذلك الهم والغم الشديدين اللذين حملهما ويقول: صفوان من الصحابة، وعائشة من الصحابة، والمعصية عليهما ممتنعة.

وأمثال هذا كثير، وأكثر من الكثير؛ لمن أراد أن يستقرئ أحوال القوم، وقد كان التابعون يسلكون بالصحابة هذا المسلك، ويقولون في العصاة منهم مثل هذا القول، وإنما اتخذهم العامة أرباباً بعد ذلك.

قال: ومن الذي يجترئ على القول بأن أصحاب محمد ﷺ لا تجوز البراءة من أحدٍ منهم وإن أساء وعصى بعد قول الله تعالى للذي شرّفوا برويته: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١) بعد قوله: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) وبعد قوله: ﴿فَاخْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾^(٣)، إلا من لا فهم له ولا نظر معه، ولا تمييز عنده.



قال: ومن أحب أن ينظر إلى اختلاف الصحابة، وطعن بعضهم في بعض وردّ بعضهم على بعض، وما ردّ به التابعون عليهم واعترضوا به أقوالهم، واختلاف التابعين أيضاً فيما بينهم، وقدح بعضهم في بعض، فليُنظر في كتاب الحافظ النظام، قال الجاحظ: كان النظام أشدّ الناس إنكاراً على الرافضة، لطعنهم على الصحابة، حتى إذا ذكر الفتيا وتنقل الصحابة فيها، وقضاياهم بالأمور المختلفة، وقول من استعمل الرأي في دين الله، انتظم مطاعن الرافضة، وزاد عليها؛ وقال في الصحابة أضعاف قولها.

قال: وقال بعض رؤساء المعتزلة غلط أبي حنيفة في الأحكام عظيم، لأنه أضل خلقاً وغلط حماد^(٤) أعظم من غلط أبي حنيفة، لأن حماد أصل أبي حنيفة الذي منه تفرّع،

(٢) الزمر: ٦٥.

(٤) حماد: هو حماد بن أبي سليمان.

(١) الزمر: ٦٥.

(٣) سورة ص: ٢٦.

وغلط إبراهيم أغلظ وأعظم من غلط حماد، لأنه أصل حماد وغلط علقمة^(١) والأسود^(٢) أعظم من غلط إبراهيم لأنهما أصله الذي عليه اعتمد، وغلط ابن مسعود أعظم من غلط هؤلاء جميعاً، لأنه أول من بدّر إلى وضع الأديان برأيه، وهو الذي قال: أقول فيها برأبي، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني.

قال: واستأذن أصحاب الحديث على ثمامة^(٣) بخراسان حيث كان مع الرشيد بن المهدي، فسأله كتابه الذي صنّفه على أبي حنيفة في اجتهد الرأي، فقال: لست على أبي حنيفة كتب ذلك الكتاب، وإنما كتبت على علقمة والأسود وعبدالله بن مسعود لأنهم الذين قالوا بالرأي قبل أبي حنيفة.

قال: وكان بعض المعتزلة أيضاً إذ ذكر ابن عباس استصغره وقال: صاحب الذؤبة يقول في دين الله برأيه.

وذكر الجاحظ في كتابه المعروف «بكتاب التوحيد» أن أبا هريرة ليس بثقة في الرواية عن رسول الله ﷺ؛ قال: ولم يكن عليّ^(٤) يوثقه في الرواية، بل يتهمه، ويقدر فيه، وكذلك عمر وعائشة.

وكان الجاحظ يفسق عمر بن عبد العزيز ويستهزئ به ويكفره، وعمر بن العزيز وإن لم يكن من الصحابة فأكثر العامة ترى له من الفضل ما يراه لواحد من الصحابة.

وكيف يجوز أن نحكم حكماً جزئياً أن كل واحد من الصحابة عدل، ومن جملة الصحابة الحكم بن أبي العاص! وكفاك به عدواً مبغضاً لرسول الله ﷺ! ومن الصحابة الوليد بن عقبة الفاسق بنص الكتاب، ومنهم حبيب بن مسلمة الذي فعل ما فعل بالمسلمين في دولة معاوية، وبشر بن أبي أرطاة عدو الله وعدو رسوله، وفي الصحابة كثير من المنافقين لا يعرفهم الناس. وقال كثير من المسلمين: مات رسول الله ﷺ ولم يعرفه الله سبحانه كل المنافقين بأعيانهم، وإنما كان يعرف قوماً منهم، ولم يعلم بهم أحداً إلا حذيفة فيما زعموا، فكيف يجوز أن نحكم حكماً جزئياً أن كل واحد ممن صحب رسول الله أو رآه أو عاصره

(٢) الأسود بن يزيد.

(١) علقمة بن قيس.

(٣) ثمامة بن أشرس.

عَدْلُ مَأْمُونٍ، لَا يَقَعُ مِنْهُ خَطَأٌ وَلَا مَعْصِيَةٌ، وَمَنْ الَّذِي يُمْكِنُهُ أَنْ يَتَحَجَّرَ وَاسِعاً كَهَذَا التَّحَجُّرِ، أَوْ يَحْكُمَ هَذَا الْحُكْمَ!

قال: والعجب من الحشويّة وأصحاب الحديث إذ يجادلون على معاصي الأنبياء، ويثبتون أنهم عصوا الله تعالى، وينكرون على من ينكر ذلك، ويطعنون فيه، ويقولون: قَدَرِيّ معتزليّ، وربما قالوا: مُلْحِدٌ مُخَالِفٌ لِنَصِّ الْكِتَابِ؛ وَقَدْ رَأَيْنَا مِنْهُمْ الْوَاحِدَ وَالْمِائَةَ وَالْأَلْفَ يُجَادِلُ فِي هَذَا الْبَابِ، فَتَارَةً يَقُولُونَ: إِنَّ يَوْسُفَ قَعَدَ مِنْ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنَ الْمَرْأَةِ، وَتَارَةً يَقُولُونَ: إِنَّ دَاوُدَ قَتَلَ أَوْريَا لِيَنْكِحَ امْرَأَتَهُ، وَتَارَةً يَقُولُونَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ كَافِراً ضَالّاً قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَرَبَّما ذَكَرُوا زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ^(١) وَقِصَّةَ الْفِدَاءِ يَوْمَ يَدْرُ.

فَأَمَّا قَدْ حُكِمَ فِي آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِثْبَاتِهِمْ مَعْصِيَتَهُ وَمَنَاطِرَتِهِمْ لِمَنْ يَنْكُرُ ذَلِكَ^(٢) فَهُوَ دَأْبُهُمْ وَدَيْدَنُهُمْ، فَإِذَا تَكَلَّمَ وَاحِدٌ فِي عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَوْ فِي مَعَاوِيَةَ وَأَمْثَالِهِمَا وَنَسَبِهِمْ إِلَى الْمَعْصِيَةِ وَفِعْلِ الْقَبِيحِ، احْمَرَّتْ وَجُوهُهُمْ، وَطَالَتْ أَعْنَاقُهُمْ، وَتَخَازَرَتْ أَعْيُنُهُمْ، وَقَالُوا: مُبْتَدِعٌ رَافِضِيٌّ، يَسِبُّ الصَّحَابَةَ، وَيَشْتُمُ السَّلَفَ، فَإِنْ قَالُوا: إِنَّمَا اتَّبَعْنَا فِي ذِكْرِ مَعَاصِي الْأَنْبِيَاءِ نصوص الكتاب: فَيُلْهِمُ لَهُمْ: فَاتَّبِعُوا فِي الْبَرَاءَةِ مِنْ جَمِيعِ الْعُصَاةِ نصوص الكتاب، فَإِنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٣)، وَقَالَ: ﴿فَإِنْ بَعَثَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرِى فَقَاتِلَا الَّتِي تُبْغِي حَتَّى تَفِيَّ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٤)، وَقَالَ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٥).

ثُمَّ يَسْأَلُونَ عَنْ بَيْعَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، هَلْ هِيَ صَحِيحَةٌ لَازِمَةٌ لِكُلِّ النَّاسِ؟ فَلَا يَدُّ مِنْ «بَلَى»، فَيَقَالُ لَهُمْ: فَإِذَا خَرَجَ عَلَى الْإِمَامِ الْحَقِّ خَارِجٌ أَلَيْسَ يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ قِتَالُهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَى الطَّاعَةِ؟ فَهَلْ يَكُونُ هَذَا الْقِتَالُ إِلَّا الْبَرَاءَةَ الَّتِي نَذَكَّرُهَا لِأَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، وَإِنَّمَا بَرِئْنَا مِنْهُمْ لِأَنَّا لَسْنَا فِي زَمَانِهِمْ، فَيُمْكِنُنَا أَنْ تَقَاتِلَ بِأَيْدِينَا، فَقُصَارَى أَمْرِنَا الْآنَ أَنْ نَبْرَأَ مِنْهُمْ وَنَلْعَنَهُمْ، وَلِيَكُونَ ذَلِكَ عَوْضاً عَنِ الْقِتَالِ الَّذِي لَا سَبِيلَ لَنَا إِلَيْهِ.

(١) هـ. ص: أي أن الله حاسبه على كتم ما في نفسه من أمرها، والله أعلم.

(٢) (٣) المجادلة: ٥.

(٢) في ط: من يذكر ذلك.

(٥) النساء: ٥٩.

(٤) الحجرات: ٤٩.

قال هذا المتكلم: على أن النّظام وأصحابه ذهبوا الى أنه لا حجة في الإجماع، وأنه يجوز أن تجتمع الأمة على الخطأ والمعصية، وعلى الفسق، بل على الرّدة، وله كتاب موضوع في الإجماع^(١) يطعن فيه في أدلة الفقهاء، ويقول: إنها ألفاظ غير صريحة في كون الإجماع حجة، نحو قوله: ﴿جعلناكم أمةً وسّطاً﴾^(٢) وقوله: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾^(٣) وقوله: ﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾^(٤).

وأما الخبر الذي صورته: «لا تجتمع أمتي على الخطأ» فخير واحد، وأمثلة دليل للفقهاء قولهم: إن الهمم المختلفة، والآراء المتباينة، إذا كان أربابها كثيرة عظيمة، فإنه يستحيل اجتماعهم على الخطأ، وهذا باطل باليهود والنصارى وغيرهم من فرق الضلال. هذه خلاصة ما كان الثّقيب أبو جعفر علّقه بخطّه من الجزء الذي أقرأناه. انتهى نقلاً من شرح ابن أبي الحديد^(٥).

(٢) البقرة: ١٤٣.

(٤) النساء: ١١٥.

(١) في ص: في الأحكام.

(٣) آل عمران: ١١٠.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ١٠ - ٣٤.

ومن خطبة له عليه السلام :

فَكَانَ ^(١) مِنْ أَقْتِدَارِ ^(٢) جَبْرُوتِهِ ^(٣). وَبَدِيعِ ^(٤) لَطَائِفِ ^(٥) صَنَعَتِهِ أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ أَلِيمٍ ^(٦)
الزَّائِرِ ^(٧). الْمُتَزَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ ^(٨) يَبْسًا ^(٩) جَامِداً. ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقاً فَفَتَقَهَا سَنَعَ
سَمَوَاتٍ ^(١٠) بَعْدَ أَرْتَاقِهَا فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ. وَقَامَتْ عَلَى حَدِّهِ ^(١١) يَخِيلُهَا الْأَخْضَرُ ^(١٢)
الْمُشْعَنْجِرُ ^(١٣) وَالْقَمَقَامُ ^(١٤) الْمُسَخَّرُ قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِهَيْئَتِهِ، وَوَقَفَ الْجَارِي مِنْهُ لِحَشِيَّتِهِ،
وَجَبَلَ ^(١٥) جَلَامِيدَهَا ^(١٦) وَنُشُورَ ^(١٧) مَتُونِهَا وَأَطْوَادَهَا ^(١٨) فَأَرْسَاهَا ^(١٩) فِي مَرَاسِيهَا
وَأَلْزَمَهَا ^(٢٠) قَرَارَتَهَا ^(٢١) فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِي أَلْهَوَاءٍ، وَرَسَتْ ^(٢٢) أَصُولُهَا فِي الْمَاءِ

(١) في ط و د: وكان مراجعة في ه. د: فكان - ش.

(٢) في ه. ب: الاقتدار: أن يصير قادراً. (٣) في ه. ب: جبروت: وجبوره أي كبره.

(٤) في د: بديع. (٥) في ص: ولطيف وفي ه. ص: ويديع لطائف.

(٦) في ط و د: البحر، وفي ه. ب: اليم.

(٧) في ه. ب: الزاخر: الكثيف وكثير الموج المرتفع.

(٨) في ه. ب: القصف الكسر، قصفت الريح الماء في البحر.

(٩) في ه. ص: بالتحريك المكان يكون رطباً ثم ييبس.

(١٠) في ه. ص: المراد بالسموت هنا الأرضون كما يوضحه تمام الكلام.

(١١) في ط و د زيادة: وأرسي أرضاً. (١٢) في ه. ب: البحر.

(١٣) في ه. ب: المصبوب، الثعنجر: الانصباب، وفي ه. ص: هو السائل، ثعنجرت الدم وغيره

وائعنجر، أي صببته فانصب.

(١٤) في ه. ب: البحر وهو المراد به هنا البحر وكأنه جنس لكل عظيم.

(١٥) في ه. ب: خلق.

(١٦) في ه. ب: احجارها، وفي ه. ص: جمع جلعود وهو الصخر.

(١٧) في ه. ب: النشز، المراد به المرتفع، والنشز: الارتفاع بمعنى، وفي ه. ص: جمع نشز وهو المرتفع.

(١٨) في ه. ب: جمع طود. (١٩) في ه. ب: أثبتها.

(٢٠) في ط: وألزمها.

(٢١) في ص: قراراتها، وفي ه. ص: جمع فرارة، وفي شرح ابن أبي الحديد: قرارها، والمراد به

موضع استقرارها.

(٢٢) ب: رسمت، وفي ه. ب: في نسخة ورست. تثبتت

فَأَنهَدَ^(١) جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا، وَأَسَاخَ^(٢) قَوَاعِدَهَا فِي مَثُونٍ أَقْطَارِهَا^(٣) وَمَوَاضِعَ أَنْصَابِهَا^(٤)،
وَأَشْهَقَ^(٥) قِلَالَهَا^(٦)، وَأَطَالَ أَنْشَارَهَا^(٧)، وَجَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَاداً، وَأَرْزَهَا^(٨) فِيهَا أَوْتَاداً،
فَسَكَّنَتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مَنْ أَنْ تَمِيدَ^(٩) بِأَهْلِهَا أَوْ تَسِيخَ^(١٠) بِحِمْلِهَا أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا^(١١)
فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوْجَانِ مِيَاهِهَا، وَأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا، فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ
مِهَاداً^(١٢)، وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشاً فَوْقَ بَحْرِ لُجِّي^(١٣) رَاكِدٍ^(١٤) لَا يَجْرِي، وَقَائِمٍ^(١٥) لَا يَسْرِي،
تُكَوِّرُهُ^(١٦) الرِّيَّاحُ الْعَوَاصِفُ^(١٧)، وَتَمْخَضُهُ^(١٨) الْغَمَامُ الدَّوَارِفُ^(١٩)، إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ
لِمَنْ يَخْشَى^(٢٠).

-
- (١) في هـ ب و ص: أي جمع، وفي هـ ب انهض: انهض.
(٢) في هـ ب: أثبت.
(٣) في هـ ب: جوانبها.
(٤) في هـ ب: جمع نصب، وفي هـ ص: هي الأجسام المنصوبة، الواحدة نصب بضم النون
ولصاد.
(٥) في ط: فَأَشْهَقَ، وفي هـ ب: رفع وأعلى.
(٦) فله الجبل أعلاه والمراد جعلها شاهقة أي بعيدة الارتفاع.
(٧) أي مد متونها المرتفعة في جوانب الأرض، وفي هـ ب: جمع نشر.
(٨) في ط و د: وَأَرْزَهَا، وفي هـ ب في نسخة: وَأَرْزَ فِيهَا، وفي هـ د: روي، أرزها، وروي: أرز
فيها - ر، وفي هـ ب و ص: أرزها: أثبتها. (٩) أي تضطرب وتزلزل بهم.
(١٠) في هـ ب: أي تتخسف، وساخ وخسف بمعنى واحد.
(١١) في ص و د: موضعها، وفي هـ د: مواضعها - ض، ح، ب.
(١٢) المهاد: الفرش وما يهيا لنوم الصبي.
(١٣) في هـ ب: كثير، واللجة صب الماء أكثر من البحر.
(١٤) في هـ ب: راكد، صفة البحر.
(١٥) في هـ ب: قائم صفة الجبار.
(١٦) في ب: يكركره، وفي هـ ب: يحركه، وفي هـ ب: الكركرة تصريف الرياح السحاب إذا
جمعت. (١٧) في هـ د: القواصف - ع.
(١٨) في هـ ب: المخضة، المخض تحريك اللبن لإخراج زبدته.
(١٩) من ذرف الدمع إذا سال، وفي هـ ب: السائلات.
(٢٠) (٢٠) النازعات: ٢٦.

ومن خطبة له عليه السلام :

اللَّهُمَّ^(١) أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا أَلْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِزَةِ وَالْمُصْلِحَةَ فِي الدِّينِ
وَالدُّنْيَا غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ^(٢) فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا النُّكُوصَ^(٣) عَنْ نُصْرَتِكَ وَالْإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ
دِينِكَ فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ يَا أَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً^(٤) وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَنْ^(٥) أَشْكَنْتَهُ
أَرْضَكَ وَسَمَوَاتِكَ^(٦) ثُمَّ أَنْتَ بَعْدَهُ^(٧) الْمُغْنِي عَنْ نُصْرِهِ وَالْآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ.

(١) في هـ. ص هذا الدعاء على الذين قعدوا عن القتال معه ولاسيما القدوة منهم فان مفسده

قعودهم أكبر لأنهم قعدوا واقعدوا بقعودهم من اقتدى بهم.

(٢) في ط و د والمصلحة غير المفسدة في الدين والدنيا، وفي هـ. د: والمصلحة في الدين

والدنيا غير المفسدة - ش. (٣) أي الرجوع على الأعقاب.

(٤) في ط بأكبر وفي هـ. ط وهو النبي ﷺ أو القرآن، وفي هـ. ص انتصب على التمييز.

(٥) في د: ما.

(٦) الى هن ورد في ب، والظاهر وجود سقط هنا، فان الخطبة ٢١١ و ٢١٢ لم تردا في ب.

(٧) في د: بعد.

ومن خطبة له عليه السلام :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ عَنْ شَيْبِهِ ^(١) الْمَخْلُوقِينَ، الْغَالِبِ لِمَقَالِ الْوَاصِينَ، الظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ
تَدْبِيرِهِ لِلنَّاطِرِينَ، الْبَاطِنِ ^(٢) بِجَلَالِهِ ^(٣) عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ الْمُتَوَهِّمِينَ، الْعَالِمِ بِأَكْتِسَابٍ وَلَا
أَزْدِيَادٍ وَلَا عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ، الْمُقَدِّرِ لَجَمِيعِ الْأُمُورِ بِأَرْوِيَّةٍ وَلَا ضَمِيرٍ، الَّذِي لَا تَغْشَاهُ الظُّلُمُ،
وَلَا يَسْتَضِيءُ بِالْأَنْوَارِ وَلَا يَرْهَقُهُ ^(٤) لَيْلٌ وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ نَهَارٌ، لَيْسَ إِدْرَاكُهُ بِالْأَبْصَارِ ^(٥)،
وَلَا عِلْمُهُ بِالْإِخْتِبَارِ ^(٦)

منها في ذكر النبي ﷺ ^(٧) أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ وَقَدَّمَ فِي الْأَصْطِفَاءِ ^(٨) فَرَّقَ بِهِ ^(٩) الْمَقَاتِقَ
وَسَاوَرَ ^(١٠) بِهِ الْمُغَالِبَ. وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ وَسَهَّلَ بِهِ الْحُزُونََ ^(١١) حَتَّى سَرَّحَ ^(١٢) الضَّلَالَ عَنْ
يَمِينٍ وَشِمَالٍ.

(١) الشَّيْبُ: المِشَابَهَةُ

(٢) فِي هـ. د: وَالْبَاطِنُ - ض ح ب .

(٤) فِي هـ. ص: أَيْ لَا يَغْشَاهُ .

(٣) كَذَا فِي ص، وَفِي ط: بِجَلَالِ.

(٥) فِي هـ. ص: مُصَدَّرُ أَبْصَرَ.

(٦) فِي هـ. د: بِالْإِخْتِبَارِ - م، وَرَوَى بِالْإِخْتِبَارِ - ك ر. وَفِي هـ. ص: مُصَدَّرُ أَخْبَرَ.

(٧) فِي هـ. ص فِي نَسْخَةٍ: زِيَادَةٌ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

(٨) فِي هـ. ص: قَالَ فِي صَحَاحِ الْجَوْهَرِيِّ، وَصِفَةُ الشَّيْءِ خَالِصَتُهُ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ صِفُوهُ اللَّهُ

تَعَالَى مِنْ خَلْقِهِ وَمُصْطَفَاهُ، عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ، يُقَالُ لَهُ: صِفُوهُ مَالِي، وَصِفُوهُ مَالِي وَصِفُوهُ مَالِي،

فَإِذَا نَزَعُوا الْهَاءَ قَالُوا لَهُ: صَفُو مَالِي بِالْفَتْحِ لَا غَيْرَ.

(٩) أَيْ سَدَّ بِهِ، وَالْمَقَاتِقُ مَوَاضِعُ الْفَتْقِ كَالْفَسَادِ بَيْنَ النَّاسِ.

(١٠) فِي هـ. ص: وَائْتِبَ مُغَالِبَهُ. (١١) الْحُزُونَةُ: ضِدُّ السَّهُولَةِ.

(١٢) أَيْ فَرَّقَ .

ومن خطبة له عليه السلام :

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلٌ، وَحَكَمٌ فَصَلٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَسَيِّدُ عِبَادِهِ،
كُلَّمَا نَسَخَ اللَّهُ الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا، لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ^(١)، وَلَا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ.
أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلًا، وَلِلْحَقِّ دَعَائِمَ، وَلِلطَّاعَةِ عِصْمًا^(٢)، وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ
كُلِّ طَاعَةٍ عَوْنًا مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ^(٣)، يَقُولُ عَلَى الْأَلْسِنَةِ؛ وَيُثَبِّتُ^(٤) بِهِ^(٥) الْأَفْقِدَةَ؛ فِيهِ كِفَاءٌ^(٦)
لِمُكْتَفٍ، وَشِفَاءٌ لِمُسْتَفٍ.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمُهُ، يَصُونُونَ مَصُونَهُ، وَيُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ؛
يَتَوَاصِلُونَ بِالْوِلَايَةِ، وَيَتَلَاَقُونَ بِالْمَحَبَّةِ، وَيَتَسَاقَوْنَ بِكَأْسِ رَوْيَةٍ، وَيَصْدُرُونَ بِرِيَّةٍ^(٧). لَا
تَشُوبُهُمُ الرِّيْبَةُ، وَلَا تُسْرِعُ فِيهِمُ الْغَيْبَةُ؛ عَلَى ذَلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَأَخْلَقَهُمْ، فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ،
وَبِهِ يَتَوَاصِلُونَ. فَكَانُوا كَتَفَاضِلِ الْبَذْرِ يُنْتَفَى، فَيُؤْخَذُ مِنْهُ وَيُلْقَى، قَدْ مَيَّرَهُ التَّخْلِيصُ،
وَهَذَّبَهُ التَّحْيِصُ.

فَلْيَقْبَلِ أَمْرٌ كَرَامَةً بِقَبُولِهَا، وَلْيُخْذَرْ قَارِعَةً قَبْلَ حُلُولِهَا، وَلْيَنْظُرِ أَمْرٌ فِي قَصِيرِ أَيَّامِهِ
وَقَلِيلِ مُقَامِهِ فِي مَنْزِلٍ، حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلًا؛ فَلْيَصْنَعْ لِمُتَحَوِّلِهِ^(٨)، وَمَعَارِفِ مُنْتَقِلِهِ^(٩).

(١) من يأتي الحرمات

(٢) في هـ. ص: عصماً جمع عصمة وهو ما يعتصم به أي يمتنع أن يريده عليه السلام أن طاعة من أمر الله بطاعته عصمه من الضلال.

(٣) في هـ. ص: أي أن المطيعين لمن أمر الله بطاعته يمدهم الله بالطاعة، فهو عليه السلام يرغبهم في الطاعة والانقياد لمن جعله الله قدوة ومرجعاً وأخبر أن الحق معه وقائم به. انتهى.

(٤) في هـ. د: ويثبت - ض، ح. (٥) لم ترد به في ص.

(٦) في ص: فيه كفاء

(٧) في هـ. ص: بفتح الراء: الارتواء والاعتراف ذكره في الصحاح، وبكسر الراء هيئة المرتوي أي حاله المحتملة له بالارتواء فيكون وزنها فعلة. انتهى.

(٨) المنحول: ما يتحول إليه.

(٩) معارف المتنقل: المواضع التي يعرف الانتقال إليها.

قَطُوبِي لِيذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ. أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ ^(١)، وَتَجَنَّبَ مَنْ يُرِيدِيهِ. وَأَصَابَ سَبِيلَ ^(٢) السَّلَامَةِ بِبَصَرٍ مَنْ بَصَّرَهُ، وَطَاعَةَ هَادٍ أَمَرَهُ، وَبَادَرَ الْهُدَى قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ ^(٣)، وَتُقَطَّعَ أَسْبَابُهُ. وَأَسْتَفْتَحَ ^(٤) التَّوْبَةَ، وَأَمَاطَ ^(٥) الْحَوْبَةَ ^(٦)، فَقَدْ أُقِيمَ عَلَى الطَّرِيقِ ^(٧). وَهُدِيَ نَهْجَ السَّبِيلِ.

* * *

قوله ﷺ: «واشهد انه عدلٌ عدلٌ... الى آخره»:

قال في الشرح: الضمير في «أنه» يرجع الى القضاء والقدر المذكور في صدر هذه الخطبة، ولم يذكره الرضوي رحمه الله [يقول: أشهد أن قضاءه تعالى عدلٌ وعدلٌ وحكمٌ بالحق، فإنه حكم فصل بين العباد بالإنصاف] ونسب العدل والفصل إلى القضاء على طريق المجاز، وهو بالحقيقة منسوب إلى ذي القضاء، والقاضي به هو الله تعالى، انتهى ^(٨)

أقول: ان كان سوق الكلام يقتضي ما ذكره أو تكون لرواية: «في حكم» - بضم الحاء - فكلامه قريب، وإلا فإن الظاهر رجوع الضمير الى الباري تعالى وان الرواية: «في حكم» - بفتح الحاء والكاف - لأن الظاهر ان هذا الكلام متصل بالتحميد وشهادة التوحيد لا تراه عقبه بشهادة النبوة، والله أعلم.

قوله ﷺ: «لم يسهم فيه عاهر»

لم يسهم: أي لم يضرب فيه عاهر بسهم، أي بنصيب، وجمعه سُهمان، والعاهر: ذو العَهر، بالتحريك وهو الفجور والزنا، ويجوز تسكين الهاء، مثل نَهْرٍ ونَهَرٍ، [وهذا هو المصدر، ولماضي عَهَر بالفتح، والاسم العِهر، بكسر العين وسكون الهاء، ولمرة عاهرة ومعاهرة وعِيْهرة، ونعيْهَر الرجل إذا زنى، والفاجر كالعاهر هاهنا، وأصلُ الفجور: الميلُ،

(١) في هـ. ص: إشارة الى نفسه ﷺ وأئمة الدين من ولده تمت من شرح ابن ميثم

(٢) في ص: سبل.

(٣) في هـ ص استعار لفظ الأبواب له ولأئمة الدين الذين من قبله. انتهى من شرح ابن ميثم.

(٤) هـ ص أي طلب فتح بابها. (٥) في هـ. ص: أزال.

(٦) في هـ. ص: الحوب والحوبة: الاثم. (٧) في هـ. د: على طريق - ب.

(٨) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٦٦.

قال لبيد:

فإن تَتَقَدَّمْ تَغْشَ مِنْهَا مَقْدَمًا غليظاً، وإن أَخْرَتْ فَالْكِفْلُ فَاجِرٌ^(١)
يقول: مقعد الرديف مائل [٢]

وكذلك معنى: ولا ضرب فيه فاجر.

اذكر بعض المطاعن في النسب وكلام للجاحظ في ذلك]

وفي الكلام رمز إلى جماعة من الصحابة في أنسابهم طعن، (من شرح ابن أبي الحديد)^(٣)

وأقول: أصل مورد كلامه عليه السلام ومغزاه الحث على اتباع أهل البيت كما سنوضحه، فقدم الإشارة إلى فضلهم بظهارة النسب ويلزم منه أن يكونوا من ذرية نوح وإبراهيم الذين جعل الله فيهم النبوة والكتاب قطعاً جازماً.

أما أولاً: فلأنهم ذرية رسول الله ﷺ بنصه المصرح بانهم ذريته وعقبه.

وأما ثانياً: فلأنهم ذرية علي عليه السلام شريك رسول الله ﷺ في كل نسبه وشقيقه في كل أمهاته ما افترقا إلا في فاطمة بنت أسد. وقد كان رسول الله ﷺ يجريها مجرى أمه ويسميها أمه، وورد في تفضيلها وتعظيم رسول الله لها ما لم يرد في حق غيرها كما هو مشهور ونقله الخصوم، والله أعلم.

قال المطلب بن أبي وداعة: قال رسول الله ﷺ: «أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب،

إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً» انتهى من شرح ابن ميثم.

قوله ﷺ: «قد جعل للخير أهلاً وللحق دعائم»:

هذه مقدمة افتتح بها ما يريد من بيان أن للحق معدناً، وأنه يجب أن يطلب الحق في

معدنه، لأن الطلب في مظان الوجدان أجدر بتحصيل المطلوب

ومغزى الكلام الإشارة الى حكم قول رسول الله ﷺ: «اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا... الى آخره». وقوله ﷺ: «أهل بيتي كسفينة نوح . الى آخره» وقوله: «من سره ان يحيى حياتي ويموت مماتي.. الحديث بطوله»، ونحوها مما تواتر معناها من أن أهل بيت رسول الله ﷺ معدن الحق وأهل الهدى ودعائم الدين، لا يخرج الحق منهم. فبيّن ﷺ أوصافهم وما يجب على المكلفين أن يعاملوهم به، مجملًا غير مصرح باسمهم، وصرح في موضع آخر أن أهل البيت هم أهل الحق.

وكل الكلام الميهم والمعين مراد به اجاب اتباع اهل البيت والرجوع اليهم عند التباس

الحق

فلا تلتفت الى هراء كلام ابن أبي الحديد من تحريف الكلم عن مواضعه، والله أعلم.

قوله ﷺ: «المستحفظين علمه»:

يشير الى قوله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾^(١). فقد صحّ النقل عنه ﷺ. وعن علي بن الحسين زين العابدين، وعن الهادي يحيى بن الحسين: ان المراد بها أهل البيت.

ويوضح ذلك قوله ﷺ: «اني تارك فيكم.. الحديث» المثبت لاقتران أهل البيت بالقرآن أبداً. وسنة الرسول لا تفارق القرآن

فصح ان المستحفظين علم الله هم أهل البيت

ثم أخذ يبيّن أوصافهم وطريقتهم ترغيباً في الاقتداء بهم ودلالة عليهم، فقال: ان القوم الذين جعلهم الله امناء على العلم وحفاظاً له من شأنهم انهم يصونون ما يعلمون ان اظهاره لكل أحد مفسدة، ويلقونه الى من يعلمونه أهلاً له، وقد نسب ﷺ هذا الحكم الى نفسه - خاصة - في مواضع، وقال في بعض كلامه: «ولا بالمذاييع البذر»، وهي طريقة أهل البيت القدماء، فان علمهم القليل النافع.

قوله ﷺ: «ويفجّرون عيونه»: أي يوضّحون ما ينبغي ايضاحه واظهاره.

قوله ﷺ: «يتواصلون بالولاية»:

إمّا بمعنى أن الجامع بينهم والواصل: ولاية الله أي يصل بعضهم بعضاً لعلّة أنّه ولي الله لا لغرض دنيوي وأما بمعنى يصل بعضهم بعضاً بتوليده له لا كما يتواصل أهل الدنيا بالحباء وتقارض الشاء.

قوله ﷺ: «ويتلاقون بالمحبة»: أي أن بعضهم وإن لم يلق أخاه بيدنه فهو ملاقيه بقلبه لحب بعضهم بعضاً.

قوله ﷺ: «ويتساقون بكأس رويّة»: من إيضاح بعضهم لبعض ما التبس عليه من إخفاء الحق واعطائه وتثبيت قواعد الدين وتقرير قوانين الشريعة، وسماها «كأساً روية»: لأنها تروي من شرب بها وتعينه؛ لأنها حق وصواب.

وقوله ﷺ: «يصدرون»: أي أن الواحد منهم إذا ورد على هذه الكأس صدر برّي، أي باغتراف وامتلاء، على رواية فتح الرءاء، وإن كانت الرواية بكسر الرءاء، فالمعنى: بنقع الغلة. قوله ﷺ: «على ذلك عقد خلقهم وأخلاقهم»:

أي هم مهيتون لذلك ليسرون له، فكانهم مجبولون على هذه الطريقة؛ لعدم صدور ضدها عنهم. قوله ﷺ: «فكانوا»: أي حالهم في باب اختيار الله لهم - كحال البذر حين يختار فيلقى ما يختار، أي فيبذر به، أو يكون المعنى: يتخير فيؤخذ المختار ويلقى أي يقذف المكروه.

ثم أكد معنى التخيّر بقوله ﷺ: «قد ميّزه التخليص»: أي عن المستكره وهذبه التمحيص أي التنقية والتطهير.

والحكمان راجعان بالحقيقة إلى المشبّه، وإن جرياً في اللفظ على المشبّه به. ثم قال: إذا ثبت أن الله سبحانه يختار لحمل دينه وحفظه والدعاء إلى سبيله قوماً من خلقه، كما قال تعالى: ﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾^(١). وإنما يعوّل في معرفة من اختار على توقيفه. فليقبل امرؤ عرف من اختاره الله كرامةً أكرم الله بها من يشاء بقبولها أي بالقبول المناسب لها، وهو الإذعان والتسليم لله والانقياد والطاعة لصاحبها.

وهذا تعريض بمقالة من يقرّ بأن الله اختاره وأهل بيته لإمامة الخلق ولكنهم عرفوا أن الصواب خلاف ذلك، كما يقع في فلتات كلمات عمر، وكما هو مذهب البغدادية. وليحذر قارعة تصيبه على حجه لذلك قبل حلولها : لان عذاب الله إنما يحذر قبل حلوله.

ثم قال: ان المكابرة التي يحمل عليها الحسد يجب أن يطرحها الإنسان مستعيناً بالنظر في انقطاع الدنيا والتحول إلى الأخرى التي لا تنفع فيها إلا الحقائق
ثم قال: اذا كان لا ينفع في الآخرة إلا الحقائق، فطوبى لذي قلب سلم من داء الغلّ والحسد، أطاع من يهديه وتجنب من يرديه وأصاب طريق الحق بالانقياد لمن جعله الله هادياً له.

ثم قال ﷺ: قد أُقيم كلّ من اخنار الهدى على طريق الحق بايضاح أهله، وهدى نهج السبيل بايجاب اتباع من يهديه.

فهذا الكلام منه ﷺ لبيان أن المكلفين منهم هداة، ومنهم مقتدون بهم.

وقد بيّن في غير موضع أن أهل البيت هم أهل الحق الواجب اتباعهم، فيحمل هذا الكلام عليهم حمل المجمل على المبين، والله أعلم.

ومن دعاء كان يدعو به عليه السلام كثيرا:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُضَيِّعْ بِي مَيْتًا وَلَا سَقِيمًا^(١) وَلَا مَضْرُوبًا^(٢) عَلَى عُرْوَقِي بِسُوءِ^(٣) وَلَا
مَأْخُودًا بِأَسْوَأَ عَمَلِي وَلَا مَقْطُوعًا دَابِرِي وَلَا مُرْتَدًّا عَنْ دِينِي وَلَا مُنْكَرًا لِرَبِّي وَلَا
مُسْتَوْحِشًا مِنْ إِيحَانِي وَلَا مُلْتَبِسًا^(٤) عَقْلِي وَلَا مُعَذَّبًا بِعَذَابِ الْأَمَمِ مِنْ قَبْلِي أَصْبَحْتُ عَبْدًا
مَمْلُوكًا ظَالِمًا لِنَفْسِي لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَلَا حُجَّةَ لِي. لَا^(٥) أَشْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ إِلَّا مَا أَعْطَيْتَنِي
وَلَا أَتَقَى إِلَّا مَا وَقَيْتَنِي.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقَرَ فِي غِنَاكَ أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ أَوْ أَضَامَ فِي سُلْطَانِكَ^(٦) أَوْ
أُضْطَهَدَ^(٧) وَالْأَمْرُ لَكَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِي وَأَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَزَجِّعُهَا مِنْ وَدَائِعِ
نَعْمِكَ عِنْدِي^(٨).

(١) في هـ. ص: أي لم يدخلني في الصباح كائناً على أحد الحالات.

(٢) في هـ. د: ولا مضروباً - ب.

(٣) في هـ. ص قال في الشرح: أي برص، ويحتمل أن يريد به عموم السوء من كل ما يسوءه.

(٤) ولا ملتبساً - ب، روي ملتبساً - ر. (٥) في ط: ولا

(٦) في هـ. ص: شبه الغنى والهدى والسلطان في سعتهم وشمولهم بالظرف المحيط بمظروفه
فاستعمل من العبارة ما يفيد الاحاطة.

(٧) هـ. ص: الظاء بدل من ياء الافتعال، واصل الفعل: ضهد فلان فهو ضهيد أي قهر وفلان ضهد
لقهره كل أحد.

(٨) في هـ. ص: هذه دعوة النبي صلى الله عليه وآله وهي قوله: اللهم متعنا باسمعنا وأبصارنا واجعله الوارث
منا. أي لا تجعل موتنا متأخراً عن بقية اخواننا، وكان علي بن الحسين عليه السلام يقول في دعائه:
اللهم احفظ سمعي وبصري الى انتهاء جلبي، وفسروا قوله عليه السلام واجعله الوارث منا، فقالوا:
الضمير يرجع الى الامتاع.

فان قلت: كيف ينفي الامتاع بالسمع والبصر بعد خروج الروح، قلت: هذا توسع في الكلام،

اَللّٰهُمَّ اِنَّا نَعُوْذُ بِكَ اَنْ نَّذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ، اَوْ اَنْ نُفْتَنَ ^(١) عَنْ دِيْنِكَ، اَوْ تَتَابَعَ ^(٢) بِنَا اَهْوَاؤُنَا
دُوْنَ اَلْهُدٰى الَّذِى جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ.

→ والمراد: لا تبلنا بالعمى ولا بالصمم فنكون أحياء في الصورة ولسنا بأحياء في المعنى؛ لأن من يعدمهما لا خير له في الحياة، فجملته على أن طلب بقائهما بعد ذهاب بصر النفس ايذاناً واشعاراً بحبه ألا يبتلي بفقدتهما، انتهى من شرح ابن أبي الحديد ٨٧: ١١

(١) في هـ. د: أو نفتن - ب، روي نفتن - ل ر.

(٢) في ط: تتابع، وفي د: تتابع، وفي هـ. د: روي في الأصل: تتابع - ر، وفي هـ. ص: هو التهافت في الشر واللجاج، ولا تستعمل إلا في مثل ذلك.

ومن خطبة له عليه السلام خطبها بصفين :

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا بِوِلَايَةِ أَمْرِكُمْ^(١) وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ
الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ. فَالْحَقُّ^(٢) أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ^(٣) وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ^(٤). لَا
يَجْرِي^(٥) لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ^(٦) وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلَا
يَجْرِيَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَلَعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا
جَرَتْ^(٧) عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ وَلَكِنَّهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ
مُضَاعَفَةً^(٨) الثَّوَابِ تَفَضُّلاً مِنْهُ وَتَوْسَعاً بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ. ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حُقُوقِهِ
حُقُوقاً أَفْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ^(٩) فِي وُجُوهِهَا^(١٠) وَيُوجِبُ بَعْضُهَا
بَعْضاً. وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ وَأَعْظَمُ مَا أَفْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ
الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي. فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ عَلَى كُلِّ
فَجَعَلَهَا نِظَاماً^(١١) لِأَلْفَتِهِمْ وَعِزّاً لِدِينِهِمْ فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ^(١٢) الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوَلَاةِ وَلَا
تَصْلُحُ^(١٣) الْوَلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ. فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا

(١) في هـ. ب: بعني قوله تعالى: «أطيعوا الله» الى آخره.

(٢) في ب و ط والحق و في هـ. ص في نسخة: والحق.

(٣) في هـ. ب: أي في الوصف سهل أن يوصف أما في العمل صعب أن يعمل به.

(٤) في هـ. ب: من الانصاف.

(٥) في هـ. ب في نسخة: لا يجري، من جرى بالقلم.

(٦) في هـ. ب لا يجري الحق لأحد ولنفعه الا جرى عليه أو يضره، أي الحق جار على العباد

(٧) في ص: جرى.

مع النفع والضرر.

(٨) في هـ. ص: ما باب اضافة مصدر النصفة الى الموصوف أي الثواب مضاعفاً.

(٩) في هـ. ب: أي تتسارء

(١٠) في هـ. ب: أي تتسارء

(١١) في هـ. ب: أي تتسارء

(١٢) في هـ. ب: معقداً.

(١٣) في هـ. ب: جمع.

حَقَّهَا^(١) عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ وَقَامَتْ مَنَاهِجُ^(٢) الدِّينِ وَأَعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ وَجَرَتْ عَلَى
أَذَلَالِهَا^(٣) السُّنَنُ فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ وَبَسَّتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ .
وَإِذَا غَلَبَتِ الرِّعْيَةُ وَالْيَهَا أَوْ أَجَحَفَ الْوَالِي بِرِعْيَتِهِ أَخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ^(٤) الْكَلِمَةُ . وَظَهَرَتْ
مَعَالِمُ الْجَوْرِ . وَكَثُرَ الْإِدْغَالُ^(٥) فِي الدِّينِ . وَتُرِكَتْ مَحَاجُ^(٦) السُّنَنِ . فَعُمِلَ بِالْهَوَى . وَعُظِّلَتْ
الْأَحْكَامُ . وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ . فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقِّ عُظْلٍ . وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلِ فُعْلٍ .
فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الْأَجْرَارُ وَتَعِزُّ الْأَشْرَارُ وَتَعْظُمُ تَبَعَاتُ^(٧) اللَّهِ عِنْدَ الْعِبَادِ فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي
ذَلِكَ وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ فَلَيْسَ أَحَدٌ وَإِنْ أَشْتَدَّ عَلَى رِضَى اللَّهِ حِرْصُهُ وَطَالَ فِي أَلْعَمَلِ
أَجْتِهَادُهُ بِدَلِغِ حَقِيقَةِ مَا اللَّهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ وَلَكِنْ^(٨) مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ
النَّصِيحَةُ^(٩) بِمَبْلَغِ جُهِدِهِمْ وَالتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ وَلَيْسَ أَمْرٌ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي
الْحَقِّ مُثْرِلَتُهُ وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ بِفَوْقِ^(١٠) أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ^(١١) وَلَا
أَمْرٌ وَإِنْ صَغُرَتْهُ النُّفُوسُ^(١٢) وَأَفْتَحَمَّتْهُ^(١٣) الْعُيُونُ بِدُونِ^(١٤) أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ وَ^(١٥) يُعَانَ
عَلَيْهِ .

(١) في هـ . د: أدى الوالي إليها حفيها - ص ف ح

(٢) جمع المبهج . وهو الطريق معناه طرق مسلوكة .

(٣) في هـ . ب: جمع ذلول وفي هـ ص: أي جرت ذلك سائرة في طريقها لا تشمس ولا تعدل عن
منهجها . (٤) في ب هناك .

(٥) في هـ . د: وكثرت الادغال - حاشية ن ، وفي هـ . ب: الدغل الفساد ، والادغال جمع الدغل .

(٦) في هـ . ب: المحجة الطريق الواضح . (٧) في هـ . ب: التبعات: لذنوب .

(٨) في هـ ب ولكن خفيف النون . (٩) في ط . عباده .

(١٠) في د: بفوق .

(١١) في هـ ب: الفوق العلو ، يفوق أي لا يعن كذا يقال .

(١٢) في هـ ب: أي وان كان صغير القدر عند الناس ليس بأدنى الفريقين هو على الحق أو يعان
له على الحق .

(١٣) في هـ . ب: أي افتحمته العيون في الحقارة والصغارة .

(١٤) في هـ . ب: يقال هو أدون ، ذلك أي أقرب منه .

(١٥) في ص: أو .

فأجابه عليه السلام رجل من أصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثناء عليه ويذكر سمعه وطاعته له، فقال عليه السلام:

أَنْ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظَّمَ جَلَالَ اللَّهِ فِي نَفْسِهِ وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ لِعَظَمِ ذَلِكَ كُلِّ مَا سِوَاهُ وَإِنْ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لِمَنْ ^(١) عَظَّمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلُطِفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُم ^(٢) نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أَزَادَ حَقُّ اللَّهِ عَلَيْهِ عِظْمًا وَإِنْ مِنْ أَسْخَفِ ^(٣) حَالَاتِ الْوَلَاتِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبَرِ وَقَدْ كَرِهَتْ أَنْ يَكُونَ جَالِ ^(٤) فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أَحِبُّ الْإِطْرَاءَ ^(٥) وَاسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ وَلَسْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ كَذَلِكَ، وَلَوْ كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكْتُهُ ^(٦) أَنْحِطَاطًا ^(٧) لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَأْوِيلِ ^(٨) مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنْ الْعِظَمَةِ وَالْكَبَرِيَاءِ، وَرُبَّمَا اسْتَخْلَى ^(٩) النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ ^(١٠) فَلَا تُثْنُوا ^(١١) عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنَ الْبَيِّنَةِ ^(١٢) فِي حُقُوقِ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا وَقَرَأْتُ لَا بَدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلِّمُ بِهِ الْجَبَّارَةَ وَلَا تَتَحَفَّظُوا ^(١٣) مِنِّي ^(١٤) بِمَا يَتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ ^(١٥) وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ ^(١٦) وَلَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالَ لِحَقِّ ^(١٧) قِيلَ لِي وَلَا ائْتَمَّاسَ إِعْظَامَ لِنَفْسِي فَإِنَّهُ مَنْ اسْتِثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوْ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا عَلَيْهِ أَثْقَلُ ^(١٨) فَلَا تَكْفُرُوا ^(١٩) عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقِّ أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ ^(٢٠) فَإِنِّي لَسْتُ

(١) في د: من وفي ه. د: لمن - ض ح ب ل ش .

(٢) في ب : يعظم .

(٣) في ه . ب : أذل ، واسخف أي أخف وأرذل من الجولان .

(٤) في ه . ب : دار . (٥) ه . ب : الاطراء أي المدح .

(٦) في ه . د : لكرهته - م ، لتركته - هامش م . (٧) في ه . ب : نزولا .

(٨) في ب و ط : تناول . (٩) في ه . ب : من الحلاوة .

(١٠) في ه . ب : بعد المشقة على فعل حسن . (١١) في ب : ولا تثنوا .

(١٢) في د : التقية ، وفي ه . د : البقية - ع ض .

(١٣) في ه . ب : التحفظ حفظ نفسه وما عليه نفسه من الخصال .

(١٤) في ه . د : لم ترد «مني» في ح . (١٥) في ه . ب : أي من تخشى بوجهه .

(١٦) في ه . ب : الرشوة . (١٧) في ط و د : في حق ، وفي ه . د : لحق - ش .

(١٨) في ط و د : أثقل عليه . (١٩) في ه . د : ولا تكفروا إنائي - ف .

(٢٠) في ب : العدل .

فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ وَلَا آمَنْ مِنْ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي إِلَّا أَنْ يَكْفِيَنِي اللَّهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي. فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدُ مَمْلُوكُونَ لِرَبِّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ. يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا تَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا وَأَخْرَجَنَا مِنَّا كُنَّا فِيهِ^(١) إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ. فَأَبْدَلْنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى. وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى.

الذي يظهر لي من معنى قوله عليه السلام: «فالحق أوسع الأشياء في التواصف» أي في ما يصف به الناس بعضهم بعضاً، فيقال. على فلان حق كذا، وعلى فلان حق كذا، حتى يستغرق الأفراد، فلا شيء يعم عمومهم في الوصف.

«وأضيفها في التناصف»، أي في باب التناصف، أي في أنصاف المتعاملين بعضهم بعضاً، فإنه لا ينصف أحد منهم صاحبه إلا بتأدية الحق الذي له عليه.

فاقتضاؤه في كل حين مؤكد بعلّة أنه حق لمستحق، فهذا كلام مرتبط بقوله: «أما بعد»؛ فإن لي عليكم حقاً... إلى آخره، كالبرهان عليه.

ووضح معنى الكلام بقوله: «لا يجري لأحد إلا جري عليه.. إلى آخره»، والمعني من الكلام نصب البرهان على أن الحق يلزم كل معامل - مالكاً كان أو مملوكاً -.

وقال ابن أبي الحديد - بعد كلام عدلنا عنه: لأننا لم نرتضه - ثم عاد^(٢) إلى تقرير الكلام الأول، وهو وجوب حق الطاعة له وعليه، فقال: «إنه لا يجري لأحد إلا جري عليه، وكذلك لا يجري عليه إلا جري له»، أي ليس ولا واحد من الموجودين بمرتفع عن أن يجري الحق عليه، ولو كان أحد من الموجودين كذلك لكان أحقهم بذلك الباري سبحانه، لأنه غاية الشرف، بل هو فوق الشرف وفوق الكمال والتعظيم، وهو مالك الكل، وسسيّد الكل، فلو كان لجواز هذه القضية وجه، ولصحتها مسأغ، لكان الباري تعالى أولى بها، وهي ألا يستحق عليه شيء، وتقدير الكلام: لكنه يستحق عليه أمور، فهو في هذا الباب كالواحد منا يستحق ويستحق عليه، ولكنه عليه السلام حذف هذا الكلام المقدّر، أدباً وإجلالاً لله تعالى أن يقول: إنه يستحق عليه شيء أصلاً.

فان قلت: فما بال المتكلمين لا يتأدبون بأدبه ﷺ! وكيف يطلقون عليه تعالى الوجوب والاستحقاق!

قلت: ليست وظيفة المتكلمين وظيفه أمير المؤمنين ﷺ في عباراتهم، هؤلاء أرباب صناعة، وعلم يحتاج الى ألفاظ واصطلاح لا بد لهم من استعماله، للإفهام والجدال بينهم، وأمير المؤمنين إمام يخطب على منبره، يخاطب عرباً ورعية ليسوا من أهل النظر، ولا مخاطبته لهم لتعليم هذا العلم، بل لاستنفارهم إلى حرب عدوه، فوجب عليه بمقتضى الأدب أن يتوقى كل لفظة توهم ما يستهجنه السامع في الأمور الإلهية وفي غيرها. انتهى كلام ابن أبي الحديد^(١).

قلت: المتأدبون بأدب أمير المؤمنين ﷺ، أهل بيته، الذين أخذوا علمهم عنه بنقل خلفهم عن سلفهم ولم يشوبوا صفوهم بشيء من كدر غيرهم، وهم الهداة المتقدمون ومن قصر نفسه على علمهم من المتأخرين.

واما اعتذار الشارح لتكلمي أصحابه، فغير عاذر ولا مسوغ، لأن العبارة أوسع مما اعتمدوه، ومما يوهم الخطأ، ولهم عماً يستهجن مندوحة ولعل الذي جرأهم على ذلك ما في الكتاب العزيز من نحو قوله تعالى: ﴿وان علينا للهدى﴾ وقوله: ﴿كان على ربك حتماً مقضياً﴾ وقوله: ﴿ثم ان علينا حسابهم﴾ وغير ذلك.

والحق ان اطلاق تلك العبارات من باب التوسع والتعميل، هو تنزيلاً لما وعد به وأخبر عن ايجاده له في عدم تخلفه، بالشيء الواجب اللازم لفاعله.

فاستعمل العبارة الموضوعة له تأكيداً لفهام انه لا يترك، ولذلك نظائر في تراكيب القرآن يستعمل سبحانه في حقه من العبارات ما يستحيل حقيقة عليه تعالى، كنحو ﴿ولتصنع على عيني﴾، ﴿خلقت بيدي﴾، ﴿بل يدها مبسوطتان﴾، ﴿على العرش استوى﴾، لاشتهار تلك العبارات في تأدية خلاصة المعنى، فصارت كالمثل فيه، بخلاف اطلاق لفظ الوجوب والاستحقاق - عند المعتزلة -، فانهم يعنون وجوباً واستحقاقاً حقيقيين دلّ عليهما الدليل العقلي، فافترقا.

ثم قال ابن أبي الحديد: فإن قلت: أليس يُشعر قوله ﷺ: «وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلاً منه» تصريحاً منه بمذهب البغداديين من أصحابكم، وهو قولهم: إن الثواب تفضل من الله سبحانه، وليس بواجب!

قلت: لا، وذلك لأنه جعل المتفضل به، هو مضاعفة الثواب [لا أصل الثواب]، وليس ذلك بمستنكر عندنا

فإن قلت: أيجوز عندكم أن يستحق المكلف عشرة أجزاء من الثواب فيعطي عشرين جزءاً منه؟ أليس من مذهبكم أن التعظيم والتبجيل لا يجوز من الباري سبحانه أن يفعلهما في الجنة إلا على قدر الاستحقاق، والثواب عندكم هو النفع المقارن للتعظيم والتبجيل؟ فكيف قلت: إن مضاعفة الثواب عندنا جائزة!

قلت: مراده ﷺ بمضاعفة الثواب هنا زيادة غير مستحقة من النعيم واللذة الجسمانية خاصة في الجنة، فسمي تلك اللذة الجسمانية ثواباً لأنها جزء من الثواب، فأما اللذة العقلية فلا يجوز مضاعفتها، انتهى كلام ابن أبي الحديد^(١)، وقد نقلته بطوله وإن لم يكن فيه فائدة يعتد بها، لأنه من تكلفات المعتزلة، وإنما نقلته بطوله ليعتبر الناظر اللبيب بما فيه من التعسف وإطراح دلالة الصرائح؛ فإنه خرج عن صريح كلام أمير المؤمنين فاضطره ذلك إلى الخروج عن صرح كلام الله تقويماً لعوج مذهب أصحابه.

ألا تراه أخرج كلام أمير المؤمنين ﷺ عن قود ما ساقه له وهو أنه جعل حق العاملين عليه مضاعفة الثواب، وهو وجعل ذلك غير حق لهم؟

والحق أن المعنى جعل حقهم عليه الثواب مضاعفاً، ومعنى جعله له: ضمانه به ووعدهم بحصوله. ثم ساقه ذلك إلى الخروج عن صريح القرآن، قال تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾^(٢) وقال تعالى ﴿نؤتيها أجرها مرّتين﴾^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «للمجتهد المصيب عشرة أجور»، ونحو ذلك مما هو صريح في مضاعفة الاجراء. كما قال تعالى: ﴿أنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف

(١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٩١. (٢) الانعام: ١٦٠.

(٣) الأحزاب: ٣١.

لمن يشاء والله واسع عليم»^(١).

واعلم ان الذي دلّت عليه الأدلة الكثيرة ان عظم الطاعة يكون بوقوعها على وجه له مكانة في ارضاء الله سبحانه، فيعطيه من الثواب ويكفر عنه من السيئات ما لا يفعله بفاعل تلك الطاعة على غير ذلك الوجه.

وكذلك عظم المعصية تكون بوقوعها على وجه له مكانة في اغضاب الله فيلحقه من لعقاب ويحبط من أعماله ما لا يفعله بفاعل ذلك الذنب على غير ذلك الوجه.

وعليه يخرج معنى قوله تعالى: ﴿يَحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِر لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾، فلا محاباة ولا ارجاء، والله أعلم بالصواب، وتساءله البصيرة والهدى الى سواء الصراط .

قوله ﷺ: «فاني لست في نفسي بفوق أن أُخطئ فيه»:

هذا هضم لنفسه، أي لست بالنظر الى نفسي بفوق ان اخطي، ولا آمن من ذلك من فعلي لو وكلت الى تحفظي، لا أدفع ذلك إلا بكفاية الله لي ما هو أملك له، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن تَبْتَئَا لَقَدْ كُنتَ تَرَكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ ونحوها من آي القرآن الدالة على ان العصمة تكون بتأييد الله وألطافه، فلا يدل كلامه ﷺ على اعترافه بعدم العصمة، والله أعلم.

وقوله: «فابدلنا بعد الضلالة بالهدى»:

شرك نفسه معهم وان لم يثبت له ضلال ولا عمى، حسن خطابة وأدب عالم، ويحتمل ان يريد بالضلالة والعمى: ما كان الناس فيه قبل بعثة النبي ﷺ، ويحتمل أن يريد: ما كان الناس عليه قبل توليه، فانه لم يكن لهم بصيرة وكانوا في فتنة، والله أعلم.

ومن كلام له عليه السلام :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِيدُكَ ^(١) عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ ^(٢)؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي؛ وَأَكْفَتُوا ^(٣) إِنَائِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَارَعَتِي حَقًّا ^(٤) كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي، وَقَالُوا: أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ ^(٥)، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُنْصَحَهُ ^(٦)، فَاصْبِرْ مَعْمُومًا ^(٧)، أَوْ مِثْ مِتَّاسَفًا.
فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ ^(٨)، وَلَا ذَابٌ ^(٩) وَلَا مُسَاعِدٌ ^(١٠)، إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي؛ فَضَنَنْتُ ^(١١) بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ، فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَدَى، وَجَرَعْتُ رِيْقِي عَلَى الشَّجَا ^(١٢)، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمْرٍ ^(١٣) مِنَ الْعَلَقَمِ ^(١٤)، وَالْمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ ^(١٥) الشُّفَارِ ^(١٦).

(١) في هـ. ب: اطلب الاعانة منك، وفي هـ. ص: أي اطلبك ان تعديني على من ظلمي أي تنتقم منه، من الشرح.

(٢) في هـ. د: عبارة «ومن أعانهم» ساقطة من م ف ن ل ش.

(٣) في ب: وكفؤوا، وفي هـ. د: وكفؤوا - ش، وفي هـ. ب: واكفؤوا: أي قلبوا.

في هـ. ص: يعني رحمه من رسول الله ﷺ؛ وذلك انهم عطلوا حكمه الذي عناه الله في قوله: (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)؛ فانهم نفوا تلك الرحم باضاعة اللبن من الاناء. تمت من الشرح ١١: ١٠، وفيه اشارة الى انهم اضاعوا حقاً ثابتاً مستقراً موعى في وعاء، ومثله ما روى عنه وعن زيد بن علي وغيرهما من الأئمة عليهم السلام واكفأت بانيتنا وحملت الناس على رقابنا، انتهى. (٤) في ص: أمراً.

(٥) في هـ. د: ويخط الرضي كان بالتاء، وروي بالنون - ر، أن تأخذه - ن.

(٦) في هـ. ص: يعني انهم قلبوا حقيقة الأمر مجاحدة ومصالفة، فجعلوا الباطل حقاً والحق باطلاً وهذا المعنى مصرح به في كلام عمر واتباعه.

(٧) في هـ. ب: من الغم. (٨) في هـ. ب و ص: أي معين.

(٩) في هـ. ب: أي دافع. (١٠) في هـ. ب: أي ناصر.

(١١) في هـ. ب و ص: بخلت. (١٢) في هـ. ب: الكمد.

(١٣) في هـ. ب: تقديره على أمر أمر. (١٤) العلقم: شجر مرّ يضرب به المثل.

(١٥) في ب و ص: حز. (١٦) في هـ. ب: جمع الشفرة: السكين.

قَالَ الرَّضِيُّ^(١): وَقَدْ مَضَى هَذَا الْكَلَامُ فِي أَثْنَاءِ خُطْبَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ، إِلَّا أَنِّي ذَكَرْتُهُ^(٢) هَاهُنَا لَا خِتْلَافٍ الرَّوَايَتَيْنِ.

قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ اني استعديك ... الى آخره»:

قال ابن أبي الحديد: والعم أن هذا الكلام قد نُقِلَ عن أمير المؤمنين ﷺ ما يناسبه، ويجري مجراه، ولم يُورَخِ الوقت الذي قاله فيه، ولا الحال التي عَناها به، وأصحابنا يحملون ذلك على أنه ﷺ قاله عَقِيبَ الشورى وبِيعَةِ عثمان، فإنه ليس يرتاب أحدٌ من أصحابنا على أنه تَظَلَّمَ وتَأَلَّمَ حينئذٍ.

ويكره أكثر أصحابنا حَمْلَ أمثال هذا الكلام على التألم من يوم السقيفة.

ولقائل أن يقول لهم: أتقولون إن بيعته عثمان لم تكن صحيحة؟ فيقولون: لا، فيقال لهم: فعلى ماذا تحملون كلامه ﷺ، مع تعظيمكم له وتصديقكم لأقواله؟ فيقولون: نحمل ذلك على تألمه وتظلمه منهم إذ تركوا الأولى والأفضل. فيقال لهم: فلا تكرهوا قول مَنْ يقول من الشيعة وغيرهم: إن هذا الكلام وأمثاله صدر عنه عَقِيبَ السقيفة، وحملوه على أنه تألم وتظلم من كونهم تركوا الأولى والأفضل، فإنكم لستم تنكرون أنه كان الأفضل والأحقّ بالأمر، بل تعترفون بذلك، وتقولون: ساغت إمامة غيره، وصحّت لمائع كان فيه ﷺ، وهو ما غلب على ظنون العاقلين للأمر من أن العرب لا تطيعه، فإنه يخاف من فتنة عظيمة تحدث إن وليّ الخلافة لأسباب يذكرونها، ويعدّونها، وقد روى كثير من المحدثين أنه عَقِيبَ يوم السقيفة تألم وتظلم، واستنجد واستصرخ، حيث ساموه الحضور والبيعة، وأنه قال وهو يشير إلى القبر: «يَا بَنِي أُمَّمِ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي»^(٣) وأنه قال: واجعفر! ولا جعفر لي اليوم! واحمزتاه ولا حمزة لي اليوم!

وقد ذكرنا من هذا المعنى جملة صالحة فيما تقدّم، انتهى كلامه الذي يتعلق غرضنا

بنقله^(٤).

(٢) في د: كررته.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١١١.

(١) لم ترد قال «رحمه الله» في د.

(٣) الأعراف: ١٥٠.

ويا عجباً لهذا الشارح كم يتجاهل ويتمسك في تثبيت ما يبني عليه بنسج العنكبوت. نقل الشارح هذا الكلام في المتن في جملة خطبة خطبها أمير المؤمنين عليه السلام في خلافته بعد قتل محمد بن أبي بكر وهو في سوق كلام صريح في ذكر بيعة السقيفة، وذكر أبي بكر وعمر، وها هو ذا معترف انه لا منع من ان يكون أمير المؤمنين عليه السلام قاله عقيب يوم السقيفة وهو وأصحابه متفقون على ان لا منع من كونه قاله عقيب الشورى وبيعة عثمان، فيثبت من هذا انه قول أمير المؤمنين في جميع مدته منذ قبض الله عليه السلام إلى ان قبضه الله اليه وبهذا يتضح بطلان ما ذكره الشارح بعد هذا الكلام وانه زعم ان صدور هذا القول كان منه عليه السلام في أول الأمر وقبل مصير الأمر إليه، ولما صدر الأمر اليه وعرف انحراف الناس عنه رضي بما فعلوه، وعلم ان فعلهم كان صواباً، وخبط في هذا المعنى وخلط.

ولعمري لمؤدى كلامه وفحواه أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول ما يقوله خبطاً وجزافاً على غير بصيرة وبقين، وكان يتألم ممن لم يؤلم، ويتظلم ممن لم يظلم، ويخطئ المصيب، ويهم بقتال من ليس له ذنب يبيح دمه؟!

وهذا الشارح يزعم مع ذلك انه أعرف الناس بحق أمير المؤمنين وأفهمهم لفضله، ويزعم انه ممن يقول بأنه معصوم في قوله وفعله واعتقاده، ويزعم انه - وأصحابه - هم الشيعة المخصوصون بالفضائل المعنيون بكل مدح وثناء كامل.

وهيهات ان يثبت غير الحق وان يروج من الأقوال غير الصدق ﴿قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً﴾^(١).

لكن المتأخرين ممن يعتزى الى الزيدية أعمى بصائرهم حب مقالات المعتزلة فخبطوا في جهالاتهم وسددوا في غفلاتهم ﴿وربك الرحمن المستعان على ما يصفون﴾. واعلم ان تأويل الظواهر فضلاً عن الصرائح نتصاراً للمذهب من غير دليل قاهر ملجئ الى التأويل، من تحريف الكلم عن مواضعه الذي سجل الله به على بني اسرائيل، وترى كل أهل المذاهب يتبايعون فيه، فنسأل الله العصمة والرحمة.

أورد ابن أبي الحديد في ما ألحقه بآخر شرحه من كلامه عليه السلام ما يناسب هذا ورسمه:
 اللهم إني أستعديك على قريش؛ فإنهم أضمرُوا لِرَسُولِكَ ﷺ ضروباً مِنَ الشَّرِّ والغدرِ،
 فعجزوا عنها؛ دخلت بينهم وبينها؛ فكانت الوجبةُ بي، والدائرةُ عليّ. اللهم احفظ حسناً
 وحسيناً، ولا تمكّن فجرة قريش منهما ما دمتُ حيّاً، فإذا توفّيتني كنتَ أنتَ الرّقيبُ
 عليهم، وأنتَ على كُلِّ شيءٍ شهيدٌ، انتهى^(١).

وأورد له أيضاً: كُلُّ حَقْدٍ حَقَدْتُهُ قَرِيشٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَظْهَرْتُهُ فِيَّ وَسُطَّيْهُهُ فِي
 وَلَدِي مِنْ بَعْدِي، مَالِي وَلِقَرِيشٍ إِنَّمَا وَتَرْتُهُمْ^(٢) بِأَمْرِ اللَّهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ؛ أَفْهَذَا جِزَاءُ مَنْ أَطَاعَ
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كَانُوا مُسْلِمِينَ؟^(٣)

وأورد له أيضاً: كُنْتُ فِي أَيَّامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَجِزَاءِ مَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَنْظُرُ إِلَيَّ النَّاسُ
 كَمَا يُنْظَرُ إِلَى الْكَوَاكِبِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ، ثُمَّ غَضَّ الدَّهْرُ مِنِّي، فَقَرَنَ بِي فُلَانٌ، وَفُلَانٌ، وَفُلَانٌ،
 ثُمَّ قُرِنْتُ بِخَمْسَةِ أَمْثَلُهُمْ عُثْمَانُ، فَقُلْتُ: وَاذْقَرَاهُ^(٤)! ثُمَّ لَمْ يَرِضْ الدَّهْرُ لِي بِذَلِكَ؛ حَتَّى
 أَرَذَلَنِي، فَجَعَلَنِي نَظِيرًا لِابْنِ هِنْدٍ وَابْنِ النَّايِغَةِ! لَقَدْ اسْتَنْتَ الْفَصَالَ حَتَّى الْقَرَعَى^(٥).

وأورد له أيضاً: «يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، طَالَ عَلَيْكَ الْعَهْدُ فَنَسِيتَ أَمْ نَافَسْتَ فَأَنْسِيتَ! لَقَدْ سَمِعْتُهَا
 وَوَعَيْتَهَا فَهَلَّا رَعَيْتَهَا!». وأورد له أيضاً: «قَالَ لَمَّا سَمِعَ خُطْبَةَ عُمَرَ بِالْمَدِينَةِ لَنِي شَرْحَ فِيهَا
 قِصَّةَ السَّقِيقَةِ: مَعْدِرَةٌ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ؛ وَلَكِنْ بَعْدَ مَاذَا! هِيَ هَاتِ عَلِقْتَ مَعَالِقَهَا، وَصَرَ الْجُنْدُبُ». وأورد له أيضاً: «أَوَّلُ مَنْ جَرَّ النَّاسَ عَلَيْنَا سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ؛ فَفَنَحَ بَاباً وَلَجَّهُ غَيْرُهُ، وَأَضْرَمَ
 نَارَ كَانَتْ لَهَا عَلَيْهِ، وَضَوْءُهَا لِأَعْدَائِهِ».

وأورد له أيضاً: «مَالَنَا وَلِقَرِيشٍ! يَخْضِمُونَ الدُّنْيَا بِاسْمِنَا وَيَطْئُونَ عَلَى رِقَابِنَا؛ فَيَا اللَّهَ
 وَلِلْعَجَبِ! مَنْ اسْمٍ جَلِيلٍ لِمُسَمًّى ذَلِيلٍ»، انتهى نقلاً من شرح ابن أبي الحديد^(٦).

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٢٩٨، الرقم ٤١٣.

(٢) وترتهم: أحدثت عندهم وتراً. (٣) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٣٢٨، الرقم ٧٦٤.

(٤) الذفر: الرائحة الكريهة، وفي هـ ص: أي نتناه.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٣٢٦، الرقم ٧٣٣، وقد ذكرها المصنف بتقديم وتأخير وذكرناها

حسب ورودها في المصدر المذكور. (٦) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٣٠٧ و ٣٠٨.

ومنه في ذكر السَّائِرِينَ إِلَى الْبَصْرَةِ لِحَزْبِهِ ﷺ :

فَقَدِمُوا عَلَى عُمَالِي وَخُرَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدَيَّ وَعَلَى أَهْلِ مِصْرَ كُلُّهُمْ
فِي طَاعَتِي وَعَلَى بَيْعَتِي فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ وَأَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ وَوَثَبُوا عَلَيَّ شِيعَتِي .
فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْرًا وَطَائِفَةً مِنْهُمْ عَصَوْا عَلَى أَسْيَافِهِمْ فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللَّهَ
صَادِقِينَ .

ومن كلام له عليه السلام لما مرّ بطلحة وعبدالرحمن بن عتاب بن أسيد^(١) وهما قتيلان يوم الجمل :

لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ^(٢) بِهَذَا الْمَكَانِ غَرِيباً . أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشُ قَتْلَى
تَحْتَ بَطُونِ الْكَوَاكِبِ^(٣) . أَذْرَكْتُ وَثْرِي^(٤) مِنْ بَيْتِي عَبْدٍ مَتَافٍ ، وَأَفْلَسْتَنِي أَعْيَانُ^(٥) بَنِي
جَنْحٍ^(٦) لَقَدْ أَثْلَعُوا^(٧) أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْرِ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ^(٨) فَوَقَّصُوا^(٩) دُونَهُ .

(١) في هـ . ص بن أبي العيص بن امية بن عبد شمس ، وهذا هو الذي حملت العقاب كفه يوم الجمل وفيها خاتمه والقتها باليمامة فعرفت باليمامة وعلم أهل اليمامة بالوقعة انتهى من الشرح . (٢) في هـ . ب : أبو محمد كنية طلحة .

(٣) في هـ . ب : أي تحت السماء . (٤) في هـ . ب : الوتر : الثار ، وفي هـ . ب : حقد . (٥) في ط : أعيار ، وفي هـ . ص بالنون يعني رؤساؤهم وساداتهم ، ويروى أعيار بالراء أي حميرهم ، انتهى من الشرح ، وفي هـ . د : في حاشية ن و ف أعنان ، وفي ح : أعيار ، وفي ل : أعيار .

(٦) في هـ . ب : جمع قبيلة ، وفي هـ . ص بطن من قریش .

(٧) هـ . ب : أي مدو ، هـ . ص : أي رفعوا قریش .

(٨) في هـ . ص : أي الخلافة ، وفيه دليل على ان عموم قریش ليس أهل الامامة .

(٩) وقصوا : أي كسرت أعناقهم وفي هـ . ص : أي دقت أعناقهم .

ومن كلام له عليه السلام :

قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ وَأَمَاتَ نَفْسَهُ^(١) حَتَّى دَقَّ^(٢) جَلِيلُهُ وَلَطَفَ غَلِيظُهُ^(٣) وَبَرَّقَ لَهُ لَامِعُ^(٤) كَثِيرُ
الْبَرْقِ فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ وَتَدَافَعَتْهُ الْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ السَّلَامَةِ وَدَارِ الْإِقَامَةِ
وَتَبَيَّنَتْ رِجَالُهُ بِطُمَأْنِينَةٍ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبُهُ وَأَرْضَى رَبُّهُ.

(١) في هـ . ص : أي شهوته.

(٢) في هـ . ص : نحف بدنه.

(٣) في هـ . ص أي صفت خلانقه.

(٤) في هـ . ب في نسخة : معه لامع، وفي هـ ص هو اللطف وهو النور الذي عناه الله بقوله: (مثل نوره) وقوله: (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) النور: ٢٤ / ٤٠.

ومن كلام له عليه السلام^(١) بعد تلاوته: «أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ» حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ^(٢).
 يَا لَهُ^(٣) مَرَامًا^(٤) مَا أَبْعَدَهُ. وَزُورًا^(٥) مَا أَغْفَلَهُ. وَخَطَرًا مَا أَفْظَعَهُ^(٦). لَقَدْ اسْتَخْلَوْا^(٧) مِنْهُمْ
 أَيُّ مُدَكِّرٍ وَتَنَاقَشُوهُمْ^(٨) مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ أَبْصَارِ عِيبَائِهِمْ مِنَ الْبَلَى يَفْتَخِرُونَ^(٩). أَمْ يَعْزِيزُ
 الْهَلَكَى يَتَكَثَّرُونَ. يَزْتَجِعُونَ^(١٠) مِنْهُمْ أَجْسَادُ أَخَوَاتٍ^(١١) وَحَرَكَاتٍ سَكَنَتْ وَلَآنَ يَكُونُوا عِبْرًا
 أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخِرًا وَلَآنَ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّةٍ أَحَجَّى^(١٢) مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ
 عِزَّةٍ لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعَشْوَةِ^(١٣) وَضَرَبُوا^(١٤) مِنْهُمْ فِي غَمْرَةٍ جَهَالَةٍ^(١٥). وَلَوْ
 اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ بِلَاحِ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ^(١٦) وَالزُّبُوعِ^(١٧) الْخَالِيَةِ لَقَالَتْ^(١٨) ذَهَبُوا فِي

- (١) وردت في نسخة من هذا الكلام رقم ٢٣٩ بدون شرح وحيث ان النسخ الأخرى انفقت على كونها آخر ما اختير من خطبه عليه السلام وضعناه هنا وفي ط زيادة: قاله.
 (٢) وفي هـ ب: زور أو زيارة على النصب. (٣) في هـ ب: أعياله ما أبعد.
 (٤) انتصب «مراما» على التمييز أي ذكره القصد الافتخار بهم مقصد بعيد، وفي هـ د: يا مراماً - ن، ف، وفي هـ ب: أي مطلباً منصوب على التمييز كقوله: بالها نعمة، أي ما أبعد من مرام.
 (٥) في هـ ص: الزور: الزئرون أي غفلوا عما يقتضيه ذكرهم وهو الاعتبار والاعتاظ.
 (٦) في هـ ب: أي ما أشكله.
 (٧) في ب: استحلوا وفي هـ ب في نسخة: استخلو وفي هـ ب: من الحلاوة، وفي هـ ص استحلوا ويقال استخلى بالخاء معجمة: ذكر أموراً خالية. من الشرح.
 (٨) في هـ ب و ص: أي تناولوهم. (٩) في هـ ب في نسخة: يفتخرون.
 (١٠) هـ ص أي يذكرونهم فكان ذكرهم ارتجاعاً أي طلباً لرجوعهم لأنهم يذكرونهم على وجه النكاثر بهم وكأنهم يبرزونهم في عدادهم.
 (١١) في هـ ب: سقطت، وفي هـ ص: أي حوت وتساقطت.
 (١٢) في هـ ب: أخرى وأجدر وفي هـ ص أي أجدر وأولى.
 (١٣) في هـ ص: أي بأبصار غلب عليها العشاء، والمراد بها أبصار القلوب غير المستبصرة.
 (١٤) هـ ص: أي خاضوا وسجوا.
 (١٥) في هـ ص: أي في مجرى جهالة، وفي هـ د: لم ترد جهالة في م ف.
 (١٦) في هـ ص: الخاوية: المتساقطة. (١٧) في ب والرسوم، وفي هـ د: والرسوم - ش.
 (١٨) في هـ د: لقالوا - ش.

الْأَرْضِ

ضَلَالًا^(١) وَذَهَبْتُمْ فِي أَغْفَائِهِمْ جُهَالًا. تَطَّأُونَ فِي^(٢) هَامِيهِمْ^(٣) وَتَسْتَتِبُّونَ^(٤) فِي أَجْسَادِهِمْ وَتَزْرَعُونَ^(٥) فِيمَا لَقَطُوا وَتَسْكُنُونَ فِيمَا حَرَّبُوا وَإِنَّمَا الْآيَاتُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَالِكِ^(٦) وَنَوَائِحِ عَلَيْكُمْ.

أُولَئِكَ^(٧) سَلَفُ غَائِكُمْ^(٨). وَفُرَاطُ^(٩) مَنَاهِلِكُمُ الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَارِمُ^(١٠) الْعِزِّ وَخَلَبَاتُ^(١١) الْفَخْرِ مُلُوكًا وَسُوقًا^(١٢). سَلَكَوْا فِي بَطُونِ الْبُزْخِ^(١٣) سَبِيلًا^(١٤) سُلَّطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ. فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ. فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ^(١٥) قُبُورِهِمْ جَمَادًا لَا يَنْمُونَ^(١٦). وَضَمَرُوا^(١٧) لَا يُوجَدُونَ لَا يُقْرِعُهُمْ وَرُودُ الْأَهْوَالِ وَلَا يَحْزَنُهُمْ تَنْكُرُ الْأَهْوَالِ وَلَا يَحْفَلُونَ^(١٨) بِاللَّوْاجِفِ^(١٩) وَلَا يَأْذَنُونَ^(٢٠) لِلْقَوَاصِفِ غُيْبًا لَا يُنْتَظَرُونَ وَشُهُودًا

(١) في هـ. ب: ذهبت في الأرض جهالاً (٢) لم ترد «في» في ب

(٣) جمع هامة: على الرأس

(٤) في ب و ط: تستبتون، وفي هـ. ب: طلب النبت: تزرعون وفي هـ. ص: يروى تستبتون -

بالتون. (٥) أي تنعمون.

(٦) في هـ. ب: جمع باكية.

(٧) في د: أولئك، وفي هـ. د أولئك ض ح ب ش.

(٨) سلف الغاية: السابق إليها. (٩) في هـ. ب: الفراط: السوابق

(١٠) في هـ. ب: المقاوم جمع مقام، وفي هـ. ص: جمع مقوم، وهو في أصلها: الخشبة التي

بمسكها الحرث، أي ما به يقوم العز وينتصب، انتهى من الشرح ١١: ١٤٩

(١١) هـ. ص: جمع حلبة وهي جماعة خيل السباق.

(١٢) في هـ. ب: جمع سوقة وهي الرعية. (١٣) في هـ. ب: القبر، وفي هـ. ص: المقبرة.

(١٤) في هـ. ص: أي طريقاً إلى الآخرة.

(١٥) في هـ. ب: متسعَات وفي هـ. ص: جمع فجوة وهي المقبرة المتسعة.

(١٦) في هـ. ب: من النمو، وهي الزيادة، وفي هـ. د: لا ينامون - ر.

(١٧) في هـ. ب الضمار كل ما لم تكن على ثقة من وجوده، وفي هـ. ص: هو ما لا يرجى ولا

يتحقق لخبائه

(١٨) في هـ. ب: أي لا يبالون، وفي هـ. ص: أي لا يكثرثون، وفي هـ. د: ولا يحلفون - ع.

(١٩) في هـ. ب: من الرجفة. (٢٠) في هـ. ب و ص: لا يسمعون.

لَا يَخْضَرُونَ. وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً فَتَشْتَتُوا وَأَلَانَا فَأَفْتَرَقُوا^(١). وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ وَلَا بُعْدِ
مَحَلِّهِمْ عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ وَلَكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْساً بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَساً وَبِالسَّمْعِ
صَمّاً وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُوناً فَكَانَتْهُمْ فِي أَرْجَالِ^(٢) الصُّفَةِ صَرَعَى سُبَاتٍ^(٣). جِيزَانُ لَا
يَتَأَسَّرُونَ. وَأَحْبَاءُ^(٤) لَا يَتَزَاوَرُونَ^(٥). بَلِيَّتٌ بَيْنَهُمْ عَرَى^(٦) التَّعَارُفِ وَأَنْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ
الْإِحَاءِ. فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ وَبِجَانِبِ الْهَجْرِ وَهُمْ أَخْلَاءُ. لَا يَتَعَارَفُونَ لِلَّيْلِ صَبَاحاً وَلَا
لِنَهَارٍ مَسَاءً. أَيْ الْجَدِيدَيْنِ^(٧) ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَدًا^(٨) شَاهِدُوا^(٩) مِنْ أَخْطَارِ^(١٠)
دَارِهِمْ أَنْقَطَعَ^(١١) مِمَّا خَافُوا وَرَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا^(١٢). فَكِلْتَا^(١٣) الْغَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ
إِلَى مَبَاءةٍ^(١٤) فَاتَتْ^(١٥) مَبَالِغَ الْخَوْفِ^(١٦) وَالرَّجَاءِ. فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُوا بِصِفَةِ مَا
شَاهَدُوا وَمَا عَايَنُوا وَلَئِنْ عَمِيَتْ^(١٧) آثَارُهُمْ وَأَنْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ الْعَبْرِ
وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النُّطْقِ. فَقَالُوا كَلِحَتِ^(١٨) الْوُجُوهُ

(١) أَلَانَا: جمع أليف، أي مؤتلف مع غيره، وفي هـ. ب: جمع إلف.

(٢) فِي هـ. ص: أي الاتيان بها على غير تروؤ وتأمل.

(٣) فِي هـ. ب: النوم، وفي هـ. ص: السبات النوم.

(٤) فِي هـ. ص: جمع حبيب وفي هـ. د: أحياء - ل ر.

(٥) فِي هـ. ب: من الزيارة.

(٦) فِي هـ. ب: جمع سبب، وفي هـ. ص: جمع عروة.

(٧) فِي هـ. ص: هما الليل والنهار.

(٨) فِي هـ. ص أي انهم لعدم شعورهم بتبدل الأزمان بمنزلة من استمر عليه الوقت الذي انتقل

منه لعدم الشعور بالتقضي والتبدل (٩) فِي هـ. ب: رأوا.

(١٠) فِي هـ. ب: من المخاطرة.

(١١) فِي ب: أفضع، هـ ص في نسخة: أفضع، وفي هـ. ب: أصعب.

(١٢) فِي هـ. ب: من التقدير. (١٣) فِي ب و ط: فكللا وفي هـ. د: فكللا - ش.

(١٤) فِي هـ. ص: في نسخة مباءات. (١٥) فِي هـ. ب: من الفوت.

(١٦) فِي هـ. د: الفوت - م ف.

(١٧) فِي ب: درست وفي هـ. ب في نسخة: عميت.

(١٨) فِي هـ. ب: تغيّرت، وفي هـ. ص: عبست وكشرت.

النَّوَاضِرُ، وَخَوَتْ^(١) الْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ. وَلَيْسْنَا أَهْدَامَ^(٢) أَلْبَلَى وَتَكَاةَ دَنَا^(٣) ضَيْقُ
الْمَضْجَعِ. وَتَوَارَتْ^(٤) الْوَحْشَةُ^(٥). وَتَهَكَّمَتْ^(٦) عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ فَأَنْسَحَتْ^(٧) مَحَاسِنُ
أَجْسَادِنَا. وَتَنَكَّرَتْ^(٨) مَعَارِفُ صُورِنَا. وَطَالَتْ فِي مَسَاكِينِ الْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا. وَلَمْ نَجِدْ مِنْ
كَرْبٍ فَرَجًا. وَلَا مِنْ^(٩) ضَيْقٍ مُتَّسَعًا. فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ^(١٠) بِعَقْلِكَ أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغِطَاءِ
لَكَ وَقَدْ أَرْتَسَحَتْ^(١١) أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِّ فَاسْتَكَّتْ^(١٢). وَاکْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ
فَخَسَفَتْ^(١٣). وَتَقَطَّعَتْ^(١٤) الْأَلْسِنَةُ^(١٥) فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلَالَتِهَا^(١٦). وَهَمَدَتْ^(١٧) الْقُلُوبُ فِي
صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقْظَتِهَا. وَغَاثَ^(١٨) فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بَلَى سَمَجْهَ^(١٩) وَسَهَّلَ طُرُقِ
آلَافٍ إِلَيْهَا مُسْتَسْلِمَاتٌ فَلَا أَيْدٍ تَدْفَعُ. وَلَا قُلُوبٌ تَجْزَعُ. لَرَأَيْتُ أَشْجَارَ قُلُوبٍ وَأَقْدَاءَ^(٢٠)
عُيُونٍ. لَهُمْ مِنْ كُلِّ^(٢١) قِطَاعَةٍ^(٢٢) صِفَّةٌ حَالٍ لَا تَنْتَقِلُ. وَغَمْرَةٌ لَا تَنْجَلِي. وَكَمْ^(٢٣) أَكَلَتْ
الْأَرْضُ مِنْ عَزِيزٍ جَسَدٍ وَأَنْبَقَى لَوْنٌ كَانَ فِي الدُّنْيَا غَدِيٌّ تَرَفٍ وَرَبِيبٌ شَرَفٍ^(٢٤). يَسْتَعْلَلُ

(١) أي نهامت بنينها ونفرقت أعضاؤه وفي هـ ب: حبيت.

(٢) في هـ ب و ص: جمع هدم وهو التوب لبالى.

(٣) في هـ ص: أي تشق عليا (٤) في هـ ص: أي اسوحش الآخر بعد الأول.

(٥) في هـ ب من التهمد، وفي هـ ص سحنه من أبي الحديد: نهامت، قال في الشرح: يقال

نهدم فلان عني فلان غبصا، إذا اتسد غضبه ويجوز أن يكون نهامت أي تساقط، وروي:

نهكمت بالكاف، وهو كقولهم: نهامت بالنفسيرين

(٦) في ب: فامحت، وفي هـ ب: فانمحيب بمعنى واحد

(٧) في هـ ص: صارت مكرة. (٨) في هـ د: ومن - م ن ف

(٩) في هـ ب: صورتهم (١٠) في هـ ب: نضبت

(١١) في هـ ب: صمت. (١٢) في هـ ص: أي غارت وذهبت في الرأس

(١٣) في ب ص و: الألسن وفي هـ ب: في نسخة الألسنة.

(١٤) في هـ ب: حدثها

(١٥) في هـ ب: سكنت ومدت وفي هـ ص: أي سكنت عن حركتها بالأفكار.

(١٦) في هـ ب: فسد، وفي هـ ص: أي أفسدها.

(١٧) في هـ ب: فبحها. (١٨) في هـ ب: جمع قذاة.

(١٩) في هـ د: في كل - ف ن ح ض (٢٠) في هـ ب: مزل.

(٢١) في ط: فكم.

(٢٢) في هـ ب: بمعنى موق أو عجيب، وغدي: مغدو وربيب: مربوب، وفي هـ ص: عزيز

بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ وَيَفْزَعُ إِلَى السَّلَوةِ إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ ضَنْناً^(١) بِغَضَارَةٍ^(٢) عَيْشِهِ
وَسَحَاخَةٍ بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ فَبَيْنَا^(٣) هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ إِلَيْهِ^(٤) فِي ظِلِّ عَيْشٍ
عَفُولٍ^(٥) إِذْ وَطِئَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ^(٦) وَتَقَضَّتِ الْأَيَّامُ قُوَاهُ^(٧) وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ الْخُتُوفُ مِنْ
كُتُبٍ^(٨) فَخَالَطَهُ بَتْ^(٩) لَا يَعْرِفُهُ وَنَجَى^(١٠) هَمٌّ مَا^(١١) كَانَ يَجِدُهُ. وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فِتْرَاتٌ عِلَلٍ
أَنَسَ مَا كَانَ بِصِحَّتِهِ^(١٢). فَفَزِعَ إِلَى مَا كَانَ عَوْدَهُ^(١٣) الْأَطِبَّاءُ مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ^(١٤)
وَتَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ فَلَمْ يُطْفِئْهُ بَبَارِدٍ إِلَّا تَوَرَّ^(١٥) حَرَارَةً وَلَا حَرَكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيَّجَ بُرُودَةً وَلَا
أَعْتَدَلَ^(١٦) بَمُمَارِجٍ^(١٧) لَتِلْكَ الطَّبَائِعِ إِلَّا أَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتٍ دَاءٍ حَتَّى فَتَرَ مُعَلِّله^(١٨) وَذَهَلَ
مُمَرِّضُهُ، وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ. وَخَرِسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ. وَتَنَازَعُوا^(١٩) دُونَهُ
شَجِيَّ خَيْرٍ يَكْتُمُونَهُ^(٢٠). فَقَائِلٌ هُوَ لِمَا بِهِ^(٢١) وَمُصَنِّ لَّهُمْ إِيَابَ^(٢٢) عَافِيَّتِهِ وَمُصَبِّرٌ لَّهُمْ عَلَى

→ بالمعجمة ثم المهملة أي طري ناعم والانيق لمونق المعجب وعزي ترف أي عدي بالترف
وهو المتنعم المطغى وربيب شرف أي قد ربى في الشرف والعز وألفه.

(١) في هـ ب و ص: أي بخلاً. (٢) في هـ. ص: أي نعمته ولينه.

(٣) في د: فبينما وفي هـ د: فبيننا - ش. (٤) في هـ. د: وتضحك إليه - ش.

(٥) في هـ. ب: مبالغة في الغافل، وفي هـ. ص: كناية عن السرور وتأتي الشهوات وحصول
لامنيات فكان الدنيا تضاحكه والعيش الغفول: الذي قد أمن فيه المصيبات، فكانه غافل
عن شأن الدهر، وهو التقلب.

(٦) في هـ. ب: شوكته، وفي هـ. ص أي عثر به، وهم يشبهون الدهر بالمركب، ومن عليه
الراكب، ويصفون الدهر بالعنود والجموح ونحوهما من صفات المركب، والله أعلم.

(٧) الفوة مرة من مرائر الحب. (٨) في هـ. ب و ص: عن قرب.

(٩) في هـ. ب: حزن.

(١٠) هـ. ب: أنس إلى الحزن، هـ. ص: المناجي هو المشاور.

(١١) في هـ. ب: نافية.

(١٢) في هـ. ص: منصب على الحال من ضمير فيه، أي في وقت هو فيه أكثر انساً بصحته.

(١٣) هـ. ب: اتخذ عادة. (١٤) القار: البارد.

(١٥) في هـ. ب: إلا هيَّج. (١٦) في هـ. ص: أي طلب الاعتدال.

(١٧) في هـ. ص أي بمناسب لها في الموائج. المعلن: الممرض.

(١٨) في هـ. ص: أي خاضوا وتناقلوا بينهم من دونه خبراً ذا شجى، أي يشجهم ويسبكيهم، أو
يفصهم من الشجى، الذي بمعنى الغصة. (٢٠) في هـ. ص: أي يكتُمونه منه.

فَقَدِهِ. يَذْكُرُهُمْ أَسَى^(٢٣) الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ.

فَبَيْنَا^(٢٤) هُوَ كَذَلِكَ عَلَى جَنَاحٍ^(٢٥) مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا؛ وَتَرَكِ الْأَحِبَّةَ؛ إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ، فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِدُ فِطْنَتِهِ، وَبَيَسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِهِ.

فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَقَى عَنْ رَدِّهِ! وَدُعَاءِ مُؤَلِّمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَ عَنْهُ! مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعْظَّمُهُ، أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ.

وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَعَمَرَاتٍ هِيَ أَفْطَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَعْرِقَ بِصِفَةٍ، أَوْ تُعْتَدَلَ^(٢٦) عَلَى عُقُولِ^(٢٧) أَهْلِ الدُّنْيَا.

قوله ﷺ: «الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: اختلف المفسرون في تأويل هاتين الآيتين، فقال قوم: المعنى أتاكم قطعتم أيام عمركم في التكاثر بالأموال والأولاد، حتى أتاكم الموت، فكنتي عن حلول الموت بهم بزيارة المقابر

وقال قوم: بل كانوا يتفاخرون بأنفسهم، وتعدى ذلك إلى أن تفاخروا بأسلافهم الأموات، فقالوا: مثا فلان وفلان - لقوم كانوا وانقرضوا.

وهذا هو التفسير الذي يدل عليه كلام أمير المؤمنين ﷺ، انتهى^(٢٨).

قوله ﷺ: «أفمصارع ... إلى قوله: يتكاثرون؟»:

المعنى بأي شيء يتبجحون، أبكونهم صرعى البلى فاسدي الأجسام أم بكثرتهم؟ قالها لك معدوم والمعدوم لا كثرة له، لأن كونه موجوداً وعدم وجدانه سواء في عدم

(٢١) في هـ. ب: بمعنى يموت بهذا المرض. (٢٢) في هـ. ب: رجوع.

(٢٣) في هـ. ص: جمع اسوة وهي ما يتأسى به الانسان أي يتمثل به ويذهب به حزنه.

(٢٤) في د: فبينما، وفي هـ. د: فبيننا - ش.

(٢٥) في هـ. ص: أي على سرعة من فراق الدنيا كأنه راكب جناحاه.

(٢٦) في ب: يعتدل (٢٧) في هـ. د: قلوب - ع.

(٢٨) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٤٥.

الجدوى.

قوله ﷺ: «ولأن يهبطوا بهم... الى قوله: عزة»:

أي لئن يكسبهم ذكرهم وتبصر أحوالهم ذلاًّ أولى من أن يجحفوا بهم عزاً وتيهاً، ولكنه عبر بهذه العبارة الفصيحة شبه جناب الذل - أي جهته وحاله - بالمكان المنخفض يستخفي هابطه ويقمع فيه.

واما مقام العز فلا بد له من علو وظهور، والله أعلم.

قوله ﷺ: «ريستثبتون...»:

الاستثبات: طلب الثبات، أي تمكنون أنفسكم وما تريدون مكتته في أجساد الموتى؛ لأنهم قد صاروا من سنح الأرض.

ويروى يستثبتون: أي تزرعون النبات في أجسادهم، والمعنى ان ظاهر الأرض قد صار تراباً من أجساد الموتى.

قوله ﷺ: «وترتعون فيما لفظوا»:

أي تنتفعون من المعاش بما أسأروا فسقى الانتفاع والأكل: رتعاً؛ تشبيهاً لحالهم في ذلك بحال البهائم بجامع الغفلة والاهتمام بالأكل وعبر عن اسئارهم باللفظ وهو الرمي بالشيء من الفم تقديراً وتنفيراً، والمعنى مأخوذ من قوله تعالى: «وتأكلون التراث أكلاً لما»^(١) وقوله ﷺ: (نبؤئهم أجدائهم ونأكل تراثهم كأننا مخلصون بعدهم)^(٢)، والله أعلم.

قال في شرح ابن أبي الحديد بعد ايراد هذا الكلام الى آخره، كلاماً منه: «ومن تأمل هذا الفصل، علم صدق معاوية في قوله فيه: «والله ما سنّ الفصاحة لقريش غيره». وينبغي لو جتمع فصحاء العرب قاطبة في مجلس، وتلى عليهم أن يسجدوا كما سجد الشعراء لقول عدي بن لرقاع:

﴿قلم أصاب من الدّواة مدّادها﴾^(٣)

(٢) البحار ٧٧: ١٧٧، ح ١٠.

(١) الفجر: ١٩.

(٣) صدره: ﴿تُرْجَى أَعَنَ كَأَن يُرَى رَوْقَهُ﴾.

فلما قيل لهم في ذلك، قالوا: إِنَّا نعرف مواضع السجود في الشعر؛ كما تعرفون مواضع السجود في القرآن.

واني لأطيل التعجب من رجل يخطب في الحرب بكلام يدلّ على أن طبعه مناسب لطباع الأسود والنمور وأمثالهما من السباع الضارية، ثم يخطب في ذلك الموقب بعينه، إذا أراد الموعظة بكلام يدلّ على أن طبعه مشاكل لطباع الرهبان لابسِي المُسوح، اللذين لم يأكلوا لحماً، ولم يريقوا دماً؛ فنارة يكون في صورة إسْطَاطم بن قيس الشيباني وعقبة ابن الحارث اليربوعي، وعامر بن الطفيل العامري، وتارة يكون في صورة سُقراط الحُبر اليوناني، ويوحنا المعمدان لإسرائيلي، والمسيح بن مريم الإلهي، انتهى^(١).

ومن كلام له عليه السلام : قاله عند تلاوته :

«يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ»^(١) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ^(٢) :
 إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الذُّكْرَ^(٣) جِلَاءً^(٤) لِلْقُلُوبِ^(٥) تَسْمَعُ^(٦) بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ^(٧) ،
 وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ^(٨) ، وَتَتَقَادُّ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ . وَمَا بَرِحَ اللَّهُ - عَزَّتْ آلاؤُهُ^(٩) ، فِي
 الْبُرْهَةِ^(١٠) بَعْدَ الْبُرْهَةِ ، وَفِي أَرْمَانِ الْفُتَرَاتِ^(١١) - عِبَادُ نَاجَاهُمْ^(١٢) فِي فِكْرِهِمْ ، وَكَلَمَهُمْ فِي
 ذَاتِ^(١٣) عُقُولِهِمْ ، فَاسْتَضَبُّوا بِسُورِ يَقْظَةٍ فِي الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ^(١٤) وَالْأَفْئِدَةِ ، يُذَكِّرُونَ^(١٥)
 بِأَيَّامِ اللَّهِ ، وَيُخَوِّفُونَ^(١٦) مَقَامَهُ ، بِمَنْزِلَةِ الْأَدِلَّةِ فِي الْفَلَوَاتِ^(١٧) . مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ حَمِيدُوا إِلَيْهِ
 طَرِيقَهُ ، وَشَرُّوهُ بِالنَّجَاةِ ، وَمَنْ أَخَذَ يَمِينًا وَشِمَالًا^(١٨) ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ ، وَحَدَّرُوهُ مِنْ
 الْهَلَكَةِ ، فَكَانُوا^(١٩) كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ ، وَادِّلَةٌ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ .
 وَإِنَّ لِلذُّكْرِ لَأَهْلًا اتَّخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلًا ، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْهُ^(٢٠) ، يَقْطَعُونَ

(١) لم نرد «يسبح له فيها بالغدو والآصال» في د.

(٢) النور: ٣٦، ٣٧ (٣) في هـ. ب: أي القرآن.

(٤) في هـ. ص: أي يجلي به كما يجلي السيف بالصقال.

(٥) في هـ. د: جلاء القلوب - ب. (٦) في هـ. ب: تسمع القلوب بالقرآن.

(٧) في هـ. ص: هي ثقل السمع. (٨) في هـ. ص بفتح العين من العشاء.

(٩) في هـ. ص: أي عظمت وكبرت.

(١٠) في هـ. ب: قطعة من الزمان، وفي هـ. ص مدة يفصل بينها وبين نظيرتها مدة.

(١١) في هـ. ب: ما بين الرسول إلى الرسول، وفي هـ. ص الفترة انقطاع الوحي.

(١٢) في هـ. ب: فاعل ناجي الله تعالى. (١٣) في هـ. ب: أسرار.

(١٤) في هـ. د: في الأبصار والأسماع - ض، ب.

(١٥) في هـ. ب: يذكرون الناس. (١٦) في ب: وبحرفون.

(١٧) في هـ. د: القلوب - حاشية ن. (١٨) في هـ. ص أي عدل عن جادة الطريق.

(١٩) في ط و د: وكانوا. (٢٠) في ص: عن ذكر الله.

بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ، وَيَهْتِفُونَ^(١) بِالزَّوْجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، فِي أَسْمَاعِ الْغَائِلِينَ، وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتُمِرُونَ^(٢) بِهِ، وَيَتَهَوَّنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَسْتَاهَوْنَ عَنْهُ، فَكَانَهَا^(٣) قَطْعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا، فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ، وَكَانَمَا^(٤) اِطَّلَعُوا غُيُوبَ الْبِرِّزْخِ^(٥) فِي طُولِ الْإِقَامَةِ فِيهِ، وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا^(٦)، فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا، حَتَّى كَانَهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ، وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ.

فَلَوْ مَثَلْتَهُمْ^(٧) لِعَقْلِكَ^(٨) فِي مَقَاوِمِهِمْ^(٩) الْمُحْمُودَةِ، وَمَجَالِسِهِمِ الْمَشْهُودَةِ، وَقَدْ نَشَرُوا دَوَارِينَ أَعْمَالِهِمْ، وَفَرَعُوا لِمَحَاسِنِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ؛ أَمُرُوا بِهَا فَقَصَّروا^(١٠) عَنْهَا، أَوْ نُهَوْا^(١١) عَنْهَا فَقَرَّطُوا فِيهَا؛ وَحَمَلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ، فَضَعُفُوا عَنْ الْإِسْتِقْلَالِ بِهَا؛ فَتَشَجُّوا نَشِيجاً^(١٢)، وَتَجَّ وَبُوا^(١٣) نَحِيباً^(١٤)، يَعْبُجُونَ^(١٥) إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامٍ نَدَمَ وَاعْتَرَفَ - لَرَأَيْتَ أَعْلَامَ هُدًى، رَمَضَابِيعَ دُجَى، قَدْ حَقَّتْ بِهِمُ الْمَلَابِكَةُ؛ وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَفُتِحَتْ لَهُمُ ابْوَابُ السَّمَاءِ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ، فِي مَقَامٍ^(١٦) اِطَّلَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَرَضَى^(١٧) سَعْيَهُمْ، وَخَيَّدَ مَقَامَهُمْ.

يَتَنَسَّمُونَ^(١٨) بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ^(١٩)، رَهَائِنِ^(٢٠) فَاقَةٍ إِلَى فَضْلِهِ، وَأَسَارَى ذِلَّةٍ

(١) في هـ. ب: يصيحون من ها هنا هاف (٢) في هـ ب: يفعلون ما يأمرهم غيرهم.

(٣) في ط فكانهم. (٤) في ط و د: فكانما

(٥) في هـ. ب: القبور، وفي هـ. ص هو ما بعد الموت من مكن أو رمان (التهى من شرح ابن ميثم).

(٦) في هـ ب: جمع عدة، وهي الوعد، وفي هـ د: عند عذابها - م

(٧) في هـ. ب: صورتهم. (٨) في هـ. د: بعقلك - ف

(٩) في هـ. ب: مقامهم. (١٠) في هـ. د: فقرطوا - ب.

(١١) في هـ ب في نسخة: ونهوا (١٢) في هـ ب: من لتجاوب.

(١٣) في هـ ب: من لتجاوب. (١٤) في هـ. ب: نينا، وفي هـ د: وروي تجاوبو نجيا - ك.

(١٥) في هـ. ب: يصرخون

(١٦) في ط: مقعد، وفي هـ. ب: في نسخة مقعد، وفي هـ. د: مقعد - ن ف م ح.

(١٧) في هـ. ب: أي رضي الله. (١٨) في هـ. ب: من النسيم.

(١٩) في هـ. ب: أي راحة التجاوز عن ذنوبهم.

(٢٠) في هـ. ب: أي هم رهائن فاقه جمع رهن.

لِعَظَمَتِهِ، جَرَحَ طَوْلُ الْأَسَى ^(١) قُلُوبَهُمْ، وَطَوَّلُ الْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ.

لِكُلِّ بَابٍ رَغْبَةٌ إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ يَدُّ قَارِعَةٍ، يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيقُ لَدَيْهِ ^(٢) الْمَنَادِحُ ^(٣)، وَلَا يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ.

فَحَاسِبُ نَفْسِكَ لِنَفْسِكَ؛ فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ ^(٤) غَيْرُكَ.

* * *

الصفات التي ذكرها عليه السلام منطبقات على قوم لهم تحقق في العلوم الشرعية والمعاملة الربانية ممن أخذ الله على العلم ميثاقهم لبيئته للناس ولا يكتمونونه، وهم مع ذلك أهل عبادة عظيمة وزهادة في مشتبهات الدنيا بالغة.

همهم الدعاء الى الدين والذب بالأقوال والأفعال عن حرمان رب العالمين.

ولن تجد بهذه الصفات من هذه الأمة إلا هذه الجملة الطاهرة من عترة سيد المرسلين وشيعتهم من صادقي المؤمنين. وليس الأمر كما زعم ابن أبي الحديد أن المعنى بهم عارفوا الصوفية وحمقائهم - أهل الانقباض والغفلة عن نصرة الدين وعن القيام بما كان يقوم به خانم النبيين وأمير المؤمنين.

فأما علماء العامة فبمعزل ناء عما ذكره عليه السلام من الصفات وإنما همهم طلب رئاسة الدنيا والسمعة والذكر فيها ونيل زينتها.

أما ما ذكره عليه السلام من المحاسبة: قال في شرح ميشم بن علي:

وهذا يستدعي بيان معنى المحاسبة، ولما كان معناها يستدعي ^(٥) محاسباً حتى يكون النظر معه في رأس المال في الربح والخسران ليبين له الزيادة والنقصان فإن ^(٦) كان من فضل حاصل استوفاه وإن ^(٧) كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل فكذلك العبد تعامله نفسه الأمانة بالسوء، ورأس ماله الفرائض وربحه النوافل والفضائل،

(٢) في ص: عليه وفي هـ ص في نسخة: لديه.

(١) في هـ. ب و ص: حزن.

(٣) في هـ. ب: السعة وفي هـ ص: المنادح جمع مندوحة، وهي في الأصل: الفضاء المتسع بين

(٤) في هـ. ب: محاسب.

الجبليين.

(٦) في هـ. ص: فما - ظاهراً -.

(٥) في ط: يستدعي.

(٧) في هـ. ص: وما - ظاهراً -.

والخسران المعاصي، وموسم هذه التجارة جملة لنهار فينبغي أن يكون للعبد في آخر ساعة يطالب بها نفسه ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها فإن كان قد أدى لفرائض على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها، وإن فوتها من أصلها كلّفها بالقضاء، وإن أداها^(١) ناقصة كلّفها بالجبران بالنوافل، وإن ارتكب^(٢) معصية اشتغل بعقابه وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفي^(٣) منها ما يتدارك به تقرّطها كما يصنع التاجر بشريكه، وكما أنه يفتّش في حساب الدنيا عن الحبّة والقبراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان كذلك ينبغي أن يتقّى^(٤) خدعة النفس ومكرها فإنّها مخادعة مكّارة فليطالبها أولاً بتصحيح الجواب عمّا نكلّم به طول نهاره لينوئى من حسابها بنفسه ما يستولاه غيره في محفل القيامة، وكذلك عن نظره وخواطره وأفكاره وقبامه وقعوده وأكله وشربه، وحتى عن سكوته وسكونه فإذا عرف أنّها أدّت الحقّ في الجميع كان ذلك القدر محسوباً له فيظهر لها الباقي ويقرّره عليها ويكتبه على صحيفة قلبه ثم إنّ لنفس غريم يمكن أن يستوفي منه لذيون أمّا بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها برّد عينها، وبعضها بالعموية لها على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك إلّا بعد تحقق الحساب وتمييز باقي الحق الواجب عليه ثم يشتغل بعده بالمطالبة وينبغي أن يحاسب الإنسان النفس على جميع العمر يوماً ووماً وساعة ساعة في جميع الأعضاء الظاهرة ولباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة وكان بالرقّة وكان محاسباً لنفسه فحسب يوماً فإذا هو ابن ستين سنة فحسب أيامها فإذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمس مائة يوم فصرخ وقال: يا ويلتي أتقى المدك بأحد وعشرين ألف ذنب، ثم خرّ مغشياً عليه فإذا هو ميت فسمعوا قائلاً يقول: يالك ركضة الى الفردوس لأعلى فهكذا ينبغي أن تكون المحاسبة، ولو رمى لعبد بكلّ معصية حصاة في داره لأمتلأت داره في مدة يسيرة من عمره ولكنّه بتساهل في حفظها والملكان يحفظان عليه كما قال تعالى ﴿أحصاه الله ونسوه﴾ الآية

(٢) في ص: ارتكبت.

(٤) في ط: تتقي.

(١) في ط: أدتها.

(٣) في ط و يستوفي.

ومن كلام له عليه السلام : قاله عند تلاوته :

«يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ»^(١) :

أَدْحَضَ مَسْئُولٍ حُجَّةً وَأَنْطَعَ مُعْتَرٍ^(٢) مَعْذِرَةً لَقَدْ أُبْرَحَ^(٣) جَهَالَةً بِنَفْسِهِ.

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ وَمَا آنَسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ . أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ^(٤) أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمِكَ يَقْظَةٌ أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِهَا^(٥) . فَلَوْ بَمَا^(٦) تَرَى الضَّاحِيَ^(٧) لَحَرٌّ^(٨) الشَّسِيسِ فَتُظِلُّهُ أَوْ تَرَى الْمُبْتَلَى بِأَلَمٍ يُمِضُ^(٩) جَسَدَهُ فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ فَمَا صَبْرَكَ^(١٠) عَلَى دَائِكَ وَجَلَدَكَ عَلَى مُصَابِكَ^(١١) وَعَزَّأَكَ عَنِ الْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ وَهِيَ أَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكَ . وَكَيْفَ لَا^(١٢) يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ^(١٣) سَطَوَاتِهِ^(١٤) . فَتَدَاوَى^(١٥) مِنْ دَاءِ الْفِتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِغَرِيمَةٍ^(١٦) وَمِنْ كَرَى الْغَفْلَةِ فِي نَاطِرِكَ بِتَقْظَةٍ فَكُنْ^(١٧) لِلَّهِ مُطِيعاً . وَبِذِكْرِهِ أَنْسَأْ . وَتَمَثَّلْ^(١٨) فِي حَالِ تَوَلُّيكَ عَنْهُ إِقْبَالَهُ عَلَيْكَ يَدْعُوكَ إِلَى

(١) في هـ . ب : السائل ها هنا - الله تعالى ؛ لأنه يقول : ما غرك يا انسان .

(٢) في هـ . ب : مغرور .

(٣) في هـ . ب : أزال ، وفي هـ . ب : أي الى البرح وهو الأمر العظيم .

(٤) في هـ . ب : صحه . وفي هـ ص : يقال بل الرجل وابل من دائه : أي شفي .

(٥) في ط و د : غيرك . (٦) في ط : فريما .

(٧) في ط : من حرّ ، هـ ص : أي البارز بحرّه .

(٨) لم ترد «لحر» في ص ، وفي ط و د : من حرّ ، وفي هـ . د : لحرّ - ش .

(٩) في هـ . ب : يمض جسده : يولم جسده ، وفي هـ . ص : يقال داء ممض أي مؤلم .

(١٠) في هـ . د : فما أصبرك - حاشية م .

(١١) في ط و د : بمصائبك ، وفي هـ . د : مصائبك - م ش وحاشية ن ، على مصائبك - ل .

(١٢) في هـ . د : لم ترد «لا» في ف . (١٣) في هـ . ص : جمع مدرجة بمعنى الطريق والمسلك .

(١٤) في هـ . ب : حملاته . (١٥) في هـ . ب : من التداوي .

(١٦) هـ . ب : بعزم . (١٧) في ب و ط و د : وكن .

(١٨) في هـ . ص : أي ابرز مقالا وصورة في خيالك .

عَفْوِهِ وَيَتَعَمَّدُكَ^(١) بِفَضْلِهِ^(٢) وَأَنْتَ مُتَوَلِّ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ. فَتَعَالَى مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ^(٣) وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْزَأَكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ وَأَنْتَ فِي كَنْفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ. فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلُهُ. وَلَمْ يَهَيْتِكَ عَنْكَ سِتْرُهُ. بَلْ لَمْ تَخُلْ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ^(٤) عَيْنٍ فِي نِعْمَةٍ يُخَدِّثُهَا لَكَ أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ. أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْكَ. فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ أَطْعَمْتَهُ. وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَفَقِّتِينَ فِي الْقُوَّةِ. مُتَوَازِينَ^(٥) فِي الْقُدْرَةِ لَكُنْتَ أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَى نَفْسِكَ بِذِمِّمِ الْأَخْلَاقِ وَمَسَاوِي الْأَعْمَالِ.

وَحَقًّا أَقُولُ: مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ وَلَكِنْ بِهَا أَغْتَرَزْتَ وَلَقَدْ كَاشَفْتُكَ الْعِظَاتُ^(٦) وَأَذْنُكَ^(٧) عَلَى سِوَاهِ^(٨). وَلَهِيَ بِمَا نَعِدُكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ وَالتَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ أَوْ تَغُرَّكَ. وَلَرَبِّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مَتَّهَمٌ وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ. وَلَئِنْ تَعَرَّفْتَهَا فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذَكِيرِكَ وَتَبْلَغِ مَوْعِظَتِكَ، بِمَحَلَّةِ^(٩) الشَّفِيقِ عَلَيْكَ وَالشَّحِيحِ بِكَ وَلِنِعْمِ دَارٌ مَنْ لَمْ يَوْضَ بِهَا دَارًا وَمَحَلٌّ مَنْ لَمْ يُوطَّنْهَا مَحَلًّا وَإِنَّ السُّعْدَاءَ بِالدُّنْيَا غَدًا^(١٠) هُمْ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ^(١١).

إِذَا رَجَعْتَ الرَّاجِفَةَ وَحَقَّتْ بَجَلَانِهَا^(١٢) الْقِيَامَةُ وَلَحِقَ بِكُلِّ مَنَسِكٍ أَهْلُهُ وَبِكُلِّ مَغْبُودٍ عَبْدَتُهُ وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ فَلَمْ يُجْرِ^(١٣) فِي عَذْلِهِ وَقِسْطِهِ^(١٤) يَوْمَئِذٍ خَرَقُ بَصَرٍ فِي

(١) في هـ. ب و ص: أي يسترِكَ. (٢) في هـ. د: ويتعمدك الله بفضلِهِ.

(٣) في ب: ما أحكمه، وفي هـ. ب: في نسخة: ما أكرمه، وفي هـ. د: ما أحلمه - ل ش و هامش م.

(٤) في هـ. ب: أي طرفه عين، وفي هـ. ص: أي وقت طرف عين.

(٥) في هـ. ب: أي متشابهين، وفي هـ. ص: أي متساويين متقابلين، وروى متوازنين أي متعادلين، وفي هـ. د: متوازنين - ض ن ب م.

(٦) في هـ. د: لعظات - ع. جمع عظة، وهي الوعظ، وفي هـ. ص: بالنصب على تقدير بالعظات محذوف الجار، وبالرفع على الفاعل (لا) في هـ. ص: أي أعلمتك.

(٨) في هـ. ص: أي عدل (٩) في هـ. ب: بمنزلة.

(١٠) في هـ. ص: أي في الآخرة. (١١) في هـ. ص: أي في الدنيا.

(١٢) في ب ظاهرًا: لجلالها، وفي هـ. ص: هي الأمور الجليلة.

(١٣) في هـ. ب: أي تمل، وفي هـ. د: فلم يجر - ف، فلم يحز بالزاي والراء - ف.

(١٤) لم ترد «وقسطه» في ط، وفي هـ. د: لم ترد «وقسطه» في ب.

الْهَوَاءِ وَلَا هَمْسٌ قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا يَحْقُقْهِ. فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٌ. وَعَلَائِقُ عُذْرِ
مُنْقَطِعَةٌ فَتَحَرَّ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ عُذْرُكَ وَتَثْبُتُ بِهِ حُجَّتُكَ. وَخُذْ مَا يَبْقَى لَكَ مِمَّا لَا تَبْقَى لَهُ
وَتَيَسَّرْ لِسَفَرِكَ وَشِم^(١) بَرْقَ النَّجَاةِ. وَارْحَلْ مَطَايَا التَّشْمِيرِ^(٢).

(١) في هـ. ص: شام البرق: نظر اليه نظر راغب طامع.

(٢) في هـ. ب: التشمير: الجدد.

ومن كلام له عليه السلام :

وَاللَّهِ لَأَنْ أَيْتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ ^١ مُسَهَّداً ^٢ ، وَأُجْراً ^٣ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفِّداً ، أَحَبُّ
إِلَيَّ مِنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ ، وَغَاصِباً لِبَعْضِ
وَكَيْفَ أَظْلِمَ أَحَدًا لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبَيْتِ قَوْلُهَا ، وَيَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا !
وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلاً وَقَدْ أَمْلَقَ ^٤ ، حَتَّى اسْتَمَاحَنِي ^٥ مِنْ بُرْكُمْ صَاعاً ، وَرَأَيْتُ صَبِيَانَهُ ^٦
شُعْتَ الشُّعُورِ ، غَيْرَ ^٧ الْأَلْوَانِ مِنْ فَرِهِمْ ، كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ ^٨ ، وَعَارَدَنِي
مُوكِّداً ، وَكَزَّرَ عَلَى الْقَوْلِ مُرَدِّداً ، فَأَضْعَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي ، فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينَ ، وَأَتَّبِعُ
قِيَادَهُ ^٩ مُفَارِقاً طَرِيقَتِي ^{١٠} ، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَرِيدَةً ، ثُمَّ أَذْنَيْتُهَا مِنْ جَسَمِهِ لَتَغْتَبِرَ بِهَا ، فَضَجَّ
ضَجِيجَ ذِي دَنْفٍ مِنَ أَلَمِهَا ، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ ^{١١} مِنْ مَيْسَمِهَا ، فَقُلْتُ لَهُ : تَكِلْكَ التَّوَاكِلُ يَا
عَقِيلُ ! اتَّبِعْ مِنْ حَرِيدَةِ أَحْمَاها إِنْسَانُهَا لِلْعَبِيهِ ، وَتَجَرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَّرَهَا جَبَّارُهَا لِعَظْبِهِ !
اتَّبِعْ مِنَ الْأَذَى وَلَا أَبُوءُ مِنْ لَظَى !

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقُ ^{١٢} طَرَفَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وَعَائِهَا ، وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا ^{١٣} ، كَأَنَّمَا

(١) في هـ ب: السعدان: جنس من الشوك، وفي هـ ص هـونبت له شوك يقال له حسك

السعدان وحسكة السعدان ويشبه به حلقة الثدي

(٢) في هـ ب: ما معناه: ساهراً (٣) في ط أو جر

(٤) في هـ ص: أي افتقر (٥) في هـ ص: أي طلب المنح وهو الاعطاء.

(٦) في ب زيادة: عرثي

(٧) لم يرد «لشعور غير» في ب و ض و د، وفي هـ د شعث الشعور غير لألوان - ض ح ب.

(٨) في هـ ب: الوسمة، وفي هـ ص: صبغ أسود

(٩) في هـ ب: اتقياده.

(١٠) في د: طريقي، وفي هـ د: طريقي - ض ح ب، وفي هـ ب: في نسخة: طريقي.

(١١) في هـ ب: في نسخة: يحرق.

(١٢) في هـ ص قيل هو الأشعث، وكان عليه السلام يبغيه ويعرف خبث طويته، أهدي إليه حلوى قد

تأنق فيه على طبق مغطى. (١٣) في هـ ب: ابغضها.

عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا: فَقُلْتُ: أَصِلَّةٌ أَمْ زَكَاةٌ أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ! فَقَالَ: لَا ذَا وَلَا ذَاكَ؛ وَلَكِنَّهَا هَدِيَّةٌ. فَقُلْتُ: هَبْلَتِكَ الْهَبُولُ! أَعَنْ دِينَ اللَّهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي! أَمْخُطِطُ^(١) أَمْ ذُو جِنَّةٍ^(٢) أَمْ تَهْجُرُ^(٣)! وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْآقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا، عَلَى أَنْ أَغْصِيَ اللَّهَ فِي تَمَلَّةٍ أَشْلُبُهَا جُلْبَ^(٤) شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ؛ وَإِنْ^(٥) دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لِأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمٍ جَرَادَةٍ تَقْضُمُهَا.

مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَنْفَى؛ وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى! نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ، وَقُبْحِ الزَّلَلِ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ.

قوله ﷺ: «رَأَيْتُ عَقِيلًا وَقَدْ أَمْلَقَ ... إِلَى آخِرِهِ»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: سأل معاوية عقيلاً عن قصة الحديد المحمّاة المذكورة، فبكى وقال: أَنَا أَحَدُكَ يَا مُعَاوِيَةَ عَنْهُ، ثُمَّ أَحَدُكَ عَمَّا سَأَلْتُ^(٦)، نَزَلَ بِالْحُسَيْنِ ابْنِهِ ضَيْفٌ، فَاسْتَسَلَفَ دَرَهْمًا اشْتَرَى بِهِ خَبْزًا، وَاحْتِاجَ إِلَى الْإِدَامِ فَطَلَبَ مِنْ قَنْبَرٍ خَادِمِهِمْ، أَنْ يَفْتَحَ لَهُ رِقًا مِنْ زَقَاقٍ عَسَلَ جَاءَتْهُمْ مِنَ الْيَمَنِ، فَأَخَذَ مِنْهُ رِطْلًا، فَلَمَّا قَعَدَ عَلِيٌّ ﷺ لِيَقْسِمَهَا، قَالَ: يَا قَنْبَرُ، أَظُنُّ أَنَّهُ حَدَثَ بِهَذَا الزَّقُّ حَدَثٌ! قَالَ: صَدَقْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَخْبَرَهُ، فَغَضِبَ ﷺ، وَقَالَ: عَلِيٌّ بِحُسَيْنٍ! فَرَفَعَ إِلَيْهِ الدَّرَّةَ، فَقَالَ: بِحَقِّ عَمِّي جَعْفَرٍ - وَكَانَ إِذَا سَتَلَ بِحَقِّ جَعْفَرٍ سَكَنَ - فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ أَنْ أَخَذْتَ مِنْهُ قَبْلَ الْقِسْمَةِ؟ قَالَ: إِنَّ لَنَا فِيهِ حَقًّا، فَإِذَا أُعْطِينَاهُ رَدَدْنَاهُ، قَالَ: فِدَاكَ أَبُوكَ! وَإِنْ كَانَ لَكَ فِيهِ حَقٌّ، فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِحَقِّكَ قَبْلَ أَنْ يَنْتَفِعَ الْمَسْمُونُ بِحَقِّهِمْ! أَمَا لَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ ثَنِيَّتَكَ لِأَوْجَعْتُكَ ضَرْبًا. ثُمَّ دَفَعَ إِلَى قَنْبَرٍ دَرَهْمًا كَانَ مُصْرُورًا فِي رَدَائِهِ، وَقَالَ: اشْتَرِ بِهِ خَيْرَ عَسَلٍ تَقْدِرُ عَلَيْهِ. قَالَ عَقِيلٌ: وَاللَّهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يَدِي عَلِيٍّ، وَهِيَ عَلَى فَمِ الزَّقِّ، وَقَنْبَرٌ يَقْلِبُ الْعَسَلَ فِيهِ،

(١) في هـ. ص: أي مصروع. (٢) في هـ. ص: أي أبلك مس من الشيطان.

(٣) في هـ. ص: أي تقول غير الصواب لعارض مرض أو مجانه وسخرية.

(٤) في هـ. ص يضم الجيم: قشر الشعيرة. (٥) في ص: فإن.

(٦) في ص: ثم احدثك عنه.

ثم شدّه وجعل يبيكي، ويقول: اللهم اغفر لحسين فإنه لم يعلم!
فقال معاوية: ذكرت من لا ينكر فضله، رحم الله أبا حسن، فلقد سبق من كان قبله،
وأعجز من يأتي بعده! هلمّ حديث الحديده.

قال: نعم، أقويت وأصابتنى مخمصة شديدة، فسألته فلم تندّ صفائهُ، فجمعت صبياني
وجئت بهم، والبؤس والضّرّ ظاهران عليهم، فقال: اثني عشيرةً لأدفع اليك شيئاً، فجئته
يقودني أحد ولدي، فأمره بالتنحّي، ثم قل: ألا فدونك، فأهويت - حريصاً قد غلبني
الجشع، أظنها صرة - فوضعتُ يدي على حديده تنتهب ناراً، فلمّا قبضتها نبذتها، وخُرّت
كما يخور الثور تحت يد جازره، فقال لي تكلتك أمك! هذا من حديده أوقدت لها نار
الدنيا، فكيف بك وببي غداً إن سلكنا في سلاسل جهنم! ثم قرأ: ﴿إِذَا الْأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ
وَالسَّلاسلُ يُسْحَبُونَ﴾^(١)

ثم قال: ليس لك عندي فوق حقّ الذي فرضه الله لك إلا ما ترى، فانصرف إلى أهلك
فجعل معاوية يتعجّب، ويقول: هيهات هيهات! عَقِمَت النساء أن يأتين^(٢) بمثله!
انتهى^(٣).

قوله ﷺ: «فذلك محرّم علينا أهل البيت»:

قال في شرح ابن أبي الحديد: فإن قلب كيف قال: «فذلك محرّم علينا أهل البيت»،
وإنما تحرم عليهم الزكاة الواجبة خاصة، ولا تحرم عليهم صدقة التطوّع، ولا قبول
الصّلات؟ قلت: أراد بقوله: «أهل البيت» الأشخاص الخمسة: محمّد، وعليّ، وفاطمة،
وحسن، وحسين ﷺ، فهؤلاء خاصّة دون غيرهم من بني هاشم. محرّم عليهم الصّلة
وقبول الصدقة، وأمّا غيرهم من بني هاشم فلا يحرم عليهم إلا الزكاة الواجبة خاصّة.

فإن قلت: كيف قلت: إنّ هؤلاء الخمسة يحرم عليهم قبول الصّلات، وقد كان حسن
وحسين ﷺ يقبلان صلّة معاوية؟

قلت: كلّاً لم يقبلا صلته، ومعاذ الله أن يقبلاها! وإنما قبلا منه ما كان يدفعه اليهما من

(٢) في ط: ان يلدن مثله.

(١) المؤمن: ٧١.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٥٣ - ٢٥٤.

جعله حقهما من بيت المال، فإنَّ سهم ذوى القربى منصوص عليه في الكتاب العزيز، ولهما غير سهم ذوى القربى سهم آخر بالإسلام من الغنائم، انتهى^(١).

قلت^(٢): مذهب الناصر وأبي العباس الحسيني رضي الله عنهما أن صدقة النفل لا تحل لآل محمد إلا صدقة بعضهم على بعض.

وعلى هذا القول حمل ما في الأحاديث الكثيرة من تحليل صدقات بني هاشم بعضهم لبعض وأشهرها حديث العباس، قال: يا رسول الله إنك حرمت علينا صدقات الناس، افتحل لنا صدقة بعضنا ببعض؟ قال: نعم.

وحمل عليه^(٣) - أيضاً - ما روي عن جمهور المتقدمين من أئمتنا، فإنه روي عنهم

(١) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٤٩. (٢)

(٣) في هـ. ص هنا ما يلي: قال الامام شرف الدين رحمة الله عليه في كلام ردِّه على العامري كلاماً حكاه عنه من نفس النصب ما رسمه: قال بعد أن ساق أحاديث فضائل أهل البيت

الظاهرين وأخبار وجوب اتباعهم المنواتر ما معناه:

ان هذه الأخبار توجب قضاء حوائجهم اذا طلبوا، ومواساتهم اذا سألوا وأنه اذا جاء منهم سائل مستجد توجه مواساته ولا يلاحق في إقامة بينة على صحة نسبه، وجاء في ذلك قصة منام حكاها، فجعل البرهين القاطعة لكونهم حجة الله تعالى على الخلق وأهل الرياسة والولاية التي لا يد فوق بعدها، في خلافة الملك الحق، وكونهم فرناء القرآن وأمناء شريعة الملك لدين، وأن محبتهم واتباعهم من تمام الايمان، وكراحتهم ومخالفتهم موجبة للنفاق الموقع في الدرك الأسفل من النيران، جعلها لا توجب لهم إلا تلك الأحوال السخيفة،

والاسعاف لمن جاء يستجدي منهم ويهين نفسه لأهل القلوب المريضة عليهم الضعيفة

وخالف ما جعله الله سبحانه خصيصة لهم ومزية من تطهيرهم عن قبول الزكوات الواجبات والصدقات التي فيها دخولهم تحت مئة أية مئة.

كيف التذلل لأهل الضعينة عليهم والإحنة.

ولم يباح لهم سبحانه من الحقوق والنفل إلا ما كان مأخوذاً لهم بحدود السيوف وأطراف الأسل، أو ما على جهة التقرب الى الله عز وجل في اعتقاد فضلهم واستمداد البركة منهم بحيث يكون المنة لهم على المعطي ويكون هو الطالب ويكون الحظ له في قبول ما يتوسل به في نياله الى الله سبحانه من الرغائب كما يتقرب به الى بيت الله الحرام ونحوه من مشاعر الاسلام، كما عدل اليه أعداء أهل البيت الكرام.

وحملوا عليه مراد الملك العلّام في كتابه العزيز وعلى لسان رسوله عليه وعلى أهل بيته

جواز صدقة بني هاشم بعضهم لبعض دون غيرهم.

فحمل ذلك على ان المراد صدقة النفل.

وكل هذه التأويلات خلاف الظاهر، وظاهر الروايات تحريم صدقة الفرض والنفل من

غيرهم وتحليل صدقة الفرض والنفل منهم لمحاويجهم.

وفي الجامع للكافي مسألة: روى محمد باسناده عن علي عليه السلام انه قال: نحن أهل البيت

لا تحل لنا الصدقة إلا صدقة بعضنا على بعض. وروى محمد عن أبي جعفر عليه السلام عن رسول

الله ﷺ: لا تحل الصدقة لآل محمد إلا صدقة الماء أو صدقة بعضهم على بعض.

وعن علي بن الحسين عليه السلام انه كان يشرب من ماء لصدقة، انتهى.

قلت: ووجه تخصيص الماء انه باق على الاباحة ولو كان في بئر مملوك أو مأجل، وان

فرض مملوكاً فلظهور التسامح وعدم لئمة كالضيافات العامة ونحوها، والله أعلم.

→ أفضل الصلاة والسلام.

وقاتل الله أعداء أنفسهم كيف يحملون مثل: «اني نارك فيكم الثقليين...»، «وأهل بيتي كسفينة

نوح» «وأمان أهل الأرض» وما يشبهها من البراهين القاطعة على مثل ما ذكروا؟

هل هذا إلا تجاوز عظيم لله سبحانه في كرامة أهل بيت نبيه، ومخالفة ما أوجبه لهم خالقهم

من المحبة والقدوة، وغلو جسيم في الاعراض عنهم ولبغض لهم، والصلال عن نير نهجهم

ومستقيم صراطهم، وعدول بذلك إلى من وجب له أضداد ذلك من البعد عنهم والبغض لهم

والمعاداة.

انتهى من شرح خطبة الاثمار، وفيه اشارة الى مثل ما قلناه.

ومن دعاء له عليه السلام :

اَللّٰهُمَّ ^(١) صُنِّ ^(٢) وَجْهِيْ بِالْيَسَارِ وَلَا تَبْذُلْ ^(٣) جَاهِيْ بِالْاِقْتَارِ ^(٤)، فَاسْتَزِقْ ^(٥) طَالِبِيْ رِزْقَكَ ^(٦) وَأَسْتَغْطِفْ شِرَارَ خَلْقِكَ، وَأُبْتَليْ ^(٧) بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِيْ، وَأَفْتِنِ ^(٨) بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِيْ، وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ ^(٩) وَلِيَّ الْأَعْطَاءِ وَالْمَنْعِ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

(١) في هـ. ص: الدعاء بصيغة الأمر. (٢) صيانة الوجه: حفظه من التعرض للسؤال.

(٣) في هـ. د: ولا تبذل - ك وحاشية م ولا تبذل - ر.

(٤) الاقتار: الفقر.

(٥) في هـ. ص: منصوب لأنه جواب الأمر والنهي.

(٦) في ب: رفقك وفي هـ. ب: في نسخة: رزقك.

(٧) في ص فابتنى، وفي هـ. ص في نسخة: وابتنى.

(٨) في ب: فافتتن وفي د: افتتن. وفي هـ. ص: روي مبنياً لنفاعل وللمفعول.

(٩) في هـ. ص: مثل يقال للمحيط بالأمر القاهر له القادر منه على ما يشاء كما يقال للملك

العظيم هو من وراء وزرائه وكتابه، لا يعتبر إلا ذاك حقيقة الجهة، وكما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ وأصله ان لسانك الماشية يكون محيطاً بها ببصره ويده ومن ثم يقال لمن ملك: ساق ويسوق الناس بعصاه، والله أعلم، وحاصله ان هذا اللفظ صار مثلاً علماً لمعنى الاحاطة والاستيلاء كما قال تعالى: (من ورأه جهنم) ابراهيم: ١٤/١٦، والله أعلم.

ومن خطبة له عليه السلام :

دَارُ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ. وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ. لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا. وَلَا تَسْلَمُ^(١) نَزَالُهَا^(٢) أَحْوَالُ
مُخْتَلِفَةٌ وَتَارَاتُ^(٣) مُتَصَرِّفَةٌ. الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ. وَالْأَمَانُ مِنْهَا^(٤) مَعْدُومٌ. وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا
أَعْرَاضٌ مُسْتَهْدِفَةٌ^(٥) تَزِمِيهِمْ^(٦) بِسِهَامِهَا وَتُفْنِيهِمْ بِحِصَامِهَا^(٧).

وَأَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ مِمَّنْ
كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَارًا. وَأَعْمَرَ دِيَارًا. وَأَبْعَدَ آثَارًا^(٨). أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً^(٩).
وَرِيَاخُهُمْ زَاكِدَةً^(١٠). وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً. وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً. وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً^(١١). فَاسْتَبَدُّوا
بِالْقُصُورِ الْمُشِيدَةِ^(١٢). وَالنَّمَارِقِ^(١٣) الْمُمَهَّدَةِ^(١٤) الصُّخُورِ وَالْأَحْجَارِ الْمُسَنَّدَةِ^(١٥) وَالْقُبُورِ
الْلاطِنَةِ^(١٦) الْمُلْحَدَةِ^(١٧). الَّتِي قَدْ بُنِيَ بِالْخَرَابِ^(١٨) فَنَاقُواهَا^(١٩). وَشِيدَ بِالنَّارِ بِنَاوُهَا.

(٢) جمع نازل.

(١) في ط: لا يسلم.

(٣) في هـ. ب: جمع تارة أي مرّات، وفي هـ. ص جمع تارة بمعنى مرّة.

(٤) في ص: فيها. وفي هـ. د: فيها - ب ل.

(٥) هـ. ص: بكسر لدال بمعنى منتصبه مهينة لأن يرمى، ويفتح الدال على المفعولية أي

مقصودة بالرمي (٦) في هـ. ب: أي الدنيا.

(٧) في هـ. ب: أي موتها. (٨) في هـ. ب أي أعمالاً.

(٩) في هـ. ب و ص: أي ساكنة استعارة من قولهم: ماء راكد، وفي هـ. ص: كناية عن سكون

الحركات (١٠) هـ. ب: ساكنة.

(١١) في هـ. ب: مندرسة.

(١٢) في هـ. ب: العالية، وفي هـ. ص: أي لمؤكد البناء، والشيد: الجص مما يراد تقويته يبنى به

فصار التشييد عبارة عن التقوية لذلك. (١٣) هـ. ب: جمع النمرقة.

(١٤) في هـ. ب: المفترشة. (١٥) في هـ. ب: من الاسناد وهو الاعتماد.

(١٦) في هـ. ب: أي اللاصقة. (١٧) في هـ. ب: أي جعل له اللحد.

(١٨) في ط على الخراب.

(١٩) في هـ. ب: يعني القبر قريب وساكنها غريب.

فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ. وَسَاكِتُهَا مُعْتَرِبٌ^(١). بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ^(٢). وَأَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ لَا
يَسْتَأْنِسُونَ بِالأَوْطَانِ. وَلَا يَتَوَاصِلُونَ تَوَاصِلَ الْجِيرَانِ. عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجَوَارِ وَدُنُوِّ
الدَّارِ. وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ^(٣) وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ^(٤) الْبَلَى^(٥). وَأَكَلَتْهُمْ^(٦) الْجَنَادِلُ^(٧)
وَالثُّرَى. وَكَأَنَّ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ وَارْتَهَنَكُمُ ذَلِكَ الْمَضْجِعُ. وَضَمَّكُمْ ذَلِكَ
الْمُسْتَوْدَعُ. فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ^(٨) بِكُمْ الْأُمُورُ وَبُعْثِرَتْ^(٩) الْقُبُورُ. (هُنَالِكَ^(١٠)) تَبْلُو كُلُّ
نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ^(١١).

(١) في هـ. ب: أهل القبور موحشين أي لا انس بينهم.

(٢) في هـ. ب: بأعمالهم في الدنيا. (٣) في هـ. ب: زيارة.

(٤) في هـ. ص: الكلكلة هو الصدر وهو هنا استعارة.

(٥) في هـ. ب: فاعل طحنهم انبلى كلكله اخبار قبل الذكر.

(٦) هـ. ص: أي أفتهم وهو هنا استعارة أيضاً. (٧) في هـ. ب: الأحجار.

(٨) أي وصلت الى الغاية. (٩) في هـ. ب: اثيرت.

(١٠) في ص: فهناك، وفي هـ. ص في نسخة هنالك.

(١١) يونس : ٣٠.

ومن دعاء له عليه السلام :

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْسُ الْآتِسِينَ لِأَوْلِيَاكَ ^(١) . وَأَخْضَرُهُمْ بِالْكِفَايَةِ ^(٢) لِمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ .
تُشَاهِدُهُمْ ^(٣) فِي سَرَائِرِهِمْ . وَتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ ^(٤) . فَأَسْرَارُهُمْ
لَكَ ^(٥) مَكْشُوفَةٌ ^(٦) وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ ^(٧) . إِنْ أَوْحَشَتْهُمْ الْعُرْبَةُ أَنْسَهُمْ ذِكْرَكَ وَإِنْ صَبَّتْ
عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ لَجَأُوا إِلَى الْإِسْتِجَارَةِ ^(٨) بِكَ عِلْمًا بِأَنَّ أَرْمَةَ الْأُمُورِ بِيَدِكَ . وَمَصَادِرَهَا عَنْ
قَضَائِكَ .

اللَّهُمَّ فَإِنَّ فِيهِمْ ^(٩) عَنْ مَسْأَلَتِي . أَوْ عَمِيَّتُ ^(١٠) عَنْ طَلِبَتِي . فَدُلَّنِي عَلَى مَصَالِحِي .
وَاخْذُ بِقَلْبِي إِلَى مَرَايِدِي . فَلَيْسَ ذَلِكَ بِنُكْرٍ ^(١١) مِنْ هِدَايَاتِكَ . وَلَا بِيَدْعٍ ^(١٢) مِنْ كِفَايَاتِكَ .
اللَّهُمَّ أَحْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَذْلِكَ .

(١) في هـ . ص : تقدیر لكلام انك لأوليائك أنس من يؤنس به ، كما تقول أنت لي أصدق الأصدقاء ، والآتسين جمع أنس فهو بمعنى النسبة فاعرف ذلك ، والله أعلم .

(٢) في هـ . ص : أي أبلغهم احضاراً لكفاية المتوكلين عليه وأقومهم بذلك

(٣) هـ . ب : تراهم . (٤) في هـ . ب : جمع بصر وبصيرة بمعنىين .

(٥) في ب : لديك . (٦) هـ . ب : أي ظاهرة .

(٧) في هـ . ب : من اللهف وهو التحسر ، وفي هـ . ص : أي صارت مستغيثة .

(٨) في هـ . ب : الاعادة

(٩) في هـ . ب : أي عجزت ، وفي هـ . ص : بالكسر أي عييت .

(١٠) في د : عميت ، وفي هـ . د : عميت م ل وحاشية ن ، وفي هـ . ب : حيرت ، وفي هـ . ص : العمد

البرود ويروي عميت . (١١) في هـ . ص : هو العجب .

(١٢) في هـ . ب : بديع ، وفي هـ . ص : هو المبتدع .

ومن كلام له عليه السلام :

لِلَّهِ بِلَادٌ^(١) فَلَانٍ، فَقَدْ^(٢) قَوْمَ الْأَوْدِ^(٣)، وَدَاوَى الْعَمَدِ^(٤)، أَقَامَ^(٥) السُّنَّةَ وَخَلَفَ^(٦) الْفِتْنَةَ^(٧)،
ذَهَبَ نَقَى الثُّوبِ^(٨)، قَلِيلَ الْعَيْبِ، أَصَابَ خَيْرَهَا^(٩) وَسَبَقَ شَرَّهَا، أَدَّى إِلَى اللَّهِ طَاعَتَهُ وَاتَّقَاهُ
بِحَقِّهِ، رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ^(١٠) فِي طُرُقٍ^(١١) مُتَشَعِّبَةٍ^(١٢) لَا يَهْتَدِي فِيهَا الضَّالُّ وَلَا يَسْتَيْقِنُ
الْمُهْتَدِي.

اعلم ان الشارح ابن أبي الحديد زعم ان المعني بهذا الكلام عمر بن الخطاب، وزعم انه
وجد محشئ بذلك في نسخة بخط الرضي - أبي الحسن عليه السلام - وزعم انه سأل النقيب أبا
جعفر عليه السلام عن المراد به؟ فقال له: هو عمر.
وروى عنه ان الامامية يقولون انه قاله تقيّةً واستصلاحاً لأصحابه، والجارودية من
الزيدية يقولون انه قاله في أيام عثمان وأخرجه مخرج الذم له والتنقص لأعماله كما
يمدح الناس الأمير الميت في أيام الأمير الحي بعده فيكون ذلك تعريضاً به.
وروى عن الراوندي انه عليه السلام مدح بعض أصحابه، واستبعد ذلك ابن أبي الحديد، ثم قال

(١) في ص: بلاء، وفي هـ. ب في نسخة: بلاد، والبلاء الصنع.

(٢) في د: فلفد، وفي هـ. د: فقد - ض ب. (٣) في هـ ب و ص: العوج.

(٤) في هـ. ب: جراحك العمدة، وفي هـ. ص: هو انشداه السقام.

(٥) في ط و د: وأقام، وفي هـ. د: أقام - ش. (٦) في هـ. ب: أي ترك.

(٧) في ط: خلف الفتنة وأقام السنة، وفي هـ. د: خلف الفتنة - ب.

(٨) في هـ. ب: أي انه لم يذنب.

(٩) في هـ. ب: الهاء عائد الى الدنيا علمنا ضرورة من ذكرها.

(١٠) في هـ. ب: أي أهل الدنيا.

(١١) في ص: طرقات، وفي هـ. ص في نسخة: طرق.

(١٢) في هـ. ب: بفتح العين وكسرهما والكسر اليق بالصواب.

بعد كلام طويل يُعرّض بما رواه عن النقيب والراوندي والتأويلات الباردة الغثة لا تعجبني^(١).

وأنا أقول: لم تجد أحداً أكثر تعويلاً على التأويلات الغثة الباردة منك، فقد اعتبرنا ذلك من أول كتابك الى آخره.

ثم لا يبعد أن تأتي بكلام تنقضها وتظهر الكامن فيها، فان زعمت ان الحامل لك عليها ثبوت خلاف الظاهر عندك فاحتجت الى تأويل ما ثبت عندك خلافاً، فليخصومك أن يقولوا ثبت عندنا وعندك أيضاً ذمّ أمير المؤمنين لعمر وعيب سيرته بالقول والفعل، فالقول كثير، ولو لم يكن منه الا ما تضمنته الشقشقية حيث يقول: «فصيرها في حوزة خشناء... الى آخره» فذلك كلام المعني به عمر قطعاً، فكيف يصح أن يمدح أمير المؤمنين سيرته بعد ذلك.

وأما الأفعال فانه عليه السلام امتنع يوم السورى من أن تعقد بيعته على سيرة أبي بكر وعمر وقال انما يعقد على كتاب الله وسنة رسوله، فلو كانت سيرتهما موافقة لكتاب الله وسنة رسوله لما امتنع من عقد البيعة على سيرتهما

ومن الأفعال الدالة على ذمه سيرة عمر: ان أمير المؤمنين عليه السلام أدبر - بكل وجه - ان يفضل في العطاء كما فضل عمر فامتنع من ذلك كل الامتناع وسماه جوراً حتى أفضى ذلك الى نفرة الناس - الذين يريدون الدنيا - عنه، وقعدوا عن نصرته وصرّح عليه السلام مراراً بأن السنة التي شاهد مضى عليها رسول الله صلى الله عليه وآله هي التسوية في العطاء، وليس ضد السنة إلا البدعة.

فكل هذا يوجب صرف الكلام عن ان يراد به عمر.

فان صحّ أنه أراد به فلا بدّ من حمله على تأويل الجارودية الذي ذكره النقيب.

ولا يبعد عندي انه عليه السلام عني به بعض أصحابه كالأشتر.

وقد ثبت ان الفساد في أصحابه انما استشرى بعد موت الأشتر عليه السلام، وظهر فيهم الخلاف

(١) انظر شرح ابن أبي الحديد ١٢: ٤.

والخذلان والالتواء حتى قيل: هزمت حياته أهل الشام وهزم موته أهل العراق، وظهر أثر فقده في أهل العراق ظهوراً بيّناً.

وأقرب من ذلك عندي أن يكون ﷺ عني بذلك نفسه وحدث عمّا قام به من الحق وعمّا يقع بعده من الفتن، ولم يلتبس الحق حتى لم يستيقن المهتدي إلا بعد فقده، أما في حياته فقد كان أتباعه المهتدون مستيقنين، أما عمر فلم تقع الفتنة عقيب فقده بل تراخت زماناً فما نسبة انتفائها إليه بأولئ من نسبته إلى من تقدمه، والله أعلم.

ومن كلام له عليه السلام في وصف بيعته بالخلافة وقد تقدم مثله بألفاظ مختلفة :
 وَيَسْطُتُم يَدِي فَكَفَّفْتُهَا. وَمَدُّتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا. ثُمَّ تَدَاكَكْتُكُمْ ^(١) عَلَى تَدَاكَ الْإِبِلِ الْهِيمِ ^(٢)
 عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ رَرْدِهَا ^(٣) حَتَّى أَنْقَطَعَ النَّعْلُ ^(٤) وَسَقَطَ الرِّدَاءُ وَوُطِئَ الضَّعِيفُ وَبَلَغَ
 مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنْ ابْتَهَجَ ^(٥) بِهَا الصَّغِيرُ وَهَدَجَ ^(٦) إِلَيْهَا الْكَبِيرُ وَتَحَامَلَ ^(٧)
 نَحْوَهَا الْعَلِيلُ وَحَسَرَتْ ^(٨) إِلَيْهَا الْكَعَابُ ^(٩).

(١) في هـ. ب: تزحمتهم، وفي هـ. ص: التذاك: الزحام الشديد

(٢) الهيم: العطاش.

(٣) في ب و ط : وردها، وفي هـ د: وردها - ل ش ح وحاشية ن، وفي هـ ب: في نسخة:

ورردها. (٤) في هـ. د: النعل - م.

(٥) في هـ. ب: أي نه ابتهج.

(٦) في هـ. ب: من الدبيب لضعفه، وفي هـ. ص: مشى مشياً ضعيفاً.

(٧) في ص: نحا، وفي هـ. ص: تحامل، وفي هـ. ب: حمل نفسه مع جماعة من لمرضى وجاء

الي. (٨) في هـ. ب: أي كشفت النساء الثبان .

(٩) في هـ د: وحسرت عن ساقها الكعاب، جمع كاعب، وفي هـ. ص: الجارية قد نهض ضرعها

فهي تتخفر وتتستر.

ومن خطبة له عليه السلام :

فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ^(١)، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ، وَعِثْقُ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ^(٢)،
بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ وَيَتَجَوُّ الْهَارِبُ وَتُنَالُ الرَّغَائِبُ^(٣) فَاعْمَلُوا وَالْعَمَلُ يُرْفَعُ وَالتَّوْبَةُ تَنْفَعُ،
وَالدُّعَاءُ يُسْمَعُ وَالْحَالُ هَادِئٌ^(٤) وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ وَتَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ عُسْرًا نَاصِيًا^(٥) وَ^(٦)
مَرَضًا حَاسِبًا^(٧) أَوْ مَوْتًا خَالِسًا^(٨) فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمٌ^(٩) لَذَّائِكُمْ^(١٠) وَمُكَدِّرٌ^(١١) شَهَوَاتِكُمْ وَمُبَاعِدٌ
طِبَائِكُمْ^(١٢) زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ وَقَرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ، وَوَاتِرٌ^(١٣) غَيْرُ مَطْلُوبٍ، قَدْ أَعْلَقْتَكُمْ^(١٤)
حَبَائِلُهُ، وَتَكَنَّفَتْكُمْ^(١٥) غَوَائِلُهُ^(١٦)، وَأَقْصَدَتْكُمْ مَعَابِلُهُ^(١٧)، وَعَظَّمَتْ فِيكُمْ سَطَوَتُهُ، وَتَتَابَعَتْ^(١٨)

(١) في هـ. ص: سداد قيس هو بفتح السين وكسر ها بمعنى واحد، وقيل السداد بالفتح الرشاد وبالكسر السد، والله أعلم

(٢) في هـ. د: عبارة «وعتق من كل ملكة ونجاة من كل هلكة» ساقطة من ف ن .

(٣) في هـ. ب: جمع الرغبة وهي الرغبة له.

(٤) في هـ. ب: أي ساكنة، من قولهم: هدا الناس وهم هادنون، إذا سكنوا، وفي هـ. ص: أي ساكنة.

(٥) في هـ. ب: أي ناقصاً، وفي هـ. ص من قوله تعالى: «ومن نعمه ننكسه في الخلق» يس : ٦٨ / ٣٦ . (٦) في د: أو.

(٧) في هـ. ص: أي يمنع من العمل. (٨) في هـ. ب و ص: أي مختبطاً.

(٩) في ض: هاذم، وفي هـ. ص الهدم بالمعجمة: القطع.

(١٠) في هـ. ب: منغص .

(١١) في هـ. ب: منازلكم، وفي هـ. ص: لطية بالكسر منزل المسافر.

(١٢) في هـ. ب: حاقداً، وفي هـ. ص الواتر القاتل، والوتر: الذحل .

(١٣) في هـ. ص اعلقتكم أي جعلتكم متعلقين فيها، ويروى علقت بغير همز أي تشبثت والحبائل جمع حبال: المصيدة.

(١٤) في هـ. ب: تكف اجتماع، وفي هـ. ص أي أحاطت بكم.

(١٥) في هـ. ب: جمع غائلة وهي الفساد.

(١٦) هـ. ب: المعبل السهم والمعابل جمع، هـ. ص المعابل جمع معبله وهي سهم عريض والمراد سهامه واقصدتكم: أصابتكم فأثرت. (١٧) في هـ. ب: بالباء أيضاً وبالياء هنا أليق.

عَلَيْكُمْ^(١) عَذْرَتُهُ وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ^(٢)، فَيُوشِكُ^(٣) أَنْ تَعْشَاكُمْ دَوَاجِي^(٤) ظُلُمِهِ، وَآخِذَامُ^(٥) عِلَلِهِ، وَخَنَادِسُ^(٦) غَمَرَاتِهِ^(٧)، وَغَوَاشِي^(٨) سَكَرَاتِهِ، وَالْيَمُ إِزْهَاقِهِ^(٩)، وَدُجُؤُ^(١٠) إِطْبَاقِهِ^(١١)، وَخُسُوبَةُ^(١٢) مَذَاقِهِ^(١٣)، فَكَأَنَّ قَدْ أَنَاكُمْ بَغْتَةً فَأَشَكَّتْ نَجِيَّتُكُمْ^(١٤) وَفَرَّقَ نَدِيَّتُكُمْ^(١٥)، وَعَفَى آثَارَكُمْ، وَعَطَّلَ دِيَارَكُمْ، وَبَعَثَ وَرَثَتَكُمْ، يَقْتَسِمُونَ تَرَاتِكُمْ، بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ، وَقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ^(١٦) يَمْنَعْ، وَآخِرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ، فَعَلَيْكُمْ بِالْجَدِّ وَالْإِجْتِهَادِ، وَالتَّأَهُبِ وَالْأَسْتِعْدَادِ، وَالتَّرَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ، وَلَا تَعَزَّنْكُمْ الدُّنْيَا^(١٧) كَمَا عَزَتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْأَمَاضِيَةِ وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ الَّذِينَ اخْتَلَبُوا دَرَّتَهَا^(١٨) وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا^(١٩) وَأَفْنَوْا عِدَّتَهَا^(٢٠) وَأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا^(٢١)، أَصْبَحَتْ مَتَّ كُنُفُهُمْ أَجْدَانًا^(٢٢) وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثًا لَا يَعْرِفُونَ

(١) في هـ ب: تعدد

(٢) في هـ ب: وثبته، وفي هـ ص: مصدر ن السف، وبنوا إذا لم يؤثر في الضرب

(٣) في هـ ص: أي سرع

(٤) في هـ ب: جمع الداحية، وهي الظلمة، وفي هـ ص وهي ما اطبق

(٥) في هـ ب: اضطراب، وفي هـ ص: اضطراب وشتداد

(٦) في هـ ب: ظلمات، وفي هـ ب: الحندس: الظلمة.

(٧) في هـ ب: شدائد (٨) في هـ ب: جمع غاشية

(٩) في د: ازهاقه وفي هـ د: ارهاقه ح ب ش وازهاق بالزاي والراء - ن، وفي هـ ص مصدر

أرهب: أي اعجل وغشى ويروى: ازهاقه بالزاي

(١٠) في هـ د: ودجوا، بالخاء - ك ر (١١) في هـ ب: أي ظلمة طبافه، جمع طبق.

(١٢) في هـ ص: جنوبة يروى بالجيم ولباء، بمعنى غلظ الأكل وربما يروى حشونة بالخاء

والنون، ضد الليونة. (١٣) في هـ ب: من الذوق.

(١٤) في هـ ص: النجي المتناجون وقد يكون من النجوى.

(١٥) في هـ ب: أي فرق محفكم، وفي هـ ص: الندى مجتمع القوم.

(١٦) في ص: لا، وفي هـ ص: في نسخة: لم.

(١٧) في ط: الحياة الدنيا، وفي هـ د: الحياة الدنيا - ض ح ب.

(١٨) في هـ ب: أي الدنيا.

(١٩) في هـ ب: أي غفلتها، وجاءت هذه الفقرة في ص بعد: وأخلقوا حداثها.

(٢٠) في هـ ب: عددها.

(٢١) أي جعلوا جديدها خلقاً قديماً بطول أعمارهم.

(٢٢) الأجداث: القبور.

مَنْ أَتَاهُمْ وَلَا يَخْفِلُونَ^(١) مَنْ بَكَاهُمْ وَلَا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ فَاخْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا
غَدَارَةٌ^(٢) غَرَارَةٌ خَدُوعٌ مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ لَا يَدُومُ رَخَاؤُهَا وَلَا يَنْقُصِي عَنَاؤُهَا وَلَا
يَزُكُّ بَلَاؤُهَا.

منها في صفة الزهاد:

كَانُوا قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا^(٣) وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا^(٤) فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا عَمِلُوا
فِيهَا بِمَا يُتَصَرُّونَ وَيَتَذَرُوا فِيهَا مَا يَخْذَرُونَ تَقَلَّبُ أَبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِي^(٥) أَهْلِ الْآخِرَةِ^(٦).
يَرُونَ^(٧) أَهْلَ الدُّنْيَا يُعْظَمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظَامًا لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ.

(١) في هـ. ب: أي لا يبالون.

(٢) في غير ط: غرارة، وفي هـ. د: فأنها غدر غرارة - ض ح ب.

(٣) في هـ. ص: لوجودهم فيها. (٤) في هـ. ص: أي المؤثرين لها المريرين لها.

(٥) في هـ. ص: ظهرا في بفتح النون ولا يجوز كسرهما، والمعنى في وسطهم من الشرح.

(٦) في هـ. ص: أي أنهم لا يقانهم بما بعد الموت واهتمامهم به صاروا كمن لاقاه كما قال في

كلامه الآخر السابق كأنما قطعوا الدنيا إلى الآخرة.

(٧) في ط: ويرون.

ومن خطبة له عليه السلام خطبها بذي قار^(١) وهو متوجه إلى البصرة، ذكرها الواقدي

في كتاب الجمل :

فَصَدَعَ^(٢) بِمَا أُمِرَ^(٣) وَبَلَغَ رِسَالَاتِ^(٤) رَبِّهِ فَلَمْ^(٥) يَلَهُ بِهَ الصَّدْعَ وَرَتَّقَ بِهِ الْفَتْقَ وَالْفَ
بِهِ^(٦) بَيْنَ ذَوِي الْأَرْحَامِ بَعْدَ الْعَدَاوَةِ الْوَاعِزَةِ^(٧) فِي الصُّدُورِ، وَالضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ^(٨) فِي
الْقُلُوبِ.

(١) في هـ ص موضع قريب من البصرة ومنها كانت وقعة العرب مع الفرس قبل الاسلام.

(٢) أي جهر. (٣) في ط أمر به، وفي هـ ب: يعني النبي عليه السلام.

(٤) في د: رسالة، وفي هـ د: رسالات ض ح ب.

(٥) في هـ ب: جمع.

(٦) لم ترد «به» في د، وفي هـ د: وألف به الشمل بين - ض ح ب، وألف به بين - ش.

(٧) في هـ ب: الحاصلة، وفي هـ ض ذات الوغرة وهي شدة الحر.

(٨) في هـ ص كأنها تقدح منها النار، تمت من الشرح.

ومن كلام له عليه السلام كلم به عبد الله بن زمعة^(١) وهو من شيعته، وذلك أنه قدم عليه في خلافته^(٢) يطلب منه ما لا فقال عليه السلام :

إِنَّ هَذَا الْمَالَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ، وَإِنَّمَا هُوَ فِي الْمُسْلِمِينَ وَجَلْبُ^(٣) أَشْيَائِهِمْ فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ وَإِلَّا فَجَنَازَةٌ^(٤) أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ أَقْوَاهِهِمْ.

(١) في هـ. ص: بفتح الميم بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وكان عند الله شيعة لعلي عليه السلام ومن أصحابه، ومن ولد عبد الله هذا أبو البختری القاضي، وهو وهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة، كان قاضي الرشيد هارون بن محمد بن المهدي، وكان منحرفاً عن علي عليه السلام، وهو أفتى الرشيد ببطلان الأمان الذي كتبه ليحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وأخذه بيده فمزقه. من الشرح ١١: ١٣.

(٢) هـ. ب: أي في أيام خلافته. (٣) في هـ. ص: أي ما جلبته وساقته إليهم.

(٤) في هـ. ب: من الجنى من الثمرة، وفي هـ. ص هي ما تجتنى من ثمر الشجر، وهذه استعارة واضحة.

ومن كلام له عليه السلام :

أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ^(١) مِنَ الْإِنْسَانِ فَلَا يُسْعِدُهُ^(٢) الْقَوْلُ إِذَا أَمْتَنَعَ وَلَا يُسْهِلُهُ التَّنَطُّقُ إِذَا
 اتَّسَعَ^(٣). وَإِنَّا لَأَمْرَاءُ الْكَلَامِ وَفِينَا تَنْشَبْتُ عُرُوقُهُ^(٤) وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ^(٥) عُصُونُهُ.
 وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّكُمْ فِي زَمَانٍ الْقَائِلُ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ وَاللِّسَانُ عَنِ الصِّدْقِ كَلِيلٌ
 وَاللَّازِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ. أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى الْعِصْيَانِ مُصْطَلِحُونَ عَلَى الْإِدْهَانِ^(٦) فَتَاهُمْ
 غَارِمٌ^(٧). وَشَائِبُهُمْ^(٨) آثِمٌ. وَعَالِيَهُمْ مُنَافِقٌ^(٩). وَقَارِئُهُمْ^(١٠) مُمَادِّقٌ^(١١). لَا يُعْظَمُ صَغِيرُهُمْ
 كَبِيرُهُمْ. وَلَا يَقُولُ غَنِيُّهُمْ فَقِيرُهُمْ.

(١) في هـ. ص: أي قطعة لحم (٢) في هـ. ص: ضمير المفعول للسان

(٣) في هـ. ص قوله: ولا يمهده النطق، الصمير يعود الى الانسان وتقدير الكلام: فلا يسعد
 اللسان القول اذا امتنع الانسان عن لقول ولا يمهس اللسان القول اذا اتسع الانسان للقول،
 والمعنى ان اللسان آلة للانسان فاذا صرفه صرف عن الكلام لم يكن لانسان ناطقاً واذا
 دعاه داع الى الكلام نطق اللسان بما في ضمير صاحبه، انتهى من الشرح قال فيه: واعلم ان
 أمير المؤمنين عليه السلام قال. هذا الكلام في واقعة اقتصت وذلك انه امر ابن اخته جعدة بن هبيرة
 المخرومي أن يخطب الناس يوماً فصعد المنبر وأحصر فلم يستطع لكلام فقدم أمير
 المؤمنين عليه السلام فتسنى ذروة المنبر وخطب خطبة طويلة ذكر الرضى منها هذه الكلمات، تمت.

(٤) في هـ. ب أي عروق الكلام، وفي هـ. ص. أي علفت وتمكنت كتمكنت عروق الشجر.

(٥) في هـ. ب: أي ارسلت

(٦) في ط: أهله مصطلحون على الادهان، وفي هـ. د: عبارة «مصطلحون على الادهان» من
 ب، وفي ب: الادهان، وفي هـ. ب من المداهنة.

(٧) في هـ. ب: مفسد، وفي هـ. ص: بالعين المهملة: الشرير المفسد شرس الخلق.

(٨) في هـ. ب: شهادتهم.

(٩) في هـ. ص: يعتقد ويقول غير الحق ويتظاهر بالاسلام، وهذه صنعة علماء العامة، ومن

أحرز منه ظهراً ثم كثروا. (١٠) في ط: وقارئهم، وفي هـ. ص: عابدهم.

(١١) في هـ. ب: مخلط، وفي هـ. ص: أي مراني.

ومن كلام له عليه السلام :

روى دُعْلَبُ الْيَمَانِيِّ^(١) عن أحمد بن قتيبة، عن عبد الله بن يزيد عن مالك بن دحية^(٢)، قال : كنّا عند أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال وقد ذكر عنده اختلاف الناس^(٣) :
 إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِيءُ طِينِهِمْ^(٤)، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلَقَةً^(٥) مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَعَذْبِهَا، وَحَزَنِ تُرْبَةٍ^(٦) وَسَهْلِهَا، فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارُّونَ؛ وَعَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ، فَتَأْمُ الرُّوَاءُ^(٧)، نَاقِصُ الْعَقْلِ، وَمَادُّ الْقَامَةِ^(٨) قَصِيرُ الْهِمَّةِ. وَزَاكِي الْعَمَلِ^(٩) قَبِيحُ الْمَنْظَرِ، وَقَرِيبُ الْفَقْرِ^(١٠) بَعِيدُ السَّبْرِ^(١١)، وَمَعْرُوفُ الضَّرِيْبَةِ^(١٢) مُنْكَرُ الْجَلِيْبَةِ^(١٣)، وَتَائِهٌ الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللَّبِّ. وَطَلِيْقُ اللِّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ.

(١) في ب: روى الثمالي، وفي ط ذوى دُعْلَبِ الْيَمَانِيِّ، وفي هـ. د: روى اليماني - ش، وفي هـ ص: الذعْلَبُ والذعلبية الناقة السريعة قسّمي به وهو من رجال الشيعة ومحدثيهم، ذكره في الشرح. (٢) في ب: دحّة.

(٣) في د: وقد ذكر عنده اختلاف الناس فقال.

(٤) في هـ. ب: في نسخة طينتهم، أي ابتداء أصلهم.

(٥) في هـ. ب: قطعه. (٦) هـ. د: وحزون تربة - ش.

(٧) في هـ. ب: أي تمام المنظر، وفي هـ. ص: الرواء بالمد والهمز: المنظر الحسن.

(٨) في هـ. ص: أي طويها.

(٩) في هـ. د: زاكى العقل - م، وفي الهامش: العمل، وفي هـ. ص: يريد بزكاء أعماله: سداها وصلوحها. (١٠) في هـ. ص: يريد قصير القامة.

(١١) في هـ. ص: أي هو داهية لا يوقف على سرّه.

(١٢) في هـ. ب: الخلق والطبيعة، وفي هـ. ص: الضريبة هي الخليقة الأصلية والجلبية الخلق الذي يتكلّفه الانسان ويتحيله مثل أن يكون جبناً بالطبع فيتكلف الشجاعة، وشحيحاً بالطبع فيتكلف الجود.

(١٣) في هـ. ب: الجلبيّة ما يفعله الانسان على خلاف طبعه.

قوله ﷺ: «قتام الرواء»:

كأنه ﷺ أراد أن يبينهم أن الاختلاف كما يكون بين الأشخاص يكون بين الخلق والخلق وبين الأخلاق لحكمة المخالف بين ذلك لا بالطبع.

وقوله: «وتائه القلب، متفرق اللب»:

هذان الوصفان متناسبان لا متضادان، وكذلك الوصفان اللذان بعدهما كأنه لما فرغ من الأخلاق المتضادة ذكر بعدها الأخلاق والطبائع المتناسبة، ذكره في الشرح قال فيه: وهذا الفصل لا يجوز أن يحتمل على ظاهره، وما يتسارع إلى أفهام العامة منه، وذلك لأن قوله: «أنهم كانوا فُلُقة من سَبَخ أرض وعَذْبها»؛ إمّا أن يريد به أن كلّ واحد من الناس رَكَب من طين، وجعل صورة بشرية ضيّقة برأس وبطن ويدين ورجلين، ثم نفخت فيه الروح كما فعل بآدم، أو يريد به أن الطين الذي رَكَبت منه صورة آدم فقط كان مختلطاً من سَبَخ وعَذْب. فإن أريد الأول فالواقع خلافه^(١)

ثم يبين ضعف هذا القول بوجه قريب، ثم قال:

وان أريد لثاني، وهو أن يكون طين آدم ﷺ مختلطاً في جوهره، مختلفاً في طبائعه، فلم كان زيد الأحقق يتولّد من الجزء السبخي وعمره لعاقل يتولّد من الجزء العذبي بأوّل من العكس؟ وكيف يؤثّر اختلاف طين آدم من ستّة آلاف سنة في أقوام يتوالدون الآن.

والذي أراه أن لكلامه ﷺ تأويلاً باطناً، وهو أن يريد به اختلاف النفوس المدبرة للأبدان^(٢)

ثم أخذ في توضيح معاني النفوس على قواعد الفلاسفة والذين ينتسبون إلى الحكمة وأشار إلى ما بينهم من خلاف في ذلك، وطوّل في غير طائل وحاشى أمير المؤمنين ﷺ من أتباع قواعد الفلاسفة واليونان وإن يكون سلفه فيما يقول افلاطون وأرسطو واضرايهما.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٩.

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ١٨.

لكن الشارح يحمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على حسب ما يَألف ويهوى، والحق أنه عليه السلام عني بالقلقة: طينة آدم عليه السلام ولا منع من أن يجعل الله اختلاف طينة آدم سبباً في اختلاف ذريته، لحكمة يعلمها، أيش المحذور في ذلك؟، ويكون المخصّص لتولد هذا من جزء من تلك الأجزاء أو علّة طبيعية ذلك الجزء علته، وهذا الآخر من جزء آخر؛ اختيار الصانع الحكيم العالم بالأصول والفروع.

ويكون مغزى كلامه عليه السلام: ان أمر الاناسي مبني على الاختلاف من أصلهم الى فرعهم، حتى دفع الاختلاف بين الأبدان وطبائعها وبين الأخلاق في أنفسها. فيكون في معقولية ذلك دليل قوي وبرهان جلي على تأثير صانع متخيّر فيها، فان الاختلاف أقوى دليل على وجود الصانع المختار، والله أعلم.

ومن كلام له عليه السلام : قاله وهو يلى غسل رسول الله ﷺ وتجهيزه :
 يَا بِي أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدْ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النَّبُوءَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ^(١)
 وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ خَصَّصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسْلِيًّا^(٢) عَمَّنْ سِوَاكَ وَعَمَّتْ^(٣) حَتَّى صَارَ النَّاسُ
 فِيكَ سَوَاءً.

وَلَوْلَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ لَأَنْفَقْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤُونِ^(٤)، وَلَكَانَ الدَّاءُ
 مُمَاطِلًا^(٥) وَالْكَمَدُ مُحَالِفًا^(٦) وَقَلَّ لَكَ^(٧)، وَلَكِنَّهُ مَا لَا يَمْلِكُ رَدُّهُ وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ يَا بِي أَنْتَ
 وَأُمِّي إِذْ كُنَّا عِنْدَ رَبِّكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ^(٨).

(١) في هـ. ص: بكسر الهمزة، مصدر انما، وروى بفتحها جمع نبأ
 (٢) في هـ. ب: من السلوة، يقال مات رسول الله، وفي هـ. ص: أي خصت مصيبتك أهل بيتك
 حتى انهم لا يكثرثون بما يصيبهم بعدك من المصائب ولا بما أصابهم من قبل وعمت هذه
 المصيبة الناس حتى استوى الخلائق كلهم فيها فهي مصيبة خاصة بالنسبة وعامة بالنسبة،
 انتهى من الشرح ٢٥: ١٣. (٣) في هـ. ب: عمت بموته جميع الناس.

(٤) ماء الشئون: يراد بها شئون الدمع، وهي مجاري الدموع في الرأس.
 (٥) أي مماطلاً بالبرء أي لا يجيب الى الاقلال والابلال والافاقة، انتهى من الشرح.
 (٦) في هـ. ب: أي الحزن محالفاً أي ملازماً. (٧) أي قليلاً لك.
 (٨) في هـ. ب: قلبك.

ومن كلام له ﷺ اقتصر فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي ﷺ ثم لحاقه ^(١) به :
فَجَعَلْتُ أَتْبَعُ مَا خَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَأَطَأُ ذِكْرَهُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرْجِ ^(٢) .
في كلام طويل :

قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ^(٣) : قَوْلُهُ ﷺ : « فَأَطَأُ ذِكْرَهُ » ، مِنْ الْكَلَامِ الَّذِي رُمِيَ بِهِ إِلَى
غَايَتِي الْإِيْجَازِ وَالْفَصَاحَةِ ، أَرَادَ أَنِّي كُنْتُ أُعْطَى ^(٤) خَبْرَهُ ﷺ مِنْ بَدْءِ خُرُوجِي إِلَى أَنْ
انْتَهَيْتُ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ ، فَكُنِيَ عَنْ ذَلِكَ بِهَذِهِ الْكِنَايَةِ الْعَجِيبَةِ .

* * *

[قال ابن أبي الحديد:] روى محمد بن إسحاق في كتاب «المغازي»: قال لم يُعلم
رسولُ الله ﷺ أحداً من المسلمين بما كان عزم عليه من الهجرة إلا علي بن أبي طالب وأبا
بكر بن أبي قحافة، أما علي، فإن رسول الله ﷺ أخبره بخروجه، وأمره أن يبيت على
فراشه، يُخَادِعَ الْمُشْرِكِينَ عَنْهُ لِيُرُوا أَنَّهُ لَمْ يَبْرَحْ فَلَا يَطْلُبُ، حَتَّى تَبْعُدَ الْمَسَافَةُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ،
وَأَنْ يَتَخَلَّفَ بَعْدَهُ بِمَكَّةَ حَتَّى يُوَدِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْوَدَائِعَ الَّتِي عَنْدهَ لِلنَّاسِ، وَكَانَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اسْتَوْدَعَهُ رَجُلًا مِنْ مَكَّةَ وَدَائِعَ لَهُمْ، لَمَّا يَعْرِفُونَ مِنْ أَمَانَتِهِ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ
فَخَرَجَ مَعَهُ .

وَسَأَلْتُ لَتَقِيبَ أَبَا جَعْفَرٍ يَحْيَى بْنَ أَبِي زَيْدٍ الْحُسَيْنِيِّ، رَحِمَهُ اللَّهُ فَقُلْتُ: إِذَا كَانَتْ قُرَيْشٌ قَدْ
مَحَصَتْ رَأْيَهَا، وَأَلْقَى إِلَيْهَا إِبْلِيسُ - كَمَا رُوِيَ - ذَلِكَ الرَّأْيَ، وَهُوَ أَنْ يَضْرِبُوهُ بِأَسْيَافٍ مِنْ
أَيْدِي جَمَاعَةٍ مِنْ بَطُونٍ مُخْتَلِفَةٍ، لِيَضِيعَ دَمُهُ بَيْنَ بِيُوتِ قُرَيْشٍ فَلَا تَطْلُبُهُ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ،
فَلَمَّا ذَا انْتَضَرُوا بِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ الصَّبِيحَ! فَإِنَّ الرِّوَايَةَ جَاءَتْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا تَسُورُوا الدَّارَ، فَعَايَنُوا

(١) في هـ . ب: لحقه، أي وصل إلى النبي ﷺ .

(٢) في هـ . ب: منزل . (٣) لم ترد «قال الرضي رحمه الله تعالى» في د .

(٤) في د: أعطى وفي هـ . ب: أي أعطى أنا .

فيها شخصاً مسجى بالبُرْد الحضرمي الأخضر، فلم يشكوا أنه هو فرصدوه الى أن أصبحوا، فوجدوه علياً، وهذا طريف، لأنهم كانوا قد أجمعوا على قتله تلك الليلة، فما بالهم لم يقتلوا ذلك الشخص المسجى، وانتظارهم به النهار دليل على أنهم لم يكونوا أرادوا قتله تلك الليلة؟

فقال في الجواب: لقد كانوا هموا من النهار بقتله تلك الليلة، وكان إجماعهم على ذلك، وعزمهم في حقه من بني عبد مناف، لأن الذين محصوا هذا الرأي واتفقوا عليه: النضر بن الحارث من بني عبد الدار، وأبو البختری بن هشام، وحكيم بن حزام، وزمعة بن الأسود بن المطلب؛ هؤلاء الثلاثة من بني أسد بن عبد العزى، وأبو جهل بن هشام، وأخوه الحارث، وخالد بن الوليد بن المغيرة، هؤلاء الثلاثة من بني مخزوم، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وعمر بن العاص؛ هؤلاء الثلاثة من بني سهم، وأميه بن خلف وأخوه أبي بن خلف، هذان من بني جُمح، فَمَا هذا الخبر من الليل الى عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، فلقى منهم قوماً، فنهاهم عنه، وقال: ان بني عبد مناف لا تمسك عن دمه، ولكن صفدوه في الحديد، وحبسوه في دارٍ من دوركم، وتربصوا به أن يصيبه من الموت ما أصاب أماله من الشعراء. وكان عتبة بن ربيعة سيد بني عبد شمس ورئيسهم، وهم بنو عمّ الرجل ورهطه، فأحجم أبو جهل وأصحابه تلك الليلة عن قتله احجاماً، ثم نسّروا عليه، وهم يظنون في الدار، فلما رأوا إنساناً مسجى بالبُرْد الأخضر الحضرمي لم يشكوا أنه هو؛ واثمروا في قتله، فكان أبو جهل يذمرهم عليه^(١) فيهمّون ثم يحجمون. ثم قال بعضهم لبعض ارموه بالحجارة، فرموه، فجعل علي يتصور منها، ويتقلب وينأوه تأوهاً خفيفاً، فلم يزالوا كذلك في إقدام وإحجام عنه، لما يريد الله تعالى من سلامته ونجاته، حتى أصبح وهو وقيد^(٢) من رمي الحجارة، ولو لم يخرج رسول الله ﷺ الى المدينة، وأقام بينهم بمكة، ولم يقتلوه تلك الليلة، لقتلوه في الليلة التي تليها، وإن شئت الحرب بينهم وبين عبد مناف، فإن أبا جهل لم يكن بالذي ليمسك عن قتله، وكان فاقد البصيرة، شديد العزم على الولوغ في دمه!

(١) يذمرهم عليه: يحضهم عليه. (٢) الوقيد: المشرف على الهلاك.

قلت للنقيب: أفعلم رسول الله ﷺ وعليّ ﷺ بما كان من نهى عتبة لهم؟ قال: لا، إنهما لم يعلما ذلك تلك الليلة، وإنما عرفاه من بعد، ولقد قال رسول الله ﷺ يوم بدر، لما رأى عتبة وما كان منه: إن «يكن في القوم خيرٌ ففي صاحب الجمل الأحمر»، ولو قدرنا أن عليّاً ﷺ علم ما قال لهم عتبة لم يسقط ذلك فضيلته في المبيت، لأنه لم يكن على ثقة من أنهم يقبلون قول عتبة، بل كان ظنّ الهلاك، والقتل أغلب.

وأما حال عليّ ﷺ، فانه لما ردّ الودائع، خرج بعد ثلاثٍ من هجرة النبي ﷺ، فجاء الى المدينة راجلاً قد تورّمت قدماه، فصادف رسول الله ﷺ نازلاً بقاء على كلثوم بن الهمد، فنزل معه في منزله، وكان أبو بكر نازلاً بقاء أيضاً في منزل حبيب بن يساف، ثم خرج رسول الله ﷺ وهما معه من قُباء، حتى نزل بالمدينة على أبي أيّوب خالد بن يزيد الأنصاري، وابتنى المسجد، انتهى من شرح ابن أبي الحديد^(١).

وقال فيه في موضع آخر: قال الجاحظ في كتابه العثمانية: فإن احتجّ محتجّ لعليّ ﷺ بالمبيت على الفراش، فبين الغار والفراش فرق واضح، لأنّ الغار وصحة أبي بكر للنبي ﷺ قد نطق به القرآن، فصار كالصلاة والزكاة وغيرهما، ممّا نطق به الكتاب، وأمر عليّ ﷺ ونومه على الفراش، وإن كان ثابتاً صحيحاً، إلّا أنّه لم يذكر في القرآن، وإنما جاء مجيء الروايات ولسّير، وهذا لا يوازن هذا ولا يكايله^(٢).

قال شيخنا أبو جعفر الإسكافي^(٣): هذا فرق غير مؤثّر، لأنّه قد ثبت بالتواتر حديث الفراش، فلا فرق بينه وبين ما ذكر في نصّ الكتاب، ولا يجحده إلّا مجنون أو غير مخالطٍ لأهل الملة، أريت كون الصلوات خمساً، وكون زكاة الذهب ربع العشر، وكون خروج الريح ناقضاً للطهارة، وأمثال ذلك ممّا هو معلوم بالتواتر حكمه؟ هل هو مخالف لما نصّ في الكتاب عليه من الأحكام! هذا ممّا لا يقوله رشيد ولا عاقل، على أن الله تعالى لم يذكر اسم أبي بكر في الكتاب، وإنما قال: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾^(٤)، وإنما علمنا أنّه أبو بكر بالخبر وما ورد في السيرة. وقد قال أهل التفسير: إن قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٣٠٤-٣٠٦. (٢) العثمانية: ٤٤.

(٣) التوبة: ٤٠.

والله خَيْرُ الْمَاكِرِينَ»^(١)، أنزلت في ليلة الهجرة، ومكرهم كان توزيع السيوف على بطون قريش، ومكر الله تعالى هو منامُ عليٍّ عليه السلام على الفراش، فلا فرق بين الموضعين في أنَّهما مذكوران كنايةً لا تصريحاً. وقد روى المفسرون كلُّهم أن قول الله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ»^(٢)، أنزلت في عليٍّ عليه السلام ليلة المبيت على الفراش، فهذه مثل قوله تعالى: «إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ»، لا فرق بينهما.

قال الجاحظ: وفرق آخر، وهو أنه لو كان مبيتُ عليٍّ عليه السلام على الفراش، جاء مجيء كون أبي بكر في الغار، لم يكن له في ذلك كثير طاعة، لأنَّ الناقلين نقلوا أنه عليه السلام قال له: «تَمَّ فَلَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ»^(٣)، ولم ينقل ناقل أنه قال لأبي بكر في صُحبته إياه وكونه معه في الغار مثل ذلك، ولا قال له: أنفيق وأعتق، فإنك لن تفتقر، ولن يصل اليك مكروه^(٤).

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله، هذا هو الكذب الصُّراح، والتحريف والإدخال في الرواية ما ليس منها، والمعروف المنقول أنه عليه السلام قال له: اذْهَبْ فَاضْطَجِعْ فِي مَضْجَعِي، وَتَغَشَّ بِبُرْدِي الْحَضْرَمِيِّ، فَإِنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونَنِي، وَلَا يَشْهَدُونَ مَضْجَعِي، فَلَعَلَّهُمْ إِذَا رَأَوْكَ يَسْكَنُهُمْ ذَلِكَ حَتَّى يَصْبَحُوا، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاغْدُ فِي أَدَاءِ أَمَانَتِي؛ وَلَمْ يَنْقُلْ مَا ذَكَرَهُ لَجَاحِظٌ، وَإِنَّمَا وَلَدَهُ أَبُو بَكْرٍ الْأَصْمَى، وَأَخَذَهُ الْجَاحِظُ، وَلَا أَصْلَ لَهُ، وَلَوْ كَانَ هَذَا صَحِيحاً لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ مِنْهُمْ مَكْرُوهٌ، وَقَدْ وَقَعَ الْإِتْفَاقُ عَلَى أَنَّهُ ضُرِبَ وَرُمِيَ بِالْحِجَارَةِ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا مَنْ هُوَ حَتَّى تَضُورَ، وَأَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ: رَأَيْنَا تَضُورَكَ، فَإِنَّا كَتَبْنَا نَرْمِي مُحَمَّدًا وَلَا يَتَضُورُ، وَلَئِنْ لَفْظَةُ الْمَكْرُوهِ إِنْ كَانَ قَالَهَا إِنَّمَا يَرَادُ بِهَا الْقَتْلُ، فَهَبْ أَنَّهُ أَمِنَ الْقَتْلَ، كَيْفَ يَأْمَنُ مِنَ الضَّرْبِ وَالْهَوَانِ، وَمَنْ أَنْ يَنْقَطِعَ بَعْضُ أَعْضَائِهِ، وَبِأَن سَلِمَتْ نَفْسُهُ! أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ: «بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ»^(٥) ومع ذلك فقد كسرت رباعيته وشجَّ وجهه، وأدميت ساقه، وذلك لأنها عصمة من القتل خاصّة، وكذلك المكروه

(٢) البقرة: ٢٠٧.

(١) الأنفال: ٣٠.

(٣) في هـ. ص: أقول: يلزم الجاحظ ألا يكون لموسى وهارون عليه السلام فضيلة في اتیان فرعون؛ لأن الله سبحانه قال لهما: «إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى» طه: ٢٠ / ٤٦، لكن العناد والزيف يعمي

(٤) العثمانية: ٤٥.

ويصم

(٥) المائدة: ٦٧.

الذي أو من عليٍّ عليه السلام منه - إن كان صحَّ ذلك الحديث - إنما هو مكروه القتل.
ثم يقال له: وأبو بكر لا فضيلة له أيضاً في كونه في الغار، لأن النبي ﷺ قال له: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾. ومن يكن الله معه فهو آمن لا محالة من كل سوء، فكيف قلت: ولم ينقل ناقل أنه قال لأبي بكر في الغار مثل ذلك! فكل ما يجيب به عن هذا فهو جوابنا عما أوردته، ويقال له: هذا ينقلب عليك في النبي ﷺ، لأن الله تعالى وعده بظهور دينه، وعاقبه أمره، فيجب على قولك ألا يكون مثاباً عند الله تعالى على تحمل المكروه، وما يصيبه من الأذى، إذ كان قد يقن بالسلامة والفتح في عِدَّتِهِ^(١).

قال الجاحظ: ومن جحد كون أبي بكرٍ صاحب رسول الله ﷺ فقد كفر، لأنه جحد نص الكتاب، ثم انظر الى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(٢) من الفضيلة لأبي بكر، لأنه شريك رسول الله ﷺ في كون الله تعالى معه وإنزال السكينة، قال كثير من الناس: إنه في الآية مخصوص بأبي بكر، لأنه كان محتاجاً الى السكينة لما تداخله من رقة الطبع البشري، والنبي ﷺ كان غير محتاج اليها، لأنه يعلم أنه محروس من الله تعالى، فلا معنى لنزول السكينة عليه، وهذه فضيلة ثالثة لأبي بكر.

قال شيخنا أبو جعفر عليه السلام: إن أبا عثمان يجزّ على نفسه ما لا طاقة له به من مطاعين الشيعة، ولقد كان في غنية عن التعلق بما تعلق به؛ لأن الشيعة تزعم أن هذه الآية، بأن تكون طعنًا وعيباً على أبي بكر، أولى من أن تكون فضيلة ومنقبة له، لأنه لما قال له: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ دلّ على أنه قد كان حزن وقط وأشفق على نفسه، وليس هذا من صفات المؤمنين الصابرين، ولا يجوز أن يكون حزنه طاعة، لأن الله تعالى لا ينهى عن الطاعة، فلو لم يكن ذنباً لم ينة عنه، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾؛ أي إن الله عالم بحالنا وما نضمه من اليقين أو الشك، كما يقول الرجل لصاحبه: لا تضرنّ سوءاً ولا تنوين قبيحاً، فإن الله تعالى يعلم ما نسرّه وما نعلنه، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا

(١) في هـ. ص: وكذلك ينقلب عليه في حق موسى وهارون إذ يقول الله تعالى ﴿فَلَا يَصْلُونَ إِلَيْكُمْ وَأَتَمَّا وَمَنِ اتَّبَعْتُمَا الْغَالِبُونَ﴾ القصص: ٢٨/٣٥.

(٢) التوبة: ٤٠.

كأنوا^(١)، أي هو عالم بهم، وأما السكينة فكيف يقول: إنها ليست راجعة إلى النبي ﷺ وبعدها قوله: ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾، أترى المؤيد بالجنود كان أبا بكر أم رسول الله ﷺ!

وقوله: إنه مستغن عنها، ليس بصحيح، ولا يستغني أحد عن الطاف الله وتوفيقه وتأيده وتثبيت قلبه، وقد قال الله تعالى في قصة حُنين: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ.

وأما الصحبة فلا تدل إلا على لمرافقة والاصطحاب لا غير، وقد يكون حيث لا إيمان، كما قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ﴾^(٢)، ونحن وإن كنا نعتقد إخلاص أبي بكر وإيمانه الصحيح السليم وفضيلته الثامة، إلا أننا لا نحتج له بمثل ما احتج به الجاحظ من الحجج الواهية، ولا نتعلق بما يجرّ علينا دواهي الشيعة ومطاعنها^(٣).

قال الجاحظ: وعلى أننا لو نزلنا إلى ما يريدونه، جعلنا لفراش كالغار، وخلصت فضائل أبي بكر في غير ذلك عن معارض.

قال شيخنا أبو جعفر^(٤): قد بينّا فضيلة المبيت على الفراش على فضيلة الصحبة في الغار، بما هو واضح لمن أنصف، ونزيدها هنا تأكيداً بما لم نذكره فيما تقدم، فنقول: إن فضيلة المبيت على الفراش على الصحبة في الغار لوجهين:

أحدهما: أن علياً^(٥) قد كان أنس بالنبي ﷺ وحصل له بمصاحبته قديماً أنس عظيم، وإلف شديد، فلما فارقه عُدِم ذلك الأنس، وخصّ به أبو بكر، فكان ما يجده علي^(٦) من الوحشة وألم الفرقة موجباً لزيادة ثوابه، لأن الثواب على قدر المشقة.

وثانيهما: أن أبا بكر كان يؤثر الخروج من مكة، وقد كان خرج من قبل فرداً، فازداد كراهية للمقام، فلما خرج مع رسول الله ﷺ وافق ذلك هوى قلبه، ومحبوب نفسه، فلم يكن له من الفضيلة ما يوازي فضيلة من احتمل المشقة العظيمة، وعرض نفسه لوقع

(١) المجادلة: ٧.

(٢) التوبة: ٢٥ - ٢٦.

(٣) الكهف: ١٨ / ٣٧.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٦٥.

(٥)

السيوف، ورأسه لرضخ الحجارة، لأنه على قدر سهولة العبادة يكون نقصان الثواب، انتهى^(١).

وبيان فضيلة الفراش التي أشار أبو جعفر إلى تقديمه هو بقوله.

ثم يقال له^(٢): ما بالك أهملت أمر مبيت عليٍّ عليه السلام على الفراش بمكة ليلة الهجرة! هل نسيت أم تناسيته! فإنها المحنة العظيمة والفضيلة الشريفة التي متى امتحنها الناظر، وأجال فكره فيها، رأى تحتها فضائل متفرقة ومناقب متغايرة، وذلك أنه لما استقرّ الخبر عند المسلمين أن رسول الله ﷺ مجمع على الخروج من بينهم للهجرة إلى غيرهم قصدوا إلى معاجلته، وتعاهدوا على أن يبيتوه في فراشه، وأن يضربوه بأسيايف كثيرة، بيد كل صاحب قبيلة من قريش سيف منها، ليضيع دمه بين الشعوب، ويتفرق بين القبائل، ولا يطلب بنو هاشم بدمه قبيلةً واحدة بعينها من بطون قريش، وتحالفوا على تلك الليلة، واجتمعوا عليها، فلمّا علم رسول الله ﷺ ذلك من أمرهم، دعا أوثق الناس عنده، وأمثلهم في نفسه، وأبدلهم في ذات الإله لمهجته، وأسرعهم إجابة إلى طاعته، فقال له: إن قريشاً قد تحالفت على أن تبيتني هذه الليلة، فامض إلى فرشي، ونم في مضجعي، والتفّ في برّدي لحضرمي ليروا أنني لم أخرج، وإني خارج إن شاء الله، فمنعه أولاً من التخيّر وإعمال الحيلة، فصده عن الاستظهار لنفسه بنوع من أنواع المكاييد والجهات التي يحتاط بها الناس لنفوسهم، وألجأه إلى أن يعرض نفسه لطبات السيوف الشحيذة من أيدي أرباب الحنق والغیظة، فأجاب إلى ذلك سامعاً مطيعاً طيبة بها نفسه، ونام على فراشه صابراً محتسباً، واقبلاً له بمهجته، ينتظر القتل، ولا تعلم فوق بذل النفس درجةً يلتمسها صابر، ولا يبلغها طالب؛ «والجود بالنفس أقصى غاية الجود»؛ ولولا أن رسول الله ﷺ علم أنه أهلٌ لذلك، لمّا أهله، ولو كان عنده نقص في صبره أو في شجاعته أو في مناصحته لابن عمه، واختير لذلك لكان من اخناره ﷺ منقوضاً في رأيه، مقصراً في اختياره، ولا يجوز أن يقول هذا أحد من أهل الاسلام، وكلهم مجمعون على أن الرسول ﷺ عمل الصواب، وأحسن في الاختيار.

(٢) في هـص: أي للجاحظ.

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٦٧.

ثم في ذلك - إذا تأمله المتأمل - وجوه من الفضل:

منها: أنه وإن كان عنده في موضع الثقة فإنه غير مأمون عليه ألا يضبط السر فيفسد التدبير بإفشائه تلك الليلة إلى من يلقيه إلى الأعداء

ومنها: أنه وإن كان ضابطاً للسر وثقة عند من اختاره؛ فغير مأمون عليه الجبن عند مفاجأة المكروه، ومباشرة الأهوال، فيفر من الفراش فبقطن لموضع الحيلة؛ ويطلب رسول الله ﷺ فيظفر به.

ومنها: أنه وإن كان ثقةً ضابطاً للسر، شجاعاً محتملاً للمبيت على الفراش، فإنه غير مأمون أن يذهب صبره عند العقوبة لواقعة، والعذاب النازل بساحته، حتى يبوح بما عنده؛ ويصير إلى الإقرار بما يعلمه، وهو أنه أخذ طريق كذا فيطلب فيؤخذ، فلهذا قال علماء المسلمين: إن فضيلة عليّ عليه السلام تلك الليلة لا نعلم أحداً من البشر نال مثلها، إلا ما كان من إسحاق^(١) وإبراهيم عند استسلامه للذبح، ولولا أن الأنبياء لا يفضلهم غيرهم لقلنا: إن محنة عليّ أعظم، لأنه قد روى أن إسحاق تلكاً لما أمره أن يضطجع، وبكى على نفسه، وقد كان أبوه يعلم أن عنده في ذلك وقفة، ولذلك قال له: ﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾^(٢)؛ وحال عليّ عليه السلام بخلاف ذلك، لأنه ما تلكاً ولا تعنع، ولا تغير لونه، ولا اضطربت أعضاؤه، ولقد كان أصحاب النبي ﷺ يُشيرون عليه بالرأي المخالف لما كان أمر به، وتقدم فيه، فيتركه ويعمل بما أشاروا به، كما جرى يوم الخندق في مصانعة الأحزاب بتمر^(٣) المدينة، فإنهم أشاروا عليه بترك ذلك، فتركه، وهذه كانت قاعدته معهم، وعادته بينهم، وقد كان لعليّ عليه السلام أن يعتلّ بعلة، وأن يقف ويقول: يا رسول الله، أكون معك أحميك من العدو، وأذبّ بسيفي عنك، فلست مستغنياً في خروجك عن مثلي، ونجعلُ عبداً من عبيدنا في فراشك، قائماً مقامك، يتوهم القوم - برؤيته نائماً في بُردك - أنك لم تخرج، ولم تفارق مركزك؛ فلم يقل ذلك، ولا تحير ولا توقف، ولا تلعنم، وذلك لعلم كل واحدٍ منهما ﷺ أن أحداً لا يصبر

(١) على قول من يقول إن لذيبح هو اسحاق، والصحيح عند علمائنا مؤيداً بمؤيدات كثيرة ان

الذيبح كان اسماعيل عليه السلام. رجع هامش تفسير غريب لقرآن لزيد بن علي عليه السلام.

(٣) في ط: بثلت تمر.

(٢) الصافات: ١٠٢.

على ثَقَلِ هذه المحنة، ولا يتورّط^(١) هذه الهلكة؛ إِلَّا مَنْ خَصَّه الله تعالى بالصَّبْرِ على مشقَّتها، والفوز بفضيلتها، وله من جِئْسِ ذلك أفعالٌ كثيرة، كيومِ دعا عمرو بن عبد ودّ المسلمين الى المبارزة، فاحجم الناس كلُّهم عنه، لما علموا من بأسه وشِدَّتِه، ثم كرّر النداء، فقام عليّ عليه السلام، فقال: أنا أبرزُ إليه، فقال له رسول الله ﷺ: إنّه عمرو! قال: نعم، وأنا عليّ! فأمره بالخروج إليه، فلمّا خرج قال ﷺ: «برز الایمان كلّه الى الشُّرك كلّه»، وكيوم أُحُد حيث حمى رسول الله ﷺ من أبطال قريش وهم يقصدون قتله، فقتلهم دونه، حتى قال جبريل عليه السلام: «يا محمّد إنّ هذه هي المواساة»، فقال: «إنّه مني وأنا منه»، فقال جبريل: «وأنا منكما».

ولو عددنا أيامه ومقاماته التي شَرى فيها نفسه لله تعالى لأَطلنا وأسهبنا.

انتهى كلام الشيخ أبي جعفر الاسكافي نقلاً عن شرح ابن أبي الحديد^(٢).

قلت: ومن جنس مبيته على الفراش في ليلة الهجرة مواساةً له بنفسه وما يدل على ان هذا خلق له قديم متأصل ما ذكره ابن أبي الحديد في موضع آخر وذكره أهل السير ونقله الأخيار:

[وقرأت في «أمالي أبي جعفر محمد بن حبيب» عليه السلام، قال: كان أبو طالب إذا رأى رسول الله ﷺ أحياناً يبكي ويقول: إذا رأيته ذكرت أخي، وكان عبدالله أخاه لأبويه، وكان شديد الحبّ والحنوّ عليه، وكذلك كان عبد المطلب شديد الحبّ له^(٣)، وكان أبو طالب كثيراً ما يخاف على رسول الله ﷺ البيات إذا عرف مضجعه، فكان يقيمه ليلاً من منامه، ويضع به عليه مكانه، فقال له عليّ ليلة: يا أبت، إنني مقتول، فقال له:

اصبرنْ يا بُنيّ فالصبر أحجى	كلّ حيٍّ مصيرُهُ لِشُعُوبٍ ^(٤)
قد بذلناك والبلاء شديد	لقداء الحبيب وابن الحبيب
لقداء الأعرّ ذي الحسب الثّا	قب والباع والكریم النجيب
إن تصبّك المنون فالنبّل ثّري	فمصيبٌ منها، وغيرُ مصيب

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٦١.

(٤) من ديوانه ٤١، وشعوب: المنية.

(١) في ص: يتورّد

(٣) من ط.

كُلُّ حَيٍّ وَإِنْ تَمَلَّى بِعَمْرِ
فَأَجَابَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ لَهُ:

أَتَأْمُرُنِي بِالصَّبْرِ فِي نَصْرِ أَحْمَدٍ
وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ تَرَى نَصْرَتِي
وَاللَّهُ مَا قُلْتُ الَّذِي قُتِلَ جَارِعاً^(١)
وَتَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَزَلْ لَكَ طَائِعاً
نَبِيِّ الْهَدَى الْمَحْمُودِ طِفْلاً وَيَافِعاً^(٢)

وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو جَعْفَرٍ وَعَلِيٌّ هُوَ الْمَخْصُوصُ دُونَ أَبِي بَكْرٍ بِالْحِصَارِ فِي الشُّعْبِ؛
وَصَاحِبُ الْخُلُوتِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي تِلْكَ الظُّلُمَاتِ، لِمَتَجَرَّعَ لُغُصَصِ الْمَرَارِ مِنْ أَبِي لَهَبٍ
وَأَبِي جَهْلٍ وَغَيْرِهِمْ، وَالْمُصْطَلِي لِكُلِّ مَكْرُوهٍ، وَالشَّرِيكَ لِنَبِيِّهِ فِي كُلِّ أَدَى؛ قَدْ نَهَضَ
بِالْحِمْلِ الثَّقِيلِ، وَبَانَ بِالْأَمْرِ الْجَلِيلِ؛ وَمَنْ الَّذِي كَانَ يَخْرُجُ لَيْلاً مِنَ الشُّعْبِ عَلَى هَيْئَةِ
السَّارِقِ، وَيَخْفِي نَفْسَهُ، وَيُضَائِلُ شَخْصَهُ، حَتَّى يَأْتِيَ إِلَى مَنْ يَبْعَثُهُ إِلَيْهِ أَبُو طَالِبٍ مِنْ كُبَرَاءِ
قُرَيْشٍ، كَمَطْعَمِ بْنِ عَدِيِّ وَغَيْرِهِ؛ فَيَحْمِلُ لِبْنِي هَاشِمٍ عَلَى ظَهْرِهِ أَعْدَالَ الدَّقِيقِ وَالْقَمْحِ؛ وَهُوَ
عَلَى أَشَدِّ خَوْفٍ مِنْ أَعْدَائِهِمْ، كَأَبِي جَهْلٍ وَغَيْرِهِ، لَوْ ظَفَرُوا بِهِ لَأَرَاقُوا دَمَهُ. عَلِيٌّ كَانَ يَفْعَلُ
ذَلِكَ يَتَّامُ الْحِصَارَ فِي الشُّعْبِ، أَمْ أَبُو بَكْرٍ؟

[وَقَدْ ذَكَرَ هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَالَهُ يَوْمَئِذٍ، فَقَالَ فِي خُطْبَةٍ لَهُ مَشْهُورَةٍ: فَتَعَاقَدُوا أَلَّا يَعَامِلُونُ وَلَا
يَنَاقِحُونَا، وَأَوْقَدَتِ الْحَرْبُ عَلَيْنَا نِيرَانَهَا، وَاضْطَرُّوْنَا إِلَى جَبَلٍ وَعَرٍّ؛ مُؤْمِنُنَا يَرْجُو الثَّوَابَ،
وَكَافِرُنَا يَحَامِي عَنِ الْأَصْلِ؛ وَلَقَدْ كَانَتِ الْقِبَائِلُ كُلُّهَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ، وَقَطَعُوا عَنْهُمْ الْمَارَّةَ
وَالْمِيرَةَ، فَكَانُوا يَتَوَقَّعُونَ الْمَوْتَ جَوْعاً، صَبَاحاً وَمَسَاءً؛ لَا يَرَوْنَ وَجْهًا وَلَا فَرَجًا، قَدْ
اضْمَحَلَّ عَزْمُهُمْ، وَانْقَطَعَ رَجَاؤُهُمْ، فَمَنْ الَّذِي خَلَصَ إِلَيْهِ مَكْرُوهَ تِلْكَ الْمَحَنِّ بَعْدَ
مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَّا عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحْدَهُ! وَمَا عَسَى أَنْ يَقُولَ الْوَاصِفُ وَالْمُطِيبُ فِي هَذِهِ الْفَضِيلَةِ، مِنْ
تَقْصِي مَعَانِيهَا، وَبُلُوغِ غَايَةِ كُنْهَيْهَا؛ وَفَضِيلَةِ الصَّابِرِ عِنْدَهَا! وَدَامَتِ هَذِهِ الْمَحَنَةُ عَلَيْهِمْ ثَلَاثَ
سِنِينَ، حَتَّى انْفَرَجَتْ عَنْهُمْ بِقِصَّةِ الصَّحِيفَةِ، وَالْقِصَّةِ مَشْهُورَةٍ^(٣)، وَلَقَدْ كَانَ يَجِيعُ نَفْسَهُ
وَيَطْعَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ زَادَهُ، وَيُظْمِئُ نَفْسَهُ وَيَسْقِيهِ مَاءَهُ، وَهُوَ كَانَ الْمَعْلَلُ لَهُ إِذَا مَرَضَ،

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٦٤

(١) ديوان أبي طالب: ٤١.

(٣) ما بين المعقوفتين من ط.

والمؤنس له إذا استوحش؛ وأبو بكر بنجوة عن ذلك لا يمسه مما يمسه ألم؛ ولم يلحقه
 ممّا يلحقهم مشقة، ولا يعلم بشيء من أخبارهم وأحوالهم، إلا على سبيل الإجمال دون
 التفصيل؛ ثلاث سنين، محرمة معاملتهم ومناكحتهم ومجالستهم، محبوسين محصورين
 ممنوعين من الخروج والتصرف في أنفسهم، انتهى نقلاً من شرح ابن أبي الحديد^(١).

ومن خطبة له عليه السلام^(١):

فَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفْسِ^(٢) الْبَقَاءِ، وَالصُّحُفَ مَنْشُورَةً^(٣)، وَالتَّوْبَةَ مَبْسُوطَةً^(٤)،
وَالْمُدَبِّرَ^(٥) يُدْعَى، وَالْمُسِيءُ يُرْجَى^(٦)، قَبْلَ أَنْ يَخْمَدَ^(٧) الْعَمَلُ، وَيَنْقَطِعَ الْمَهْلُ، وَيَنْقُضِيَ
الْأَجَلُ، وَيُسَدَّ بَابُ^(٨) التَّوْبَةِ، وَتَصْعَدَ الْمَلَائِكَةُ^(٩)، فَأَخَذَ^(١٠) أَمْرُؤُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ، وَأَخَذَ
مِنْ حَيٍّ لِمَيِّتٍ^(١١)، وَمِنْ قَانٍ^(١٢) لِبَاقٍ، وَمِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ، أَمْرُؤُ خَافَ اللَّهَ. وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَى
أَجَلِهِ، وَمَنْظُورٌ إِلَى عَمَلِهِ، أَمْرُؤُ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا، وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا، فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا،
عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ، وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ.

(١) وردت هذه الخطبة في ب بعد الخطبة الآتية.

(٢) في هـ ص: بفتح الهمزة أي في سعة.

(٣) في هـ ص أي وأنتم أحياء إذ لا تطوى صحيفة العمن إلا عند حضور الموت.

(٤) في هـ ص: أي ليست مقبوضة كحالة الموت والمدير عن فعل الخير يدعى إليه ويقال له
اقبل عليه لبقاء التكليف.

(٥) في هـ ب: المدير عن الحق يدعى نه يطلب الحق به.

(٦) في هـ ب: أي يرجىء نوبته، وفي هـ ص: دخوله في الصالحين بالاصلاح.

(٧) في ص: يجمد، وفي هـ ص: استعارة مليحة لانقطاعه وروى بالخاء، وفي هـ د: يجمد - ك
ل.

(٨) في هـ د: أبواب - ش.

(٩) في هـ ص: أي حفظته الى السماء لانقطاع عملهم في الأرض بموته.

(١٠) في هـ ب: أي ليأخذ.

(١١) في هـ ص: من حيٍّ: أي منه في حال حياته له في حال موته.

(١٢) في هـ ص: أي من الدنيا، لباقي هو الآخرة وكذلك من ذاهب لدائم.

(١٣) في هـ ص بدل موصوف من امري المطلق.

ومن خطبة له عليه السلام في شأن الحكمين وذم أهل الشام^(١) :
 جَفَاةٌ طَغَاءُ^(٢) ، عَبِيدُ أَقْرَامٍ^(٣) ، جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ^(٤) ، وَتُلْقَطُوا^(٥) مِنْ كُلِّ شَوْبٍ^(٦) ،
 مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ^(٧) وَيُؤَدَّبَ^(٨) ، وَيُعَلَّمُ وَيُدَرَّبَ^(٩) ، وَيُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ ،
 لِيُسَوَّاهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَلَا مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ^(١٠) .
 أَلَا وَإِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تُحِبُّونَ^(١١) ، وَإِنَّكُمْ اخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ

(١) في ص زيادة: وذم الحكمين.

(٢) في هـ . بـ في نسخة: طغاة، وفي هـ . بـ: جمع جاف، وفي هـ . صـ: جمع جاف أي أعراب
 أجلاف، والطعام يقع للواحد والجمع، وقيل هو جمع طغم، أي لا يفقه.

(٣) في بـ: أقرام، وفي هـ . بـ: أقزام أي حقيرة لا خير فيهم، وفي هـ . صـ: جمع قزم وهم رذال
 الدس وسفلتهم يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث لأنه مذهب المصدر،
 ذكره في الشرح

(٤) في هـ . بـ و صـ: أي ناحية، وفي هـ . بـ: أوب أي معتمون ليه وكذا الستوب أي المختلط
 من كل حيث. (٥) في هـ . بـ: من اللقطة.

(٦) في هـ . صـ: أي هم أخلاط جمعهم حب الدنيا

(٧) في هـ . صـ: أي يفهم الدين

(٨) في هـ . بـ التدريب النخيلق بخلق حسن وهو أن يتخلق بخلق حسن، وفي هـ . صـ: أي
 يعلم فعل الخبر.

(٩) في هـ . بـ: يجعل لهم ولأب يعلمهم وفي هـ . صـ: أي لا يستحقون أن يلوا أمراً بل ينبغي أن
 يحجر عليهم كما يحجر على الصبي والسفيه لعدم رشده.

(١٠) في هـ . بـ: جعلوا دار الايمان، وفي هـ . صـ: الذين تبوءوا الدار من الأنصار، فذكرهم
 تخصيصاً بعد التعميم تنبيهاً على شرف فعلهم، ومعني قوله تعالى: ﴿تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾
 الحشر. ٩، سكنوهما، وان كن الايمان لا يسكن، ففي الكلام مجاز.

(١١) في دـ: يحبون، وفي هـ . صـ: بعني عمراً لأنه كان مبالغاً في تمام أمر معاوية وغلبته لينال به
 الدنيا.

أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ^(١). وَإِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ^(٢)، بِالْأَمْسِ. يَقُولُ^(٣): إِنَّهَا فِتْنَةٌ فَقَطُّعُوا أَوْتَارَكُمْ^(٤)، وَشِيمُوا^(٥) سِيُوفَكُمْ، فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ^(٦) غَيْرَ مُسْتَكْرِهِ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَقَدْ لَزِمْتُهُ الْتَهْمَةُ.

فَادْفَعُوا^(٧) فِي صَدْرِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ، وَخُذُوا مَهْلَ الْأَيَّامِ^(٨)، وَحُوطُوا^(٩) قَوَاصِيَ الْإِسْلَامِ^(١٠).

أَلَا تَرَوْنَ^(١١) إِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى، وَإِلَى صَفَاتِكُمْ^(١٢) تُرْمَى!

عبدالله بن قيس هو أبو موسى الأشعري منسوب لى الاشعر بن تنبث بن أدد بن يشجب بن عوف بن كهلان بن سبأ بن يسحب بن يعرب بن قحطان^(١٣).

(١) في هـ. ب: أي أنا أدعو الى الطاعة وفيها مشقة فنكرهون، ومعاوية يدعو الى الفساد والفجور وهو مما تحبون، وفي هـ ص: هو أبو موسى لأنه كان مائلا الى ابطال ولاية علي عليه السلام نبغضه له منطو لما عليه من النفاق ولأنه من صنائع عمر بن الخطاب وكانوا نواصب فكان ميله الى مصير الأمر الى عبدالله بن عمر. (٢) في هـ ب: يعني أبا موسى الأشعري.

(٣) في هـ. ب: أي أبا موسى.

(٤) في هـ. ب: أي اغمدوا.

(٥) في هـ. ب: أي اغمدوا.

(٦) في هـ. ب: أي اختاروا جهاد أمثلهم، وفي هـ ص يقال: كف الأمر المتطاوّل لأمر عنه: ادفع في صدره أي رد كيده، ومكره وغدره بذكاء ابن عباس.

(٧) في هـ. ب: أي اضمّنوا سعة الوقت لتأدية فرض الجهاد.

(٨) في هـ. ب: حوطوا: أي احتاطوا. (٩) أي أطرف الاسلام.

(١٠) في هـ. ب: أي لا تغفلوا فليس بمغفول عنكم

(١١) الصفاة: الحجر الصلب.

(١٢) في هـ ص: أقول وعمر وأبو موسى اختلفا فيما حكما به وتابع كل واحد منهما فريق من أهل

الضلال فعمرو حكم بجواز التغلب على الأمر وصحة امامة المستغلبين الفاسقين فتابعه للصّوص المتعلبون واستباحوا أموال المسلمين وأرقوا دماء المؤمنين. وأبو موسى حكم بعدم جواز قتال المسلمين مع إمام الحق، وزعم ان ذلك من الفتنة لمنهي عن الدخول فيها،

قال أبو عمر بن عبد البر: فقد روى حذيفة فيه كلاماً كرهت ذكره والله يغفر له^(١). قلت: الكلام الذي أشار إليه أبو عمر بن عبد البر ولم يذكره قوله فيه، وقد ذكر عنده بلدين، أما أنتم فتقولون ذلك، وأما أن فاشهد أنه عدو لله ولرسوله، وحرب لهما في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم، ولهم اللعنة ولهم سوء الدار. وكان حذيفة عارفاً بالمنافقين، أسر إليه رسول الله ﷺ أمرهم، وأعلمه أسماءهم. وروى أن عمّاراً سئل عن أبي موسى، فقال: لقد سمعت فيه من حذيفة قولاً عظيماً، سمعته يقول: صاحب البرنس الأسود صاحب البرنس الأسود، ثم كلح كلوحاً علمت منه أنه كان من أهل ليلة العقبة من أولئك الرهط.

وروى عن سويد بن غفلة، قال: كنت مع أبي موسى على شاطئ الفرات في خلافة عثمان، فروى لي خبراً عن رسول الله ﷺ، قال: سمعته يقول: «ان بني إسرائيل ختنفوا: فلم يزل الاختلاف بينهم، حتى بعثوا حكّمين ضالّين ضلّلاً وأضلّلاً من اتبعهما، ولا ينفك أمر أمتي حتى يبعثوا حكّمين يضلّان ويُضلّان من تبعهما»، فقلت له: احذر يا أبا موسى أن تكون أحدهما! قال: فخلع قميصه، وقال: أبرأ إلى الله من ذلك، كما أبرأ من قميصي هذا. فأما ما تعتقده المعتزلة فيه، فأنا أذكر ما قاله أبو محمد بن متويه في كتاب «الكفاية» قال ﷺ:

وأما أبو موسى فإنه عظم جرّمه بما فعله، وأدّى ذلك إلى الضرر الذي لم يخف حاله، وكان عليّ عليه السلام يقنت بلعنه [فيقول: اللهم العن معاوية أولاً وعمراً ثانياً، وأبا الأعور السلمي ثالثاً، وأبا موسى لأشعري رابعاً]. روى عنه عليه السلام: أنه كان يقول في أبي موسى: صبغ بالعلم صبغاً وسلخ منه سلخاً.

→ فتابعه عبي رأيه علماء السوء من العامة الذين لا يجيزون الخروج على أئمة الجور، وأبو موسى حكم رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله بنفاقه بسبب هذه العقيدة، فيجب أن يكون موافقه عليها منافقاً، وهو الذي نقوله من أن مخالف معتقد أهل الحق منافق، كما سبق تقريره، وكلا الفريقين مجتمعون على عداوة أهل البيت عليه السلام.

قال: [وأبو موسى هو الذي روى عن النبي ﷺ أنه قال: كان في بني إسرائيل حكمان ضالّان، وسيكون في أمتي حكمان ضالّان، ضالّ من اتبعهما، وأنه قيل له: ألا يجوز أن تكون أحدهما؟ فقال: لا، أو كلاماً هذا معناه، فلما بُليَ به، قيل فيه: البلاء موكل بالمنطق، ولم يثبت في توبته ما ثبت في توبة غيره. انتهى كلام ابن متّويه، وانتهى ذلك نقلاً من شرح ابن أبي الحديد^(١).

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٣١٦.

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها آل محمد عليه السلام^(١) :

هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ^(٢)، وَمَوْتُ الْجَهْلِ يُخْبِرُكُمْ جِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ^(٣) وَصَمْتُهُمْ^(٤) عَنْ حُكْمِ
مَنْطِقِهِمْ لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَهُمْ^(٥) دَعَائِمُ الْأِسْلَامِ وَلَا نَيْجُ^(٦) الْإِغْتِصَامِ بِهِمْ
عَادَ الْحَقُّ فِي نَصَابِهِ^(٧) وَأَنْزَاخِ^(٨) الْبَاطِلِ عَنْ مَقَامِهِ. وَأَنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَثْبِتِهِ^(٩). عَقَلُوا^(١٠)
الَّذِينَ عَقَلُوا عَايَةَ^(١١) وَرِعَايَةَ^(١٢) لَا عَقْلَ سَمَاعِ^(١٣) وَرِوَايَةٍ. فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرِعَايَتُهُ^(١٤)
قَلِيلٌ.

قوله عليه السلام: «لا يخالفون الحق»:

أي لا يكون قولهم خلاف الحق، ولا يختلفون فيه كما يختلف غيرهم من الفرق
وأرباب المذاهب؛ فمنهم من له في المسألة قولان وأكثر، ومنهم من يقول قولاً ثم يرجع
عنه، ومنهم من يرى في أصول الدين رأياً ثم ينفيه ويتركه، انتهى من الشرح^(١٥).

(١) في هـ. ب: في نسخة: صلوات الله عليه وعيهم أجمعين.

(٢) في هـ. ص: عيش لعلم: أي سقى العلم سقائهم - كما ورد في الحديث -.

(٣) في ط زيادة: وظاهرهم عن باطنهم، أي أن سريرتهم وعلايتهم سواء، وذلك لطهارة

اخلاقهم من حيث المكر والخديعة الذان هما طريقة اصداده، وفي هـ. د: عبارة «وظاهرهم

عن باطنهم» ساقطة من ل ش. وفي هـ. ص: وذلك لأنهم يؤثرون الحلم وكظم الغيظ، فيدل

ذلك على علمهم بفضيلة الحلم والصبر ورجحان أجرهما.

(٤) في هـ. ص: لأن الصمت في غير محل النطق دليل على العلم بما يقول في كل النطق.

(٦) في هـ. ب: جمع وليجة وهي أوطانه.

(٥) في ط: عيه وهم.

(٨) في هـ. ب: زال.

(٧) في هـ. ب: أصله.

(١٠) في هـ. ب: علموا الدين: فهموه وتحققوه.

(٩) في هـ. د: من منبته - ل.

(١٢) في هـ. ص: أي عملوا به.

(١١) هـ. ب: أي حفظ.

(١٣) في هـ. ص: أي تسمعونه ويسمعونه لا شيء وراء ذلك.

(١٥) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٣١٧.

(١٤) في هـ. ص: أي العاملون به.

قوله: «هم دعائم الاسلام»:

لأنه بهم يدعم الاسلام عن السقوط لأنهم لا يزالون يدعون اليه ويقاثلون عنه - كما جاء في الحديث في ذكر الطائفة المحقة^(١).

والولائج: جمع وليجة، وهي البطانة والمولى والناصر، والمعنى ان من دخل في جملتهم واستند اليهم اعتصم من الضلال والهلكة كما جاء في حديث الثقلين والسقيفة.

قوله: «بهم عاد الحق الى نصابه»:

هذا تصريح بأنه كان قبل توليهم أمور المسلمين خارجاً عن نصابه الذي جعله الله له بعد أن اخرج منه من بعد كونه فيه، كما يقتضيه لفظ عاد، وهذا عين مذهب الشيعة.

وقوله: «وانزاح الباطل ... الى آخره»:

هذا تصريح بأن ولاية من سبقه كان باطلاً

وقوله: «وانقطع ... الى آخره»:

هذا تصريح بأن نطق من سبقه كان باطلاً

واعلم ان المراد بأهل البيت: المخلصون منهم، وهم الذين كانت عقائدهم وأقوالهم وأفعالهم على طبق معتقده وقوله وفعله، وهم صفوتهم المتقدمون ومن تلزم بمذهبهم من المتأخرين، كما ان المراد ببني اسرائيل المفضلين على العالمين، أهل الحق منهم المذكورون في قوله تعالى: (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة)، دون من فسّقه موسى ولعنه داود وعيسى بن مريم.

وكما ان الفضائل المذكورة لأمة محمد ﷺ مخصوصة بالصالحين. فهذه أحكام تذكر للجملة من حيث هي لا كل الأفراد.

وقد قال القاسم بن ابراهيم: أدركت مشيخة آل محمد ﷺ من ولد الحسن والحسين وما بين أحد منهم اختلاف، ثم ظهر أحداث تابعوا لعامة في أقوالها. وذكر معناه الهادي في كلام كثير، والله أعلم بالمتقين.

(١) هذه الخطبة وشرحها، آخر ما جاء من ص في باب الخطب وبعده باب المختار من كتب أمير المؤمنين .

ومن كلام له عليه السلام^(١): قاله لعبد الله بن عباس، وقد جاءه برسالة من عثمان، وهو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبع، ليقبل هتف^(٢) الناس باسمه للخلافة^(٣)، بعد أن كان سألته مثل ذلك من قبل.

فقال عليه السلام:

يَا بَنَ عَبَّاسٍ، مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلًا نَاضِحًا بِالْعَرَبِ^(٤)، أَقِيلُ وَأَدِيرُ! بَعَثَ^(٥) إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدَمَ، ثُمَّ هُوَ آلَانُ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ! وَاللَّهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِمًا^(٦).

أي بالغت واجتهدت في الدفاع عنه حتى خشيت أن أكون آثماً في مبالغتي واجتهادي، لأنه لا يستحق الدفاع عنه لجرمه وإحداثه. هذا أحد تأويلات ثلاثة ذكرها بن أبي الحديد، وهو الصحيح لأنه الظاهر من الكلام، وما عداه فمتعسف ظاهر البطلان. وسألت النقيب أب جعفر يحيى بن أبي زيد رحمه الله، فقلت له: إنني لأعجب من علي عليه السلام كيف بقي تلك المدة الطويلة بعد رسول الله ﷺ، وكيف ما اغتيل وقتل به في جوف منزله، مع تلظي الأكباد عليه!

فقال: لولا أنه أرغم أنفه بالتراب، ووضع خدّه في حضيض الأرض لقتل، ولكنه أحمل

(١) ورد هذا الكلام وشرحه في الخطبة رقم ٢١٦. وقد جعلناه هنا حسب ما ورد في النسخ الأولى المخطوطة لنهج البلاغة، وفي هـ د: هذا الكلام ساقط من ل.

(٢) في هـ ب: من الهاتف به.

(٣) في هـ ص: هو ذكرهم له وإعلانهم باستحقاقه.

(٤) في هـ ص: أي شبيهاً بالسائبة في الإقبال والادبار.

(٥) في ب: يعد.

(٦) في ب هنا ما يلي: آخر الخطب ويتلوه المختار من كتبه ورسائله.

نفسه، واشتغل بالعبادة والصلاة والنظر في القرآن، وخرج عن ذلك الزي الأول؛ وذلك الشعار ونسى السيف، وصار كالفاتك يتوب ويصير سائحاً في الأرض، أو راهباً في الجبال. ولما أطاع القوم الذين ولّوا الأمر، وصار أذلّ لهم من الحذاء، تركوه وسكتوا عنه، ولم تكن العرب لتقدم عليه إلا بمواطأة من متولّي الأمر، وباطن في السرّ منه، فلمّا لم يكن لولاة الأمر باعثٌ وداعٌ إلى قتله وقّع الإمساك عنه، ولولا ذلك لقتل. ثم أجّل بعد حصن حصين.

فقلت له: أحق ما يقال في حديث خالد؟

فقال: إن قوماً من العلوية يذكرون ذلك.

ثم قال: وقد روى أنّ رجلاً جاء إلى زفر بن الهذيل، صاحب أبي حنيفة، فسأله عمّا يقول أبو حنيفة في جواز الخروج من الصلاة بأمر غير التسليم، نحو الكلام والفعل الكثير أو الحدث! فقال: إنه جائز، قد قال أبو بكر في شهادته ما قال، فقال الرجل: وما الذي قاله أبو بكر؟ قال: لا عليك، فأعاد عليه السؤال ثانية وثالثة، فقال: اخرجوه أخرجوه، قد كنت أحدث أنّه من أصحاب أبي الخطاب^(١).

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٣٠١.

ومن كلام له عليه السلام يحث أصحابه على الجهاد^(١):

وَاللَّهُ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرُهُ^(٢) وَمُورِثُكُمْ أَمْرُهُ^(٣) وَمُمْهِلُكُمْ فِي مِضْمَارٍ مَمْدُودٍ لِيَتَنَازَعُوا
سَبْقَهُ^(٤) فَشُدُّوا عُقْدَ الْمَآزِرِ^(٥) وَاطُّوْا قُضُولَ الْخَوَاصِرِ^(٦) لَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيْمَةٌ مَا
أُنْقَضَ النَّوْمُ لِعِزَائِمِ الْيَوْمِ وَأُمْحَى الظُّلُمَ لِنَذَاكِيرِ الْهِمَمِ.

(١) ورد هذا الكلام في ص بين لكلامين رقم ٢١٨ و ٢١٩، ووضعناه هنا حسب ما ورد في النسخ المخطوطة. وفي هـ. د: هذا الكلام ساقط من ش.

(٢) في هـ. ص: أي طالب منكم شكره بالجهاد في سبيله ومنه دليل على ان الطاعة شكر، والله أعلم.

(٣) في هـ. ص: عدة بأن مآل الأمر الى أهل دعوتهم ومقاتلتهم كقوله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم...﴾ الآية، وهذه العدة سنحقق حقائقها وينكشف معناها بقيام المهدي عليه السلام وظهور دعوة بعض الأئمة جزء من ذلك، والله أعلم.

(٤) هـ. ص: وذلك بالجهاد ومباينة الظالمين، وذلك شأن الأئمة عليهم السلام.

(٥) في هـ. ص كناية عن رفض تيان النساء مع عزم الغزو.

(٦) في هـ. ص: أي لا تعودوا لشبع والتنعم فتألفوه فيقعد بكم.

فهرس المواضيع

- ٩٠- ومن خطبة له ﷺ هي من جلائل خطبه في وصف الله تعالى ٥
- ٩١- ومن كلام له ﷺ لما أريد على البيعة بعد قتل عثمان ٣٧
- ٩٢- ومن خطبة له ﷺ خطبها بعد حرب النهروان ٣٩
- ٩٣- ومن خطبة له ﷺ وصف فيها الله تعالى وبين فضل الرسول ﷺ ٤٣
- ٩٤- ومن خطبة له ﷺ فيها فضيلة الرسول ﷺ ٤٧
- ٩٥- ومن خطبة له ﷺ في صفات الله تعالى وصفة الرسول الكريم ﷺ ٤٨
- ٩٦- ومن كلام له ﷺ في أصحابه وأصحاب الرسول ﷺ ٤٩
- ٩٧- ومن كلام له ﷺ أشار فيه إلى ظلم بني أمية ٥٦
- ٩٨- ومن خطبة له ﷺ في التزهيد في الدنيا ٥٧
- ٩٩- ومن خطبة له ﷺ في بيان فضل رسول الله وأهل بيته ﷺ ٥٩
- ١٠٠- ومن خطبة له ﷺ تشتمل على ذكر الملاحم ٦٤
- ١٠١- ومن خطبة له ﷺ في الملاحم ٦٩
- ١٠٢- ومن خطبة له ﷺ في التزهيد في الدنيا ٧١
- ١٠٣- ومن خطبة له ﷺ في البعثة النبوية ٧٥
- ١٠٤- ومن خطبة له ﷺ في بعض صفات الرسول ﷺ، وتهديد بني أمية ٧٦
- ١٠٥- ومن خطبة له ﷺ بين فيها فضل الاسلام والرسول ﷺ ٨٥
- ١٠٦- ومن كلام له ﷺ في بعض أيام صفين ٨٨
- ١٠٧- ومن خطبة له ﷺ في الملاحم ٩٠
- ١٠٨- ومن خطبة له ﷺ في بيان قدرة الله تعالى وانفراده بالعظمة ٩٩
- ١٠٩- ومن خطبة له ﷺ في أركان الدين ١٠٩
- ١١٠- ومن خطبة له ﷺ في ذم الدنيا ١١٢
- ١١١- ومن خطبة له ﷺ ذكر فيها ملك الموت ﷺ وتوقيه الأنفس ١١٧

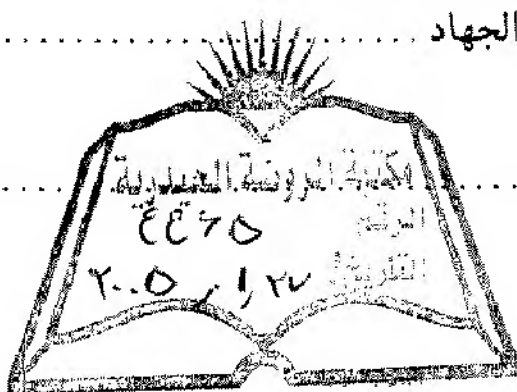
- ١١٢- ومن خطبة له عليه السلام في ذم الدنيا ١١٨
- ١١٣- ومن خطبة له عليه السلام فيها مواعظ للناس ١٢١
- ١١٤- ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء ١٢٥
- ١١٥- ومن خطبة له عليه السلام ينصح فيها أصحابه ١٢٨
- ١١٦- ومن كلام له عليه السلام يوبخ فيه البخلاء بالمال والنفس ١٣٠
- ١١٧- ومن كلام له عليه السلام في الصالحين من أصحابه ١٣١
- ١١٨- ومن خطبة له عليه السلام وقد جمع للناس وحصّهم على الجهاد ١٣٢
- ١١٩- ومن كلام له عليه السلام يذكر فضله ويعظ الناس ١٣٤
- ١٢٠- ومن كلام له عليه السلام عندما قيل له : نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها ١٣٦
- ١٢١- ومن كلام له عليه السلام فانه للخوارج وهم مقيمون على إنكار الحكومة ١٣٩
- ١٢٢- ومن كلام له عليه السلام فانه لأصحابه في ساعة الحرب ١٤١
- ١٢٣- ومن كلام له عليه السلام في نوبيخ أصحابه عليه السلام ١٤٢
- ١٢٤- ومن كلام له عليه السلام في حث أصحابه على القتال ١٤٣
- ١٢٥- ومن كلام له عليه السلام في الخوارج لما نكروا وتحكيم الرجال ١٤٦
- ١٢٦- ومن كلام له عليه السلام لما عوتب على التسوية في العطاء ١٤٨
- ١٢٧- ومن كلام له عليه السلام قاله للخوارج ١٥٤
- ١٢٨- ومن كلام له عليه السلام أخبر فيه عن الملاحم بالبصرة ١٥٧
- ١٢٩- ومن كلام له عليه السلام في ذكر لمكاييس والموازن ١٦٢
- ١٣٠- ومن كلام له عليه السلام لأبي ذر رضي الله عنه لما أخرج إلى الرّبذة ١٦٤
- ١٣١- ومن كلام له عليه السلام وفيه يبين سبب طلبه الحكم ويصف الإمام الحق ١٦٧
- ١٣٢- ومن خطبة له عليه السلام يعظ فيها ويُرشد في الدّينا ١٦٩
- ١٣٣- ومن خطبة له عليه السلام وفيها يعظم الله سبحانه ويذكر القرآن والنّبي ويعظ الناس ١٧١
- ١٣٤- ومن كلام له عليه السلام وقد شاوره عمر في الخروج إلى غزو الروم بنفسه ١٧٥
- ١٣٥- ومن كلام له عليه السلام وقد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان ١٧٦
- ١٣٦- ومن كلام له عليه السلام في أمر البيعة ١٧٧
- ١٣٧- ومن كلام له عليه السلام في معنى طلحة والزبير ١٧٨
- ١٣٨- ومن خطبة له عليه السلام يومئذ فيها إلى ذكر لملاحم ١٨٢

- ١٣٩- ومن كلام له عليه السلام في وقت الشورى ١٨٦
- ١٤٠- ومن كلام له عليه السلام في التهي عن غيبة الناس ١٩٠
- ١٤١- ومن كلام له عليه السلام في التهي عن سماع الغيبة ١٩٢
- ١٤٢- ومن كلام له عليه السلام في واضع المعروف في غير أهله ١٩٣
- ١٤٣- ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء ١٩٥
- ١٤٤- ومن خطبة له عليه السلام في مبعث النبي صلى الله عليه وآله ١٩٧
- ١٤٥- ومن خطبة له عليه السلام في فناء الدنيا ٢٠٣
- ١٤٦- ومن كلام له عليه السلام لعمر أيضا وقد استشاره في الشخوص لقتال الفرس بنفسه ٢٠٥
- ١٤٧- ومن خطبة له عليه السلام في الغاية من البعث ٢٠٧
- ١٤٨- ومن كلام له عليه السلام في ذكر أهل البصرة ٢١٥
- ١٤٩- ومن كلام له عليه السلام قبل موته ٢١٧
- ١٥٠- ومن خطبة له عليه السلام يومىء فيها إلى الملاحم ٢٢١
- ١٥١- ومن خطبة له عليه السلام يحذر فيها من الفتن ٢٣٤
- ١٥٢- ومن خطبة له عليه السلام في صفات الله جلّ جلاله وصفات الأئمة المعصومين عليهم السلام ٢٤١
- ١٥٣- ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها فضائل أهل البيت عليهم السلام ٢٥٢
- ١٥٤- ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها صفة أهل الملّة ٢٥٧
- ١٥٥- ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها بديع خلقه الخفّاش ٢٥٨
- ١٥٦- ومن كلام له عليه السلام خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم ٢٦١
- ١٥٧- ومن خطبة له عليه السلام يحث الناس فيها على التّقوى ٢٦٨
- ١٥٨- ومن خطبة له عليه السلام ينبّه فيها على فضل الرّسول صلى الله عليه وآله وفضل القرآن ٢٧١
- ١٥٩- ومن خطبة له عليه السلام يبيّن فيها حسن معاملته لرعيته ٢٧٣
- ١٦٠- ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها عظمة الله تعالى ٢٧٥
- ١٦١- ومن خطبة له عليه السلام في صفة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وأتباع دينه ٢٨١
- ١٦٢- ومن كلام له عليه السلام لبعض أصحابه في الخلافة ٢٨٤
- ١٦٣- ومن خطبة له عليه السلام في تحميد الخالق جلّ وعلا ٢٩٧
- ١٦٤- ومن كلام له عليه السلام لما اجتمع الناس إليه وشكوا مانقموه على عثمان ٣٠٢
- ١٦٥- ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها عجيب خلقه الطّاووس ٣٠٦

- ١٦٦- ومن خطبة له عليه السلام في الحث على التألف ٣١٤
- ١٦٧- ومن خطبة له عليه السلام في أول خلافته ٣١٩
- ١٦٨- ومن كلام له عليه السلام بعد ما بويع بالخلافة ٣٢٠
- ١٦٩- ومن خطبة له عليه السلام عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة ٣٢٣
- ١٧٠- ومن كلام له عليه السلام في وجوب اتباع لحق عند قيام الحجة ٣٢٥
- ١٧١- ومن كلام له عليه السلام لما عزم على لقاء القوم بصفين ٣٢٦
- ١٧٢- ومن خطبة له عليه السلام في تحميد الله تعالى ذكر فيها السورى ٣٢٧
- تتمة الخطبة (١٧٢) ٣٣٢
- ١٧٣- ومن خطبة له عليه السلام في فضيلة النبي صلى الله عليه وآله وفي هوان الدنيا ٣٣٥
- ١٧٤- ومن كلام له عليه السلام في معنى طلحة بن عبيد الله ٣٤٣
- ١٧٥- ومن خطبة له عليه السلام قال فيها: أيها الغافلون غير المغفول عنهم ٣٤٧
- ١٧٦- ومن خطبة له عليه السلام قال فيها: انتفعوا ببيان الله واتعظوا بمواعظ الله ٣٤٩
- ١٧٧- ومن كلام له عليه السلام في معنى الحكيم ٣٦٠
- ١٧٨- ومن خطبة له عليه السلام في صفات الله جلّ جلاله ٣٦١
- ١٧٩- ومن كلام له عليه السلام وقد سأله ذعلب اليماني في وصف الله تعالى ٣٦٣
- ١٨٠- ومن خطبة له عليه السلام في ذم أصحابه ٣٦٦
- ١٨١- ومن كلام له عليه السلام في الخوارج ٣٧٠
- ١٨٢- ومن خطبة له عليه السلام رواها نوف البكالي ٣٧٢
- ١٨٣- ومن خطبة له عليه السلام في قدرة الله تعالى ٣٨٧
- ١٨٤- ومن كلام له عليه السلام قاله للبرج بن مسهر الطائي وقد قال له: «لا حكم إلا لله» ٤٠٠
- ١٨٥- ومن خطبة له عليه السلام يحمد فيها الله ويشني على رسوله ويصف خلقاً من الحيوان ٤٠١
- ١٨٦- ومن خطبة له عليه السلام في وصف المتقين قلها لصاحبه همّام ٤٠١
- ١٨٧- ومن خطبة له عليه السلام تختص بذكر الملاحم ٤٤٤
- ١٨٨- ومن خطبة له عليه السلام في الوصية بأمر ٤٤٩
- ١٨٩- ومن خطبة له عليه السلام في الإيمان ووجوب الهجرة ٤٥١
- ١٩٠- ومن خطبة له عليه السلام يحمد فيها الله ويشني على نبيه ويعظ بالتقوى ٤٥٩
- ١٩١- ومن خطبة له عليه السلام في حمد الله والثناء على نبيه والوعظ بالتقوى ٤٦٤

- ١٩٢- ومن خطبة له عليه السلام تسمى «القاصعة» في ذمّ ابليس ٤٧٠
- ١٩٣- ومن خطبة له عليه السلام يصف فيها المتقين ٥١٤
- ١٩٤- ومن خطبة له عليه السلام يصف فيها المنافقين ٥٢١
- ١٩٥- ومن خطبة له عليه السلام في توحيد الله وفضيلة الرسول ﷺ ٥٢٤
- ١٩٦- ومن خطبة له عليه السلام في بعثة النبي ﷺ وهوان الدنيا ٥٢٧
- ١٩٧- ومن خطبة له عليه السلام في فضيلته على المسلمين وقرابته من الرسول ﷺ ٥٢٨
- ١٩٨- ومن خطبة له عليه السلام في التأكيد على تقوى الله ٥٣٥
- ١٩٩- ومن كلام له عليه السلام كان يوصي به أصحابه ٥٤٠
- ٢٠٠- ومن كلام له عليه السلام في معاوية ٥٤٢
- ٢٠١- ومن كلام له عليه السلام قال فيه: أيها الناس لاتستوحشوا في طريق الهدى لقلّة أهله ٥٤٣
- ٢٠٢- ومن كلام له عليه السلام قاله عند دفن سيّدة النساء فاطمة عليها السلام ٥٤٥
- ٢٠٣- ومن كلام له عليه السلام قال فيه: إنّما الدّنيا دار مجاز والاخرة دار قرار ٥٤٧
- ٢٠٤- ومن كلام له عليه السلام كان كثيراً ما ينادي به أصحابه ٥٤٨
- ٢٠٥- ومن كلام له عليه السلام كلّم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة ٥٥٠
- ٢٠٦- ومن كلام له عليه السلام وقد سمع قومًا من أصحابه يسبّون أهل الشام ٥٥٤
- ٢٠٧- ومن كلام له عليه السلام في بعض أيّام صفّين ٥٥٨
- ٢٠٨- ومن كلام له عليه السلام قاله لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة ٥٦٠
- ٢٠٩- ومن كلام له عليه السلام قاله بالبصرة للعلاء بن زياد الحارثي عندما رأى سعة داره ٥٦٢
- ٢١٠- ومن كلام له عليه السلام وقد سأله سائل عن أحاديث البدع ٥٦٤
- ٢١١- ومن خطبة له عليه السلام في قدرة الله تعالى ٥٩٧
- ٢١٢- ومن خطبة له عليه السلام في ذمّ بعض أصحابه ٥٩٩
- ٢١٣- ومن خطبة له عليه السلام قال فيها: الحمد لله العليّ عن شبه المخلوقين ٦٠٠
- ٢١٤- ومن خطبة له عليه السلام في صفات الله تعالى ومدح الرسول الأكرم ﷺ ٦٠١
- ٢١٥- ومن دعاء كان يدعو به عليه السلام كثيراً ٦٠٧
- ٢١٦- ومن خطبة له عليه السلام خطبها بصفّين ٦٠٩
- ٢١٧- ومن كلام له عليه السلام في ذمّ قريش ٦١٦
- ٢١٨- ومن كلام له عليه السلام ذكر فيه السائرين إلى البصرة لحربه عليه السلام ٦٢٠

- ٢١٩- ومن كلام له عليه السلام لما مرَّ بطلحة وعبد الرحمن بن عتّاب بن أسيد وهما قتيلان ٦٢١
- ٢٢٠- ومن كلام له عليه السلام في صفات المؤمنين ٦٢٢
- ٢٢١- ومن كلام له عليه السلام قاله بعد تلاوته: ﴿ألهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر﴾ ٦٢٣
- ٢٢٢- ومن كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته: ﴿رجال لاتلهيهم تجارة...﴾ ٦٣١
- ٢٢٣- ومن كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته: ﴿يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم﴾ ٦٣٥
- ٢٢٤- ومن كلام له عليه السلام في إلزام نفسه بتقوى الله ٦٣٨
- ٢٢٥- ومن دعاء له عليه السلام قال فيه: «اللهم صن وجهي باليسار...» ٦٤٣
- ٢٢٦- ومن خطبة له عليه السلام وصف فيها الدنيا بقوله: دار البلاء محفوفة وبالغدر معروفة ٦٤٤
- ٢٢٧- ومن دعاء له عليه السلام قال فيه: «اللهم إني أنس الانسين لأوليائك...» ٦٤٦
- ٢٢٨- ومن كلام له عليه السلام قال فيه: لله بلاد فلان، فلقد قوم الأود ٦٤٧
- ٢٢٩- ومن كلام له عليه السلام وصف فيه بيعته بالخلافة ٦٥٠
- ٢٣٠- ومن خطبة له عليه السلام في فضيلة التقوى وصفة الزّهاد ٦٥١
- ٢٣١- ومن خطبة له عليه السلام خطبها بذى قار وهو متوجّه إلى البصرة ٦٥٤
- ٢٣٢- ومن كلام له عليه السلام كلم به عبد الله بن زمعة وكان من شيعته ٦٥٥
- ٢٣٣- ومن كلام له عليه السلام قال فيه: ألا إن اللسان بضعة من الانسان ٦٥٦
- ٢٣٤- ومن كلام له عليه السلام قال فيه: عندما ذكر عنده اختلاف الناس ٦٥٧
- ٢٣٥- ومن كلام له عليه السلام قاله وهو يلي غسل رسول الله ﷺ وتجهيزه ٦٦٠
- ٢٣٦- ومن خطبة له عليه السلام في بعض صفات الله تعالى ومدح الرسول ﷺ ٦٦١
- ٢٣٧- ومن خطبة له عليه السلام في التوحيد وفيها من أصول العلم ما ليس في غيرها ٦٧٢
- ٢٣٨- ومن خطبة له عليه السلام في شأن الحكمين وذم أهل الشام ٦٧٣
- ٢٣٩- ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها آل محمد ﷺ ٦٧٧
- ٢٤٠- ومن كلام له عليه السلام قاله لعبد الله بن عباس، وقد جاءه برسالة من عثمان ٦٧٩
- ٢٤١- ومن كلام له عليه السلام يحث أصحابه على الجهاد ٦٨١



卷之二十一

卷之二十一

卷之二十一

